

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

الْحَارِثُ السَّوَّاحِجُ

بَيْنَ
الْبَشَادِيِّ وَالْمُرَاجِعِ

تأليف
خليل بن الوليد الصفدي
المقروء سنة ٧٦١ هـ

عني به تحقيقه
إبراهيم صالح

الجزء الأول

حَارِثُ السَّوَّاحِجِ

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفْعُ

عبد الرحمن النخدي
أسكنه الله الفردوس

الحائز السَّوَابِجِ

بَيْتِ
الْبَادِي وَالْمَرَّاجِعِ

الجزء الأول

رَفَعُ
عبد الرحمن النخدي
أسكنه الله الفردوس

العنوان : ألحان السواجع بين البادئ والمراجع

الجزء الأول

تأليف : خليل بن أبيك الصفدي

تحقيق : إبراهيم صالح

عدد الصفحات : ٤٤٠ صفحة

قياس الصفحة : ١٧ × ٢٤ سم

عدد النسخ : ١٠٠٠ نسخة

التنضيد والإخراج : زياد ديب السروجي

المطبعة : المطبعة الدمشقية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع
والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي
والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن
خطي من:

الكتب والدراسات التي تصدرها
الدار لا تعني بالضرورة تبني
الأفكار الواردة فيها ؛ وهي تُعبّر عن
آراء واجتهادات أصحابها .



دار البشائر

الطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - شارع ٢٩ أيار - جادة كرجية حداد

هاتف : ٢٣١٦٦٦٨ - ٢٣١٦٦٦٩

ص. ب ٤٩٢٦ سورية - فاكس ٢٣١٦١٩٦

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الكتاب السراج

بين
البشادى والمراجع

تأليف

خليل بن أنس الصفدي
المؤلف سنة ٥٧٦هـ

الجزء الأول

عني بتحقيقه
إبراهيم صالح

دار البشائر



رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
عبد الرحمن (الفخري)
أسكنه الله الفردوس

مقدمة التحقيق :

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وعلى آله وصحبه وتابعيه .

وبعد :

المؤلف (١) :

هو الإمام البارع ، الأديب المفتي ، القاضي (٢) ، صلاح الدين (٣) ، أبو الصفاء ، خليل بن الأمير عز الدين أبيك (٤) بن عبد الله ، الألبكي (٥) ،

(١) خرجته في : المعجم المختص للذهبي ٩١ وذيل العبر للحسيني ٣٦٤ وطبقات الشافعية الكبرى للشبكي ٥/١٠ والبداية والنهاية لابن كثير ٦٨٠/١٨ ووفيات ابن رافع ٣٨٦ وتذكرة النيه لابن حبيب ٢٦٨/٣ والمتقى من دوة الأسلاك ٢٥٣ والذيل على العبر للعراقي ١٣٤/١ وتعريف ذوي العلا للمفتي الفاسي ١٤١ والمتقى الكبير للمقرئ ٧٦٧/٢ والشلوك ٨٧/٢/٣ ودور العقود الفريدة ٧٧/٢ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢٢٧/٢ وطبقات الشافعية له ٢١٩/٣ والذرر الكاشة لابن حجر ٨٧/٣ والتجوم الزاهرة لابن تغري بردي ١٩/١١ والمنهل الصافي ٢٤١/٥ والذيل الشافي ٢٩٠/١ والذيل التام للشحاي ٣٠٠/١ وشذرات الذهب لابن العماد ٣٤٣/٨ والبلد الطالع للشوكاني ٣٤٣/١ .

(٢) لفظة القاضي ، من ذيل العبر للحسيني - وفي وفيات ابن رافع - الفارسي - تحريف - إذ ليس الصفدي فارسي الأصل ، بل هو تركي من أبناء الأجناد ، واسم أبيه خليل واضح على ذلك ، فأتيك - بالتركية - تعني : السيد القمر .

(٣) عرف في بداية أمره بلقب غرس الدين ، ثم تلقب بصلاح الدين ، وفي هذا الكتاب مراسلات عديدة خوطب فيها بلقب غرس الدين ، شعراً ونثراً ، وربما ألف منه فيما بعد كثيراً إلى فلان الدين .

(٤) التجوم الزاهرة ، والمتقى من دوة الأسلاك .

(٥) قال الذهبي في المعجم المختص : من موالى الأمير الكبير فارس الدين الألبكي .

وهو الأمير فارس الدين الألبكي التركي الظاهري . من كبار الأمراء وشجعانهم ، ولأه الملك المنصور ولاية صفد ، فأقام بها عشرة أعوام ، ثم جرت له أمور ، فتوفي بحمص سنة ٧٠٢ هـ . (الوافي =

الصَّفديّ ، الشَّافعيّ .

وُلد في صفد ، سنة ستّ وتسعين وستمئة ، وقيل : سبع وتسعين وستمئة^(١) .

حفظ القرآن العزيز في صغره^(٢) ، ولم يُمكنه أبوه من الاشتغال بالعلم حتى استوفى عشرين سنة^(٣) ؛ تعانى خلالها الرّسم فمهر فيه ، وكتب الخطّ المنسوب^(٤) .

ثم طلب العلم بنفسه ، فقرأ على علماء عصره ، وطاف مع الطّلبة ، وكتب الطّباق ؛ فسمع الحديث الشّريف من يونس الدّبوسيّ بالقاهرة ، ودمشق من المزيّ والبندنجي وغيرهما .

وبرع في النّحو واللّغة ، وحُبّب إليه الأدب فولّع به ، وقال الشعر الحسن ، ثم أكثر جدّاً من النّظم والنثر والترسل .

ثم انخرط في الوظائف الرّسميّة في الدّولة ، وكانت تدور خلالها بينه وبين رجالات عصره - علماء وأدباء - مكاتبات ومراسلات ، عليها مدارُ كتابنا هذا - « ألحان السّوابع » .

وتصدّى لرواية الحديث الشّريف في الجامع الأمويّ بدمشق ، فسمع منه بعضُ أشياخه ، كالذهبيّ وابن كثير والحسينيّ ، حتّى قال الذهبيّ : سمع منّي ، وسمعتُ منه^(٤) .

= بالوفيات ٩/ ٣٥١ (.

(١) في المقفى الكبير : سنة ٦٩٠ . قال الصَّفدي : [الترجمة ١٠٦ من هذا الكتاب] :

في عام ستّ وتسعين التي . . . بعد البين السّتّ قلنّ مولدي ونشأت حيث وُلدت في صفد وما . . . قلدت غير الشّافعيّ محمّد

(٢) المنهل الصّافي .

(٣) الدرر الكامنة .

(٤) المعجم المختص .

ويستفاد من استقراء تواريخ الرسائل المتبادلة بينه وبين العلماء والشعراء المذكورين في هذا الكتاب ، أنه ولي كتابة الدُرَج بصفد سنة ٧١٦ وحتى سنة ٧٢٣ ، دخل خلالها دمشق سنة ٧١٨ .

ثم عمل في دمشق حتى بداية ٧٢٤ فعاد إلى صفد ، ومرض في تلك السنة .

وفي سنة ٧٢٧ نراه ينتقل إلى القاهرة ، ويبقى فيها حتى بداية سنة ٧٢٩ ، حيث ينتقل إلى الرَّحبة^(١) ، ليكون موقعاً للدَّست و كاتباً للسَّرِّ فيها .

وكان الذي رَشَّحه لهذا العمل هناك هو أبو بكر محمَّد بن محمود بن سلمان ابن فهد ؛ وكان الصَّفديُّ مُستاءً من وجوده في الرَّحبة ، حيث لا أصحاب ولا أصدقاء ولا فضلاء ؛ وكان يتشوق كثيراً إلى مصر .

وفي عام ٧٣١ عاد من الرَّحبة إلى دمشق ، وتوجَّه في ٧٣٢ إلى القاهرة ، فبقي فيها سنة ثم عاد إلى صفد ؛ فبقي فيها حتى ٧٣٦ ليعود إلى القاهرة .

ثم ينتقل سنة ٧٣٩ إلى دمشق ، فيستقرُّ فيها حتى سنة ٧٤٥ حيث يُطلب إلى القاهرة .

وفي أوائل سنة ٧٤٦ عاد إلى دمشق فحطَّ فيها عصا التَّرحال ؛ ووُلد له فيها سنة ٧٥٣ ولدٌ ذَكَرٌ في ليلة الأحد ٢٩ صفر ، أسماه محمَّداً ، وكنَّاه أبا بكرٍ ، ولقَّبه تاج الدِّين .

وفي شوال ، سنة ٧٥٦ جلس في توقيع الدَّست الشَّريف بالشَّام ، فبقي فيها حتى وُلِّي كاتباً للسَّرِّ بحلب سنة ٧٥٩ فانتقل إليها .

(١) الرَّحبة : أو رحبة مالك بن طارق التغلبي ، وتقع أطلالها اليوم قرباً من مدينة الميادين في محافظة دير الزور بسورية .

قال ابن حبيب^(١) : لَمَّا تَوَفَّى أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ شَهَابِ الدِّينِ أَبِي الشَّاءِ محمود بن سلمان الحلبي ، صاحب ديوان الإنشاء بحلب سنة ٧٦٠ ولي عوضه صلاح الدِّين الصَّفدي في أوائل سنة ٧٦١ وباشر مدَّة يسيرة .

وقال^(١) : في أوائل رمضان سنة ٧٦١ باشر الصفدي صحابة ديوان الإنشاء بحلب ، عوضاً عن أبي إسحاق إبراهيم . . . واستقرَّ بالوظيفة شهوراً ، ثم عُزل ونقل إلى دمشق مباشراً وكالة بيت المال فيها .

وفي سنة ٧٦١ عاد إلى القاهرة ليتسلَّم رسمياً قرار تعيينه وكيلاً لبيت المال بدمشق .

واستمرَّ في منصبه هذا بدمشق حتى وافاه الأجل في عاشر شوال من سنة ٧٦٤ هـ^(٢) بالطاعون ، ودفن في مقبرة الصُّوفيَّة^(٣) .

وهكذا نرى أن حياة الصَّفدي لم تكن مستقرَّة ، بل كان دائم الانتقال بين خمس مدن ، هي صفد ، والقاهرة ، ودمشق ، وحلب ، والرَّحبة ؛ وما يقع على طريقها كحمص وحماة والعريش وغزَّة ، يمرُّ بها ، أو قد يستقبل بها مسؤولاً ، كما حدث سنة ٧٦١ حين زار حماة لتلقِّي النائب الجديد .



أقوال العلماء فيه :

● قال الذهبي في « المعجم المختص » : الإمام العالم ، الأديب البليغ الأكمل ، طلب العلم ، وشارك في الفضائل ، وساد في علم الرِّسائل ، وقرأ الحديث ، وكتب المنسوب ، وجمع وصنَّف ، والله يملِّه بتوفيقه ؛ سمع مني

(١) تذكرة النيه ٣/ ٢٢٧ و ٢٣٤ .

(٢) في المقفَّى الكبير : مات ليلة عاشوراء ! ! .

(٣) مقبرة الصوفية كانت تقع مكان مشافي كَلِيَّة الطَّبِّ ، جنوبي التكيَّة السليمانية .

وسمعتُ منه .

● وقال الحسيني في « ذيل العبر » : شيخنا القاضي الأديب ، كان من بقايا الرؤساء الأخيار .

وقال في « معجمه »^(١) : وإليه المنتهى في مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم .

● وقال تاج الدين الشبكي في « طبقاته » : الإمام الأديب ، الناظم النائر ، أديب العصر ؛ كانت بيني وبينه صداقة منذ كنت صغيراً^(٢) ، فإنه كان يتردّد إلى والدي ، فصحبته ، ولم يزل لي مصاحباً إلى أن قضى نَحْبَهُ ؛ وكنت قد ساعدته آخر عمره ، فولي كتابة الدّست بدمشق ، ثم ساعدته فولي كتابة السّرّ بحلب ، ثم ساعدته فحضر إلى دمشق على وكالة بيت المال وكتابة الدّست ، واستمرّ بها إلى أن مات بالطّاعون .

كنتُ أصحبه منذ كنت دون سنّ البلوغ ، وكان يُكاتِبُنِي وأُكاتِبُهُ ، وبه رغبتُ في الأدب ، فربّما وقع لي شعر ركيك من نظم الصّبيان ، فكتبه هو عني إذ ذاك^(٣) .

● وقال ابن حبيب في « تذكرة النيه » : كان عالماً فاضلاً ، كاتباً مُجيداً ، رئيساً جليلاً ، إماماً في معرفة الأدب ، رأساً في صناعة الإنشاء ، بارعاً في النّظم والنثر .

● وقال في « درّة الأسلاك » : إمامٌ زخريٌّ براعته ، وتطق بالصّواب

(١) تاريخ ابن قاضي شهبة ٢/٢٢٨ والدور الكامنة .

(٢) ولادة تاج الدين الشبكي سنة ٧٢٧ هـ . فينبهنا من العمر أكثر من ثلاثين سنة .

(٣) ثم ذكر مراسلة بينهما ، هي في كتابنا هذا ، وتاريخها شهر ربيع الأول سنة ٧٦٤ أي سنة وفاة الصّفدي ، فلعلّها من أواخر ما كتبه . بينما نجد تاريخ الرّسالة في طبقات الشافعية ٧٦٣ . والله أعلم .

لسانُ يراعته ، وفاضل جَلِيت عن أيسر أدبه ، وظهرت نفائس رسائله وكتبه ؛ كان حسن المحاضرة والأخلاق ، معدوداً من الحفاظ والجذّاق ، رُحلةً لذوي الطَّلَب ، وقُدوةً في فنون الأدب ، رأساً في صناعة الإنشاء وأحكامها ، ماهراً في تنضيد عقود القريض ونظامها .

● وقال المقرئ في « المقفّي الكبير » : وكان إماماً أديباً ، له همّةٌ عاليةٌ في التَّحصيل ؛ إذا صنّف كتاباً راجعَ أهل العلم ، فيما يحتاج إليه فيه من موادِّ العلم .

● وقال ابن قاضي شُهبة : قال بعضهم : ولولا ثقل في سمعه ، لَوُلِّي كتابة السّرِّ بالشّام .

● وقال ابن حجر : وكان محبباً إلى النَّاس ، حسن المعاشرة ، جميل المودّة ؛ وكان في الآخر ثقل سمعه .

* * *

مؤلفاته :

● في « طبقات السُّبُكِّي » : قال الصَّفديّ : وكتبتُ بيدي ما يقارب خمسمئة مجلّد .

قال : ولعلّ الذي كتبتُ في ديوان الإنشاء ضِعفاً ذلك .

● وفي « تاريخ ابن قاضي شُهبة » : قال ابن أَيْدُغدي في « معجمه » : قال لي صلاح الدّين الصَّفدي : إنّه كتب بخطّه أزيد من ثمانمئة مجلّدة .

● وقال السُّبُكِّي : صنّف الكثير في التّاريخ والأدب ؛ قال لي : إنّه كتب أزيد من ستمئة مجلّد تصنيفاً .

● وقال ابن كثير : كتب ما يُقارب مئتين من المجلّدات .

● وذكر الصَّفديّ في « ترجمته لنفسه » أسماء مصنفاته ، وهي نحو الخمسين مصنفًا ، منها ما أكمله ، ومنها ما لم يكمله . « شذرات الذهب » .
وأما ما ذكرته مصادر ترجمته من مؤلفاته ، فهي :

١٩- اختراع الخراج ، في مخالفة النقل والطباع : طبع بتحقيق الدكتور فاروق اسليم ، في اتحاد الكتاب العرب بدمشق ، سنة ٢٠٠٠ م .

٢- أعيان العصر ، وأعوان النصر : طبع بتحقيق الدكتور علي أبو زيد وزملائه ، في دار الفكر بدمشق ، سنة ١٩٩٨ م .

٣- الاقتصار على جواهر السُّلك ، في الانتصار لابن سناء الملك : ذكره الأستاذ هلال ناجي في مقدّمة الكشف والتنبيه ، وذكر أنّ منه نسخة في بغداد .

٤- ألحان السّوّاجع بين البادىء والمُراجع : وهو كتابنا هذا ، وسيأتي الحديث عنه .

٥- تُحقّقة ذوي الألباب ، فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والثّوّاب : طبع بتحقيق إحسان بنت سعيد خلوصي وزهير حميدان الصمصام ، في وزارة الثقافة بدمشق ١٩٩١-١٩٩٢ م . ثم أعيد طبعه في دار صادر بيروت .

٦- ترجمته لنفسه : وهي في نحو كراسين ، ذكر فيها مشايخه ، وعدّد مصنفاته ، وأنشد جملةً من منتخب شعره . (تاريخ ابن قاضي شعبة ، وشذرات الذهب) . قال ابن قاضي شعبة : ولقد لخصّتها في التّاريخ الكبير .

٧- التذكرة الصَّفديّة : تقع في ستّة وثلاثين جزءاً . منها نسخ من أجزاء متفرّقة في مكتبات العالم .

٨- تصحيح التّصحيح ، وتحرير التّحريف : طبع بتحقيق السيّد الشّرقاوي ، في مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٨٧ م .

- ٩- تمام المُتون ، في شرح رسالة ابن زيدون : طبع بتحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، في دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٦٩ م .
- ١٠- تَوْشِيح التَّوْشِيح : طبع بتحقيق ألبير مطلق ، في دار الثقافة ببيروت ١٩٦٦ م .
- ١١- جرّ الذّيل في أوصاف الخيل .
- ١٢- جلوة المحاضرة في خلوة المذاكرة .
- ١٣- جنان الجناس : طبع في القسطنطينية ١٢٩٩ هـ . ثم طبع بتحقيق الأستاذ هلال ناجي في مجلّة الدّخائر ببيروت [ضمن العدد ٣ و٤ سنة ٢٠٠٠ م] .
- ١٤- حرم المُدَح في تهذيب لُمَح المُلَح للحظيري .
- ١٥- الحسن الصّريح في مئة مليح : طبع بتحقيق الدكتور أحمد فوزي الهيب ، في دار سعد الدّين بدمشق ٢٠٠٣ م .
- ١٦- حقيقة المجاز إلى الحجاز .
- ١٧- حَلِيّ النَّوَاهِد ، على ما في الصّحاح من الشّواهد .
- ١٨- ديوان شعره : سيأتي قول ابن تغري بردي فيه .
- ١٩- رشف الرّحيق في وصف الحريق : أثبتها ابن فضل الله العمريّ في ترجمته من مسالك الأبصار ، الجزء الثاني عشر [ص ٤٨٥ - ٤٩٤] (بتحقيقي) .
- ٢٠- رموز الشجرة النّعمانيّة .
- ٢١- الرّوض الباسم ، والعرف النّاسم .
- ٢٢- زهر الخمائل في ذكر الأوائل .
- ٢٣- الشّعور بالعمور : طبع بتحقيق الدكتور عبد الرّزاق حسين ، في عمّان ١٩٨٨ م .
- ٢٤- صرف العين في وصف العين .
- ٢٥- طبقات النّحاة .

- ٢٦- طراز الألغاز .
- ٢٧- طرد السمع عن سرد السبع .
- ٢٨- عبرة اللبيب بعبر الكئيب .
- ٢٩- غُرّة الضُّبَح في اللَّعب بالزُّمَح .
- ٣٠- غوامض الصُّحاح : طبع بتحقيق الدكتور عبد الإله نيهان ، في معهد المخطوطات بالكويت ١٩٨٦ م .
- ٣١- الغيث الذي اتسجم ، في شرح لامية العجم : مطبوع في القاهرة ويبروت .
- ٣٢- فضُّ الختام ، عن التَّورية والاستخدام : طبع بتحقيق المحمدي عبد العزيز الحناوي ، بالقاهرة ١٩٧٩ م .
- ٣٣- الفضل المنيف في المولد الشَّريف .
- ٣٤- قهر الوجوه العابسة ، يذكر نسب الجراكسة : مطبوع في القاهرة ١٢٨٧ هـ - ١٣١٦ هـ .
- ٣٥- كشف الحال في وصف الخال : طبع بتحقيق (١٩) . سهام صِلان ، في دار سعد الدين بدمشق ١٩٩٩ م .
- ٣٦- كشف السِّرِّ المبهم ، في لزوم ما لا يلزم : نوقش رسالة ماجستير في جامعة دمشق ، عن نسخة الظاهرية .
- ٣٧- الكشف والتَّشبيهُ ، على الوصف والتَّشبيهِ : طبع بتحقيق الأستاذ هلال ناجي ، في دار الحكمة - بريطانيا ١٩٩٩ م .
- ٣٨- لُبّة السَّمع في وصف اللُّدع : مطبوع في مطبعة الموسوعات ، بالقاهرة .
- ٣٩- المثاني والمثالث .
- ٤٠- المجازاة والمجازاة .

٤١- مختار شعر أبي تمام^(١) : قال في الوافي ٢٩٤/١١ : والذي أقوله أنا :
إنني اخترت شعر الاثنين [المتنبي وأبي تمام] فجاء مختار أبي تمام قريباً من
ثمانئة بيت ، من جملة ثمانية آلاف بيت .

٤٢- المختار من شعر ابن دانيال : طبع بتحقيق محمد نايف الدليمي ،
بالموصل ١٩٧٩ م .

٤٣- مختار شعر المتنبي^(١) : قال في الوافي ٢٩٤/١١ : اخترت شعر
الاثنين [المتنبي وأبي تمام] فجاء مختار المتنبي ألفاً وستمئة بيت ، من
جملة ستة آلاف بيت .

٤٤- المقترح في المصطلح .

٤٥- منتخب شعر مجير الدين ابن تميم : طبع بتحقيق الأستاذ هلال ناجي
ود . ناظم رشيد ، في عالم الكتب - بيروت ١٩٩٩ م .

٤٦- نجد الفلاح في مختصر الصّحاح .

٤٧- نجم الدياجي في نظم الأهاجي .

٤٨- نصرة الثائر على المثل السائر : طبع بتحقيق الدكتور محمد علي
سلطاني ، في مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٢ م .

٤٩- نفائس الحماسة^(١) : قال في الوافي ٢٩٣/١١ عند ذكر حماسة أبي تمام :

وقد اخترت جيدها ، فكان ألف بيت ومئة بيت وثلاثة وعشرين بيتاً ؛ وسميتُ

ذلك نفائس الحماسة ، بعدما رُتبتُ كلَّ يابٍ منها على حروف المعجم .

٥٠- نفوذ السهم ، فيما وقع للجوهري من الوهم .

٥١- نكت الهميان ، في نكت العميان : طبع بتحقيق أحمد زكي باشا ، في

المطبعة الجمالية بالقاهرة ١٩١١ م .

٥٢- الوافي بالوفيات : وهو أعظم كتبه ؛ طبع معظمه حتى الآن بإشراف جمعية

(١) لم يذكره أحد قبلي .

المستشرقين الألمان .

* * *

شعره :

● قال ابن تغري يردى في « المنهل الصافي » : وشعر الشيخ صلاح الدين كثير ، وقضله عزيز .

وهو شاعرٌ مجيدٌ ، على أنَّ جَيْدَهُ يَزِيدُ على رَدِيئِهِ ، ولمَولا أَنَّهُ كان ضَئِيفاً بنفسِهِ ، راضياً بشعرِهِ ، لكان يندُرُ له الرَّدِيُّ ، ويكثرُ منه الجيّدُ .

فإنَّهُ كان عَوَاصِفاً على المعاني ، مبتكراً للثُّكْتَةِ البديعةِ ، عارفاً بفُنُونِ الأدبِ .

لكن رأيتُ من نظمهِ بخطِّهِ ، عندما يعارضُ بعضَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ مجيدي الشعراءِ ، في معنَى من المعاني اللطيفةِ ، فيأخذُ ذلك المعنى أو الثُّكْتَةَ ، فينظمها في بيتين ، ويُجيدُ فيهما بحسبِ الحالِ ، ثم ينظم أيضاً في ذلك المعنى بيتين أُخرَ ، ثم بيتين ، ثم بيتين ، ولا يزال ينظم في ذلك المعنى ، وهو يقولُ : **وَقُلْتُ أَنَا ؛ إِلَى أَنْ يَمَلَّهَ النَّظْرُ ، وَتَسَامَهُ النَّفْسُ ، وَيَمُجَّهَ السَّمْعُ .**

فلو ترك ذلك ، وتحوَّيَ في قَبِيضِهِ ، لكان من الشعراءِ المجيدين ، لِمَا يَظْهَرُ لي من قُوَّةِ شعرِهِ ، وحُسْنِ اختراعه .

* * *

التَّسْحُ الخَطِيئةُ المعتمدة :

تيسَّرَ لي من مخطوطات هذا الكتاب أربع نسخ ، هي :

١- نسخة أ : هي نسخة رئيس الكتاب بإستانبول ، رقمها ٦٢٦ .

وهي نسخة جلييلة ، تامَّة ، خزانِيَّة ، مكتوبة بخطِّ فارسيٍّ أُنِيقٍ ، منقولةٌ

من نسخة تلميذ المؤلف ؛ تقع في مجلدين ، ينتهي الأول في الورقة ٨٩ ب .
وبها يبدأ الجزء الثاني ، وينتهي في الورقة ١٧٥ ب .

وصفحاتها من القطع الكبير ، وفي كل صفحة ٢٥ سطراً .

كاتبها محمد بن أحمد الرُّجيجي الحنبلي الشَّيباني ، فرغ منها في أواخر
شهر الله المحرم الحرام ، سنة ٩٩٣ هـ .

ميّز بداية الترجمات والمراسلات بخطّ جليل ، وميّر الشعر بوضع فاصلة
كبيرة بين الشّطرين .

الخطّ فيها نادرٌ ، والضبط فيها قليل ، وعلى حواشيتها أسماء المترجمين
بخطّ كبير .

وبالجملة فإنّها من النسخ الأماث ، نادرة المثال ؛ ولهذه المزايا اتخذتها
أصلاً .

في بدايتها دائرة كبيرة ، كُتب فيها ما يلي :

برسم

سيّدنا العلامة الحبر البحر الفهامة ، من خصّه الله تعالى بالنفس القدسيّة ،
الرّضيّة المرصيّة ، والرّئاسة الأنسيّة ، ظهير الملة الحنيفيّة ، نصير الشريعة
المضطّقة ، مُحيي الشّنة المحمّديّة ، شرف الأنام ، صدر مصر والشام ،
المشرف على التمام ، قطب دائرة الأنام ، رئيس القضاة والحكام ، المحفوف
بعناية الملك العلّام ، فريد عصره وزمانه ، ووحيد دهره وأوانه ، نجية
الزمان ، ومصباح البيان ؛ أخرجهُ الله من بين أصليين أصليين ، وقَرعَين
ورعَين ، وتبليّن نبليّن ، من أصل شجرة في بحار الولاية والعلوم مغروسة ،
مولانا القاضي شهاب الدّين بن شعبان ، القاضي حيتز بالخانقاه ، وكاتب
الولاية بمصر المحروسة ، التي هي بالسّادة العلماء الموالى مأنوسة ،

أَجْرَى اللهُ تَعَالَى مَعْدِلَتَهُ عَلَى صَفَحَاتِ الْأَنَامِ ، وَرَبَطَ أَطْنَابَ دَوْلَتِهِ بِأَوْتَادِ الْخُلُودِ
وْخُلُودِ الدَّوَامِ ، وَمَتَّعَ بِوُجُودِهِ كَافَّةَ الْأَنَامِ ، وَلَا زَالَ مَرْجِعاً لِلْخَاصِّ وَالْعَامِّ ؛
وَأَدَامَ عِزَّهُ وَسَعْدَهُ ، وَحَرَسَ بَعِينَ عِنَايَتِهِ مَجْدَهُ وَجَدَّهُ ، وَرَحِمَ أَبَاهُ وَجَدَّهُ ،
وَأَظْلَلَ فَيْضَانُ غَمَامِ إِنْعَامِهِ عَلَى أَغْصَانِ نِسْيَانِ الْإِمْكَانِ ، لِيَجْتَنِيَ مِنْ أَرْؤْمِ كَرْمِهِ
وَرَوْضَةِ نِعَمِهِ كُلِّ قَاصٍ وَدَانٍ ؛ خَلَعَهُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ الْمُذْنِبُ الْمُسْتَغْفِرُ الْجَانِي
مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الرَّجَاجِيِّ الْحَنْبَلِيِّ الشَّيْبَانِيَّ ، رَجَعَ اللهُ تَعَالَى فِي الْقِيَامَةِ
مِيزَانَهُ ، وَصَانَهُ عَمَّا شَانَهُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ
بَعْدَهُ ، سَلِّمْنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ، وَسَلِّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً دَائِماً
سَرْمِداً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ،
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ كِتَابَةِ ذَلِكَ وَنَسْخِهِ ، فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ الْحَرَامِ ،
سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَتِسْعِمِئَةً ، أَحْسَنَ اللهُ تَعَالَى خِتَامَهَا ، وَقَدَّرَ فِي خَيْرٍ
تَمَامَهَا ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ؛ آمِينَ .

وَفَوْقَ الدَّائِرَةِ ، عَلَى الزَّائِيَةِ الْيُمْنَى الْعُلُوتَةِ : اللهُ حَسْبِي . مِنْ كُتُبِ أَبِي
بَكْرٍ رَسَمْتُمْ بِنَ أَحْمَدَ الشَّرَوَانِي .

وَتَحْتَ الدَّائِرَةِ خَتَمَ مَكْتَبَةِ رَئِيسِ الْمَكْتَابِ .

وَتَمَّةُ تَمْلُكَ لَا يُقْرَأُ ، كُتِبَ فَوْقَ الدَّائِرَةِ صُغُوداً .

٢- نَسْخَةٌ ب : هِيَ نَسْخَةٌ مَكْتَبَةِ قَلْبِجِ عَلِيٍّ بِإِسْتَنْبُولَ ، رَقْمُهَا ٧٩٤ .

وَهِيَ نَسْخَةٌ يَشِيْعُ فِيهَا الْخَطُّ وَالتَّحْرِيفُ وَالتَّصْحِيفُ ، وَفِيهَا نَقْصٌ فِي
مَوَاضِعَ عَدَّةٍ ، أَكْبَرُهَا فِي نِهَايَةِ الْكِتَابِ ، إِذْ يَنْتَهِي الْمَوْجُودُ مِنْهُ أَثْنَاءَ تَرْجُمَةِ ابْنِ
نُبَاتَةَ الْمَصْرِيِّ .

وَلَكِنَّهَا تَتَمَيَّزُ بِإِضَافَةِ بَعْضِ التَّرْجُمَاتِ الَّتِي لَمْ تَرِدْ فِي النُّسخِ الْآخَرَى ،

وتُضيف أكثر من مئة بيتٍ من الشعر .

كتب النَّاسخُ أسماء المترجمين بالحمرة .

تقع في ٢٢٩ ورقة من القطع العادي ، كتبت بخطٍ يقرب من النَّسخ ، وفي كلِّ صفحة ٢١ سطراً .

وكتابتها لم يكن من أهل العلم . وقد ميّزت زيادات هذه النسخة بوضعها بين قوسين ، وقد تلتقي مع زيادات م في بعض الأحيان .

في صفحة العنوان : اسم الكتاب : كتاب ألحان السّوابع بين البادى والمراجع . تأليف الشيخ صلاح الدّين خليل بن أبيك الصّفدي رحمه الله .

وتحت ذلك تملكات مختلفة ، نُصّها :

١- ملكه الفقير كمال بدري ، سنة ١٠١٣ .

٢- ثم ملكه العبد الفقير إليه تعالى جمال الدّين القادري البابلي ، مدرّس الصّاحبيّة بحلب المحميّة ، في ربيع الأوّل سنة ١٠١٧ .

٣- ملكه العبد الفقير إلى لطف مولاه الغنيّ القدير ، أبو الوفا بن عمر العُرضي^(١) ، وفّقّه الله تعالى لما يُرضي ، في أواسط جمادى الأولى سنة ١٠٦١ بعد موت المرحوم العلامة الشيخ جمال الدّين البابلي .

٤- ثم وهبناه لحامله مولانا أكمل الفاضلين ، وأفضل الكاملين ، مولانا رمضان أفندي الزّيني . كتبه أبو الوفا .

٥- انخرط في سلك مُلك العبد الفقير إلى الله رمضان بن عبد الرّحمن بن الشيخ عثمان الزّيني ، وذلك بالشّراء الشرعي من شيخ الإسلام وتركته ، حضرة الشيخ وفا عُرضي زادة ، فسح الله في أجله ، آمين . وذلك في غرّة شهر

(١) أبو الوفا بن عمر العُرضي: هو مؤرخ حلب، صاحب كتاب «معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب» المتوفى سنة ١٠٧١هـ.

رجب سنة ١٠٦٦ .

٦- ثم ساقه يد الدّوران إلى نوبة الفقير إليه عزّ شأنه ، أبو السّعود الحسيني ، غُفر له ، سنة ١١١٧ .

٧- نظر فيه العبد الفقير عبد القادر عفي عنه .

٣- نسخة س : هي نسخة مكتبة الإسكوريال بأسيانية ، رقمها ٣٢٦ .

وهي نسخة جليّة ، خزائنيّة ، مكتوبة بخطّ نسخيّ جميل ، بضبط كامل لا يخلو من خطأ .

تقع في ١٧٨ ورقة من القطع الكبير ، وفي كل صفحة ١٧ سطراً .

ولم يصلنا من هذه النّسخة - مع الأسف - سوى الجزء الأوّل فقط .

صفحتها الأولى مزخرفة بعناية ، جاء فيها : الجزء الأوّل من الألحان (؟) السّوّاجع بين البادى والمراجع .

تأليف الشيخ الإمام العالم العلّامة صلاح الدّين خليل بن أبيك الصّفدي ، أدام الله عزّه .

ومن هذه العبارة الأخيرة يمكن أن نفهم أنّها كتبت في حياة المؤلّف .

وهي تلتقي في مواضع النقص مع نسخة ب ، دون الزيادات التي انفردت بها تلك النّسخة .

وهذه النّسخة من الأصل من مكتبة مولاي زيدان ملك المغرب ؛ تلك المكتبة التي سطا عليها قراصنة الأسبان أثناء نقلها في البحر ، فاستقرّت في دير الإسكوريال قرب مدريد .

فقد جاء في رأس صفحة العنوان : تملكه عبد الله ، المعتمد عليه ، المفوض أمره إليه ، زيدان أمير المؤمنين بن الخلفاء الراشدين ؛ وفقه الله ، وأخذ بيده . آمين .

وعلى حاشيتها اليسرى بعض تملُّكات ، نُصُّها :

١- من كتب يحيى بن عبد العزيز بن بن علي بن طريمة

٢- إعارة الزَّمان إلى الفقير عبد القادر بن محمد الجريري الأنصاري ، عفا الله عنه .

٣- الحمد لله ، ملكه من فضل ربه الفَتَّاح ، يحيى بن محمَّد الملاح الحنفي ، غفر الله له وللمسلمين آمين .

٤- نسخة م : هي نسخة مكتبة الأحقاف بمدينة تريم ، في حضرموت اليمن . (بلا رقم) .

وهي نسخة تامَّة - دون الزِّيادات التي انفردت بها نسخة ب - وليس بها من نقص سوى خمس ورقات من نهاية ترجمة عمر بن داود بن هارون ، إلى منتصف ترجمة عمر بن الوردی ؛ ولعلَّها سقطت أثناء التصوير .

كُتبت بخط يقرب من النَّسخ ، وبها ضبطٌ غير دقيق ، والإِعْجام ليس دائماً في محلِّه . رؤوس العبارات والتراجم بالحمرة ، وقد طُمست أثناء التصوير فلم تظهر .

تقع في ٢٤٤ ورقة ، وليس بها ذكر للناسخ ولا سنة نساخته .

وتتميَّزُ بإضافة بيت ونصف من الشعر ، وبعض الكلمات هنا وهناك ؛ وقد تلتقي مع نسخة ب في بعض تلك الكلمات .

وقد تنفرد بقراءات أكثر دقَّة ممَّا ورد في النسخ الأخرى ، وبعض الشروح في الهامش ؛ وقد أثبتُّها كلّها في حواشي هذه الطبعة .



قَصَّتي مع هذا الكتاب :

تفضّل بزيارتي ذات يوم من عام ٢٠٠٢ م الأخ الباحث الأستاذ إياد أحمد الغوج حفظه الله تعالى من مدينة عمان في المملكة الأردنية الهاشمية ، وكنت قد بدأتُ بتحقيق كتاب « حياة الحيوان الكبرى للدميري » فعرضَ عليّ العمل في كتاب « ألحان السّواجع للصّفدي » وذكر من مزايا هذا الكتاب ما لا يقوله إلا كلُّ طبِّ خبير .

ثمّ تكّرّم - حفظه الله - فزوّدني بثلاث نسخ خطيّة ، هي (أ ، ب ، س) . فأوقفْتُ كتاب الدّميري مؤقتاً ، ثم انصرفْتُ كليّاً إلى ما يستلزمه الكتاب الجديد من نسخ وتحقيق . فتمّ ذلك - بحمد الله - في مُدّة وجيزة .

ولما انتهيتُ من تحقيقه نهائياً ، وأردت دفعه للطباعة ، زارني أخي الكريم الدكتور مروان العطية حفظه الله ، وأعلمني أنّه قرأ في صحيفة « الجزيرة » السعودية (العدد ١٠٨٨ تاريخ الخميس ٨ جمادى الأولى ١٤٢٣ هـ / ١٨ تموز ٢٠٠٢ م) مقالاً للأستاذ عبد الرحمن بن محمد الدخيل ، تحت عنوان : « صلاح الدّين خليل بن أيبك الصّفدي (٦٩٦ - ٧٦٤ هـ) يذكر فيه آثاره العلميّة ، وما طبع منها وما لم يُطبع ؛ فذكر كتاب « ألحان السّواجع » وقال : حقّقه د. محمّد عبد الحميد سالم ، الكويت : مكتبة دار العروبة . ط ١ . ١٩٨٥ في مجلّدين .

ثم راجعت مقدّمات كتب الصّفدي المطبوعة ، فلم أجد أحداً ذكر ذلك غير السيّد الشّرقاوي في مقدّمة « تصحيح التّصحيف » . إذ قال عند ذكر الكتاب : وقد حقّقه الدكتور محمّد سالم بالقاهرة ١٩٨٤ م كما ذكر لي أستاذي الدكتور رمضان عبد التّوّاب .

فأخذتُ أبحثُ في فهارس المكتبات العامّة الكبرى في دمشق (مكتبة

الأسد ، والمكتبة الظاهرية ، ومكتبة جامعة دمشق ، ومكتبة مجمع اللغة العربية (فلم أقف على ذكر هذا الكتاب البتة .

فَعُدْتُ إلى أخي مروان فأخبرته بذلك ، فاستطاع عن طريق أحد أصدقائه جزاء الله خيراً أن يرسل إليّ خمسين صفحة مصوّرة من بداية الكتاب ، وتظهر على الصفحة الأولى بجلاء عبارة : الناشر مكتبة دار العروبة بالكويت - لا كما ذكر السيد الشرقاوي : بالقاهرة - وفي أعلى الصفحة الأولى عبارة إهداء من المحقق إلى مكتبة الملك سعود بالرياض .

عندها طلبت من أخي الدكتور يحيى مير علم حفظه الله - الأستاذ في جامعة الكويت - أن يستوضح مشكوراً من دار العروبة عن أمر هذا الكتاب ، وأن يُزوّدني بنسخة منه ؛ فأتاني الجواب بأن الكتاب لم يطبع في دار العروبة ، ولا علم لهم بذلك ! .

فطلبت هذه المرّة من أخي الدكتور محمد أحمد الدّالي حفظه الله - الأستاذ في جامعة الكويت - أن يسأل الدكتور خالد عبد الكريم جمعة صاحب دار العروبة شخصياً ، فكان الجواب بالنفي ، وزاد بأن أرسل إليّ قائمة مطبوعات دار العروبة ، وليس فيها ذكر ألحان السّواجع ! .

ثمّ تكرّم الدكتور الدّالي - مشكوراً - فاتّصل هاتفياً بالأخ الدكتور عبد العزيز التّويجري حفظه الله ، وكان في تلك الساعة يطوف بالبيت الحرام معتمراً ، وطلب منه نسخة مصوّرة من مطبوعة الكتاب من مكتبة جامعة الملك سعود ؛ فوعد خيراً ؛ ثمّ تكرّم - جزاء الله خيراً - بتصوير الكتاب بجزأيه وإرساله إليّ إهداءً .

جزى الله خيراً كلّ الإخوة الذين اتّعبتهم معي في قصّة الكتاب .

* * *

فهذه المطبوعة - ورمزها « ط » - أظنّها رسالة جامعيّة ، قدّمت إلى كليّة الألسن - جامعة عين شمس - لنيل درجة الدكتوراه ، ولم يُطبع منها سوى عدد قليل من النّسخ ، تكفي لجنة المناقشة ، وبعض النّسخ التي بقيت معه أهدي إحداها إلى جامعة الملك سعود عندما تعاقد للتدريس فيها .

ويبدو - كونها رسالة - واضحاً من طريقة تحقيق الكتاب ، فلم يلتزم السيّد المحقّق منهجاً معيّناً معروفاً في التّحقيق ، وإنّما كان يعمل على طريقة : (الشّيء بالشّيء يُذكر) . فكلّما مرّ بيت من الشّعْر يقول : يُدكّرني هذا بقول فلان - ثم يسردُ بيتاً أو أبياتاً - أو يقول : أذكرُ به قول فلان . . . أو لعلّه من قول فلان . . . ممّا أدّى إلى تضخّم حجم الكتاب بما لا طائل تحته .

وقد بذل في الحقيقة جهداً مشكوراً ، ولكنّ عدم تمرّسه بأساليب التّحقيق العلميّ - وتحقيق كتب الرّجال خاصّة - أوقعه في عددٍ لا بأس به من الأخطاء ؛ سأذكر نزرّاً يسيراً منها ، لأنّ عدم وجود هذه الطّبعة في أيدي الباحثين لن يمكنهم من المقارنة بين الطّبعتين :

في الصفحة ٤١ / ١ : ورد ذكر مرج الغسولة ، فلم يتمكّن من تحديد المكان ، مع أنّه مذكور في معجم البلدان .

وفي ٨٠ / ١ : ورد ذكر ابن دُنَيْير . فترجم في الهامش لابن دينار .

وفي ٩٩ / ١ : ورد هذا البيت :

لَمْ يَبْقَ عِنْدِي زَبَدٌ . . . مِنْ بَعْدِهَا لَفَتَى زَبَادَةٌ

فقرأه : . . . زيدة × . . . زيادة - ثم ترجم في الهامش لشخص ينتهي نسبه إلى ابن زياد الغساني . وهو ابن زبادة ، يحيى بن سعيد بن هبة الله الشّيباني .

وفي ١٧٥ / ١ : ورد هذا البيت :

لا جعلَ الله انتظاري لكم مثل انتظار الحاكم الفاطمي
فقال في الهامش : إشارة إلى ما هو مشهور بين الشيعة ، من انتظار بعض
طوائفهم للإمام المنتظر . وليس بذاك ، بل هو إشارة إلى انتظار بعض الطوائف
للحاكم الفاطمي الذي يعتبرونه إلهاً لهم .

وفي ٣٣٤/١ : جاء ذكر «سنير» ضمن بيتٍ من الشعر؛ فأخذ يشرح الكلمة
لغويّاً . وسنير في الحقيقة : الجبل المطلُّ على حمص ، بينها وبين بعلبك .

وفي ٣٩٤/١ : جاء : وما صاحب الحكم . فأخذ يبحث في الهامش عن
صاحب الحكم ، ثم استقر رأيه على أَنَّهُ الثَّعالبي ! .

وصواب العبارة : وما صاحب « المحكم » . والمقصود به ابن سيده ،
العالم اللُّغوي المشهور .

وفي ٤٣٦/١ : ترجم في الحاشية لابن النَّشائي ؛ ولم يعلم أَنَّ لابن
النَّشائي ترجمة في هذا الكتاب .

وفي ٥٣٨/١ : يذكر الشَّيخ عماد الدِّين شيخ السَّلامية . ثم يقول في
الهامش : لم أستطع فيما توصَّلت إليه من مصادر ، الوقوف على ترجمته ، أو
معرفة المدرسة السَّلامية .

والصَّواب : الشَّيخ عزَّ الدِّين شيخ السَّلامية . والمدرسة المذكورة من
مدارس دمشق المشهورة ؛ ذكرها التُّعيمي في « الدَّارس في تاريخ المدارس »
وترجم للشَّيخ عزَّ الدِّين المذكور .

وفي ٩٧/٢ : يرد في الشعر ذكر كلمة « نمجا » . فيقول في الهامش : هكذا
بالْحان ، ولعلها بلجا . والتمجا : خنجر ، أو ضربٌ من السَّكاكين له غمدٌ .

وفي ٢١٩/٢ : يضبط بيتاً من الشعر ضبطاً خاطئاً ، ويتذكر به بيتاً ينطبق
على فهمه الخاطيء .

وفي ٢/٢٤٥ : ترد عبارة : ولا لمح شطراً ، ولا سطرأ . وصواب العبارة :
ولا لمح سطرأ ، ولا سطرئ . وسطرئ : من قرئ دمشق الدائرة ، مكانها مشفى
الهلال الأحمر السوري ، في شارع بغداد ، بدمشق .

وفي ٢/٢٤٦ : يورد بيتاً من الشعر لعمر بن مسعدة على هيئة الشر : وكل
ما يصح [يصلح] للمولى على العبد حرام .

وفي ٢/٢٥٠ : يرد في المتن ذكر الشمس ابن حماد . فيترجم في الهامش
لجمال الدين ابن حماد . ولم يعرف أن المقصود بالشمس : شمس الدين ،
وأن المترجم هو شمس الدين محمد بن إسماعيل بن حماد ، التاجر السفار ،
المترجم في البداية والنهاية ٣٦٧/١٨ .

وفي ٢/٣٦٧ : يرد في الشعر : بحمل زنكي . والصواب : بحمل
زنكي . والزنك : علامة يتميز بها الأمراء عند تنصيبهم وتوليتهم .
إلى غير ذلك من أمور كثيرة لا فائدة من ذكرها ، وإطالة المقدمة بها .

- جرى الله الدكتور محمد عبد الحميد سالم خير الجزاء ، فقد كان سباقاً
إلى إحياء الكتاب ، ولكنه أبواه مقصوراً على دائرة أساتذته وجامعته ؛ ولولا
تلك النسخة التي أهداها لمكتبة جامعة الملك سعود ، لما علم بها أحد .

- وجرى الله إخواني الذين ذكرتهم في قصتي هذه ، خير الجزاء ؛ فقد
كانوا نعم العون .

- والحمد لله في البدء والختام ، ومنه أستمذ العون ، وعليه التكلان ؛ وما
توفيقى إلا بالله .

* * *

هذا الكتاب

نمطٌ فريدٌ في التأليف ، يجمع بين فنِّ التَّراجُم ، وبين أدب التَّرسُّلِ شعراً

ونشراً ، في زمنٍ معيّنٍ ، وأماكنٍ محدّدة ؛ يُشكّل المؤلف قطب دائرة هذا الكتاب ، فمنه تصدر المكاتبات ، وإليه تعودُ ؛ في قالبٍ من أسلوب كُتّاب الإنشاء في العصر المملوكي .

وتأتي أهمّيّته أيضاً من كونه متممّاً للكتابين العظيمين : « الوافي بالوفايات » و « أعيان العصر » فهو رديفٌ كامل لهما ؛ إليه يحتاجان ، وبه يكتملان .

وإذا أضفنا إلى ذلك هذه التّرجمات التي انفرد بها كتابنا هذا ، وهذه القصائد التي لم ترد في أيّ مصدرٍ آخر ، وتلك الرّسائل التّثريّة التي لا توجد في سواه ؛ أدركنا أنّنا أمام كتابٍ لا يمكن للمكتبة العربيّة أن تستغني عنه .

ويظهر واضحاً في هذا الكتاب إعجاب الصّفدي برجال آل الشّبيكي ، فقد ترجم لسبعة فضلاء منهم ، بعضهم أسنُّ منه ، وبعضهم من أقرانه ، وبعضهم أصغر منه سنّاً ؛ ولو أفردت ترجماتهم لكان جزءاً لطيفاً .

فليلّ الحمدُ والمِنَّةُ أن وفّقنا لخدمة هذا الأثر النفيس من آثار الصّلاح الصّفديّ ، وأكرمنا بإظهاره للنّاس في ثوبٍ من التّحقيق أرجو أن يُثيبنا الله عليه يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلّا مَنْ أتى الله بقلبٍ سليم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

دمشق الشام

وكتب

إبراهيم صالح

٢٦ ربيع الثاني ١٤٢٣ هـ

٢٦ حزيران ٢٠٠٣ م

ثم

٢٨ صفر الخير ١٤٢٥ هـ

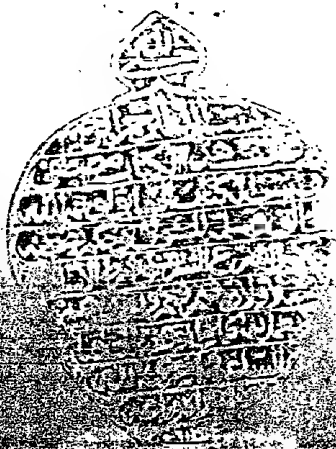
١٨ نيسان ٢٠٠٤ م

24

الحمد الذي جعل المادي أميرا ومقر راجع ان يكون امورا ومج منها بحسن لمكان
 يخرج منها القولو مطلوبا ومشورا عمدة على لغة التي راجع من عكرا وشعا من عقل
 عن حمد وترديد من ذوي الواجب وتما في الى مستحباتا تارة يعنى مقدم وتامه بنوعه
 وتشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له منها دة جلب عليها الحمد واثبت
 بالعقيدة الصحيحة المهادية واستوحشت من البدع العتيدة المضاهة وثبت دعائم دلها
 لما عثت شبه الباطل مستحجة وتشهد ان سيدنا محمد اعبده ورسوله افضل من اجاب واجاد
 واعان على نواب الدهر واعاده وابان فضل هذه اللغة العربية فبان ما سواه واباد
 صلى الله عليه وعلى اله وصحبه الذين خلفوا من التفاني فخلصوا وسابقوا الى اتباعه فاما
 قصير واولا ترقبوا وصدقوا في محبته وبالعبادة فاختصوا ولا ترضوا صلوة يتضع
 ثوبا عطره وتنبه بشاره فاما تواصل الاجاب وراسل الاحباب وسلم تسليما
 كثيرا الى يوم الدين وبعد فقد كنت قدما جمعت كتابي الذي وسمته بالمجرا والمجازاة
 وادعته جملة من مجازاة الشعراء ومجازاة الادباء وليس لي في بعد المقدمة غير القدر اليسير
 والى في قوافيه حظ في جرد الالضب والارفع وقد اجبت الان ان اجمع اذارميسي
 وبين فضلا اعصري والائمة الذين يجب ان يكتب محاسنهم بالذهب المصري فاما
 بدأت في وراجعت وفقدت فيه وتابعت لتكون ذلك في هذه الاوراق مجموعا
 وبنت ظاهرة في غضون العصور منها مسوعا على انني لم اعين قوما بعمل هذا
 واهملت من ضبط شيئا كثيرا اجمالا اذني فاني ضيعت مني من الضعفاء اولا
 وكنت لست بهذا النوع لاريد من الاحراز وجهها ساوفا فلما اضطررت الى جمعة وظففت
 نفسي الى سماع عتبة وصدعت النقط من كل لغة واجمع كما في قول العباس بن
 كزوقي رثيته عظيم ما جيتني في هذا السوم ساءه وكلم لزمسي في بعض المواضع محض
 وحمد ذلك في بعض الديارات والمراجعات سائعا وعادرت منها ما سأل على اربعة
 وجباضا رجاء ان تظف لي يد الطلب بما يسد الخلة ويسفي العلة وينفي الغلة

علوت نور الدين في ذروة ، نسو على الواقع والظاير لان ما نطق لم يكن
 لا اول فيها ولا آخره شعر مني ما ابتاعه نفس ، بقية لم يك بالي سر
 تاسد قد بلغت في وصفنا ، يقصر في الباطن والظاهر ، لا يخفى في اولى قاتل سر
 اسبح في بحر الهدى الزاخر ، وليس ما اجمع مستحسنا ، في ادب البادي ولا الخافي
 وانما نحن مولاى ان ، يكون من دون الكورى عابري ، فاسم دهم ما استمع روضة
 بكى لها حزن الجيا لاطر ، وكنت هو ان ، وانا ما لقا من افي كسند في حارة
 وجدنا ناس مولاى ان ، وجدنا ناس لم نلقه في اكل ، واما الطرف سبي في انظر
 يروم من انفسنا ، في برالى ، تحرت من المزار كفت من ، نواك في حنا من نواك
 مولا قمت على شيخ صنف ، اذ انك لم تملك اكل ، فغنى سره الا حباب اننا
 ما عشت عشا في نواك ، وانشد في نواك انظر في نواك اسكر وانشو
 عجت لمعول الرضا منصف ، يحكى اننا في النفا خال منة ،
 عشا نحن معناه الحرب في نواك ، على الراس راس النواك في نواك
 ، فاستدنى بولس في نواك .

في نواك اصرت اعوج ، في نواك ان نواك
 ، خشار من النواك في نواك ، لا نواك في نواك
 ، بولس عقل في نواك ، والدو ولا نواك في نواك
 ، نواك السول في نواك ، والنواك في نواك
 ، نواك في نواك ، نواك في نواك
 ، نواك في نواك ، نواك في نواك



نهاية الكتاب في أ



الحمد لله الذي جعل البادي آميرا وتقدر المراجع ان يكون ما غور

ومرج منها بحرين يلتقيان بينهما برشح لا يعينان يخرج منهما
 اللؤلؤ المنطويما ومنتشورا خيره على نحره التي تراعى شكره وقايد
 من غفل عن عهدها وتريد من اذي الواجب وان ذكره وتاتي الى مستحقها
 تادة بعني متقدرة ونادة بعني مستكرة وتشهد بان لا اله الا الله
 وحده لا شريك له شهادة جيلت عليي الجيلة وانست بالعبادة
 العصرية الهادية واستوحشت من البدع العليلة المضاهة وتبنت
 دقايراد لذه المساعاة بشقة الباطل مضحكة وتشهد بان عبادا عبد
 وهو له الفضل من اعاب واعباد وانان على نوايب الدهر واعباد
 وان فضل هذه اللغة العربية فابان ماسواها واراد صلى الله عليه
 وعلى آله وصحبه الذين خلصوا من النفاق فاخلصوا وسابغوا الى التبا
 فما نصبروا ولا تترقبوا وقد فواني محبته وبالغوا في اخير صوا
 ترخصوا صلاة تترفع في شرفها وطولها وتنتزع بصرها دهر
 ما تواسل الاحباب وتراسل الاحباب وسلم تسليما النبوا الى يوم
 الدين وبعد فقد كنت قدما جئت كتابي الهدايا وتبنت
 بالحداه والمعالاة واودعته جملة من محارة الشعراء ومحارة الادما
 وليس لي فيه بعد المقدمه غير التقدرد بالجمع وكلا في قوافيه حقا في جبر
 ولا نصب ولا وقع وقد اجبت الان ان اجمع ما دار بيني وبين فضله
 حميري والاميرة الذي يحب ان تكتب محاسنهم بالذهب المصنوع
 فايد انت فيه فاجعت وتلاوت فيه وتابعت يكون ذلك في هذه

الاوراق

بداية الكتاب في باب

بعدوا السبيل من الجاران لا ينسأ اليك من صالح
 دعائهم في خللهم وجلهم
 انزل على ما يشاء قد بر
 وما لاه جأ نه جبر



نهاية الكتاب في ب

مهم في تقدم لهذا الملك العزيز وكيف القالبه فاقنا
 علمه في غني بانه امدهج واجيد وابن لغته حذري هذه
 الوتبا لست والي مما قال قوله هذا العون ضحك هذا
 النيات وان مدحت فقد اسات الادب والعلوم من
 الادب والاهل الطاعة التي افرع بوجها في العلم
 سبي وفاني شرفا لا كراي احلا به حوض الرضا
 وقال قطني ثم رجع عندي ان احسن السؤل وقال
 بالامتنان وانما كل على فضل الاقوال ضا زواي في
 سالي بقطها قدري كما قل تحفا في منقاد الى جن
 استر عاك من السطور مشا احل وانجرت اكر ان روي
 على جميع ما يجري في روايته من سموع ونا نور ونور
 ومستور واجازة ومناوله ومطارد ومز اسال في
 انقله بصيف ونفسه ونوعه وما قد مر
 وات على راي احسن الرواة ومما جمع ما نصحت
 استر عاك اول فاجع ملوك المقطع الثاني كما قد مر
 حتى مشه طاعن الشوط المعبر فيمكن في زمان روي
 البيان حواء شريفة اذ من الامم في ما اظان في
 وار حواء ابي ولا خطي في الامم في ما اظان في
 الحمد من الذين روي عنهم في ذكر المعبر والذوات الذين
 روي عنهم والذين روي عنهم في ذكر المعبر والذوات الذين
 اعلم الله انهم في ذكر المعبر والذوات الذين

الحج

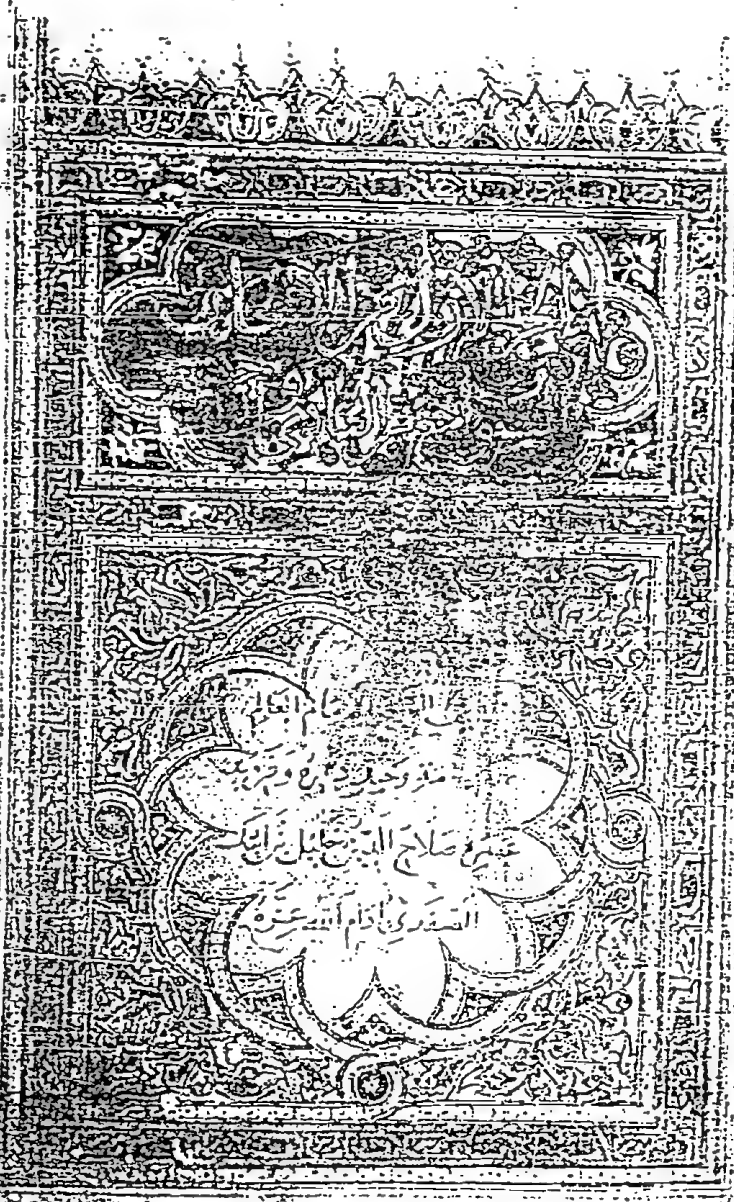
وَأَنْتَ يَا وَدَّاعُ عَمْرٍو
عَشْتُ لِعَمْرٍو لِمَا تَصْلُبُ مِنْهُ قَتْلَهُ
تَأْتِيهِمْ عَقَابُ الْقَرْبِ فَرَلَهُ
يَحْكِي تَأْيِيبَ الْمُتَلَبِّينَ نَحْبَهُ
عَلَى الرَّاسِ يَزِيحُ وَالنَّوَارِثُ يَأْتِيهِ

فِي حَلَبٍ أَمْرٌ بِأَعْيُوبَةٍ
سَدَّ شَأْنَهُ الْعَذَابُ الَّذِي
وَهُوَ بِلَا عَقْلِ يَرْمَحُ الْحَيَا
لَا يَبْرَحُ الْبُؤْسُ عَلَى رَأْسِهِ
لَهُ عَيْبُونَ وَهُوَ أَعْمَى وَفِي
نَامُوسٍ تَأْيِيبُ الْوَرَى فَرَلَهُ
تَخْرُجُ أَوْ تَكَا النَّاسُ مِنْ عَقْلِهِ
لَا يَقْدِرُ الْوَرَى عَلَى مِثْلِهِ
وَالْبُؤْسُ لَا تَنْبَعُ مِنْ أَكْذِهِ
وَالْقَتْلُ لَا يَنْفِكُ مِنْ رِجْلِهِ
عَيْنِيهِ أَوْ دَجَّ عَلَى شَكْلِهِ
أَكْتَفَيْنَا عَنْهُ وَعَمْرٍو أَصْلَهُ

هَذَا كِتَابُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو

الحمد لله الذي
 جعل في كل شيء
 حكما

الحمد لله الذي جعل في كل شيء
 حكما



الحمد لله الذي
 جعل في كل شيء
 حكما

صفحة العنوان في س

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَفْوُكَ اللَّهُمَّ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْبَادِيَ أَمِيرًا، وَقَدَّرَ لِلْمَرَجِعِ أَنْ يَكُونَ مَأْمُورًا،
 وَخَرَجَ مِنْهُمَا بِحَرَمٍ شَرِيفٍ مَخْرُجَ سَهْمَا اللَّوْلِيِّ نَسْطُومًا وَمَشُورًا ٥
 تَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي تَرَاوَعَتْ مِنْ شُكْرٍ، وَتَعَاهَدُ مِنْ غَفْلٍ عَنْ حَمْدِهَا
 وَتُرِيدُ مِنْ أَدْنَى الْوَاجِبِ وَأَذْكَرَ، وَتَأْتِي إِلَى مُسْتَحَقِّهَا نَائَةً بِمَعْنَى
 مُتَقَدِّمَةٍ وَتَأْنٍ بِمَعْنَى مُتَأَخِّرَةٍ، وَتَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
 لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً جُبِلَتْ عَلَيْهَا الْجِبِلَّةُ، وَأُنْسِتْ بِالْعَقِيدَةِ
 الصَّحِيحَةِ الْمَادِيَةِ وَاسْتَوْحِشَتْ مِنَ الْبِدْعِ الْعِلْيَاءِ الْمُضِلَّةِ، وَتَبَيَّنَتْ
 دَعَائِمُ أَدْلَتِهَا لَمَّا غَدَّتْ شَبَهُ الْبَاطِلِ مُضِجَةً، وَتَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَ الْخَلْقِ
 عِنْدَهُ وَرَسُولَهُ أَفْضَلُ مِنْ أَجَابِ وَأَحَادٍ، وَأَعَانَ عَلَى نَوَائِلِ الدَّهْرِ وَأَعَادَ،
 وَأَنَّ مَنْ يَضِلُّ هَذِهِ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ فَإِنَّ مَأْتَوَاهَا وَأَبَادَ، صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ خَلَصُوا مِنَ الْفَقَاقِ فَاخْلَصُوا، وَتَابَقُوا إِلَى
 أَسَاغِهِ فَاثْبَتُوا وَلَا تَرْتَضُوا، وَصَدُقُوا فِي حُبِّهِ وَبِالْعَوَا فَاخْرَصُوا
 وَلَا تَرْحَصُوا، صَلَاةً يَبْضُوعُ شَرْهَاءُ عِطْرٍ، وَتَبْشُوعُ بَشْرَهَا دُرًّا،
 مَا تَرَاوَلَّ الْأَحْبَابُ، دَرَاوَلَّ الْأَصْحَابُ، وَتَسَامَتْ سِلْمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ
 وَبَعْدُ فَدَعَاكَ قَدْ مَجَّاهَتْ كَأَنِّي الَّذِي وَاسَمْتُ بِالْمَجَارَاهِ
 وَالْمَجَارَاهِ وَادْعَتْهُ جَمْلَةٌ مِنْ مَجَارَاهِ الشَّعْرِ، وَمَجَارَاهِ الْأَدْبَارِ ٥

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الجزء الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

عفوك اللهم^(١)

[٢ ب] الحمد لله الذي جعل البادى آميراً ، وَقَدَّرَ لِلْمُرَاجِعِ أَنْ يَكُونَ
مأموراً ، وَمَرَجَّ مِنْهُمَا بَخْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ، ﴿يَنْهَمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن : ٢٠]
يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْثُ مَنْظُوماً وَمَنْثُوراً .

نَحْمَدُهُ^(٢) عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي تُرَاجِعُ مَنْ شَكَرَ ، وَتَعَاهِدُ مَنْ غَفَلَ عَنْ حَمْدِهَا ،
وَتَزِيدُ مَنْ أَدَّى الْوَاجِبَ وَادَّكَرَ^(٣) ، وَتَأْتِي إِلَى مُسْتَحِقِّهَا تَارَةً بِمَعْنَى مُتَقَدِّمٍ ،
وَتَارَةً بِمَعْنَى مُبْتَكِرٍ .

ونشهد^(٤) أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ^(٥) ، شَهَادَةً جُبِلَتْ عَلَيْهَا
الْجِبِلَّةُ ، وَأَنْسَتْ بِالْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ الْهَادِيَةِ ، وَاسْتَوْخَشَتْ مِنَ الْبِدْعِ الْعَلِيلَةِ
الْمُضِلَّةِ ، وَثَبَّتَتْ دَعَائِمُ أُدْلَتِهَا لَمَّا غَدَتْ شُبَّةُ الْبَاطِلِ مُضْمَحِلَّةً .

ونشهد أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَفْضَلُ مَنْ أَجَابَ وَأَجَادَ ، وَأَعَانَ
عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ وَأَعَادَ ، وَأَبَانَ فَضْلَ هَذِهِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، فَأَبَانَ سِوَاهَا وَأَبَادَ ؛
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ خَلَصُوا مِنَ التَّفَاقِقِ فَأَخْلَصُوا ، وَسَابَقُوا

(١) من س .

(٢) في م : أحمده .

(٣) الكلمة ساقطة من أ ، م . وفي ب : وابكر . والمثبت من س .

(٤) في م : وأشهد .

(٥) لا شريك له . ساقطة من م .

إلى أتباعه فما تصبروا ولا ترهبوا ، وصدقوا في محبته وبالغوا ، فما تحرصوا ولا ترخصوا ؛ صلاة يتضوع نشرها عطراً ، ويتنوع بشرها دُرّاً ، ما تواصل الأحاب وتواصل الأصحاب ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .
وبعد :

فقد كنت قديماً جمعت كتابي الذي سَمَّته « بالمُجَاراة والمُجَازاة »^(١) وأودعته جُملةً من مُجاراة الشعراء ومُجازاة الأدباء ، وليس لي فيه بعد المُقدِّمة غير التفرُّد بالجمع ، ولا لي في قوافيه حظٌّ في جرٍّ ولا نصبٍ ولا رفعٍ ؛ وقد أحبت الآن أن أجمع ما دار بيني وبين فضلاء عصري ، والأئمة الذين يجب أن تكتب محاسنهم بالذهب المصري ، ممَّا بدأت^(٢) فيه وراجعت ، وقلدت فيه وتابعت ، ليكون ذلك في هذه الأوراق مجموعاً ، ويبيت طائرته في غصون الغصون منها مسموعاً .

على أنني لم أعتن قديماً بمثل هذا ، وأهملت من ضبطه شيئاً كثيراً إهمالاً آذى^(٣) ؛ فإنني ضيَّعتُ منه في زمن الصِّبا جانباً وافراً ، وكنت لمثل هذا النوع لا أريه من الاختراز وجهاً سافراً ، فلما اضطررت إلى جمعه ، وطمئت نفسي إلى سقيا غيته وهمعه ، أخذت ألتقطه من كلُّ بقعة ، وأجمعه - كما في قول العوام - من كلِّ زوقٍ رُقعةً ، فكم أصابتنني في هذا السَّوم سامةً ، وكم لزمّتنني في بعض المواضع بعضُ غرامةٍ^(٤) .

(١) في تاريخ بروكلمن ١٢١/٦ : المنقّى من المجازاة والمجازاة ، منه نسخة خطية في مكتبة طوب قوسراي بإستانبول تحت رقم ٢٦١٧ .

(٢) في م : يُدث .

(٣) في ب ، س : وربّ إهمال آذى .

(٤) في م : من غرامة .

وقد^(١) تركتُ في بعض البدآت والمراجعات بياضاً ، وغادرتُ منها مَناهلَ
 لم أرَدها وحياضاً ، رجاءً أن تُظفرني يدُ التَّطَلُّبِ بما يسُدُّ الحَلَّةَ ، ويشفي
 العِلَّةَ ، وينفي العُلَّةَ ، [١٣] فمتى وجدتُ جُدتُ ، وثبتتُ إليه الطُّلِيَّةَ^(٢)
 وعُدْتُ^(٣) : [من الكامل]

وَعَلَيَّ أَنْ أَقْضِيَ صَلَاتِي بَعْدَمَا فَاتَتْ إِذَا لَمْ أَقْضِهَا فِي وَقْتِهَا
 وَلِيَعْذِرَ الْوَاقِفُ عَلَى مَا هُوَ فِيهِ مُنْحَطُّ الْعَمَلِ ، غَيْرُ رَاقٍ إِلَى دَرَجَةِ الْكَمَالِ
 بَذْرُهُ ، وَلَمْ تُشْرِقْ شَمْسُهُ فِي الْحَمَلِ ؛ فَإِنَّ فِيهِ أَشْيَاءَ لَمْ تُهَذِّبْهَا الرَّوِيَّةُ وَأَعْجَلَهَا
 الْأَزْجَالُ ، وَأَلْقَاهَا الْفِكْرُ مِنْ رَأْسِ الْقَلَمِ ، فَجَاءَتْ فِيهِ بُنْيَاتُ الطَّرِيقِ ، لَعْدَمِ
 الْوُصُولِ إِلَى رَبَّاتِ الْخُذُورِ وَالْحِجَالِ^(٤) : [من الطويل]

وَلَيْسَ يُعَابُ الْمَرْءُ فِي يَوْمٍ جُبْنِهِ إِذَا عُرِفَتْ مِنْهُ الشَّجَاعَةُ بِالْأَمْسِ
 وَقَدْ رَبَّنَتْهُ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ ، فَأَذْكَرُ فِي الْحَرْفِ اسْمَ مَنْ كَتَبَ إِلَيَّ
 وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ ، وَجَلَا أَبْكَارُهُ الْغُرَّ عَلَيَّ وَجَلَوْتُ عَلَيْهِ ، وَبِاللَّهِ الْاسْتِعَانَةُ ، وَعَلَيْهِ
 الْاِتِّكَالُ فِي إِبْلَاجِ النَّفْسِ عَذْرَهَا وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ؛ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، وَلَا وَلِيَّ سِوَاهُ
 سُبْحَانَهُ .

* * *

(١) في م : وكم تركت .

(٢) الطُّلِيَّةُ : العُنُقُ .

(٣) البيت لأبي العلاء المعري ، في شروح سقط الزند ١٠٣٢/٣ .

(٤) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ٥٢ . أو لعمر بن معدى كرب في ديوانه ١٢٩ . أو لعبد الله بن
 عنقاء الهُجيمي في الأشباه والنظائر للخالدين ٣٠٣/٢ . وروايته في س : . . . في الأمس .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أَسْلَمَ اللهُ الْفَرُوسَ
حَرْفُ الْهَمْزَةِ

١ * إبراهيم بن أحمد بن محمد^(١) :

القاضي أمين الدين ابن الشيخ الإمام شهاب الدين ابن الشيخ شمس الدين
ابن غانم .

أَحَدُ كُتَّابِ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ .

● كَتَبْتُ أَنَا جَوَابَهُ مِنْ رَحْبَةِ مَالِكِ بْنِ طُوقٍ^(٢) ، فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ^(٣) :

[من الطويل]

<p>وَتَاجُ عُلَا أَعْدَدْتُهُ لِحَبِيبِي إِلَى أَنْ تُقَرَّ الْحَادِثَاتُ عُيُونِي أُكَابِدُهُ مِنْ لَوْعَةٍ وَحَنِينِ وَلَا الْقَلْبُ إِذْ عَايَنْتُهُ بِحَزِينِ بِسُحْرِ مَعَانٍ مِنْ لَوَاحِظٍ عَيْنِ</p>	<p>كِتَابُكَ نُورٌ صُنِّتُهُ لِجُفُونِي أَتَانِي فَلَا وَاللَّهِ مَا اخْتَجَّتْ بَعْدَهَا وَنَفْسٌ مِنْ ضَيْقٍ بِرَحْبَةِ مَالِكِ فَمَا الظَّرْفُ إِذْ أَبْصَرْتَهُ بِمُسْهَدِ تُغَارِلُنِي أَلْفَاظُهُ فِي سَطُورِهِ</p>
--	---

(١) في أ ، م : أحمد بن أحمد بن محمد . . . وفي ب : أحمد بن محمد . . . ! . والمثبت من
س . وهو إبراهيم بن أحمد بن محمد بن سليمان بن غانم ، المقدسي الأصل ، الدمشقي ؛ ولد
بدمشق سنة ٦٩٩ واشتغل ومهر في الأدب ، وكتب في ديوان الإنشاء ، وكان صاحب دُعابة ومجانة
ونوادر وتواضع ؛ مات في جمادى الآخرة سنة ٧٦١ هـ .

ترجمته في : الدرر الكامنة ١٣/١ - ١٤ وأعيان العصر ٥٦/١ .

(٢) رحية مالك بن طوق التَغْلِيّ : مدينة بناها المذكور بين الرِّقَّة وبغداد ، على شاطئ الفرات ، أسفل
من قرقيسياء . (معجم البلدان ٣/٣٤) .

قلت : وأطلالها بحذاء مدينة الميادين ، وهي قرية من مدينة دير الزور في الجمهورية العربية
السورية .

(٣) القصيدة في أعيان العصر ٦٠/١ .

وَأَنْظَرُ فِي مَثْوَرِهِ مُتَزَهًا فَأَشْهَدُ سَجَعَ الْوُزْقِ فَوْقَ غَضُونِ
 غَدَوْتُ أَمِينَ الدِّينِ بِالْفَضْلِ بَادِئًا وَفَزْتُ بِسَبْقٍ فِي الْعَلَاءِ مُبِينِ
 بَعَثْتُ مِثَالًا مَا ظَفَرْتُ بِمِثْلِهِ وَحَسْبُكَ مِنْ حُسْنِ بَغِيرِ قَرِينِ
 فَمَا كُلُّ حُسْنٍ مِثْلُهُ بِمُكَمَّلِ وَلَا كُلُّ دُرٍّ مِثْلُهُ بِثَمِينِ
 بِضَائِعُهُ تَجَلُّو عَلَيَّ مَحَاسِنًا وَلَسْتُ عَلَى هَذَا لَهَا بِزُنُونِ
 لِأَنَّ الَّذِي وَشَى مَطَارِفَ حُسْنِهَا فَتَى حَازَ أَشْتَاتَ الْفَضَائِلِ دُونِي
 أَضَعْتُ أَنَا فَضْلِي وَأَصْبَحَ حَافِظًا وَكَيْفَ يَضِيعُ الْفَضْلُ عِنْدَ أَمِينِ

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَى الْقَاضِي نَاصِرِ الدِّينِ ^(١) ، صَاحِبِ ذِيوَانَ الْإِنْشَاءِ

الشَّرِيفِ ، وَنَحْنُ بِمَرْجِ الْغُسُولَةِ ^(٢) ، وَقَدْ زَادَتْ الْأَمْطَارُ وَالرِّيَّاحُ : [مِن الطَّوِيلِ]

وَلَيْلَةَ بِنْتِ الرِّيَّاحِ عَوَاصِفٌ بِوَيْلٍ كَنْبَلٍ لِلْخِيَامِ يُخَرِّقُ
 فَقُلْتُ لِصَحْبِي : دُونَكُمْ وَسَفِينَةٌ وَإِلَّا بَلَا شِكٍّ مِنَ الْمَاءِ نَغْرِقُ
 فَقَالُوا : يُنَجِّينَا إِلَهُ بَسْعَدٍ مَنْ لَنَا نَاصِرٌ مِنْ كُلِّ خَطْبٍ يُورِّقُ

● فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمُشَارُّ إِلَيْهِ ^(٣) : [مِن الطَّوِيلِ]

لَئِنْ أَرْسَلَ اللَّهُ الرِّيَّاحَ فَإِنَّهَا مُبَشِّرَةٌ وَالْقَوْلُ فِيهَا مُصَدِّقُ
 وَلَيْسَ - مَعَاذَ اللَّهِ - إِزْسَالُهَا لِمَا يُخَافُ وَلُطْفُ اللَّهِ بِالْخَلْقِ مُخَدِّقُ ^(٤)
 وَحِكْمَتُهَا سَوْقُ السَّحَابِ إِلَى رَبِّهَا لِيَحْيِيَ بِهَا مَيِّتٌ وَيُظْهَرَ رَوْنُقُ ^(٥)

(١) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ . سَتَاتِي تَرْجَمْتُهُ بِرَقْمِ ٩٤ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ .

(٢) الْغُسُولَةُ : قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى دِمَشْقَ . (مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٢٠٤/٤) .

قُلْتُ : وَلَا تَزَالُ تَحْمِلُ الْأَسْمَ ذَاتَهُ ، وَتَقَعُ عَلَى طَرِيقِ مَطَارِ دِمَشْقِ الدَّوْلِيِّ . وَتَلْفِظُ الْآنَ بِتَشْدِيدِ
 السُّنَنِ الْمَضْمُونَةِ .

(٣) الْأَبْيَاتُ الْأَرْبَعَةُ الْأَخِيرَةُ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ ٥٨/١ .

(٤) فِي م : . . . إِزْسَالُهَا لَهَا × .

(٥) فِي م : وَحِكْمَتُهُ . . . وَفِي س : . . . إِلَى دَنَا × .

وقد ظَهَرَتْ آثارُ صُنْعِ إِلَهِنَا وَأَصْبَحَ نَوُورُ الرُّوضِ وَهُوَ مُحَدِّقُ
فَلَسْتُ تَرَى زَهَرَ الشَّقِيقِ مُبَكِّراً يَقْطُرِ النَّدى إِلَّا كُؤُوساً تَدْفِقُ
وَأَغْصَانُ أَشْجَارِ الرِّياضِ عَرَائِسُ تُزَفُّ لِيَجْلُوها الغَدِيرُ المُرَوِّقُ^(١)
وَكُلُّ مِنَ الطَّيْرِ المُغَرَّدِ ساجِعُ يُرْجِعُ أَلْحاناً عَلَيْهِنَ رُؤُنُ
وَكُلُّ بِشْكَرِ اللَّهِ يَنْطِقُ صَادِحاً [٣ب] وَمَنْ عَجَبِ خُزْسٍ تَقُومُ فَتَنْطِقُ
أَيَا مَنْ غدا يَسْتَوْعِبُ الوَقْتَ مَدْحُهُ لِنَقْصِ فَعَالٍ وَهُوَ قَوْلُ مُلْفَقُ
إِذَا ما شَكَرْتَ اللَّهَ زادَكَ رِفْعَةً فَشُكْرُكَ إِيَّاهُ شِعَارٌ مُوَفَّقُ
نُسُودُ أَوْرَاقاً وَنَكْتُبُ مَآئِماً وَيَظْهَرُ مِنْكَ القَوْلُ وَهُوَ مُزَوَّقُ
وَنَظْمُكَ عِنْدِي جَوْهَرٌ وَنِظامُهُ بَلِيغٌ وَهَذَا النِّظْمُ بِالصِّدْقِ أَلَيَقُ

فتأذى القاضي أمين الدين المشار إليه ، وقال : قد ثبت عن نظم الشعر ؛

فكتب أنا إليه ارتجالاً^(٢) : [من السريع]

تَابَ أَمِينُ الدِّينِ مِنْ نَظْمِهِ وَخَلَصَ الْأَقْوَامَ مِنْ دَمِّهِ
وَقَالَ : لَا عُذْتُ إِلَى مِثْلِهَا فَقُلْتُ : لَا تَهْرُبَ مِنْ سَهْمِهِ^(٣)
فَقَالَ لِي : وَاللَّهِ لَوْ أَنَّهُ مِنْكَ لَمَا مِلْتُ إِلَى شَمِّهِ^(٤)
فَقَدْ كَفَى ما نِلْتُهُ مِنْ أَدَى وَمَا التَّقَى قَلْبِي مِنْ هَمِّهِ

● وَكَتَبَ إِلَيْهِ الْقَاضِي ناصِرُ الدِّينِ المِشارُ إِلَيْهِ^(٥) : [من السريع]

-
- (١) في م : × المصنف .
(٢) الأبيات في أعيان العصر ٥٨/١ .
(٣) قوله : لا تهرب ، أصلها : لا تهربن ، فحذفت النون وبقيت فتحة الباء دليلاً عليها . وفي هامش
س : لا تَسْتَخَفِ . قلت : وهي رواية جيدة .
(٤) روايته في ب :
فقال لي : لو أنه شَكَرَ (؟) وَاللَّهِ ما مِلْتُ إِلَى شَمِّهِ
(٥) عدا الثالث والرابع ، في أعيان العصر ٥٨/١ - ٥٩ .

وَأَحْسَنَ التَّوْبَةَ مِنْ جُزْمِهِ
وَقَوْلُهُ دَلَّ عَلَى حَزْمِهِ
عَنْ ذَنْبِهِ الْعَزَمَ عَلَى ذَمِّهِ
وَهُوَ أَمِينُ الدِّينِ فِي قَوْمِهِ
مِنْهُ وَلَاخَ الزَّيْفُ فِي نَظْمِهِ
فِي مَنَعِهِ ، وَالْقَوْلُ فِي ذَمِّهِ

إِنْ كَانَ قَدْ تَابَ بِلَا مِزْيَةٍ
وَقَدَّمَ الْإِخْلَاصَ فِي فِعْلِهِ
وَنَحْنُ قَدْ أَمْسَكَ إِفْلَاعُهُ
لَأَنَّهُ سَيِّدُ إِخْوَانِهِ
وإنْ أَعَادَ الْقَوْلَ فِي مَا بَدَأَ
فَلِإِنِّي مُسْتَأْنِفٌ هِمَّةً

● فكتبْتُ أَنَا أَيضاً^(١) : [من السريع]

أَغْلَقَ لِأَدَابِ أَبْوَابِهَا
وَنَثَرَهُ تَهْتَزُّ إِعْجَابِهَا
دَارَ لَهَا بِالْكَغَبِ دُولَابِهَا
حَتَّى رَأَيْنَا رَأْسَهُ شَابِهَا
حَاوَلَهُ يَسْبِقُ نَشَابِهَا
يَزْعُمُ أَعْطَيْنَاهُ رَكَابِهَا^(٢)

إِنَّ أَمِينَ الدِّينِ مُذْ تَابَا
وَكَانَتْ الْأَعْطَافُ مِنْ نَظْمِهِ
وَكَيْفَ يَنْسَى لَذَّةَ طَالَمَا
مَا زَالَ مُذْ شَبَّ عَلَى نَظْمِهِ
وَذَهْنُهُ فِي كُلِّ مَعْنَى إِذَا
فَإِنْ يَكُنْ أَنْسَى غَشِيمًا كَمَا

● وكتبَ هو إليَّ ، وقد تَخَلَّفْتُ عَنْ التَّوَجُّهِ إِلَى الْمَرْجِ صُحْبَةَ الْجَمَاعَةِ

المُوقَّعِينَ^(٣) : [من الطويل]

إِذَا لَمْ يَرِ إِبْرَاهِيمُ وَجْهَ خَلِيلِهِ
وَلَوْ زَارَهُ جَالُ النَّدَى بِنَجِيلِهِ

خَلِيلِي مَا الْمَرْجُ الْخَصِيبُ بِطَيِّبِ
وَمَا هُوَ إِلَّا مَارِجٌ بَعْدَ بُغْدِهِ

● وَكُنْتُ قَدْ كَتَبْتُ أَبْيَانًا ، لَمَّا حَصَلَ (لِي) يَرْقَانُ ، أَعْتَذَرُ فِيهَا عَنْ عَدَمِ

التَّوَجُّهِ إِلَى الْمَرْجِ ، جَاءَ مِنْهَا فِي الْجَوَابِ : [من الخفيف]

(١) الأبيات في أعيان العصر ٥٩/١ .

(٢) وسقط ما بعد ذلك من س .

(٣) البيتان في أعيان العصر ٥٩/١ . وهما ساقطان من م .

يا ابنَ سِينَا الزَّمانِ مِنْكَ شِفائِي
جاءَ لِلْعَبْدِ مِنْكَ قَانُونُ نَظْمِ
ما تَرِي عِلَّتِي التي قد عَرَّتْنِي
فَصَفَّارِي هَذَا وَأَبْيَضُ شَيْبِي
تَمَّ عِنْدِي تَشْبِيهُ شَيْبِي بِتَمَّ

● وكتبْتُ أيضاً : [من السريع]

صَفَّرَنِي ذا الِيرْقَانِ الذي
يَنْفِرُ مَنْ يُبْصِرُنِي مُقْبِلاً

● وكتبْتُ أيضاً : [من الطويل]

تَصَدَّقْ خَلَّاقِي عَلَيَّ بِصِحَّةٍ
وَمَرَّ عَلَيَّ غَيْرِي سَقَامٌ وَصِحَّةٌ

● فكتبَ هو إليَّ^(٤) : [من الكامل]

حاشاك من أَلَمِ أَلَمٍ بِمُهْجَةٍ
وَكُفِّيتَ كُلَّ مُلَمَّةٍ وَمَخَافَةٍ
مُتِمَّتَعاً مُتَنَعِّماً فِي جَلْقِ الْـ
وَتَرَى بِهَا أَتْرَابَهَا وَكَواعِباً
يا أَوْحِداً فِي جِلِّهِ بِجَمِيلِهِ

وَوَلائِي المَشْهُورُ فَيْكَ نَجَاتِي
فِي إِسْأارَاتِهِ حُلَى النِّعَمَاتِ
وَبَرَّتْنِي بَرِّي المُدَى القاطِعَاتِ^(١)
نَزَجِسُ لِلنُّفُوسِ غَيْرُ مُوَاتِي^(٢)
قد غَدَا ناظِراً بَعَيْنِ البُزاةِ^(٣)

بِمِثْلِهِ الأَسْقَامُ لَمْ تَظْهَرِ
حَتَّى كَأَنِّي مِنْ بَنِي الأَصْفَرِ

تَسُرُّ وَأَغْفَانِي زَمَاناً وَعَافَانِي
وَلَمْ يُرْقَانِ مِثْلَ ذا يَرْقَانِي

قد مَسَّها أَلَمٌ من الِيرْقَانِ
[٤] وَلَبِستُ ثَوْبَ سَلَامَةٍ وَأَمَانِ^(٥)
فَفِحاءِ ذَاتِ جَنَى وذَاتِ جِنَانِ
بِخُدودِهِنَّ شَقَائِقُ النُّعْمَانِ
كَمْ فِي فُؤُونِ فَنَّاكَ مِنْ أَفْئَانِ

(١) في ب : . . . التي غَيَّرْتَنِي × .

(٢) سقط عجز هذا البيت وصدر الذي يليه من ب ، وتلفق الموجود ممَّا بقي منهما .

(٣) التَّمَّ : طائرٌ نحو الإوزَ ، في مقارنه طولٌ ؛ عنقه أطول من عنق الإوزَ . (حياة الحيوان ١/٥٣٦) .

(٤) الأبيات في أعيان العصر : ٥٩/١ - ٦٠ .

(٥) في م : . . . ومخوفة × .

مَنْ ذَا يُضَارِعُ بَحْرَ شِعْرِكَ فِي الْوَرَى يَا خَبَرَ عِلْمٍ مَالَهُ مِنْ ثَانٍ

٢ * إبراهيم بن محمود بن سلمان بن فهد^(١) :

القاضي الكبيرُ الرَّئيسُ جمال الدين ، أبو إسحاق ، بن العلامة شيخنا
الإمام الكاتب الأديب شهاب الدين بن الإمام زين الدين الحلبي ، كاتب السرِّ
الشريف بحلب المحروسة .

● كَتَبَ إِلَيَّ وَهُوَ بِالْقَاهِرَةِ ، وَأَنَا بِهَا ، فِي سَنَةِ ٧٤٥ مُلَغِزاً فِي اسْمِ

غُلْبِكَ^(٢) : [من السريع]

إِنَّ اسْمَ مَنْ أَهْوَاهُ تَضَحِيفُهُ . وَصَفَ لِقَلْبِ الْمُذْنَبِ الْعَانِي^(٣)

وَشَطْرُهُ مِنْ قَبْلِ تَضَحِيفِهِ يُقَادِفُهُ الْمُذْنَبُ الْجَانِي^(٤)

وَأِنْ أَزَلْتَ الرُّبْعَ مِنْهُ غَدَا مُصَحِّفاً لِي مِنْهُ ثُلْثَانٍ^(٥)

وَهُوَ إِذَا صَحَّفْتَهُ ثَانِيّاً اسْمٌ لِمَحْبُوبٍ لَنَا ثَانٍ^(٦)

● فَكَتَبَ الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ^(٧) : [من السريع]

لَغَزُكَ يَا مَنْ رُوِّتِي وَجْهَهُ تَكْحَلُ بِالْأَنْوَارِ أَجْفَانِي

(١) ترجمته في : أعيان العصر ١/١٢٧ والوافي بالوفيات ٦/١٤٣ وذيل العبر للحسيني ٣٣٠ وتذكرة
النبية ٣/٢٢٦ والمصطفى من درة الأسلاك ٣٢٠ ووفيات ابن رافع ٢/٣٥٦ وتعريف ذوي العلا ١٢٠
وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/١٤٩ ودرر العقود الفريدة ٦/١٢٣ والدرر الكامنة ١/٧١ والمنهل
الصابي ١/١٧٢ والدليل الشافي ١/٢٨ والتجويد الزاهرة ١٠/٣٣٣ والدليل التام ١/١٦٩ .
- مولده سنة ٦٧٦ هـ . ووفاته سنة ٧٦٠ هـ .

(٢) الأبيات في أعيان العصر ، والوافي ، والأول والثاني في الدرر الكامنة .

(٣) يريد : عليل .

(٤) يريد : غل .

(٥) يريد : علي - ثلثاه - لي .

(٦) يريد : عليك .

(٧) الأبيات في أعيان العصر ، والوافي .

هَدَى ضَمِيرِي لِحِمَى حَلِّهِ وَأَيَّدَ الْقَوْلَ بِزُهَانِ
 إِنْ زَالَ مِنْهُ الرُّبْعُ مَعَ قَلْبِهِ فَإِنَّهُ لِلْمُذْنِبِ الْجَانِي (١)
 « عَلَيْكَ » تَصْحِيفُ الَّذِي رُمَتْهُ فَالْقَلْبُ فِي تَصْحِيفِهِ الثَّانِي (٢)

● وَأَنْشَدْتُ جَمَاعَةَ الدِّيَّانِ - كُتَّابَ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِمَصْرٍ - لُغْزاً كُنْتُ

نَظَّمْتُهُ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ فِي مِثْقَابٍ ، وَهُوَ (٣) : [من السريع]

مَا غَائِصٌ فِي يَابِسٍ كُلَّمَا جَلَدَتْهُ سَوْطاً أَجَادَ الْعَمَلِ
 ذُو مُقْلَةٍ غَاصَ بِهَا رَأْسُهُ وَالرَّأْسُ فِي الْعَادَةِ مَأْوَى الْمُقْلِ

● فَكَتَبَ إِلَيَّ الْقَاضِي جَمَالُ الدِّينِ الْجَوَابَ : [من السريع]

« مِثْقَاتُ » مَا أَلْغَزْتَ لِي فِي اسْمِهِ نَمَّ بِتَصْحِيفِي لَهُ وَانْتَمَلَ
 يَدُورُ بِالْقَوْسِ مَدَى سَيْرِهِ بَدَأَ وَعَوْداً لِيَتِمَّ الْعَمَلُ

● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ أَهْنَيْتُهُ بِعَوْدِهِ إِلَى كِتَابَةِ السَّرِّ الشَّرِيفِ بِحَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ فِي

سَنَةِ ٧٥٢ (٤) : [من الطويل]

بِعَوْدَتِكَ الْغَرَاءَ قَرَرْتُ نَوَاطِرُ وَأَمْسَتْ وَجُوهُ الْبِشْرِ وَهِيَ نَوَاضِرُ
 فَرَوْضُ الْأَمَانِي ظِلُّهُ بَكَ وَارِفُ وَخَوْضُ التَّهَانِي طَلُّهُ مِنْكَ وَافِرُ (٥)
 لِأَنْبَائِكَ الْحُسْنَى أَصَخْنَا مَسَامِعاً فَيَا طَيْبَ مَا أُمَلَّتْ عَلَيْنَا الْبَشَائِرُ
 وَفَيْنَا بِنَذْرٍ أَوْجَبْتُهُ عَلَى الْوَرَى صَنَائِعُكَ الْآلَتِي حَوَتْهَا الْمَآثِرُ
 وَقُمْنَا بِمَا أَلْزَمْتَنَا مِنْ مَحَامِدٍ إِذَا تُلِيَتْ تَسْعَى إِلَيْهَا الْمَنَابِرُ

(١) يريد : كبل .

(٢) تصحيفه الثاني : عليل .

(٣) البيتان وجوابهما في الوافي . وانظر إجابة أحمد بن علي السبكي عنهما في الوافي ٢٥١/٧ .

(٤) الأول والثاني والسادس والسابع من مقطوعة في جناس ٩٣ [ضمن مجلة الذخائر ع ٤] .

(٥) في أ ، ب ، س : ظله منك وافر . والمثبت من م .

لَكَ اللَّهُ مَوْلَى جُودُهُ مَلَأَ الْمَلَا فَرَوْضُ النَّدَى بِالْفَضْلِ زَاهٍ وَزَاهِرُ
رَوَى خَبَرَ الْإِحْسَانِ عَنْكَ أُولُو التُّهَى وَحَقَّقَهُ عِنْدَ الْأَنَامِ التَّوَاتُرُ
فَلَا عَدَمَ الْإِسْلَامُ شَخْصَكَ كُلَّمَا تَرَنَّحَ غُصْنٌ فَوْقَهُ نَاحَ طَائِرُ
يُقَبِّلُ الْأَرْضَ ، وَيُهْنِي نَفْسَهُ وَالْأَنَامَ وَالْأَيَّامَ ، وَمَنْ خَطَّ الطُّرُوسَ وَوَشَّعَ
بُرُودَهَا بِالْأَقْلَامِ ، وَمَنْ كَتَبَ الْإِنْشَاءَ فَأَخَى مِنْ كَلَامِهِ بَيْنَ الْجَوْهَرِ فِي
النِّظَامِ^(١) ، وَمَنْ نَظَّمَ قَرِيضَهُ فَأَخْمَلَ فِي الْخِمَائِلِ سَاجِعَاتِ الْحَمَامِ ؛ لِأَنَّ مَوْلَانَا
- بَسَطَ اللَّهُ ظِلَّهُ - بَرَكَهَ هَذَا الْوُجُودَ ، وَمِنْ هَبَاتِ نَسِيمِهِ يَنْشَقُّ النَّاسُ عَرَفَ الْهَبَاتِ
وَالْجُودَ .

وَيُنْهِي مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْإِبْتِهَاجِ [ب] وَالشُّرُورِ ، وَالْهِنَاءِ الَّذِي التَّحَفَ مِنْهُ
بِالتَّحَفِ وَحِبَاهُ الْجُبُورُ ؛ فَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُ أَيَّامَ مَوْلَانَا الَّتِي هِيَ أَمَانٌ مِنَ الْحَوَادِثِ
وَالْغَيْرِ ، وَجَمَالَ الْكُتُبِ وَالسِّيَرِ ؛ بِمَنْهٍ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فكتب هو الجواب إليَّ عن ذلك : [من الطويل]

بِفَضْلِ صَلَاحِ الدِّينِ سُرَّتْ سَرَائِرُ وَوَافَتْ إِلَيْهَا بِالتَّهَانِي الْبَشَائِرُ
وَبِالسَّبْقِ مِنْهُ حَازَ كُلَّ فَضِيلَةٍ فِإِحْسَانِهِ وَالْفَضْلُ وَافٍ وَوَافِرُ
أَتَانِي كِتَابٌ مِنْهُ أَبْهَجَ نَاطِرِي حَكَى الرَّوْضَ رَوَاهُ مِنَ الشُّحْبِ مَا طُرِ
حَوَى مِنْ بَدِيعِ النَّظْمِ عَقْدَ بِلَاغَةٍ لَهُ جَوْهَرٌ مِنْ طَرْسِهِ مُتَنَائِرُ^(٢)
وَكَمْ فِيهِ مِنْ مَعْنَى يَرُوقُ بَدِيعُهُ فَيَا حُسْنَ مَا أَمَلْتُ عَلَيْهِ الْمَحَابِرُ
فَأَعْجَزَنِي عَنْ وَصْفِ مَا قَدْ حَوَاهُ مِنْ بَيَانٍ فَوْصِفِي عِنْدَ ذَلِكَ قَاصِرُ
وَلَمْ أَسْتَطِعْ رَدَّ الْجَوَابِ لِأَنَّنِي أَحَاوِلُ أَنْ تَدْنُو إِلَيَّ الزَّوَاهِرُ

(١) في م : بين الجواهر والنظام .

(٢) في س : × . . . في طرسه . . .

فَسَامِحٌ بِفَضْلِ مَنْكَ عَبْدًا مُقْصَرًا فَإِنَّكَ بِالْإِغْضَاءِ لِلْعَيْبِ سَائِرُ
يُقَبَّلُ الْأَرْضَ ، لَا زَالَتْ مَطَالِعُهَا مَشَارِقَ الْأَنْوَارِ ، وَمَرَابُعُهَا مَرَاتِعَ التَّهَانِي
وَمَوَاطِنَ الْمَسَارِّ ، وَيُنْهِي وَرُودَ الْمُشْرِفِ الْعَالِي ، الْمُشْتَمِلِ مِنْ جَوَاهِرِ الْبَدِيعِ
عَلَى مَا يُخْجِلُ زُهْرَ اللَّالِي ؛ فَقَبَّلَهُ الْمَمْلُوكُ حِينَ وَاثَاهُ ، وَأَجَلَ مَحَلَّهُ حِينَ
تَلَقَّاهُ ، وَكَلَّفَ بِمَضْمُونِهِ فَكَلَّمَا انْتَهَى إِلَى مُنْتَهَاهُ ، أَعَادَ لَثَمَهُ وَابْتَدَأَهُ ؛ وَعَلِمَ
مَا تَفَضَّلَ بِهِ مَوْلَانَا مِنْ تَهْنِئَةِ الْمَمْلُوكِ بِالْمَنْصِبِ الَّذِي كَانَ الْمَمْلُوكُ عَنْهُ بِفَضْلِ
اللَّهِ فِي غِنَى ، وَالرُّبُوبَةِ الَّتِي مَا أَرْدَادَ الْمَمْلُوكُ^(١) بِهَا إِلَّا التَّعَبَ وَالْعَنَاءَ ، وَتَحَقَّقَ
الْمَمْلُوكُ صَدَقَةً^(٢) مَوْلَانَا الَّتِي أَلْفَهَا قَدِيمًا وَأَنْفَاءً ، وَمَحَبَّتُهُ الَّتِي لَمْ يَزَلِ الْمَمْلُوكُ
عَلَى مِثْلِهَا مُقِيمًا وَمِثْلِهَا عَارِفًا .

وَعَلِمَ مَوْلَانَا الْكَرِيمُ مُحِيطٌ ، بِأَنَّ الْمَمْلُوكَ كَانَ قَدْ حُطَّ عَنْهُ وَاسْتَرَاحَ^(٣)
وَسَكَنَ ، وَأَغْلَقَ الدُّكَّانَ وَلَزِمَ الْوَطْنَ .

فَلَمَّا اتَّفَقَ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْمَمْلُوكِ مَا اتَّفَقَ مِنَ الْمَقَادِيرِ الَّتِي لَا مَحِيدَ عَنْهَا ،
وَالْأُمُورِ الَّتِي - إِنْ سَخِطَ أَوْ رَضِيَ - لَا بُدَّ مِنْهَا ، مَا أَمَكَّنَهُ إِلَّا التَّسْلِيمُ لِحُكْمِ اللَّهِ
وَأَمْرِهِ ، وَالرِّضَا بِمَا قَدَّرَهُ مِنْ حُلُولِ الْقَضَاءِ وَمُرِّهِ ؛ وَلَعَلَّ ذَلِكَ أَنْ لَا يَكُونَ لِشَرِّ
قَضَاءِ اللَّهِ ، بَلْ لِحَيْرِ قَدَرِهِ ، وَرِزْقِ يَسَرِّهِ ، وَأَجْرِ سَاقِهِ وَقَرَرِهِ .

وَالْمَمْلُوكُ يَرْجُو أَنْ تَكُونَ الْآخِرَةُ إِلَى خَيْرٍ ، فَقَدْ قَرَّبَتِ الْمُنْزِلَةَ وَحُثَّ إِلَيْهَا
السَّيْرُ ؛ وَقَدْ تَقَلَّدَ الْمَمْلُوكُ لِمَوْلَانَا هَذَا الْإِحْسَانَ ، وَهُوَ يَعْتَذِرُ مِنَ التَّقْصِيرِ عَنِ
الْقِيَامِ بِشُكْرِ هَذِهِ الْعَوَارِفِ الْإِحْسَانِ ؛ فَلَوْ كَانَ بَيْنَ يَدَيِ مَوْلَانَا لَا تَنْفَتَحَ لَهُ مِنَ
الْمَعَانِي كُلِّ بَابٍ ، وَاقْتَبَسَ مِنْ فَوَائِدِهِ وَفَرَائِدِهِ مَا يَنْظُمُهُ فِي سِلْكِ هَذَا

(١) فِي ب : وَجْهَ الْمَمْلُوكِ . وَفِي م : بِهَا الْمَمْلُوكُ .

(٢) فِي ب : صَدَاقَةُ مَوْلَانَا .

(٣) فِي م : وَرَاحَ .

الجواب ؛ وإنما بُعِثَهُ عن فضائل مَولانا ، أَوْجَبَ لَهُ الاعْتِرَافَ بِتَقْصِيرِهِ ،
والتَّعْوِضَ بِقَلِيلِ اللَّفْظِ عَنْ كَثِيرِهِ ، وما ثَمَّ غَيْرُ صَفْحِ مَولانا الجميل ، واللهُ
يُبْلِغُهُ مِنَ الْأَمَانِي نِهَايَةَ التَّأْمِيلِ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَلَمَّا أَبْطَأَ عَنِّي جَوَابُهُ هَذَا ، لَأَنَّ حَامِلَهُ أَخَّرَهُ عِنْدَهُ ، كَتَبْتُ أَنَا كِتَابًا إِلَيْهِ

فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَافْتَتَحْتُهُ بِقَوْلِ الْقَائِلِ ^(١) : [من البسيط]

أَتَمَّ سَعْدَكَ مَنْ لَقَّاكَ أَوْلَهُ وَلَا اسْتَرَدَّ حَيَاةً مِنْكَ مُعْطِيهَا

● فَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ : [من البسيط]

يَا مَالِكًا لَمْ تَزَلْ تَأْتِي عَوَارِفُهُ يُعِينُهَا كَرَمًا مِنْهُ وَيُبْدِيهَا
وَافِي مُشَرَّفِكَ الْعَالِي فَقَبْلَهُ عَبْدٌ لِأَنْعَمِكَ اللَّاتِي تُوَالِيهَا
لَا زِلْتَ تَرْقَى إِلَى الْعُلَيَاءِ مَنْزِلَةً [هـ] لَا يَسْتَطِيعُ مُدَانِ أَنْ يُدَانِيهَا
وَلَا بَرَحْتَ مَدَى الْأَيَّامِ تَرْفُلُ فِي مَلَابِسٍ مِنْكَ بِالتَّقْوَى تُحَلِّيهَا
يُقَبَّلُ الْأَرْضَ ، لَا زَالَتْ سَاحَاتُهَا تُقَبَّلُ وَتُخَدَّمُ ، وَأَوْصَافُ مَحَاسِنِهَا يُبْدَأُ
بِهَا الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَيُخْتَمُ ؛ وَيُنْهَى بَعْدَ دُعَائِهِ الَّذِي فَرَضَهُ عَلَيْهِ تَحْتَمُّ ، وَاعْتِدَادُهُ
بِمَنِّهِ الَّتِي كُلُّ ذِي جُودٍ مِنْ كَرَمِهَا يَتَعَلَّمُ ^(٢) .

٣ * إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ ^(٣) :

الشيخ يُرْهَانُ الْمُدِّينُ ، المعروفُ بِابْنِ غُلَامِ الثُّورِيِّ ^(٤) ، وَبِالْمِعْمَارِ ،

(١) البيت للمنتبي في ديوانه ٢٦٨/٤ .

(٢) كذا في أ ، ب ، س ، م . والرسالة ناقصة .

(٣) ترجمته في : أعيان العصر ١٤٦/١ والوافي بالوفيات ١٧٣/٦ وتعريف ذوي العلا ٦٦ وفوات

الوفيات ٥٠/١ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٥٥٧/١ والدرر الكامنة ٤٩/١ والمنهل الصافي ١٨٨/١

والدليل الشافي ٣٢/١ وحسن المحاضرة ٤٩٤/١ .

(٤) تصحَّف في تاريخ ابن قاضي شهبة إلى : ابن غلام الثوري ! .

وبالحَجَّارِ ، رحمه الله تعالى .

وفاته بالقاهرة سنة ٧٤٩ في طاعونٍ مصر .

● كَتَبَ إِلَيَّ وَقَدْ وَرَدَتْ الْقَاهِرَةُ فِي سَنَةِ ٧٤٥ فِي زَمَنِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدَ بْنَ قُلاوُونَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ أَجْمَعِينَ^(١) : [من السريخ]

وَافِي صَلاَحُ الدِّينِ مِصْرًا قِيَا نِعَمَ خَلِيلٍ حَلَّهَا بِالْفَلَاحِ^(٢)
فَلْيَهْنِهَا الْإِقْبَالُ إِذْ أَصْبَحَتْ بِالْمَلِكِ الصَّالِحِ دَارَ الصَّلاَحِ
● فَكَتَبْتُ الْجَوَابَ إِلَيْهِ^(٣) : [من السريخ]

خَلِيلٌ فِي الشَّامِ هِلَالٌ بَدَا وَبَذَرُ إِبْرَاهِيمَ فِي مِصْرٍ لَاحِ^(٤)
ذَا كَامِلٌ مِنْ حَيْثُ ذَا نَاقِصٌ وَذَاكَ بُرْهَانٌ وَهَذَا صَلاَحُ
٤ * إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَسْكَرٍ^(٥) :

الْأَدِيبُ الْفَاضِلُ ، الشَّيْخُ بُرْهَانُ الدِّينِ ، أَبُو إِسْحَاقَ ، ابْنُ الشَّيْخِ الْإِمَامِ
الْعَلَّامَةِ شَرْفِ الدِّينِ ، الْقَيْرَاطِيِّ الْمِصْرِيِّ .

(١) هما في أعيان العصر ، والوافي ، والمنهل الصافي .

(٢) في م : × . . . بالصَّلاَحِ ! .

(٣) هما في أعيان العصر .

(٤) في م : خليل بالشام . . . × .

(٥) ترجمته في : الذيل على العبر ٤٨٩/٢ والعقد الثمين ٢١٧/٢ ودرر العقود الفريدة ٧٢/١ وتاريخ

ابن قاضي شهبة ١٢/٣ وإنباء الغمر ٣١٢/١ والدرر الكامنة ٣١/١ والمنهل الصافي ٨٩/١ والدليل

الشافعي ١٨/١ والنجوم الزاهرة ١٩٦/١ وحسن المحاضرة ٤٩٤/١ وشذرات الذهب ٤٦٥/٨ .

وفي م : إبراهيم بن محمود بن عسكر ! ! .

- توفي بمكة سنة ٧٨١ هـ . ومولده سنة ٧٢٦ هـ .

- الترجمة ساقطة من س .

● لَمَّا تُوفِّي شَيْخُنَا شَيْخُ الْإِسْلَام قَاضِي الْقَضَاةِ ، تَقِيَّ الدِّينَ ، أَبُو الْحَسَنِ ، عَلِيَّ السُّبُكِّيَّ الشَّافِعِيَّ ، رِثَاهُ بِقَصِيدَةٍ نُوتِيَّةٍ^(١) ، فَجَهَّزَهَا وَلَدُهُ - الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ بِهِاءُ الدِّينِ ، أَبُو حَامِدٍ ، أَحْمَدُ - إِلَيَّ ، قَرِينَ مَا رُثِيَ بِهِ ، فَكَتَبْتُ الْجَوَابَ إِلَيْهِ ، وَقَلْتُ عِنْدَ ذِكْرِ الْقَصِيدَةِ : [وَأَمَّا نُوتِيَّةُ سَيِّدِنَا الشَّيْخِ بُرْهَانَ الدِّينِ الْقِيَرَاطِيِّ ،]^(٢) فَإِنَّ الْمَمْلُوكَ وَازَنَ بِقِنَاطِيرِهِ قِيَرَاطَهَا ، وَأَهْدَى مِنْهَا إِلَى الرُّؤُوسِ وَالْأَذَانِ تَيْجَانَهَا وَأَقْرَاطَهَا ؛ وَقَالَ : [مِنْ السَّرِيعِ]

وَزَنْتُ أَهْلَ النَّظْمِ فِي عَصْرِنَا مِنْ غَيْرِ إِجْحَافٍ وَإِسْقَاطٍ
فَأَهْلُ مِضْرَ عِنْدَ وَزْنِي لَهُمْ زَادُوا عَلَى الدُّنْيَا بِقِيَرَاطٍ
فَنُونُهَا يَسْبَحُ مِنْ فُنُونِهَا فِي يَمٍّ ، وَيَحْكِي لِمَنْ غَابَ عَنِ الْمَأْتَمِ مَا تَمَّ ، وَاللَّهُ
يُمْتَعُ الْأَدَابَ بِهَذِهِ الْفَوَائِدِ الْغَضَّةِ ، وَلَا يُؤَاخِذُهُ بِمَا صَنَعْتَ بِنَا بِنْتُ فِكْرِهِ ، فَإِنَّهَا
جَمَعَتِ الْأَحْزَانَ وَجَعَلَتِ الدُّمُوعَ مَرْفُضَةً .

● ثُمَّ إِنَّ جَوَابَ الشَّيْخِ بِهِاءِ الدِّينِ عَادَ مَعْطُوفاً عَلَى قَصِيدَةِ نَظْمِهَا الشَّيْخُ بُرْهَانُ الدِّينِ الْقِيَرَاطِيَّ : [مِنْ السَّرِيعِ]

يَا حَاكِمًا عُدَّلَ أَقْوَالُهُ فَلَمْ تُرْعَ يَوْمًا بِإِسْقَاطٍ
أَقْنَتَ لِشَّعْرِ عَمُوداً لَهُ بِأَرْضِ مِضْرَ أَيْ فُسْطَاطٍ
بَنَاتُ أَفْكَارِكَ فِيهِ غَدَتْ مَصُونَةً عَنْ شُبِّهِ الْوَاطِي
تَسْمُو قَوَافِيهِ فَيَخْطُطُهَا مِنْ فِكْرِكُمْ عَزْمَةً مُحْتَاطٍ
لَجَجَتْ فِي أَبْحَرِهِ سَابِحاً إِذْ وَقَفَ النَّاسُ عَلَى الشَّاطِي
حَلَّى لَنَا مِضْرَ وَقَدْ حَلَّهَا مِنْ دُرِّ النَّظْمِ بِأَسْمَاطٍ

(١) القصيدة في طبقات السُّبُكِيِّ ٣٣١/١٠ - ٣٣٣ .

(٢) ما بين معقوفين من ط . وفوق كلمة (فَإِنَّ) في الأصل إشارة استلحاق ، وليس في الهامش شيء ، فلعله نسي .

جَزَّازُهَا أَمَسَتْ تَقَاطِيفُهَا
مُنْذُ جَاءَهَا مِنْكَ الْقَرِيضُ الَّذِي
كَانَ الرَّيْبُ الْطَّلَقُ وَافَى لَهَا
لَوْ شَهِدَ الْوَرَّاقُ تَخْيِيرَهُ
أَوْ سَرَّحَ الْجَلِّيُّ فِي رَوْضِهِ
حَلْيً وَحَلَوًى كَمْ شَدَدْنَا لَهُ
مَقْبُولُ أَعْمَالِكَ فِيهِ رَمَى
طُفَّتْ وَطَافَ النَّاسُ بَيْتَ الْعُلَا
قَالَ الْعِدَى : أَفَرَطْتُ فِي مَدْحِهِ
إِنْ نَشَرَ الدَّرَّ لَنَا نَاطِظاً
أَوْ شُبَّهَتْ بِالْيَيْضِ أَقْلَامُهُ
أَصَابَ أَغْرَاضاً تَسَامَتْ فَلَا
[هـ ب] سَاءَ مِزَاجُ النَّاسِ أَوْ خِلْتُهُمْ
عَنْ شُعْلِ الْخَيْرَاتِ قَدْ أَصْبَحُوا
أَفْدَى مَرَاثِيكَ الَّتِي صُغَّتْهَا
قَالَتْ لَنَا السَّاعَةُ لَمَّا تَضَى :
مَضَى إِمَاماً لِلْوَرَى حُجَّةً
وَنَاطَ بِي حُزناً يَبَابُ الْأَسَى

تُدْعَى وَقَدْ بَارَتْ بِأَسْقَاطِ
يَخْشَى مُضَاهِيهِ سَطَا السَّاطِي
فَشُنَّفَتْ مِنْهُ بِأَقْرَاطِ
بَرَى لَهُ أَقْلَامَ خَطِّاطِ
طَرَفاً أَبَى تَقْرِيطَ أَمْشَاطِي
مَنَاطِقَ الشُّكْرِ بِأَوْسَاطِ
أَعْمَالِ أَقْوَامٍ بِإِخْبَاطِ
فَفَتَّهُمْ سَبَقاً بِأَشْوَاطِ
فَقُلْتُ : هَذَا فَوْقَ إِفْرَاطِي
قُلْنَا لَهُ : يَا خَيْرَ لَقَاطِ
فَغَيَّرُهَا يُدْعَى بِمِشْوَاطِ
تَدْنُو إِلَيْهَا خُطْوَةُ الْخَاطِي
قَدْ طُبِعُوا مِنْ شَرِّ أَخْلَاطِ
أَفْرَغَ مِنْ حَجَّامٍ سَابَاطِ^(١)
فِي عَالِمٍ حَبْرٍ بِأَفْسَاطِ^(٢)
مَضْرُوعٌ ذَا مِنْ بَعْضِ أَشْرَاطِي
وَفَارَ فِي الْخُلْدِ بِأَنْمَاطِ
فَالْيَوْمَ ذَاتِي ذَاتُ أَنْوَاطِ^(٣)

(١) حَجَّامٍ سَابَاطٍ: يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْفِرَاقِ، يُقَالُ: أَفْرَغَ مِنْ حَجَّامٍ سَابَاطٍ. (ثمار القلوب ٣٧٧/١).

(٢) فِي ب: X جَزَّ بِاسْقَاطٍ.

(٣) ذَاتُ أَنْوَاطٍ: شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ خَضِرَاءُ، كَانَتْ قَرِيشٌ وَمِنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ مِنَ الْعَرَبِ يَأْتُونَهَا كُلَّ سَنَةٍ، فَيَعْلَقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، وَيَذْبَحُونَ عِنْدَهَا، وَيَعْكِفُونَ عِنْدَهَا يَوْمًا. (ثمار القلوب ١/٤٦٠ و٢/١٠٠٥).

وعامنا في مضر من أجله
اغض صلاح الدين يا سيداً
فمضر قالت للشام إزجحي
جميع أجزاءي غدت دونه
ما للمثاقيل إذا وازنت
رضاك عما قلت يا سيدي
أزفصني مطربيه فرحة

عام ابن همام يديماط^(١)
منتخباً من خير أسباط
سيد للنجم خطاط
كيف أساويه يقيراط
دراً وتبراً غير أفساط
يُسخط ضدي أي إسخط
بين بني الدنيا بآطاطي

● فكتبُ أنا الجواب إليه عن ذلك : [من السريع]

غيداء ما احتاجت لمشاط
أو روضة فيحاء أم حلة
أم شعر من زادت قناطره
نعم وإلا ليس ذا دارجاً
فالحبة انصافت إلى أختها
مُحكمة الألفاظ من أجلها
لو دخلت سمع أبقراطها
تسعبت فيها مجار من الـ
يا خجلتي منها وقد بينت
وصح عندي أن كل الذي
وكنت من نظمي أرى أنني

أم دُر بخر ما له شاطي
من رقم تيس وديماط
فضلاً وقد سمي يقيراطي
في حكم إدراج وإسقاط
كانها من خرط خراط
قد سقطت حكمه سُقراط
جته وحلته بأقراط
آداب تحتاج لقيماط^(٢)
في النظم أوهامي وأغلاطي
عملته اختص بإحباط
أزفل منه في سكرلاط^(٣)

(١) الإشارة إلى الحارث بن همام بطل مقامات الحريري في المقامة الدمياطية ، وما عناه في دمياط ،

عام هياط وديماط . (مقامات الحريري ٢٥ وشرح المقامات للشرشي ١٥٨/١) .

(٢) في ب : . . . بحار من الك . وفي م : x تحتاج لقنطاط .

(٣) لعل السكرلاط ضرب من الثياب .

حَتَّى أَتَتَّنِي وَإِذَا مِعْطَفِي
رَفَفْتُهَا خَوْدًا إِلَى جِلْقِي
حُلَّتْهَا جَلَّتْ فَمَا مَسَّهَا
وَشَعْرُهَا شَعْرُ فَنَاءِ سَمَا
أَمَّا السَّرَاجَانِ فَقَدْ أَضْبَحَا
وَابْنُ الْحَرِيرِيِّ مَقَاطِيعُهُ
وَكُلُّ مُضَرِّيٍّ مُصِرٌّ عَلَى
وَكُلُّ شَامٍ شَامٌ مِنْكَ السَّنَا
فَاخْفَظْ لَأَلِي النَّظْمِ إِنْ جُزَتْ فِي الْ
لَا تَمْشِ إِلَّا بِاخْتِرَازٍ عَلَى
كَيْفَ أُجَارِي فِي الْمَعَالِي لِمَنْ
وَلَوْ رَأَى تِلْكَ وَذِي حَاكِمٍ
لَوْ شِئْتَ جَبْرِي فِي جَوَابِي لَهَا
فَخُذْ فَهَذَا بَعْضُ مَا عُقْنَتْ
لَا أَنْسَ مَا قَدْ أَذْكَرْتَنِي بِهِ
يَلْقُطُ بِالدَّوْقِ الَّذِي عِنْدَهُ
وَيُخْرِجُ الْأَحْكَامَ مِنْ ضَمَنِهَا

يَلْتَفُّ فِي بُرْنَسٍ بُرْنَاطٍ^(١)
فِي خَلْقٍ شَقَّتْ وَأَسْمَاطٍ
رَاحَةُ رَفَاءٍ وَخِيَّاطٍ
عَنْ كَفِّ مَحَارٍ وَأَمْشَاطِي
قُدَّامَهَا فِي زِيٍّ نَفَّاطٍ^(٢)
أَكْسَدُ مِنْ مَقْطَعِ سُبَّاطٍ^(٣)
فَضْلِكَ مِنْ عُرْبٍ وَأَقْبَاطٍ
وَعَارَ حَتَّى كُلُّ غَرْنَاطِي
قَصَصَرَيْنِ مِنْ غَيْلَةِ بَطَّاطٍ
نَظْمِكَ مِنْ لِصٍّ وَشَرَّاطٍ
أَنَاتُهُ تَسْبِقُ أَشْوَاطِي
مَا أَزْتَابَ فِي الْحُكْمِ بِإِسْقَاطِي
لَكَانَ فِي عِدَّةِ أَسْفَاطٍ
وَحُزْنَتْ فِي الذَّهْنِ أَخْلَاطِي
مَنْ فَقَدَ جَبْرٍ جَدَّ مُخْطَاطٍ
مَتْنِ الْأَحَادِيثِ بِمِلْقَاطٍ
وَالْمَاءِ يَخْتِاجُ لِإِنْبَاطٍ

(١) في م : . . . بُرْلَاط .

(٢) السَّراجَانِ : الأول : عمر بن محمد بن حسن ، سراج الدِّين الورَّاق ، الشاعر المشهور ؛ توفي سنة ٦٩٥ هـ . (فوات الوفيات ٣ / ١٤٠) .

والثاني : عمر بن مسعود الأديب ، سراج الدِّين المحار الحلي ، صاحب الموشحات والأزجال ؛ توفي سنة ٧١١ هـ . (فوات الوفيات ٣ / ١٤٦) .

(٣) الحريري : صاحب المقامات ، مشهور .

إِنْ قَالَ فَالْأَنَاسُ سُكُوتٌ لَهُ كَأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ أَنْبَاطٍ
يَمْشِي إِلَى الْجَنَاتِ بِالْعِلْمِ فِي سُرَادِقٍ مِنْ فَوْقِ أَنْمَاطٍ
عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ رَحْمَةٌ تَضِيقُ عَنْهَا خُطْوَةُ الْخَاطِي
وَجَهَّزْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ طَيَّ كِتَابٍ إِلَى الشَّيْخِ الْإِمَامِ بَهَاءِ الدِّينِ أَبِي حَامِدٍ ،
وَكُتِبَتْ عِنْدَ ذِكْرِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

وَانْتَقَلَ الْمَمْلُوكُ إِلَى الْقَصِيدَةِ الطَّائِيَّةِ وَالْبَلَاغَةِ الطَّائِيَّةِ ، فَلَوْ أَنَّ الطَّائِيَّينَ^(١)
حَيَّانٍ لَسَلَّمَا قَبْلَ أَنْ سَلَّمَا ، وَاعْتَرَفَا لِشَاعِرِنَا بِالْفَضْلِ وَنَدِمَا عَلَى كُلِّ مَا كَلَّمَا ،
وَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ الطَّاءُ حَرْفَ الرَّاءِ ، لَمَا زَادَتْ عَلَى هَذِهِ الْعِدَّةِ ، وَلَا أَدْعَتْ
لِنَاظِمِهَا وَجَاءَتْهُ فِي جِدَّةِ هَذَا الرَّوْنَقِ وَالْجِدَّةِ .

يَا مَوْلَانَا ، هَذَا [٦١] الشَّيْخُ بُرْهَانُ الدِّينِ ، نَكَتَ حَرْفَ الطَّاءِ ، أَخَذَ جَمِيعَ
مَا فِيهِ مِنَ التُّكْتِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الَّذِي يُجَارِيهِ إِنْ أَفْلَحَ جَاءَ سُكَيْتًا وَسَكَّتَ .

أَمَّا قَوْلُهُ : مُضَرٌّ وَفُسْطَاطٌ ، فَلَمْ يُمَرَّ بِالْمَمْلُوكِ مِثْلُهَا ، وَلَا فَاءَ عَلَيْهِ ظِلُّهَا .
وَأَمَّا تَقَاطِيفُ^(٢) الْجَزَارِ^(٣) وَأَسْقَاطُهُ ، فَلَوْ كَانَ حَيًّا صَحَّ حَذْفُهُ مِنْ هَذِهِ
الصَّنَاعَةِ وَإِسْقَاطُهُ .

وَأَمَّا ذِكْرُهُ الْأَقْرَاطَ مَعَ الرَّبِيعِ وَالتَّشْنِيفِ ، فَصِنَاعَةٌ فَائِظَةٌ فِي النَّظْمِ
وَالْتَّصْنِيفِ .

وَأَمَّا تَسْرِيحُ الْحِلِّيِّ وَتَقْرِيطُ الْأَمْشَاطِي ؛ فَهَذَا قَوْلٌ مَنْ خَاصَ لُجَّةَ هَذَا
الْقَرْنِ ، وَتَرَكَ النَّاسَ عَلَى الشَّاطِي .

(١) هما أبو تمام والبحري .

(٢) في م : تقاطيع .

(٣) الجزار : أبو الحسين ، يحيى بن عبد العظيم بن يحيى ، الشاعر المشهور ؛ توفي سنة ٦٧٩ هـ .

(فوات الوفيات ٢٧٧/٤) .

وَأَمَّا الْأَوْسَاطُ وَالشَّدُّ مَعَ الْحَلَوَى ، فَمَا يَجِدُ الْمَمْلُوكُ وَلَا غَيْرُهُ صَبْرًا عَلَى هَذِهِ الْبَلَوَى .

وَأَمَّا أَنَّهُ يَأْخُذُ الْمَثَلَ مَوْزُونًا فِي حَجَّامٍ سَابِاطٍ ، فَهَذَا أَسْعَدُ عَمَلٍ مُنَزَّهِ عَنِ الْإِخْبَاطِ .

وَأَمَّا عَامُ ابْنِ هَمَّامٍ بِدُمِيَّاطٍ ، فَقَدْ زَادَ إِعْجَابِي بِهِ فِي الْإِفْرَاطِ .
وَأَمَّا الرَّقْصُ بِالْأَبَاطِ فَرَحَةٌ ، فَأَمْرٌ مَا يَحْتَاجُ الْحُسْنَ شَرْحَهُ .

وَمَا كَانَ الْمَمْلُوكُ مَعَ هَذِهِ التُّكْتِ الْأَدْبِيَّةِ ، إِلَّا أَنَّهُ جَرَى عَلَى عَادَةِ الْكُتَّابِ فِي سَدِّ الْمَخْزُومَةِ ، وَبَعَثَ بِجَوَابِ الْفَاطِطِ مَعَ الْاعْتِرَافِ مَرْحُومَةً ، وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْحُسْنِ مَخْرُومَةً ؛ وَلَكِنَّ الْمَمْلُوكَ وَاثِقٌ بِأَنَّ مَوْلَانَا يَسُدُّ خَلْلَهَا ، وَيُبْرِدُ غُلْلَهَا ، وَيُبْرِئُ عِلَلَهَا ؛ وَلَوْلَا أَنَّ مَوْلَانَا وَاسِطَةُ هَذِهِ الْوَسَاطَةِ ، لَمَا أَجَابَ ، وَضَرَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُجَارَاةِ أَلْفَ حِجَابٍ ، وَلَكِنْ هِيَ فِي خَفَارَةِ إِحْسَانِهِ ، وَإِنَارَةِ زَهْرَهَتِهِ لَهَا وَاسْتِحْسَانِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

٥ * أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ^(١) :

الصَّدْرُ شَهَابُ الدِّينِ الْمَصْرِيِّ ، الْمَعْرُوفُ بِسُمَيْكَةَ .

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ لَمَّا قَدِمْتُ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي سَنَةِ ٧٤٥ : [مِنْ الرَّمْلِ]

أَرْضَ مِصْرَ اسْتَبْشِرِي ثُمَّ ابْتِشِرِي فَلَقَدْ قُفْتُ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ ^(٢)
إِذْ بِكَ الْغَرْسُ زَكَتْ أَفْنَانُهُ فَاضْحَكِي زَهْوًا عَلَى غَيْظِ الْغِيَاضِ

(١) ترجمته في : الدُّرَرُ الْكَامِنَةُ ٣٤٥/١ . وفيه : أَحْمَدُ ، الْأَدِيبُ الْمَصْرِيُّ النَّادِرِيُّ ، الْمَعْرُوفُ بِسُمَيْكَةَ وَكَانَ كَثِيرَ الْإِسْرَافِ عَلَى نَفْسِهِ ، وَانْصَلَحَ قَبِيلَ مَوْتِهِ وَأَقْلَعَ ، إِلَى أَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونَ الْعَامَ ٧٤٩ هـ .

(٢) في م : أَبْشِرِي وَاسْتَبْشِرِي × .

● فكتبْتُ أنا إليه : [من الرمل]

أَحْرَفُ أَمْ زُخْرَفُ أَمْ زَهْرُ راقٍ لِلْأَعْيُنِ فِي وَسْطِ الرِّيَاضِ
مَا رَأَتْ عَيْنَايَ خَطًّا أَسْوَدًا قَطُّ أَحْلَى مِنْهُ فِي ذَاكَ الْبِيَاضِ

٦ * أحمد بن بَلْبَان^(١) :

الشَّيْخُ الإِمَامُ الْفَاضِلُ ، شِهَابُ الدِّينِ ، ابنُ النَّقِيبِ ، الشَّافِعِي .
مُفْتِي دَارِ الْعَدْلِ الشَّرِيفِ ، ومُدَرِّسُ الْعَادِلِيَّةِ الصَّغِيرَةِ^(٢) وَغَيْرَهَا بِالشَّامِ
المَحْرُوسِ .

● كَتَبْتُ إِلَيْهِ مِنَ الرَّحْبَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، أَوَّلَ قُدُومِي إِلَيْهَا فِي سَنَةِ ٧٢٩^(٣)
أَسْأَلُهُ عَنْ خَبَرِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَصْحَابِ بِالقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، مِنْ جُمْلَةِ كِتَابِ^(٤) :

[من المقارِب]

رَحَلْتُ وَفِي مِصْرَ لِي سَادَةٌ يَطُولُ عَنَائِي بِهِمْ وَائْتِنَابِي
جَفَوْنِي وَضُتُّوا بِأَخْبَارِهِمْ فَأَصْبَحْتُ أَطْلُبُهَا مِنْ صِحَابِي
عَسَى خَبَرٌ عَنْهُمْ صَادِقٌ أَطَالِعُهُ مِنْ كِتَابِ الشَّهَابِ

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٢٠١/١ وذيل العبر ٣٦٣ والبداية والنهاية ١٨/٦٧٩ ودرر العقود الفريدة ١/٣٤٨ والوفيات لابن رافع ٢/٣٨٥ وتعريف ذوي العلا ١١/٢١١ وغاية النهاية ١/٤١ والدرر الكامنة ١/١١٥ وإنباء الغمر ١/٢١ والذيل على العبر ١/١٣٠ وطبقات الشافعية للسبكي ٩/١٨ والذيل التام ١/٢٥٥ والدارس في تاريخ المدارس ١/٣٢٤ وشذرات الذهب ٨/٣٤٢ .
- وفاته سنة ٧٦٤ هـ . ومولده سنة ٦٩٤ هـ .

- نقل ابن حجر في الدرر الكامنة عن ابن سند قوله : كان اسم أبيه بلبان ، فغيره عبد الرحمن .
قلت : وسمي جده عبد الرحيم ، على معنى أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عبيدُ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
ثم ترجم له ثانية في : أحمد بن عبد الله البعلبكي (الدرر ١/١٩٠) .

(٢) المدرسة العادلية الصغرى : داخل باب الفرج ، شرقي باب القلعة الشرقي . (الدارس ١/٣٦٨) .
وموقعها الآن في سوق العصورية بدمشق .

(٣) في س : ٧٣٩ . وفي ب ٧٦٩ ! والمثبت من أ .

(٤) الأبيات في أعيان العصر .

● فكتبَ هو الجوابَ إليَّ : [من المنسرح]

يا غَرْسَ ذي العَرْشِ لا شَرِيكَ لَهُ أَنْبَتَكَ اللهُ ثُمَّ لا حَصَدَكَ
أَلُومٌ مَنْ يَزْتَجِي لِحَاقَكَ فِي الْـ مَجْدٍ كَمَا لا أَلُومٌ مَنْ حَسَدَكَ^(١)
جَارَكَ أَهْلُ الْعَلَاءِ فَانْقَطَعَتْ أَنْفُسُهُمْ قَبْلَ قَطْعِهِمْ أَمَدَكَ

حَرَسَ اللهُ نَقودَ فَضْلِهِ الْمَطْبُوعَةِ ، وَغَرَسَ لَهُ فِي الْقُلُوبِ مَوَدَّةَ كَثِمَارِ
الْجَنَّةِ ، غَيْرَ مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ، وَيُنْهِي - بَعْدَ دُعَاءِ يَسْتَغْرِقُ أَوْقَاتَ فِكْرِهِ ،
وَوَلَاءِ [ب] يَقُومُ مَقَامَ شُكْرِهِ ، وَثَنَاءٍ لَا يُكْرَرُهُ لاحتِياجِ مَوْلَانَا إِلَيْهِ ، وَلَكِنْ لَذَّةَ
يَذْكُرِهِ - وَرُودَ مِثَالِهِ الْكَرِيمِ ، وَقَدْ رَاقَ مَنَظَرُهُ ، وَفَاقَ خُبْرُهُ وَخَبْرُهُ ، وَهُوَ الَّذِي
اشْتَمَلَ حَقِيقَةً عَلَى الْإِحْسَانِ وَالْمَحَاسِنِ ، وَأَشْبَهَ الْحَبِيبَ فِي ظَرْفِهِ وَطَرْفِهِ ؛ فَلَا
عَجَبَ أَنَّ الْقَلْبَ لِبُعْدِهِ آسٍ ، وَالذَّمْعُ آسِنٌ^(٢) : [من السريع]

عَارِضَ بِالْإِحْسَانِ حُسْنًا لَهُ لَا يَبْلُغُ الْوَصْفُ مَدَى كُنْهِهِ
لَيْسَ لَهُ عَيْبٌ سِوَى أَنَّهُ لَا تَقَعُ الْعَيْنُ عَلَى شِبْهِهِ
لا كما وصفَ به مَوْلَانَا كِتَابَ الْمَمْلُوكِ ، وَأَخَذَ بِهِ فِي طُرُقِ التَّهَكُّمِ عِنْدَمَا
سَلَكَ بِهِ ذَلِكَ السُّلُوكَ^(٣) ، وَكَشَّرَ حِينَ شَبَّهَهُ بِالذَّرِّ ، وَقَدْ أَحَاطَ بِالْأَعْنَاقِ فِي
السُّلُوكِ^(٣) ، وَأَظْلُ مَوْلَانَا قَصْدَ تَنْبِيهِ الْمَمْلُوكِ عَلَى الْأَدَبِ مَعَ أَهْلِ الْأَدَبِ ،
وَطَلَبَ هَذَا الْأَمْرَ مَعَ الطُّلَّابِ ، وَمَا كُلُّ وَقْتٍ يَنْجَحُ الطَّلَبُ ؛ وَالرُّجُوعَ إِلَى زَيْدٍ
وَعَمْرٍو ، فَمَا هَذَا مِمَّا يَحْصُلُ بِالاشتغالِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ .

يا مَوْلَانَا ، قَدْ فَهَمَ الْمَمْلُوكُ الْإِشَارَةَ ، وَامْتَثَلَ لِلْإِمَارَةِ^(٤) ؛ وَهُوَ يَسْتَغْفِرُ

(١) فِي م : . . . فِي الْفَضْلِ

(٢) الْبَيْتَانِ لِابْنِ الرُّومِيِّ ، فِي دِيْوَانِهِ ٢٦١٧/٦ .

(٣) مَا بَيْنَهُمَا سَاقَطٌ مِنْ م سَبَبِ انْتِقَالِ النَّظَرِ .

(٤) فِي أ : لِلْإِشَارَةِ ؛ وَفِي س : لِلْإِسَارَةِ . وَالكَلِمَتَانِ سَاقِطَتَانِ مِنْ م .

الله تعالى من التَّلْطِيفِ^(١) على هذا الفن البديع ، الذي ما عَرَفَ منه غير الاستِعَارَةِ ، فَقَابَلَهُ بِالتَّقْيِيلِ عَلَى الْعَادَةِ ، وَعَرَفَ كَيْفَ تَكُونُ الْإِجَابَةُ وَالْإِجَادَةُ ، فَسَقَى اللهُ رِيَاضَ هَذِهِ الْبِرَاعَةِ ، الَّتِي مَا رَأَى الْمَمْلُوكُ أَحْلَى مِنْ ثِمَارِ غَرْسِهَا ، وَرَعَى عُهْدَ هَذِهِ الْبِرَاعَةِ ، الَّتِي مَا شَاهَدَ أَجْلَى مِنْ مَرُوضِ طَرْسِهَا .

فَلَقَدْ فَتَكَتْ أَبْكَارُ مَعَانِيهَا بِالْأَلْبَابِ ، فَعَدَّ عَنِ الْمُدَامِ يُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ ، وَفَتَّتِ الْقَلْبَ الْمُؤْمِنَ إِلَّا أَنَّ لَهُ مِنْهَا عَذَابَ جَهَنَّمَ وَعَذَابَ الْحَرِيقِ ، وَاسْتَوْفَقَتِ النَّوَاطِرَ بِبِدَائِعِ حُسْنِهَا ، وَالْخَوَاطِرَ بِبِدَائِعِ^(٢) إِحْسَانِهَا ، فَعَدَّلَا عَنْ بُنَيَاتِ الطَّرِيقِ^(٣) :

[من الكامل]

وَحَدِيثُهَا السُّخْرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ
إِنْ طَالَ لَمْ يُمْلِلْ وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ الْمُحَدِّثُ أَنَّهُ لَمْ تُوجَزِ
شَرَكُ الْعُقُولِ وَفِتْنَةُ مَا مِثْلُهَا لِلْمُطْمَئِنِّ وَعُقْلَةُ الْمُسْتَوْفِرِ

فَأَمَّا مَا تَصَدَّقَ بِهِ مِنْ وَصْفِ أَشْوَاقِهِ وَمَكَارِمِهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، فَقَدْ شَكَرَ الْمَمْلُوكُ لِمَوْلَانَا هَذِهِ الْعَوَارِفَ ، وَذَمَّ أَيَّاماً أَضَاعَ الْمَمْلُوكُ فِيهَا زَهَرَ الْآدَابِ مِنْ غَرْسِ ظِلِّهِ الْوَارِفِ ، وَنَدِمَ حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُ النَّدَمُ عَلَى مَا فَرَطَ فِي جَانِبِ تِلْكَ الْمَعَارِفِ ؛ وَلَكِنْ مَا شَاهَدَ الْمَمْلُوكُ كَتَعَاسَتِهِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ وَلَا كَحَظِّهِ النَّاقِصِ ، وَلَا سَمِعَ بِأَعَثَّرَ مِنْ جَدِّهِ فِيهَا . وَهُوَ عَلَى الْأَعْقَابِ نَاكِصٌ^(٤) : [من الكامل]

وَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَحْرُوماً أَتَى مَاءً لِيَشْرَبَهُ وَغَاضَ فَصَدَّقِ
فَقَدْ يَجْمَعُ اللهُ الشَّيْئَيْنِ^(٥) ، وَقَدْ يَطْوِي اللهُ لِلْبَعِيدِ الْأَمَلِ شُقَّةَ الْبَيْنِ .

(١) في م : من التلطيف . والتلطيف : الإلحاح . ولعلها أنسب من التلطيف في هذا المقام .

(٢) في أ ، م : ببدايع .

(٣) الأبيات لابن الرومي ، في ديوانه ١١٦٤/٣ والمستطرف ١٨٢/٢ .

(٤) البيت للإمام الشافعي ، في ديوانه ٥٤ (بيجو) .

(٥) من بيت المعجنون ، في ديوانه ٢٩٣ و٣١٥ :

● فكتبْتُ أنا الجوابَ إليه :

يُقْبَلُ الْأَرْضَ وَيَسْتَمِرُّ عَلَى وَلَائِهِ الَّذِي لَمْ يَحْتَجْ - إِذْ يُحْتَجُّ بِهِ - إِلَى بُرْهَانٍ
تَأْيِيدٍ وَلَا تَأْيِيدِ بُرْهَانٍ ، وَلَمْ يَعْتَرِ - إِذْ يُعْتَرِ بِهِ - عَوْنُ أَنْصَارٍ وَلَا نَصْرُ أَعْوَانٍ ؛
وَتَنَائِهِ الَّذِي يَتَرَنَّحُ لَهُ الْغُصْنُ وَيَتَرَنَّمُ لَهُ^(١) الطَّائِرُ ، وَيَتَغَنَّى بِهِ الرَّائِبُ وَيَتَغَنَّمُ
السَّائِرُ : [من السريع]

لَا طَابَ لِلْمِسْكِ شَذَا نَفْحِهِ إِنْ كَانَ أَذْكَى مِنْ ثَنَائِي عَلَيْكَ^(٢)
وَيُنْهِي وَرُودَ [١٧] الْمُشْرِفِ الْعَالِي ، فَقَرَنَ وَفُودَهُ بِالْإِفَادَةِ ، وَجُودَهُ
بِالْإِجَادَةِ ، وَأَبَانَ الضَّرَّ وَأَبَادَهُ وَأَعَانَ الصَّبْرَ وَأَعَادَهُ ؛ فَكَمَ فِي أَلْفَاظِهِ مِنْ فَائِكَةٍ
لَذِيذَةٍ وَشَرَابٍ ، وَكَمَ فِي وَضَلِ خَطِّهِ مِنْ حِكْمَةٍ وَفَضْلِ خِطَابٍ ؛ قَدْ قُسِمَ
الْحُسْنُ بَيْنَ لَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ ، وَاقْتَصَرَ الْجَمَالُ عَلَى مَجْمُوعِهِ ، فَمَا تَخَطَّاهُ حَرْفًا وَلَا
تَعَدَّاهُ ؛ فَأَيْنَ نَقْصُ ابْنِ زَيْدُونَ فِي الْأَدَبِ عَنْ كَمَالِهِ ؟ وَإِخْلَالُ ابْنِ أَبِي الْخِصَالِ
مِنْ خِلَالِهِ ؟ وَأَيْنَ عَطَلُ صَاحِبِ الْقَلَائِدِ مِنْ « عُقُودِهِ » ؟ وَحَوَالَةُ ابْنِ الصَّبْرِ فِي
فِي نُقُودِهِ ؟ وَأَيْنَ قُصُورُ الْفَاضِلِ مِنْ تَفَنُّنِهِ ؟ وَوَهْنُ الْعِمَادِ مِنْ تَمَكُّنِهِ ؟ هَيْهَاتَ ،
مَا لَابْنِ شُهَيْدٍ حَلَاوَتُهُ ، وَلَا لِصَاحِبِ « الْمُرْقِصِ وَالْمُطَرِّبِ » تِلَاوَتُهُ ، فَلَوْ رَأَاهُ
ابْنُ بَسَامٍ عَبَسَ وَقَطَبَ ، وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَأَدَّبَ ، وَلَوْ عَايَنَهُ الْبَدِيعُ كَفَّ مَا نَشَرَ
مِنْ إِنْشَائِهِ ، وَرَمَى قَلَمَ الْمُكَاتِبَةِ بِدَايَةٍ وَأَنْسَلَ بِدَائِهِ : [من الطويل]

إِذَا كَانَ هَذَا شَأْنُ مَنْ قَدْ ذَكَرْتُهُ فَمَا قَدَّرُ وَصَفِي فِي نِظَامٍ وَفِي نَثْرِ
وَمَنْ كَانَ مَعْدُودًا مَعَ الشُّهُبِ الْعُلَا فَيَا لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ يُذَرِّكُهُ شِعْرِي ؟

= وقد يجمعُ الله الشَّيْئَيْنِ بَعْدَمَا يَظُنُّانِ كُلَّ الظَّنِّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا

(١) له ؛ من م .

(٢) في أ : . . . ذا لفحة × ! . وفي م : إذا نفحه × . وهي رواية جيدة .

والله يُمَتِّعُ أبنَاءَ الْأَدَبِ بِهَذِهِ الْفَضَائِلِ ، وَيَزِيدُهُمْ بِبَقَاءِ مَوْلَانَا كَرِيمٍ أَخْلَاقِي
وَلُطْفِ شَمَائِلٍ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

٧ * أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ ^(١) :

مُجِيرُ الدِّينِ الْخِيَاطُ ، الشَّاعِرُ الدَّمَشْقِيُّ .

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ فِي سَنَةِ ٧٣١ فَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ الْجَوَابَ :

وَقَفَ الْمَمْلُوكُ عَلَى الْقَصِيدَةِ الَّتِي أَضَحَّتْ بُيُوتُهَا كَالْقُصُورِ ، وَالْفَاطِظُهَا
طَالَتْ عَلَى أبنَاءِ الزَّمَنِ لِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْفَتْرَةِ وَالْقُصُورِ ، وَكَلِمَاتُهَا أَحَاطَتْ
بِمَعَانِيهَا إِحَاطَةَ الْهَالَاتِ بِالشُّمُوسِ وَالذَّارَاتِ بِالْبُدُورِ ؛ فَنَظَرَ إِلَى الْحَسَنِ الَّتِي
غَلَا مَهْرُهَا ، وَعَلَا قَدْرُهَا ، وَغَلَبَ أَمْرُهَا ، وَخَلَبَ سِحْرُهَا ، وَظَابَ تَشْرُهَا ،
وَطَالَ بَشْرُهَا ^(٢) ؛ وَقَلَبَ وَجْهَهُ فِي سَمَاءِ حُسْنِهَا ، وَاعْتَرَفَ بِالْعَجْزِ عَنْ تَسَاوِي
الْفَاطِظِ بِوَزْنِهَا ؛ وَنَظَرَ فِكْرُهُ فِي نُجُومِ الْفَاطِظِهَا لِلْمُعَارَضَةِ فَقَالَ : إِنِّي سَقِيمٌ ،
وَعَوَّذَ حَاءَ قَافِيَتِهَا وَمِيمَ مَلَاحِظَتِهَا بِحَمٍ ؛ فَكَمَ فِيهَا مِنْ أَلْفٍ هِيَ كَالْغُضَنِ
الرَّطِيبِ ، وَعَيْنِ كَالطَّرْفِ الْفَاتِرِ مِنَ الشَّادِنِ الرَّيِّبِ ، وَمِيمٍ كَأَنَّهُ سُرَّةُ كَاعِبٍ أَوْ
مَبْسَمٍ حَبِيبٍ ؛ وَجَلَالَةُ أَعْيُذُ طَرَسَهَا بِالْبُرْدَةِ وَقَلَمَهَا بِالْقَضِيبِ ؛ وَعَلِمَ أَنَّ بَحْرَهَا
لِفَضْلِ مَوْلَانَا مَدِيدٌ ^(٣) ، وَتَيَقَّنَ أَنَّهُ أَرَادَ الْإِعْجَازَ فَحَصَلَ لَهُ مَا يَطْلُبُ وَتَمَّ لَهُ

(١) . ترجمته في : أعيان العصر : ٢١١/١ والوافي بالوفيات ٣٣٢/٦ وتذكرة النيه ٢٥١/٢ والمنهل
الصادفي ٢٨٢/١ والدليل الشافي ٤٤/١ والدرر الكامنة ١٢٢/١ .

- في م : . . . ابن الخياط .

- توفي سنة ٧٣٥ هـ ، وقد قارب السبعين أو تجاوزها (الصفدي) . وقال ابن حبيب : مولده سنة
٦٦١ هـ .

(٢) في أ ، س ، م : وطال برها .

(٣) قال المؤلف في الوافي : وكان قد كتب إلي أبياتاً في بحر المديد ، ولم يحضرني الآن تسختها ،
وكتبته جوابها نظماً ونثراً .

ما يُريدُ ، على أَنَّهُ حاولَ الجوابَ فقال فِكْرُهُ العاجِزُ : مُكْرَهُ أَخَاكَ لَا بَطْلٌ^(١) ؛
ورامَ التَّزُولَ بينَ بُيوتِها فَتَذَكَّرَ^(٢) : [من الرمل]

إِنَّ بِالشَّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ لَقَتِيلًا دَمُهُ مَا يُطْلُ
فَنُنَى عِنانَ رَوِيَّتِهِ النَّاصِبَةِ ، وكَفَّ في كَفِّهِ أَقلامُهُ العامِلَةَ النَّاصِبَةَ ؛ ثم إِنَّهُ قامَ
بِما يَجِبُ عليه مِنَ الشُّكْرِ بعدَ هذهِ الفَتْرَةِ ، وَحَلَا قَوْلُهُ في فَمِهِ وكم لَهُ قَبْلُها من
مَرَّةٍ مَرَّةً ، وقابَلَ ذلكَ البَحْرَ المديدَ الَّذي كُلُّهُ دُرٌّ بِما لا يُساوي دُرُّهُ ذَرَّةً^(٣) :
[من الكامل]

وَمِنَ العَجَائِبِ والعَجَائِبُ جَمَّةٌ شُكْرٌ بَطِيءٌ عَن نَدَى مُتَسَرِّعٍ
ورجعَ إلى المدحِ الَّذي هو أَجْدَى وأَجْدَرُ ، والثَّناءُ على مَحاسِنِ مَولانا
التي هي مِنَ الشُّحْبِ أَعْطَى وَمِنَ الْمِسْكِ أَعْطَرُ ، فقالَ : [من الرمل]

لَفْظُها قَدْ أَعْجَزَ العُرْبَ الفِصاحا	[٧ب] لِمُجِيرِ الدِّينِ بِالْفَضْلِ يَدُ
لَفْظِهِ بَيْنَ قَوافِيهِ سِلاحا	فَتَراهُ بَطْلاً قَدْ سَلَ مِنْ
هَزَّهُ في الطَّرْسِ أَنْسَاكَ الرِّماحا	وَإِذا ما قَلَمٌ في كَفِّهِ
أَذْكَرْتَنَا الأَعْيُنَ المَرْضَى الصُّباحا	وَمَعانِيهِ التي قَدْ لَطَفَتْ
نَظْمُهُ قَدْ راحَ يَسْقِي السَّمْعَ راحا	وَمَتى ما فاءَ بالشَّعْرِ تَجِدُ
قامَ فيما بَيْنَنا يَدْعُو الفَلاحا	يا إماماً نَظْمُهُ في عَضْرِهِ
أَثَخَنْتَ رِقَّتُها قَلْبِي جِراحا	أَذْهَشْتَنِي هَذِهِ الأَبْيَاتُ بَلْ

(١) المثل في : الميداني ٣١٨/٢ والعسكري ٢١٣/٢ و ٢٤٢ والزمخشري ٣٤٧/٢ . وفوق
« أَخَاكَ » في أ : صح .

(٢) البيت للشنفرى في ديوانه ٣٩ (ضمن الطرائف الأدبية) . وينسب لتأبط شراً في ديوانه ٣٤٧ .

وفي أ ، ب ، س ، م : إِنَّ بالشَّعْبِ الَّذي من دون سَلْعٍ × ! .

(٣) البيت لابن حيوس ، في ديوانه ٣١٦/١ .

مَنْ تُرَى يَطْمَعُ فِي إلْحَاقِهَا فَضْلُهَا هَيْهَاتَ قَد فَاتَ الرِّيَاحَا^(١)
 لَا تَسْمُنِي بَعْدَهَا لِي مِخْنَةً قَدْ كَفَّتْنِي هَذِهِ الْأُولَى اقْتِرَاحَا
 وَابْقَ مَا غَنَى حَمَامٌ فِي الدُّجَى فَوْقَ قُضْبِ الْأَيْكِ مِنْ شَجْوٍ وَنَاحَا
 ٨ * أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عُمَرَ مُحَمَّدَ بْنَ قُدَامَةَ^(٢) :

الإمامُ العالمُ العلامةُ ، ذو الفنونِ ، جامعُ الفضلِ^(٣) ، الشيخُ شَرَفُ
 الدِّينِ ، أَبُو الْعَبَّاسِ ، ابنُ قَاضِي الْقُضَاةِ ، شَرَفِ الدِّينِ الْحَنْبَلِيِّ .

● كَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مُلَغِزًا فِي « شَهْرِ رَمَضَانَ » الْمُعْظَمِ^(٤) : [من السريع]

يَا فَاخِضْ لَّا أَخْبَارُ أَشْعَارِهِ مَشْهُورَةٌ فِي الْعُجْمِ وَالْعُرْبِ^(٥)
 وَسَجْمُهُ أَخْرَسَ وَزُقَ الْجَمَى إِذَا تَغَنَّتْ فِي ذُرَى الْقُضْبِ
 وَخَطُّهُ أَزْرَى بِزَهْرِ الرُّبَا إِنْ دَبَجَتْهَا رَاحَةُ السُّحْبِ
 قُلْ لِي مَا اسْمٌ قَدَرُهُ مُحْتَفٍ وَحُكْمُهُ فِي الشَّرْقِ وَالْعَرْبِ^(٦)
 فِيهِ لَنَا فَاكِهَةٌ قَدْ غَدَتْ تَرَوْقُ لِلنَّفْسِ بِلَا قَلْبِ^(٧)

(١) في ب: من يرم. . . x .

(٢) ترجمته في : المعجم المختص ١٦ ووفيات ابن رافع ٣٥/٢ - ٣٦ والذيل على العبر ٢/٢٩٤ وتعريف ذوي العلا ٢٠١ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢/٣٦٤ والدرر الكامنة ١/١٢٠ والنجوم الزاهرة ١١/١٠٨ والمتل الصافي ١/٢٨٤ والدليل الشافي ١/٤٥ والذيل التام ١/٢٤٣ والدارس ٢/٤٤ والقلائد الجوهريّة ٢/٤٩١ والمقصد الأرشد ١/٩٣ والمتهج الأحمد ٥/١٣٥ وشذرات الذهب ٨/٣٧٦ .

- وفاته سنة ٧٧١ هـ . ومولده سنة ٦٩٣ هـ .

- في أ ، س : . . . بن عبد الله أبي عمر بن محمد . . . ! . وفي م : أحمد بن الحسين . . .

(٣) في س ، م : جامع الفضائل .

(٤) الأبيات في الوافي بالوفيات ١٩/٣٠٤ - ٣٠٥ ومتكرر في الترجمة ٥١ .

(٥) في ب : يا قاضياً . . . x .

(٦) في م : . . . محتفٍ x .

(٧) يريد : رمان .

إِنْ عَكَسَ الْحُمْسَانِ مِنْ لَفْظِهِ
وهو مع العكسِ بلا آخرٍ
يَبَيِّنُ مُرَادِي يَا إِمَامَ الْوَرَى
وَدُمَ قَرِيرَ الْعَيْنِ فِي نِعْمَةٍ
أَمْتَعْنَا بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ^(١)
« أَضْمِرَ » فَافْهَمَ يَا أَخَا اللَّبِّ
فَلَيْسَ مَا أَلْغَزْتُ بِالصَّعْبِ
مَا أَزْدَانَتِ الْآفَاقُ بِالشُّهْبِ

فكتبَ هو الجوابَ عن ذلك : [من السريع]

يَا فاضِلاً مَنْطِقُهُ بَاهِرٌ
تَفْدِيكَ عَيْنٌ مِنْ عُيُونِ الْوَرَى
وَنَاطِظُماً مَنْظُومُهُ فَاخِرٌ
أَوْجَبَتْ فَضْلاً وَسَلَبَتْ التُّهَى
سَأَلْتَ عَمَّا أَمَرُهُ ظَاهِرٌ
إِمْسَاكُنَا أَيَّامَهُ وَاجِبٌ
فَاكِهَةً ضَمَّنْتَهَا ذَاتَهُ
مُصَنَّفَاً فِي نَفْعِهَا حَصَلُوا
مَعَ أَنَّنِي أَلْغَزْتُ فِي أُخْتِهَا
تَفْضُلُهَا حَرْفَاً وَلِكِنَّهَا
كِلاهُمَا لِي مِنْ سَقَامٍ دَوَا
إِنْ قُلْتَ شِبْهًا فَلَنْصُ أَتَى
ثَلَاثَةُ الْأَحْمَاسِ مَعْمُولُهَا
بِفَيْصَلٍ مُرَبٍّ عَلَى الْعُزْبِ
بِسَائِلٍ مِنْ دَمْعِهَا الْغَرْبِ
وَنَائِرَا كَاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ
حُمِدَتْ فِي الْإِنْجَابِ وَالسَّلْبِ
وَذَكَرُهُ فِي أَشْرَفِ الْكُتُبِ
بَيْنِي عَنْ قَدْرِهِ تُنْبِي
شَرَابُهَا مِنْ عِلَّةِ الْكَزْبِ
صَنَّفَهُ الْحُذَّاقُ بِالطَّبِّ
قَرِينَةً مِنْ جُمْلَةِ الْقَضِبِ^(٢)
تَقْصُصُ عَنْ طَعْمٍ وَعَنْ لُبِّ
لِلنَّفْعِ وَالْأَكْلِ مَعَ الشُّرْبِ
أَوْ قُلْتَ لَا صُدِّقْتَ فِي السَّلْبِ
بِفَضْلِهِ يَضَعَدُ لِلشُّخْبِ^(٣)

(١) في أ : × امتنعنا . . . ! . والمراد : ضم .

(٢) يريد : زيتون . وفي م : . . . في حكمها × .

(٣) يريد : زيت .

أَرْبَعَةُ الْأَخْمَاسِ مَقْلُوبَةً من ساكني البحر لدئ الكسب^(١)
تَفَقَّدُ فِي الثُّرُكِ وَلَكِنَّهَا مَجُودَةٌ فِي بَلَدَةِ الْعُرْبِ^(٢)
تَفَقَّدُ الْأَعْرَاضُ إِنْ عُطِّلَتْ فِي أَضْعَفِ الْقَوْلَيْنِ فِي الْخُطْبِ^(٣)
وَاللَّهُ يُبْقِي لِي سَنًا نُورُكُمْ حَسْبِي مِنْ أَفْضَالِكُمْ حَسْبِي

● فكتبتُ أنا الجوابَ عن ذلك ، وكان قد ألغزَ في « زَيْتُون » : [من السريع]

أَعْلَيْتَ قَدْرِي لِمَنَاطِ الشُّهُى مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كَانَ فِي الثُّرْبِ
هَذَا جَوَابُ لَفْظِهِ مُذْ بَدَا يُضْبِي وَمَعْنَاهُ غَدَا يَسْبِي
أَجَبْتَ عَمَّا كُنْتُ أَلْغَزْتُهُ وَذَاكَ فِي الْعَجَبِ غَدَاً حَسْبِي
لَكِنْ تَفَضَّلْتَ وَأَتَحَفَّنِي بِمُلْغَزٍ سُرَّ بِهِ قَلْبِي
مُخَمَّسٌ تَذْوِيرُهُ مُحْكَمٌ قَدْ أَتَقَنَّنْتُهُ صَنَعَةُ الرَّبِّ
كَأَنَّهُ زَيْدُونَ فِي لَفْظِهِ وَالذَّالُ مِثْلُ التَّاءِ لِلْعُرْبِ
بُورِكَ فِي سَلْبِيهِ فِي لَا وَلَا فَلَيْسَ فِي شَرْقٍ وَلَا غَرْبِ^(٤)
وَيُسَمَّى الثُّورُ مِنْ بَعْضِهِ لَمَّا تَكُونُ الشَّمْسُ فِي الْحُجُبِ
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ مَعَ فَضْلِهِ يَعْبُوهُ دَهْنًا مِنَ الْحُبِّ
هَذَا رَعَاكَ اللَّهُ حَلُّ الَّذِي أَلْغَزْتُهُ فِي شِعْرِكَ الْعَذْبِ
[٨] لَا تَتَكَلَّفْ لِي جَوَاباً فَمَا أَنْتَ إِلَى النَّظْمِ بِمُنْصَبِّ
إِذْ أَنْتَ فِي شُغْلٍ غَدَا شَاغِلاً بِجِدِّهِ عَنِ مُقْتَضَى اللَّعْبِ

● وكتبَ هو إليّ أيضاً جواباً ثانياً عن الأولِ : [من السريع]

- (١) يريد : نوتي .
(٢) البيت ساقط من س .
(٣) في م : تفند . . . × . كذا بلا إعجام فيما بعد التاء ، ولعلها : تُفَنَّد ، تُقَيَّد .
(٤) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ ﴾ [النور : ٣٥] .

يا بارِعاً حَلَّ ذُرَى الْكَوْكَبِ
وما جِداً بَوَّاهُ مَجْدُهُ
وباهِراً إِحْسَانُهُ سَائِرُ
شَتَفَت سَمْعِي بِنِظامٍ أَتَى
كِتَابُهُ دُرٌّ وَلَكِنَّهُ
مِنْ رَوْضَةِ الْفِكْرِ الَّتِي رَوْضُهَا
مِنْ دَوْحَةِ الرُّقْشِ الَّتِي نَقَشُهَا
كَأَنَّمَا الْمَعْنَى بِأَوْرَاقِهِ
سَمَوَتْ بِالْفَخْرِ فَلَا لَاحِقُ
وافتَرَّ مَنْظُومُكَ عَنْ لَوْلُو
غَنَتْ عَلَى أَوْرَاقِهِ أَحْرَفُ
أَطْرَبَهُ الْمَعْنَى الَّذِي قُلْتَهُ
وَأَوْقَفَ الْقَلْبَ لِتَغْرِيدِهَا
وَطَوَّقَ الذِّهْنَ لِأَنْفَاسِهَا
وَطَرَّزَ الْفِكْرَ لِإِبْدَاعِهَا
يَسْلُبُ نُطْقاً لِلنُّهَى عَامِداً
وَتَسَحَّرُ الْأَلْبَابَ أَنْفَاسُهُ
يا لَكَ مِنْ بَخْرِ حِجْجِي زَاخِرِ
مَنْ كَانَ مِنْ غَيْرِكَ مَطْلُوبُهُ
قَدَحْتُ زَنْدَ الْفِكْرِ كِي أَبْتَغِي
وَشِمْتُ بَرْقاً مَا وَنَى وَمَضَى

أَغْنِي كَيَواناً وَلَمْ يَغْزُبِ
مِنْ الْمَعَالِي غَايَةَ الْمَطْلَبِ
مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى الْمَغْرِبِ
عَمَّا حَوَى فَضْلُكُمْ مُغْرِبِ
مِنْ دُرَّةٍ دُرَّتْ وَلَمْ تُثَقِّبِ
وَمِدَادُهُ مِنْ وَايِلِ صَيِّبِ
أَفْخَرُ مِنْ نَقْشٍ عَلَى زَيْنَبِ
صُبْحُ أَتَى مِنْ جَانِبِ الْغَيْهَبِ
لَوْ قَطَعَ الْمِضْمَارُ بِالْأَشْهَبِ
فَفَاقَ ذَا الثَّغْرِ الشَّهِي الْأَشْنَبِ
كَمْ مُهْجَةٍ ذَابَتْ وَقَلْبٍ سُبِي
وَكَانَ مِنْ قَبْلِكَ لَمْ يَطْرَبِ
وَقَيْدَ السَّمْعِ فَلَمْ يَذْهَبِ
بِطَوَقٍ فَضْلٍ فَاخِرٍ مُذْهَبِ
مُعْطِراً مِنْ نَشْرِهِ الطَّيِّبِ
مِنْ لَفْظِهِ الْمُسْتَعْذَبِ الْمُعْجِبِ
بِسُخْرِ لَفْظٍ مُبْدِعٍ مُغْرِبِ^(١)
وَحَبْرٍ عِلْمٍ حَوْلِ قَلْبِ
فَلَيْسَ يَبْتَغِي غَيْرَكُمْ مَطْلَبِي
مَرْتَعَهُ مِنْ رَوْضِكَ الْمُعْشَبِ
وَلَيْسَ هَذَا الْبَرْقُ بِالْحُلْبِ

(١) في ب : . . . ألفاظه × .

أَلْغَزْتُ مَعْنَى بِحُرُوفٍ غَدَتْ ثَلَاثَةً فِي الْعَدِّ إِنْ تُحْسَبِ
لَيْسَتْ مِنَ الْمُعْجَمِ مَنْقُوطَةً جَاءَتْ مُعَرَّاةً لَدَى الْمَكْتَبِ
لَيْسَ بِشَيْءٍ إِنْ غَدَا وَاحِداً وَإِنْ يُكَرَّرُ عَكْسُهُ قَدْ حُبِي
نَظِيرُ لَا فِي النَّفْيِ كِي يَفْهَمُوا إِنْ كُرِّرَتْ مُنْتَجَةً الْمَطْلَبِ
لَيْسَ بِذِي حَجْمٍ يُرَى ظَاهِراً وَبَاطِناً مِنْهُ فَلَمْ يُضَحَبِ
يُطْلَقُهُ النَّاسُ عَلَى جَاهِلٍ أَوْ هَمَجٍ فِي فِعْلِهِ أَوْ صَبِي
يَخَافُهُ النَّاسُ جَمِيعاً وَهُمْ مِنْ خَوْفٍ هَذَا فِي عَنَاءٍ مُتَعَبِ
جَمِيعُ ذَا الْعَالَمِ فِيهِ غَدَاً وَذَاكَ لَا شَيْءَ لَهُ فَاغْجَبِ
فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ ، وهو في « عدم »^(١) :

٩ * أحمد بن عبد الله بن مالك^(٢) :

القاضي البليغ ، الخطيب ، شهاب الدين ، أبو العباس ، ابن الخطيب
الشيخ الصالح ، الخطيب بدر الدين^(٣) أبي محمد بن الشيخ جمال الدين بن أبي
أنس الحنبلي ، خطيب بيت إلهيا^(٤) من ضواحي دمشق المحروسة .

(١) في هامش أ : قال المصنف بعد هذه القصيدة : فكتبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ ، وهو في « عدم » .

لكن لم أجد الجواب في النسخة التي نقلتُ منها ، مع أنها بخط تلميذه .

وفي هامش م : هذا الجواب ساقط في الأصل ، فاعلم ذلك .

(٢) ترجمته في : الذيل على العبر ٤٧٦/٢ ودرر العقود الفريدة ١٤٠/٢ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٥٨١/٢ والدرر الكامنة ١٨٤/١ وإنباء الغمر ٢٧٩/١ وشذرات الذهب ٤٥٨/٨ .

- اسمه عند ابن قاضي شهبة وابن العماد : أحمد بن محمد بن عبد الله بن مالك .

- ولادته عند ابن حجر : ٧٠٥ هـ . وعند ابن قاضي شهبة ٧٠٧ هـ . وعند ابن العماد :

٧٠٩ هـ ! .

- وفاته سنة ٧٨٠ هـ .

(٣) كذا في أ ، ب : وهو خطأ ، صوابه : فخر الدين (مصادر ترجمته) .

(٤) بيت إلهيا : قرية مشهورة بغوطة دمشق - (معجم البلدان ١/٥٢٢) . وموقعها اليوم بين مشفى =

رَفَعُ
عبد الرحمن النخعي
أَسْلَمَ (نَيْم) الْفَرَوَاسِي

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ اسْتَدْعَاءَ إِجَارَةٍ مِنِّي إِلَيْهِ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الْمَدْعُوِّ بِالْحُسْنَى مِنْ أَسْمَائِهِ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمَجْلُودِ عَلَيْنَا مِنْ مَحَاسِنِهِ الْأَسْنَى مِنْ سَيِّمَائِهِ ، صَلَاةً تَمْلَأُ مَا بَيْنَ أَرْضِيهِ وَسَمَائِهِ :

فَالْمَسْئُولُ مِنْ إِحْسَانِ فُلَانٍ ، فَرِيدِ دَهْرِهِ ، وَوَجِيدِ عَصْرِهِ ، لِسَانِ الْعَرَبِ ، مُبْلَغِ الْأَرْبِ ، مَالِكِ أَرْمَةِ الْإِنْشَاءِ وَالْأَدَبِ ، تَرْجُمَانِ الْأُمَمِ ، الْمُسَلِّكِ عَلَى الْقَصْدِ الْأَمَمِ ، قُدُورَةِ الْأَوَائِلِ وَالْآوَاخِرِ ، مَادَّةِ بَحَارِ الْعُلُومِ الزَّوَائِرِ ، الشَّيْخِ فُلَانِ الدِّينِ ؛ جَمَعَ اللَّهُ بِهِ فِي دَوْحَةِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ أَشْتَاتِ الْأَدَبِ ، وَلَمْ بِهِ شَعَثٌ مَنْ جَعَلَ الصَّلَاحَ شِعَارَهُ وَلَا عَجَبَ ، وَأَقَامَ بِهِ أَبْيَاتِ الشُّعْرِ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا قَامَ لَهَا عَمُودٌ وَلَا مُدُّ طُنْبٌ ؛ إِجَارَةٌ كَاتِبِ هَذِهِ الْأَحْرَفِ ، مَا لَهُ مِنْ رِوَايَةِ الْمُصَنَّفَاتِ فِي الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ ، وَالتَّأْلِيفَاتِ الْأَدَبِيَّةِ ، وَمَا لَهُ مِنْ تَصْنِيفِ وَتَأْلِيفِ ، وَجَمْعٍ وَانْتِقَاءٍ ، وَإِثْبَاتِ ذَلِكَ بِخَطِّهِ إِلَى هَذَا التَّارِيخِ ، وَمَا لَعَلَّهُ يَقَعُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، إِجَارَةٌ تَجْعَلُ حَالَهُ [ب ٨] الْعَبْدَ مَنْصُوباً عَلَى التَّمْيِيزِ ، وَتَرْدُّهُ بَعْدَ الْخَفْضِ وَهُوَ عَزِيزٌ ، وَتَرْفَعُ قَدْرَهُ فِي الْإِبْتِدَاءِ ، لِيَصِحَّ إِسْنَادُ الْأَخْبَارِ عَنْهُ فِي الْإِنْتِهَاءِ ؛ وَصِلَةٌ يَعُودُ عَائِدُهَا مِنْكُمْ إِلَيْهِ ، وَتَأْكِيدَ عَطْفٍ مِنْ جَنَابِكُمْ لَمْ يُبَدَّلْ يَوْمًا عَلَيْهِ .

وَيُضَافُ ذَلِكَ إِلَى مَا أَسَدَيْتُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِحْسَانِ ، فَيَصِيرُ بِهِ ذَلِكَ الْعَطْفُ عَطْفَ بَيَانٍ ، فَلَا يَتَصَرَّفُ عَنْ بَابِكُمْ لِمَا أَوْلَيْتُمُوهُ مِنَ الْعَدْلِ وَالْمَعْرِفَةِ ؛ كَيْفَ وَبِشِعَارِ الصَّلَاحِ تَمَّتْ لَهُ تِلْكَ الصِّفَةُ ؟

قَدْ صَحَّ حَدِيثُهُ عَنْكُمْ وَلَمْ يَكُنْ مَوْقُوفاً وَلَا مُعَلَّلاً ، وَرَاقَ لَفْظُهُ فِيكُمْ

فَأَضْحَى حَسَنًا مُسَلَّسًا ؛ لَيْسَ لِعَرُوضِي فِيهِ تَقْطِيعٌ ، وَلَا لِمُعَانِي الْبَيَانِ إِلَيْهِ
نَرْجِعُ ، وَلَا لَأُصُولِي إِلَى وَضْلِهِ وَصُولٌ ، وَلَا لِلْغُويِّ عَلَى مِثْلِ أَلْفَاظِهِ
حُصُولٌ ، وَلَا لِمَنْطِقِي لَدِيهِ مَنْطِقٌ وَلَا جِدَالٌ^(١) ، وَلَا لِصَاحِبِ التَّصْرِيفِ
تَصْرِيفٌ وَلَا مَجَالٌ ، وَلَا لِفَقِيهِ عَلَيْهِ تَنْكِيْتُ وَلَا إِشْكَالٌ^(٢) ، وَلَا لِصَاحِبِ عِلْمِ
التَّفْسِيرِ عَنْ نَقْلِهِ زَوَالٌ ، وَلَا لِمَنْ أَمْسَى حَلَّ الْمُتَرْجِمِ فَتُهُ ، أَنْ يُدْرِكَهُ فَهْمُهُ
وَلَا ذَهْنُهُ .

فَبِهَذِهِ الْإِجَازَةِ الصَّلَاحِيَّةِ يَفُوقُ أَقْرَانُهُ ، وَيَلْتَقِطُ مِنْ بَخْرِهَا الزَّائِرِ جُمَانَهُ ،
فَيُصْبِحُ وَالذُّرُّ مِنْهَا فِي جَنِيْدِهِ عِقْدًا ؛ وَإِنْ سَمَحْتُمْ فَالْخَطِيبُ مَا زَالَ لَكُمْ عَيْدًا :
[من الوافر]

أَيَا مَنْ قَدْ غَدَا فِي الدَّهْرِ فَرْدًا وَمَنْ مَلَكَ الْفَضَائِلَ بِالْحَيَاةِ
عَيْدُكَ يَسْأَلُ الصَّدَقَاتِ إِذْنًا لِمَا يَزْوِيهِ عَنْكُمْ بِالْإِجَازَةِ

● فَكُتِبْتُ أَنَا الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ^(٣) :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ أَجَابَ ، وَإِذَا أُنْعِمَ عَلَى الْأَدِيبِ بِذَوْقٍ أَتَى فِي نَظْمِهِ
وَنَثَرِهِ بِالْعُجَابِ ، وَإِذَا وَهَبَ الْبَلِيعَ فِطْرَةً سَلِيمَةً لَمْ يَكُنْ عَلَى حِجَاهِ حِجَابٌ .
نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي مِنْهَا الْبَلَاغَةُ ، وَإِتْقَانِ مَا لِصِنَاعَةِ الْإِنْشَاءِ مِنْ حُسْنِ
الصِّيَاغَةِ ، وَصَيْدِ أَوَابِدِ الْمَعَانِي الَّتِي مَنْ أَعْمَلَ فِكْرَهُ فِي اقْتِنَاصِهَا أَوْ رَوَى
رَوَاغَةً .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، شَهَادَةً فُطِرَ الضَّمِيرُ عَلَى
إِخْلَاصِهَا ، وَجِبِلَ الْفِكْرِ عَلَى اقْتِنَاءِ أَدْلَتِهَا الْقَاطِعَةِ وَاقْتِنَاصِهَا ، وَجُعِلَتْ وَقَايَةُ

(١) - (١) مَا بَيْنَهُمَا سَاقِطٌ مِنْ س .
(٢) - نَسْخَةُ الْإِجَازَةِ نَقَلَهَا الْقَلْقَشَنْدِيُّ فِي صَبْحِ الْأَعْشَى ١٤ / ٣٣٢ - ٣٣٤ .

لِقَائِهَا يَضِيقُ عَلَى الْخَلَائِقِ مِنَ الْقِيَامَةِ فَسِيحُ عِرَاصِهَا .

وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِهَذَا اللِّسَانِ ، وَجَاءَ مِنْ هَذِهِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالنُّكْتِ الْحَسَنِ ، وَحَثَّ عَلَى الْخَيْرِ وَحَضَّ عَلَى الْإِحْسَانِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ رَوَوْا أَقْوَالَهُ ، وَبَلَّغُوا مَنْ لَمْ يَرَهُ سُنَنَهُ وَأَفْعَالَهُ ، وَعَلِمُوا أَنَّ هَذِهِ الشَّرْعَةَ الْمُطَهَّرَةَ ادَّخَرَهَا اللَّهُ لَهُ ، فَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ^(١) ، صَلَاةَ هَامِيَةِ الْغُفْرَانِ ، نَامِيَةِ الرِّضْوَانِ ، مَا أَجَابَ مُجِيزٌ لِمَنْ اسْتَدْعَى ، وَعَمِلَتْ إِنْ فِي الْمُبْتَدَأِ نَصْبًا وَلَمْ تُغَيَّرْ عَلَى الْخَبَرِ رَفْعًا ، وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وبعدُ : فَإِنَّ فَنَ الرِّوَايَةِ مِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ ، وَمَزَايَا الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ ، وَخَصَائِصِ الْفُضَلَاءِ الَّذِينَ تَخْفِقُ لَهُمْ ذَوَائِبُ الطُّرُوسِ ، وَتَنْتَصِبُ رِمَاحُ الْأَقْلَامِ ؛ وَلَمْ تَزَلْ رَغْبَةً السَّلَفِ تَتَوَقَّرُ إِلَيْهِ ، وَتُشِيرُ أَنْامِلُ إِرْشَادِهِمْ لِلْأَنَامِ بِالْحَثِّ عَلَيْهِ .

قِيلَ^(٢) لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا تَشْتَهِي ؟ فَقَالَ : سَدُّ عَالٍ ، وَبَيْتُ خَالٍ .

وَمَا بَرِحَ الْأَيْمَةُ الْكِبَارُ يَزْتَحِلُونَ إِلَى أَقَاصِي الْأَقَالِيمِ فِي طَلَبِهِ ، وَيَسْتَحْمِلُونَ الْمَشَاقَّ [٩١] وَالْمَتَاعِبَ فِيهِ وَيَتَجَمَّلُونَ بِسَبَبِهِ ؛ فَقَدْ ارْتَحَلَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرُهُ إِلَى عَبْدِ الرَّزَّاقِ بِالْيَمَنِ ، وَكَانَ فَيَمَنُ أَخَذَ عَنْهُ مَنْ هُوَ بِالتَّفْضِيلِ عَلَيْهِ قِمْنٌ ، وَلَكِنَّهُ فَنٌ يَحْتَاجُ إِلَى ذَوْقٍ يُعَاضِدُ مَنْ لَا يُعَانِدُهُ ، وَأَمْرٌ لَا يَضْبِرُ عَنْهُ مَنْ أَلْفَهُ ، وَمَا يَعْلَمُ الشُّوقَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ^(٣) ؛ فَمَا عِنْدَ مَنْ طَلَبَ الرِّوَايَةَ أَجَلٌ مِنْ

(١) من قول أبي العتاهية : [ديوانه ٦١٢]

فَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهُ

(٢) معاهد التنقيص ١٤١/٢ والغيث المسجوم ١٥٥/٢ .

(٣) من قول الأبله البغدادي : [الوافي بالوفيات ٢٤٥/٢] :

أَبْنَاءِ جِنْسِهِ ، وَلَا عِنْدَ الْمُفِيدِ أَخْلَى مِنْ قَوْلِهِ : حَدَّثَنَا فَلَانٌ ، أَوْ أَنْشَدَنَا فَلَانٌ لِنَفْسِهِ ؛ وَلَكِنْ^(١) : [من الكامل]

مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ الْمَعَالِي نَافِذًا فِيهَا وَلَا كُلُّ الرَّجَالِ فُحُولًا
وَلَمَّا كَانَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْأَوْحَدُ ، الْكَامِلُ الْبَلِيغُ ، الْمُفَوَّهُ الْأَدِيبُ ،
الْحَاطِطُ ، النَّاطِقُ النَّائِرُ ، شِهَابُ الدِّينِ ، بَرَكَتُهُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، أَبُو
الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ الْحَنْبَلِيُّ ، خَطِيبُ بَيْتِ لَهَا ، أُمْتُعَ اللَّهُ (الْجُودَ) بِقَوَائِدِهِ ، مَمَّنْ
نَظَمَ فَوَدَّتِ الدُّرُرُ فِي أَسْلَاحِهِ لَوْ تَسَقَّتْ ؛ وَنَثَرَ فَتَمَنَّتِ الدَّرَارِي فِي أَفْلَاحِهِ لَوْ
انْسَقَّتْ ؛ وَكَتَبَ فَرَقَمَ الطُّرُوسَ وَوَشَّاهَا ، وَغَشَّاهَا مِنْ زَهْرَاتِ الرِّيَاضِ بِمَا
غَشَّاهَا ؛ وَحَلَّ الْمُتَرْجَمَ فَسَحَرَ عَقْلَ كُلِّ لَبِيبٍ وَخَلَبَ لُبَّهُ ، وَوَقَعَ عَلَى الْقَبْضِ فِيهِ
فَكَانَتْ شَيْءٌ مِنَ الْغَيْبِ خَصَّ اللَّهُ قَلْبَهُ ، وَأَتَى فِيهِ بِبِدَائِعَ لَمْ يُسَاوِ ابْنُ الصَّيْرِفِيِّ^(٢)
وَلَا ابْنُ دُنْيِيرٍ^(٣) عِنْدَهَا حَبَّةٌ ؛ وَخَطَبَ فَصَدَعَ الْقُلُوبَ ، وَأَجْرَى ذُنُوبَ الْمَدَامِعِ
مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ ، وَحَذَّرَ فَكَانَتْ أَسْجَاعُهُ كَالْحَانِ إِسْحَاقَ^(٤) ، وَسَامِعُهُ يَبْكِي
بِأَجْفَانٍ يَعْقُوبَ ، كَأَنَّمَا هُوَ فِي حُلَّةِ الْخَطَابَةِ يَذُرُّ فِي غَمَامَةٍ ، أَوْ مُنْبِرُهُ غُصْنٌ وَهُوَ
عَلَيْهِ حَمَامَةٌ ، أَوْ هُوَ بَحْرٌ وَفَضَائِلُهُ مِثْلُ مَوْجِهِ وَدُرُّهُ يَخْكِي كَلَامَهُ ، لَوْ رَأَاهُ ابْنُ

= مَا يَعْرِفُ الشُّوقَ إِلَّا مَنْ يَكَابِدُهُ وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَاتِيهَا

(١) البيت للمتنبي ، في ديوانه ٢٤٥/٣ .

(٢) أَبُو الْقَاسِمِ ، عَلِيٌّ بْنُ مَتَجِبِ بْنِ سَلِيمَانَ الصَّيْرِفِيِّ ، تُوْفِيَ سَنَةَ ٥٤٢ هـ . (الوافي بالوفيات ٢٢٨/٢٢) .

(٣) ابْنُ دُنْيِيرٍ : هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ اللَّخْمِيِّ الْمَوْصِلِيِّ ، قُتِلَ لِفَسَادِ عَقِيدَتِهِ سَنَةَ ٦٢٧ هـ . (المقفى الكبير ٢٧٢/١) .

(٤) إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ ، أَدِيبٌ فَاضِلٌ ، اشتهر بصنعة الغناء ؛ تُوْفِيَ سَنَةَ ٢٣٥ هـ . (الوافي بالوفيات ٣٨٨/٨) .

نُبَاتَةٌ^(١) ما أَوْرَقَتْ بالفَصَاحَةِ أَعْوَادُهُ ، أَوْ ابْنُ الْمُثَنِّ^(٢) ما رُقِمَتْ بالبَلَاغَةِ
أَبْرَادُهُ ، أَوْ ابْنُ تَيْمِيَّةَ^(٣) ما حَطَّيْتُ بالْجُدُودِ أَجْدَادُهُ ، فَأَرَادَ أَنْ يُشَرِّفَ قَدْرِي ،
وَيُعَرِّفَ نُكْرِي ، فَطَلَبَ مِنِّي الإِجَازَةَ ، وَأَنَا أَحَقُّ بِالْأَخْذِ عَنْهُ ، وَاسْتَدْعَى ذَلِكَ
مَنِّي ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ .

فَنَعَمْ ؛ أَجَزْتُ لَهُ - فَسَحَ اللَّهُ فِي أَجَلِهِ - جَمِيعَ مَا يَجُوزُ لِي أَنْ أَرْوِيَهُ ، مِمَّا
هُوَ لِي بِإِجَازَةٍ أَوْ وَجَادَةٍ .

وذكرتُ في الإِجَازَةِ المذكُورَةِ ما رَوَيْتُهُ مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ ، وَمِنْ كُتُبِ
الْأَدَبِ ، وَذَكَرْتُ لَهُ جَمَاعَةً^(٤) مِنْ أَشْيَاخِي الَّذِينَ أَخَذْتُ عَنْهُمْ ، وَذَكَرْتُ لَهُ
عِدَّةَ تَصَانِيفِي إِلَى تَارِيخِ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ سَنَةِ ٧٥١ : [مَنْ الْوَافِر]

إِجَازَةٌ قَاصِرٌ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يَسِيرٌ مِنَ الرِّوَايَةِ فِي مَفَازَةٍ
لِمَنْ مَلَكَ الْفَضَائِلَ وَاقْتَنَاهَا وَحَازَ مَدَى الْعُلَا سَبْقاً وَجَازَةً

● وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ مُلْغِزاً فِي « دِينَارٍ » : [مَنْ الرَّجَز]

يَا فَاضِلاً مِنْ بَحْرِهِ كُلُّ الْوَرَى يَغْتَرِفُ
وَيَا خَطِيباً لَفْظُهُ دُرٌّ وَسَمْعِي صَدَفُ
إِذَا عَا مَنَّبَ رَهْ قُلْتُ : حَمَامٌ يَهْتَفُ
وَيَا شَهَاباً كَمْ بِهِ عَنَّا تَجَلَّ سُدَفُ

(١) ابن نباتة الفارقي : الخطيب أبو يحيى ، عبد الرحيم بن محمد ، صاحب الخطب المشهورة ؛ توفي
سنة ٣٧٤ هـ . (وفیات الأعيان ١٥٧/٣) .

(٢) ابن المثني : أحمد بن محمد بن منصور ، القاضي الإسكندراني ، له خطب مشهورة ؛ توفي سنة
٦٨٣ هـ . (فوات الوفيات ١٤٩/١) .

(٣) ابن تيمية : الإمام أحمد بن عبد الحلیم الحراني الحنبلي ، نزيل دمشق ، مجتهد قدوة ؛ توفي سنة
٧٢٨ هـ . (المنهج الأحمد ٢٤/٥) .

(٤) في م : جماعة الأدب من أشياخي .

مُنْكَرٌ مُعْرِفٌ	مَا مُفْرَدٌ مُذَكَّرٌ
وَالْجَمْعُ مِنْهُ يُضَرِّفُ	فِي جَمْعِهِ لَمْ يَنْصَرِفْ
وَضَرْبُهُ مُخْتَلِفٌ	عَرَوْضُهُ وَاحِدَةٌ
مَحَرِّفٌ مُشَرِّفٌ	مُحَمَّسٌ مُدَوِّرٌ
كَفٌّ جَلَاهَا التَّحْرِيفُ	مُنْقَشٌ وَمِنَا لُهُ
شَوْقًا لَهُ لَا تَطْرِيفُ	أَعْيُنًا مِنْ عَيْنِيهِ
تُوهِنُهُ وَتُضْعِفُ	أَصْفَرُ لَا مِنْ عَلِيٍّ
وَلَا يَرَاهُ التَّلَافُ	[٩ ب] وَلَيْسَ يَذْري مَا الْبَالِي
وِدْيُنُهُ لَا يُعْرِفُ ^(١)	وَنَارُهُ لَمْ تَلْتَهَبْ
سَعْدِ حَيَاةٍ يَكْفُ	بَيْتُهُ لَا بَرِّحْتَ فِي
ثِمَارُهُ نَقْطُفُ ^(٢)	وَدُمْتَ لِلْفَضْلِ الَّذِي

● فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك : [من الرجز]

لِعَبِيدِهِ يُشَرِّفُ	يَا وَاحِدًا فِي عَصْرِهِ
بَيْنَ الْوَرَى لَا يُخْلَفُ	وَيَا إِمَامًا عِلْمُهُ
بِأَرْضٍ مِضَرَّ يُعْرِفُ	إِنَّ الَّذِي أَلْغَزَتْهُ
كَيْفَ الْكَيْبِ الْمُذْنَفُ	تَهْوَى الْمُلُوكُ وَصَلَهُ
كَذَا الرَّيْبِ الْأَهْيَفُ	مُتَّيِّمٌ فِي عَشْقِهِ
وَمَا أَرَاهَا تُسْعِفُ	عُيُونُنَا فِي عَيْنِيهِ
لِمَسْمَعِي يُسَنِّفُ	وَحُسْنُهُ وَلَفْظُهُ

(١) في م : × وذهب لا يعرف .

(٢) في م : × ثمارُهُ نَقْطُفُ .

عُذْرًا لِعَبْدٍ فَهْمُهُ
عَنْ نَظْمٍ دُرٍّ صُغْتَهُ
مُرَصَّعٌ فِي ذَهَبٍ
فِي مِثْلِهِ فَسَيِّدِي
لَا زِلَّتْ فِي سَعَادَةٍ
يَقْصُرُ بَلْ يُضَعِّفُ^(١)
لِأَنَّ نَظْمِي صَدَفُ
مُوقَّعٌ مُؤَلَّفُ
يُلْغِزُ أَوْ يُصَحِّفُ
أَذِيالُهَا تُرْفَرِفُ

١٠ * أحمد بن عبد الله بن داود بن علي بن أحمد بن محمد^(٢) :

شهاب الدين البغدادي ، الكاتب المعروف بالمترجم .

● كَتَبَ تَقْرِيبًا عَلَى كِتَابِي « جِنَانِ الْجِنَاسِ »^(٣) : [من الرمل]

زَيْنَةُ الْمَرْءِ بَيَانُ الْمَنْطِقِ
وَأَخْصُ النَّاسِ فِيهِ رَجُلٌ
فِي جِنَانٍ مِنْ جِنَاسٍ زُخْرِفَتْ
أَوْدَعَتْهَا كَفُّهُ فِي دَعَاةٍ
نَاطِمًا أَحْرَفُهُ فِي أَشْطَرِ
كَنْظَامِ الدُّرِّ مِنْ أَنْوَاعِهِ
رَاكِبٌ أَسْوَدُهَا أَبْيَضُهَا
فَبَيَاضٌ فِي سَوَادٍ حَالِكٍ
مُقَرَّنًا مِنْهُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ
نَظْمَ الْحِكْمَةِ نَظْمَ النَّسَقِ
بِحَسَانٍ مِنْ لِسَانٍ ذَلِيقٍ
وَأَمَانٍ فِي بَطُونِ الْوَرَقِ
ذَاهِبًا فِيهَا لِأَسْنَى الطَّرِيقِ
زَيْنَةُ فِي صَفَحَاتِ الْعُنُقِ
كَرْكُوبِ اللَّيْلِ مَتْنِ الشَّفَقِ^(٤)
وَسَوَادٌ فِي بَيَاضٍ يَقَقُ^(٥)

(١) في ب ، س ، م : × يقصرُ لا بل يضعفُ .

(٢) ترجمته في : الوافي بالوفيات ١٤٠/٧ .

- قال المؤلف في الوافي : وآخر عهدي به في سنة خمس وأربعين وسبعمئة بدمشق ، ثم توجه إلى القاهرة .

(٣) القصيدة في الوافي .

(٤) في ب ، س ، والوافي : راكباً . . . × .

(٥) في ب : . . . حالِكٍ × .

نَطَقَتْ وَهِيَ جَمَادُ كُلِّهَا
 حَمَلْتَنَا بَعْدَهُ أَلْفَاظُهُ
 كُلَّ مَعْنَى دَقَّ فِيهَا فَاخْتَفَى
 فِي افْتِرَاقٍ وَاتِّفَاقٍ قَضَاهُ
 كَمَنْتَ فِطْنَتُهُ فِيهَا كَمَا
 أَتَّيَّهَا الطَّالِبُ يَبْغِي شَأْوَهُ
 لَسْتُ تَدْرِي مَنْ تُجَارِي فَاتَّيَّدُ
 وَبَنُو الْفَضْلِ مَتَى جَارَاهُمْ
 هَكَذَا الْمَعْنَى فَكُنْ مُحْتَفِلًا
 أَيُّ نَارٍ لِخَلِيلٍ أَضْرَمَتْ
 قَلْبَتْ رَوْضًا أَرِضًا أَنْفًا
 فِيهَا أَفْكَارُنَا فِي سَنَةٍ
 سَحَرَ النَّاسَ بِهَا مَنَظْمَتُهُ
 زِدْهُمْ سِحْرًا وَلَا تَزِرْ لَهُمْ
 لَوْ وَعَى نَظْمَكَ قُسٌّ لَمْ يَقُلْ :
 دُمْتَ لِلنَّاسِ صَاحِبًا مَا شَدَتْ

وَعَجِيبُ نَظْمٍ مَنْ لَمْ يَنْطِقِ
 فِي اضْطِلَاحِ الشَّعْرِ مَا لَمْ يُنْطِقِ
 عَنْ سَنَا الْفِكْرِ وَنُورِ الْحَدَقِ
 فَاعْنِ بِالْمُفْتَرِقِ الْمُتَّفِقِ
 كَمَنْتَ أَشْخَاصُنَا فِي الْعَلَقِ
 حَكَمَ الْعِلْمُ بِأَنْ لَمْ يُلْحَقِ^(١)
 أَنْتَ وَالْبَرْقُ مَعًا فِي طَلَقِ
 غَيْرُ ذِي الْفَضْلِ يَقِينًا يُسَبِّقِ
 وَكَذَا الْأَلْفَاظُ فَاسْمَعْ وَدَقِ
 حَذَرًا مِنْهَا وَإِنْ لَمْ تُحْرِقِ
 أَرْجِ الْأَزْجَاءَ بِالْفَضْلِ سُقِي
 وَبِهَا أَعْيُنُنَا فِي أَرْقِ
 فَأَعَادُوهُ بِرَبِّ الْفَلَقِ
 فَهَوَ ذَنْبٌ إِيْمُهُ فِي عُنْقِي
 أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمَعُوا مِنْ مَنَظْمَتِي
 فَوْقَ غَضَنِ صَادِحَاتِ الْوُرُقِ

● فكتبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ مُخْتَصَرًا^(٢) : [من الرمل]

أَرِيحِينَ أَتَتْ فِي طَبَقِ
 [١٠] أَمْ غُصُونٌ مِنْ سُطُورٍ قَدْ شَدَتْ
 أَمْ تُغُورٌ بَسَمَتْ عَنْ شَنْبِ
 عَزَفُهَا سَارٍ إِلَى الْمُتَشَقِّ^(٣)
 فَوْقَهَا الْأَطْيَارُ بَيْنَ الْوُرُقِ
 أَمْ نُجُومٌ قَدْ بَدَتْ فِي غَسَقِ

(١) في م : × . . . لم تلحق .

(٢) القصيدة في الوافي .

(٣) في س : × . . . سارٍ لمتشَقِّق .

أَمْ عُقُودٌ وَيَدُ الْإِحْسَانِ قَدْ جَبَرَتْ عُطْلِي فَزَانَتْ عُنُقِي
هَكَذَا الظُّمُّ الَّذِي رَوَّنَقَهُ لِسَوَى مَوْلَايَ لَمْ يَتَّفِقِ
طِرْسُهُ صَفْحَةً خَبْدًا أَبْيَضٍ وَلَهُ النَّفْسُ سَوَادُ الْحَدَقِ
قُلْتُ لِلْخِلِّ وَقَدْ عَايَنَهُ هَكَذَا الشُّكْرُ يُهْدَى فَذُقِ
ثُمَّ لَمَّا ذَاقَهُ اهْتَزَّ لَهُ كَنَدِيمِ صَفْوَةِ الرَّاحِ سُقِي
قَالَ : هَذَا سُكَّرٌ أَوْ مُسْكِرٌ قُلْتُ : بَلْ هَذَا وَذَا فِي نَسَقِ
دُمْتَ يَا فَزْدَ الْوَرَى فِي فَنِّهِ تَبَعْتُ الْبُسْتَانَ لِي فِي الْوَرَقِ

١١ * أحمد بن علي بن محمد^(١) :

القاضي ، الكاتب ، المنشئ ، نجم الدين ابن الشيخ علاء الدين بن
القاضي شمس الدين بن غانم .

كاتب الإنشاء الشريف بالشام المحروس .

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مِنْ دِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ وَأَنَا بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ^(٢) : [من

الكامل]

بِي فِي الضَّمِيرِ مِنَ الْفِرَاقِ ضِرَامٌ وَهَوَى يُهَيِّجُهُ جَوَى وَغَرَامٌ^(٣)
مُذْ غَابَ عَنِّي مَنْ أَلْفَتْ دُنُوهُمْ وَنَبَا بِهِمْ بَعْدَ الْمَقَامِ مَقَامٌ
وَاسْتَوَطَّنُوا مِصْرَ الَّتِي طَابَتْ لَهُمْ دَاراً وَأَيْنَ دِيَارُهُمْ وَالشَّامُ
سَمَحَتْ بِهِمْ أَيْدِي النَّوَى وَاسْتَرْجَعَتْ فَكَأَنَّمَا سَمَحَتْ بِهِمْ أَحْلَامُ

(١) ترجمته في : الذيل على العبر ٢٧٤/١ وأعيان العصر ٣٠١/١ والدرر الكامنة ٢١٩/١ ودرر العقود
الفريدة ٣٥٥/١ .

- وفاته سنة ٧٥٨ هـ .

(٢) ستة أبيات من هذه القصيدة في درر العقود .

(٣) في م : لي في الضمير × .

أَمْ هَلْ تُرَى لِي مَعَهُمْ إِمَامٌ
وَالنَّوْمُ بَعْدَهُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ
وَأَرَاهُ عَيْنِدَا كُلُّهُ لَوْ دَامُوا
مُتَهَلِّلًا بِدُنُوهِمْ بَسَامٌ^(١)
جَهْمٌ وَسُحْبُ الْمُبْهَجَاتِ جَهَامٌ
فَضِيَاؤُهَا فِي نَاطِرِي ظَلَامٌ
فَعَلَيْهِمْ وَعَلَى الشُّرُورِ سَلَامٌ
دَمْعٌ يَقْرُحُ مُقْلَتِي وَهِيَامٌ
فَكَأَنَّهُمَا وَحَيَاتِكُمْ أَغْوَامٌ
مَنْ فَارَقَ الْأَخْبَابَ كَيْفَ يَنَامُ
لَمْ تَبَقَ فِيهِ بِشَاشَةٌ تُسَامُ

أَتُرَى يَعُودُ بِهِمْ زَمَانٌ قَدْ مَضَى
غَابُوا فَلَمْ تَطِبِ الْحَيَاةُ لِبَيْنِهِمْ
وَالدَّهْرُ كَانَ بِهِمْ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ
كَانَ الزَّمَانُ بِهِمْ رَبِيعاً وَجْهَهُ
وَنَاوَا فَقَطَّبَ بِالْفِرَاقِ فَوَجْهَهُ
لَا أَوْحَشْتُ دَارَ خَلْتُ مِنْ أُنْسِهِمْ
يَا غَائِبِينَ نَأَى الشُّرُورُ لِبَيْنِهِمْ
لِي كُلَّمَا هَجَعَ الْخَلِيٌّ مِنَ الْهَوَى
طَالَتْ لِهَجْرِكُمْ اللَّيَالِي وَخَشَةَ
وَحَيَاتِكُمْ مَا نِمْتُ مُذْ فَارَقْتُكُمْ
نَاشَدْتُكُمْ عُودُوا عَلَى مُتَأَسِّفٍ

● فكتبْتُ أَنَا الجَوَابَ إِلَيْهِ : [من الكامل]

وَعَدَتْ بُدُورُ الْأَفَقِ وَهِيَ تَمَامٌ^(٢)
مِنْ خَلْفِهِ فِي شَوَاطِئِ الْأَقْلَامِ
مِمَّنْ يُعَانِيهِ وَأَنْتَ إِمَامٌ
رَوْضٌ وَمَعْنَاهَا الْبَدِيعُ حَمَامٌ
فِيهَا تَأَنَّيَ جُهِدُهُ النَّظَامُ
قَدْ ذُرُّ مِنْ مِسْكِ الْخِتَامِ خِتَامٌ
فَمِنْ الْكَلَامِ إِذَا اعْتَبَرْتَ مُدَامٌ

وَأَفَى كِتَابُكَ فَاسْتَنَارَ ظَلَامٌ
يَا كَاتِباً كَبَتْ الْعِدَى لَمَا كَبَتْ
صَلَّى وَرَاءَكَ فِي الْقَرِيبِ جَمَاعَةٌ
أَهْدَيْتَ لِي طَرَساً سَطُورَ بَيَانِهِ
فَكَأَنَّمَا تِلْكَ الْحُرُوفُ جَوَاهِرُ
لَا بَلْ كُؤُوسٌ مُدَامَةٍ مِنْ فَوْقِهَا
لَا يَدْعُ إِنْ مَالَتْ بِعِظْفِي نَشْوَةٌ

(١) في ا : × متهلل بدونهم بسام ! . وفي ب : × متهللاً بدنو بهم بسام ! . وفي م : × متهلل
بدنؤهم . . . والمثبت من س .

(٢) في ب : × وبدت بدور . . .

يا ساكنين دِمَشْقَ لي فيكُم وإن
بَيْنِي وَبَيْنَكُم إِذَا حَقَّقْتُم
بِحَيَاتِكُم راعوا الودادَ فَإِنَّكُم
وَتَذَكَّرُوا تلكَ اللَّيَالِي التي
يا بُعْدَ ما أَرْجُوهُ من دَهْرِي وإلا... أَيْنَ مِصْرُ من اللِّقَا والشَّامِ
أَمَّا أنا فَإِنِ اسْتَمَرَّ الحالُ في جَوْرِ النَّوَى فَعَلَى الحَيَاةِ سَلامُ

[١٠ب] يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي وُرُودَ الْمُشْرِفِ الْكَرِيمِ ، فَوَقَفَ لَهُ قَائِمًا ،
وَدَخَلَ بَحْرَ عَجَائِبِهِ عَائِمًا ، وجعل طائرُ قَلْبِهِ يُرْفِرُ عَلَى زُلَالٍ لَفْظِهِ حَائِمًا ،
وَسَرَّحَ طَرْفَهُ فِي رِياضِ سُطُورِهِ سَائِمًا ، وفي تَأَلُّفِ بُرُوقِهِ شَائِمًا ، وغالطَ نَفْسَهُ
وقد رَأَهُ يَقْظَةً فَقَالَ : إِنَّهَا رُؤْيَا مَنْ كَانَ نَائِمًا ، وأَجْمَعَ مَنْ رَأَاهُ عَلَى أَنَّهُ فَرْدٌ فِي
المَحَاسِنِ ، فلم يَجِدْ عَلَى وَضْفِهِ فِي الْمُغَالَاةِ لَائِمًا ، وأُطْلِقَ دَمْعُهُ ، وَقَيَّدَ قَلْبُهُ ،
فَرَّاحَ ذَلِكَ هَامِيًا دَائِمًا ، وهذا هَائِمًا دَائِمًا ، فَيَا لَهُ مِنْ وَاوِدٍ وَرَدَّ خَدَّ الزَّمَنِ ، وَرَدَّ
عَلَى الْأَجْفَانِ مَا شَرَّدَ مِنَ الْوَسَنِ ، وَسَرَّ نَفْسَ الْمَمْلُوكِ بِرُؤْيَيْتِهِ ، ولا سُورَ مَنْ
بَلَغَ الْوَطَرَ فِي الْوَطَنِ ، وانتهى إِلَى مَا فِيهِ مِنَ الْعَتَبِ ، فَالَّذِي يَتَسَمَّحُ يَقُولُ :
حديثٌ ضَعِيفٌ ، والذي يَتَسَمَّحُ يَقُولُ : حديثٌ حَسَنٌ ؛ ثُمَّ إِنَّهُ رَجَعَ إِلَى مَا أَلْفَتَهُ
نَفْسُهُ الدَّلِيلَةَ ، وقالَ : على كُلِّ حالٍ أُمُّ عَمْرٍو جَمِيلَةٌ^(١) : [من البسيط]

هذا عِتَابُكَ إِلَّا أَنَّهُ مِقَّةٌ قد ضُمِّنَ الدُّرُّ إِلَّا أَنَّهُ كَلِمٌ

● وَكُتِبَتْ إِلَيْهِ وَأَنَا بِمَرْجِ الْعُسُولَةِ^(٢) : [من الكامل]

(١) هذا شطر بيت سيأتي في الترجمة (٢١) وتماهه :
على كُلِّ حالٍ أُمُّ عَمْرٍو جَمِيلَةٌ وإن لبست خُلُقَانَهَا وَجَدِيدَهَا
والبيت الآتي للمتنبي ، في شرح ديوانه المنسوب للعكبري ٣/ ٣٧٤ .
(٢) الأبيات في أعيان العصر .

مَوْلَايَ نَجْمَ الدِّينِ يَا مَنْ فَضَّلَهُ قَدْ عَمَّنِي بِخَصَائِصِ الْإِحْسَانِ
أَوْحَشْتَنِي فِي سَفَرَةٍ فَضَّيْتُهَا بِالْمَرْجِ مُتَفَرِّدًا عَنِ الْخِلَآنِ
فَبَكَيْتُ لَمَّا أَنْ ذَكَرْتُكَ بِالْدِّمَا حَتَّى مَلَأْتُ الْمَرْجَ بِالْمَرْجَانِ

● فكتبَ هو إليَّ الجوابَ من دمشق المحروسة^(١) : [من الكامل]

شَوْقِي صَلَاحَ الدِّينِ نَحْوَكَ لَمْ يَزَلْ مَعَ فَرْطِ وَجْدِي آخِذَا بِعِنَانِي
أَوْحَشْتَ عَيْنِي مُنْذُ سِرَتْ وَلَمْ تَزَلْ وَاللَّهِ يَا مَوْلَايَ نَضَبَ عِيَانِي
رَاسَلْتَنِي بِلَطَائِفِ يَاسُ حُسْنَهَا هِيَ فِي الضَّمِيرِ رَسَائِلُ الْإِخْوَانِ
لَا كَانَ هَذَا الْمَرْجُ أَجْرِي عِبْرَتِي فِي الْخَدِّ كَالْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ^(٢)
لَمَّا بَكَيْتُ الْخَلَّ صَارَ الدَّمْعُ فِي عُنُقِ الْمُحِبِّ « قَلَائِدُ الْعِقْيَانِ »

● وكتبْتُ أَنَا إِلَيْهِ وَقَدْ انْقَطَعَ عَنِ الدِّيَوَانِ مُدَّةً^(١) : [من الطويل]

أَمْوَلَايَ نَجْمَ الدِّينِ أَوْحَشْتَ خَاطِرًا لِبُعْدِكَ بَعْدَ الْقُرْبِ وَالْأَنْسِ دَائِبُ
فَنَارُ الْجَوَى لَمْ يُطْفِئْهَا مِنْ مَدَامَعِي بِفَقْدِكَ لَمَّا غَبَّتْ عَنِّي السَّحَابُ^(٣)
وَقَدْ أَظْلَمَ الدِّيَوَانُ بَعْدَكَ وَخَشَّةً وَمَا حَالُ أَفْقِي نَجْمُهُ عَنْهُ غَائِبُ

● فكتبَ هو الجوابَ إليَّ عن ذلك^(١) : [من الطويل]

أَيَا مَالِكًا لِي مِنْ عُلَاهُ رَغَائِبُ وَفِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ نَدَاهُ غَرَائِبُ
أَتَتْنِي أَبْيَاتُ حِسَانٍ لَطَائِفُ فَقَلْبِي عَلَيْهَا دَائِمُ الْوَجْدِ ذَائِبُ
وَأَنْتَ الَّذِي مَا زِلْتَ فِي أَبْحَرِ النَّدَى لَنَا مِنْ أَيَادِيكَ الْكِرَامِ عَجَائِبُ^(٤)

(١) الأبيات في أعيان العصر .

(٢) في أ : × في الخدين . . . ! .

(٣) في ب ، س : × لفقدك . . .

(٤) في ب ، س : وَأَنْتَ الَّذِي مَا زِلْتَ كَالْبَحْرِ فِي الْوَرَى × .

● وكتبْتُ أَنَا إِلَيْهِ وَقَدْ وَعَدَنِي بَأَن يَرِبَطَ لِي بَغْلَةً عَلَى حَشِيشٍ عِنْدَهُ فِي

الرَّبِيع^(١) : [من الخفيف]

بَغْلَتِي هَذِهِ تُرِيدُ حَشِيشاً مَا أَنَا وَزَنَهُ بِعَقْلِي الْمَعِيشِي
فَاضْطَنَعْنِي فَإِنَّ كُلَّ مَلِكٍ وَوَزِيرٍ فِي حَمْلٍ هَمَّ الْحَشِيشِي^(٢)

● فكتبَ هُوَ الْجَوَابَ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ^(١) : [من الخفيف]

يَا إِمَاماً قَدْ حَارَ كُلَّ الْمَعَانِي طُولَ دَهْرِي إِلَيْهِ كُلُّ هَشِيشِي
إِنَّ ذَاكَ الْحَشِيشَ صَارَ يَبِيساً فَرَاعَاهُ يَا مَالِكِي إِكْدِيشِي

● وكتبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مُلْغِزاً فِي « تَمِيم »^(٣) : [من السريع]

مَوْلَايَ نَجْمَ الدِّينِ يَا مَنْ لَهُ جَلِيلٌ وَدُّهُ وَهُوَ أَزْكَى حَمِيمٍ^(٤)
مَا اسْمُ رُبَاعِيٍّ لَهُ أَوَّلٌ إِنْ زَالَ عَنْهُ لَمْ تَجِدْ غَيْرَ مِيمٍ

● فكتبَ هُوَ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ^(٣) : [من السريع]

[١١] مَوْلَايَ قَدْ قَلَّدْتَ جِنْدِي حُلِيَّ مِنْ جَوْهَرِ اللَّفْظِ بِعَقْدِ نَظْمٍ
أَهْدَيْتَهُ مِنْ بَخْرِ عِلْمٍ لَهُ ذَخَائِرُ وَالْقَلْبُ فِيهَا يَهْيَمُ
مَوَّهَتْ مَعْنَاهُ فَتَمَّ الْعَنَا وَالْبَدْرُ يَسْبِي مِنْهُ تَاءٌ وَمِيمٌ

● وكتبَ هُوَ إِلَيَّ أَيْضاً ، وَقَدْ كَانَ حَصَلَ لَهُ ضَعْفٌ : [من المجتث]

مَوْلَايَ عُذْرًا فَإِنِّي أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ مُلْقَى
وَكَيْفَ لَا يَلْتَقِي مَنْ أَضْنَاهُ حُبُّكَ عِشْقَا

(١) البيتان في أعيان العصر .

(٢) في ب : × ووزير في هم حمل الحشيش ! .

والمراد من الحشيشي : جماعة الحشاشين المعروفين بالاغتيال لرجال ذلك العصر .

(٣) البيتان والجواب عنهما في أعيان العصر والذرة الكامنة .

(٤) في م : × خليل ود . . .

فَإِنْ تَكُنْ لِي حَيَاةً أَذِيتَ فَرَضَكَ حَقًّا
وَإِنْ تَكُنْ ثُمَّ أَخْرَى « تَعِيشُ أَنْتَ وَتَبْقَى »^(١)

يُقَبِّلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي أَنَّهُ لَا يَسْأَلُ مَوْلَانَا : كَيْفَ انْقَضَتْ لَيْلَتُهُ مِنَ الْأَلَمِ ؟
دَفَعَ اللَّهُ عَنْ مَوْلَانَا مَا يُحَاذِرُهُ ؛ وَالْمَرْجُوُ حُصُولُ اللَّطْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَكَانَ
الْمَمْلُوكُ قَدْ تَخَيَّلَ الْبَارِحَةَ فِي الزَّهْرِ شَيْئًا ، وَمَا يَعْلَمُ هَلْ هُوَ صَحِيحٌ أَوْ فَاسِدٌ ،
وَقَدْ نَظَّمَهُ ، وَهُوَ : [من البسيط]

انْظُرْ إِلَى الزَّهْرِ كَيْفَ قَدْ جُلِّيَتْ عَرُوسُهُ وَكَسَاهَا مِنْ بَدَائِعِهِ^(٢)
كَأَنَّهُ حِينَ زُقَّتْ نَحْوُهُ فَرَحًا قَدْ أَوْقَدَ الْعَشْرَ يُشْرِئُ مِنْ أَصَابِعِهِ

● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مُلْغِزًا^(٣) : [من الطويل]

أَلَا خَبَّرُونِي عَنْ صَلَاةِ امْرِئٍ غَدَتْ يَحَارُ بِسَيْطٍ عِنْدَهَا وَوَجِيزُ
تَجَوُّزُ إِذَا صَلَّى إِمَامًا وَمُفْرَدًا وَإِنْ كَانَ مَأْمُومًا فَلَيْسَ تَجَوُّزُ

● فَكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ : [من الطويل]

أَيَا سَيِّدًا قَدْ زَانَ أَهْلَ زَمَانِهِ يَمَا يَفْتَنِيهِ فِي الْعُلَا وَيَحُورُ
لَهُ كُلُّ عِلْمٍ قَدْ تَدَانَتْ فُرُوعُهُ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ حُرُورُ
بِهِ قَلَمُ الْإِنْشَاءِ أَصْبَحَ كَاتِبًا وَمِنْهُ يَمَا تَحْوِي يَدَاهُ يَقُورُ

(١) العجز مضمّن من قول أبي الحسين الجزار بعد موت حمارة : [الغيث المسجم ٢٣٤/٢]

كَمْ مِنْ جَهْلٍ رَأَيْتُ أَمْشَى لِأَطْلَبِ رَزَقًا
فَقَالَ لِي : صِرْتُ تَمْشِي وَكُلُّ مَاشٍ مُلْقَى
فَقُلْتُ : مَاتَ حِمَارِي تَعِيشُ أَنْتَ وَتَبْقَى
أَوْ مِنْ بَيْتِ الْبَهَاءِ زَهِيرٍ : [ديوانه ١٨٧]

تَعِيشُ أَنْتَ وَتَبْقَى أَنَا الَّذِي مِثُّ حَقًّا

(٢) فِي صَدْرِ الْبَيْتِ خَلَلَ عَرُوضِي . وَيَصِحُّ لَوْ قَالَ : انْظُرْ إِلَى الزَّهْرِ كَيْفَ قَدْ [لَهُ] جُلِّيَتْ . ×

(٣) الْبَيْتَانِ مِنْ قَصِيدَةٍ كَتَبَهَا الْمُؤَلِّفُ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ عَلِي السُّبْكِيِّ - وَشَأْنِي فِي تَرْجُمَتِهِ بَعْدَ هَذِهِ التَّرْجُمَةِ

بِرَقْمِ ١٢ - وَهِيَ فِي الْوَافِي ٧/ ٢٥٠ وَنُكْتُ الْهَمِيانَ ٤٩ تَتَضَمَّنُ لَغْزًا فِي صَلَاةِ الْأَعْمَى الْأَصَمِّ .

لَغَزَتْ الَّذِي فِي الصُّورَتَيْنِ صَلَاتُهُ
فَأَرْسَلْتُ فِكْرِي لَيْلَةً فِي بِلَاغَةٍ
فَأَصْبَحْتُ كَالْأَعْمَى بِهِ صَمَمٌ غَدَا
تَجَوَّزُ وَفِي حَالٍ فَلَيْسَ تَجَوُّزُ
لَهَا فِي مَعَالِي الْمَشْرِقَيْنِ بُرُوزُ
لَهُ مِنْ دَوَامِ الْفَهْمِ مِنْكَ كُنُوزُ^(١)

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ وَقَدْ انْقَطَعَتْ عَنِ الدِّيَّانِ^(٢) : [من الكامل]

أَصْبَحْتُ فِي الدِّيَّانِ وَخُذِي فِي عَنَاءٍ
كُنَّا بِهِ مُسْتَأْمِنِينَ وَلَفْظُنَا
وَبِهِ صَلَاحٌ لَمْ يَزَلْ مَعَ عِلْمِهِ
فَنَأَى فَصِرْتُ عَلَى الْهَلَا مُسْتَوْقِفًا
وَبَلَوْتُ أَقْوَامًا لَبِسْتُ لِأَجْلِ مَا
وَأَذَى أَرَاهُ بِخَاطِرِي وَبِعَيْنِي
مِنْ لُطْفِهِ يُدْعَى بِذِي السَّجْعَيْنِ^(٣)
تُرَوَّى عَوَالِيهِ عَلَى السَّمْعَيْنِ
أَبْكِي عَلَى مَا فَاتَ بِالْذَّمْعَيْنِ
أَخْشَاهُ مِنْ تَنْكِيدِهِمْ دِرْعَيْنِ

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ^(٤) : [من الكامل]

حَاشَاكَ تَصْبِيحُ فِي عَنَاءٍ أَوْ فِي ضَنْئٍ
وَالْقَضْدُ أَنْ تُمْسِيَ وَتُصْبِحَ سَالِمًا
وَإِذَا سَلِمْتَ وَدُمْتَ لِي مَا ضَرَّنِي
أَذْرِي مَحَبَّتَكَ الَّتِي صَحَّتْ وَمَا
مِنْ صِدْقٍ وَدَّكَ تَشْتَكِي وَتَوُدُّ لَوْ
مَا هَذِهِ الْفِتْنُ الَّتِي إِنْ أُخِمِدَتْ
فَكَأَنَّهَا الْفِتْنُ الَّتِي تُحْكِي لَنَا
أَلْقَى الْعِدَى وَخُذِي وَمَا دِرْعِي سِوَى
نَفْسِي فِدَاؤُكَ فِي الْوَرَى مِنْ ذَيْنِ
فِي صِحَّةٍ ثَبَّتَ قَرِيرَ الْعَيْنِ
مَنْ رُحْتُ أَفْقُدُهُ مِنَ الْحَيَيْنِ
رُمِيتَ بِشَيْءٍ فِي الْوَرَى مِنْ شَيْنِ
أَصْلَحْتَ مَا بَيْنَ الزَّمَانِ وَبَيْنِي
نَارٌ أَجَدَّتْ بَعْدَهَا نَارَيْنِ
فِيمَا مَضَى مِنْ فِتْنَةِ الْحَكَمَيْنِ^(٥)
صَبْرٌ تَنَاهَبَهُ ظُبَا الْجَمْعَيْنِ

(١) في ب : × له من دوام الفكر . . . وما بعد ذلك ساقط من س .

(٢) القطعة في أعيان العصر ٣٠٥/١ .

(٣) في م : × من نطقه . . .

(٤) القصيدة في أعيان العصر .

(٥) يشير إلى ما حدث من التحكيم بين الإمام عليٍّ ومعاوية ، رضي الله عنهما .

يا دَهْرُ كُفَّ فَقَدْ كُفَيْتَ فَمَا أَنَا
وَمَنْ الَّذِي لَمْ يَهْتَضِمْهُ زَمَانُهُ
دَعَا فإِقبالِي عَلَى شَأْنِي غَدًا
ما بَعْدَ هَذَا الشَّيْبِ وَالسَّنُّ الَّتِي
وَاللَّهُ أَعَدَّ حَاكِمَ بَيْنَ الْوَرَى

● وَكُنْتُ قَدْ كَتَبْتُ إِلَى الْقَاضِي الْمَخْدُومِ نَاصِرِ الدِّينِ ، كَاتِبِ السَّرِّ
الشَّرِيفِ ، وَقَدْ تَخَلَّفْتُ عَنِ التَّوَجُّهِ إِلَيَّ الْمَرْجُ صُخْبَةَ الْمَوَالِي الْمُوقَّعِينَ : [مَنْ

مَجْزُوءُ الرِّمْلِ]

إِنَّ لِي فِي الْمَرْجِ سَادَةً
يَفْعَلُونَ الْخَيْرَ دَأْبًا
وَإِذَا جَادُوا يَفْضُلُ
قَدْ بَنَوْا لِلْمَجْدِ صَرْحًا
فَإِذَا غَابُوا وَفَاؤُوا
بِحُلُومٍ لَا تُبَارَى
لَمْ يَكُنْ قَطُّ بِعَادِي
لَكِنْ الدَّهْرُ إِذَا حَطَّ
وَإِذَا كَانُوا بِخَيْرٍ
أَوْحَشُوا دَارَ السَّعَادَةِ
رَغْبَةً غَيْرَ زَهَادَةٍ
قَرَنُوا بِالْإِجَادَةِ
أَسَّسُوا بِالسَّيَادَةِ
مَالُوا الدُّنْيَا إِفَادَةً
وَعُلُومَ لَا تُبَادَى
أَبَدًا عَنْهُمْ بِعَادَةِ
حَطَّ عَلَى حَظِّ أَبَادَةٍ
فَهُوَ قَصْدِي وَزِيَادَةِ

● فَكَتَبَ الْمَوْلَى نَجْمُ الدِّينِ الْجَوَابَ فِي غَيْرِ الْبَحْرِ : [مَنْ مَجْزُوءُ الْكَامِلِ]

يَا مَنْ لَهُ الْإِحْسَانُ عَادَةٌ
يَا مَنْ زَكَّتْ أَعْمَالُهُ
حُزِنَتِ الرِّئَاسَةُ وَالسِّيَادَةُ
وَصَلَاتُهُ فِيهَا الزِّيَادَةُ

(١) فِي م : × . . . مِنْ دَيْنٍ .

يَا مَنْ دَنَا مِنْ قَابِ قَوْ
نُلْتَ الْفَضَائِلَ وَالْوَسَا
بِاللَّهِ أَقْسَمُ أَنَّ مِنْهُ
أَوْحَشَتْ مُقْلَةً مُغْرَمَ
وَجَرَتْ مَحَاجِرُهُ دَمًا
وَنَفَى بِعَادُكَ وَالَّذِي
مَوْلَايَ رِفْقًا بِالَّذِي
وَالدَّهْرُ لَا يَزْنِي لَهُ
فَعَلَيْكَ مَنْ دُونِ الْعَشِي
وإِلَيْكَ أَلْقَى يَا مُنْذِرَ
جَاءَتْ قَصِيدَتُكَ الَّتِي
تُجَلَّى عَرُوسًا قَدْ غَدَتْ
وَتَضَمَّنَتْ وَصَفَ الَّذِي
فَنَشَقْتُ نَشْرَ عَيْبِهَا
وَوَدَدْتُ تَقْيِيلَ الْحُرُ

سَيْنِ الْوَفَاءِ إِلَى الْوِفَادَةِ
ئِلَّ وَالْعِبَادَةِ وَالزَّهَادَةِ
لَكَ مَا حَوَتْ دَارُ السَّعَادَةِ
وَأَذْبَتَ مِنْ أَسْفِ فُؤَادِهِ
أَجْرِي الشَّهَادُ بِهَا مِدَادِهِ
تَذْرِيه مِنْ حَالِ رُقَادِهِ
حَقَّقْتَ بِالْحُبِّ اعْتِقَادَهُ
أَيْضًا وَلَمْ يُزَكِّ عِنَادَهُ^(١)
رَّةَ فِي الدُّنَا أَلْقَى اعْتِمَادَهُ
بِ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ انْقِيَادَهُ
يَقْضِي بِهَا دَنْفُ مُرَادِهِ
شَمْسُ النَّهَارِ لَهَا قِلَادَهُ
قَدْ زَانَهُ رَبِّي وَزَادَهُ
وَجَعَلْتُ مِسْمَهَا وَسَادَهُ
فِ وَسَيِّدِي يُثَقِّي وَدَادَهُ

● فكتبتُ أنا الجوابَ إليه على هذا الوزنِ : [من مجزوء الكامل]

يَا مَنْ إِذَا أَبْدَى جِلَادَهُ
بِأَفَارِسًا أَقْلَامُهُ
وَالصُّبْحُ أَشْبَهَ طِرْسَهُ
مَا خَطَّ سَطْرًا قَطُّ إِلَى

لَمْ تَبْقَ فِي قَرْنِ جِلَادِهِ
يَوْمَ الطَّعَانِ غَدَتْ جِعَادَهُ
وَاللَّيْلُ قَدْ حَاكَى مِدَادَهُ
لَا زَفَّ لِلْأَبْصَارِ غَادَهُ

(١) في م : × . . ولم يترك عناده .

أَخَذَ الْكَوَكِبَ فِي الدُّجَى
 مَوْلَايَ نَجْمَ الدُّيْنِ يَا
 جَاءَتْ قَصِيدَتُكَ الَّتِي
 حَيْثُ فَأَخِيْتُ مُغْرَمًا
 وَالذَّمْعُ عَنْ مَطَرٍ رَوَى
 عَنْ وَاقِدِي ضُلُوعِهِ
 فَاسْتَقْنَذْتَهُ مِنَ الْجَوَى
 غَرَاءُ حَالِيَةِ الطُّلَى
 نَاجَتْ بِلَفْظٍ قَدْ حَلَا
 بِفَصَاحَةٍ وَبِإِلَافَةٍ
 وَعَبِيدُ أَصْبَحَ عَبْدَهَا
 وَيُعَدُّ مِنْ أَجْنَادِهَا
 رَفَقَتْ حَوَاشِيهَا فَطَا
 قَسْرًا وَنَظَمَهَا قِلَادَةً
 قَمَرِ الرِّئَاسَةِ وَالسِّيَادَةِ
 أَهْدَتْ إِلَى طَرْفِي رُقَادَةً
 قَدْ فَازَ بَعْدَكَ بِالشَّهَادَةِ
 وَالْجَفْنُ حَدَّثَ عَنْ قَتَادَةَ^(١)
 عَنْ مِسْعَرٍ أَزْكَى فُؤَادَةَ^(٢)
 وَرَنَتْ إِلَيْهِ بِمَا أَرَادَهُ
 نَظْرِي مُحَاسِنَهَا عِبَادَةَ
 أَدَّى لَهُ الشَّهَادَةُ الشَّهَادَةَ
 تَزْمِي لَيْدًا بِالْبَلَادَةِ
 وَابْتِحَرِي أَبُو عُبَادَةَ
 إِنْ كَانَ تَرْضَاهُ جُنَادَةَ^(٣)
 رَلِحْسَتَهَا ابْنُ أَبِي جَرَادَةَ^(٤)

- (١) التورية في الشطر الأول ، بين المطر وبين مطرٍ راوٍ للحديث ؛ وفي رجال للحديث غير واحد ممن يُسمى بمطر ، وليس المقصود شخصاً بعينه .
 والفتاد في الشطر الثاني : شجر صلب له شوكة كالإبر . (القاموس) ولعل الإشارة إلى فتادة بن دعامة السُّدُوسِي ، تابعي ، توفي سنة ١١٧ هـ . (الوافي ٢٤ / ١٩١) .
 (٢) الواقد : مشعل النار . والواقدي : محمد بن عمر بن واقد الأسلمي ، الإمام المدني ؛ توفي سنة ٢٠٧ هـ . (الوافي ٤ / ٢٣٨) .
 والمِسْعَرُ : ما أوقد به النار . ومسعر بن كدام ، الهلالي الكوفي الحافظ ؛ توفي سنة ١٥٥ هـ . (الوافي ٢٥ / ٤٩٢) .
 (٣) لعل الإشارة إلى جُنَادَةَ بن محمد الأزدي الهروي اللُّغوي ، العلامة الأديب ؛ قتله الحاكم سنة ٣٩٩ هـ . (الوافي بالوفيات ١١ / ١٩٢) .
 (٤) ابن أبي جرادة : هو أبو علي ، الحسن بن علي بن عبد الله بن محمد ، كان كاتباً فاضلاً ، شاعراً أديباً ؛ توفي سنة ٥٥١ هـ . (الوافي ١٢ / ١٧٣) .

لَمْ يَيْتَقْ عِنْدِي زُبْدَةٌ مِنْ بَعْدِهَا لِفَتَى زَبَادَةٍ^(١)
وَابْنُ الْأَثِيرِ فَأَوْجُهُ مِنْ أَوْجِهِ سَكَنْتُ وَهَادَةٍ^(٢)
وَالْأَرْجَانِي مَا جَنَى زَهَرَ الْقَرِيضِ وَلَا اسْتَفَادَةٍ
عَظُمْتَ فِي الْإِنْشَاءِ فَدَ نَا كَانَ قَدْ أَعْلَى عِمَادَةٍ^(٣)
[١٢] فَازْفُتْ بِعَبْدٍ نَقْصُهُ لِكَمَالِ فَضْلِكَ فِي زِيَادَةٍ
وَأَجْرُهُ وَاجِرٌ عَلَى عَا ئِدِ خَيْرِهِ فَالْخَيْرُ عَادَةٍ

١٢ * أحمد بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى ابن تمام بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن مسوار بن سوار بن سليم^(٤) :

الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ ، قَاضِي الْقَضَاةِ ، بَهَاءُ الدِّينِ ، أَبُو حَامِدٍ ، ابْنُ الْعَلَامَةِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ، قَاضِي الْقَضَاةِ ، تَقِيُّ الدِّينِ أَبِي الْحَسَنِ ، الْحَاكِمُ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، الْأَنْصَارِيُّ ، الْخَزَرْجِيُّ ، السُّبْكِيُّ ، الشَّافِعِيُّ .

(١) ابن زبادة : يحيى بن سعيد بن هبة الله الشيباني ، الكاتب الشاعر الفاضل ؛ توفي سنة ٥٩٤ هـ . (مسالك الأبصار ١٢/٣١٢) .

(٢) ابن الأثير : نصر الله بن محمد بن محمد ، الجزري الكاتب ، صاحب الرسائل ؛ توفي سنة ٦٣٧ هـ . (مسالك الأبصار ١٢/٢٦٩) .

(٣) في أ : x قد كان . . . ! .

(٤) ترجمته في : المعجم المختص ٢٩ والوافي بالوفيات ٢٤٦/٧ ووفيات ابن رافع ٥٧/٢ والذيل على العبر ٣٣٤/٢ وتعريف ذوي العلا ٢١٣ والعقد الثمين ٣٨٣/٣ ودرر العقود الفريدة ٢٥٠/١ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٤٠١/٢ وإنباه الغمر ٢١/١ والدرر الكامنة ٢١٠/١ والنجوم الزاهرة ١٢١/١١ والمنهل الصافي ٤٠٨/١ والدليل الشافي ٦٢/١ والذيل التام ٢٥٣/١ والدارس ٣٦٦/١ وبغية الوعاة ٢٤٢/١ وحسن المحاضرة ٣٧٥/١ ودرة الحجال ١٠٠/١ وشذرات الذهب ٣٨٨/٨ والبدر الطالع ٨١/١ .

- مولده سنة ٧١٩ هـ . ووفاته سنة ٧٧٣ هـ .

- قال ابن قاضي شهبة : وكان اسمه تماماً ، إلى أن جاوز سنَّ التَّمييز ، ثم غُيِّرَ . وكذا في الدرر الكامنة .

● كَتَبَ إِلَيَّ مِنَ الشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، وَقَدْ وَرَدَ إِلَى زِيَارَةِ وَالِدِهِ ، وَأَنَا
بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، فَاخْتَلَفْنَا فِي الطَّرِيقِ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ٧٤٥ : [مِن الطَّوِيلِ]

خَلِيلِي هَلْ مِنْ حِيلَةٍ أَسْتَفِيدُهَا وَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ فِي الْهَوَى أَسْتَزِيدُهَا
وَلَيْسَ اخْتِيَالِي فِي الْأُمُورِ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ مَنْ أَهْوَاهُ لَيْسَ يُرِيدُهَا
وَمَا قَصَّرْتُ مِنْ بُغْيَةِ الْوَصْلِ عَزَمَتِي وَلَكِنْ دَهْرِي لَا يَزَالُ يَكِيدُهَا^(١)
وَلَمَّا تَمَادَتْ شُقَّةُ الْيَمِينِ بَيْنَنَا وَشَقَّ تَمَادِيهَا وَطَالَ وُجُودُهَا
وَلَمْ أَرْ فِي مِضَرٍ خَلِيلًا مُوَانِسًا وَلَا حَاجَةً إِلَّا تَصَدَّى حُدُودُهَا
وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ لِلشَّامِ زَائِرًا «أَرَى الْأَرْضَ تُطْوِي لِي وَيَدُنُوبَعِيدُهَا»^(٢)
وَتَسْهَلُ لِي حَتَّى أَلِمَّ بِجَلَّتِي وَلَوْ حَالَ دُونَ السَّهْلِ مِنْهَا صُعُودُهَا
أَتَيْتُ دِمَشْقًا كِي أَفُوزَ بِقُرْبِكُمْ وَأُصْلِحَ أَخْوَالًا أَضَرَّ شَدِيدُهَا^(٣)
فَلَمْ أَرْ فِيهَا مِنْ صَلاَحٍ وَلَمْ أَجِدْ خَلِيلًا تَرَى نَفْسِي بِهَا مَا يُفِيدُهَا
وَعَائِنْتُ وَادِيهَا تَفِيضُ عُيُونُهُ فَيَسْقُطُ مِنْ تِلْكَ الْقُلُوبِ جَلِيدُهَا
وَأُورَاقُهُ أَضْفَرَتْ فَمَا رَاقَ حُسْنُهَا وَأَفْنَانُهُ تَفْنَى وَيَذْبُلُ عُودُهَا
وَقَدْ بَكَتِ الشَّجْبُ الثُّبَا بِمَدَامِعِ تُجِيدُ لَهَا السُّقْيَا إِذَا مَا تَجُودُهَا
وَنَارَ بِشُورَا نَمَّ فِي بَرْدِي الرَّدَى وَمَا زَادَ إِلَّا التَّقْصَرُ مِنْهَا يَزِيدُهَا^(٤)
وَقَفْتُ بِهَا كَالْمُسْتَجِيرِ مُرَوَّعًا مَوَاقِفَ تَكَلَّى ضَاعَ مِنْهَا وَلِيدُهَا
أُنَاشِدُ مَنْ لَا قَيْثَ إِلَّا اللَّهُ هَدِيهِ دِمَشْقِي الَّتِي قَدْ كُنْتُ قَدَمًا أَرُودُهَا؟

(١) فِي م : . . . عَنْ بَغْيَةِ الْوَصْلِ . . . X .

(٢) الْعَجَزُ لِكثِيرِ عَزَةٍ ، فِي دِيَوَانِهِ ٢٠٠ مِنْ قَوْلِهِ :

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ مُعَدِّي بِأَرْضِهَا أَرَى الْأَرْضَ تُطْوِي لِي وَيَدُنُوبَعِيدُهَا
مِنَ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيدُهَا إِذَا مَا انْقَضَتْ أَحْدُوثُهُ لَوْ تُعِيدُهَا
وَنَسِبُهُمَا الْخَالِدِيَانِ فِي الْأَشْيَاءِ وَالنَّظَائِرِ ١٩٨/١ إِلَى الْعَوَامِّ بْنِ عَقْبَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ زَهْرٍ بْنِ أَبِي سُلَيْمَى .

(٣) فِي ب : . . . X . . . أَضَرَّ تَلِيدُهَا .

(٤) ثُورًا وَيَزِيدُ : مِنْ فُرُوعِ يَرْدَى .

فَمَا لِي قَدْ أَنْكَرْتُ مِنْهَا مَعَاهِدًا
 أَمْ اِزْتَحَلْتُ عَنْهَا رَكَائِبُ مَنْ لَهُ
 أَقَامَ بِمَضْرٍ فَاسْتَقَامَتْ طَرِيقُهَا
 وَحَلَّ بِوَادِيهَا فَكَمْ مِنْ فَضَائِلِ
 وَأَقْدَمَ فِيهَا كُلَّ سَعْدٍ قُدُومُهُ
 فَتَى لِلْمَعَالِي وَالْعِدَى مُتَقَيِّظُ
 بَسِيطُ الْأَيَادِي وَافِرُ الْفَضْلِ كَامِلُ
 وَجَامِعُ أَشْتَاتِ الْفَضَائِلِ وَالتَّقَى
 تَجَاوَزَ فِي نَظْمِ الْقَصِيدِ لِغَايَةِ
 يَشِيبُ لَهَا رَأْسُ الْوَلِيدِ وَيُثْنِي
 فَمَا ظَافِرٌ فِي بَهْجَةِ الشَّعْرِ ظَافِرُ
 وَإِنْ عُذَّتِ الْكُتَّابُ فَهَوَ عِمَادُهُمْ
 فَمَا الْفَاضِلُ الْمَشْهُورُ فِيهَا بِفَاضِلِ
 وَفِي كُلِّ عِلْمٍ نَالَ بَاعًا مُسَدَّدًا
 لَهُ هِمَّةٌ فَوْقَ الشُّهَا حَلَّ أَشْهَا
 وَعَزَمَةٌ حَزَمٌ مَا وَنَتْ عِنْدَمَا نَوَتْ

وَعَادَزْتُهَا بِالْعَدْرِ ضَاعَتْ عَهْدُهَا
 مَنَاقِبُ مَجْدٍ لَا يُطَاقُ جُحُودُهَا
 وَعَادَ إِلَيْهَا بِالْمَسَرَّةِ عِنْدُهَا^(١)
 تَلَوَّحُ بِوَادِيهَا وَيَذْنُو شَرِيدُهَا
 وَجَدَّدَ نَعْمَى لَيْسَ يَبْلَى جَدِيدُهَا
 فَهَاتِكَ يُبْدِيهَا وَهَذِي يُبِيدُهَا
 طَوِيلُ الْمَسَاعِي فِي الْعُلَى وَمَدِيدُهَا^(٢)
 فَطَارُفُهَا يَأْوِي لَهُ وَتَكْلِيدُهَا
 حَوَى قَصَبَاتِ السَّبْقِ مِنْهَا قَصِيدُهَا
 لَبِيدٌ عَنِ الْأَفْكَارِ وَهَوَ بَلِيدُهَا^(٣)
 يَتَلَكَّ وَلَا الْقَاضِي السَّعِيدُ سَعِيدُهَا^(٤)
 إِذَا صَنَعَةُ الْإِنْشَاءِ مَالَ عَمُودُهَا^(٥)
 لَدَيْهِ وَلَا عَبْدُ الْحَمِيدِ حَمِيدُهَا
 وَآرَاءَ حَقٍّ لَيْسَ يَنْبُو سَدِيدُهَا^(٦)
 تَشُدُّ مَبَانِيهَا الْعُلَا وَتَشِيدُهَا
 وَلَا خَابَ مَسْعَاهَا وَخَانَتْ وَعُودُهَا^(٧)

(١) في أ : × بالمسيرة عيدها .

(٢) في ب : وافر الجود كامل × .

(٣) في أ : يشيب لها رأي الوليد . . . × .

(٤) ظافر : هو ظافر الحداد ، شاعر الإسكندرية ، وديوانه مطبوع مشهور .

والقاضي السعيد : هو ابن سناء الملك ، صاحب الديوان المشهور .

(٥) في م : × فهو إمامهم × .

(٦) في م : × ليس ينبو عديدها .

(٧) في ب : × وخانت عهدوها . وفي م : وخابت وعودها .

[١٢ب] وقد نُشِرَتْ في الخافِقَيْنِ بُنودُها
وَعَمَّ نَداها في الوجودِ وَجودُها
وَيَحْلُو بِأَفْوَهِ الرُّوَاةِ نَشِيدُها
وَقَدْ نُظِمَتْ في حُسْنِ سِلْكِ عَقودُها
فَطَافَتْ بِهَا بَعْدَ التُّحُوسِ سَعودُها^(١)
وَأَمْسَتْ لِيَالِي مِصْرَ تُشْرِقُ سُودُها^(٢)
وَزَادَتْ بِأَرْضِ أَنْتَ فِيهَا وَفُودُها
فَطَايَتْ مَغَانِيها وَزَالَتْ حُقُودُها
نَوَاهَا وَأَنْ تَنْفِكَ عَنِّي قِيُودُها^(٣)
تُبَاعِدُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَدُها
فَأَنْتَ وَلَا نَقْصُ عَلَيْكَ مُعِيدُها^(٤)
فَعِنْدَكَ نَفْسٌ سَوَدَتْهَا جُودُها
وَأَوْصَافِ مَجْدٍ لَيْسَ يُحْصَى عَدِيدُها
وَنَابَتْ بِسَعْدٍ لَا يَزَالُ يَزِيدُها^(٥)

وَمَكْرَمَةٍ فِي طَيْهَا كُلُّ نِعْمَةٍ
وَسُحْبُ أَيَادٍ حَيْثُمَا وَكَفَتْ كَفَتْ
مَدَائِحُهُ تَكْسُو الْقَرِيضَ مُحَاسِنًا
وَأَوْصَافُهُ مِثْلُ الْكَوَكِبِ كَثْرَةً
أَقَمْتَ صَلاَحَ الدِّينِ فِي مِصْرَ مُصْلِحًا
وَأَظْلَمَ مِنْ أَيَّامِ جَلَقَ يَنْضُها
تَحَاسَدَتِ الْأَمْصَارُ فِيكَ وَنَافَسَتْ
فَأَعْطَيْتَ كُلًّا مِنْ وَصَالِكَ حَظَّهُ
فَمَنْ لِي بِمِصْرَ بَعْدَمَا كُنْتُ أَبْتَغِي
وَبِالرَّغْمِ مِنِّي أَنْ أَكُونَ بِبِلْدَةٍ
إِذَا الْجَهْلُ أَمْسَى لِلْعُلُومِ مُدْرَسًا
وَإِنْ سَادَ قَوْمٌ فِي الْوَرَى بِجُدُودِهِمْ
وَكَمْ لَكَ مِنْ أَعْلَامِ عِلْمٍ وَسُودِدِ
قَدَامَتْ لَكَ التَّعْمَاءُ بَيْنَ سِيَادَةٍ

● فَكُتِبَتْ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ : [من الطويل]

لَعَلَّ الْحَشَا يُطْفِئُ بِذَلِكَ وَقُودُها
لَعَلَّ جُفُونِي أَنْ يَزُولَ هُجُودُها

خَلِيلِي هَلْ مِنْ زُورَةٍ أَسْتَعِيدُها
وَهَلْ مُقْلَتِي الْعَبْرَى يَزُودُ هُجُوعُها

(١) في أ م : × . . نحو التُّحُوسِ سَعُودُها .

(٢) في س : وَأَظْلَمَ مِنْ أَفَاقِ جَلَقَ . . . × .

(٣) في ب : × . . . وَلَنْ تَنْفِكَ . . .

(٤) في ب : . . . مَدَارِسًا × .

(٥) في ب : × وَبَانَ . . .

وَهَلْ جَمَعَ شَمْلِي مُمَكِّنٌ بَعْدَ فُرْقَةٍ
 وَدَعَّ كُلُّ ذَا هَلٍّ فِي مَدَى الْعُمُرِ فُسْحَةً
 فَأَحْبَبَ بِأَيَّامٍ مَضَتْ لَمْ أَرُدَّهَا
 يُعَانِدُنِي دَهْرِي فَيَعْكُسُ مَقْصِدِي
 قَصَدْتُ حِمَى مِضْرٍ تُصَاحِبُنِي الْمُنَى
 عَلَى أَنَّ مَنْ أَرْجُوهُ فِيهَا ذَخِيرَةٌ
 وَيَغْدُو فَيُنْسِينِي مَحَاسِنَ مَوْطِنِي
 فَمَا جِئْتُهَا إِلَّا وَعَالِي رِكَابِهِ
 قِيَا خَيْبَةَ الْأَمَالِ فِي مَا أَرَوْهُ
 أَبَا حَامِدٍ قَلْبِي يَرِفُ عَلَى الْوَلَا
 وَفِي كِبْدِي لِلنِّينِ لَاعِجٌ لَوَعَةٌ
 إِذَا كُنْتُ فِي مِضْرٍ يَطِيبُ هَوَاؤُهَا
 وَإِنْ جِئْتُ أَرْضَ الشَّامِ رَوَّضَتْ رَبْعَهَا
 وَبَاتَتْ بُرُوقُ الْجَوِّ بِاسِمَةٍ كَمَا
 وَيُسْدِي عَلَى الْأَكْبَادِ بَزْدٌ نَسِيمُهَا
 أَلَا يَا بَنِي قَاضِي الْقَضَاةِ عَلَوْتُمْ

تَكُذُّ قَوَى نَفْسِي ضَنَى وَتَكِيدُهَا^(١)
 فَإِنَّ الْأَمَانِي لَا يَقِلُّ عَدِيدُهَا
 وَأَقْبَحُ بِأَيَّامٍ أَتَتْ لَا أُرِيدُهَا
 كَذَا هَذِهِ الدُّنْيَا يَكُونُ وُجُودُهَا
 وَيَحْسُنُ مِنْ غَدِّ الظُّنُونِ وُجُودُهَا^(٢)
 يَصُدُّ عَوَادِي غُرْبَتِي وَيَصِيدُهَا
 بِحُسْنِ أَيَادٍ لَا يُطَاقُ جُحُودُهَا
 يَسِيرُ بِهِ فِي كُلِّ أَرْضٍ بَرِيدُهَا
 أَمَا أَنْ لِلْأَقْدَارِ تَأْتِي سُعُودُهَا
 «رَفِيفَ الْخُزَامِيِّ بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا»^(٣)
 وَنَارٌ عَلَى قَلْبِي بِطِيءٍ خُمُودُهَا^(٤)
 وَيُعْشِبُ وَادِيَهَا وَيَخْضِرُّ عُودُهَا
 وَفَاحَتْ شَذَى أَغْوَارِهَا وَنُجُودُهَا
 يُفْهَقُهُ مِنْ فَرْطِ الشُّرُورِ رُعُودُهَا^(٥)
 وَتُضْفِي عَلَى الْأَزْهَارِ مِنْكَ بُرُودُهَا^(٦)
 عَلَى رُتَبٍ فَوْقَ السَّمَاءِ مُهُودُهَا^(٧)

(١) في ب : × . . . عنى وتكيدها .

(٢) في ب : × من غدا الظنون فهودها .

(٣) العجز مضمّن من قول الحسين بن مطير الأسدي : [ديوانه ٤٥]

يُمَيِّتُنَا حَتَّى تَرِفَ قَلْبُنَا رفيف الخزامى بات طلّ يجودها

(٤) من قول الحسين بن مطير أيضاً : [ديوانه ٤٤]

لَقَدْ كُنْتُ جَلْدًا قَبْلَ أَنْ تُرْقِدَ النَّوَى

على كبدي ناراً بطيئاً خمودها

(٥) في م : ويات نجوم الجو . . . × .

(٦) البيت ساقط من م .

(٧) في ب : × خلودها .

لَكُمْ مَعَ كَمَالِ الْمَجْدِ وَالْعِلْمِ وَالتَّقَى
وَكَمْ لَكُمْ مِنْ هِمَّةٍ تَبْلُغُ الْمَدَى
فَأَمَّا بَهَاءُ الدِّينِ أَحْمَدُ فَهُوَ مَنْ
غَدَا بَارِعاً فِي كُلِّ عِلْمٍ أَمَا تَرَى
تَرَاهُ إِذَا أَمْلَى فَوَائِدَ دَرْسِهِ
نَوْدُ لِمَا يَأْتِي بِهِ مِنْ فَصَاحَةٍ
تَرَى ذَهَبَهُ الْوَقَادَ كَالسَّيْلِ طَافِحاً
مِنَ الْخَزَرَجِيِّينَ الَّذِينَ عَلَاهُمْ
أَمْوَالِي قَدْ حَزَتْ الْمَحَاسِنَ كُلَّهَا
أُجَارِي بِهَا آدَابَكَ الْغُرَّ قَاصِراً
لَكَ الْعَطْفُ مِنْ جَوْرِ الْمَعَانِي وَلَيْئَهَا
وَعِنْدِي مِنْهَا مِثْلُهَا وَقَدِيمُهَا
بَعَثْتَ عَلَى بُعْدٍ مِنَ الدَّارِ بَيْنَنَا
أَجَدْتَ مَعَانِيهَا وَحَزَزْتَ لَفْظَهَا
فَعِينِي تَسْتَجْلِي حُلَاهَا وَكُلَّمَا
إِذَا حَاوَلَ الْغُرَّ الدُّخُولَ لِغَابِهَا
قَضَى كُلُّ ذِهْنٍ أَنَّهَا قَدْ تَفَرَّدَتْ
كَأَنَّ قَوَافِيهَا حِسَانٌ تَبَرَّجَتْ
فَهَلْ أَلْفَاتُ فِي الشُّطُورِ تَعَدَّلَتْ

عُقُولٌ عَلَى جِيدِ الزَّمَانِ عُقُودُهَا
وَتَخْفِقُ مَا بَيْنَ الْعَوَالِي بُنُودُهَا
يُفِيْتُ الْأَعَادِي وَالْمَوَالِي يُفِيدُهَا
قَوَاعِدُهُ فِي الْبَحْثِ كَيْفَ يُشِيدُهَا
يُجَدِّلُ أَبْطَالَ الْوَعَى وَيُيِيدُهَا
«إِذَا مَا انْقَضَتْ أُخْدُوتُهُ لَوْ يُعِيدُهَا»^(١)
إِذَا مَا اغْتَرَى الْأَذْهَانَ يَوْمًا خُمُودُهَا^(٢)
يَطُولُ يَقُوقُ الْفَرْقَدَيْنِ صُعُودُهَا^(٣)
[١٣٦] قَدَحَ لِي مِنْهَا قُضْلَةً أَسْتَفِيدُهَا
فَلِمَا أَدَارِيهَا وَإِمَّا أَرْوِدُهَا
وَلِي دَائِماً إِعْرَاضُهَا وَضُدُودُهَا
وَعِنْدَكَ مِنْهَا حَيْثُهَا وَجَدِيدُهَا
مُشْرِقَةٌ قَدْ زَادَتْ حَسُودُهَا
قَفَاقَتْ قَوَافِيهَا وَرَاقَ نَضِيدُهَا
تَأَمَّلُهَا فِكْرِي غَدَا يَسْتَعِيدُهَا
أَسَاوِدُهَا تَغْتَالُهُ وَأُسُودُهَا^(٤)
يُحْسِنُ مَعَانٍ قَدْ تَزَكَّتْ شُهُودُهَا
وَهَاتَتْهَا فِي الصَّدْرِ مِنْهَا نُهُودُهَا
غُصُونٌ تَبَدَّتْ لِلْعُيُونِ قُدُودُهَا

(١) عجز ثاني بيتي كثير عزة - وفي أ : لا تعيدها .

(٢) البيت ساقط من س .

(٣) في س : × يطول بفرق الفرقدين صعودها .

(٤) في م : . . . لباها × .

نَعَمْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ أَبْيَاتُ عَلَوَةٍ جَلَّتْهَا لِعَيْنِ الْعَاشِقِينَ زَرُودُهَا^(١)
 تَرَاءَتْ لَهُمْ مِنْهَا مَنَازِلُ صَبَوَةٍ وَقَدْ خَطَرَتْ بَيْنَ الْمَضَارِبِ غَيْدُهَا
 تَسُوقُ قُلُوبَ الشَّائِقِينَ إِلَى الْحِمَى إِذَا غَارَلَتْهَا رِقَّةٌ وَتَقَوْدُهَا
 فَلَا أَعْيُنٌ إِلَّا تَفِيضُ دُمُوعُهَا وَلَا مُهَجٌّ إِلَّا يَذُوبُ جَلِيدُهَا
 لَقَدْ شَتَّتْ سَمْعَ الْوَرَى بِنِظَامِهَا وَرَضَعَ فِي تَاجِ الزَّمَانِ فَرِيدُهَا
 فَمَا فِي كِتَابِ « الْعِقْدِ » دُرٌّ كَنَظْمِهَا وَلَا بَيْنَ أَصْوَاتِ « الْأَغَانِي » نَشِيدُهَا

يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي زُرُودَ الْقَصِيدَةِ الدَّالِّيَّةَ ، وَالْفَرِيدَةَ الَّتِي لَيْسَ لِلْأَفْكَارِ
 عَلَى الْإِثْنَانِ بِمِثْلِهَا دَالِّيَّةٌ ؛ لَقَدْ شَرَفَتْ حَرْفَ الدَّالِّ حَتَّى نَصَبَتْ قَامَتَهَا مِنْ
 رَفْدَتِهَا ، وَقَوَّمَتْ بَعْدَ الْإِنْجَاءِ مِثْلَ حَدِيثِهَا ؛ وَأَقَامَتْ الْأَلْفَ فَانْتَصَبَتْ
 لِحِدْمَتِهَا ، فَلِهَذَا زُرِقَتْ الْحِظُّ وَالْجَدُّ ، وَخُتِمَتْ بِهَا حُرُوفُ أَبْجَدٍ .

وَأَمَّا الْهَاءُ الَّتِي قَدْ جَاءَتْ بَعْدَهَا رِدْفًا ، فَالْفُ الْإِطْلَاقِي تَأَوَّدَتْ قَامَةً وَاهْتَزَّتْ
 الْهَاءُ رِدْفًا ؛ فَلَا غَرَوْ أَنَّ وَقَفَ الْحُسْنُ عَلَى ذَلِكَ الْقَدْ الْمُتَأَوَّدِ وَالرِّدْفِ الْمُهْتَزِّ ،
 وَأَصْبَحَ نَظْمُهَا الْمُفْتَدِرُ مُوَفَّقًا لَمَّا فَاقَ ابْنَ الْمُعْتَزِّ ، وَشَهِدَ النَّاسُ لِمَنْ حَاكَ
 وَشَبَّهَا أَنَّهُ رَفِيعُ الْبَرِّ ، فَعَيْنُ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمِ ، وَالْمَحَاسِنِ الَّتِي مَنْ عَارَضَهَا
 فَقَدْ سَلَّمَ لَهَا ، وَمَنْ لَمْ يَتَعَرَّضْ فَقَدْ سَلَّمَ .

● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ وَنَحْنُ بِدَمَشَقَ سَنَةِ ٧٤٤^(٢) : [مِنْ الْبَسِيطِ]

أَبَا حَامِدٍ إِنِّي بِشُكْرِكَ مُطْرَبٌ كَأَنَّ ثَنَائِي فِي الْمَسَامِعِ شِينُزُ^(٣)

(١) زُرُود : رَمَالُ بَيْنِ الثُّغْلِيَّةِ وَالْخَزِيمِيَّةِ ، بِطَرِيقِ الْحَاجِّ مِنَ الْكُوفَةِ . (معجم البلدان ٣ / ١٣٩) .

(٢) القصيدة والجواب عنها في الوراق ٧ / ٢٥٠ - ٢٥١ ونكت الهميان ٤٩ .

(٣) الشيز : لَعَلَّهُ ضَرَبَ مِنَ الْأَلْحَانِ . قَالَ الصَّفْدِيُّ فِي الْكُشْفِ وَالتَّنْبِيهِ ١٢٤ : « وَالْإِشْرَافُ فِي كَيْفِيَّةِ
 مَسْمُوعَةٍ كَتَشْبِيهِهِ أَطِيطُ الرَّجُلُ بِأَصْوَاتِ الْفَرَارِيحِ . . . وَكَتَشْبِيهِ أَصْوَاتِ الضَّفَادِعِ بِالشَّيْزِ ، وَصَوْتِ
 الدُّوَالِبِ بِالزُّمَرِ ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَكَاثَمَا الدُّوَالِبُ يَزُمُّرُ كُلَّمَا غَنَّتْ ، وَأَصْوَاتُ الضَّفَادِعِ شِينُزُ

لَقَدْ حُرِّتَ فَضْلَ الْفَقْهِ وَالْأَدَبِ الَّذِي
وَفَتْ الْمَدَى مَهْلًا إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي
فَأَصْبَحَتْ فِي حَلِّ الْعَوَاضِ آيَةً
كَأَنَّ حُرُوفَ الْمُشْكِلَاتِ إِذَا أَتَتْ
وَأَثَرِيَّتَ فَاضْرَفَ لِلْمَسَاكِينِ فَضْلَةً
تُجِيدُ الْقَوَافِي وَالْقَوَى فِي بِنَائِهَا
سَأَلْتُ فَخَبَّرَ عَنْ صَلَاةِ أَمْرِي غَدَتْ
تَجَوُّزُ إِذَا صَلَّيْ إِمَامًا وَمُفْرَدًا
فَأَوْفٍ لَنَا كَيْلَ الْهُدَى مُتَصَدِّقًا
فَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْجَى وَأَنْتَ كَمَا نَرَى

يَفُوتُ الْغِنَى مَنْ لَا بِذَلِكَ يَفُوزُ^(١)
لَهَا عَنْ لِحَاقِ السَّاقِينَ بُرُوزُ
تَمِيلُ إِلَى طُرُقِ الْهُدَى وَتَمِيزُ
لَدَيْكَ عَلَى حَلِّ الْعَوِصِ رُمُوزُ
فَعِنْدَكَ مِنْ دُرِّ الْبَيَانِ كُنُوزُ^(٢)
فَيَبِيْتُكَ لِلْمَعْنَى الشَّرُودِ حَرِيزُ^(٣)
يَحَارُ بِسَيْطٍ عِنْدَهَا وَوَجِيزُ
وَإِنْ كَانَ مَأْمُومًا فَلَيْسَ تَجَوُّزُ
فَأَنْتَ بِمَضَرٍ وَالشَّامِ عَزِيزُ
مُجِيدٌ مُجِيبٌ لِلِسُّؤَالِ مُجِيزُ

● فَكْتُبَ الْجَوَابَ إِلَيَّ سَرِيعًا : [من الطويل]

أَيَا مَنْ لِسَاوِ الْعِلْمِ بَاتَ يَحُورُ
وَمَنْ حَازَ فِي الْأَدَابِ مَا اقْتَسَمَ الْوَرَى
وَمَنْ ضَاعَ عَرَفُ الْفَضْلِ مِنْهُ وَلَمْ يَضِعْ
سَأَلْتُ وَمَا الْمَسْئُولُ أَعْلَمَ بِالَّذِي
وَقُلْتُ أَمْرُؤُ لَا يَقْتَدِي غَيْرَ أَنَّهُ
وَذَاكَ فَتَى أَعْمَى نَأَى عَنْهُ سَمْعُهُ
فَهَاكَ جَوَابًا وَاضِحًا قَدْ أَبْتَنَّهُ

وَمَنْ لِسَاوِ الْمَدْحِ لَيْسَ يَجُوزُ^(٤)
[١٣ ب] فَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ عَنْهُ نُشُورُ
بِجَدْوَاهُ عُرِفَ الْجُودُ فَهُوَ حَرِيزُ
أَرَدْتَ وَلَا مِنْهُ عَلَيْكَ بُرُوزُ
إِمَامًا وَفَرْدًا بِالْجَوَازِ يَفُوزُ^(٥)
وَلَيْسَ لِأَفْعَالِ الْأَنَامِ يَمِيزُ^(٦)
وَمِثْلِي عَلَى حَلِّ الصَّعَابِ صُمُوزُ

(١) في م : . . . فضل الله . . . × . . .

(٢) في ب : وأثرت . . . × . . . من ذاك البيان . . .

(٣) في ب : تجدد القوافي . . . × . . . وفي م : . . . في بيانها × .

(٤) في ب : أيا من لسان . . . × . . .

(٥) ساقط من س .

(٦) في هامش م : الضمور - بضاد معجمة وزاي - الأسد . قاموس .

فَإِنْ كَانَ هَذَا مَا أَرَدْتَ فَإِنَّمَا
وَأِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَالَّذِي هُوَ لَازِمٌ
فَلَا زِلْتُ تُبْدي من فَضَائِلِكَ الَّتِي
فَأَنْتَ صَلَاحُ الدِّينِ وَالنَّاسِ وَالْدُّنَا

بِفَضْلِكَ فِي الدُّنْيَا تُفَكِّ رُمُوزُ^(١)
جَوَابٌ لِمَضمُونِ السُّؤَالِ يَحْوِزُ^(٢)
تَزِيدُ مع الْإِنْفَاقِ وَهِيَ كُنُوزُ
وَأَنْتَ خَلِيلٌ وَالْخَلِيلُ عَزِيزُ^(٣)

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ مِنَ الْقَاهِرَةِ الْمُحْرُوسَةِ ، وَأَنَا بِالشَّامِ الْمُحْرُوسِ ، مُلْغِزاً
فِي « النَّيْلِ »^(٤) : [من الطويل]

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً
وَهَلْ لِي بِأَرْضِ الشَّامِ مَا عِشْتُ عَوْدَةً
أَرَى قَدَمِي لَمَّا تَجَاوَزْتُ جَلْقاً
فَصَبْرِي وَوَجْدِي ذَاكَ عَنِّي رَاحِلٌ
وَقَلْبِي وَطَرْفِي ذَاكَ مِنْ لَاعِجِ الْجَوَى
وَفُودِي وَجِسْمِي ذَاكَ أَشْأَى سَوَادُهُ
قِصَارُ اللَّيَالِي مُنْذُ شَطَطَتْ بِي النَّوَى
وَيَخْفِقُ قَلْبِي لِلْغُرَابِ وَخَفِيقِهِ
وَإِنِّي لَقَالٍ لِلْعَذُولِ وَلَوْ مِهِ
وَكَمْ رُمْتُ أَنْ أَمْضِيَ إِلَيْكُمْ مَعَ الصَّبَا

بِوَادٍ وَحَوْلِي صَاحِبٌ وَخَلِيلُ^(٥)
فَتُنْعِشْنِي بَعْدَ الْبِعَادِ وَصُورُ
أَرَأَقَ دَمِي وَالْوُدَّ لَيْسَ يَزُولُ
وَهَذَا لَهُ بَيْنَ الضُّلُوعِ مَقِيلُ
يَجِفُّ وَهَذَا بِالْدمَاءِ يَسِيلُ
يَحُولُ وَهَذَا بِالْفِرَاقِ نَحِيلُ
« طَوَالٌ وَلَيْلُ الْعَاشِقِينَ طَوِيلُ »^(٦)
وَمَا لِي بِرَدِّ الْخَافِقِينَ سَبِيلُ
لِمِثْلِي قَالٌ لَا يُفِيدُ وَقِيلُ
لِتَسْكُنَ عَنِّي لَوْعَةٌ وَغَلِيلُ^(٧)

- (١) فِي أ : فَإِنْ كَانَ مَا أَرَدْتَ . . . × ! .
(٢) فِي ب : وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَا . . . × جَوَابٌ بِمَضمُونِ . . .
(٣) فِي ب : . . . وَالتَّقَى × .
(٤) أَحَدُ عَشَرَ بَيْتاً مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ فِي الْمَتَقَى مِنْ دَرَّةِ الْأَسْلَاقِ .
(٥) مِنْ قَوْلِ سَيِّدِنَا بِلَالِ الْحِشِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : [الْمُسْتَطَرَف ٢/٢٦٣] :
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً
العَجَزُ لِلْمَتَنِيبِيِّ ، وَصَدْرُهُ : [دِيوانُهُ ٣/٩٥] :
لِيَالِي بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ × .
(٧) فِي ب : × . . . عَنِّي رَوْعَةٌ وَغَلِيلُ .

فَعَوَّقَنِي دَهْرِي وَمَا بِي عِلَّةٌ
وَحُلَفْتُ عَنْكُمْ لَا عُدُولاً لِيْغِيْرَكُمْ
سِوَى أَنْ صَبَّأَ لَاحٌ مِنْهُ لِمُقْلَتِي
يَطُوفُ بِهِ السَّاقِي وَقَدْ رَقَّ وَاغْتَدَى
وَيَلْعَبُ فِي هَامِ الْمُلُوكِ إِذَا عَلَا
إِذَا عَانَقَ الْمَيَّاسُ صِرْفَ رَحِيْقِهِ
يَسِيرُ وَيَسْرِي بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ
وَيَقْطَعُهُ ضَرْبٌ مِنَ الْكَفِّ هَيِّنٌ
عَلَى الْبَحْرِ يَسْمُوْ مَعَ جَهَالَةِ أَهْلِهِ
وَيَبْعُدُ أَخِيَاناً وَيَقْرُبُ تَارَةً
كَرِيْمٌ عَلَى جِيْرَانِهِ غَيْرَ أَنَّهُ
وَكَمْ فِيهِ مِنْ قَضَرٍ رَفِيعٍ عَلَى الْوَرَى
يُخَافُ وَيُرْجَى يَوْمَ جُودٍ وَسَطْوَةٍ
فَمَنْ قَاسَهُ بِاللَّيْثِ فَهُوَ مُقْضَّرٌ
أَخْوِ بِلَعِ لَا بِالْوَعْدِ يَفِي وَلَا
وَكَمْ فِيهِ مِنْ عَابٍ وَتَقْصٍ وَعَوْرَةٍ
وَفِي قَلْبِهِ لَيْنٌ الْقَضِيْبِ وَإِنَّهُ
وَلَيْسَ بِأَنْثَى كِي يُبَاحَ نِكَاحُهُ
لَهُ اسْمٌ حَوَى اسْمَانِ ثُمَّ حَرْفَا مُسْكَنَانِ

وَسَارَتْ إِلَيْكُمْ وَالنَّسِيمُ عَلِيلٌ^(١)
وَهَلْ لَكُمْ بَيْنَ الْأَنَامِ عَدِيلٌ
مِنَ الرَّاحِ مَا فِي الْكَاسِ مِنْهُ شَمُولٌ
يَرُوقُ جَمِيعَ الشَّرْبِ حِينَ يَجُولُ^(٢)
وَتَذْهَبُ مِنْهُ حَيْثُ بَانَ عُقُولُ
تَمِيدُ بِهِ أَعْطَافُهُ وَتَمِيلُ^(٣)
لَهُ كُلُّ يَوْمٍ نُقْلَةٌ وَرَحِيلٌ
وَإِنَّ حَدِيدَ الْهِنْدِ عَنْهُ كَلِيلٌ
عَلَى أَنَّهُ لِلْبَحْرِ سَوْفَ يَزُولُ
لَنَا وَكِلَا الْفِعْلَيْنِ مِنْهُ جَمِيلٌ
عَلَيْهِمْ إِذَا جَادَ السَّحَابُ بِخَيْلٍ
وَلَيْسَ لِمَيْلِ الْقَلْبِ عَنْهُ ذُھُولُ
وَلَيْسَ لَهُ فِي الْحَالَتَيْنِ مَثِيلُ
وَمَنْ قَاسَهُ بِالسَّيْلِ فَهُوَ جَهُولُ
لَهُ عَنِ وِقَاقِ الْكَافِرَيْنِ عُدُولُ
وَفِيهِ عَلَى كُلِّ الْأَنَامِ قُصُولُ
يَزِيدُ عَلَى يُبْسِ الْحَصَى وَيَصُولُ^(٤)
وَفِي الْأَرْضِ أَزْوَاجٌ لَهُ وَتُعُولُ
وَفِعْلاً وَهَذَا فِي الْأَنَامِ قَلِيلُ^(٥)

(١) في ب : . . . وما لي علة . ×

(٢) في ب : . . . وقد راق واغتدى . ×

(٣) في م : . . . طرف رحيقه . ×

(٤) مقلوب لين : نيل .

(٥) الاسم : هو الثون = السمك . والحرف : الياء الساكنة . والفعل : لام .

إِذَا أَنْتَ قَدْ صَحَّفْتَهُ هَابَتِ الْعِدَى
[١٤] وَمِنْ عَكْسِهِ إِنْ زَالَ حَرْفٌ فَلَنْ يُرَى
فِيَا مَنْ زَكَّتْ مِنْهُ الْفُرُوعُ وَأَيَّعَتْ
وَيَا مَنْ لَهُ جَدُّ عَظِيمٌ وَنَائِلٌ
أَبْنٌ لِي مَا أَلْغَزْتُ فِيهِ فَإِنَّهُ
تَضَمَّنَ نَظْمِي ذِكْرَهُ غَيْرَ مَرَّةٍ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُدْعَى سِوَاكَ لِحُلِّهِ
جَمَعْتَ بِحَارِ الشَّعْرِ ثُمَّ سَلَكَتَهَا
وَأَلْبَسَكَ الْعِزُّ الْمُنْتَعِ حُلَّةً
إِذَا غَابَ بَذْرُ التَّمِّ لَمْ تَبْغِ عَوْدَهُ
وَإِنْ أَخْلَفَ الْغَيْثُ الْعُهُودَ تَوَاتَرَتْ
وَإِنْ فُلَّتِ الْبَيْضُ الصَّفَاحُ حَمَيْنَا
وَإِنْ عَظُمَ الْخَطْبُ الْجَسِيمُ عَلَى الْوَرَى
وَإِنْ قُلْتَ لَمْ تَحْتَجْ إِلَى حُجَّةٍ وَهَلْ
صِفَاتُكَ تُمْلِنِي وَذِكْرُكَ مُسْعِفِي
وَإِذْ لَمْ أَقُمْ مِنْ فَرْضٍ مَدْحِكُمْ بِمَا
فَعُذْرًا فَإِنِّي عَاجِزٌ عَنْ حِسَابِهَا

حِمَاكَ وَقَالَتْ إِنَّهُ لَنَيْلٌ^(١)
لَدَيْهِ عَنِ الْمُسْتَقْبَلَاتِ نُصُولٌ^(٢)
وَطَابَتْ لَهُ فِي السَّالِفِينَ أَصُولٌ
عَمِيمٌ وَمَجْدٌ شَامِخٌ وَأَثِيلٌ
لَهُ مِنْكَ أَصْلٌ ثَابِتٌ وَأَصِيلٌ^(٣)
صَرِيحاً لَهُ بَيْنَ الْعُيُونِ مَثُولٌ
وَأَنْتَ زَعِيمٌ بِالْعُلُومِ كَفِيلٌ^(٤)
فَأَنْتَ لَدَيْنَا صَاحِبٌ وَخَلِيلٌ
لَهَا انْسَحَبَتْ فَوْقَ السَّحَابِ ذُبُولٌ
فَإِنَّكَ مِنْهُ لِلْأَنَامِ بَدِيلٌ
وَفَاضَتْ لَنَا مِنْ رَاحَتِكَ سُيُولٌ
بِأَبْيَضِ رَأْيٍ لَيْسَ فِيهِ فُلُولٌ
وَمِلَتْ عَلَيْهِ عَادَ وَهُوَ ضَيْلٌ
يُقَامُ عَلَى ضَوْءِ النَّهَارِ دَلِيلٌ
وَقَلْبِي رَسِيلٌ وَالْغَرَامُ رَسُولٌ^(٥)
يُوَازِي سَجَايَاكُمْ وَدَامَ نُكُولٌ^(٦)
إِذَا هِيَ عُذَّتْ وَالْفُرُوضُ تَعُولُ^(٧)

(١) تصحيف نيل : نيل .

(٢) عكسه : لين ، وإذا زال منه حرف : لن . وفي م : . . . فلن ترى × . . . فضول .

(٣) نيل : فيه حرفان من : خليل ، اسم الصفدي . وفي حاشية م : ط : وأصول .

(٤) في ب : . . . ندعو سواك لحله × .

(٥) في م : × ودمعي . . .

(٦) في م : وإن لم . . . كما × .

(٧) سقط هذا البيت من ب . وفي أ : × . . . والفروض نقول ! . وتعول : تزداد .

سَادُّعُو لَكُمْ دَهْرِي بِإِخْلَاصِ نِيَّةٍ يُقَارِنُهَا عِنْدَ الْإِلَهِ قَبُولُ
فَلَا زِلْتُ مَأْوَى الْعِلْمِ مَا ذَرَّ شَارِقُ وَمَا عَادَ لِلْبَذْرِ الْمُثِيرِ أَقُولُ
مَقَامُكَ مَأْهُولٌ وَظِلُّكَ وَارِفٌ وَفَضْلُكَ مَأْمُولٌ وَبَابُكَ سُورُ^(١)

يُقْبَلُ الْأَرْضَ الْعَالِيَةَ مَعْنَى وَمَعْنَى ، الدَّانِيَةَ إِحْسَانًا وَحُسْنَى ، الْجَامِعَةَ
لِشَوَارِدِ النَّعَمِ رَشَادًا وَيُؤْمَنُ ، الْمَانِعَةَ لِمَكَائِدِ النَّقَمِ فُرَادَى وَمُثْنَى ، الَّتِي ضَاعَ فِيهَا
نَشْرُ الْفَضَائِلِ وَفَاحٌ ، وَذَاعَ مِنْهَا بَشْرُ الْفَوَاضِلِ فَلَاخَ عَلَيْهَا الْفَلَاحُ : [مِن الْكَامِلِ]

أَرْضُ بِهَا فَلَيْكَ الْمَعَالِي دَائِرٌ وَالشَّمْسُ تُشْرِقُ وَالْبُدُورُ تَحُومُ
وَبِهَا مِنَ الزَّهْرِ الْمُنْضِدِ أَنْجُمٌ وَلَهَا عَلَى أَفْقِ السَّمَاءِ نُجُومٌ
وَالْيَدُ الَّتِي : [مِن الْكَامِلِ]

هِيَ لِلنَّدَى مَمْدُودَةٌ مَنَشُورَةٌ وَعَلَى الرَّدَى مَزْدُودَةٌ مَقْصُورَةٌ
وَبِأَنْوَاءِ الدَّيَمِ وَكَفَّةٌ ، وَعَلَى إِسْدَاءِ النَّعَمِ عَاكِفَةٌ : [مِن الْوَافِرِ]

يَدٌ ذَرَّتْ وَرَدَّتْ كُلٌّ بَاغٌ وَخَوَّلَتْ الْوَرَى كَرَمًا وَمَنَا
يُربِكُ يَسَارُهَا أَوْقَى يَسَارٍ وَبِالْيَمْنَى تَنَالُ نَدَى وَيُؤْمَنَا
وَالْكَفَّةُ الَّتِي عَمَّ جَوْدُ جُودِهَا النَّاسَ كَافَّةً ، وَنَمَّ فَضْلُهَا فِيهَا بِالْخَيْرِ حَافَّةً
وَاللَّشْرُ كَافَّةً : [مِن الطَّرِيقِ]

إِلَيْهَا مَقَالِيدُ التَّقَالِيدِ تَنْتَهِي وَمِنْهَا مَنَاشِيرُ التَّبَاشِيرِ تَخْرُجُ^(٢)
وَشَابَهَتْ الْبَحْرَ الْحَقَصَمَ أَلَا تَرَى أَصَابِعَهَا فِيهَا النَّدَى يَمَجُّ
وَيَنْتَهِي دُعَاؤُهُ الَّذِي تُسَابِقُهُ الْإِنَابَةُ ، وَتُسَاقِقُهُ الْقَبُولُ وَالْإِجَابَةُ : [مِن الطَّرِيقِ]

(١) رَوَاهُ فِي ب : عطاؤك مأمول وظلك وافر
وفي أ : x وبابك مسؤول !
(٢) فِي م : إِلَيْهَا مَقَالِيدُ الْمُقَالِيدِ x .

فَإِنْ صَحَّ ظَنِّي وَاسْتَجِيبَ فَشَمَلْنَا سَيَجْمَعُهُ الرَّحْمَنُ فِي مِصْرَ عَنْ قُرْبِ
وَنَاءَهُ الَّذِي يَنْمُو عَلَى الْحَدَثَانِ ، وَيَسْمُو فَلَيْسَ لَهُ ثَانٍ وَلَا عَنْهُ ثَانٍ ، فَهُوَ :

[من معجزة الكامل]

يُعْرَى مَحَاسِنِ وَضْفِكُمْ مُتَعَلِّقٌ مُتَمَسِّكٌ
وَبِطِيبِ رَيَّا ذِكْرِكُمْ مُتَعَطِّ رُ مُتَمَسِّكٌ

وَوَلَاءَهُ الَّذِي : [من الطويل]

تَعَوَّدَهُ قَلْبِي اشْتِاقاً وَإِنَّمَا « لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا » (١)
وَيَحْفَظُ لِلْوَضَلِ الْقَدِيمِ أَيْدِيَا « وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا » (٢)

وَوُرُودُ (٣) مُشْرِفِهِ الَّذِي [١٤ ب] شَرَحَ الصُّدُورَ ، وَمَنَحَ الْقَلْبَ الْفَرَحَ ، فَلَيْسَ
لَهُ عَنْهُ صُدُورٌ ، الْمُشْتَمِلُ عَلَى الْإِحْسَانِ الَّذِي يَعْجُزُ عَنْ شُكْرِهِ لِسَانُ الْإِنْسَانِ ،
وَالْمُحْتَوِي مِنَ الْفَضْلِ الْعَمِيمِ ، عَلَى كُلِّ حَدِيثٍ وَقَدِيمٍ : [من الطويل]

تَقْصُرُ عَنْ مَبْدَأِهِ غَايَةً غَيْرِهِ « وَعِنْدَ التَّنَاهِي يَقْصُرُ الْمُتَطَاوُلُ » (٤)
وَتَرْجِعُ أَيْدِي النَّاسِ دُونَ مَنَالِهِ وَأَيُّنَ الثَّرِيَّا مِنْ يَدٍ تَتَنَاوَلُ
فَعَامَلَهَا الْمَمْلُوكُ بِالْإِعْظَامِ وَبَجَلَهَا ، وَقَابَلَهَا بِمَا يَجِبُ مِنَ الْإِكْرَامِ وَقَبَلَهَا :

(١) العجز للممتني ، من قوله : [ديوانه ٢٨١/١]

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادة سيف الدولة الطعن في العدا

(٢) العجز للممتني ، من قوله : [ديوانه ٢٨٨]

وما قتل الأحرار كالغفو عنهم وفي ب : ويحفظ للفضل

(٣) في أ : وورد . وفي م : ورد .

(٤) العجز لأبي العلاء المعري ، من قوله : [سقط الزند ٥٥٢/٢]

وإن كنت تبغي العيش فابغ توشطاً فعند التناهي يقصر المتطاول
وينظر الغيث المسجم ١١٩/١ - ١٢٠ .

[من مجزوء الكامل]

تَقْبِيلَ مُشْتَاقٍ بَرَا هُ مِنْ التَّشْرِيقِ مَا بَرَا^(١)
عَبْدُ يَهِيهِمْ إِذَا تَفَكَّدَ كَرَفِيكُمْ وَتَدَبَّرَا
طَابَتْ تَبَارِيحُ الْهَوَى خَبَرًا لَدَيْهِ وَمُخْبِرَا
وَيَشُوقُهُ مِنْ نَحْوِكُمْ عَزَفُ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى^(٢)
أَهْ عَلَى عَيْنِي تَقْضُ ضَى فِي دِمَشْقَ وَأَذْبَرَا
وَزَمَانِ أَنْسٍ كَانَ ثَوًى بُ اللَّهُوَ فِيهِ مُحِبَّرَا
أَزْتَاخٍ فِيهِ مَسْرَّةً وَأَشْمُ مِنْهُ الْعَبِيرَا
وَلَى فَكْسَرِي بَعْدَهُ بِسَوَى اللَّقَا لَنْ يُجْبَرَا

وَفَرَحَ الْمَمْلُوكُ بِصَحَّةِ مَوْلَانَا وَعَافِيَتِهِ ، وَتَشَرَّفَ بِمُرَاسَلَةِ مَوْلَانَا وَمُكَاتَبَتِهِ ،
وَابْتَهَجَ بِؤُفُودِهَا عَلَيْهِ ، وَاسْتَعْظَمَ وُرُودَهَا إِلَيْهِ^(٣) : [من الطويل]

أَتَنِّي فَاتَنِّي الَّذِي كُنْتُ طَالِبًا وَحَيَّتْ فَأَحْيَتْ لِي مُنَى وَمَارِبَا^(٤)
وَقَدْ كُنْتُ عَبْدًا لِلْكِتَابَةِ أَبْتَغِي فَرَّقْتُ عَلَى رَقِّي فَصِرْتُ مُكَاتِبَا
وبَادَرَ الْمَمْلُوكُ إِلَى امْتِثَالِ الْإِشَارَةِ الْعَالِيَةِ ، وَلَمْ يُنْهَلْ مِمَّا رَسَمَ مَوْلَانَا شَيْئًا
بِالْجُمْلَةِ الْكَافِيَةِ ، وَقَدْ طَالَعَ عُلُومَ الْوَالِدِ - أَمْتَعَ اللَّهُ بِحَيَاتِهِ - بِمَا اتَّفَقَ ، وَأَعْلَمَهُ
بِمَا سَيُعْلَمُ بِهِ مَوْلَانَا وَيُزِيلُ عَنْهُ الْقَلَقَ ، وَاللَّهُ يُحَقِّقُ مَا تَعَلَّقْتُ بِهِ الْأَطْمَاعُ ،
وَيُقَدِّرُ فِي الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ الْاجْتِمَاعَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) في أ : تفريق مشتاق . . . ! وفي م : × من التشويق ما برا .

(٢) في س : × . . . إذا انبرى .

(٣) هما له في الذيل على العبر ٣٣٦/٢ وإنباء الغمر ٢٢/١ والمتقى من درة الأسلاك ٤٢٤ وشذرات

الذهب ٣٨٨/٨ .

(٤) من ب : أتني فاتاني . . . × .

● فكتبْتُ أنا الجوابَ إليه عن ذلك^(١) : [من الطويل]

أَزْهَرُ رِيَاضٍ جَادَهَا وَابِلُ الْحَيَا
فَأَصْبَحَ عَطْفُ الْغَضَنِ مِنْ مَرَجِ الصَّبَا
وَفَاءَتْ عَلَى شَاطِي الْجَدَاوِلِ دَوْحَةٌ
وَإِنْ دُرٌّ فِي أَقْطَارِهَا مِسْكَةٌ الدُّجَى
فَأَشْبَهَتْ الْأَرْضُ السَّمَاءَ وَقَارَبَتْ
أَمِ الطَّرْسُ وَشْتَهُ أَنَامِلُ فَاضِلِ
أَبِي حَامِدٍ رَبِّ الْمَحَامِدِ وَالْعُلَا
مَنْ الْخَزَرْجِيِّنَ الَّذِينَ عُلاهُمْ
يَشِيدُونَ مَجْدًا شَأُوهُ غَيْرُ مُدْرِكِ
حَبَانِي بِهِاءِ الدِّينِ أَرْكَى تَحِيَّةِ
أَتَتْ تَتَهَادَى فِي حُلِيِّ بَلَاغَةٍ
فَأَبْصَرْتُ مِنْهَا رَوْقَ الْأَدَبِ الَّذِي
وَحَقَّقَ لِي عِلْمِي بِأَنَّكَ وَاحِدٌ
تَفَرَّدَ فِيهَا حَازُهُ مِنْ فَضَائِلِ
مَبَاحِثُهُ فِي كُلِّ ظُلْمَةٍ مُشْكِلِ
يَرُدُّ عَلَى أَهْلِ الْفَضَائِلِ قَوْلَهُمْ
« أَلَا يَا بِهِاءَ الدِّينِ إِنَّكَ سَيِّدٌ
أَجَدْتَ نِظَامًا حِينَ أَغْرَبْتَ مَقْصِدًا
وَطَافَتْ عَلَيْهَا لِلشَّمَالِ شَمُولُ
يَمِيدُ إِذَا هَبَّتْ صَبَاً وَيَمِيلُ
فَحَاكَتْ عِذَارَ الْخَدِّ وَهُوَ صَقِيلُ
أَسَالَ عَلَيْهَا الزَّعْفَرَانُ أَصِيلُ
بِأَنْجُمِ زُهْرٍ مَا لَهُنَّ أَفُولُ
تُقَرَّرُ لَهُ بِالْعَجْزِ عَنْهُ فُحُولُ
وَمَنْ لَا لَهُ فِيمَا يَرُومُ عَدِيلُ
غَدَا ظِلُّهَا فِي الْفَضْلِ وَهُوَ ظَلِيلُ
وَطَابَتْ فُرُوعٌ مِنْهُمْ وَأُصُولُ
تَطِيبُ صَبَاً مِنْ نَشْرِهَا وَقَبُولُ
يَقُومُ الثَّنَا فِي وَصْفِهَا وَيَقُولُ
يَعِزُّ عَلَى مَنْ رَامَهُ وَيَطُولُ
« وَلَيْسَ سَوَاءَ عَالِمٌ وَجْهولٌ »^(٢)
« وَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ »
« لَهَا غُرُرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُولُ »
« وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ يَقُولُ »
« قَوْلُ لِمَا قَالَ الْكِرَامُ فَعُولُ »
وَلَطَّفَتْ مَعْنَى حَيْثُ أَنْتَ جَلِيلُ

(١) منها اثنا عشر بيتاً في المتنقى من دُرَّةِ الْأَسْلَافِ ٤١٥ .

(٢) الأعجاز الخمسة الآتية من قصيدة عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، في ديوانه ٨٩ - ٩٠ .
وتنسب للسَّمَوَالِ ، في ديوانه ١٠ - ١٢ .

وَالْفَزْتَ فِي جَارٍ كَثِيرٍ وَفَاؤُهُ
يَسِيرُ وَيَسْرِي مِثْلَمَا قُلْتُ دَائِمًا
تَجُرُّ عَلَيْهِ الرِّيحُ فَاِضِلْ بُرْدَهَا
إِذَا أَعْجَبَ الْكُفَّارَ فَيُضْ نَوَالِهِ
عَدِيمُ الْوَفَا عِنْدَ الصِّفَا إِذَا بَدَا
تَرَاهُ بَلَا كَفٍّ وَكَمْ إِضْبَعُ لَهُ
وَأَخِرُهُ جَمْعٌ وَأَوْسَطُهُ نِدَاً
وَإِنْ قِيلَ: مَا هُوَ؟ قُلْتُ: مَا هُوَ حَقِيقَةٌ
أَخُو السَّرِّ كَمْ غَطَى مِنَ النَّاسِ عَوْرَةً
وَحُلُوْ خَفِيفٌ لِلْقُلُوبِ مُحَبَّبٌ
وَكُلُّ عَرُوضِي يَرَى أَنَّ بَحْرَهُ
ضَعِيفُ الْقُوَى مَا رَدَّ رَاحَةً لَامِسٍ
وَأَعْجَبُ مَا فِيهِ صَحِيحٌ لِنَاقِيَةٍ
تُرَاعُ تِرَاعُ الْأَرْضِ مِنْهُ إِذَا طَغَى
وَمَا يُنْصَرُّ السُّلْطَانُ إِلَّا بِكُسْرِهِ
قَطَعْتُ بِهِ لَيْلَ التَّمَامِ مُسَهَّدًا
فَأَوْضَحَ مَعْنَاهُ وَأَيْدَى غَمُوضُهُ
وَلَيْسَ يَدْعُ أَنْ يَرَى صِنُوكَ الْهُدَى

وَرَبَّتَمَا قَدْ رَاحَ وَهُوَ قَلِيلٌ^(١)
[١٥] وَتَمَّ جِنَاسُ اللَّفْظِ حِينَ يَسِيلُ
فَيُضْبَحُ مِنْهُ الذَّيْلُ وَهُوَ بَلِيلُ
فَإِحْسَانُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَصَوْلُ
تَغْيَرُهُ فَالْخَيْرُ مِنْهُ جَزِيلُ
تُعَدُّ أَيْادِيهَا وَذَاكَ يَطْوِلُ
وَأَوَّلُهُ فِي الْبَحْرِ لَيْسَ يَزُولُ^(٢)
يَصُوبُ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى وَيَصُولُ^(٣)
وَجُرَتْ عَلَيْهِ لِلْقَيْحِ ذُبُولُ^(٤)
وَأَمَّا سِوَاهُ بَارِدٌ وَثَقِيلُ
بَسِيطٌ مَدِيدٌ وَافِرٌ وَطَوِيلُ
صَبُورٌ لِأَثْقَالِ الْأَنْفَامِ حَمُولُ
فَيَا عَجَبًا وَالْقَلْبُ مِنْهُ عَلِيلُ^(٥)
وَيُؤْمَنُ لَمَّا أَنْ يُخَافُ سَبِيلُ
وَذَاكَ مُرَادٌ لِلْأَنْفَامِ وَسُؤْلُ
وَلَمْ يَبْدَ لِي مِنْهُ عَلَيْهِ دَلِيلُ
أَخْوَكُ جَمَالُ الدُّنْيَا دَامَ يُنِيلُ
وَفَكَّرُكُمَا فِي الْغَامِضَاتِ يَجُولُ

- (١) فِي س: - - - كِيرٌ وَفَاؤُهُ X .
(٢) آخِرُهُ لَأَمْ - بِسَبِيلِ الْهَمْزَةِ - : جَمْعٌ . وَأَوْسَطُهُ نِدَاءٌ : يَا يَا ، لِاجْتِمَاعِ الْقَوْمِ - وَأَوَّلُهُ نُونٌ : سَمَكٌ .
(٣) قَوْلُهُ : مَا هُوَ حَقِيقَةٌ : مَا هُوَ حَقِيقَةٌ .
(٤) فِي م : - - - عَلَى النَّاسِ عَوْرَةً X .
(٥) الْقَلْبُ مِنْهُ عَلِيلٌ : أَوْسَطُهُ حَرْفُ عِلَّةٍ (نِيلٌ) .

فلا زِلْتَ مِثْلَ الْبَحْرِ يُبْدِي عَجَائِبًا وَيُطْفَحُ مِنْ فَيَاضِ فَضْلِكَ نَيْلُ
يُقْبَلُ الْأَرْضَ حَيْثُ سَحَابُ الْفَضَائِلِ تَجُودُ ، وَكَوَائِبُ الْبِدَائِعِ سُعُودُ ،
وَلِيَالِي الْمُخَالِفِ يَنْضُ وَأَيَّامُ الْمُخَالِفِ سُودُ ، وَمَعَانِي النَّظْمِ وَالتَّنْثِيرِ لِلْفُصُولِ
فُصُوصٌ وَلِلْعُقُولِ عُقُودُ ، وَمَجَالِسُ الْجُودِ مِنْهَا لِحِبَاهِ الرَّاغِبِينَ فِيهَا مَجَالُ
سُجُودٍ : [من الخفيف]

فَهِيَ أَرْضٌ لَمَّا وَطِئْتَ عَلَيْهَا أَكْسَبَتْ عَنَبَ الْمَفَارِقِ طِينًا
وَيُنْهِي بَعْدَ وِلَاءٍ لَا يَزَالُ مِنْهُ بَيْنَ خَفَقِ أَلْوِيَةِ وَبُنُودٍ ، وَدُعَاءِ لِيَصْدُقَ رَفْعُهُ إِذَا
حَضَرَ إِبَابَةَ مَشْهَدٍ فَالْمَلَائِكَةُ شُهُودُ ، وَثَنَاءُ يَبْلُجُ وَيَتَأَرَّجُ بَيْنَ نُجُومِ نَزْجِسِ
وَشُمُوسِ وَرُودٍ : [من الخفيف]

فَتَرَاهُ فِي صَفْحَةِ الذَّهْرِ سَطْرًا جَعَلَتْ نَقْطَةُ الْعُقُولِ قُلُوبًا
وَرُودَ الْمُشْرِفِ الْكَرِيمِ ، فَضْوَاً يَنْوِرُهُ الْوُجُودُ ، وَأَشْبَهُ طِرْسُهُ أَيَّامَ
الْوِصَالِ ، وَنِقْسُهُ لِيَالِي الصُّدُودِ ، وَحَكَى سَطْرُهُ الْجَذُولَ الْمُطَرِّدَ ، وَنَقْطُهُ
الْحَبَبَ الْمُتَضَّدَ ، وَهَمَزَتُهُ الطَّيْرَ الْغَرْدَ ، وَأَلْفُهُ الْغُصْنَ الْأَمْلُودَ : [من الخفيف]

فَبَكَتْ مُقْلَتِي سَحَاباً وَغَرَّ دَثَ حَمَاماً ثُمَّ أَهْتَزَزْتُ قَضِييَا
وَرَأَيْتُ تِلْكَ الْجَنَّةَ الَّتِي أُرْلَقَتْ ، وَالرِّيَاضَ الَّتِي تَزَيَّنَتْ بِالْأَزْهَارِ
وَتَزَخَّرَتْ ، وَالْفَضَائِلَ الَّتِي فُرِّقَتْ فَضَائِلُهَا عَلَى الْمَحَاسِنِ الَّتِي تَأَلَّفَتْ ،
وَالْفَوَائِدَ الَّتِي رَسَبَتْ الْجَوَاهِرُ ثِقَلًا وَهَذِهِ لِلطُّفْهِهَا طَفَتْ ، فَلَوْ رَأَاهَا الْفَاضِلُ
لَنَقَصَ ، أَوْ ابْنُ الْأَثِيرِ لَاسْتَحَقَّهُ الطَّرْبُ وَرَقَصَ ، أَوْ ابْنُ النَّبِيِّ^(١) لَرَقَدَ طَرْفُهُ ، أَوْ

(١) ابن النبية : علي بن محمد بن الحسن ، كمال الدين ، الشاعر المصري المشهور ؛ توفي سنة ٦١٩ هـ . (فوات الوفيات ٦٦/٣) .

ابن أبي الإصبع^(١) لَانْقَطَعَ عِنْدَهَا كَمُّهُ ، أَوِ الْجَزَّارُ^(٢) لَعَدَدَ نَفْسُهُ فِي الْأَنْعَامِ ، أَوِ السَّرَّاجُ^(٣) لَطَفِيَّةَ نُورُهُ وَمَشَى بِغَيْرِ هُدًى فِي الظُّلَامِ ، أَوِ ابْنُ النَّقِيبِ^(٤) لَشَقَّ النَّاسُ عَصَا الطَّاعَةِ لَهُ فِي الْأَدَبِ ، أَوِ النَّصِيرُ الْحَمَامِيُّ^(٥) لَكَسَرَ قَسْطَلَ نَصْرِهِ وَخَمَدَ مَا عِنْدَهُ مِنَ اللَّهَبِ ؛ فَعَيَّنُ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمِ السَّخَّارَةَ ، وَالْأَلْفَاظِ الَّتِي أَخَمَلَتْ مَا فِي الْأَخْدَاقِ [١٥ ب] مِنْ نَظَرَاتٍ وَمَا فِي الْحَدَائِقِ مِنْ نَضَارَةٍ ، وَالْمَعَانِي الَّتِي مَا أَشَبَّهَ الدِّيَاجِي مِدَادُهَا^(٦) إِلَّا وَهِيَ مِثْلُ الْكَوَائِبِ السَّيَّارَةِ ؛ لَقَدْ نُبِّتَ سِحْرُهَا مِنَ الْأَقْلَامِ فِي الْعُقَدِ ، وَشَدَّتْ كُلُّ لِسَانٍ يُحَاوِلُ الْجَوَابَ عَنْهَا بِحَبْلِ مِنْ حَسَدٍ ، وَخَلَقَتْ فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْعَصْرِ لَهَا الْحَسَدَ ، وَأَمْسَى كُلُّ سَطْرِ فِي رَوْضَتِهَا مُسْتَهْنًى وَعَلَيْهَا مِنْ سَبْقِ مَوْلَانَا رَحَدٌ ؛ فَاحْسِنِ عِتَانَكَ فَمَا تَمَّ مِنْ يُجَارِي ، وَأَخْبَأْ بَضَائِعَ إِنْسَائِكَ فَمَا تَصِلُ كَفُّ مُنَاوِيءٍ إِلَى هَذِهِ الدَّرَارِي ؛ فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ^(٧) : [مَنِ الْبَسِيطِ]

- (١) ابن أبي الإصبع : عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر ، العدائوني المصري ، الشاعر المشهور ؛ توفي سنة ٦٥٤ هـ . (الوافي ٧/١٩) .
- (٢) الجزار : يحيى بن عبد العظيم ، ألبو الحسين ، الأحيب المصري ؛ توفي سنة ٦٧٩ هـ . (الفتاوى ٢٧٧/٤) .
- (٣) السراج الوراق : عمر بن محمد بن حسن ، الشاعر المصري المشهور ؛ توفي سنة ٦٩٥ هـ . (الفتاوى ١٤٠/٣) .
- (٤) ابن النقيب : الحسن بن شاوور بن طرخان ، المعروف بالفُقَيْسِي ، أديب شاعر ؛ توفي سنة ٦٨٧ هـ . (الفتاوى ٣٢٤/١) .
- (٥) النصير الحمامي : النصير بن أحمد بن علي المناوي ، الأديب المصري ، توفي سنة ٧١٢ هـ . (الفتاوى ٢٠٥/٤) .
- (٦) في م : نَقَسَهَا . وهما بمعنى .
- (٧) البيت للعرنيس الكلابي ، أو لابنه عُبيد بن العرنيس ، في : الحماسة بشرح المبرزوقي ١٥٩٥/٤ وبشرح الأعلام ٩٠٣/٢ وسمط اللآلي ٥٤٦/١ وكامل المبرد ١٠٦/١ وشرح العيون ٤٢٣ ومعجم الشعراء ١٧٣ . وهو لعقيل بن العرنيس في حماسة ابن الشجري ٣٥٩/١ . وبلا نسبة في تعبير الزُّوِّي ١١٢ . - وفي هامش أ : يهدي . مقابل : يسري بها الساري .

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقُلْ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي
 فَلَقَدْ تَقَسَّمَ ذَهْنُ الْمَمْلُوكِ فِي هَذَا اللَّغْزِ الْبَدِيعِ ، وَالنَّظْمِ الَّذِي سَلِمَ فِيهِ
 خَاسِرٌ وَمُسْلَمٌ مِنْهُ صَرِيحٌ ، تَلَعَّبَ^(١) فِيهِ مَوْلَانَا بِأَنْوَاعِ عُلُومِهِ ، وَسَيَّرَ فِي لِيَالِي
 سُطُورِهِ زَوَاهِرَ نَجُومِهِ ، فَمَا وَسَمَ الْمَمْلُوكُ فِيهِ غُفْلًا ، وَلَا فَتَحَ مِنْهُ قُفْلًا ، حَتَّى
 أَبْرَزَهُ الْمَوْلَى الْقَاضِي جَمَالَ الدِّينِ أَخُو مَوْلَانَا شَمْسًا تُسْفِرُ ، وَجَعَلَ أَبْيَاتَ مُعَمَّاهُ
 وَعَوِيصُهُ خَالِيَةً تَصْفِرُ ، فَالشُّكْرُ لَهُ بِحَقِّ وَاجِبٍ ، وَالشَّاءُ عَلَى إِفَادَتِهِ إِيَّانَا ضَرْبَةٌ
 لَازِبٌ ؛ وَالْمَمْلُوكُ يَتَّخِذُ هَذِهِ الْحَالَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ نَضْبًا ، وَيَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْجَوَابِ
 كَعَيْشِ أَبِي الطَّيِّبِ لَمَّا قَطَعَهُ وَثْبًا ؛ وَاللَّهُ يَجْعَلُ كَوَاكِبَ الْمُحَامِدِ^(٢) لَهُ تَسِيرٌ فِي
 الْآفَاقِ شَرْقًا وَغَرْبًا .

الْمَمْلُوكُ يَقْبَلُ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْ الْمَخْدُومِ الْمُحِبِّيِّ ، بَسَطَ اللَّهُ ظِلَالَهُ ، وَقَدْ
 وَقَفَ عَلَى الْفَضْلِ الْمُخْتَصِّ بِهِ فِي كِتَابِ مَوْلَانَا قَاضِي الْقَضَاةِ أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ ،
 فَأَنْشَدَ : [من الكامل]

وَوَعَدْتَنِي يَا مَالِكِي بِزِيَارَةٍ فَبَقِيَتْ طُولَ اللَّيْلِ أَتْلُو ﴿هَلْ أَتَى﴾^(٣)
 ● وَكُتِبَتْ أَنَا إِلَيْهِ أَهْنَتُهُ مِنَ الشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، وَقَدْ رُسِمَ لَهُ أَنْ يَكُونَ مُفْتِي
 دَارِ الْعَدْلِ الشَّرِيفِ بِالْأَبْوَابِ الْعَالِيَةِ ، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، سَنَةِ ٧٤٩ : [من
 البسيط]

عَجِبْتُ مِنْ دَارِ عَدْلِ أَنْتَ مُفْتِيهَا وَكَوْنِهَا لَمْ تَطْرُ مِنْ عُجْبِهَا تَيْهَا
 أَنِّي تَطِيرُ فِيهَا مِنْكَ طَوْدُ حِجِّي عُلُومُهُ تَمْلَأُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

(١) فِي ب : نَفَث .

(٢) فِي أ ، الْمَدَائِح . وَفِي هَامِشِهِ : الْمُحَامِد .

(٣) سُورَةُ الْإِنْسَانِ : ١ .

فَالآنَ قَدْ نَظَرَ الرَّأْيُ الشَّرِيفُ بِمَا
وَكَانَ دَسْتًا شَرِيفًا لَيْسَ يُعْوزُهُ
تُهْنَأُ الدَّوْلَةُ الْغَرَاءُ مِنْكَ بِكَ
فَانْهَضْ بِعَزَمَتِكَ الْعُلْيَا إِلَى رُتَبِ
وَدَعْ حَسُودَكَ فِي غَيْظِ فَرْبَتَمَا
لَمْ يَذْنِكَ النَّاصِرُ السُّلْطَانُ مِنْهُ سُدَى
لَكِنَّ مِنْهَا جَكَ الْوَضَاحُ مُشْتَهَرٌ
يُجَبِّلُ الْأَرْضَ ، وَيُهْنِي نَفْسَهُ أَوَّلًا يَهْدِيهِ الْمَوْظِيفَةُ السَّيِّئَةُ ، وَالْأَنَامُ ثَانِيًا ؛ فَإِنَّ
الْعُلَمَاءَ هُمْ أُولُو الْأَمْرِ الْمُطَاعِ فِي الْبَرِّيَّةِ ، وَمَوْلَانَا بِسَطَ اللَّهُ ظِلُّهُ ثَالِثًا^(٢) : [من
الكامل]

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّنِي هَنَأْتُهُ وَأَنَا الْمُهْنَأُ فِيهِ بِالنِّعْمَاءِ
وَيُنْهِي مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الشُّرُورِ الَّذِي نَفَسَ عَنْهُ كُرْبَ الشَّوْقِ ، وَالْفَرَحِ الَّذِي
أَبْهَجَهُ وَكَانَ الْبُعْدُ قَدْ جَرَّهُ إِلَى الْهَلَاكِ بِالطُّوقِ ، وَمَا يَظُنُّ الْمَمْلُوكُ ، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ
مُقْلَعَةٌ تُنْجِ^(٣) أَمَانِي النَّفُوسِ عَاجِلًا ، وَيُقَرِّرُ الْعُيُونَ بِرُؤْيَا مَوْلَانَا كَمَا نُحِبُّ ، فَإِنَّ
ذَلِكَ لِقَدْ ذَاهَا جَلًا ، « وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا »^(٤) ، [١٢٦] « وَلَمَعَةُ الْبَرْقِ
يَأْتِي بَعْدَهَا الْمَطَرُ » ، « وَالْبَدْرُ أَوَّلُ مَا يَكُونُ هِلَالًا »^(٥) : [من البسيط]

- (١) في ب ، س ، م : × كانت متلينا نفوس . . .
(٢) البيت لأبي إسحاق الصائبي ، في بَيْتَةِ الدَّهْرِ ٢/٢٨٣ ومسالك الأبصار ١٢/٣٧ .
(٣) في ب : تهتج .
(٤) من قول النابغة الجعدي : [ديوانه ٨٥]
بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدَنَا وَجَلَدْنَا
وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا
(٥) البيت للبحري ، في ديوانه ١/١٧١ .
وروايته في أ : وأزرق البطح . . . × ! . وفي ب : وأزرق الصبح يأتي . . . × . . . ثم
ينهمل .

وَأَزْرَقُ الصُّبْحِ يَدُو قَبْلَ أَبْيَضِهِ وَأَوَّلُ الْغَيْثِ قَطْرٌ ثُمَّ يَسْكَبُ
 فَاللهُ يُوزِعُنَا - مَعَشَرَ الْأَوْلِيَاءِ - شُكْرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي لَا يُقَدِّرُهَا الْجَاهِلُ حَقَّ
 قَدْرِهَا ، وَلَا يَتِمَكَّنُ الظَّرْفُ الْأَعْمَى مِنَ التَّمَلِّي بِسَنَا شَمْسِهَا ، وَلَا مِنْ اسْتِجْلَاءِ
 وَجْهِ بَدْرِهَا ، وَقَدْ قَالَ الْمَمْلُوكُ : [من مجزوء الرمل]

حَاسِدَ السُّبُكِيِّ بَغِيَاءَ بِتٍّ فِي خَطْبٍ وَشِيكَ
 أَنْتَ لِلشُّوْقَةِ تَفْتِي وَهُوَ يُفْتِي لِلْمَلِكِ
 وَلَكِنَّ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ الْمُبَارَكَةَ مَنَعْتَنَا التَّمَلِّي بِوَجْهِ مَوْلَانَا ، لَا أَخْلَى اللهُ مِنْ
 إِحْسَانِهِ حَيْثُ كَانَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَرُورُ دَمَشَقَ الْمَحْرُوسَةِ فِي كُلِّ سَنَةٍ فَيَزِيْدُهَا
 مَحَاسِنَ ، وَيُعَلِّمُهَا مِنْ أَخْلَاقِهِ اللَّطْفَ ، فَتُمَسِّي وَنَسِيمُهَا مُتَأَرِّجٌ ، وَمَاوَاهَا غَيْرُ
 آسِنٍ ؛ وَلِلَّهِ الْقَائِلُ^(١) : [من الطويل]

أَبَى دَهْرُنَا إِسْعَافَنَا فِي نَفُوسِنَا وَأَسْعَفَنَا فِي مَنْ نُجِلُّ وَنُكْرِمُ
 فَقُلْتُ لَهُ نِعْمَاكَ فِيهِمْ أَتَمَّهَا وَدَعْ أَمْرَنَا إِنَّ الْمُهِمَّ الْمُقَدَّمُ
 وَاللهُ تَعَالَى يُكْمِلُ بِهِ الْمَسْرَةَ ، وَيُدِيمُ لَهُ الْمَبَرَّةَ ، وَيَجْعَلُ عَلَى الْكَوَاكِبِ
 مَقَرَّةً ، وَإِلَى سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ مَمَرَّةً ؛ بِمَنْهُ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

● فَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ : [من البسيط]

أَهْلًا بِهَا مِنْ عُقُودٍ ظَلَّ مُهْدِيهَا يُضْبِي الْعُقُولَ لِمَا أَبْدَى وَيَهْدِيهَا
 وَمِنْ رِيَاضٍ بَكَّتْهَا الشُّخْبُ فَابْتَسَمَتْ مِنْهَا الْأَزَاهِرُ وَازْدَانَتْ مَعَانِيهَا
 وَمِنْ كُؤُوسٍ مُدَامَ قَدْ زَحَفْنَ عَلَى جَيْشِ الْهُمُومِ بِلُطْفٍ فِي مَعَانِيهَا^(٢)

(١) البيتان لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، في : أدب الكتاب ٢٣٤ والتذكرة الحمدونية ١٥٧/٤ ووفيات
 الأعيان ٤١٨/٢ و١٢١/٣ .

(٢) في أ ، س : قد زحفت على × .

لله أنبيائك الغر الحسان لكم
يكاد بذر الدجى لولا تكلفه
حلت فحلت عرى الأخران عن خلدي
لا عيب فيها سوى إتعابها لأخي
وأنها أثقلت ظهري بأنعمها

أبدت بديع القوى فيها قوافيها
إذا بدا نورها الوضاح يحكيها
كأنما السحر حشو في حواشيها^(١)
جهل يروم لها في الحس تشيها
وقصرت يد شكري عن أيديها

ويُنهى ورود المُشرفِ الكريمِ أعلاه اللهُ تعالى ، وأدامَ عليه النعمَ والى ،
فقبَّله المملوكُ ، وقابله من الإجلالِ بأحسنِ الشلوكةِ ، واجتلى منه أجملَ
عروسٍ ، واجتلى ثَمَرَ الآدابِ من تلكَ العروسِ ، واجتلى من كلمه كُلِّ
ما تهوى النفوسُ ؛ غيرَ أَنَّهُ صادفَ من المملوكِ قلباً يَتَقَلَّبُ على الجوى ،
ويَتَقَلَّبُ سبيلاً إلى الفرارِ من النوى ، ويَتَصَلَّبُ على الحبِّ كلما انشوى ،
ويَتَغَلَّبُ عليه داعي الهوى ، فأنسَ من جانبِهِ نارَ المؤانسةِ ، ولايسَ منه ما جانبَ
به وسأوسه ، وحَمِدَ اللهُ تعالى على عافيةِ مولانا التي هي غُرَّةٌ في جبهةِ الزمانِ ،
وفُرَّةٌ لِعُيونِ الأعيانِ ؛ وانتهى إلى ما تَفَضَّلَ بِهِ من التَّهَنُّتِ بما هو معدودٌ مِنْ
إِحسانِهِ ، فَإِنَّ اللهَ تعالى فَكَّرَهُ على يَدِهِ وَلِسَانِهِ ؛ ودُعَاءُ المملوكِ لِمولانا لهذا
مُتَضَاعِفٌ ، وثناؤه مُتَرادِفٌ ، وولأُوهُ على الولاءِ جارٍ وعلى البابِ الكريمِ
واقِفٌ ، وكانَ من حَقِّهِ أَنْ يُعَجَّلَ بالمُطالعةِ ، ويُقابَلَ هذهِ الصَّدَقَةُ من الشُّكْرِ
بأشدِّ المُسارعةِ ، وإِنَّمَا عاقَتُهُ العوائقُ ، وشَغَلُهُ ما شَغَلَ جَمِيعَ الخلائقِ ، وهو
أَمْرٌ هذا الوباءُ ، وما بَلَغَكُمْ عَنْهُ من النَّبَا ، فَإِنَّهُ قد عَمَّ البلادَ والعِبَادَ ، وغَمَّ
النفوسَ وأَذابَ الأكبادَ ؛ وقدَ مِضَرَ في أوَّلِ هذهِ السَّنَةِ ، [١٦٦ ب] فَفَقَدَ أَهْلُهَا
القرارَ والسَّنَةَ ، وقَدِمَ بِعساكِرِ المَنايا ، وألقى الرُّعْبَ في قُلُوبِ البرايا ، وأَبْقَى
في صُدُورِهِمُ البَلايا ؛ وشَهَرَ لِكُلِّ أَحَدٍ نِصَابَهُ ، ونَزَلَ بِبابِ كُلِّ بَيْتٍ مِنْهُ

(١) في س : × كأنما السحر حشو . . .

عِصَابَةٌ ، فَالنَّاسُ بَيْنَ مَيِّتٍ وَمَائِتٍ ، وَمُتَوَقِّعٍ لِلْفَوَاتِ وَفَائِتٍ ؛ وَأَصْبَحَ كُلُّ جَبَّارٍ مِنْهُ وَهُوَ خَائِفٌ ، وَيُظَنُّ أَنَّ الْمَوْتَ عَلَى بَابِهِ وَاقِفٌ ، وَمَاتَ كُلُّ حَيٍّ بِالْقُوَّةِ ، وَجَهَّزَ أَهْبَ الْمَوْتِ نَحْوَهُ ، إِنَّ دَخَلَ بَيْتًا كَانَ آخِرَ أَهْلِهِ خُرُوجًا ، وَإِنْ عَدَلَ إِلَى فَنَاءٍ أَجَّجَ نَارَ الْفَنَاءِ تَأْجِيجًا ، فَقَصُرَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَمَالُ ، وَكَثُرَتِ الْأَعْمَالُ ، وَعَظُمَ التَّضَرُّعُ إِلَى اللَّهِ وَالصَّبَاحُ ، وَعَمِلَ النَّاسُ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) : « إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ ، وَإِذَا أُمْسَيْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ » .

غَيْرَ أَنَّ لَهُ خَلَائِقَ مَحْمُودَةً ، وَغَرَائِبَ لَيْسَتْ فِي سِوَاهُ مَوْجُودَةً ؛ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الشَّخْصِ وَأَقَارِبِهِ ، وَلَا يُؤَرِّقُ جَفْنَ الْمَوْجُوعِ عَلَى ذَاهِبِهِ ، بَلْ إِنْ أَخَذَ وَاحِدًا أَتْبَعَهُ بِجَمِيعِ أَهْلِهِ ، وَجَمَعَ شَمْلَهُ فِي الْفَنَاءِ بِإِعْدَامِ ذَلِكَ النَّسَبِ مِنْ أَصْلِهِ ؛ لَا تَطُولُ مَعَهُ الْأَمْرَاضُ ، وَلَا تَكْثُرُ عَلَى الْجَسَدِ فِيهِ الْأَعْرَاضُ ، وَقَدْ طَالَتْ مُدَّتُهُ عَلَى الْأُمَّةِ ، وَقَوِيَتْ شِدَّتُهُ عَلَيْهِمْ وَالْغَمَّةُ ؛ وَاشْتَرَكْتَ فِي مُصَابِهِ الْخَلَائِقُ وَالْبُلْدَانُ ، وَعَمَّتِ الْأَشْجَانُ وَالْأَحْزَانُ .

وهذا أَمْرٌ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ فِي الْوُجُودِ ، وَلَمْ يَقَعْ نَظِيرُهُ فِي أَعْصَارِ الْجُدُودِ ؛ وَآيُّ طَاعُونٍ دَخَلَ الْأَرْضِينَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَوَصَلَ إِلَى الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ؟ وَطَاعُونُ الْجَارِفِ بِالنَّسَبَةِ إِلَيْهِ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ ، وَطَاعُونُ عِمَاسِ كَالْقَطْرَةِ مِنْهُ فِي الْقِيَاسِ ، وَطَاعُونُ الْأَشْرَافِ خَاصٌّ بِيَعْضِ الْأَصْنَافِ ، وَطَاعُونُ الْفَتَيَاتِ ، لِغَيْرِ الْأَبْكَارِ لَمْ يُوَاتِ ^(٢) ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي التَّضَرُّعِ (إِلَى اللَّهِ) فِي ارْتِفَاعِ هَذِهِ النَّازِلَةِ ، وَانْقِطَاعِ هَذِهِ النِّقْمَةِ بِنِعْمَةٍ عَاجِلَةٍ .

(١) موقوف ، من قول ابن عمر ، في الجامع الكبير للترمذي ١٥٩/٤ رقم ٢٣٣٣ .

(٢) انظر ذكر الطواغين وأوقاتها في : المعارف ٦٠١ والتعاوي للمدائني ١١٨ والتعاوي للمبرد ٢٠٩ والنجوم الزاهرة ١٤٠/١ و١٨٣ .

وَأَمَّا عَدَمُ سَفَرِ الْمَمْلُوكِ إِلَى دِمَشْقَ هَذِهِ الْأَيَّامَ ، فَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ
الْآلَامِ^(١) : [من البسيط]

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُذَرِّكُهُ تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ
وَمِمَّا سَنَحَ لِلْمَمْلُوكِ عِنْدَ وَصُولِهِ إِلَى هَا هُنَا : [من الوافر]

أَجْبُكَ لَا لِأَمْرِ دُنْيَوِيٍّ يُسَاعِدُنِي عَلَى طُرُقِ النَّجَاحِ
وَلَكِنْ كُلُّ ذِي عَقْلٍ وَدِينٍ وَجَدْنَاهُ يَمِيلُ إِلَى الصَّلَاحِ
وَالْمَمْلُوكُ يَسْأَلُ التَّشْرِيفَ بِالْمَرَامِسِ وَالْخِدَمِ ، وَمَا تَجَدَّدَ مِنَ النَّظْمِ فِي هَذِهِ
الْأَيَّامِ .

أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ الْمِغْمَارُ لِنَفْسِهِ^(٢) : [من السريع]

يَا مَنْ تَمَنَّى الْمَوْتَ قُمْ وَاعْتَنِمْ هَذَا أَوَانُ الْمَوْتِ مَا فَاتَا
قَدْ رَخِصَ الْمَوْتُ عَلَى أَهْلِهِ وَمَاتَ مَنْ لَا عُمْرَهُ مَاتَا
وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْمَعُ الشَّمْلَ بِمَوْلَانَا عَلَى أَحْسَنِ الْأَحْوَالِ ، وَيُبْلِّغُهَا نِهَآيَةَ الْأَمَالِ ،
وَالْمَمْلُوكُ يُقْبَلُ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَوَالِي وَيُجِلُّهُمْ عَنِ التَّلَفُّظِ^(٣) ، وَيَحْفَظُ لِسَانَهُ
عَنْ ذَلِكَ أَشَدَّ التَّحَفُّظِ ، غَيْرَ أَنَّهُ يُكْثِرُ مِنْ تِلَاوَةِ سُورَةِ النَّمْلِ ، وَيَكْفِي ذَلِكَ فِي الْعِلْمِ
بِهِمْ ، جَمَعَ اللَّهُ بِهِمُ الشَّمْلَ ، بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكُتِبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ : [من الكامل]

وَإِنِّي الْمُشْرِفُ وَالْمُشْتَفُّ مَسْمَعِي فَازْدَادَ فِيهِ تَوَلُّعِي وَتَوَلُّعِي^(٤)

(١) البيت للمتنبي ، في ديوانه ٢٣٦/٤ .

(٢) هما له في تعريف ذوي العلا ٦٢ والدرر الكامنة ٤٩/١ .

(٣) في س : بين يدي مَنْ يُجِلُّهُمْ عَنِ التَّلَفُّظِ

(٤) في ب : × . . . ترنمي وتولُّعي .

فَعَجِبْتُ مِنْ شُغْلِي بِبُعْدِكَ وَالنَّوَى
 وَافَى وَلَيْلُ الْهَمِّ قَدْ مَلَأَ الْمَلَا
 فَفَنَى الْقَدَى عَنْ نَاطِرِي وَشَفَى الْأَذَى
 إِنَّهُ بِهِاءِ الدِّينِ إِنَّهُ إِنْ لِي
 وَكَذَاكَ لِي نَفْسٌ مَتَى تَزْنَعُ لِحْطَ
 أَنْفَاطِكَ الْغُرِّ الَّتِي قَدْ زَيَّنْتَ
 لَمَّا عَلَوْتَ ذُرَى الْبَلَاغَةِ فِي الْوَرَى
 [١١٧] تَعْمِي الْبَصَائِرَ كَيْفَ لِي قَلْبٌ يَبْعِي
 فَجَلَا دُجَاهُ بِنُورِهِ الْمُشْغَشِشِ
 مِنْ خَاطِرِي وَنَفَى الْجَوَى عَنْ أَضْلُعِي ^(١)
 طَرْفًا مَتَى يَطْمَحُ لِفَضْلِكَ يَطْمَحُ
 بِ قَدْ أَلَمَ بِرَوْضِ لَفْظِكَ تَزْنَعِي
 آفَاقَ كُتُبِكَ بِالْبُدُورِ الطَّلَعِ
 « هَبَطْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ » ^(٢)

يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي وَرُودَ الْمُشْرِفِ الْكَرِيمِ ، الَّذِي ^(٣) تُشْرِقُ أَقْمَارُ
 مَعَانِيهِ ، وَتُزْهِرُ نُجُومُ لَفْظِهِ الَّتِي طَلَعَتْ مِنَ الْمِدَادِ فِي ظُلْمِ دِيَاغِيهِ ، فَبَهَتْ لِذَلِكَ
 الْحُسْنُ ، وَعَلِمَ كَيْفَ تَفَخَّرَ ^(٤) الْقَالَةُ اللَّسْنُ ؛ وَقَالَ ^(٥) : [من البسيط]

هَذَا قَرِيضٌ عَنِ الْأَمْلَاكِ مُحْتَجِبٌ فَلَا تُذِلُّهُ بِإِكْثَارٍ عَلَى السُّوقِ
 فَاللهُ يُمْتَعُ الْوُجُودَ بِكَمَالِ مَوْلَانَا ، الَّذِي لَا تَرَالُ تَدُورُ عَلَيْهِ الْبُدُورُ ، وَتُضَمُّ
 عَلَى مَا يَصْدُرُ مِنْ سَطُورِهِ الْجَوَانِحُ فِي الصُّدُورِ ، وَلَكِنَّهُ وَرَدَ وَالنَّاسُ فِي وَرْدِ
 الْمَنِيَّةِ ، وَكُلُّ نَفْسٍ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ عَمَّا ^(٦) حَلَّ بِهَا مِنْ شِدَّةِ هَذِهِ الْبَلِيَّةِ ، فَإِنَّا لِلَّهِ
 وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، قَوْلَ مَنْ تَحَقَّقَ الظَّنُّ دُونَ الْإِقَامَةِ ، وَأَنَابَ إِلَى اللَّهِ وَتَعَوَّذَ
 مِنْ شَرِّ النَّفْسِ اللَّوَامَةِ ؛ مَا نُقَابِلُ أَمْرَ اللَّهِ إِلَّا بِالرَّضَى ، وَلَا نَسْخَطُ لِمَا حَكَمَ بِهِ

(١) في ب : . . . ونفى الأذى × .

(٢) العجز ، صدر بيت لابن سينا ، تمامه : [الوافي بالوفيات ١٢ / ٤٠٧ ووفيات الأعيان ٢ / ١٦٠]
 هبطت إليك من المحلِّ الأرفع ورقاء ذات تدلُّلٍ وتمتع
 (٣) الذي : ساقطة من س .

(٤) في ب : تعجز .

(٥) البيت لأبي العلاء المعري ، في شروح سقط الزند ٢ / ٦٧٧ .

(٦) في م : مما حصل بها من هذه البليَّة .

رَفْعُ
عبد الرحمن النخعي
السنة النبوية الفردوس

من هذا الفناء وقضى .

يا مولانا ، أَوَّلُ ما دَخَلَ هذا الطَّاعُونَ إلى الشَّامِ من غَزَّةَ ، وأَدْخَلَ إِصْبَعَ كُلِّ أَحَدٍ من رَزِيَّتِهِ تحت رِزَّةٍ^(١) ، وَفَعَلَ فِيهَا وفي تلك النَّاحِيَةِ ما فَعَلَ ، وَرَمَى فَلَمْ يُخْطِ المَقَاتِلَ ، كَأَنَّمَا هو رامٍ من بَنِي تُعَلٍ ، وما قُطِّعَ عَنْهَا حتَّى وَثَبَ إلى قَطِيَا ، وبَاتَ يَبْرِي سِهَامَهُ بَيِّرُوتَ بَرِيًّا ؛ فقال المملوكُ : [من البسيط]

قد قُلْتُ لِلطَّاعُونَ وَهُوَ بِغَزَّةَ قد جَالَ من قَطِيَا إلى بَيِّرُوتِ^(٢)
أَخْلَيْتَ أَرْضَ الشَّامِ من سُكَّانِهَا وَحَكَمْتَ يا طَاعُونَ بالطَّاعُوتِ

وقال المملوكُ أَيْضاً ، وأَرَادَ ضَبَطَ تَارِيخِهِ بِحُرُوفِ الجُمْلِ : [من البسيط]

يا عَامَ « طامِيمَ ذَالِ » فَيْكَ أَيُّ عَنَا قاسى الأَنَامُ رَدَاهُ من فِلَسْطِينِ^(٣)
كَمْ قَدْ رَأَيْنَا فِنَاءَ فِيهِ نَهْرُ فَنَا تَدَوَّرُ مِنْهُ طَوَاحِينُ الطَّوَاعِينِ
ولَمَّا دَخَلَ إلى صَفَدَ ، أَخْنَى عَلَيْهَا الذي أَخْنَى على لُبْدِ^(٤) ، فما تَرَكَ بِهَا أَحَدًا من الأَهْلِ والمَعَارِفِ ، حتَّى اجْتَحَفَهُ سَيْلُهُ الجَارِفُ ، فَكَمْ من صَاحِبٍ جَاءَنَا عَنْهُ نَاعِيهِ ، وَدَعَاهُ إلى البِلَى دَاعِيهِ ؛ وقال المملوكُ^(٥) : [من المنسرح]

لَمَّا افْتَرَسَتْ صِحابِي يا عَامَ تَسْعَ أَرْبَعِينَا
مَا كُنْتُ وَاللهِ تَسْعَاءُ بَلْ كُنْتُ سَبْعَاءُ يَقِينَا
ثم إِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ حَلَقَ إلى جَلَقَ وانْقَضَ ، وَدَخَلَهَا فانتَثَرَ عِقْدُ حَيَاةِ أَهْلِهَا

(١) الرِّزَّةُ : حديدَةٌ يَدْخُلُ فِيهَا القِفْلُ . (الفاموس) .

(٢) قَطِيَا : قَرْيَةٌ فِي طَرِيقِ مِصْرَ ، فِي وَسْطِ الرَّمْلِ ، قَرِبَ القَرَمَا . (معجم البلدان ٣٧٨/٤) .

(٣) قَوْلُهُ : يا عَامَ طامِيمَ ذَالِ x . الطَّاءُ بِحُرُوفِ الجُمْلِ = ٩ . والمِيمُ = ٤٠ . والذَّالُ = ٧٠٠ فالْمَجْمُوعُ = ٧٤٩ سَنَةِ الطَّاعُونَ الْمَذْكُورِ .

(٤) مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِي : [دِيوانُهُ ٥]

أَضْحَكَ قَفَّاراً وَأَضْحَى أَهْلَهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الذي أَخْنَى على لُبْدِ
(٥) البَيْتَانِ مِمَّا قَالَهُمَا الْمُؤَلِّفُ فِي رِثَاءِ ابْنِ الرِّسَّامِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّافِعِيِّ ، كَمَا فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ ٣/ ٥٢٠ .

وَأَزْفَضَ ، وَكَانَ يَقْتُلُ بِالرَّائِحَةِ ، فَمَا دَخَلَ دَاراً إِلَّا تَحَقَّقَ كُلُّ مَنْ فِيهَا أَنَّ رُوحَهُ
رَائِحَةٌ ؛ فَقَالَ الْمَمْلُوكُ : [من السريع]

دَارَتْ مِنَ الطَّاعُونَ كَأْسُ الْفَنَاءِ فَالْتَفَسُ مِنْ سَكْرَتِهِ طَافِحَةٌ
قَدْ خَالَفَ الشَّرْعَ وَأَحْكَامَهُ لِأَنَّهُ يُثْبِتُ بِالرَّائِحَةِ
ثُمَّ إِنَّهُ قَتَلَ بِذَلِكَ جَمْعاً لَا يَعْلَمُ جُمْلَةً عِدَّتِهِمْ ، إِلَّا الَّذِي قَدَّرَ بِهِ نِهَايَةَ
مُدَّتِهِمْ ، وَظَهَرَ بَنُوعَ آخَرَ مِنَ الْفَنَاءِ ، مُبَالِغَةً فِي الْحِرْصِ وَالِاغْتِنَاءِ ، فَكَانَ يَقْتُلُ
بِظُهُورِ حَبْتِهِ ، يَعْزُّ نَعْتَهَا عَلَى مَنْ وَصَفَ أَوْ شَبَّهَ ؛ فَقَالَ الْمَمْلُوكُ : [من الكامل]

أَسْفَى عَلَى أَكْنَافٍ جَلَّقَ إِذْ غَدَا الطَّاعُونَ فِيهَا ذَا زِنَادٍ وَارِي
[١٧] الْمَوْتُ أَرْخَصُ مَا يَكُونُ بِحَبْتِهِ وَالظُّلْمُ زَادَ فَصَارَ بِالْقِنْطَارِ
وَقَالَ الْمَمْلُوكُ أَيْضاً : [من الخفيف]

أَيَقْظَتُنَا يَدُ الْغَلَاءِ مِرَاراً لِنُرَاعِيَ التَّقَى فَلَمْ نَنْتَبِهْ
وَعَدَا الظُّلْمُ بِالْقَنَاطِيرِ فِينَا فَلِهَذَا الطَّاعُونَ صَارَ بِحَبْتِهِ
وَزَادَ أَمْرُهُ وَأَعْرَبَ ، فَكَمْ مِنْ خِلٍّ كَانَ فَقَدْ خِلَّهُ كَلَمَحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ،
وَخَلَّتْ عِدَّةُ مَسَاكِينَ مِنْ سُكَّانِهَا ، وَأَفْرَطَ الْأَمْرُ حَتَّى كَادَتْ دِمَشْقُ تَخْلُو مِنْ أَرْبَعَةِ
أَرْكَانِهَا ، وَعَمَّتِ الْوَحْشَةُ ، وَمَحَى الْأَنْسُ مِنْ كُلِّ دَارٍ نَقْشُهُ ؛ فَقَالَ الْمَمْلُوكُ :
[من الكامل]

أَمَّا دِمَشْقُ فَإِنَّهَا قَدْ أَوْحَشَتْ مِنْ بَعْدِ مَا شَهِدَ الْبَرِيَّةُ أَنْسَهَا
تَاهَتْ بِعُجْبِ زَائِدٍ حَتَّى لَقَدْ ضَرَبَتْ بِطَاعُونَ عَظِيمٍ نَفْسَهَا^(١)
وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ بُرْهَةً يَجُولُ يَمِيناً وَشِمَالاً ، وَيَجُوبُ الدَّارَ^(٢) بِالْخَرَابِ

(١) فِي م : × . . . بطاعون كثير . . . !

(٢) فِي م : الدَّيَار .

جَنُوباً وَشَمَالاً ، فَظَهَرَ فَتَكُهُ بِبَثْرَةٍ تَطْلُعُ خَلْفَ أُذُنِ الْإِنْسَانِ ، فَتَجُرُّهُ إِلَى مَضْرَعِهِ
بِمَقَاوِدَ وَأَرْسَانٍ ؛ فَقَالَ الْمَمْلُوكُ : [من الطويل]

تَعَجَّبْتُ مِنْ طَاعُونٍ جَلَّقَ إِذْ غَدَا وَمَا فَاتَتْ الْأَذَانَ وَقَعَةً طَغِيهِ
فَكَمْ مُؤْمِنٍ تَلْقَاهُ أَذْعَنَ طَائِعاً عَلَى أَنَّهُ قَدْ مَاتَ مِنْ خَلْفِ أُذُنِهِ
وَاسْتَمَرَ عَلَى ذَلِكَ حِيناً ، لَا يُهْمِلُ كِنَاساً وَلَا يَنْسَى عَرِيئاً ، حَتَّى جَاءَ بِكُبَّةٍ
تَخْرُجُ تَحْتَ الْإِبْطِ كَأَنَّهَا عُمْلَةُ السَّارِقِ ، أَوِ الْغَرِيمِ التَّكِيدِ الَّذِي لَا يُفَارِقُ غَرِيمَهُ
أَوْ يُفَارِقُ ؛ فَقَالَ الْمَمْلُوكُ : [من الوافر]

رَعَى الرَّحْمَنُ دَهْرًا قَدْ تَوَلَّى يُجَازِي بِالسَّلَامَةِ كُلَّ شَرْطٍ
وَكَانَ النَّاسُ فِي غَفَلَاتٍ أَمِنَ فَجَا طَاعُونُهُمْ مِنْ تَحْتِ إِبْطِ
وَجَرَى عَلَى هَذَا التَّمَطِّ مُدَّةً ، وَقَاسَى النَّاسُ مِنْهُ أَهْوَالاً وَشِدَّةً ، ثُمَّ إِنَّهُ جَاءَ
بِخِيَارَةٍ تَطْلُعُ فِي الْأَزْبِيَةِ مَا كَانَ لِلنَّاسِ مَعَهَا الْخِيَرَةُ ، وَلَا نَجَاهُם التَّسْلِيمُ
وَالْإِنْقِيَادُ ، وَلَا التَّشَاؤُمُ وَالطَّيْرَةُ ؛ فَقَالَ الْمَمْلُوكُ : [من الخفيف]

ثَلَّ هَذَا الطَّاعُونُ عَرْشَ دِمَشْقٍ بِقَضَاءٍ مِنْ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ
فَلَكُمْ مَاتَ بِالْخِيَارَةِ شَخْصٌ كَانَ يَبْدُو كَأَنَّهُ رِيحَانُهُ
وَاسْتَضَحَبَ الْحَالُ فِي ذَلِكَ زَمَانًا ، وَلَمْ يَجِدِ الْأَنَامُ مِنْهُ أَمَانًا ، ثُمَّ إِنَّهُ جَاءَ
بِالطَّامَةِ الْكُبْرَى ، وَالْمُصِيبَةِ الَّتِي جَعَلَتْ كُلَّ عَيْنٍ مِنْهَا عَبْرَى ، فَمَنْ بَصَقَ دَمًا
مَاتَ ، وَحَلَّتْ بِهِ الْآفَاتُ وَفَاتَ ؛ فَقَالَ الْمَمْلُوكُ : [من الكامل]

يَا رَحِمَتَا لِدِمَشْقٍ مِنْ طَاعُونِهَا فَالْكُلُّ مُغْتَبِقٌ بِهِ أَوْ مُضْطَبِّحٌ
كَمْ هَالِكٍ نَفَثَ الدِّمَاءَ مِنْ حَلْقِهِ أَوْ مَا تَرَاهُ بَغِيرِ سِكِّينِ ذُبْحٍ
وَقَالَ أَيْضًا : [من السريع]

مُصِيبَةُ الطَّاعُونِ قَدْ أَصْبَحَتْ لَمْ يَخُلْ مِنْهَا فِي الْوَرَى بُقْعَةً

تَدْخُلُ فِي الْمَنْزِلِ لَوْ أَنَّهُ
وقال أيضاً : [من الكامل]

أَمَنْتُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ مُقَدِّرِ الطِّ
كم مَعْشَرٍ فَقِدُوا بِهِ فِي جُمُعَةٍ
وقال أيضاً : [من الخفيف]

لَا تَثِقْ بِالْحَيَاةِ طَرْفَةَ عَيْنٍ
فَكَأَنَّ الْقُبُورَ شُعْلَةً شَمْعٍ
وقال أيضاً : [من السريع]

قَدْ نَعَصَ الطَّاعُونَ عَيْشَ الْوَرَى وَأَهْلَكَ الْوَالِدَ وَالْوَالِدَةَ
كم مَنْزِلٍ كَالشَّمْعِ سُكَّانُهُ أَطْفَالُهُمْ فِي نَفْحَةٍ وَاحِدَةٍ
ومن عَجَائِبِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى ، أَنَّ الْوَصِيَّ يَمُوتُ قَبْلَ مَنْ أَوْصَى^(٢) ، وَلَيْسَ
لِأَحَدٍ فِي هَذَا الْأَمْرِ حِيلَةٌ ، وَلَا لَهُ إِلَى مَنْ قَدَرُهُ غَيْرَ التَّسْلِيمِ وَسِيلَةٌ .

● ومن أعجب ما وقفَ المَمْلُوكُ عَلَيْهِ من التَّوَارِيخِ الْمَاضِيَةِ ، [١٨] على
الْبَرِّيَّةِ الْخَالِيَةِ ، وَهُوَ أَنَّ سِبْطَ [ابن] الْجُوزِيِّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى ، قَالَ فِي
« مِرَاةِ الزَّمَانِ » فِي سَنَةِ ٤٤٩ هـ^(٣) :

وَفِي جُمَادَى الْآخِرَةِ : وَرَدَ كِتَابٌ مِنْ بُخَارَى^(٤) ، أَنَّهُ وَقَعَ عِنْدَهُمْ وَبَاءٌ
عَظِيمٌ ، حَتَّى خَرَجَ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ثَمَانِي عَشْرَةَ أَلْفَ جِنَازَةٍ ،

(١) في س : x أتراهم خلَقُوا من الأَشْرَاسِ .

(٢) في أ : قَبْلَ أَنْ أَوْصَى . وَفِي م : قَبْلَ الْمَوْصِي .

(٣) سِبْطُ ابْنِ الْجُوزِيِّ يَنْقُلُ عَنْ تَارِيخِ جَدِّهِ ، الْمُنْتَظَمِ ١٧/١٦ . وَانْظُرْ مَا رَوَاهُ ابْنُ تَغْرِي بَرْدِي فِي
النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ ١٩٥/١٠ وَمَا بَعْدَ .

(٤) فِي الْمُنْتَظَمِ : مِنْ تَجَارَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ .

وَحُصِرَ مَنْ مَاتَ فَكَانُوا أَلْفَ أَلْفٍ وَسِتِّمِئَةِ أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفًا إِلَى تَارِيخِ
الْكِتَابِ ، وَخَلَّتِ الْأَسْوَاقُ ، وَأُغْلِقَتِ الْأَبْوَابُ ، وَتَعَدَّى الْوَبَاءُ إِلَى أَذْرِيْجَانِ ،
ثُمَّ إِلَى الْأَهْوَازِ وَالْبَصْرَةِ وَوَاسِطِ وَتِلْكَ الْأَعْمَالُ .

وَكَانَتْ تُحْفَرُ رُيْبَةُ^(١) وَيُلْقَى فِيهَا عِشْرُونَ وَثَلَاثُونَ مِنَ النَّاسِ ، وَسَبَبُهُ قَلَّةُ
الْقُوَّةِ وَالْجُوعُ ؛ وَمَنْ مَاتَ قَرِيبًا مِنْ دِجْلَةٍ سَحَبُوا بِرِجْلِهِ وَأَلْقَوْهُ فِيهَا ؛ وَكَانَ
الصَّغَارُ يَنْبُشُونَ الْمَوْتَى وَيَشْوَوْنَهُمْ وَيَأْكُلُونَهُمْ .

وَكَانَ لِلْإِنْسَانِ أَرْضٌ يُسَالُّ فِي بَيْعِهَا بِعَشْرَةِ دَنَانِيرٍ فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَبَاعَهَا بِخَمْسَةِ
أَرْطَالٍ خُبْزٍ ، فَأَكَلَهَا وَمَاتَ مِنْ وَقْتِهِ .

وَوَصَلَ إِلَى بَغْدَادَ نُسْخَةُ كِتَابٍ ، كُتِبَ مِنْ سَمَرْقَنْدَ إِلَى بَلْخِ ، أَنَّهُ يُدْفَنُ فِي
كُلِّ يَوْمٍ مِنْ صَالِحِي الْمُؤْمِنِينَ خَمْسَةُ أَلْفٍ وَسِتَّةَ أَلْفٍ وَأَكْثَرُ .

وَاشْتَغَلَ النَّاسُ بِدَفْنِ مَوْتَاهُمْ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَكُلُّ دَارٍ يَدْخُلُهَا الْمَوْتُ يَأْتِي
عَلَى الْجَمِيعِ ، وَكَانَ الْمَرِيضُ يَنْشَقُّ قَلْبُهُ عَنْ دَمِ الْمُهْجَةِ ، فَيَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ قَطْرَةٌ
فَيَمُوتُ ، أَوْ دُودَةٌ لَا يُدْرَى مَا هِيَ فَيَمُوتُ ؛ وَغُلِقَ فِي الْبَلَدِ مِنْ دُورِ الْمُقَدَّمِينَ
وَأَعْيَانِهِمْ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفِي دَارٍ ، لَمْ يَبْقَ فِيهَا صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ وَلَا وَارِثٌ .

وَكَلُّ دَارٍ كَانَ فِيهَا خَمَرٌ يَمُوتُ أَهْلُهَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ .

وَمَنْ كَانَتْ مَعَهُ امْرَأَةٌ حَرَامٌ ، مَاتَا مَعًا . وَمَاتَ قَيْمٌ مَسْجِدٍ وَلَهُ خَمْسُونَ أَلْفَ
دِرْهَمٍ ، فَلَمْ يَقْبَلْهَا أَحَدٌ ؛ وَوُضِعَتْ فِي الْمَسْجِدِ تِسْعَةَ أَيَّامٍ ، فَدَخَلَ أَرْبَعَةُ أَنْفُسٍ
مِنْ الْخَلِيجِ لَيْلًا فَأَخَذُوهَا ، فَمَاتُوا عَلَيْهَا .

وَكَلُّ مَنْ أَوْصَى إِلَى إِنْسَانٍ ، مَاتَ الْوَصِيُّ قَبْلَ الْمُوصِي .

(١) فِي ب : حَفِيرَةٌ . وَهِيَ بِمَعْنَى .

وكلُّ مُسْلِمَيْنِ كَانَ بَيْنَهُمَا تَهَاجُرٌ ، وَلَمْ يَصْطَلِحَا ، مَا تَا .
وكانَ عِنْدَ الْفَقِيهِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ أَحْمَدَ ^(١) ، سَبْعُمِئَةِ فَقِيهِ ، فَمَاتَ عَبْدُ الْجَبَّارِ
وَالْفُقَهَاءُ بِأَجْمَعِهِمْ .

وَمَاتَ عِنْدَ رَجُلٍ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ خَمْسُونَ نَفَرًا ، فَمَاتَ الْجَمِيعُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ،
وَحَلَفُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِي أَلْفِ دِينَارٍ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا طِفْلٌ صَغِيرٌ ابْنُ خُمْسِ
سِنِينَ ؛ وَالْمَالُ جَمِيعُهُ فِي الدَّارِ لَا يَجُوسُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَهَا .

وَنَزَلَ تُرْكِيٌّ مِنْ سَطْحٍ عَلَى مَرِيضٍ ، وَعَلَيْهِ لِحَافٌ دِيبَاجٍ ، (فَأَخَذَهُ
التُّرْكِيُّ ، فَمَاتَ التُّرْكِيُّ) ^(٢) وَيَدُهُ فِي طَرْفِ اللَّحَافِ وَطَرْفُهُ عَلَى الْمَرِيضِ .

وَلَا يُعْلَمُ مَنْ مَاتَ بِأَرْضِ الْمَشْرِقِ ، بَلْ قِيلَ : إِنَّ سَمَرْقَنْدَ مِنْ عَشْرَةِ فِي
شَوَّالٍ وَإِلَى سَلَخِ ذِي الْقَعْدَةِ ، أُخْصِي مَنْ خَرَجَ مِنْ أَبْوَابِهَا مِنَ الْجَنَائِزِ ، فَكَانُوا
مِثْلِي أَلْفٍ وَسِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا .

وَأَصْلُ هَذَا الْوَبَاءِ مِنْ تُرْكِسْتَانَ بِلَادِ الْكُفَّارِ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا إِلَى بِلَا صَغُون ^(٣)
وَكَا شَغَرٍ وَالشَّاشِ وَفَرَّغَانَةَ وَتِلْكَ التَّوَّاحِي ، وَوَصَلَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ فِي سَابِعِ
عَشْرِينَ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَلَمْ يَعُدَّ النَّهْرَ ، حَتَّى إِنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ
بُخَارَى عَبَرُوا إِلَى بَلْخٍ ، فَتَزَلُّوا فِي رِبَاطٍ مِنْهَا ، فَمَاتُوا جَمِيعَهُمْ دُونَ أَهْلِ بَلْخٍ .
وَكَانَ الْمَوْتُ فِي الشَّبَابِ وَالْكُھُولِ وَالصَّبِيَّانِ وَالنِّسَاءِ مِنَ الْعَوَامِّ ؛ فَأَمَّا
الْمُلُوكُ وَالْعَسَاكِرُ وَالْمَشَايِخُ وَالْعَجَائِزُ ، فَلَمْ يَمُتْ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ .

(١) فِي الْمُنْتَظَمِ : أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْفَقِيهِ . . .

(٢) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ مِنْ س .

(٣) فِي أ ، س ، م : بِلَادُ صَغُون ! وَفِي ب : بِلَادُ عَصُورَة ! ! .

وَبِلَا سَاغُون : بِلَدٌ عَظِيمَةٌ فِي ثَغُورِ التُّرْكِ ، وَرَاءَ نَهْرِ سَيْحُون ، قَرِيبٌ مِنْ كَا شَغَرِ . (مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ
٢٧٦/١) .

نَقَلَ المَمْلُوكُ هَذَا الفَضْلَ مُخْتَصِراً مِنْ كَلَامِ صَاحِبِ « المَرَاة » وَلَمْ يَذْكُرْهُ لِمَوْلَانَا إِلَّا لِأَنَّ هَذَا الطَّاعُونَ جَاءَنَا فِي سَنَةِ ٤٩ ، وَذَلِكَ كَانَ فِي سَنَةِ ٤٩ أَيْضاً ، وَغَالِبُ هَذِهِ الْأَحْوَالِ [١٨ ب] شَاهَدْنَا وَقَوَّعَهَا ؛ وَكَانَ المَمْلُوكُ يَظُنُّ أَنَّ لَا نَظِيرَ لِهَذَا الطَّاعُونَ ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى هَذَا الْخَبَرِ ^(١) ، فَوَجَدَهُ مُطَابِقاً فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِ .

اللَّهُمَّ إِلَّا أَنَّ هَذَا أَكْثَرُ عُمُوماً ، لِأَنَّهُ قَدْ طَبَّقَ الْأَرْضَ ، وَمَا خَلَّتْ مِنْهُ بَلَدَةٌ وَلَا قَرْيَةٌ ؛ إِلَّا أَنَّ أَصْحَابَ الْعَمُودِ لَمْ يُصِيبْهُمْ مِنْ هَذَا الطَّاعُونَ شَيْءٌ ، كَالْعَرَبِ وَالتُّرْكَمَانِ وَالْأَكْرَادِ ، وَهُمْ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ مِنْ أَرْضِي وَيَنْزِلُونَ فِي غَيْرِهَا .

وَهَذَا زَادَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ الطَّوَاعِينِ ، لِأَنَّهُ كَانَ فِي الْقِطَاطِ ، وَبَعْضِ الطُّيُورِ ، وَبَعْضِ الْجِمَالِ ، وَغَالِبِ الْأَوَابِدِ مِنْ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ ؛ فَإِنَّ جَمَاعَةً أَخْبَرُوا أَنَّهُمْ رَأَوْا شَيْئاً كَثِيراً مِنَ الْإِيَائِلِ وَالْحُمُرِ الْوَحْشِيَّةِ مَطْرُوحَةً فِي الْبَرِّيَّةِ ، وَتَحْتَ أَبَاطِهَا خَرَاجٌ ، وَلَمْ يَمُتْ حَيَوَانٌ مِنْ هَذِهِ حَتْفَ أَنْفِهِ كَالْحَيَّةِ ، وَلِهَذَا سُمِّيَتْ أَوَابِدُ .

وَلَقَدْ طَوَّلَ المَمْلُوكُ فِي هَذِهِ الْخِدْمَةِ ، وَهُوَ يَسْأَلُ بَسْطَ الْعُذْرِ فِي ذَلِكَ :

[مِنْ الرَّمْلِ]

وَالَّذِي قَدْ رَاعَنِي الْأَمْرُ بِهِ يَقْتَضِي أَكْثَرَ مِمَّا قَدْ جَرَى يَا مَوْلَانَا ، هَذَا أَمْرٌ يُذْهِشُ الْعُقُولَ ، وَالسَّلَامَ .

وَقَرَعْتَ مَادَّةَ هَذَا الْكَلَامِ ، وَاللَّهُ يَقِينَا فِي مَوْلَانَا كُلِّ مَحْذُورٍ ، وَيُحْكَمُ فِي عِدَائِهِ كُلِّ مَاضِي السَّبَابِ مَطْرُورٍ ، بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَكُتِبَتْ إِلَيْهِ مُلْغِزاً فِي « الْبَرِّيَّةِ » ^(٢) ، وَهُوَ مَكَانٌ مَعْرُوفٌ دَاخِلَ الْقَاهِرَةِ

(١) الْخَبَرُ : مِنْ س ، م .

(٢) الْبَرِّيَّةُ : مَوْضِعٌ بِجَوَارِ مَشْهَدِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْقَاهِرَةِ .

المَحْرُوسَةِ : [من الوافر]

إِمَامَ النَّاسِ فِي آدَبٍ وَفَقِهِ
أَجَبَ عَمَّا أَعْمِيهِ فَإِنِّي
بِقَاهِرَةِ الْمُعِزِّ لَنَا مَكَانُ
يَرَاهُ أُولُو الثُّهَى بَرِّيَّةً قَدْ
وَيَشْهَدُ لِي بِذَا الْجَمِّ الْغَفِيرُ
سَأَلْتُكَ أَيُّهَا الْمَوْلَى الْخَيْرُ
حَوَاهُ السُّورُ مَعْرُوفٌ شَهِيرُ
تَنْزَلَ وَسَطَهَا جَبَلٌ كَبِيرُ

● فكتبَ هو الجوابَ إليَّ عن ذلك : [من الوافر]

أَفْاضِلَ عَصْرِنَا إِنِّي بِمَا قَدْ
لَقَدْ أَبْدَاهُ فِي جُنْحِ الدِّيَاجِي
كَفَاهُ أَنَّ أَوْسَطَهُ مُحِيطُ
وَكَانَ لَهُ أَبُو حَيَّانَ يَأْوِي
فَإِنْ لَمْ أَلْقِ ثَانِي ذَاكَ أَوْ ذَا
بَعَثَتْ مِنَ الْمُعَمَّى لِي بِصِيرُ
وَمِضُّ الْبَرْقِ وَهُوَ بِهِ شَهِيرُ
بِكُلِّ الْأَرْضِ وَهُوَ بِهَا يَدُورُ^(١)
إِلَى أَنْ صَارَ تَحْوِيهِ الْقُبُورُ
أَعَزُّ بِقِيَّةٍ لَيْسَتْ تَبُورُ

● وكتبْتُ أنا الجوابَ إليه : [من الوافر]

جَوَابٌ مِثْلَمَا سَفَرَتْ بُدُورُ
كَأَنَّ حُرُوفَهُ أَجْفَانُ حَبِّ
فِيَا لَكَ مِنْ جَوَابٍ لَا جَوَابِي
وَمَا أَلْغَزْتُ فِي الْبَرْقِيَّةِ اسْمًا
قَصَدْتُ إِلَيْهِ دُونَ سِوَاهُ عِلْمًا
كَذَا فَلْيَمُضْ فِي حَلِّ الْمُعَمَّى
أَوْ ابْتَسَمْتُ مِنَ الْغَيْدِ الثُّغُورُ
يَنْفُثُ السَّحَرِ أَغْرَاهَا الْفُتُورُ^(٢)
وَقَدْ وَافَى فَتَمَّ بِهِ السُّرُورُ
سُدَى لَكِنْ لَهُ مَعْنَى خَطِيرُ
بِأَنَّ بُرُوقَ ذَهْنِكَ تَسْتَطِيرُ
أَخَوِ آدَبٍ وَإِلَّا فَهُوَ زُورُ

● وكتبَ هو إليَّ مع سَكْرِ أَهْدَاهُ إِلَيَّ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ : [من السريع]

(١) يريد : جبل قاف ، وزعم الأقدمون أنه يحيط بالأرض .

(٢) في ب ، س : . . أجفان صبّ × .

قَدِمْتُ فَاَنْهَلَ الْحَيَا فَالْوَرَى بِالْبَحْرِ وَالصَّيْبِ مَشْمُولَهُ
مِنْ بَلَدَةٍ كُلُّ فَتَى أَمَّهَا يَنَالُ فِي أَكْثَرِهَا سُورَهُ^(١)

يُقْبَلُ كَذَا ، وَيَسْأَلُ قَبُولَ شَفَاعَتِهِ جَبَرَ الَّذِي : [من الطويل]

عَلَى خَجَلٍ وَافَاكَ حَتَّى كَأَنَّهُ إِذَا أَنْتَ عَايَنْتَ اسْمَهُ يَتَنَكَّرُ^(٢)

● فَكُتِبَتْ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ : [من الخفيف]

جَاءَنِي جُودُكَ الَّذِي جَعَلَ الْغَيْدَ شَ لَهٗ حَاسِدًا وَفِيهِ تَفَكَّرُ
فَافْتَسَمْنَا التَّصْحِيفَ لَفْظًا وَمَعْنَى لَكَ مِنِّي شُكْرٌ وَلِي مِنْكَ سُكْرٌ^(٣)

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ لَمَّا جَلَسْتُ فِي تَوْقِيعِ الدَّسْتِ الشَّرِيفِ بِالشَّامِ

المحروس ، فِي شَوَالِ سَنَةِ ٧٥٦ وَأَكْثَرَ مِنَ التَّوْرِيَةِ : [من السريع]

لَمَّا اسْتَوَى دَسْتُ الْعُلَا بِالصَّلَاحِ اغْتَرَفْتُ أَيْدِي الْأَنَامِ السَّمَاخِ
وَاطْبَحْتُ فِيهِ لُحُومَ الْعِدَى وَاشْتَعَلْتُ مِنْ فُورِهَا بِاقْتِدَاخِ
[١٩] غَلَا وَقَدْ فَاضَ نَدَى وَاعْتَلَى مَنَاصِبًا تَدْعُو لِطَيْبِ اضْطِبَاخِ
تُمْ تَهْدِي فَاهْتَدِي نَحْوَهُ دَاعٍ يُنَادِي : عَجَّلُوا لِلرَّدَاخِ
لَا رَيْمَ فِيهِ إِنْ حَلَلْتُمْ بِهِ إِلَّا النَّوَالِ الطَّافِحَ الْمُسْتَبَاخِ
بَيَّضُهُ قُرْبُكَ فَاغْجَبَ لَهُ مَسُودًا تُشْرِقُ مِنْهُ الْبِطَاخِ
وَقَعَ بِهِ أَلْوَانُ مَا طَابَ مِنْ تَنْوِيعَ مَنْ وَبَدِيعِ اقْتِرَاخِ^(٤)
وَأَمْلَأَهُ حَلًّا مُحْكَمًا يَقْتَضِي تَخْرِيكَ عَيْنٍ لِلْمَعَانِي الصَّحَاخِ
وَابْعَثَ بِطَاقَاتِ الْمُنَى لِلْوَرَى مُرْسَلَةً فَوْقَ جَنَاحِ النَّجَاخِ

(١) فِي س : × . . . مِنْ أَكْبَرِهَا . . .

(٢) يَتَنَكَّرُ : تَصْحِيفُهُ : سَكْرٌ .

(٣) وَسَقَطَ مَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ س ، حَتَّى نِهَايَةِ الْقَصِيدَةِ الدَّلَالِيَّةِ الْآتِيَةِ .

(٤) لَعَلَّ الصَّوَابَ : × تَنْوِيعَ فَنُ . . .

حَتَّى يَطِيبَ النَّاسُ عَنْ دَهْرِهِمْ وَيَحْمَدَ الْقَوْمُ الشَّرِيَّ فِي الْبَطَاخِ^(١)
يُقَبِّلُ الْأَرْضَ ، وَيُهْنِي الزَّمانَ بِأَنْ خُفِّفَ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَصُرِفَ عَنْهُ بَعْضُ
مَا تَكَاثَرَ مِنْ عَتَبِهِ ، وَزَالَ عَنْهُ شَيْءٌ مِنَ الشَّيْنِ ، وَوَقَّتْ ذِمَّتُهُ بِقِسْطٍ مَا كَانَ لَكُمْ
عَلَيْهَا مِنَ الدِّينِ .

● فَكُنْتُ أَنَا الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ : [من السريع]

دُرُّ حَبَابٍ رَاحٍ مِنْ فَوْقِ رَاخٍ	فَرَانٌ مِمَّنْ قَدْ سَقَى بَطْنَ رَاخٍ
أَمْ بَرْدٌ رَصَعَ تَاجَ الرُّبَا	فَرَاخٌ تُغْرَأُ بِاسِمَاءٍ عَنْ أَقَاخٍ
أَمْ مُقَلَّةٌ مُذْ سَكَنْتَ مُهْجَتِي	مَا حَفِظْتَ إِلَّا كِتَابَ الْجِرَاخِ ^(٢)
أَمْ بِكُرٍ فِكْرٍ خِذْنَهَا خِذْهَا	فِيهِ مَعَانٍ لِلْمَعَانِي الْمِلَاخِ
قَدْ خَصَّنِي الْجُودُ الْبَهَائِي بِهَا	فَصَاحَ لِي بِالْكَلِمَاتِ الْفِصَاخِ
فَشَرَّفْتُ قَدْرِي كَمَا شَنَّفْتُ	سَمْعِي فَمَا لِي فِي الْمَعَالِي اقْتِرَاخِ ^(٣)
وَهِيَ عَلَى رَأْسِي تَاجٌ وَفِي	أُذْنِي شَنْفٌ وَبِخَضْرِي وَشَاخِ
بِتَوْرِيَّاتٍ وَارِيَّاتِ السَّنَا	وَبِاقْتِدَارٍ زَنْدُهَا فِي اقْتِدَاخِ
فَمِنْ لُغَاتٍ لَوْ رَأَى الْجَوْهَرِي	أَلْفَاظَهَا لَمْ يَفْتَخَرْ بِالصَّحَاخِ
وَمِنْ مَعَانٍ لَوْ أَتَى مِثْلَهَا	لِلأَرْجَانِي لَمْ يَزَلْ فِي انْشِرَاخِ
وَلَمْ يَقُلْ مِنْ حُزْنٍ عِنْدَهُ	«صَوْتُ حَمَامٍ الْأَيْكَ عِنْدَ الصَّبَاخِ» ^(٤)

(١) في ب : . . . في الصَّبَاخِ . وهو من المثل : عند الصَّبَاخِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ الشَّرِيَّ . (الميداني

٣/٢ والعسكري ٤٢/٢) .

وفي م : . . . عن ذكرهم .

(٢) في م : . . . قد سكنت . . .

(٣) في م : . . . في المعاني . . .

(٤) مطلع قصيدة للأرجاني : [ديوانه ٨٠]

صَوْتُ حَمَامٍ الْأَيْكَ عِنْدَ الصَّبَاخِ جَدَّدَ تَذْكَارِي عِنْدَ الصَّبَاخِ

أَوْ لِأَبْنِ زَيْدٍ مَا فاقَ فِي
أَوْ لِلرَّضِيِّ لَمْ يُرَضَ فِي قَوْلِهِ :
أَوْ لِلتَّهَامِيِّ لَا تَتَّهَمْنَاهُ لَمْ
وَلابْنِ حَمْدِيسَ غَدَا رَاكِباً
وَلَا الْحَرِيرِي إِذْ غَدَا قَائِلاً :
وَالْبُخْتَرِي مَا قَالَ مَنْ فَرَحَ :
مِنْ لُطْفِهَا قَدْ أَذْكَرْتَنِي صَباً
سُقِيأَ لَهُ مِنْ زَمَنِ سَالِفِ
مَهْلاً عَلَى ضَعْفِي أَبَا حَامِدِ
وَقَوْمُكَ الْأَنْصَارُ أَهْلُ التُّهَى
وَأَنْتَ بِالْخَزَرْجِ فِي ذُرْوَةٍ
رُحْتَ إِمَاماً وَالْوَرَى مِنْ وَرَا
وَنِلْتَ قَبْلَ الْبَرْقِ أَقْصَى الْمَدَى

« أَمَاطَ وَاللَّيْلُ أَثِثُ الْجَنَاحُ »^(١)
« تَبْهَتُهُمْ مِثْلَ عَوَالِي الرِّمَاحِ »^(٢)
« مَا » قَالَ : لَا أَعْلَمُ كُلُّ أَقَاخِ »^(٣)
« نَجَائِبُ اللَّهْوِ ذَوَاتِ الْمَرَاحِ »^(٤)
« أَعْدِدْ لِحَسَادِكَ حَدَّ السَّلَاحِ »^(٥)
« بَاتَ نَدِماً لِي حَتَّى الصَّبَاحِ »^(٦)
كَمْ عَنْ لِي فِيهِ ارْتِيَادُ ارْتِيَاخِ
كَمْ فُزْتُ فِيهِ بِحَيِّبِ وِرَاخِ
فَمَا أَرَانِي مِنْ قُرْنِشِ الْبِطَاخِ
وَبَدْرُهُمْ زَانَ سَمَاءِ السَّمَاحِ
سَالَ بِهَا وَادِي الْمَعَانِي وَسَاخِ
فِي كُلِّ عِلْمٍ غَامِضٍ لِاصْطِلَاحِ^(٧)
لَوْ حُطَّ مِثْلِي عَنْهُ كَانَ اسْتِرَاخِ

- (١) مطلع قصيدة للأبيوردي : [ديوانه ٤٦٢/١]
أَمَاطَ ، وَاللَّيْلُ أَثِثُ الْجَنَاحِ
(٢) مطلع قصيدة للشريف الرضي : [ديوانه ٢٥٤/١]
تَبْهَتُهُمْ مِثْلَ عَوَالِي الرِّمَاحِ
(٣) من قول التهامي : [ديوانه ٩٧]
أَيُّهَا أَحْلَى تَرَى مِنْظَراً
(٤) من قول ابن حمديس : [ديوانه ٨٩]
بَاكَزْ إِلَى اللَّذَاتِ وَارْكَبْ لَهَا
(٥) مطلع قصيدة للحريري : [المقامات ٣٨٤ وشرح الشريشي ٢١٨/٥]
أَعْدِدْ لِحَسَادِكَ حَدَّ السَّلَاحِ
(٦) مطلع قصيدة للبحري : [ديوانه ٤٣٥/١]
بَاتَ نَدِماً لِي حَتَّى الصَّبَاحِ
(٧) في ب : . . . غامض الاصطلاح .

فَاغْزِرْ أَخَا التَّقْصِيرِ وَالتَّقْصِرِ إِنَّ وَنَى وَلَمْ يَلْحَقْ بِهُوجِ الرِّيحِ
وَحَلَّ لِي فَضْلَةً شِعْرِ بِهَا أَسْتَعِطِفُ الْأَنْفَسَ ذَاتَ الْجِمَاحِ
فَإِنِّي مِنْ صِدْقٍ وَدِّي لَكُمْ قَدْ طَارَ فِي الْأَقْطَارِ عَنِّي وَطَاحِ
يُقَبِّلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي وَرُودَ الْمِثَالِ الْكَرِيمِ ، أَغْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَزَادَ بِهِ
خِلَالَ الزَّمَانِ جَلَالاً ، وَجَعَلَهُ لِكُلِّ شَيْءٍ حَسَنٍ مِثَالاً ؛ فَوَقَفَ الْمَمْلُوكُ مِنْهُ عَلَى
خَزَائِنِ آدَبٍ ، وَقَلَائِدِ ذَهَبٍ ، لَوْ ظَفَرَ بِهَا الْجَا حِظُّ مَا مَضَى ذِكْرُهُ وَلَا ذَهَبَ ،
وَمَطَالِبِ فَضْلِ لَا يَخْشَى مَالِكُهَا مِنَ الْفَقْرِ كَيْفَمَا وَهَبَ ؛ وَبَسَطَ بِالْذُّعَاءِ كَفًّا
قَبَضَتْ عَلَى الْوَلَاءِ ، وَرَفَعَ إِلَى [ب ١٩] السَّمَاءِ بَصْرًا طَالَمَا خَفَضَهُ الْخُضُوعُ
لِمَوْلَاهُ لَمَّا أَخَذَ فِي الرَّفْعِ وَالْإِعْتِلَاءِ ، وَانْتَهَى إِلَى تِلْكَ التَّوْرِيَّاتِ الَّتِي هِيَ أَحَبُّ
إِلَيْهِ مِمَّا تَجَدَّدَ لَهُ مِنْ هَذِهِ الْوُظَيْفَةِ ، وَأَوْقَعَ فِي نَفْسِهِ مِنْ هَذِهِ الرُّتْبَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ
الْغِنَى نَظِيفَةٌ .

وَتَعَجَّبَ الْمَمْلُوكُ مِنْ ثَمَانِيَةِ آيَاتٍ ، صَمَّتْ مِنَ التَّوْرِيَةِ ثَمَانِيَةَ وَعِشْرِينَ ،
وَرَأَى فِي وَرَقِهَا زَهَرَ الرَّبِيعِ وَإِنْ كَانَتْ قَدْ جَاءَتْهُ فِي تَشْرِينٍ ، وَجَنَى مِنْ تِلْكَ
الْوَرَقَةِ ضُرُوباً مِنَ الثَّمَرِ ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ هَذَا الْعَدَدَ وَفَقَ مَنَازِلِ الْقَمَرِ ؛ إِلَّا أَنَّ هَذِهِ
كُلُّهَا مَنَازِلُ سُعُودٍ ، وَبَدُرٌ مَعَانِيهَا لَا يَزَالُ فِي صُعُودٍ ؛ وَلِلَّهِ الْغَزِيُّ أَبُو إِسْحَاقَ
إِبْرَاهِيمَ ^(١) إِذْ يَقُولُ : [مَنْ الْوَافِر]

وَمَا أَنَا فِي الشَّاءِ عَلَيْكَ إِلَّا كَمَنْ أَهْدَى إِلَى الصُّبْحِ الشُّهَابَا
فَلَا يَشْعَلُكَ طَوْلُكَ عَنْ قُصُورِ فَمَنْ بَلَغَ الْمَدَى نَسِيَ الْهَضَابَا
وَنِطْبُ بِي حُسْنِ رَأْيِكَ يَغْلُ كَعْبِي فَإِنَّ اللَّهَ نَاطٍ بِكَ الصَّوَابَا
وَقَدْ اسْتَطَرَدَ الْمَمْلُوكُ بِهَذَا الْبَيْتِ الثَّالِثِ ، وَإِنْ كَانَ أَجْنَبِيًّا مِنْ هَذَا الْمَقَامِ ،

(١) أَبُو إِسْحَاقَ ، إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَثْمَانَ الْكَلْبِيِّ الْغَزِّي . (سِيرَ أَعْلَامُ النَّبَلَاءِ ١٩ / ٥٥٤) .

وَدَوَاءٌ إِلَّا أَنْ يُعَالَجَ بِهِ مَنْ خَفِيَ عَلَى الطَّبِيبِ مَا عِنْدَهُ مِنَ السَّقَامِ ؛ وَهَذَا اسْتِطْرَادٌ
كَالْجُمْلَةِ الَّتِي تَعْتَرِضُ فِي بَعْضِ مَقَامَاتِ الْبَلَاغَةِ ، وَكَالذَّرَّةِ الَّتِي تَزِيدُ النَّاجِ
حُسْنًا ، وَهِيَ شَيْءٌ آخَرُ مِنْ وَرَاءِ صِنَاعَةِ الصِّيَاغَةِ ، وَيَسْتَرْدُّ الْمَمْلُوكُ أَيْضًا إِلَى
قَوْلِ الْآخَرِ : [من الطويل]

وَمَنْ يَكُنِ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ شَفِيعًا لَهُ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ يَنْجَحُ
وَيَأْتِي فِيهَا بَعْدَ حُلِّ هَذَا الْمُتَرْجِمِ ، وَكَشَفُ هَذَا السَّرِّ الْمُجْمَعِ ، أَوْ لَعَلِّي
أَشْرَحُهُ شِفَاهًا ، وَأَفْتَحُ بِهِ بَيْنَ يَدَيْكَ شِفَاهًا^(١) ، وَقَدْ كَشَفْتُ بِهِ لِمِثْلِكَ السَّرَّ ،
وَرَفَعْتُ لَكَ الْحِثْرَ^(٢) ، وَشَفَعْتُ الْوِثْرَ .

وَقَدْ طَوَّلَ الْمَمْلُوكُ بِهَذَا الْإِعْتِرَاضِ ، وَمَا بَقِيَ إِلَّا الدُّخُولُ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْهُ
عَنْ تَرَاضٍ ؛ فَيَعُودُ الْمَمْلُوكُ إِلَى وَصْفِ تِلْكَ الْأَيَّاتِ ، وَمَا أَوْدَعَتْهَا يَدُ الْقُدْرَةِ
مِنَ الْمَحَاسِنِ^(٣) فِي التَّوْرِيَّاتِ ، وَيَقُولُ : إِنَّ نَازِمَهَا لَوْ كَانَ كَشَاجِمَ لَمَّا زَادَ ،
بَلْ وَلَا عَدَى بِهَا ثَلَاثَةُ أَفْرَادٍ ، فَإِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ كَانَ طَبَاحَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، لَا بَلْ
مُشْرِفًا لِتِلْكَ الصَّوْلَةِ ؛ دَعِ ذِكْرَ كَشَاجِمِ ؛ بَلْ لَوْ كَانَ الصُّوْلِيُّ وَمَا وَضَعَهُ مِنْ
الْمَنَاصِبِ ، وَتَخِيلَهُ بِذَهْنِهِ لَمَّا تَحَلَّلَ عَلَى تِلْكَ الْأَعَاجِيبِ ، لَمَّا اتَّفَقَ لَهُ فِي
دَسْتٍ وَاحِدٍ هَذِهِ التَّكْتُ الْعَدِيدَةُ ، وَالْفَرَائِدُ الْمُفِيدَةُ ؛ وَبِاللَّهِ يُقَسِّمُ الْمَمْلُوكُ أَنَّ
مَوْلَانَا مَا تَرَكَ وَرَاءَهُ فَضْلَةً ، وَلَا غَادَرَ لِمَنْ يُجَارِيهِ الْجَوَابُ إِلَّا عَضْلَةً .

وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُ حَيَاةَ مَوْلَانَا لِأَهْلِ الْعُلُومِ عَامَّةً ، وَلِأَهْلِ الْآدَابِ خَاصَّةً
تَامَةً ، حَتَّى يُكْمِلُوا نَقْصَهُمْ ، وَيُسَيِّعُوا غَضَّهُمْ ، وَيَسْتَجْلُوا هَذِهِ الْأَبْكَارَ الَّتِي

(١) فِي م : سَفَاهَا .

(٢) فِي أ ، م : الْحَبْر . وَفِي ب : الْمَتْر ! وَكُلُّهُ تَصْحِيفٌ . وَالْحِثْرُ : مَا يُوصَلُ بِأَسْفَلِ الْخُبَاءِ إِذَا ارْتَفَعَ
مِنَ الْأَرْضِ لِيَكُونَ سِتْرًا . (النَّجَاحُ « حِثْر » ١٠ / ٥٢٥) .

(٣) فِي م : يَدُ الْقُدْرَةِ وَالْمَحَاسِنِ .

لا عَهْدَ لَهُمْ بِنَظِيرِهَا ، ولا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى نَضِيرِهَا ؛ فَمَا كَلَامُ مَوْلَانَا إِلَّا نَكْتُ ،
وما أَنْفَقَ قَلَمُهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْأَدَبِ إِلَّا رَبَّتْ وَزَكَّتْ ؛ وَلَوْ وَفَّقَ مُجَارِيهِ لَفَعَّ رَأْسَهُ
بِرِداءِ حَيَاتِهِ وَسَكَتَ ، وَأَخَذَ قَضِيبَ يَرَاعِهِ فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ خَجَلًا وَنَكَّتْ ،
أُنْهِيَ ذَلِكَ .

● وَكُتِبْتُ أَنَا إِلَيْهِ ، وَقَدْ وَلَّاهُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ شَيْخُو^(١) تَدْرِيسَ مَدْرَسَتِهِ
بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ : [من السريع]

بِدَرْسِكَ الْحَاصِدِ لِلْحَاصِدِ	بُشْرَى الْمَعَالِي يَا أَبَا حَامِدٍ
لِصَادِرٍ فِي الْعِلْمِ أَوْ وَارِدٍ	جَدَّدْتَ بِالذُّرْسِ بُلُوعَ الْمُنَى
يُعَابَ بِالنَّاقِصِ وَالزَّائِدِ	مَعْنَاهُ سَاوَى اللَّفْظِ مِنْ غَيْرِ أَنْ
وَطَالِبِ بُعَيْتِهِ نَاشِدِ	كَمْ مُنْشِدٍ فِيهِ قَرِيبُ الْهَنَا
وَاهْنَأُ بِسَعْدٍ لِلْعُلَا شَايِدِ	فَانْشُرْ بِعِزِّ لِلْعَدَى شَائِنِ
أَمْسَيْتَ فِيهِ ثَانِي الْوَاحِدِ	إِنْ أَنْتَ فَسَرْتَ بِهِ آيَةَ
أَسْنَدَتْهُ عَنْ ذِهْنِكَ الْوَاقِدِ	وَكَمْ حَدِيثٍ فِي الصَّحِيحِينَ قَدْ
قَدْ حُزَّتْ فِيهَا أَمَدُ الْآمِدِ	وَفِي أَصُولِ الدُّيْنِ كَمْ غَايَةِ
كُلُّ صَحِيحِ الذَّهْنِ أَوْ فَاسِدِ	هَذَا وَأَمَّا الْفِقْهُ لَوْ قَالَ لِي
قُلْتُ لَهُ : هَذَا أَبُو حَامِدِ	مَنْ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ فِي عَضْرِنَا ؟

● وَأُنْشِدُنِي^(٢) مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، فِي شَعْبَانَ الْمُكْرَمِ سَنَةِ
٧٤٨ قَصِيدَةً مَدَحَ بِهَا الْقَاضِي علاء الدِّينِ عَلِيَّ بْنَ فَضْلِ اللَّهِ ، كَاتِبَ السَّرِّ
الشَّرِيفِ ؛ وَهِيَ : [من الكامل]

(١) ترجمته في : الوافي بالوفيات ٢١١/١٦ والدرر الكامنة ٢٩٣/٢ والنجوم الزاهرة ١٠/٣٢٤ .

وتوفي سنة ٧٥٨ هـ .

(٢) نهاية السقط في س .

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ عَنْ الْهَوَى لَا أَنْتَهِي
فِعْقَالُ عَقْلِي أَمَكَّتْهُ يَدُ النَّوَى
شُكْرًا لِعِاذِلِي الْجَهْلِ فَإِنَّهُ
أَزْتَاخُ حِينَ يَفُوهَ بِاسْمِكَ ثُمَّ لَا
مَاذَا يُخَوِّفُنِي بِهِ وَأَنَا الَّذِي
لَا تَجْفُ صَبًّا لَوْ نَظَرْتَ لِأَمْرِهِ
وَاعْطِطْ عَلَيْهِ بِرَأْفَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ
وَاللَّهِ لَا أَخْشَى الْمَمَاتَ فَإِنَّهُ
لَكِنْ أَخَافُ مِنَ الْعِدَى أَنْ يَنْسُبُوا
قَسَمًا بِوَجْهِكَ وَالْمَلَاخَةَ قَدْ نَمَتْ
وَبَغْرَةً إِنْ تَخَكَّهَا شَمْسُ الضُّحَى
وَبِمَبْسَمٍ لَكَ لَوْلَوِيَّ أَشْنَبِ
وَبِمَاءِ حُسْنِ جَالٍ فِي خَدَّيْكَ لَمْ
وَبِجَمْعِكَ الضَّدَّيْنِ مِنْ شَعْرِ دُجَى
وَبِأَهْيَفِ الْمِثْلَيْنِ قَدْكَ مَائِسًا
لَا حُلْتُ عَنْ أَحْلَى هَوَاكَ وَإِنْ يَكُنْ
وَلِغَيْرِ وَجْهِكَ لَمْ أَمِلْ دُنْيَا فُذُو الْ
إِنِّي أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ رِيحِ الصَّبَا
أَمِنْ التَّنَاصُفِ أَنْ تَبَيَّتَ مُدَلَّلًا

حَتَّى تَعُودَ إِلَى الْحَيَاةِ وَأَنْتَ هِيَ
وَعُقُودُ وَجْدِي مُسْتَحِيلٌ أَنْ تَهِيَ
مَا زَادَ غَيْرَ تَوَلَّعِي وَتَوَلَّهِيَ
أُضْغِي لِعِشِّ بِالرَّشَادِ مُمَوِّهِ
أَسْتَعْذِبُ التَّعْذِيبَ لَمْ أَتَكْرَهْ
لَأَصْبَتَ ذَا جَفْنٍ قَرِيبِ أَمْرِهِ
يَقْضِي عَلَى أَسْفٍ وَعَيْشٍ أَسْفَهُ
لَأَلْذُ مِنْ عُمْرِ الْبِعَادِ الْأَنْفَهُ (١)
لَكَ قَسْوَةٌ قُبِحَتْ عَلَى الْمُتَالِهِ
فِيهِ وَمِنْهُ تَقَسَّمَتْ فِي الْأَوْجُهُ (٢)
فَضَحَ التَّشْبُهُ شَيْمَةً الْمُتَشَبِّهِ
عَذِبَ نَمِيرٍ عَاطِرِ الْمُسْتَنْكِهِ (٣)
يُطْفَأُ لِهَيْبُهُمَا وَلَمْ يَتَسَنَّهِ
وَجَبِينِ صُبْحٍ قَدْ تَجَلَّى أَجْلَهُ
وَبِهِ حَلَقْتُ وَغَضَنْ بَانٍ قَدْ زُهِى
سَقَّهَتْ أَحْلَامِي وَزِدَتْ تَأَوُّهُي
وَوَجْهَيْنِ عِنْدَ اللَّهِ لَيْسَ بِأَوْجِهِ
إِنْ عَانَقْتُكَ وَمِنْ فَمِ الْمُتَقَوِّهِ
وَمُحِبِّكَ الْعَانِي بِقَلْبٍ مُدَلَّلِهِ

(١) فِي ب : × . . . مِنْ غَمِّ الْبِعَادِ . . .

(٢) فِي س : . . . قَدْ سَمَتْ × .

(٣) فِي ب : × . . . عَاطِرُ الْمُتَنَكِّهِ .

أَنحَلَّتَنِي أَضْعَافَ سُقْمِ ذَوِي الْهَوَى
وَكَسَوْتَنِي دَنَسَ الْأَسَى فِيمَدَمَعِي
أَوْ مَا خَشِيتَ اللَّهَ فِيَّ وَأَنْنِي
أَمْ خِلْتَ أَنَّ الدَّهْرَ خَالٍ مِنْ فَتَى
وَاللَّهِ لَوْ يَذْرِي ابْنُ فَضْلِ اللَّهِ مَا
فَلَکُمْ أَزَاحَ مِنَ الْأَنَامِ كَرِيهَةً
مَوْلَى إِلَى الْفَارُوقِ نِسْبَةً مَجْدِهِ
سَعِدَ الزَّمَانُ وَتَاءَ مِنْهُ وَازْدَهَى
جَارٍ عَلَى طُرُقِ الْهُدَى فَعُلُومُهُ
فَلَکُلِّ عَافٍ مِنْهُ عَيْنٌ تَفْقُدُ
(فَطِنٌ فَهَلْ مِنْ مُشْكِلٍ لَمْ يَذْرِهِ
يُخَيِّي الْمَمَالِكُ مِنْهُ رَأْيٌ ثَاقِبٌ
فَالْبَحْرُ لَوْ جَارُهُ قَالَ : الْوَيْلُ لَا
وَالْبَذْرُ لَوْ ضَاهَى إِضَاءَةً وَجْهِهِ
وَالنَّسْرُ لَوْ عَالَاهُ قَالَ لَهُ السُّهَا :
ذُو رِفْعَةٍ جَازَتْ مَدَى الْجَوَازِ فِي
وَعُلَا تُحَاوِلُهَا الْعِدَاةُ فَتَنَنِي

وَنَحَلَّتَنِي أَضْعَافَ جِسْمٍ قَدْ دُهِيَ^(١)
لَمْ أَنْقِهِ وَمِنَ الْجَوَى لَمْ أَنْقِهِ^(٢)
أَفْدِيكَ مِنْ تَغْذِيهِ أَنْ يُبْدِيهِ
يُحْدِي إِلَيْهِ تَوَجُّهُ الْمُتَوَجِّهِ^(٣)
أَلْقَاهُ لَانْدَرَأَ الَّذِي لَا أَشْتَهِي
وَلَكُمُ أَرَاخَ بَدِيْعَ عَيْشٍ أَكْرَهُ
أَكْرَمَ بِنِسْبَةٍ ذَا النَّجَارِ الْأَنْوَهُ
بِاللُّؤْذَعِيِّ الْأَلْمَعِيِّ الْمَذْرَهُ
أَقْوَالُهَا اتَّجَهَتْ بِكُلِّ الْأَوْجِهِ
وَلِكُلِّ عِلْمٍ مِنْهُ حُسْنٌ تَفْقَهُ
عِلْمًا وَهَلْ مِنْ مُغْضِلٍ لَمْ يَذْرِهِ
إِنْ يَشْهَدُ الْخَطْبُ ارْتَقَى لَمْ يَشْدِهِ
تَطْمَعُ وَكُنْ مِثْلِي وَلَا تَشَبَّهُ
مَا كَانَ مِنْهُ تَكَلُّفُ الْمُتَكَرَّرِ^(٤)
حَاوَلْتُ قَبْلَكَ ذَا فَقِيلَ : مَهْ مَهْ^(٥)
شَرَفٍ يَفُوتُ الْمُشْتَرِي وَالْمُشْتَهَى^(٦)
عَنْهَا وَلَمْ تَظْفَرْ بِغَيْرِ تَنْوُهُ^(٧)

(١) في م : × . . . قد وهي .

(٢) في ب : . . . فيمدمع × .

(٣) في أ ، س : × . . . المتجوه .

(٤) في ب : × ما كان منه تكرر بالمكرر .

(٥) ما بين القوسين من ب ، س .

(٦) البيت من س فقط .

(٧) في س : × . . . بغير تنبه .

[٢٠ب] فَبِهِمْ بَوَاطِنُ أَرْعَدَتْ بِتَشَوُّشٍ
وَفَضَائِلُ لَمْ تَخْفَ إِلَّا عَنْ فَتَى
وَقَرِيحَةٍ فِي الْحَالَتَيْنِ مُرِيحَةٍ
وَبَدِيعُ نَظْمٍ لَوْ تَقَدَّمَ عَصْرُهُ
صَاغَتْ قَلَائِدُهُ الْعُقُولُ فَحُسْنُهُ
قُسُّ الْفَصَاحَةِ ، لَوْ تَسَمَّعَ لَفَظُهُ
وَلَهُ مِنَ الْأَدَبِ النَّضِيرِ حَدَائِقُ
كَمْ أَسْمَعْتَ صُمًّا وَأَنْطَقَ فَضْلُهَا
أَقْلَامُهُ نُصِبَتْ كَأَعْلَامٍ عَلَى
مَنْ خَطَّهَا الْخَطِيُّ يَمْضِي هَارِبًا
مَا رَوْضَةٌ حَيَّا الْحَيَا أَفْنَانُهَا
رَاقَتْ مَعَانِيهَا وَرَقَّ نَسِيمُهَا
فَالزَّهْرُ بَيْنَ مُفَضِّضٍ وَمُذْهَبٍ
يَوْمًا بِأَنْضَرَ مِنْ شُذُورِ سَطُورِهِ
إِنَّهُ عَلَاءُ الدِّينِ مَنْ شَانِيهِ لَمْ
بِالرَّغْمِ مِنِّي أَنْ أَفَارِقَ مَوْطِنًا
مَا غِبْتُ عَنْ مَغْنَاكَ إِلَّا مُكْرَهًا
فَالْعِزُّ عِنْدَكَ لَا كَمَنْ هُوَ مُنْشِدٌ
خُذَهَا قَصِيدَةً قَاصِرٍ لَوْلَاكَ لَمْ

وَلَهُمْ ظَوَاهِرُ أَرْعَدَتْ لِتَشَوُّهِ
أَعْمَى الْهُدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعُمَى
لَاخِي الرِّوَايَةِ إِنْ بَدَا وَالْمُبْدَى
قَالَ الْوَرَى : أَفَّ لِشَعْرِ الْأَفْوَى (١)
يُنْسِي إَصَابَاتِ الْأَدِيبِ الْأَبْلَى (٢)
سَخْبَانُ لَا سَتَحِيْلُ وَلَمْ يَتَقَوَّه
بِنَظِيرِهَا لَمْ يَأْتِ كُلُّ مُفَوَّهٍ
خُزْسًا وَكَمْ لَاحَتْ لِعَيْنِ الْأَكْمَى
إِعْدَامِ بَاغٍ عَنْ هُدَاهُ مُنْهَنَى
وَيَقِضُ عِنْدَ شَبَابِهَا الرِّزْقُ الشَّهْيَ
فَفِنَاؤُهَا زَاهِي الْمَعَاطِفِ مُزْدَى
وَصَفَتْ بِمَا وَصَفَتْهُ لِلْمُتَنَزَّه
وَالْتَهَرُّ بَيْنَ مُصَفَّقٍ وَمُقَهَّقِهِ
كَالْعَقْدِ مَنْظُومًا بِهِ الْبَذَرُ الْبَهِي
يُوهَبُ عُلَاً وَلِضِدِّهِ لَمْ يُؤْبَهُ
لَكَ طَالَمَا فِيهِ حَمْدُتُ تَوَجُّهِي
وَلَقَدْ مَحَى الرَّحْمَنُ ذَنْبَ الْمُكْرَه
الْعِزُّ فِي صَهَوَاتِ خَيْلِ الْأَجْبَه
تَسْمَخُ قَرِيحَتُهُ وَلَمْ يَتَبَّه

(١) الأفوه الأودبي : صلاة بن عمرو المدحجي ، أبو ربيعة ؛ شاعر جاهلي حكيم . (الشعر والشعراء

. (٢٢٣ / ١)

(٢) الأبله البغدادي : محمد بن بخيار بن عبد الله ، الشاعر المشهور ؛ توفي سنة ٥٨٠ هـ . (الوافي

. (٢٤٥ / ٢)

أَمَعَنْتُ فِي إِنْشَائِهَا بَتَفْكَرِي
 قَامَتْ عَلَى عُمْدِ الْبَيَانِ فَأَخْمَلْتُ
 أَنِّي تُسَاوِيهَا وَهَذِي قَدْ حَوَتْ
 نَزَاهَتُهَا عَنْ أَخْنَعِ اسْمٍ قَالَهُ
 وَفَرَزْتُ مِمَّا لَمْ يَسْغُ لُغَةً فَلَمْ
 وَقَصِيدَةُ الْكِنْدِيِّ تَكْذِي إِثْرَهَا
 وَإِذَا هُمَا افْتَخَرَا عَلَيَّ وَأَنْتَ ذُو
 وَلَيْسَ تَدَاعَيْنَا فَإِنَّكَ حَاكِمٌ
 هَذَا عَلَى أَنَّ الْقَرِيضَ فَضِيلَةٌ
 هُوَ يَزِمَنِي حَوْلِي فَأَقْبِلْ عَفْوَهُ
 لَمْ يَمْتَلِئْ جَوْفِي بِهِ خَوْفًا عَلَى
 لَوْلَا امْتِدَاحُكَ لَمْ أَعِزَّهُ فِكْرَتِي
 وَطَرَحْتُهُ حَتَّى يَكُونَ كَمَجَّةٍ
 لَا زِلْتَ فِي نِعَمٍ يَدُومُ سُورُهَا

فَنِعِمْتُ مِنْ إِنْشَادِهَا بَتَفْكَرِي
 ذَاتَ الْعِمَادِ الْكَاتِبِ الْمُتَمَدِّهِ (١)
 بِكَ الْاِفْتِخَارَ وَتِلْكَ فِي فَرْخِشِهِ
 مِنْ وَضْفِ غَيْرِ اللَّهِ بِالشَّاهِنِشِهِ
 أَتَبِعُهُ فِي نَعْتِ الْعِنَاقِ الْفُرِّهِ
 لَمْ يُفْتِهَا زَيْدٌ بِزَيْنِ بَلْ سَهِي (٢)
 مَذْحِي شَمَخْتُ إِذَا بِأَنْفِ الْأَنْبِيهِ
 بَيْنِي وَبَيْنَهُمَا بِخَاطِرِكَ النَّهْيِ
 لَهُمَا وَعِنْدِي فَضْلَةُ الْمُسْتَنْزِهِ
 طَوْرًا وَأَتْرُكُ تَارَةً بِتَرْقُهِ (٣)
 دِينِي وَلَمْ أَشْرَعْ إِلَيْهِ وَأَشْرَهُ
 كَلًّا وَلَمْ أَنْظُرْ إِلَيْهِ وَأَكْثَدَهُ
 فِي لُجَّةٍ أَوْ مُهْمَلٍ فِي مَهْمِهِ
 وَالذَّهْرُ عَنْ تَكْدِيرِ صَافِيهَا لَهْي (٤)

(١) في ب : . . . فأخمدت × . . . المُتَمَدِّهِ . والإشارة إلى العماد الكاتب ، صاحب الخريدة .

(٢) الإشارة إلى قصيدة العماد . في مدح الملك المنصور عز الدين قرخشا بن شاهنشاه بن أيوب ، وهي في ثلاثة وثمانين بيتاً ، مطلعها :

يَبِينُ أَمْرٌ حَلَاوَةُ الْعَيْشِ الشَّهْيِ وَهَوَى أَحَالَ غَضَارَةَ الزَّمَنِ الْبَهْيِ
 وعارضها أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي ، تاج الدين ، بكلمة بديعة في وزنها ورويتها وحسن زيتها - وهي في تسعة وأربعين بيتاً - مطلعها :

هَلْ أَنْتَ رَاحِمٌ غَبْرَةً وَتَوَلَّيْهِ وَمُجِيرٌ صَبَّبَ عِنْدَ مَأْمِنِهِ دُهْيِ
 [كتاب الرُّوضَتَيْنِ لِأَبِي شَامَةَ ٣/ ١٣٠ - ١٣١] .

(٣) في ب : . . . فأقبل عذره × .

(٤) في ب : × . . . كهي .

وَوُقِيتَ صَارِفَ فَضْلٍ مَجْدٍ أَرْفَعُ وَبَقِيتَ وَاِرِفَ ظِلِّ سَعْدٍ أَرْفَهُ (١)

● فَلَمَّا سَمِعْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ ، وَرَأَيْتُ مَا جَمَعَتْ مِنَ الْمَحَاسِنِ دُرَّتْهَا الْفَرِيدَةُ ، تُقْتُ إِلَى تَقْرِيبِظِهَا نَظْمًا ، وَأَرَدْتُ أَنْ أُطْلِعَ قِيَالَهَ قَمَرِهَا التَّمَامَ فِي سَمَاءِ الْبَلَاغَةِ نَجْمًا ، وَعَلِمْتُ أَنَّ كُلَّ نَارٍ لَيْسَ عِنْدَهَا سَلَامٌ ، وَكُلُّ صَبٍّ لَا يَجِدُ السَّلَامَةَ عِنْدَ سَلْمَى ؛ فَنَظَّمْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ الَّتِي تَجُرُّ رِداءَ الْخَجَلِ ، وَتَقْمَمُصُ أَرْدِيَةَ الْوَجَلِ ، وَأَيْنَ ذُبَالَةُ السَّرَاجِ مِنَ الْكَوَكِبِ الْوَهَّاجِ ؟ وَالْجَذُولِ النَّاضِبِ مِنَ الْبَحْرِ [٢١] الْعَجَاجِ ؟

وَكَانَ عُمُرُ إِنْسَانِهَا فِي بُعْضِ لَيْلَةٍ ، لَا جَرَمَ أَنَّ الْإِتْقَانَ مَا جَرَّ عَلَيْهَا ذَيْلَهُ ، وَلَا أَعْطَاهَا الْإِحْسَانَ حَيْلَهُ ؛ وَهِيَ : [من الكامل]

مَهْلًا فَإِنَّ الشَّرْعَ أَصْبَحَ يَزْدَهِي	بِكَ فَرَحَةً وَالشَّعْرُ فِينَا قَدْ دُهِي (٢)
وَالْفِقْهُ لَمَّا أَنْ تَعَاظَمَ شَأْنُهُ	بِعِلَاقِكَ لَمْ يَخْفَلْ بِذِكْرِ الْأَشْنَهِي (٣)
وَكَذَلِكَ الْمَعْقُولُ مَعْقُودُ الْعُرَى	بِكَ لَمْ يُعَلِّقْ بَنْدُهُ بِالْبَنْدَهِي (٤)
أَخْمَلْتُ أَرْيَابَ الْقَرِيضِ فَأَصْبَحُوا	يُدْعَوْنَ بِالْمَجْنُونِ أَوْ بِالْأَبْلَه
أَمَّا الْوَلِيدُ فَشَابَ مِنْكَ وَهَكَذَا	مُنْتَبِئُ الْأَشْعَارِ لَمْ يَنْتَبِه
وَصَرَعْتَ عَنْتَرَةَ الْقَوَارِسِ فَاثْنَى	قَلِقًا يُنَادِي : يَا لَصَمْتَ الْأَفْرَه
لَوْ كُنْتَ تَفَخَّرُ بِالْقَرِيضِ تَوَجَّهَتْ	مِنْكَ الْقَوَافِي نَحْوَ كُلِّ تَوَجَّه (٥)

(١) سقطت كلمة « فضل » من صدر البيت في أ . وفي م : . . . صارف كل مجد أرفع × .

(٢) في أ ، م : × . . . والشعر فينا . . . وفي م : × . . . قد زهي .

(٣) الأشنهى : لعله أحمد بن موسى بن جوشين ، أبو العباس ؛ كان فقيهاً فاضلاً ؛ توفي سنة ٥١٥ هـ . (طبقات السبكي ٦٦/٦) أو : عبد العزيز بن علي بن عبد العزيز ، صاحب الفرائض المشهورة . وهما مشوبان إلى قرية أشنه بأذربيجان . (طبقات السبكي ١٧١/٧) .

(٤) البندهي : محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودي الفقيه الشافعي الصوفي ؛ توفي سنة ٥٨٤ هـ . (وفيات الأعيان ٣٩٠/٤) .

(٥) في س : × . . . نحر كل تجرؤه .

لَكِنْ عَلِمْتَ فَلَمْ تَزَلْ مُتَوَاضِعاً
وَشَغَلْتَ نَفْسَكَ بِالْحَقَائِقِ بُرْهَةً
قَلَمُ الشَّرِيعَةِ فِي بَصِيرَتِهِ كَمَا
هَذَا يَمِيسُ وَذَا يَتَسُّ مِنَ الْجَوَى
أَضْحَى الْوُجُودُ مُخْلَفاً بِأَصِيلِهِ
وَالْغُضُنُ فَوْقَ النَّهْرِ مَالٌ فَحَبَّذَا
يَا مَنْ تَرَفَّعَ شِعْرُهُ لَمَّا غَدَا
فُتَّ الْبَوَارِقُ وَهِيَ تُجْهِدُ نَفْسَهَا
وَعَلَوَتْ عَمَّنْ قَدْ غَدَا مُتَرَوِّياً
خَلَّ الْقَرِيبُ لَنَا نُجْرَعُ خَلَّهُ
وَاتْرُكْ لَنَا هَذِي الصَّنَاعَةَ نَزْتَرِقُ
فَالْتَجَمُ مَعْقُودٌ بِذَنبِكَ طَرْفُهُ
لَوْ شِئْتَ أَنْ تَضَعَ التُّجُومَ قَوَافِياً
بِقَصِيدَةٍ لَوْ كَانَ أَنْبَهُ شَاعِرٍ
لَوْ قِيلَ : أَيُّ قَصِيدَةٍ قَدْ زُيِّنَتْ
حَصَلَتْهَا مِنْ كَنْزِ وَإِدِكَ الَّذِي
وَلِيَ الْقَضَاءَ بِسِيرَةٍ عُمَرِيَّةٍ
فَرْدٌ غَدَا فِي الْبَحْثِ سَبْعاً أَغْلَبَا
كَمْ قَدْ أَبَانَ الْعَجَزَ يَوْمَ جِدَالِهِ
مَا جَاءَهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ قَصْدَهُ

أَيْنَ اللَّطِيفُ مِنَ الْكَثِيفِ الْعُنْجُهِ
وَالْحَقُّ يَشْرُفُ لَا الْمَقَالُ التَّرْهِي
قَلَمُ الْقَرِيبِ غَدَا بِطَرْفٍ أَكْمَهُ
شَتَّانَ بَيْنَ تَأَوُّدٍ وَتَأَوُّهِ
فَرَحاً وَحَقٌّ لَهُ بِفَضْلِكَ يَنْتَهِي ^(١)
مُتَقَهِّقٌ يَبْدُو عَلَى مُتَقَهِّقِهِ
بَيْنَ الْكَوَاكِبِ عَنْ مَقَالِ مُزْهَرِهِ
سَبْقاً وَفِكْرُكَ فِي أَنَاةٍ مُرْفِهِ
وَسَبَقَتْ بِالْإِحْسَانِ لِلْمُتَبَدِّهِ
فَالشَّهْدُ مَا شَاهَدْتَ لِلْمُتَقَهِّهِ
بِضُبَابَةٍ مِنْ طَعْمِهَا الْمُتَسَنِّهِ
قَدْ رَاحَ بَيْنَ تَشْبُثٍ وَتَشْبِهِ
لَتَنَزَلَتْ طَوْعاً وَلَمْ تَتَنَزَّرْهُ
يَخْكِي فَصَاحَتَهَا لِأَضْبَحَ تَهْتَهِي
بِالنَّظْمِ فَوْقَ الْفَرْقَدَيْنِ ؟ لَقُلْتُ : هِيَ
بِكَمَالِهِ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ قَدْ زُهِ
وَالْعَدْلُ خَيْرٌ مُنَوَّعٌ لِمُنَوَّهِ
مَا الظَّنِّي فِي اللَّقْيَا لَهُ بِمُجْهَجِهِ
مُسْتَوْدَعاً فِي خَضْمِهِ الْمُسْتَوْرِهِ ^(٢)
مَنْ يَشْتَكِي إِلَّا رَأَى مَا يَشْتَهِي

(١) في م : × يلتهي .

(٢) في ب : × متودعاً . . .

كَمْ سَمَّ سَهْمًا فِي قَضَاءِ حُكُومَةٍ
فَالْغَيْثُ يَزُوي عَنْ عَطَايَا كَفِّهِ
أَمَّا الْحَدِيثُ فَلِإِنَّمَا هُوَ رُحْلَةٌ
وَالشَّافِعِيُّ الْأَشْعَرِيُّ مُبْرَأٌ
قَدْ زَانَ بِسُطَّةِ جِسْمِهِ وَعُلُومِهِ
خُذَهَا بِهَاءِ الدِّينِ نَفْثَةً نَاطِمٍ
تَنْقَادُ فِي بُرْدِ الْفَصَاحَةِ رِقَّةً
خَلَصَتْ قَوَافِيهَا فَهَاءُ رَوِيَّهَا
اللَّهُ يَغْلَمُ أَنَّنِي لَمْ أَنْتَحِلْ
لَكِنْ إِذَا فَكَّرْتُ فِيمَا حُزَّتَهُ
فَأَنَا بِكَ الصَّبُّ الَّذِي مِنْ حُبِّهِ

وَرَمَى بِهِ فَأَصَابَ نَحْرَ السُّمَّهِ (١)
وَالْبَذْرُ يَخْجَلُ مِنْ مُحَيَّاهُ الْبَهِي
فِيهِ فَلَا تَطْرَبُ لِلذِّكْرِ الْمَنْدَهِ (٢)
عَنْ قَوْلِ كُلِّ مُعْطَلٍ وَمُسَبِّهِ
فَالْعِلْمُ يُبْهِى تَحْتَ جِسْمٍ بَهْبِهِ
قَدْ زَفَّهَا لَكَ فِي قَمِيصٍ لَهْلَهٍ
وَتَشَفُّ عَنْ لَفْظٍ تَرَاهُ بَرَهْرَهِي
خَالٍ مِنَ الْإِضْمَارِ لَيْسَ بِهِ بِهِ
وُدِّي وَلَا أَنَا فِي هَوَاكَ بِمُكْرِهِ
أَمْسَيْتُ بَيْنَ نَفْكَرٍ وَتَفْكَهِ
أَضْحَى يَهْيَمُ وَجِسْمُهُ سَقْمًا يَهِي

● ثُمَّ إِنِّي بَعْدَ ذَلِكَ نَظَّمْتُ قَصِيدَةً ، [٢١ ب] مَدَحْتُ بِهَا الْقَاضِي عَلَاءَ الدِّينِ

ابن فَضْلَ اللَّهِ كَاتِبَ السَّرِّ الشَّرِيفِ ؛ وَهِيَ : [من الكامل]

حَاشَا عُهُودِي فِي الصَّبَابَةِ أَنْ تَهِيَ
يَا عَزَّ عَزِي فِي هَوَاكِ مَذَلَّتِي
أَصْبَحْتُ مِنْكَ تَوَجُّعِي وَمِنْ الْجَفَا
فَتَرَفَّقِي بِي فِي الْهَوَى وَتَرَفَّعِي
قَدْ زَادَ فِيكَ تَأَلَّفِي بِتَأَلَّمِي
مَا تَلْتَقِي حَمَلَاتِ طَرْفِكَ مُهْجَتِي
فَالصَّبْرُ يَسْأَلُنِي إِذَا مَا سُمْتُهُ

أَوْ أَنْ يُحَسِّنَ لِي السُّلُوءَ فَأَنْتَهِيَ
وَتَوَلَّعِي بِكَ قَدْ قَضَى بِتَوَلَّعِي
ءِ تَوَجُّسِي وَإِلَى حِمَاكِ تَوَجُّعِي
عَنْ قِتَلْتِي وَعَنِ الصُّدُودِ تَرَفَّعِي
وَتَفْكَرِي فِيكَ انْتَهَى لِتَفْكَعِي
فَحَفِي إِلَهَكَ فِي دَمِي يَا هَذِهِ
وَالْقَلْبُ إِنْ لَا يَتُّهُ لَا يَنْتَهِيَ

(١) فِي هَامِشٍ أ : أَيِ الْمَبْطَلِ .

(٢) الْمَنْدَهِ : ابْنُ مَنْدَه ، الْحَافِظُ الْمَشْهُورُ .

ماذا يَقُولُ الوَاصِفُونَ وقد غَدَتْ
 أَمَّا السُّهَى فإِلَى جَمَالِكَ قَدْ سَهَا
 كَحُلَاءٍ أَمَّا أَمْرُهَا فِي أَدْمُعِي
 قَدْ خَصَّهَا الْبَارِي بِلُطْفٍ زَائِدٍ
 وَلَقَدْ أَقُولُ وَقَدْ سَرَتْ أَظْعَانُهَا
 يَا مَنْ يُرِيدُ الشَّمْسَ قِفْ لَا تَخْدِغْ
 مِنْ أَيْنَ لِلشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ مَبْسَمٌ
 عَطَفْتُ عَلَيَّ قَوَامَهَا يَا مَنْ رَأَى
 وَتَلَقَّيْتُ نَحْوِي بِجَنِيدٍ أَتْلَعُ
 وَصَفِي لَهَا بِرَوِيَّةٍ وَمَدَائِحِي
 ذِي نَسَبَةٍ قُرَشِيَّةٍ عَدَوِيَّةٍ
 فَالْعِلْمُ مَعْلَمُهُ بِهِ لَمْ يَنْدَرِسْ
 مَا دَبَّرَ الْأَمْلاكُ مِثْلُ يَرَاعِهِ
 بِسِيَادَةِ مَغْبُوطَةٍ وَسِيَّاسَةٍ
 وَبِلَاغَةِ لِسْمُوهَا يُجَبِّى لَهَا
 وَفَصَاحَةِ عُلُوِّيَّةٍ عَلَوِيَّةٍ
 وَعَلَى عِبَارَتِهِ طَلَاوَةٌ رَوْنَقِي
 وَيَغُوصُ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي نَاقِدًا
 وَكِتَابَةً مِثْلَ الْأَزَاهِرِ نَضْرَةً
 بَلْ كُلُّ حَرْفٍ كَوَكَبٌ مُتَوَقِّدٌ
 أَقْلَامُهُ مِثْلُ الْحَبَابِ فَلَيْئُهُ

تُثْنِي الْبُذُورُ عَلَى مُحَيَّاكِ الْبَهِي
 وَكَذَا الْمُتَقَفُّ قَدُّهُ بِكَ قَدْ دُهِيَ
 فَجَرِي عَلَى عَادَاتِ جَفْنِي الْأَمْرِهِ
 فَتَشِفُّ عَنْ جِسْمِ بَرَاهُ بَرَهْرَهِي
 لَيْلًا وَجَفْنُ الصُّبْحِ لَمْ يَتَّبِعْهُ
 عَمَّنْ تَجَلَّتْ فِي الْمَحَامِلِ فَهِيَ هِيَ (١)
 حُلُو الْمَذَاقَةِ طَيِّبُ أَلْمَى شَهِي
 مُتَأَوِّدًا يَخْنُو عَلَى مُتَأَوِّهِ
 بِاللهِ قُلُ لِلطَّبَّيِّ لَا تَتَشَبَّهِ
 لِعَلِّي بِنِ فَضْلِ اللهِ ذَاتُ تَبْدُهِ
 عُمَرِيَّةٌ وَإِلَى عَلَيَّ تَنْتَهِي
 رَغِيأُ لَهُ وَالْحِلْمُ لَمْ يَسْقَهُ
 حُفْظَ النِّظَامِ بِهِ قَدَامَ وَلَمْ يَه
 مَضْبُوطَةٌ تَغِيَا عَلَى الْمُتَفَوِّهِ
 ثَمَرَاتُ كُلِّ عِبَارَةٍ لَمْ تُجْبِهْ
 نَزَلَ الْبَلِيغُ لَهَا فَأَضْبَحَ تَهْتَهِي
 مُتَرْفِقِ الْأَمْوَاهِ لَمْ يَسْنَهْ
 مَا يَخْتَفِي بِتَقْقُدِ الْمُتَقَقِّهِ
 أَوْ مَا تَرَاهَا غُرَّةً فِي الْأَوْجِهْ
 قَدْ صَحَّ ذَلِكَ بِالْقِيَّاسِ الْأَشْبِهْ
 حَظُّ الْمُحِقِّ وَسُوءُهُ لِلشُّمَّهِ

(١) في أ : × عَمَّنْ تَحَلَّتْ فِي الْمَحَامِلِ . . .

وَلَهُ مَعَانٍ كَمَ أَبَانَ بَيَانُهَا
وَعُقُودُ نَظْمٍ لَوْ تَعَقَّلَ حُسْنُهَا أَلْ
فَكثِيرٌ قَدْ رَاحَ مِنْهَا نَاقِصاً
يَا مَنْ يُحَاوِلُ وَضْفَهُ اَزْجَعُ لَا تَقَعُ
يَا مَنْ يَلُومُ نَوَالَهُ فِي بَذْلِهِ
أَتَقُولُ لِلْغَيْثِ الْمُلِثِ إِذَا هَمَى
جَمُّ الْعَطَاءِ مَعَ التِّيْقِظِ لِلْعُلَا
يَا مَنْ أَتَاخَ لَهُ الزَّمَانُ خُطُوبَهُ
لَا تَشْتَكِي صَرْفَ الرَّدَى إِلَّا إِلَى
إِشْرَاحٍ لَهُ جَوَرِ الزَّمَانِ وَكَيْدِهِ
فَلَوْ اَزْتَحَلَّتْ وَسِرَتْ مَا بَيْنَ الْمَلَا
[٢٢] لَمْ تَلَقْ مِثْلَ فَخَارِهِ وَنِجَارِهِ
أَفْنَى اللَّيَالِي شُكْرُهُ وَنَنَاؤُهُ
مِنْ سُوءِ حَظِّي الْبُعْدُ عَنْ أَبْوَابِهِ
أَمَّا الدُّنُو فِإِنَّهُ مِنْ بَشَرِهِ
قَدْ يَلْفُ السَّعْدُ الْعِنَانَ فَتَمَجِّي
يَا سَيِّدَا مَلَأَ الزَّمَانُ مَهَابَةً
خُذْهَا مُتَّقَحَةً الْقَوَافِي أَصْبَحَتْ
سَلِمَتْ فَمَا اخْتَالَ الضَّمِيرُ لِهَائِهِ

نُكْتَا أَقَرَّ لَهَا الْبَدِيعُ الْبُنْدَهِي
مَجْنُونٌ لَمْ تَخْطُرْ بِإِلِ الْأَبْلَه
وَقَضَى لَهَا الْحَكَمِي بِصَمْتِ الْأَفْوَه
فِي مَهْمِهِ لَا يَنْتَهِي فَمَهْ مَه
أُسْكُتْ فَمَا تَذَرِي إِذَا قُلْنَا مَه
مَهْلًا وَقَدْ رَوَى بِطَاحِ الْمَهْمِهِ
أَسَمِعْتَ قَطُ بِوَهْبِ بْنِ مُبْنَه؟
وَرَأَى مُحَاسِنَهُ بِطَرْفِ أَكْمَه
عَلَيَائِهِ حَتَّى تَرَى مَا تَشْتَهِي
وَاسْرُخْ فَلَمْ يَذَرَاهُ غَيْرُ الْمِذْرَه
حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ هَذَا الْمُنْدَهِي
بِهِمَا يُسَامِرُكَ النَّدِيمُ فَتَلْتَهِي^(١)
فَالنَّاسُ بَيْنَ مُبْخِخٍ وَمُزْهَرِه^(٢)
مَنْ لَمْ يَتَلْ حَظًّا بِهِ لَمْ يُؤْبِه
بِالرُّوحِ مِنْهُ فَإِنَّهُ لَمْ يَشْرِه
عَنِّي قَبَائِحُ حَظِّي الْمُتَشَوِّه
لَمَّا تَعَاظَمَ شَأْنُهُ الشَّاهَنْشَهِي
أُنْسَ النَّدِيمِ وَخُضْرَةَ الْمُتَنَزِّه
فِيهَا وَلَمْ يَحْتَلَّهَا بِتَجَوُّه

(١) فِي م : . . . فَخَارِهِ وَنَنَاؤُهُ . X

(٢) فِي م : . . . شُكْرُهُ وَفَخَارُهُ . X

فَرَوُّهَا مُتَحَرِّزٌ مُتَجَنِّبٌ
 إِنَّ الْعِمَادَ عَلَى وَجَاهَةِ فَضْلِهِ
 وَتَعَمَّدَ الْمَمْلُوكُ فِيهَا غَلْطَةً
 وَاسْلَمَ وَدُمَ مَا رَكَ شِعْرٌ مُبْلَدٌ
 مَكْرَ الضَّمِيرِ وَلَيْسَ فِيهِ بِمُكْرِهِ^(١)
 قَدْ قَالَ فِي بَعْضِ الْقَوَافِي وَجْهِهِ^(٢)
 لَا بُدَّ مِنْ عَيْبٍ تَرَاهُ فَعَطَّه
 فَأَتَاكَ يَحْمِلُهُ فَقُلْتَ لَهُ : هَيْه^(٣)^(١)

● وكتبْتُ أنا إليه وقد تَوَجَّهَ إلى مَكَّةَ شَرَفَهَا اللهُ تَعَالَى ، وجاورَ بِهَا في سَنَةِ

٧٦٠ وعَادَ مِنْهَا إلى الْقَاهِرَةِ في سَنَةِ ٧٦١ : [من السَّريع]

جِئْتَ إلى الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ
 فَلْيَهْنِهَا مِنْكَ الْغِنَى بَعْدَمَا
 دَجَتْ لِيَالِيهَا فَلَمْ تَبْلُجْ
 تَقَبَّلَ اللهُ تَعَالَى الَّذِي
 وَلَمْ تَزَلْ يَرْفُعُكَ اللهُ فِي
 كَمِ عُمْرَةٍ فِي الصَّوْمِ مَبْرُورَةٍ
 وَكَمْ طَوَافٍ قَدْ طَوَّتْ فِي الدُّجَى
 أَقَرَّرْتَ عَيْنًا فِيكَ غَادَرْتَهَا
 أَقُولُ فِي الصَّيْفِ إِذَا مَا بَكَتْ :
 لَمْ أَرْ عَيْنًا بِالْبُكََا غَيْرَهَا
 فَبَرَّدِ الْآنَ لَطْفِي مُهَجَّتِي
 وَابْعَثْ إِلَيَّ الْيَوْمَ نَفْسِي الَّتِي
 إِذَا أَتَى مِنْكَ كِتَابٌ إِلَى
 إِذْ جِئْتَ مِنْ مَكَّةَ لِلْقَاهِرَةِ
 قَدْ رُمِيتَ بِالْفَقْرِ وَالْفَاقِرَةِ
 شَوْقًا إِلَى أَنْجُمِكَ الزَّاهِرَةِ
 قَدْ أَحْرَزْتَ أَعْمَالَكَ الطَّاهِرَةِ
 مَنَازِلِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ
 فَازَتْ بِهَا أَوْقَاتُكَ الْعَامِرَةِ
 وَفِي الصُّحَى أَشْوَاطُكَ الْمَاهِرَةِ
 شَوْقًا عَلَى طُولِ الْمَدَى سَاهِرَةِ
 يَا طُولَ هَذِي اللَّيْلَةِ الْمَاطِرَةِ
 تَخَجَّلُ مِنْهَا الْأَبْحُرُ الزَّاخِرَةِ
 مِنْ حُرْقٍ فِي بَاطِنِي ظَاهِرَةِ
 رَدَدْتُهَا بِالْأَمْسِ فِي الْحَافِرَةِ
 عَبْدِكَ جَاءَتْهُ الْمُنَى سَافِرَةِ

(١) البيت ساقط من س .

(٢) سقط هذا العجز وصدر الذي يليه من ب ، فتلفق ما بقي .

(٣) وسقط ما بعد هذه القصيدة ، إلى نهاية الترجمة من ب ، س .

كَأَنَّ قَلْبِي غَابَ فِي جُنَّةٍ
أَوْ عَيْنِي الْقَرْحَى رَأَتْ فَرْحَةً
وَكَيْفَ لَا وَهُوَ الَّذِي طَرَسُهُ
وَسَلَّمَ الْأَقْوَامُ مِنْ عَجْزِهِمْ
كَمْ نُكْتَةٍ فِي الْأَدَبِ الْمُتَقَى
تَعْلُو ذُرَى النَّظْمِ وَتَرْقَى فَعَنْ
لَا بَيْتَ إِلَّا وَالْبَدِيعُ انْطَوَى
تَرَى الْقَوَافِي وَهِيَ فِي مَنَعَةٍ
قَدْ اطمَأْنَنْتَ مِنْهُ فِي بَيْتِهِ
تَجْمَعُ شَمْلَ الْحُسْنِ لَا كَالَّذِي
فَهُوَ قَرِيبُ شَائِعٍ فِي الْوَرَى
سُبْحَانَ مَنْ سَخَّرَ هَذَا لَهُ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَوْدِهِ

عَنِ الرَّدَى أَوْ جُنَّةٍ حَاضِرَةٍ
أَوْ ذَهَبِي الْفَاتِرَ أَلْقَى تَرَةً
ضَمَّ فُتُونِ الْأَدَبِ الْفَاحِرَةِ
إِلَيْهِ حُسْنِ الْكَلِمِ السَّاحِرَةِ
جَاءَتْ بِهَا أَلْفَاظُكَ الْقَادِرَةِ
رُبَّتِيهَا يَنْحَدِرُ الْحَادِرَةِ^(١)
فِيهِ وَإِلَّا النُّكْتَةُ النَّادِرَةُ
فَإِنْ دَعَا جَاءَتْ لَهُ صَاحِرَةُ
وَلَمْ تَكُنْ مِنْ قَلَقٍ نَافِرَةِ
تُبْصِرُهَا فِي بَيْتِهِ حَائِرَةِ
سَارَتْ بِهِ أَمْثَالُهُ السَّائِرَةِ
وَرَدْنَا بِالصَّفْقَةِ الْخَاسِرَةِ
فَقَدْ أَمِنَّا الزَّلَّةَ الْعَائِرَةَ

● فَكُتِبَ هُوَ الْجَوَابُ إِلَيَّ ، أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ : [من السريع]

[٢٢ب] أَهْلًا بِهَا مِنْ رَوْضَةٍ نَاضِرَةٍ
وَأُفُقِ عِلْمٍ أَشْرَقَتْ فِي الدُّجَى
أَوْ قَهْوَةٍ حَلَّتْ وَحَلَّتْ عُرَى
أَيَّاتٍ نَظْمٍ هَدَمَتْ لِلْوَرَى
وَصَيَّرَتْ أَشْعَارَهُمْ فَضْلَةً
وَلَمْ تَقُمْ دَوْرٌ لَهَا بَعْدُ بَلْ

وَأَعْيُنٍ بِاللُّطْفِ لِي نَاطِرَةٍ
أَنْوَارُهُ بِالْأَنْجُمِ الزَّاهِرَةِ
فَهَمِّي لِحُسْنِ الْكَلِمِ السَّاحِرَةِ
قُصُورَ فَهْمٍ وَاغْتَدَّتْ عَامِرَةِ
فَقُلْ دَوَابِنُهُمْ صَاحِرَةِ
دَارَتْ عَلَى أَبْحَرِهَا الدَّائِرَةِ

(١) الحادثة الدُّبْيَانِي : قطبة بن أوس ، شاعر جاهلي معروف . (ديوانه ٣٣) .

وحاذِرَ الشَّمَاخُ أَنْ يَغْتَلِي
 واشتَهَرَتْ بِالْحُسْنِ مَعَ أَنَّهَا
 أَضْدَرَهَا صَدْرُ الْأَنَامِ الَّذِي
 يَقْصُرُ الْأَعْلَامُ عَنْهَا وَلَوْ
 شَيْخُ الْوَرَى وَاحِدُ عَصْرِ الْعُلَا
 وَمَنْ بِهِ الدَّهْرُ أَزْدَهَى عِظْفُهُ
 لَهُ أَيَادٍ وَعُلَا لَمْ تَزَلْ
 تَكَادُ أَوْلَاهُنَّ مِنْ رَغْبَةٍ
 وَسِيرَةٍ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ قَدْ
 يَمْشِي بِهَا فِي الْأَرْضِ أَهْلُ التَّقَى
 يَا أَيُّهَا الظُّمَانُ رُدْ بَابَهُ
 وَيَا أَخَا التَّنَالِ بَادِرْ لَهُ
 شَوْقِي لَهُ وَالْوَجْدُ لَا يَنْقُضِي
 قَدْ قَهَرْتَنِي الشَّامُ فِي بُعْدِهِ
 وَكَمْ لَهُ عِنْدِي مِنْ نِعْمَةٍ
 لَا بَرَحَ الدَّهْرُ صَلاَحَ الْوَرَى
 فِي الْحَالِ وَالْعُقْبَى بِنَيْلِ الْمُنَى

فَكَيْفَ لَا يَنْحَدِرُ الْحَادِرَهُ
 فَرِيدَةً فِي فَنِّهَا نَادِرَهُ
 عَلَومُهُ وَارِدَةً صَادِرَهُ
 أَسْهَرَتْ الْأَعْيُنَ بِالسَّاهِرَةِ^(١)
 وَذُو الْفُنُونِ الْجَمَّةِ الْوَافِرَهُ
 وَاخْتَالَ فِي حُلَّتِهِ الْفَاخِرَهُ
 لَهَا الْوَرَى حَامِدَةً شَاكِرَهُ
 فِي الْمَجْدِ أَنْ تَسْبِقَهَا الْعَاشِرَهُ
 تَوَاتَرَتْ أَمْثَالُهَا السَّائِرَهُ
 وَفِي السَّمَاءِ أَجْنَحَةٌ طَائِرَهُ
 يُزَوِّكُ مِنْ أَبْحَرِهِ الزَّاخِرَهُ
 فَعِنْدَهُ أَجْوَبَةٌ حَاضِرَهُ
 مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْغَابِرَهُ
 فَصَحَّ أَنَّ الشَّامَ هِيَ الْقَاهِرَهُ^(٢)
 بَاطِنَةَ الْمِنَّةِ أَوْ ظَاهِرَهُ
 تُنْعِشُهُمْ أَنْفَاسُهُ الْعَاطِرَهُ
 فَالْيَوْمَ دُنْيَا وَغَدًا آخِرَهُ

● وكتبْتُ أَنَا إِلَيْهِ ، وقد نابَ عنه في تَدْرِيسِ الْمَنْصُورِيَّةِ وَلَدَهُ الشَّيْخُ الْإِمَامُ

تَقِيَّ الدِّينِ أَبُو حَاتِمٍ ، فِي سَنَةِ ٧٦٣ : [من السَّريع]

فَوَائِدُ الشَّيْخِ أَبِي حَامِدٍ جَدَّدَهَا دَرَسُ أَبِي حَاتِمٍ

(١) فِي أ : × . . . الْأَعْيُنُ السَّاهِرَةُ ! . وَالْمُثَبَّتُ مِنْ م .

(٢) فِي م : . . . مِنْ بَعْدِهِ × .

أَكْرَمَ بِهِ ابْنًا لِأَبٍ مَاجِدٍ
 الْمُزْتَضَى ابْنُ الْمُجْتَبَى الْمُفْتَى
 يَا أَهْلَ سُبُكِ وَنِدَائِي لَكُمْ
 بِالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَكَسْبِ الثَّنَا
 بِهَاؤُكُمْ لَوْ رُمْتُ أُخْصِي الثَّنَا
 أَفْتَى فَمَا خَالَفَهُ حَاكِمٌ
 قَدْ جَمَلَ الدَّهْرَ بِأَفْعَالِهِ
 يَرْوِي عَنِ الصَّادِقِ فِي وَعْدِهِ
 عَارٍ مِنَ الْعَارِ وَكَمْ نَشَرَ الثَّ
 وَتَاجُكُمْ قَاضٍ غَدَا فَضْلُهُ
 وَذُو التَّصَانِيفِ الَّتِي شَرَّقَتْ
 وَالرَّافِعِي أَنْجَرَ إِلَى خَلْفِهِ
 وَرُبَّ حَرَّانٍ حَمَاهُ ظَمَاهُ
 وَنَجْمُكُمْ هَذَا رَأَيْنَا الشُّهُى
 [٢٣] فَهُوَ ابْنُ جَبَّانٍ إِمَامُ الْوَرَى
 قَدْ أَتَقَنَ الْأَدَابَ حَتَّى لَقَدْ
 يَسْرُدُ أَشْمَاءَ الرِّجَالِ الَّتِي
 وَسَادَ فِي عَصْرِ الصُّبَا مَعْشَرًا

كَمْ مِنْ ثَنَاءٍ بِاسْمِهِ بِاسْمِ
 الْعَالِمِ ابْنِ الْفَاضِلِ الْعَالِمِ
 يَرْوِي الشَّنَا عَنْ عَرَفِهِ النَّاسِمِ
 نَصَرْتُمْ دِينَ أَبِي الْقَاسِمِ
 عَلَيْهِ أَتَعَبْتُ يَدَ الرَّاقِمِ^(١)
 وَلَوْ يَكُونُ الْحَاكِمُ الْفَاطِمِي
 تَجَمُّلَ الْخِنْصَرِ بِالْخَاتِمِ
 وَيَقْتَدِي فِي الْغَيْظِ بِالْكَاطِمِ
 ثَنَّا عَلَيْهِ حُلَّ النَّاطِمِ^(٢)
 يَرْوِي لَنَا « مُسْتَدْرَكَ الْحَاكِمِ »^(٣)
 وَغَرَّبَتْ مَا بَيْنَ ذَا الْعَالَمِ
 وَلَمْ يَكُنْ فِي الثَّقَلِ بِالْجَازِمِ
 فَقَرَّ فَمَا صَارَ إِلَى حَارِمِ
 سَهَالَهُ فِي لَيْلِهِ الْعَاتِمِ
 أَوِ السَّجِسْتَانِي أَبُو حَاتِمِ
 بَخَّلَ فِينَا أَدَبَ الْحَاتِمِي
 فَرَطَ فِي إِتْقَانِهَا الْحَازِمِي
 أَكْبَرُهُمْ فِي رُبَّةِ الْخَادِمِ

(١) سقط صدر البيت من م .

(٢) في م :

عَارٍ مِنَ الْعَارِ وَنَشَرَ الثَّنَا
 وفي هامشه : هكذا في الأم .

(٣) المستدرك على الصحيحين ، للحاكم النيسابوري .

فَمَا لِأُمِّ الشَّافِعِيِّ مِثْلُهُ
فِيَا بَنِي السُّبُكِيِّ قَدْ سُذِّتُمْ
لَوْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِ ذَا لَمْ يُقَلْ :
قَامَتْ بِكُمْ سُوقُ الْعُلَا فِي الْوَرَى
تَزُورُونَ فِيهَا الْجُودَ عَنْ نَافِعٍ
قَصَّرْتُ فِي مَدْحِي عُلاَكُمْ وَلَوْ

شَيْخٌ وَلَمْ يَبْلُغْ مَدَى الْحَالِمِ
فَمَنْ تَمِيمٌ وَبَنُو دَارِمٍ
« خُزَيْمَةُ خَيْرُ بَنِي خَازِمٍ »^(١)
وَالنَّاسُ مَا زَالُوا مَعَ الْقَائِمِ
وَفِي الرَّدَى تَزُورُونَ عَنْ عَاصِمٍ
أَتَيْتُ بِالصَّادِحِ وَالْبَاغِمِ^(٢)

● فَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ : [من السريع]

شُكْرًا مِنَ الْعَبْدِ أَبِي حَاتِمٍ
مَنْظُومَةً مِنْ تَنْثِيرٍ دُرٍّ أَتَتْ
جَاءَتْ عَلَى شَرْطِ اقْتِرَاحِي الَّذِي
حَلِيَّةٌ مُسْتَعْنٍ لِمَضَرٍّ أَتَتْ
جَاءَتْ مِنَ الْبَحْرِ بِأَصْنَافٍ مَا
كَأَنَّهَا الرُّوضُ بِكَاهِ التَّدَى
فِي النَّظْمِ وَالْجُودِ سَمَتْ وَازْدَرَتْ
رَوَتْ حَدِيثَ الْعِلْمِ فَالْقَلْبُ قَدْ
فَقُلْ لِمَنْ يَطْمَعُ فِي مِثْلِهَا :
كُثِيرٌ عَنْ نَظْمِهَا قَلٌّ بَلْ

عَلَى جَمِيلٍ لِلدُّعَا حَاتِمٍ^(٣)
تَهْزَأُ بِالنَّائِرِ وَالنَّاطِمِ
كَانَ لِفِعْلِ الْحَمْدِ كَالْجَازِمِ
فِي قِطْعٍ مِنْ تَحْفِ الْقَادِمِ
يُهْدَى فَقُلْ فِي قِطْعِ الْكَارِمِ
فَافْتَرَّ ثَغْرَ الزَّهْرِ الْبَاسِمِ
بِالْجُودِ أَوْ بِالْأَدَبِ الْحَاتِمِ
حَامٍ وَأَزَوَتْ غُلَّةَ الْحَائِمِ
أَنْتَ بِوَجْهِ الْمَاءِ كَالرَّاقِمِ
أَكْدَى فَقُلْ مِسْكِينَ الدَّارِمِ

(١) العجز صدر بيت لأبي نواس : [ديوانه ٢٨٨/١]

خُزَيْمَةُ خَيْرُ بَنِي خَازِمٍ وَخَازِمٌ خَيْرُ بَنِي دَارِمٍ

وَدَارِمٌ خَيْرُ تَمِيمٍ وَمِثْلُ تَمِيمٍ فِي بَنِي آدَمِ

(٢) الصَّادِحُ وَالْبَاغِمُ : اسم كتاب لابن الهيثمية . (كشف الظنون ١٠٦٩/٢) .

(٣) فِي م : خاتم .

لو رامها عمرو دُعي ظالماً
 عاد بها لي يوم عيْدِ فعن
 فكُم بها بيتُ علا شاده
 خبر كريم ماجِدِ أروع
 شيخ علوم صار في دهره
 يقصّر الأغلم عن نحوه
 كذا المعري زعيمُ العلا
 حتّى أبو الأسود عنه ونى
 بخدمة العلم يسود الورى
 ذو راحة للعُدم من جودها الذ
 ماء الندى منها جرى ثم كم
 فعل الندى منها تعدّى إلى
 ونور علم لاح ما جاد
 إن عم خطب فارو من علمه
 قام بلا دنيا لنفع الورى
 وحُبّه عم جميع الورى
 فمن خلا من حُبّه قلبه
 يا سيدي قل لي متى أرتوي
 وأجتلي ذاك المَحْيَا الذي
 في رورة ميمونة لم يكن
 [٢٣ ب] تمنحُ ضرعَ الهَمِّ فيها لمن

كاسم أبيه قبله ظالم^(١)
 كأسِ التّصابي لستُ بالصائم
 خيرُ إمامٍ للردى هادم
 بحر خضمّ عاملٍ عالم
 من غير خلفٍ عالمِ العالم
 قصور فدم ليس بالفاهم
 لنوره في النظم كالغارم
 فليس يُدعى بسوى ظالم
 ما سيّد القوم سوى الخادم
 ناسخُ والمنسوخ للحازمي
 في الوجه من ماء حياً دائم
 كلّ ومغ ذا صفه باللازم
 له لشمس الأفق بالعام
 عن نافع في الدين أو عاصم
 فكيف والدنيا مع القائم
 كطيب كأس الماء للطاعم
 فليس عندي من بني آدم
 منك بوجه القادم الغائم
 ينجني ويجلو كدر الهائم
 صاحبها للصخب باللائم
 عادى وقرع السنّ للنّادم

(١) إشارة إلى اسم أبي الأسود الدؤلي : عمرو بن ظالم .

أَشْكُو إِلَى الدَّهْرِ جَفَاكُمْ وَمَا
وَالْحَزْمُ قَبْلَ الْعَزْمِ فَانْهَضْ إِلَى
وَأَشْرَبَ مِنَ الْمَلَّاحِ فِي النَّيْلِ مَا
وَالشَّامَ فَاغْدِلْ عَنْ مَلَايِيهِ
لَا جَعَلَ اللَّهُ أَنْتِظَارِي لَكُمْ
فَدُمُ بِرَغَمِ الْقَدَمِ شَانِيَكُمْ
لَا يَفْتَحُ الرَّاحَةَ عَنْ طَاعَةٍ

نَفْعُ التَّشْكِيِّ لِسَوَى رَاحِمٍ
مِضْرَ نُهْوَضَ الْحَازِمِ الْعَازِمِ
يَخْلُو لِمَنْ مَرَّ وَلِلْغَانِمِ
فِيهَا وَخَلَّ الْعَنْبَ الْعَاصِمِ
مِثْلَ أَنْتِظَارِ الْحَاكِمِ الْفَاطِمِ
غَمْرٍ إِذَا اسْتَيْقَظَ كَالنَّائِمِ
كَأَنَّمَا يَلْعَبُ بِالْخَاتِمِ

١٣ * أحمد بن محمد بن قرصة (١) :

● شهاب الدين بن شمس الدين الأنصاري ، الصعيدي الأصل ، المصري المولد .

● كَتَبَ إِلَيَّ عِدَّةَ قَصَائِدَ ، مِنْهَا قَوْلُهُ (٢) : [من الكامل]

مَا لِي أَرَى الشُّعْرَاءَ تَكْسِبُ عَارًا
مَدَحُوا الْأَخِصَاءَ اللَّثَامَ فَضَيَعُوا أَلْ
فَلِذَاكَ طُفْتُ بِبَابِ كُلِّ مُهَذَّبٍ
وَجَعَلْتُ فِي حَلْبِ الشَّمَالِ إِقَامَتِي
وَلَكُمْ دَعَا مَذْحِي نَوَالُ مُعْظَمِ
حَتَّى وَجَدْتُ لَهَا إِمَامًا عَالِمًا
لَوْلَا صَلَاحُ الدِّينِ لَمْ أَرْ جَلْفًا

بِهَجَائِهِمْ وَتَحَمَّلُوا أَؤْزَارًا
أَشْعَارَ لَمَّا أَرْخَصُوا الْأَشْعَارَا
وَجَعَلْتُ شِعْرِي فِي الْكِرَامِ شِعَارَا
يَا حَبَّذَا دَارَ الْكِرَامِ جَوَارَا
فَأَبْتُ عُتُوًّا عَنْهُ وَاسْتِكْبَارَا
أَوْصَافُهُ تَسْتَغْرِقُ الْأَشْعَارَا
وَلَكُنْتُ مِمَّنْ جَانِبَ الْأَسْفَارَا

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٣٥١/١ والوافي بالوفيات ٨٣/٨ والدرر الكامنة ٢٩٣/١ .

- قتل بدمشق سنة ٧٥٢ هـ . ومولده بصعيد مصر سنة ٦٩٩ هـ .

- اسمه في أ ، م : أحمد بن يحيى بن قرصة ! .

(٢) القصيدة في أعيان العصر والوافي .

أَسْدَى الْمَكَارِمِ مَنْ أَكْفَتْ لَمْ يَزَلْ
وَصَنَائِعاً غُرّاً أَفْذَنَ مَنَائِحاً
فَوَجَدْتُ فِي إِجْمَالِهِ وَجْمَالِهِ
مَوْلَى غَدَتْ يُمْنَاهُ يُمْنًا لَامِرِيءِ
حَلَّى الزَّمَانَ وَكَانَ قِدْماً عَاطِلاً
وَحَوَى مَعَالِي فِي دِمَشْقَ مُقِيمَةً
بَلَّغَتْ بِهِ رُتْباً قَرَعْنَ مَحَلَّةَ
زَانَتْ فَضَائِلُهُ بَدَائِعَ نَظْمِهَا
وَمُظَفَّرُ الْأَقْلَامِ كَمْ أَزْدَى بِهَا
عَجَباً لَهَا تَجْرِي بِأَسْوَدَ فَاحِمِ
تَمْضِي بِحَيْثُ تَرَى السُّيُوفَ كَلِيلَةً
تَجْرِي بِوَاحِدِهَا ثَلَاثُ سَحَائِبِ
وَتُمْدُّهُ بِالْفَضْلِ حِينَ تُمْدُّهُ
إِنْ رَامَ نَائِلُهُ الْعُقَاةَ أَمْدَهُ
مَلَأَ الْكِتَابَ تَهْدُداً فَكَأَنَّمَا
تَجْنِي النَّوَاطِرُ مِنْ مَحَاسِنِ خَطِّهِ
خَطٌّ رِمَاحُ الْخَطِّ مِنْ خُذَامِهِ
وَبِلَاغَةُ تَضْحَى بِأَذْنَى فِقْرَةٍ
وَيَشِيمُ رُودَادُ النَّدَى مِنْ بَشِيرِهِ

مَعْرِوْفُهَا يَسْتَعْبِدُ الْأَخْرَارَا
عُوناً وَلَذَنَ مَدَائِحاً أَبْكَارَا^(١)
مَا يَمْلَأُ الْأَسْمَاعَ وَالْأَبْصَارَا^(٢)
يَتَغَيَّ نَوَالاً وَالْيَسَارُ يَسَارَا
وَأَعَادَ لَيْلَ الْإِمْلِينَ نَهَارَا
وَحَدِيثُهَا بَيْنَ الْوَرَى قَدْ سَارَا
أَمْسَتْ نُجُومُ سَمَائِهَا أَقْمَارَا
كَمْ مِغْصَمٍ أَضْحَى يَزِينُ سِوَارَا
مَلِكاً وَخَوْفَ جَحْفَلَا جَرَّارَا
يَكْسُو الطُّرُوسَ ظِلَامُهُ الْأَنْوَارَا^(٣)
وَتَطُولُ حَيْثُ تَرَى الرِّمَاحَ قِصَارَا
تَحْوِي الصَّوَاعِقَ وَالْحَيَا الْمِذْرَارَا
بِيَدَيْهِ لَا تُتَعَبُ الْأَفْكَارَا
كَرَمًا وَإِنْ رَامَ الْخَمِيسُ مُغَارَا
مَلَأَ الْكِتَابَ أَسِنَّةً وَشِغَارَا
رَوْضاً وَمِنْ أَلْفَاظِهِ أَزْهَارَا
إِنْ رَامَ دَمِراً أَوْ أَعَزَّ ذِمَارَا^(٤)
تُغْنِي فَقِيراً أَوْ تَقْلُدُ فَقَارَا
بَزَقاً وَمِنْ إِحْسَانِهِ أَمْطَارَا

(١) في أ، م : × . . . منائحا أبكارا . وفي م : . . . مدائحا × .

(٢) في ب : . . . في إجلاله وجماله × .

(٣) في م : × . . . أنوارا .

(٤) دمرأ : هلاكاً .

يَشْرُ يُشْرُ بِالْجَمِيلِ وَعَادَةُ الـ
وَنَدَى يَغْمُ وَلَا يَخْصُ كَأَنَّهُ
يَسْتَصْغِرُ الْأَمْرَ الْعَظِيمَ إِذَا عَرَا
وَيَرُدُّ غَرْبَ الْحَادِثَاتِ مُفْلَلًا
[٢٤] كَمْ ذَلَّلْتُ صَغْبًا وَرَدَّتْ ذَاهِبًا
وَلَقَدْ عَرَفْتُ النَّاسَ مِنْ أَوْطَارِهِمْ
يَا مَنْ عَرَفْتُ بِجُودِهِ وَجَهَةِ الْغِنَى
أَغْنَيْتَنِي بِمَوَاهِبِ مَوْضُولَةٍ
لَا زِلْتُ فِي عِزِّ يَدُومٍ وَنِعْمَةٍ

أَزْهَارٍ أَنْ تَقَدَّمَ الْأَثْمَارَا
هَامِي قِطَارٍ طَبَّقَ الْأَقْطَارَا
بِعَزِيمَةٍ تَسْتَسْهِلُ الْأَوْعَارَا^(١)
بِسَعَادَةٍ تَسْتَخْدِمُ الْأَقْدَارَا
وَحَمَتِ أَذَلَّ وَذَلَّلَتْ جَبَّارَا
سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْوَرَى أَطْوَارَا
حَقًّا وَكُنْتُ جَهْلَتُهُ إِنْكَارَا
لَمْ تُبْقِ لِي عِنْدَ الْحَوَادِثِ ثَارَا
تُوفِي عَلَى شُمِّ الْجِبَالِ وَقَارَا

● فكتبْتُ أَنَا جَوَابَهُ عَنْ ذَلِكَ ارْتِجَالًا^(٢) : [من الكامل]

يَا شَاعِرًا مَلَأَ الطُّرُوسَ نَهَارَا
مَ تَهْدِي لِي نَظْمًا بَدِيعًا إِنَّمَا
فِي كُلِّ شَطْرِ بُرْجٍ سَعْدٌ ثَابِتٌ
لَا أَرْضِي بِالرَّوْضِ تَشْبِيهًا لَهُ
فَلَدَتْنِي مِنْهُ قِلَادَةٌ مِنْنَةٌ
يَغْنَى النَّدِيمُ بِهِ فَإِنْ قَوَافِيَا
وَتَرَى اللَّيْبَ إِذَا تَعَاطَى فَهَمُهُ
فَكَأَنَّ ذَاكَ الطُّرْسَ وَجَنَهُ أَغْيَدُ
فَاعْلَزْ شِهَابَ الدِّينِ مَنْ تَقْصِيرُهُ

وَأَسَالَ فِيهِ مِنَ الدُّجَى أَنَهَارَا
أَهْدَيْتُهُ فَلَكَا أَرَاهُ مُدَارَا
تَبْدُو مَعَانِيهِ بِهِ أَقْمَارَا
إِنَّ الزَّوَاهِرَ تَفْضُلُ الْأَزْهَارَا
تَسْتَوْقِفُ الْأَسْمَاعَ وَالْأَبْصَارَا
مِنْهُ تُدِيرُ لِمَسْمَعِيهِ عَقَارَا^(٣)
لَمْ يَذْكُرِ الْأَوْطَانَ وَالْأَوْطَارَا
وَالسَّطْرُ فِيهِ قَدْ أَسَالَ عِذَارَا
أَضْحَى يُلْفِقُ عِنْدَكَ الْأَعْدَارَا

(١) في م : . . . إذا غدا × .

(٢) الفصيحة في أعيان العصر .

(٣) في م : . . . كأن قوافيًا × . وفي هامشه : في الأم : فإن .

أَنَا لَا أَطِيقُ جَوَابَ مَنْ أَشْعَارُهُ
وَإِذَا جَرَى فِي حَلْبَةٍ فَصَّرْتُ عَنْ
إِنَّ الْعَدِيرَ وَإِنْ تَعَاظَمَ قَاصِرٌ
وَكَذَا أَخُو النَّظْمِ الْمُزَلْزَلِ رُكْنُهُ
فَخُذِ الْقَلِيلَ إِجَابَةً وَإِجَازَةً
وَاعْتَدَّ أَنَّكَ لَمْ تَزُرْ فِي جِلْقٍ
فَلَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّنِي لَمْ أَزُضْهَا
مَا قَدَرُهَا مِثَّةً لَوْ أَنِّي سُقْتُهَا

● وَكَتَبَ هُوَ أَيْضاً^(٢) : [من المتدارك]

تَنْهَلُ حِينَ يَرَوُهَا أَمْطَارًا
غَايَاتِهِ بَلْ لَا أَشُقُّ غُبَارًا^(١)
عَنْ أَنْ يَقَاوِمَ بِحَرَكَ الزَّخَّارَا
لَا يَسْتَكِينُ مَعَ الْجِبَالِ قَرَارَا
وَاعْدِرْ فَمِثْلُكَ مَنْ أَقَالَ عِشَارَا
أَحَدًا وَأَنْتَ جِئْتَ تَقْبِسُ نَارَا
لَوْ أَنَّ دِرْهَمَهَا غَدَا دِينَارَا
إِبْلًا تَكُونُ حُمُولُهُنَّ بَهَارَا

كَمْ سَيْفُ النَّظْمِ أُجَرَّدُهُ
كَمْ أَنْظَمُ عَقْدَ جَوَاهِرِهِ
كَمْ أَجْمَعُ مِنْ مَعْنَى حَسَنِ
وَإِذَا أَفْسَدْتُ قَوَاعِدُهُ
حَبْرٌ بِخَرٍّ كَمْ فَاضَ نَدَى
طَابَتْ فِي الذَّرِّ عَنَاصِرُهُ
لِسَمِّي خَلِيلَ اللَّهِ نَدَى
وَلَهُ قَلَمٌ رَطْبٌ وَتَصَا
فَالْفَاضِلُ دُونَ عِبَارَتِهِ

كَمْ أَشْهَرُهُ كَمْ أُغْمِدُهُ
فِي مَدْحِ كَرِيمٍ أَقْصِدُهُ
وَبَيَانِ الشَّرْحِ يُشَيِّدُهُ
فَصَلَّاحُ الدِّينِ يُسَدِّدُهُ
إِنْ غَاضَ الْبَحْرُ جَرَّتْ يَدُهُ^(٣)
وَرَبَا مَرْبَاهُ وَمَوْلِدُهُ
لِذَوِي الْحَاجَاتِ تَفْقُّدُهُ
يَنْفُ فِي الْبَحْثِ تُؤَيِّدُهُ^(٤)
وَكَذَا سَخْبَانُ وَمَعْبَدُهُ

(١) فِي م : فَإِذَا جَرَى × .

(٢) هَذِهِ الْقَصِيدَةُ تُسَمَّى : قَطْرُ الْمِيزَابِ . وَقَدْ اكْتَفَى الصَّفْدِيُّ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ وَابْنِ حَجَرٍ بِإِيرَادِ الْآيَاتِ
الثَّلَاثَةِ الْأُولَى مِنْهَا .

(٣) فِي ب : . . . كَمْ فَاقَ نَدَى × .

(٤) فِي م : وَلَكُمْ قَلَمٌ رَطْبٌ وَتَصَانِيفٌ . . .

وَصِيَانَةً سِرِّ الْمُلْكِ لَهُ
 غَزَسٌ وَالْعَنْبَرُ طَيْبَتُهُ
 فَالْوَزْدُ عَلَى خَدَّيْهِ وَمِنْ
 وَصْلَافَةٍ نَفْسٍ قَدْ شَرُفَتْ
 يَا مَنْ أَنْشَأَهُ اللَّهُ عَلَى الْ
 بِالْبَرْدِ تَرَدَّدَ لِي كَانُوا
 وَالْبَرْدُ يَشُقُّ عَلَى الْعُزْبَا
 لَوْ كَانَ الْبَرْدُ حَدِيدًا كُنْتُ
 لَا تَسْأَلُ عَنْ شَخْصِي أَحَدًا
 جِسْمِي وَرَقٌّ وَابْتَلَّ عَسَا
 جَسَدٌ بِالنَّارِ تَحَرَّقُهُ
 فَتَسِيمُ الصُّبْحِ يُشَرِّحُهُ
 وَيَطْوِلُ اللَّيْلُ عَلَى سَهْرِي
 وَقِمَاشِي كَانَ لَهُ صَلاَفٌ
 [٢٤ ب] فَأَتَتْ فِي اللَّيْلِ لَهُ الْأَمْطَا
 فَتَقُوطُ الدَّلْفِ يَصْفُؤُهُ
 فَاصْلُخْ حَالِي وَانْعِمْ بِأَلِي
 فَاللَّهُ يُدِيمُ لَكَ الْإِفْضَا

قَبْدٌ فِي الْقَلْبِ يُخْلِدُهُ
 فَلِذَلِكَ جَلَّ تَجَسُّدُهُ^(١)
 إِشْرَاقِ الشَّمْسِ تَوَقُّدُهُ
 وَمَكَارِمُ خُلُقِي يَغْضُدُهُ
 إِنْشَاءً فَأَغْذَبَ مَوْرِدُهُ
 نُ فَشَقَّ عَلَيَّ تَرَدُّدُهُ
 نِ وَلَيْلُ الصَّخْوَةِ أَبْرَدُهُ^(٢)
 تِ بِحَدِّ الْمِبْرَدِ أَبْرَدُهُ^(٣)
 شَخْصٌ كَالْمَيِّتِ تُلْجِدُهُ
 كَ بِنَغْضِ فِرَاكِ تَجَلَّدُهُ
 وَبِدَقِّ الْفَخْمِ تُرْمَدُهُ
 وَجَلِيدُ الْأَرْضِ يَقْدَدُهُ
 فَأَقُولُ : مَتَى يَأْتِي غَدُهُ
 يَبْخُورُ الْعُودُ أَعْوَدُهُ
 رُ فَأَخْلَقَ مِنْهُ تَجَدُّدُهُ^(٤)
 وَدُخَانُ النَّارِ يُسَوِّدُهُ
 قَبْصَادِ صَلاَحِكَ تُرْشِدُهُ
 لَ وَبِالنَّعْمَاءِ يُؤَيِّدُهُ

(١) في ب : وغراس العنبر × .

(٢) في م : × وليل الصَّخْوِ

(٣) سقط هذا البيت من ب .

(٤) في أ ، م : × تجلده .

١٤ * أحمد بن محمد^(١) :

الأمير الأجلُّ شهابُ الدِّين ، المعروف بالحاجبي .

● أَنشَدَنِي لِنَفْسِهِ بِشَوْقِ الْكُتُبِ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ سَنَةَ ٧٣٨^(٢) : [من

البيسط]

أَقُولُ : شَبَّهَ لَنَا جَيْدَ الرَّشَاءِ تَرْفَاً يَا مُعْمِلَ الْفِكْرِ فِي نَظْمٍ وَإِنْشَاءٍ
فَظَلَّ يُجْهِدُ أَيَّاماً قَرِيبَ حَتِّهِ « وَشَبَّهَ الْمَاءَ بَعْدَ الْجَهْدِ بِالْمَاءِ »
فَقُلْتُ لَهُ : أَطْلَقْتَ الرَّشَاءَ هُنَا ، وَلَوْ قُلْتَ : الرَّشَاءُ الَّذِي سَبَانِي ، أَوْ جَيْدَ
مُعَذِّبِي ؛ لَكَانَ أَقْعَدَ فِي التَّوْطِئَةِ .

● ثُمَّ أَنشَدَتْهُ فِيمَا بَعْدَ لِنَفْسِي^(٣) : [من البيسط]

أَقُولُ : شَبَّهَ لَنَا كَأْساً إِذَا مَزَجَ السُّدَّ سَاقِي طَلَاهَا افْتَدَى فِي لَيْلِهِ السَّارِي
فَظَلَّ يُجْهِدُ أَيَّاماً قَرِيبَ حَتِّهِ وَشَبَّهَ النَّارَ بَعْدَ الْجَهْدِ بِالنَّارِ
فَقَالَ : إِلَّا أَنَّنِي أَنَا أَتَيْتُ بِالْمَثَلِ السَّائِرِ .

● فَأَنشَدَتْهُ فِيمَا بَعْدَ لِنَفْسِي^(٤) : [من البيسط]

أَتَى الْحَبِيبُ بِوَجْهِ جَلٍّ خَالِقُهُ لَمَّا بَرَأهُ بِلُطْفٍ فِتْنَةَ الرَّائِي
فَلَاخَ شَخْصٌ عَذُولِي وَسُطَّ وَجَّتِهِ فَقُلْتُ : شَبَّهَهُ لِي فِي فَرْطٍ لِأُلَاءِ^(٥)

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٣٦٦/١ والوافي بالوفيات ١٦١/٨ والدَّرر الكامنة ٣١٢/١ والمنهل الصافي ١٨٨/٢ والدليل الشافي ٨٧/١ .

- وفاته سنة ٧٤٩ هـ . ومولده بعد السبعمة بمدة .

(٢) البيتان في أعيان العصر والوافي والغيث المسجم ١٥٧/١ .

(٣) البيتان في أعيان العصر .

(٤) الأبيات في أعيان العصر .

(٥) سقط هذا البيت من ب .

فَظَلَّ يُجْهِدُ أَيَّاماً قَرِيحَتَهُ وَشَبَّهَ الْمَاءَ بَعْدَ الْجَهْدِ بِالْمَاءِ^{(١)(٢)}

● وَلَمَّا سَمِعَ قَوْلِي^(٣) : [من الكامل]

قَالَتْ لِأَيَّرِي وَهُوَ فِيهَا ضَائِعٌ كَالْحَبْلِ وَسَطَ الْبُئْرِ إِذْ تُلْقِيهِ :
قَدْ عَشْتُ فِي كُسٍّ كَبِيرٍ ، قُلْتُ : مَا كَذَبْتُ ، لِأَنَّ الْكَافَ لِلتَّشْبِيهِ

قَالَ هُوَ مُخْتَصِراً ، وَأَجَادَ^(٤) : [من السريع]

رُبَّ صَغِيرٍ حِينَ وَلَفَّتُهُ أَتَقَنْتُ لَا يُدْخِلُ إِلَّا الْيَسِيرُ
أَلْفَيْتُهُ كَالْبُئْرِ فِي وَسْعِهِ حَتَّى عَجَبْنَا مِنْ صَغِيرٍ كَبِيرُ

● وَكَذَلِكَ سَمِعَ قَوْلِي^(٥) : [من الكامل]

يَا طِيبَ نَشْرِ هَبِّ لِي مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَنَارَ كَامِنَ لَوْعَتِي وَتَهْتَكِي
أَدَى تَحِيَّتِكُمْ وَأَشْبَهَ لُطْفَكُمْ وَرَوَى شَذَاكُمْ إِنَّ ذَا نَشْرِ ذَكِي

● نَظَّمَهُ أَيْضاً ، وَقَالَ^(٦) : [من الكامل]

لَا تَبْعُثُوا غَيْرَ الصَّبَا بِتَحِيَّةٍ مَا طَابَ فِي سَمْعِي حَدِيثُ سِوَاهَا
حَفِظْتُ أَحَادِيثَ الْهَوَى وَتَضَوَّعْتُ نَشْراً فَيَا لِلَّهِ مَا أَذْكَاهَا

وَلَمَّا أَنشَدْنِيهَا قُلْتُ لَهُ : إِلَّا أَنَّكَ نَقَضْتَهَا صِفَةً عَمَّا وَصَفْتُهَا بِهِ ؛ فَاغْتَرَفَ .

-
- (١) في هامش أ : وللحاجبي أن يقول أيضاً : إِلَّا أَنِّي وَطَأْتُ لِلْمَثَلِ قَبْلَهُ بَيْتَ وَاحِدٍ ، وَأَنْتَ بَيْتَيْنِ .
(٢) قال المؤلف في أعيان العصر ٣٦٧/١ وعنه ابن شاكِر في فوات الوفيات ١١٦/٣ . وينظر الغيث ١٥٧/١ : قلت : وأصل هذا المثل أن الوجه ابن الذروي دخل يوماً إلى الحمام ، ومعه ابن وزير الشاعر ، فقال ابن وزير :
لله يومسي بحمام نعمتُ بها والماء ما بيننا من حولها جار
كَأَنَّهُ فَوْقَ شَفَاافِ الرُّخَامِ ضَحَى ماءٌ يَسِيلُ عَلَى أَثْوَابِ قَصَارِ
فقال ابن الذروي [تصحف في الغيث إلى ابن الرومي !] :
وشاعر أوقد الطبع الذكِّيَّ لَهُ فكاد يحرقه من فرطِ إِذْكَاءِ
أَقَامَ يَعْمَلُ أَيَّاماً قَرِيحَتَهُ وشَبَّهَ الْمَاءَ بَعْدَ الْجَهْدِ بِالْمَاءِ
(٣) البيتان في أعيان العصر والوافي والغيث المسجَم ٢٣٧/٢ .
(٤) البيتان في الوافي والدرر الكامنة .
(٥) هما في أعيان العصر والوافي والمنهل الصافي وهامش الدرر الكامنة والكشف والتنبية ٢٥٨ .

١٥ * أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عماد الدين أبي الحرّم مَكِّي بن مُسلم ابن أبي الخَوْف^(١) ، شهابُ الدِّين :

● كَتَبَ إِلَيَّ وَنَحْنُ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ سَنَةَ ٧٣٦^(٢) : [من الطويل]

أَيَا سَيِّدَا سَادَ الْوَرَى بِفَضَائِلِ تَنَاهَتْ فَمَا أَضْحَى لَهُنَّ عَدِيلُ
تَقَمَّصَتْ ثَوْبَ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالتَّدْيِ فَأَنْتَ صَلاَحٌ لِلْوَرَى وَخَلِيلُ
وَلَسْتَ خَلِيلاً بَلْ خَلِجاً لِوَارِدِ غَلَطْتُ فَسَامِخْنِي فَنِيْلُكَ نِيْلُ

● فَكَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ^(٢) : [من الطويل]

أَيَا ابْنَ أَبِي الْخَوْفِ الَّذِي أَمِنْتُ بِهِ طَرَائِقُ نَظْمٍ وَاسْتَبَانَ دَلِيلُ
لَقَدْ فُتَّ غَايَاتِ الْأَوَّلَى سَبَقُوا إِلَيَّ نِهَايَاتِ فَضْلِ مَا لَهُنَّ سَبِيلُ
فَأَنْتَ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ كَثِيرُ وَرَأْيُكَ فِي النَّظْمِ الْبَدِيعِ جَمِيلُ^(٣)

١٦ * أحمد بن يحيى بن فَضْلِ اللَّهِ بن الْمُجَلِّي بن دَعْجَان بن خَلْفِ ابن أبي الْفَضْلِ نَصْر بن مَنْصُور^(٤) :

القاضي شهابُ الدِّين ، أَبُو الْعَبَّاسِ ، ابن القاضي مُحْيِي الدِّين ، صَاحِبُ

(١) ترجمته في : أعيان العصر ١/ ٣٦٤ والوافي بالوفيات ٨/ ١٦٠ وتاريخ ابن قاضي شهبة ١/ ٥٦٦ والذّرر الكامنة ١/ ٢٥٦ .

- وفاته سنة ٧٤٩ هـ وله أربعون سنة تقريباً .

(٢) الأبيات في أعيان العصر والوافي .

(٣) في س : فأنت على هذا الزّمان والإشارة إلى الشاعرين : كَثِيرُ عَزَّة وَجَمِيلُ بَيْتِنة .

(٤) ترجمته في : المعجم المختص ٤٥ وذيل العبر ٢٧٥ وأعيان العصر ١/ ٤١٧ والوافي بالوفيات

٨/ ٢٥٢ والبداية والنهاية ١٨/ ٥١٠ ووفيات ابن رافع ١/ ٢٨٣ وتذكرة النبيه ٣/ ١٢٥ وفوات الوفيات

١/ ١٥٧ والمقفى الكبير ١/ ٧٣٢ وتعريف ذو العلا ٦٤ وتاريخ ابن قاضي شهبة ١/ ٥٧٠ والذّرر

الكامنة ١/ ٣٣١ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٢٣٤ والمنهل الصافي ٢/ ٢٦١ والدليل الشافي ١/ ٩٦ والذيل

الثام ١/ ١٠٥ وحسن المحاضرة ١/ ٤٩٣ وشذرات الذهب ٨/ ٢٧٧ .

- ولادته سنة ٧٠٠ هـ . وفاته سنة ٧٤٩ هـ .

ديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس .

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مُلْغِزاً فِي « زُبَيْدَةَ »^(١) : [من الخفيف]

[١٢٥] أَتَيْهَا الْفَاضِلُ الَّذِي حَازَ فَضْلاً
قَدْ تَدَانَيْ عَبْدَ الرَّحِيمِ إِلَيْهِ
أَيُّ شَيْءٍ سُمِّيَ بِهِ ذَاتُ خِذْرِ
هُوَ وَصِفٌ لِذَاتِ سِتْرِ مَصُونٍ
مُذْ مَضَى حِينُهَا بِهَا لَيْسَ تَأْتِي
وَهِيَ مِمَّا يُبَشِّرُ النَّاسَ طُرّاً
وَحَلِيمٍ أَرَادَهُ لَا لِـلذَاتِ
ذَاكَ شَيْءٌ مَنَازَتْجَاهُ سَفِيهٌ
مَا عَلَيْهِ لِمِثْلِهِ مِنْ مَزِيدٍ
وَتَنَاءَى لَدَيْهِ عَبْدُ الْحَمِيدِ
نَائِهِ بِالْإِمَاءِ أَوْ بِالْعَبِيدِ
وَهِيَ لَمْ تَخْفَ فِي جَمِيعِ الْوُجُودِ
وَهِيَ تَأْتِي مَعَ الرَّبِّيعِ الْجَدِيدِ
مِنْهُ مَأْتَى وَكَثْرَةٌ فِي الْعَدِيدِ
بَلْ لِشَيْءٍ سِوَاهُ فِي الْمَقْصُودِ
وَهُوَ شَيْءٌ مُخَصَّصٌ بِالرَّشِيدِ

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ^(٢) : [من الخفيف]

يَا فَرِيداً أَلْفَاظُهُ كَالْفَرِيدِ
وِإِمَامَ الْأَنَامِ فِي كُلِّ عِلْمٍ
عَرَفَ الْعَالِمُونَ فَضْلَكَ بِأَلِ
مَنْ تَمَنَّى بِأَنْ يَرَى لَكَ شِبْهاً
طَالَ قَدْرِي عَلَى السَّمَائِينَ لَمَّا
شَابَهُ الدُّرُّ فِي النَّظَامِ وَلَمَّا
وَمُجِيداً قَدْ فَاقَ عَبْدَ الْحَمِيدِ
وَشَرِيكاً فِي الْفَضْلِ لِلتَّوْحِيدِ
عِلْمٍ وَقَالَ الْجُهَّالُ بِالتَّقْلِيدِ
رَامَ نَقْضاً بِالْجَهْلِ حُكْمَ الْوُجُودِ^(٣)
جَاءَنِي مِنْهُ عَقْدٌ دُرٌّ نَضِيدِ^(٤)
شَابَهُ السَّحَرِ شَابَ رَأْسُ الْوَلِيدِ

(١) الأبيات في أعيان العصر والوافي .

(٢) الأبيات في أعيان العصر والوافي .

(٣) في م : × رَامَ نَقْضاً

(٤) في ب : × . . . دُرٌّ عَقْدٌ نَضِيدِ .

هُوَ لُغَزٌ فِي ذَاتِ خِذْرِ مَنِيعٍ نَزَلْتُ فِي الْعُلَى بِقَصْرِ مَشِيدٍ
هِيَ أُمُّ الْأَمِينِ ذَاتِ الْمَعَالِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ذَوِي التَّأْيِيدِ
أَنْتَ كُنْتَ الْهَادِيَ لِمَعْنَاهُ حَقًّا حِينَ لَوَّحْتَ لِي بِذِكْرِ الرَّشِيدِ
دُمْتَ تُهْدِي إِلَيَّ كُلَّ عَجِيبٍ مَا عَلَيْهِ فِي حُسْنِهِ مِنْ مَزِيدٍ

● وَكُنْتُ أَنَا إِلَيْهِ مُلْغَزًا فِي « نَجْم » ^(١) : [من السريع]

يَا سَيِّدًا أَفْلَامُهُ لَمْ تَزَلْ تُهْدِي لَأَلِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ
قُلْ لِي مَا اسْمٌ لَمْ يَزَلْ قَلْبُهُ مُعَذِّبًا بِالْبَيْضِ وَالشُّمْرِ ^(٢)
وَكُلُّهُ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ وَثُلْثُهُ يَسْبَحُ فِي الْبَحْرِ ^(٣)

● فَكُنْتُ هُوَ الْجَوَابَ إِلَيَّ ^(٤) : [من السريع]

دُمْتَ خَلِيلِي سَائِرَ الذُّكْرِ مِثْلَ الَّذِي أَلْغَزْتَ فِي الْقَدْرِ
بَعَثْتَهَا نَجْمِيَّةً قَدْ حَلَّتْ لَكُنَّهَا مِنْ سَكْرِ الشُّكْرِ
تَطْلُعُ بِالنَّجْمِ فَأَمَّا الَّذِي فِي مَطْمَحِ الزُّهْرِ أَوْ الزُّهْرِ
عَجِبْتُ مِنْهُ كَيْفَ شَقَّ الدُّجَى وَمَا أَتَى إِلَّا مَعَ الْفَجْرِ ^(٥)
مِنْ صَنْعَةِ الْبَرِّ وَلَكِنَّهُ قَدْ جَاءَنِي فِي رَاحَةِ الْبَحْرِ
أَقْسَمْتُ مِنْهُ قَسَمًا بِالْغَا بِالْفَجْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِي
لَقَدْ أَغْرَزْتَ الْغَيْدَ إِذْ لَمْ تَجِدْ شَبِيهَهُ فِي الْجَيْدِ وَالثَّغْرِ
بِعَقْدِ دُرٍّ مَا لَهُ قِيَمَةٌ يَا حُسْنَهُ لِلْكَوْكَبِ الدَّرِّي

(١) الأبيات في الوافي وأعيان العصر .

(٢) قلبُ نجم : مجن .

(٣) في الأرض : نبئت على غير ساق . وفي السماء : الكوكب . وثلثه : النون = السمك .

(٤) القصيدة في أعيان العصر والوافي .

(٥) في س : . . . شَقَّ الدُّمَى × ! .

مُسَهَّدٌ تُذَكِّي لَهُ مُقْلَهُ مَقْلُوبَةٌ كَالنَّظَرِ الشَّرِّ
وهو إذا حَقَّقَتْ تَعْرِيفَهُ عَرَفَتْ مِنْهُ مَنْزِلَ الْبَذْرِ
بِوَاحِدٍ عَدُّوا لَهُ سَبْعَةَ تَقْيِسُ ذَيْلَ اللَّيْلِ بِالشُّبْرِ
فَاعْذِرْ أَخِي الْيَوْمَ إِنْ قَصَّرْتَ بَدِيهَتِي وَاقْبَلْ لَهَا عُذْرِي
فَلَيْسَ بِالْأَلْغَازِ لِي عَادَةٌ وَلَا غَزَا فِي جَيْشِهَا فِكْرِي

● وكتبَ هو إليَّ وقد تواترتِ الأمطارُ والثلوجُ والرُّعودُ والبروقُ في سنة ٧٤٤ (١) :

كَيْفَ أَصْبَحَ مَوْلَانَا فِي هَذَا الشِّتَاءِ الَّذِي أَقْبَلَ يُرْعِبُ مَقْدَمُهُ ، وَيُرْهِبُ تَقْدَمُهُ ، وَيُرِيبُ اللَّيْبَ مِنْ بَرْقِهِ الْمُومِضِ تَبَشُّمِهِ ؟

وكَيْفَ حَالُهُ مَعَ (٢) رُعودِهِ الصَّارِخَةِ ، وَرياحِهِ النَّافِخَةِ ، وَوُجُوهِ أَيَّامِهِ الكَالِحَةِ ، وَشَرَرِ لَيَالِيهِ الَّتِي لَا يُبَيِّتُ مِنْهَا بَلِيلَةَ صَالِحَةٍ ، وَسَحَابِهِ وَأَمْوَاجِهِ ، وَجَلِيدِهِ وَالْمَشْيِ فَوْقَ زُجَاجِهِ ، وَتَرَاكُمِ مَطَرِهِ الْأَنِيثِ (٣) ، وَتَطَاوُلِ لَيْلِ فَرْعِهِ الْأَنِيثِ ، وَمَوَاقِدِهِ الْمَمْقُوتَةِ ، وَذَوَائِبِ جَمْرِهِ ، وَأَهْوَنِ بِهِ وَلَوْ أَنَّ كُلَّ حَمْرَاءٍ يَاقُوتَةٍ ، وَتَحَدَّرِ نَوْرُهُ الْمُتَصَبِّبِ ، وَتَحْيِرِ [٢٥ ب] نَجْمِهِ الْمُتَصَيِّبِ ؟

وَكَيْفَ هُوَ مَعَ جَيْشِهِ الَّذِي مَا أَطْلَّ حَتَّى مَدَّ مَضَارِبَ غَمَامِهِ (٤) ، وَظَلَّلَ الْجَوَّ بِمِثْلِ أَجْنَحَةِ الْفَوَاحِشِ مِنْ أَعْلَامِهِ ؛ هَذَا عَلَى أَنَّهُ حَلَّ عُرَى الْأُبْنِيَةِ ، وَحَلَّلَ مِمَّا تَلَفَ فِي ذِمَّةِ سَالِفِ الْأَشْيَةِ ؛ فَلَقَدْ جَاءَ مِنَ الْبَرْدِ بِمَا رَضَّ الْعِظَامَ وَأَنْخَرَهَا ، وَدَقَّ فَخَّارَاتِ الْأَجْسَامِ وَفَحَّرَهَا ، وَجَمَّدَ فِي الصَّمِّ الرِّيْقَ ، وَعَقَدَ اللِّسَانَ إِلَّا أَنَّهُ

(١) النَّصُّ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ ٤٢٧/١ وَالرَّوَاغِي ٢٥٧/٨ وَمَسَالِكُ الْأَبْصَارِ ١٢/٥٠٢ .

(٢) فِي أ ، م : فِي رَعْدِهِ .

(٣) الْأَنِيثُ : اللَّيْنُ .

(٤) فِي ب : خِيَامِهِ .

لِسَانُ الْمِنْطِيقِ ؛ وَيَبْسُ الْأَصَابِعِ حَتَّى كَادَتْ أَغْصَانُهَا تُوقِدُ حَطَبًا ، وَفَيْدُ الْأَرْجُلِ
فَلَا تَمْشِي إِلَّا تَتَوَقَّعُ^(١) عَطْبًا ؛ وَأَتَى الزَّمْهَرِيرُ بِجُنُودٍ مَا لِلْقَوَى بِهَا قَيْلٌ ، وَحَمَلُ
الْأَجْسَامِ مِنْ ثِقَلِ الثِّيَابِ مَا لَا يَغْصِمُ مِنْهُ مَنْ قَالَ : ﴿ سَتَاوَى إِلَى جَبَلٍ ﴾ [هود : ٤٣]
وَمَدَّ مِنَ السَّيْلِ مَا اسْتَبَكَّى الْعُيُونُ إِذَا جَرَى ، وَاجْتَحَفَ مَا أَتَى عَلَيْهِ ، وَأَوَّلُ
مَا بَدَأَ الدَّمْعُ بِالْكَرَى .

فَكَيْفَ أَنْتَ يَا سَيِّدِي فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ ؟ وَكَيْفَ أَنْتَ فِي مُقَاسَاةِ هَذِهِ
الْأَهْوَالِ ؟ وَكَيْفَ رَأَيْتَ مِنْهَا مَا شَيَّبَ بِثَلْجِهِ نَوَاصِي الْجِبَالِ ، وَجَاءَ بِالْبَحْرِ
فَتَلَقَّفَ ثِعَابُهُ مَا أَلْقَتْهُ هَرَاوَاتُ الْبُرُوقِ مِنْ عُصْيٍ ، وَخُيُوطِ السُّحُبِ مِنْ جِبَالٍ ؟ .

أَمَّا نَحْنُ فَبَيْنَ أَمْوَاجِ مِنَ السُّحُبِ تَرْدِجٍ ، وَفِي رَأْسِ جَبَلٍ لَا يَغْصِمُ فِيهِ مِنَ
الْمَاءِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ؛ وَكَيْفَ سَيِّدُنَا مَعَ مَجَامِرِ كَانُونٍ وَشَرَارِ بَرْقِهَا الْقَادِحِ ، وَهَمُّ
وَذَقِهَا الْفَادِحِ ، وَقَوْسِ قُزَحِهَا الْمُتَلَوِّنِ ؟ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ صَوَائِبَ سِهَامِهِ ، وَبَدَّلَ مِنْهُ
بُوشَائِعِ حُلُلِ الرَّبِيعِ وَنَضَارَةِ أَيَّامِهِ ، وَجَعَلَ حَظَّ مَوْلَانَا مِنْ لَوَافِحِهِ مَا يُذَكِّيهِ ذَهْنُهُ
مِنْ ضَرَامِهِ ، وَمِنْ سَوَافِحِهِ مَا يُؤَلِّدُهُ فِكْرُهُ مِنْ تَوَاقِيهِ ، وَعَوَّضَنَا وَإِيَّاهُ بِالصَّنِيفِ
وَاللَّهُ يَقْبَلُ ، وَأَرَاخَنَا مِنْ هَذَا الشِّتَاءِ وَمَشْيِ غَمَامِهِ الْمُتَبَخِّتِرِ بِكُمِهِ الْمُسْبِلِ ؛ بِمَنِّهِ
وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ^(٢) :

يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي وَرُودَ هَذِهِ الرُّفْعَةِ الَّتِي هِيَ طِرَازٌ فِي حُلَّةِ الدَّهْرِ ،
وَحَدِيقَةُ ذَكَرَتْ زَمَنَ الرَّبِيعِ وَمَا تُهْدِيهِ أَيَّامُهُ مِنَ الزَّهْرِ ؛ فَوَقَفَ مِنْهَا عَلَى الرُّوضِ
الَّذِي تَهْدَلَّتْ فُرُوعُ غُصُونِهِ بِالْأَثْمَارِ ، وَنَظَرَ مِنْهَا إِلَى الْأَفْقِ الَّذِي كُلُّ كَوَاكِبِهِ
شُمُوسٌ وَأَقْمَارٌ ، فَأَنْشَأَتْ لَهُ إِطْرَابَةً ، وَأَعْلَمَتْهُ أَنَّ قَلَمَ مَوْلَانَا يَفْعَلُ بِالْأَلْبَابِ

(١) فِي ب : مَتَوَقَّعَةٌ .

(٢) الْجَوَابُ فِي الرَّافِي وَأَعْيَانُ الْعَصْرِ وَمَسَالِكُ الْأَبْصَارِ ٥٠٣/١٢ .

ما لا تَفْعَلُهُ نَعْمَةُ السَّيَّابَةِ ، وَأَرْشَفَتْهُ سُلَافاً كُؤُوسُهَا الحُرُوفُ وَكُلُّ نَقْطَةٍ حَبَابَةٍ ؛
 وشاهدَ أوصافَ هَذِهِ الأَيَّامِ المُبَارَكَةِ القُدُومِ ، المُتَّصِلَةِ الظَّلَامِ ، فلا أَوْحَشَ اللهُ
 مِنْ طَلْعَةِ الشَّمْسِ وَحَاجِبِ الهِلَالِ وَعُيُونِ الثُّجُومِ ؛ فَمَا لَنَا وَلِهَذِهِ السَّحَابِ
 السَّحَابَةِ ، وَالْغَمَائِمِ السَّكَّابَةِ ، وَالرُّعُودِ الصَّخَّابَةِ ، وَالْبُرُوقِ اللَّهَّابَةِ ، وَالثُّلُوجِ
 الَّتِي أَصْبَحَتْ بِحَضْبَائِهَا حَصَّابَةً ، وَالبَرْدِ الَّذِي أَمَسَتْ إِبْرُهُ لِعُصُونِ الجُلُودِ
 قَطَابَةً ، وَالزَّمَيْتَاءُ^(١) الَّتِي لَا تَرْوِي عَنْ أَبِي ذَرٍّ إِلَّا وَيَرْوِي الْعَيْثُ عَنْ أَبِي قِلَابَةٍ ؛
 كُلَّمَا أَقْبَلَتْ فَخَمَّةُ ظَلَامٍ ، قَدَحَتْ فِيهَا البُورِاقُ شَرَارَ جَمَرَتِهَا ، وَكُلَّمَا جَاءَتْ
 سَحَابَةٌ كَحَلَاءِ الجُفُونِ ، رَجَعَتْ مَرَّهَاءَ لِمَا أَسْبَلَتْهُ مِنْ عِبَرَتِهَا ؛ فَمَا هَذَا شَهْرُ
 طُوبَى^(٢) ، إِنْ هَذَا إِلَّا جَبَلٌ تَهْلَانُ ، وَمَا هَذَا كَانُونٌ ، إِنْ هَذَا إِلَّا تَتَوَرُّ الطُّوفَانُ ،
 فَإِلَى مَتَى قُطُنُ هَذِهِ الثُّلُوجِ يَطْرَحُ عَلَى جِبَابِ الجِبَالِ ؛ وَإِلَى مَتَى تُفَاضُ دِلَاصُ
 الأنْهَارِ وَيَرْشُقُهَا قَوْسُ قَزَحٍ بِالنَّبَالِ ؟ وَإِلَى مَتَى تُشَقِّقُ السَّحَابُ مَا لَهَا مِنَ الحُلَلِ
 وَالجَبَرِ ؟ وَإِلَى مَتَى تُرْسِلُ خُيُوطَ المُنَزْنِ مِنَ الجَوِّ وَفِي أَطْرَافِهَا عَلَى الغُدْرَانِ
 إِبْرٌ ؟ وَإِلَى مَتَى تَجْمُدُ عُيُونُ [١٢٦] الغَمَامِ وَتَكْحَلُهَا البُرُوقُ بِالنَّارِ ؟ وَإِلَى مَتَى نِثَارُ
 هَذِهِ الفِضَّةِ وَمَا يُرَى مِنَ الثُّجُومِ دِينَارٌ ؟ وَإِلَى مَتَى نَحْنُ نَحْنُو عَلَى النَّارِ حُنُوَ
 المُرْضِعَاتِ عَلَى الفُطِيمِ^(٣) ؟ وَإِلَى مَتَى تَبْكِي المَيَازِينُ : [من الوافر]

بُكَاءُ الأَوَّلِيَاءِ بِغَيْرِ حُزْنٍ إِذَا اسْتَوَلَوْا عَلَى مَالِ الْيَتِيمِ
 وَإِلَى مَتَى هَذَا البَرْقُ تَتَلَوَّى بِطُونُ حَيَاتِهِ ، وَتَتَقَلَّبُ حَمَالِقُ العُيُونِ الْمُخْمَرَةِ
 مِنْ أَسُودِ غَابَاتِهِ ؟ وَإِلَى مَتَى يُزْمَجِرُ عَتَبُ هَذِهِ الرِّيَّاحِ العَاصِفَةِ ؟ وَإِلَى مَتَى يُرْسِلُ

(١) الزَّمَيْتَاءُ : الوقور . (اللسان) .

(٢) طوبى : الخامس من شهور القبط ، ويبدأ في الخامس والعشرين من كانون الأول . (الأزمنة والأنواء ١٤٣) .

(٣) من قول المنازي أو حمدونة الأندلسية في وصف وادٍ : [وفيات الأعيان ١/١٤٣] حُلَلْنَا دَوْحَهُ فَحَنَّا عَلَيْنَا حَنُوَ المُرْضِعَاتِ عَلَى الفُطِيمِ

الزَّمْهَرِيرُ أَغْوَانًا تُصْبِحُ حَلَاوَةً الْوُجُوهِ بِهَا تَالِفَةٌ ؟ أَتَرَى هَذِهِ الْأَمْطَارَ تُقَلِّبُ
بِالْأَزْيَارِ ، أَمْ هَذِهِ الْمَوَالِيدُ الَّتِي تَنْتَهِي فِيهَا الْأَعْمَارُ ؟ كَمْ مِنْ جَلِيدٍ يَذُوبُ بِهِ قَلْبُ
الْجَلِيدِ ، وَيُرَى رُجَاؤُهُ الشَّقَافُ أَضْلَبَ مِنَ الْحَدِيدِ ، وَوَحْلٍ لَا تَمْشِي هُرَيْرُهُ فِيهِ
الْوَحَى ^(١) ، وَبَرْدٍ لَا تَنْطِقُ فِيهِ نَوُومُ الضُّحَى .

اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا ، لَقَدْ أَضْجَرْنَا تَرَكُمُ الثِّيَابِ ، وَمُقَاسَاةَ مَا لِهَذِهِ
الرَّحْمَةِ مِنَ الْعَذَابِ ، وَانْجِمَاعُ كُلِّ عَنْ إِلْفِهِ ، وَإِغْلَاقُ بَابِ الْقِيَامِ ، وَتَحَلُّلُ
الضَّبَابِ زَوَايَا الْبُيُوتِ ، فَالْأَطْفَالُ ضِبابُ الضَّبَابِ ، كُلُّ ضَبٍّ مِنْهُمْ قَدْ أَلْفَ
بَاطِنَ نَافِقَائِهِ ^(٢) ، وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْمَوْتَ بِدَايَةِ بَدَائِهِ ، قَدْ حَسَدَ عَلَى النَّارِ مَنْ
أَمْسَى مُذْنِبًا وَأَصْبَحَ عَاصِيًا ، وَتَمَنَّى أَنْ يَرَى مِنْ فَوَاكِهِ الْجَنَّاتِ عُنَابًا وَقِرَاصِيَا .

فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَمْطَارُ تُكَاثِّرُ مَكَارِمَ مَوْلَانَا ، فَيَا طُولَ مَا تَسْفَحُ ؛ وَإِنْ
كَانَتْ الْعَوَاصِفُ تَتَشَبَّهُ بِبَاسِهِ ، فَيَا طُولَ مَا تَلْفَحُ ؛ وَإِنْ كَانَتْ الْبُرُوقُ تُحَاكِي
ذَهْنَهُ الْمُتَسَرِّعَ ، فَيَا طُولَ مَا تَتَأَلَّقُ ؛ وَإِنْ كَانَتْ قَوْسُ قُرْحٍ تَتَلَوَّنُ خَجَلًا مِنْ
طُرُوسِهِ ، فَيَا طُولَ مَا تَتَأَلَّقُ ؛ وَإِنْ كَانَتْ الرُّعُودُ تُحَاكِي جَوَانِحَ أَعْدَائِهِ ، فَيَا
طُولَ مَا تَشْهَقُ وَتَفْهَقُ ؛ وَإِنْ كَانَتْ السُّيُوفُ تَجْرِي وَرَاءَ جُودِهِ ، فَإِنَّهَا تَجْرِي عَلَى
طُولِ الْمَدَى وَمَا تَلْحَقُ .

وَالْأَوَّلَى بِهَذَا النَّوْءِ الْبَاكِي ، أَنْ لَا يُحَاكِي ؛ وَالْآخِرُ بِهَذَا الْفَضْلِ
الْمُبْغَضِ ، أَنْ لَا يَتَعَرَّضَ ؛ فَارْحَمَ اللَّهُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ مَوْلَانَا فِي
الْوُجُودِ نَذْرَةٌ ؛ أَنُهِيَ ذَلِكَ .

(١) من قول الأعشى : [ديوانه ١٠٥] والوحى : الإسراع .

وَدُعْ هُرَيْرَةٌ إِنْ الرِّكَبَ مَرْتَحِلٌ وَهَلْ تَطِيقُ وَدَاعًا أَثِيهَا الرِّجْلُ
غُرَاءَ فَرَعَاءَ مَقْضُولٍ عَوَارِضُهَا تَمْشِي الْهُوَيْنَى كَمَا يَمْشِي الْوَحَى الْوَجْلُ

(٢) النافقاء : جحر الضَّبِّ . وسقطت كلمة « باطن » من م .

● فكتبَ هو الجوابَ أيضاً عن جوابي (١) :

ويُنهى ورودَ جوابِهِ الكريمِ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ ، وَتَيَمَّنَ لِمُجَرَّدِ إِقْبَالِهِ إِلَيْهِ ، وَقَبْلَهُ لِقُرْبِ عَهْدِهِ بِيَدَيْهِ ، وَأَعَدَّهُ لِعَجَائِ الْمَرَّةِ ، فَأَمَرَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ ، وَشَكَرَهُ وَإِنْ لَمْ تَزَلْ حَقَائِبُ الشُّكْرِ مَحْطُوطَةً لَدَيْهِ ، لَا بَرَحَ الشُّهُدُ مِنْ جَنَى رَيْقِهِ الْمُعَلَّلِ ، وَالطَّرْبُ بِكَأْسِ رَحِيقِهِ الْمُحَلَّلِ ، وَالتَّيْنُ - وَحَاشَاهُ مِنْهُ - فِي سُلُوكِ طَرِيقِهِ الْمُذَلَّلِ ، وَالسَّحَابُ لَا يَطِيرُ إِلَّا بِجَنَاحِ نِعْمَائِهِ الْمُبَلَّلِ ، وَالرَّوْضُ لَا يَبْرُزُ إِلَّا فِي ثَوْبِ زُخْرَفِ الْمُجَلَّلِ ، وَالْبَرْقُ لَا يَهْتَزُّ إِلَّا فِي مُسْبَلِ رِدَائِهِ الْمُشَلَّلِ ، وَالْجَهْدُ وَلَوْ كَلَّفَ لَا يَجِيءُ بِمِثْلِ سَيْرِهِ الْمُذَلَّلِ ، وَالنَّصْرُ يَقْضِي لِمَوَاضِيهِ عَلَى حَدِّ حُسَامِهِ الْمُفْلَلِ ، وَالْفَجْرُ لَوْلَا بَيَانُهُ الْوَضَاحُ لَمَا أَرَشَدَ لَيْلُهُ الْمُضَلَّلِ ، وَالْبَحْرُ لَوْلَا عِزُّهُ مِنْ حَيَاءِ كَرَمِهِ الرَّاحِرِ لَمَا ذَمَّ عَلَى غَزَرِ الْمَادَّةِ (٢) نَوَالُهُ الْمُقَلَّلِ ، وَالْفَخْرُ وَإِنْ شَمَخَ أَنْفُهُ لَا يُنَافِسُ عِقْدَهُ الْمُوشَّحَ وَلَا يَتَطَاوَلُ إِلَى تَاجِهِ الْمُكَلَّلِ ؛ وَفَهِمَهُ فَهَامٌ ، وَاقْتَبَسَهُ فَجَلَا الْأَوْهَامَ ، وَنَظَرَ فِيهِ فَرَادَ صِقَالِ الْأَفْهَامِ ، وَقَصَرَ عَنْ إِدْرَاكِهِ فَمَا شَكَ أَنْهُ [٢٦ ب] إلهامٌ ، وَانْتَهَى فِيهِ إِلَى الْجَوَابِ فِي وَصْفِ أَنْوَاءِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْمَاطِرَةِ ، وَمَا مَوَّهَتْ الشُّحْبُ مِنْ ذَهَبِ بَرْقِهَا ، وَفَتَلَّتْهُ الْأَنْوَاءُ مِنْ خُيُوطِ وَدْقِهَا ، وَنَفَخَتْ فِيهِ الرِّيحُ مِنْ جَمْرِ كَانُونِهَا ، وَأَظْهَرَتْهُ حَقِيقَةُ الرُّعُودِ مِنْ سِرِّ مَكْنُونِهَا ، وَمَا بَنَتْهُ عَارِضَةُ ذَلِكَ الْعَارِضِ الْمُمَطِّرِ الَّذِي هُوَ أَقْوَى مِنْ شَابِيئِهَا ، وَأَوْفَى مِمَّا أَرْزَقَتْهُ (٣) السَّمَاءُ مِنْ جَلَابِيئِهَا ، وَأَسْرَى مِنْ بَرْقِهَا الْمُؤَمِّصِ فِي غَرَابِيئِهَا ، وَأَسْرَعَ مِنْ سُرَى رِيَاكِهَا ، وَقَدْ جَمَعَتْ أَطْوَاقَ السَّحَابِ (٤) وَأَخَذَتْ بِتَلَابِيئِهَا .

(١) الجواب في الوافي ومسالك الأبصار ٥٠٥/١٢ .

(٢) في م : على غرب الماء . . .

(٣) لعل الصواب : أرخته .

(٤) في م : أطراف السحاب .

وَسَبَّحَ الْمَمْلُوكُ مِنْ عَجَبٍ لِهَذِهِ الْبَلَاغَةِ الَّتِي كَمَلَتْ الْفَضَائِلَ ^(١) ، وَفَضَّلَتْ
 عَنِ الْعِلْمِ فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ عِلْمُ الْأَوَائِلِ ، وَفَضَّلَتْ مُبْدِعَهَا ^(٢) وَحَقُّ لَهُ
 التَّفْضِيلُ ، وَآتَتْهُ جُمْلَةُ الْفَضْلِ فِي ضَمْنِهَا التَّفْضِيلُ ، وَأَنْطَقَتْ لِسَانُ بَيَانِهِ
 وَأَخْرَسَتْ كُلَّ لِسَانٍ ، وَأَجْرَتْ قَلَمَ كَرَمِهِ وَأَحْرَزَتْ كُلَّ إِحْسَانٍ ، وَنَشَرَتْ عِلْمَ
 عِلْمِهِ وَأَذْخَلَتْ تَحْتَهُ كُلَّ فَاضِلٍ ، وَأَزْهَفَتْ شَبَابَ حَدِّهِ وَقَطَعَتْ بِهِ كُلَّ مُنَاطِرٍ
 وَمُنَاضِلٍ ؛ وَقَالَتْ لِلْسَّحَابِ وَقَدْ طَبَّقَ : إِلَيْكَ ، فَإِنَّ الْبَحْرَ قَدْ جَاءَكَ ، وَلِلنَّوْءِ
 وَقَدْ أَغْدَقَ : تَنَحَّ ، فَإِنَّ هَذَا قَدْ حَصَرَ أَرْجَاءَكَ ، وَلِلرَّعْدِ وَقَدْ صَرَخَ : أَسْكُتْ ،
 فَقَدْ أَنْ لِهَذِهِ الشَّقَاشِقِ أَنْ تَسْكُتَ ، وَلِلْبُرْقِ وَقَدْ نَسَخَ آيَةَ اللَّيْلِ : اسْتَدْرِكَ غَلَطَكَ
 لَيْلًا تَبْكُتَ .

أَمَا تَرَى هَذِهِ الْعُلُومَ الْجَمَّةَ وَكَيْفَ زَخَرَ بِحُرِّهَا ، وَأَثَرُ فِي الْأَلْبَابِ سِحْرُهَا ؛
 وَهَذِهِ الْفَضَائِلَ وَكَيْفَ تَقَنَّنَتْ فُنُونُهَا ، وَفَتَنَتْ عُيُونُهَا ، وَتَهَدَّلَتْ بِالْأَثْمَارِ
 أَفْنَانُهَا ، وَتَزَخَّرَتْ بِالْمَحَاسِنِ جِنَانُهَا ؛ وَهَذِهِ الْأَلْمَعِيَّةَ وَكَيْفَ ذَهَبَتْ
 الْأَصَائِلُ ، وَهَذِهِ اللَّوْذَعِيَّةَ وَمَا أَبَقَتْ مَقَالًا لِقَائِلٍ ، وَهَذِهِ الْفَوَاضِلَ وَقَدْ تَوَقَّدَ
 ذُبَالُهَا وَتَقَدَّدَ بِهَا أَدِيمُ الظَّلَامِ وَتَشَقَّقَ سِرْبَالُهَا ، وَهَذِهِ الْبَرَاةَ الَّتِي فَاضَتْ فَكُلُّ
 مِنْهَا سَكَرَانُ طَافِخٍ ، وَهَذِهِ الْفَصَاحَةَ وَمَا غَادَرَتْ بَيْنَ الْجَوَانِحِ ، وَهَذِهِ الْبَلَاغَةَ
 وَقَدْ سَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ بِهَا الْأَبَاطِحُ ^(٣) ، وَهَذِهِ الصَّنَاعَةَ وَقَدْ اسْتُعِينَ عَلَيْهَا مِنْ
 أَهْلِهَا بِصَالِحٍ ، وَهَذِهِ الصِّيَاغَةَ وَمَا تَارِكُ فَنِّ الْجَوْهَرِ لَهَا إِلَّا رَابِعٌ ، وَهَذِهِ الْحِكْمَ

(١) فِي م : الَّتِي كَمَلَتْ بِهَا الْفَضَائِلُ .

(٢) فِي م : مُبْدِعَهَا .

(٣) مِنْ قَوْلِ كَثِيرٍ عَزَّةَ : [دِيوَانُهُ ٥٢٥]

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ

البَوالِغَ ، وَهَذِهِ النَّعَمَ السَّوَاعِغَ ، وَهَذِهِ الدَّيِّمَ التي لَا تَمَلَأُ حَوَاضَهَا^(١) مِنْ إِنَاءٍ فارِغٍ ، وَهَذِهِ الشَّيْمَ التي لو تَنَكَّرَتْ ثم مُزِجَتْ بالفُرَاتِ لَمَّا شُرِبَ لِسَائِغٍ ، (وَهَذِهِ الِهِمَمُ التي تَرَقَّتْ بِوَجْهِهَا إِلَى السَّمَاءِ ، فَكَشَفَتْ غِيَابَةَ عَارِضِهَا)^(٢) وَكَفَّتْ غَوَايَةَ الْبَرْقِ وَقَدْ وَلَعَ وَخَطَّ مَشْيِيهِ بِخَطِّ عَارِضِهَا ، حَتَّى جَلَّاهَا وَأَضْحَاهَا ، ﴿ وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ [النازعات: ٢٩] ، وَنَفَخَ رَمَادَ سَحَابِهَا^(٣) الْمُنْجَلِيَّ عَنِ اللَّهَبِ ، وَصَفَحَ جَوَّهَا الْفُضِّيَّ بِاللُّجَيْنِ وَسَمَّرَتْهُ الشَّمْسُ بِالذَّهَبِ ، وَجَلَا صَدَأُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ عَنْ صَفِيحَةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمُشْمِسِ ، وَبَدَّلَ بِذَلِكَ الصَّخَوَ الْمُطْمَعِ مِنْ ذَلِكَ الْغَنَمِ الْمُؤَيَّسِ ، وَنَقَّى لَارَوْرَدَ السَّمَاءِ مِنْ تِلْكَ الشَّوَائِبِ ، وَوَقَّى عِرْضَ ذَلِكَ النَّهَارِ الْيَقْقِ مِنَ الْمَعَايِبِ ، وَأَتَرَعَ غَدِيرَ ذَلِكَ الصَّبَاحِ خَالِصاً مِنَ الرَّنَقِ ، وَضَوَّعَ عَنَبَ ذَلِكَ الثَّرَى خَالِياً مِنَ اللَّثَقِ ، وَأَطْلَعَ شَمْسَ ذَلِكَ الْيَوْمِ تُوشِعُ جَانِبَ مَشْرِقِهَا ، وَيُوشِئُ بِذَوَائِبِ الذَّهَبِ رِداءً أَقْفَقَهَا ؛ فَقُلْتُ^(٤) : [من السريع]

كَأَنَّمَا الْيَوْمُ وَقَدْ مَوَّهَتْ مَشْرِقُهُ الشَّمْسُ وَلَا جَاحِدُ
ثُوبٌ مِنَ الشَّرْبِ وَلَكِنَّهُ طُرَّزَ مِنْهُ كُمُهُ الْوَاحِدُ
[٢٧أ] أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، بَلِ بَشْرُ^(٥) ذَلِكَ الْبَشْرِ، بَلِ ذَلِكَ الْمَلِكُ الْكَرِيمُ، وَصَفِيحَةُ وَجْهِهِ الْمُتَهَلِّلِ الْوَسِيمِ، لَا بَلِ صَفِيحَةُ عَمَلِهِ، وَصَبِيحَةُ أَمَلِهِ، وَأُنْمُوذُجُ إِثَارِهِ، وَضَوْءُ يَدِهِ الْبَيْضَاءِ، وَآثَارِهِ، وَشَبِيهُ مَا يَقْضُهُ لَوْلُؤُهُ مِنْ نِثَارِهِ، وَغَيْرُ هَذَا مِنْ أَيْادِيهِ الْبَيْضِ عَلَى إِقْلَالِ الْعَدْلَةِ وَإِكْثَارِهِ، فَلِلَّهِ تِلْكَ الْيَدُ الْمُقْبَلَةُ، وَتِلْكَ

(١) في ب : جوفها .

(٢) ما بين القوسين ساقط من أ .

(٣) في ب : سُخَامُهَا .

(٤) اليتان في مسالك الأبصار ٥٠٧/١٢ .

(٥) في ب : بَرَّ . وفي س : بَرَّ ذَلِكَ الْبَرَّ .

الْيَدُ الْمُؤَمَّلَةُ ، وَلِلَّهِ تِلْكَ الْمَوَاهِبُ الْمُجَزَّلَةُ ، وَلِلَّهِ تِلْكَ الرَّاحَةُ الَّتِي لَا يُقَاسُ بِهَا الثَّرِيًّا وَلَا تَجِيءُ الْجُزَاءُ أُنْمَلُهُ ؛ وَلِلَّهِ ذَلِكَ الْبَيَانُ السَّاحِرُ ، وَذَلِكَ الْبَنَانُ السَّاحِرُ ، وَذَلِكَ اللِّسَانُ الْمُذَرَّبُ وَالْبَحْرُ الزَّاخِرُ ، وَذَلِكَ الْإِنْسَانُ الَّذِي طَالَ بَاغُ عِلْمِهِ ، وَطَارَ فَأَوْقَدَ ضِرَامَ الْيَوْمِ الْمُشْمِسِ شُعَاعُ فَهْمِهِ ، وَطَابَ جَنَى عِزِّهِ وَجَنَابُ حِلْمِهِ ، وَطَافَ الْأَرْضَ صِنْتُهُ وَنَفَقَ كَاسِدُ الْفَضْلِ بِاسْمِهِ ، وَلِلَّهِ وَلِلَّهِ لِسَيْدٍ جَاءَ بِالْفَضْلِ كُلِّهِ ، وَأَتَى بِالْأَمْرِ عَلَى حِلِّهِ ، وَاقْتَبَسَ مِنْ نُورِهِ وَأَوَى إِلَى ظِلِّهِ .

لَقَدْ أَلْبَسَ الْمَمْلُوكَ رِدَاءَ الْفَخَارِ ، وَعَرَّفَهُ الْعَوْمَ ، وَكَانَ لَا يَطْمَعُ أَنْ يَشُقَّ بَحْرَهُ الزَّخَارَ ، وَمَحَا عَنْهُ صِنْعَ دُجْنَةِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، وَقَصَّرَ مِنْ ذَيْلِهَا ، وَفَهَّقَرَ مِنْ سَيْلِهَا ، وَأَخَذَ بِعَقِيصَتِهَا ، وَأَغْرَقَ فِي تَيَّارِ النَّهَارِ سَوَادَ لَيْلِهَا ، وَأَطْلَقَ لِسَانَهُ مِنَ الْاِعْتِقَالِ ، وَأَنْطَقَ بَيَانَهُ فَقَالَ ، وَوَفَّقَهُ فِي الْبَيَانِ وَلَوْلَا تَوْفِيقُهُ لَمَا نَطَقَ ، وَوَفَّقَهُ وَلَوْلَا إِتْقَانُهُ لَغَبَرَ عَلَى آثَارِهِ فِي وَجْهِ مَنْ سَبَقَ ، وَقَامَ وَأَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَى الْبُلْغَاءِ حَيْثُ لَا يَجِدُ مَنْ يَقُولُ إِلَّا صَدَقَ . تَمَّتْ .

● فَلَمَّا رَأَيْتُ مَا هَالَنِي ، وَغَلَّ عَقْلِي وَغَالَنِي ؛ كَتَبْتُ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ

نَظْمًا ، وَهُوَ ^(١) : [من الكامل]

جَاءَ الْجَوَابُ يَزِفُ مِنْكَ فَوَاضِلًا	وَيَرِفُ فِي رَوْضِ الْبَيَانِ خَمَائِلًا
أَغْرَقْتَ غَرَّ الشُّحْبِ حِينَ وَصَفْتَهَا	يَا مَنْ غَدَا بَحْرًا يَمُوجُ فَضَائِلًا
لَوْ لَمْ تَكُنْ يُمْنَاكَ بَحْرًا زَاخِرًا	مَا أَرْسَلْتَ تِلْكَ الشُّطُورَ جَدَائِلًا
ضَرْبٌ مِنَ السُّحْرِ الْحَالِلِ مَتَى تَشَا	أَخْرَجْتَهُ فَيَعُودُ ضَرْبًا دَاخِلًا
مَا إِنَّ جَلَا رَاوِيَهُ حُورَ بَيَانِهِ	إِلَّا وَزَانَ مَشَاهِدًا وَمَحَافِلًا
فَمَتَى يَرُومُ بِهِ اللَّحَاقَ مُقْصِرٌ	وَالنَّجْمُ أَقْرَبُ مِنْ مَدَاهُ تَنَاوِلًا

(١) القصيدة في الوافي ٢٦٣/٨ ومسالك الأبصار ٥٠٨/١٢ .

أَبْرَزْتَهُ أَفْقَاً فَكُلُّ قَرِينَةٍ
فَكَأَنَّمَا تِلْكَ الْحُرُوفُ حَدَائِقُ
وَكَأَنَّ ذَاكَ الطَّرْسَ حَدُّ رَائِقُ
مَهْلًا أبا العباسِ قَدْ أَفَحَمْتَنِي
بِاللهِ قُلْ لِي عِنْدَمَا سَطَّرْتَهُ
أَقْسَمْتُ لَوْ جَارَاكَ فِي إِنْشَائِهِ
حَرَّكَتُ مِنْكَ حَمِيَّةً عَدَوِيَّةً
كَمْ فِيهِ مِنْ لَامٍ كَلَامَةٍ فَارِسٍ
هَلْ شِئْتَ أَنْ تُنْشِيَ الْجَوَابَ سَحَابَةً
يَا فَارِسَ الْإِنْشَاءِ رِفْقًا بِالَّذِي
لَوْ رَامَ أَنْ يَجْرِيَ وَرَاءَكَ خُطْوَةٌ
فَاجِسٌ عِنَانَكَ قَدْ تَجَاوَزَتْ الْمَدَى
وَالْفَاضِلُ الْمِسْكِينُ أَصْبَحَ فُتًهُ
فَاسْلَمَ لِتُبْلِيغِ النُّفُوسِ مَرَامَهَا
كَمْ فِيكَ لِي أَمَلٌ يَرُوقُ لِأَنِّي

بُرْجٌ حَوَى مَعْنَاهُ بَذْرًا كَامِلًا
أَمْسَتْ مَعَانِيهَا تَصِيحُ بَلَابِلًا
وَالسَّطْرُ فِيهِ غَدَا عِذَا رَأَى سَائِلًا
وَتَرَكْتَنِي بَعْدَ التَّحْلِي عَاطِلًا
هَلْ كُنْتَ تَرْعُمُ أَنْ تُجِيبَ الْفَاضِلَا
مَا كَانَ ضَمًّا عَلَى الْيَرَاعِ أُنَامِلًا
مَلَأْتَ فِضَاءَ الطَّرْسِ مِنْكَ جَحَافِلًا
قَدْ هَزَّ مِنْ أَلْفَاتِ خَطِّكَ ذَابِلًا
تَدْنَى فَجَاءَتْ مِنْكَ سَيْلًا سَائِلًا
نَازَلْتَهُ يَوْمَ التَّرْسُلِ رَاجِلًا
نَصَبْتَ لَهُ تِلْكَ الْحُرُوفُ حَبَائِلًا^(١)
وَتَرَكْتَ سَحْبَانَ الْفَصَاحَةِ بَاقِلًا
[٢٧ ب] مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ رَاجَ فِينَا خَامِلًا
فَالدَّهْرُ فِي أَبْوَابِ فَضْلِكَ مَائِلًا
أَذْرِي بِأَنَّكَ لَا تُخَيِّبُ آمِلًا^(٢)

● فكتبَ الجوابَ عن ذلك أيضاً^(٣) : [من الكامل]

وَيَذُمُّ صَبْغًا لِلشَّيْبَةِ نَاصِلًا^(٤)
وَلَوْ أَنَّهُ فِي الْقَجْرِ حَلَّى الْعَاطِلَا^(٥)

وَافِي الْكَمِيِّ بِهَا يَهْزُ مَنْاصِلَا
سَبَقَ الظَّلَامَ بِهَا بِزِينَةِ لَيْلِهِ

(١) في م : نُصِبَتْ . وفوقها : معاً .

(٢) في م : × . . . لا تخيب الآملا .

(٣) القصيدة في الوافي ٢٦٤ / ٨ ومسالك الأبصار ٥٠٩ / ١٢ .

(٤) في م : × ويضم . . .

(٥) في م : شق الظلام . . . × .

حَمْرَاءُ قَائِيَةٌ يَذُوبُ شُعَائُهَا
 حَمْرَاءُ قَائِيَةٌ يَحْتُ كُؤُوسُهَا
 ذَهَبِيَّةٌ مَا عِرْقُ عَانَةٍ كَزَمَهَا
 كَفْتُ لِمُنْبَجِسِ النَّوَالِ كَأَنَّمَا
 كَرَمٌ خَلِيلِي يُمَدُّ سِمَاطُهُ
 وَلَهَيْبُ فِكْرٍ لَوْ يَطِيرُ شَرَارَةٌ
 يُذَكِّي بِهِ فِي كُلِّ صُبْحَةٍ قَرَّهَ
 عَجَباً لَهُ مِنْ سَابِقٍ مُتَأَخِّرٍ
 دَانُوهُ فِي شَبِّهِ وَمَا قَيْسُوا بِهِ
 مَائِلٌ بِهِ الْبَحْرَ الْخِضَمَّ فَإِنَّهُ
 وَافَتْ عَقِيلَتُهُ وَلَوْ بَذَلَ امْرُؤٌ
 جَاءَتْ شَبِيهَ الْخَوْدِ فِي حُلْلِ لَهَا
 قَدْ خُضِّبَتْ بِدَمِ الْحَسودِ أَمَا تَرَى
 حُلْلٌ عَلَى سَحَابَانَ تَسْحَبُ بُرْدَهَا
 خِلْتُ الْهِلَالَ يَلُوحُ طَلَعُ نِقَابِهَا
 بِنْتُ الْقَرِيحَةِ مَا وَنَتْ فِي خِذْرِهَا
 جَاءَتْ تَصَوُّغُ مِنَ الْعِنَاقِ أَسَاوِراً
 قَبْلَتْهَا وَأَعَدْتُ تَقْبِيلِي لَهَا
 وَأَتَتْ وَجَيْشُ النَّوَى مَرْهُوبُ السُّطَا

وَتَرَى حَصَا الْيَاقُوتِ مِنْهَا سَائِلَا
 وَقَعَ الصَّوَارِمِ وَالْوَشِيحِ الذَّابِلَا
 لَكِنَّهُ كَفْتُ الْكَرِيمِ شَمَائِلَا
 دَفَعُ السُّيُولِ تِمْدٌ مِنْهُ نَائِلَا
 وَيَشِبُّ نَاراً لِلْقُرَى وَفَوَاضِلَا
 مِنْهُ لَمَّا بَلَ السَّحَابُ الْوَابِلَا
 فَهَمّاً لِنِيرَانِ الْقَرَارِجِ أَكِلَا
 فَاقَ الْأَوَاخِرَ ثَمَ فَاتَ أَوَائِلَا
 مَنْ ذَا تَرَاهُ لِلْغَمَامِ مُسَاجِلَا
 لَا يَزْتَضِي خَلْقاً سِوَاهُ مُمَائِلَا
 فِيهَا اسْتَقَلَّ مِنَ الْبُرُوجِ مَعَاوِلَا^(١)
 حُمْرٍ كَنُورِ الشَّقِيقِ مَوَائِلَا^(٢)
 أَثَرَ السَّوَادِ بِهَا عَلَيهِ دَلَائِلَا
 وَتَجَرُّ مِنْ طَرَفِ الدُّيُولِ الْفَاضِلَا^(٣)
 حَتَّى نَضَتْ قَرَأَيْتُ بَذْراً كَامِلَا
 حُسْنُ الْمَلِيحَةِ أَنْ تُوَاصِلَ عَاجِلَا
 لَا بَلَّ تَخْرُضُ مِنَ السُّيُولِ خَلَاخِلَا
 إِنَّ الْمُتَيَّمَّ لَا يَخَافُ الْعَاذِلَا
 مَلَأَ الْوُجُودَ لَهُ قَنَاءً وَقَنَائِلَا

(١) سقط البيت من م .

(٢) في ب : في حُلِّ الْبَهِاءِ × حُمْراً

(٣) سقط البيت من س .

والبَرْقُ مَشْبُوبُ الضَّرَامِ لِأَنَّهُ
وَأَفْتِ وَرَأْسُ الطُّودِ يَشْكُو لِمَةً
وَكَأَنَّمَا نَثَرَتْ قَرَاضَةً فِضَّةً
مَلَأَتْ بِهِ كُلَّ الْفَضَاءِ فَلَا تَرَى
وَالْأُفُقُ كَالْكَأْسِ الْمُقْصَصِ مِنْهُ
أَثْنَاءَ يَوْمٍ قَدْ تَقَهَّرَ ضَوْؤُهُ
وَالْجَوُّ مُنْخَرِقُ الْقَيْصِ كَأَنَّهُ
وَالسَّيْلُ مُنْحَدِرٌ يَسْلُ مُهَنَّدًا
لِللَّهِ أَنْتَ أَبَا الصَّفَاءِ فَإِنِّي
أَنْتَ الَّذِي حَلَقْتَ صَفْرًا أَجْدَلًا
يَا مَنْ يُنْفِقُ سُوقَ كُلِّ فَضِيلَةٍ
● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مِنْ دِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ ، وَأَنَا بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، يَصِفُ

التَّلَجِ الْكَائِنِ فِي شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ ، سَنَةِ ٧٤٥ :

يُقَبَّلُ كَذَا ، لَا رَأْيَ فِي هَذَا الشِّتَاءِ كَيْفَ حَالُ أَوْدَائِهِ ، وَكَيْفَ حَالُ بَلَدِهِ
الَّذِي رَقَّتْ عَلَيْهِ حَتَّى الْقَاسِيَةِ قُلُوبُ أَعْدَائِهِ ، وَكَيْفَ حَالُ النَّاسِ تَحْتَ ذُيُولِ هَذِهِ
الْأَشْتِيَةِ الْمَجْرُورَةِ ، وَنَوَافِضِ هَذِهِ [٢٨] الرُّعُودِ الْمَقْرُورَةِ ، وَقُرُوحِ شَقَرِ هَذِهِ
الْبُرُوقِ الْمَقْرُورَةِ ، وَغُرَرِ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْمَقْرُورَةِ ، وَسَوَافِي هَذِهِ الْغُيُوثِ
الْمَذْرُورَةِ ، وَضَرَرِ هَذِهِ الْأَنْوَاءِ الرِّوَاءِ بِالْأَرْضِ الْمَضْرُورَةِ ، وَسُيُوفِ هَذِهِ
السُّيُولِ الْحَدَّةِ الْمَطْرُورَةِ ، وَنُزُولِ هَذِهِ التَّلُوجِ بِعَقْدِ الْبَلَاءِ الْمَضْرُورَةِ ، وَمَشْيِ
الْخَلَائِقِ فِي أَرْدِيَةِ هَذِهِ السُّحُبِ الْمَزْرُورَةِ ، وَغُبُوسِ هَذِهِ الثَّنَايَا الضَّاحِكَةِ وَمَا

(١) فِي ب : . . . مِنْحَدِرًا . . . × .

هِيَ مَسْرُورَةٌ ، وَنَوَازِلِ هَذِهِ الْأَمْطَارِ الَّتِي وُلِدَتْ بِمَوَاقِعِهَا الْقَضْبُ مَحْتُونَةٌ وَدَارَاتُ النَّهْرِ مَسْرُورَةٌ ، وَعَوَاصِفُ هَذِهِ الْأَيَّامِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا جَنَّةٌ أَوْ هِيَ لِكَثْرَةِ الْمُرُورِ مَمْرُورَةٌ ، وَكَلَبَ بَرْدُ هَذِهِ اللَّيَالِي الَّذِي أَصْبَحَتْ تَتَشَكَّاهُ الْكُبُودُ الْمَحْرُورَةُ ، وَبُعِدَ مَوْلَانَا الَّذِي يَغْدِلُ عُمرَةَ كَامِلَةً وَحِجَّةً مَبْرُورَةً .

فَلَقَدْ أَنْسَى السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ^(١) وَنَشَرَ مَيِّتَهَا الْمَدْرُوجَ ، وَأَعَادَ مَاضِيَهَا وَلَيْتَهُ إِذْ جَمَدَ النَّبَاتَ لَا كَرَّرَ سُكَّرَ الثَّلُوجِ ، وَسَاءَ أَحْوَالُ الْمَدِينَةِ ، وَطَافَ طُوفَانُهُ بِالْجَامِعِ وَغَرَّقَ السَّفِينَةَ ، وَأَشَابَ رَأْسَ النَّسْرِ وَغَطَّى الْهَلَالَ ، وَكَسَرَ الصَّخْنَ وَأَكَلَ الْحَائِطَ الشَّمَالِيَّ بِالْيَمِينِ وَالشَّمَالَ ، وَأَذَى الْمَوَازِنَ وَالْمُؤَذِّنِينَ ، وَأَخْرَسَ الْقُرَاءَ وَالْمُؤَمِّنِينَ ، وَاقْشَعَرَّتْ لِبَرْدِ أَيَّامِهِ الْبَرَّادَةُ ، وَشَهِدَ الْمَشْهَدُ بِغَمَاءِ غَمَامِهِ ، وَأَقَامَتْ سَبَابَاتِ الْمَوَازِنِ لِلشَّهَادَةِ ، وَبَطَلَتْ أَلْوَانُ بَابِ الْبَرِيدِ الْمُعَدَّدَةِ ، وَجَرَتْ أَرْكَانُ جَيْرُونَ وَأَبْوَابُهُ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ، وَجَالَ عَلَى الدَّهْمَاءِ وَالْخَضِرَاءِ شُهْبٌ خُيُولِهِ ، وَفَتَحَ أَفْوَاهُ أَوْدِيَّتِهِ وَالتَّقَمَّ أَزْقَمَ كُلِّ نَهْرٍ مُتَلَوٍّ وَشَرِبَهُ بِسُيُولِهِ ، وَسَاءَ بَيَاضُ يَوْمِهِ سُودَ مَرَاتِعِهَا وَخُضَرَ مَرَابِعِهَا ، وَشَوَّةَ فِي هَذِهِ الشَّتْوَةِ الْأَلْوَانَ ، وَبَسَطَ ذَيْلُهُ عَلَى الْوَهَادِ وَعَقَدَ حُبَاهُ عَلَى الْكُثْبَانِ^(٢) .

وَجَاءَ هَذَا الشَّتَاءُ بِالْعَجَبِ ، وَذَكَرَ دِمَشْقَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِمَا خَلَا فِي الْخَالِيَةِ مِنْ وَاقِعَةٍ حَلَبَ^(٣) ، وَأَنْسَى فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي رَمَضَانَ لَيْلَةَ جُمَادَى ، وَدَفَنَ

(١) فِي م : فَلَقَدْ أَنْشَأَ الشَّنَّةَ الْمَاضِيَةَ .

(٢) يَنْظُرُ مَا يَقُولُهُ الْمُؤَرِّخُونَ فِي كَاتِنَةِ الثَّلَجِ سَنَةِ ٧٤٥ ، فِي : تَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ٦٣/٣ وَالْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ٤٧٧/١٨ وَالتَّذِيلُ التَّامُ ٦٨/١ وَتَارِيخُ ابْنِ قَاضِي شَهْبَةِ ٤١٣/١ .

(٣) قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ ٤٦٩/١٨ - ٤٧٠ : وَفِي صَبِيحَةِ يَوْمِ السَّبْتِ الْخَامِسِ عَشَرَ مِنْهُ [= شَعْبَانَ سَنَةِ ٧٤٥] قَبْلَ الظُّهْرِ ، جَاءَتْ زَلْزَلَةٌ بِدِمَشْقَ لَمْ يَشْعُرْ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لِحَفَّتِهَا ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ ؛ ثُمَّ تَوَاتَرَتْ الْأَخْبَارُ بِأَنَّهَا شَعَّتْ فِي بِلَادِ حَلَبَ شَيْئاً كَثِيراً الْعِمْرَانِ حَتَّى سَقَطَ بَعْضُ الْأَبْرَاجِ بِقَلْعَةِ حَلَبَ ، وَكَثِيرٌ مِنْ دُورِهَا وَمَسَاجِدِهَا وَمَشَاهِدِهَا وَجُدْرَانِهَا ؛ وَأَمَّا فِي الْقَلَاعِ حَوْلَهَا فَكَثِيرٌ جَدًّا ؛ وَذَكَرَ أَنَّ مَدِينَةَ مَنبِجَ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ ، وَأَنَّ عَامَّةَ السَّاكِنِينَ بِهَا هَلَكُوا تَحْتَ =

ثَلَجَهَا سَوَاتِ ثَلَجِ سَنَتِنَا الْمَاضِيَةِ ، وَذَرَّ عَلَيْهَا رَمَاداً ، وَطَالَتْ أَيَّامُهُ وَالْأَعْمَارُ
الذَّاهِبَةُ بِهِ قِصَارٌ ، وَاسْتَطَالَتْ جُنُودُهُ الْمُهَاجِرَةُ وَقَلَّتِ الْأَنْصَارُ ، وَجَاءَتْ أَفْوَاجُهُ
وَكَانَتْ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ ، وَقَدِمَتْ مِنْ وَرَاءِ الْبُرُوقِ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَقَادِمُهَا
صُهَيْبٌ ، وَأَقْبَلَتِ الشُّحْبُ بِخُيُوطِ أَنْوَائِهَا وَتَقَطَّعَتِ الْأَسْبَابُ ، وَفَتَحَتْ خُورَجَ
الْبُرُوقِ فِي السَّمَاءِ الْمُفْتَحَةِ الْأَبْوَابِ ، وَأَصْبَحَتْ بِغَارِبِ النَّوَى كُلِّ ذُرْوَةٍ كَأَنَّهَا
سَنَامٌ ، وَبِمُجْتَحَفِ السَّيْلِ كُلِّ عَيْنٍ كَأَنَّهَا مَنَامٌ ، وَوَقَعَ كُلُّ جَبَلٍ عَلَى جَنْبِهِ وَقَدْ
عَصَبَ رَأْسُهُ مِمَّا تَصَدَّعَ ، وَفَاضَ كُلُّ وَادٍ امْتِلَاءً بَطْنُهُ مِمَّا شَرِبَ وَانْتَفَخَتْ رَوَابِيهِ
مِمَّا تَضَلَّعَ ، وَعَمَّتْ أَهْوَالٌ ، وَأَغَمَّتْ أَحْوَالٌ ، وَكَانَ لِلْمَدِينَةِ أَيُّ يَوْمٍ ، وَلِلَّيْلِهَا
فِي يَوْمِهِ أَيُّ نَوْمٍ ، وَدَخَلَتْهَا بِالْجَوَارِيْفِ الْبَقَرُ لَجَزْفِ الثَّلْجِ ، وَمَا دَخَلَتْ آلَةُ
الْحَزْتِ دَارَ قَوْمٍ ^(١) .

هذا بعدَ توالي أَيَّامٍ مَا نَعْرِفُ مَا نَقُولُ فِيهَا ، إِلَّا أَنَّهَا شَغَلَتْ الشَّيْخَ أَبَا تَمَّامٍ
وَشَيَّبَتِ الْوَلِيدَ ، وَحَجَبَتِ الدَّارَ فَمَا نَظَرَ إِلَيْهَا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ مِنَ الْجَلِيدِ ،
وَعَزَّ بِهَا حَتَّى عَلَى الْمَيِّتِ أَنْ يُقْبَرَ ، وَلَمْ يُرَ فِيهَا [٢٨ ب] قَتِيلٌ فِي بَيْتِهِ إِلَّا أَنَّهُ الْقَتِيلُ
الْمُصْبِرُ ، وَلَمْ يَبْدُ مِنْ شُهُودِ الْجِبَالِ ذَوَاتِ الدَّوَائِبِ ، إِلَّا كُلُّ مُعَذِّبٍ
بِالرَّحْمَةِ ، وَلَا مِنْ عُهُودِ الْغَمَامِ الْمُتَمَتِّدِ السَّحَابِ إِلَّا كُلُّ مُنْشُورٍ أَبْيَضَ
كَالْفَحْمَةِ .

فَلَمَّا رَاعَ الْمَمْلُوكُ مَنَظَرَهُ وَسَاءَهُ ، وَرَأَى نَهَارَهُ الطَّوِيلَ وَقَدْ جَعَلَ طَرْفَ
جَنَاحَيْهِ مَسَاءَهُ ، اسْتَصْرَخَ عَلَى رُعُودِهِ الصَّارِخَةِ ، وَاسْتَعَانَ عَلَى بُرُوقِهِ النَّافِخَةِ ،

= الرَّدْمُ ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ .

وينظر : تاريخ ابن قاضي شهبة ١/ ٣٦٠ - ٣٦١ وتذكرة النبيه ٣/ ٥٨ - ٦٠ .

(١) الإشارة إلى قول الرسول ﷺ عندما رأى سِكَّةً وشيئاً من آلَةِ الْحَزْتِ : « لَا يَدْخُلُ هَذَا بَيْتَ قَوْمٍ ، إِلَّا
أَدْخِلَهُ الدَّلُّ » . (صحيح البخاري ٦٦/٣) .

وَأَسْتَصِرَّ عَلَيْهِ بِكُلِّ مَنْ يَهْتَفُ بِهِ الدَّاعِي ، وَتَهْفُو إِلَيْهِ الْمَسَاعِي ، وَأَرْسَلَ رُسُلَهُ
يَشْكُو سَعْيَ هَذَا الْمَطَرِ الْمُفْسِدِ ، فَجَاؤُوا يَجْرِي وَرَاءَهُمُ السَّاعِي ، وَلَمْ يُدْعَ
مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْتَرَشْ بِجَنَاحِهِ ، وَتُفْرَسَ عَادِيَّةُ هَذَا الْعَدُوِّ بِسِلَاحِهِ ، وَيُرَدَّ بِهِ أَشَدُّ
بَأْسًا مِنْ هَذَا الشِّتَاءِ ، فَأَمَّا هُوَ وَكَلْبُ بَرِّدِهِ فَلَا يُنْحَى بِحَجَرٍ لِنَبَاحِهِ .

وَقَدْ جَمَعَ الْمَمْلُوكُ ذَلِكَ كُلَّهُ - الْإِنْتِدَاتِ وَالْأَجُوبَةِ - بَيْنَ دَفْتِي دَفْتَرٍ ،
وَأَضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَةً مِنْ ذَخَائِرِ مَوْلَانَا الَّتِي لَمْ يَزَلْ بِهَا يَتَكَبَّرُ ، وَأَثْبَتَ هَذَا
الْكِتَابَ ، وَأَخْلَى مَكَانَ الْجَوَابِ ، فَلَعَلَّهُ يُنْعِمُ بِهِ لَا بَرَحَ مَنَعِمًا ، وَلَا زَالَ سَالِمًا
مَا عَلَيْهِ إِلَّا مَا يَرُدُّ مِنْ مَطَرِ السَّمَاءِ ، وَلَا فِتْنَى يُكْمِلُ النِّقْصَ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَالِكًا
لَمَا جُعِلَ ، وَحَاشَاهُ مِنَ الرَّيْبِ مُتَمِّمًا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكُتِبَتْ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ :

يُقْبَلُ الْأَرْضَ الَّتِي يَخْجَلُ السَّحَابُ مِنْ نَدَاهَا ، وَيَشْفِي لَثْمَ تُرَابِهَا الْقُلُوبَ مِنْ
صَدَاهَا ، وَتَوْمُهَا الْأَيَّامُ بِالْمَنْ وَتَعْدُوهَا الْخُطُوبُ إِلَى عِدَاهَا ، تَقْبِيلًا يَزْدَادُ بِهِ
شَرَفًا ، وَيَعْتَادُ تَكَرَّارُهُ وَلَا يَعْتَدُهُ سَرَفًا ، وَيَجْعَلُ مَوَاطِنَهَا بِمَوَاقِعِ لَثْمِهِ رَوْضَةً أَنْفًا .

وَيُنْهِى وَرُودَ الْمِثَالِ الْعَالِي ، تَجَلَّى حَبْرُهُ فِي حَبْرِهِ ، وَيَفْضَحُ زَهْرَ الْأُفُقِ
رَوْضَهُ بِزَهْرِهِ ، وَتَتَحَقَّقُ النُّوَاطِرُ حُسْنَ صَنَائِعِهِ وَمَا دَبَّجَهُ الْقَلَمُ فِيهِ بِأَثَرِهِ ، وَيُهْدِي
إِلَى الْأَسْمَاعِ إِنْعَامَ أَنْعَامِهِ ، وَيَجْلُو عَلَى الْعُيُونِ صُورَ سُورِهِ ؛ فَوَقَفَ لَهُ
وَانْتَصَبَ ، وَافْتَخَرَ بِوُرُودِهِ عَلَى بَنِي الْأَيَّامِ وَانْتَسَبَ ، وَانْتَهَى إِلَى الْإِشَارَةِ
الْكَرِيمَةِ فِي أَخْبَارِ الثُّلُوجِ الَّتِي طَمَّتْ وَغَمَّتْ ، وَأَوْضَحَتْ أَنْبَاءَهَا وَمَا عَمَّتْ ،
وَسَاقَتْ إِلَى الشَّامِ قِطَارَ الْقِطَارِ وَزَمَّتْ^(١) ، وَنَمَتْ بَرَكَاتُ مَوَاقِعِهَا وَنَمَتْ
وَتَمَّتْ ، وَهَمَّتْ سَحَائِبُهَا بِالْعَذَابِ وَأَهَمَّتْ ، فَإِنْ لَمْ تَبْلُغِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ فَقَدْ

(١) فِي أ: وَذَمَّتْ .

هَمَّتْ ؛ فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ السَّنَةُ أَرْبَتْ بِالْثُلُوجِ عَلَى الْأُولَى ، وَزَادَتْ عَرَضَ الْأَرْضِ طُولاً ، وَجَعَلَتْ صَحِيحَاتِ النَّوَاطِرِ حُولاً ، فَمَا يَظُنُّ الْمَمْلُوكُ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَسَفَ جِبَالَ الشَّامِ ثَلْجاً ، وَجَعَلَ حَوَاجِبَهَا الْمُمتَدَّةَ عَلَى عُيُونِ الْأَرْضِ بَلْجاً .

على أَنَّ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ فِي هَذَا الْعَامِ وَصَلَ إِلَيْهَا فَضْلَةُ ذَلِكَ الْبَرْدِ ، وَرَمَى أَهْلَهَا بِمَا^(١) لَا عَهْدُوهُ مِنْ مِزَاجِهَا الَّذِي كَانَهُ زَمَنُ الْوَرْدِ ، فَلَوْ تَرَى أَحَدُهُمْ وَقَدْ أَخَذَهُ النَّافِضُ ، وَنَحَّاهُ الْقَرْ بِعَامِلِهِ الرَّافِعِ الْخَافِضِ ، لَا يَخِمِيهِ حِصْنُ فَرْوَةٍ وَلَا يُجِنُّهُ ، وَلَا يَصُدُّ عَنْهُ نَفْحَةُ زَمْهَرِيرٍ وَلَا يُكِنُّهُ ؛ لَتَوَهَّمَتْهُ أَخَا وَجْدٍ يَهْتَرُ طَرَباً ، أَوْ غُضْناً اغْتَوَرَ عَلَيْهِ رِيحاً شِمَالٍ وَصَبَا ، قَدْ رُكِبَتْ أَعْضَاؤُهُ مِنَ الزُّبُقِ فَمَا تَسْتَقِرُّ ، وَجَفَّتْ لَهَوَاتُهُ يُبْساً فَمَا تَسْتَدِرُّ ، لَا يَمُدُّ كَفَّهُ وَلَوْ بَايَعَهُ النَّاسُ عَلَى الْخِلَافَةِ ، وَلَا يُخْرِجُ يَدَهُ وَلَوْ كَانَ فَقِيراً إِلَى كَيْسٍ ذَهَبٍ أَوْ نَدِيماً إِلَى كَأْسٍ سُلَافَةٍ ، وَلَا يَنْبَغِثُ لِعَمَلٍ [٢٩] كَانَهُ إِنْ وَقَدْ دَخَلَتْ عَلَيْهِ مَا الْكَافَّةُ ، وَلَا يُصَدِّقُ حَدِيثَ شَمْسٍ وَلَوْ كَانَ بِالْقَطْرِ الْجَنُوبِيِّ شِتَاءً ، وَيَقُولُ : حَدِيثُ حُرَافَةٍ^(٢) : [من الكامل]

وَبَرَى عِتَاقَ الطَّيْرِ فِي وَكُنَاتِهَا تَخْتَارُ حَرَّ النَّارِ وَالسَّقُودَا
وَإِذَا رَمَى فَضْلَاتِ كَأْسٍ فِي الْهَوَى عَادَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْعَقِيقِ عُقُودَا
كَمْ بَكَى أَنْفُهُ ، وَدَمَعُ جُفُونِهِ أَحَقُّ بِتِلْكَ الْعِبَرَاتِ ، وَكَمْ طَافَ بِكَعْبَةٍ كَانُونٍ
وَمَا أَتَى غَيْرَ الْجَمَرَاتِ ، يَكَادُ لِذَلِكَ الْبَرْدِ وَالْيُبْسِ يَتَجَسَّدُ حَتَّى الْكَلَامُ ، وَيَتَوَسَّدُ
الْإِنْسَانُ طَلَبَ الدُّنَارِ تَحْتَ الرَّجَامِ ، تَلْهَجُ الرُّغْدَةُ بِهِ لَهَجَ السُّكُونِ بِحَرْفِ
الْعِلَّةِ ، أَوْ عُيُونِ الْعُشَاقِ بِالذُّمُوعِ الْمُسْتَهْلَةِ ، أَوِ الْبَدَائِعِ وَالْبَدَائِهِ بِكَلِمَاتِ مَوْلَانَا
الْمُتَدَفِّقَةِ ، أَوِ الْفَهَاهَةِ وَالْعِيِّ بِعِبَارَةِ الْمَمْلُوكِ وَكَلِمَاتِهِ الْمُتَلَفِّقَةِ .

(١) سقطت « لا » من أ .

(٢) البيتان للباخرزي ، في ديوانه ١٠٠ - ١٠١ . وبلا نسبة في الكشف والتنبيه ٢٤٦ .

لقد تَحَقَّقَ أَنَّ عُنْصَرَ النَّارِ ذَهَبٌ فَلَكُّهُ ، وَأَنَّ الْأَمِيرَ تَقَطَّعَتْ حُبُّكُهُ ، يَا رَحْمَتَا
لَهُ مِنْ عَارٍ يَحْسَبُ أَنَّ التُّخَّ^(١) نَحَا تَحْتَهُ فَنُكَّ ، وَيَا عَجَباً لَهُ مِنْ عَاجِزٍ عَنِ الْكَلَامِ
وَكَمْ دَقَّ بِالْحَنَكِ ، هَذَا وَبَيْنَ الْإِقْلِيمَيْنِ مِنْ هَذَا الْبُعْدِ الَّذِي مَا لِلْجَهِّ سَاحِلٌ ،
وَالْمَسَافَةِ الَّتِي إِذَا سَرَى فِيهَا طَيْفٌ شَبَّ أَصْبَحَ دُونَ الْغَايَةِ بِمَرَاكِحَ ، وَلَمْ يَصِلْ
إِلَيْنَا إِلَّا فُضَالَاتُ تِلْكَ الْعَوَاصِفِ ، وَلُفَاطَاتُ مَا يَنْفُتُهُ فَمُ الْجَوِّ مِنَ الرُّعُودِ
الْعَوَاصِفِ ، فَهَذِهِ رُمُوزُ مَا هُنَاكَ مِنَ التَّصْرِيحِ ، وَبَعْضُ شَرَرٍ مَا يَنْفُخُهُ كَبِيرُ
الرَّيْحِ ، فَكَيْفَ بِمَكَانٍ كَانَ فِيهِ الْمَضْرَعُ ؟ وَمَطَانٌ مَا يَنْشَأُ عَنِ الرِّيَّاحِ الْأَرْبَعِ ،
وَمَوَاطِنَ إِذَا كَانَتِ الرِّيحُ رُخَاءً مَرَّتْ بِهِ وَهِيَ زَعَزَعٌ ، وَيَقَاعُ أَصْبَحَ الْغُرَابُ الْأَبْقَعُ
يَتَلَجَّهَا قُمْرِيّاً ، وَبِلَادٍ تَتَّخِذُ الشَّمْسُ فِي الْمَصِيفِ ظَهْرِيّاً ، كَأَنَّهَا بِلَادُ أَبِي الطَّيِّبِ
الَّتِي لَبَسَتْ عَلَيْهِ مَسَالِكُهُ ، وَغَدَتْ بِبَيَاضِهَا وَهِيَ سَوْدَاءُ حَالِكَةٍ ، فَأَقْبَحَ بِتِلْكَ
الْأَرْضِ إِذَا أَصْبَحَتْ تُغَوِّرُ تَضْحَكَ ، وَأَبْعَدَ بِتِلْكَ الْأَنْدَاءِ الَّتِي يَنْحَلُّ مِنْهَا الْكَافُورُ
وَيَنْحَلُّ ؛ وَلَقَدْ كَابَدَ الْمَمْلُوكُ ثُلُوجَهَا وَلَا إِلَى هَذَا الْحَدِّ ، وَعَالَجَ أَنْوَاءَهَا وَلَكِنْ
ذَلِكَ لِعَبٍّ وَهَذَا جِدٌّ ، وَلَقَدْ أَذْكَرَنِي مَا قُلْتُهُ فِيهَا فِي وَقْتٍ ، وَهُوَ^(٢) : [من السريع]

تَبَّأَ لَهَا مِنْ بَلَدَةٍ لَا أَرَى فِيهَا مَقَامِي وَاضِحَ النَّهْجِ
لِأَنَّهَا فِي وَجْهِ سُكَّانِهَا وَأَهْلُهَا تَبْصُقُ بِالتَّلْجِ^(٣)

وَلِلَّهِ الرَّدَاعِي^(٤) حَيْثُ يَقُولُ^(٥) : [من المنسرح]

أَقُولُ وَالتَّلْجُ قَدْ نَشِرْنَ لَهُ عَلَى وُجُوهِ الْمَلَا مُلَاتْ

(١) التُّخُّ : بساطٌ طوله أكثر من عرضه . (القاموس) .

(٢) البيتان في الغيث المسجم ١١٨/١ والكشف والتنبيه ٢٤٩ .

(٣) في ب : كأنها × .

(٤) الرداعي : علي بن المظفر بن إبراهيم ، كاتب ابن وداعة ؛ توفي سنة ٧١٦ هـ . (الوافي بالوفيات

. ١٩٩/٢٢) .

(٥) البيتان في الكشف والتنبيه ٢٤٦ .

لَوْ لَمْ تُكُنْ قَامَتِ الْقِيَامَةُ مَا بُدِّلَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ
وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ فِي الْإِعَانَةِ ، وَالْمَرْجُوُّ لِحُسْنِ الْعَاقِبَةِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
سُبْحَانَهُ ؛ وَمَوْلَانَا فِي وَقَايَةِ مِنَ اللَّهِ تَكْفُفٌ عَنْهُ الْأَسْوَاءُ ، وَتَرْكُ الْأَذْوَاءِ ، وَتَصَدُّ
اللَّأْوَاءِ ، وَنِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تُصَاحِبُهُ صَبَاحَ مَسَاءٍ ، وَتُبَلِّغُهُ مِنَ الْمَارِبِ وَالْمَسَارِبِ ^(١)
حَيْثُ سَارَ وَحَيْثُ شَاءَ ، بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَمْطَارُ فِي شَهْرِ شُبَّاطٍ ، مِنْ سَنَةِ ٧٤٦ : [مَنْ]

[البسيط]

هِيَ السَّحَابُ أَمَّا وَجْهَهَا فَنَدِ
خَضِرٌ تَسُرُّ سُيُوفَ الْبَرْقِ آوِنَةٌ
مَا كَانَ أَمْشِيرٌ مِمَّنْ لَا يُشِيرُ بِمَا
جَاءَتْ بِجَمْرَةٍ كَانُونٍ وَقَدْ طُفِنَتْ
عَادَتْ عَلَيْنَا وَقَدْ وَلَّى الشِّتَاءُ بِمَا
وَجَاءَ شَهْرُ شُبَّاطٍ فَوْقَ عَاتِقِهِ
طَالَتْ عَلَيْنَا لَهُ أَيَّامُ مُدَّتِهِ
لَقَدْ جَرَى وَهُوَ مُمْتَدُّ الْعِنَانِ بِلا
وَدَامَ يَهْمِي سِجَالِ الْمُزْنِ سَاكِبَةً
وَقَدْ خَفَى الْبَرْقُ فِي أَثْنَائِهَا وَجَرَتْ
فَأَزْمَدَتْ كُلَّ عَيْنٍ مَدُّ سَائِلِهَا
وَصَيَّبُ الرَّعْدِ لَا يَنْفَكُ يَزْجُرُهَا

طَلَقَ وَأَمَّا نَدَاها فَهَوَ مِلْءُ يَدِي
إِنَّ السَّحَابَ لَجَلَاءٌ لِكُلِّ صَدِي
أَوَمْتُ إِلَيْهِ بِكَفٍّ خُضِبَتْ وَيَدِ ^(٢)
نِيرَانُ كَانُونٍ لَا بِالماءِ وَالْبَرْدِ
[٢٩ب] فِيهِ وَفَاءَ عَلَيْنَا الصَّيْفُ بِالْمَدَدِ
بِزَاخِرِ الْبَحْرِ تَحْتَ الْعَارِضِ الْبَرْدِ
كَأَنَّ أَيَّامَهُ أَضَحَّتْ بِلا عَدَدِ
نِهَايَةٍ فِي مَدَى سَبْقِي وَلَا أَمَدِ
وَالْبَرْقُ يَخْمَدُ مِنْهُ كُلُّ مُقْعِدِ
سَوَاكِبِ الْمُزْنِ مِثْلَ اللَّوْلُؤِ الْبَدَدِ
لَكِنْ عُيُونُ الْحَيَا مِنْهُ بِلا رَمَدِ
أَمَّا تَرَى الرَّعْدَ مِنْهَا مِثْلُ مُرْتَعِدِ

(١) فِي ب : وَالْمَشَارِبِ .

(٢) أَمْشِيرُ : السَّادِسُ مِنْ شَهْرِ الْقَبْطِ ، وَيَبْدَأُ فِي السَّادِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ كَانُونِ الثَّانِي . (الْأَزْمَنَةُ
وَالْأَنْوَاءُ ١٤٥) .

يَزْمِي رَوَاشِقَ نَبْلِ صَوْبٍ سَاكِبِهِ فَتَتَّقِيهِ دُرُوعُ الرُّوضِ بِالزَّرْدِ^(١)
وفاخِثِي سَحَابٍ فَضْلَ مُطَرِّفِهِ يَجُرُّ فَوْقَ الثَّرَى ذَيْلاً بِكُلِّ يَدٍ
وَرُبَّ صَهْبَاءَ فَوْقَ الزَّهْرِ سَائِرَةٍ حَمْرَاءَ تَعْبُقُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالزَّبَدِ
وَرُبَّ وَطْفَاءَ كَحَلَاءِ الْمَدَامِجِ مَا ذَرَّ الْكَرَى بَيْنَ جَفْنَيْهَا مِنَ الشُّهْدِ
وَرُبَّ رَيْقٍ مُزِنٍ طَعْمُ رَيْقَتِهِ أَشْهَى مِنَ الرَّاحِ أَوْ أَخْلَى مِنَ الشُّهْدِ
لَكِنَّهُ رُبَّمَا طَالَ الثَّوَاءُ بِهِ وَعَافَهُ النَّاسُ لِلتَّطْوِيلِ فِي الْمُدِّ
فَرُبَّمَا جَاوَزَ الْمِقْدَارَ مَنْفَعَةً وَجَاءَ بِالْعَيْثِ صَوْبُ الْعَيْثِ وَالنَّكِدِ
وَكَمْ تَضَرَّرَ بَادٍ مِنْ تَنَاقُلِهِ وَكَمْ تَضَوَّرَ مِنْهُ سَاكِنُ الْبَلَدِ
يُقْبَلُ كَذَا ، لَا زَالَتْ سَنَةٌ أَنْوَأَتْهَا مَاطِرَةٌ ، وَسِنَةٌ الْكَرَى فِي مُقَلِّ نَوَارِهَا
خَاطِرَةٌ ، وَسَنَةٌ رِيَاضُهَا أَنْ تَتَبَرَّجَ مِنْهَا كُلُّ عَاطِرَةٍ ، وَلَا بَرَحَتْ أَلْسِنَةُ بُرُوقِهَا
لِقُلُوبِ السُّحُبِ فَاطِرَةٌ ، وَأَسِنَّةُ دَوْحِهَا مِنْ ذَلَالِ الْأَنْدَاءِ قَاطِرَةٌ ، لِتَحْفَظَ
لِمَوَائِقِ السُّحُبِ الْعُهُودَ ، وَيُقِضَ مِنْ وَثِيقِ السُّحُبِ الْعُقُودُ ، وَتَعْلَمَ يَدُ الْأَنْوَاءِ
إِذَا ضَنْتَ بِالْجُودِ كَيْفَ تَجُودُ .

مِنْ خَبَرِ هَذِهِ الْخِدْمَةِ ، وَإِنْ تَقَسَّمْتَ أَقْسَاماً ، وَسَرَّتْ أَقْوَاماً وَسَاءَتْ
أَقْوَاماً ، الْإِعْلَامُ بِأَخْبَارِ هَذَا الشِّتَاءِ ، وَأَحْوَالِ^(٢) هَذَا الْحَوْلِ فِي الْهَرَمِ
وَالْفَنَاءِ^(٣) ، وَأَنَّ الصَّنِيفَ أَقَامَ إِلَى آخِرِ كَانُونٍ ، وَمَا أُوقِدَتْ فِيهِ لِغَيْرِ شَمْسِهِ
جَمْرَةٌ ، وَلَا عُرِفَ مِنْ قَوْسِ قَزَحٍ فِي غَيْرِ جَنَاحِ شُعَاعِهِ خُضْرَةٌ وَلَا حُمْرَةٌ ، وَلَا
فُتِحَتْ فِيهِ لِلسَّمَاءِ أَبْوَابٌ ، وَلَا بَرَزَتْ الْأَرْضُ مِنْ صَنْدَلِ الطَّيِّبِ^(٣) فِي إِزَارٍ وَلَا
أَثْوَابٍ ، حَتَّى إِذَا قَيَّظَ النَّاسُ ، وَفُيِّضَ الْبَاسُ ، وَقِيلَ : هَذَا الشِّتَاءُ قَدْ آذَنَ

(١) فِي ب : يَرْمِي سَوَاكِبَ

(٢) فِي م : وَأَهْوَالِ وَالْفَنَاءِ .

(٣) فِي س : الطَّيْنِ .

بِذَهَابٍ ، وهذا البرق لا تَفْضِيضَ مِنْهُ لِمَثُورِ مَصَاحِفِ السَّمَاءِ وَلَا إِذْهَابَ ، آبَ مِنْهُ مَا ظَنَّ أَنَّهُ لَا يَوُوبُ إِلَّا بَعْدَ آبٍ وَأَيْلُولَ ، وَلَا يُرَى إِلَى السَّنَةِ الْآتِيَةِ رُذُنُ رَوْضِ مَبْلُولٍ .

وَأَقِيلَ وَقَدْ تَقَطَّعَ خَيْطُ مُزْنِهِ ، وَسَمَحَ مِنْهُ بِالكَثِيرِ بَعْدَ طُولِ خَزْنِهِ ، وَجَاءَ وَعَاءُ الْمَطَرِ فِي آخِرِ الشِّتَاءِ مَخْلُولَ الرِّبَاطِ ، وَكُلُّ مَا كُنِيَ عَنْهُ كَانُونُ صَرَخٍ بِهِ شُبَّاطُ ، فَجَاءَ لَا نَعْرِفُ أَيَّامَهُ مِنْ لَيَالِيهِ ، وَلَا زَوَائِحَهُ مِنْ غَوَادِيهِ ؛ وَتَوَاصَلَ مِذْرَارًا ، وَسَلَّ وَسَلَّ اسْتِمْرَارًا ، وَاسْتَدْرَكَ فَائِتَ الْغَمَامِ ، وَأَقْبَلَ بِالسُّحُبِ الثَّقَالِ وَالْبَحَارِ الْعِظَامِ ، وَدَنَا هَيْدَبُهُ مِنَ الْأَرْضِ وَاقْتَرَبَ ، وَحَلَّ صَبِيئُهُ وَكَاءَهُ وَسَكَبَ بِأَفْوَاهِ الْقَرَبِ ، وَحَلَّ صَبِيئُهُ إِلَّا أَنَّهُ مَا جَاءَ بِدِمَقْسٍ^(١) حَرِيرِهِ الْأَبْيَضِ إِلَّا مَحْلُولًا ، وَلَا طَارَ جَنَاحُ غَمَامِهِ الْغَرِيبِ الْأَسْوَدِ إِلَّا مَبْلُولًا ، وَمَثَلَ فِيهِ السَّحَابُ وَتَرَجَّمَ عَنِ الْبَحْرِ بِفِيهِ ، وَهَبَّتْ فِيهِ عَوَاصِفُ الشِّتَاءِ [١٣٠] وَكَانَ يُقَالُ : إِنَّ رَوَائِحَ الصَّيْفِ فِيهِ ، إِلَّا أَنَّ سَيُوفَهُ^(٢) لَمْ تُسَلَّ ، وَأَيْدِي مُزْنِهِ فِي سَلَسِيلِهِ لَمْ تُعَلَّ ، وَصَوَارِخُ رُعودِهِ مَا كَانَ مِنْهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ فَتَاشُ ، وَطُرُقُ أَنْوَانِهِ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ رَشَاشُ ، وَإِنَّمَا جَاءَتْ وَفَاقًا ، وَأَتَتْ عَمْدًا وَإِنَّمَا كَانَتْ اتِّفَاقًا ؛ وَالرَّكْبُ قَدْ حُسِسَ وَمَا انْطَلَقَ ، وَلَجَأَ إِلَى دُزَوَّةٍ وَخَافَ الْعَرَقَ ، وَأَضْحَتِ الْإِبِلُ فِي حَوْرَانٍ قَبْلَ رَمْلِ عَالِجِ بَوَارِكِ ، وَسُرَّتْ فَلَجَجَاتُ إِلَى الشَّامِ^(٣) بِمِثْلِ أَفْوَاهِ الْهَجَانِ الْأَوَارِكِ ، وَزَادَ الْأَمْرُ حَتَّى مُنِعَ طَوَارِقُ أَخْبَارِهِمْ أَنْ يَجِينَ ، وَجُعِلَ زَادُ الْحُجَّاجِ وَفَائِقُ أَخْبَارِهِمْ مِنْ عَجِينِ ، هَذَا وَكَمْ مِنْ جَمَلٍ قَدْ كُسِرَ ، وَرَجُلٍ مُطْلَقٍ فِي سَبِيلِهِ فِي حِبَالِ الشِّتَاءِ وَقَدْ أُسِرَ ، وَذِي هِمَّةٍ كَانَ كَأَنَّ لَمْ يُفَارِقِ الْمَدِينَةَ قَدْ

(١) فِي أ ، م : بِدِمَقْسٍ ! .

(٢) فِي س ، م : أَنَّ سَيُوفَ بَرَقَتْ لَمْ تُسَلَّ .

(٣) فِي م : وَسُدَّتْ فَلَجَجَاتُ الشَّامِ .

رَجَعَ ، وَآخَرَ صَمَمَ بِعِزِّ الْعَزْمَةِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَحْمَدِ الْمُتَجَعِّعَ .

وَكَانَ الرُّكْبُ الْحِجَازِيُّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بَحْرًا يَعْجُ عَجَاجُهُ ، وَبَرًّا يَضِيقُ
بِنَازِلِيهِ فِجَاجُهُ ، وَأَكْثَرُ الْقَوْمِ غُرَبَاءُ ، فَجَاؤُوا مِنْ بَعِيدِ الْمَسْرِى ، وَأَتَوْا مِنْ
خَلْفِ دَارٍ قَيْصَرَ وَكِسْرَى ، وَرَكِبُوا الْأَهْوَالَ ، وَبَذَلُوا الْأَمْوَالَ ، وَخَاضُوا
الْأَوْحَالَ ، إِلَى هَذِهِ الْأَحْوَالِ .

وَقَدْ حَبَّرَ الْمَمْلُوكُ بِنِضِّ الصَّحَائِفِ بِسَوَادِ^(١) هَذَا الْخَبَرِ ، وَعَبَّرَ عَنْ بَعْضِ
هَذِهِ الْعَبَرِ ، وَإِنَّمَا الْأَجْزُ عَلَى قَدْرِ الْمَشَقَّةِ ، وَلَوْلَا هَذَا لِمَا قَاسَ ذِرَاعَ مَطِيَّةِ
وَقَاسَى تِلْكَ الشَّقَّةَ ، وَمَنْ عَرَفَ مَا يَطْلُبُ هَانَ عَلَيْهِ مَا يَبْذُلُ ، وَالصَّغْبُ فِي لِقَاءِ
الْحَبِيبِ يَسْهُلُ ، وَهَؤُلَاءِ وَقَدْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهُ
مَا يُضَيِّعُهُمْ ، وَلَا يُنْسَى لَدَيْهِ صَنِيعُهُمْ : [مِن الطَّوِيلِ]

وَطُوبَى لِمَنْ أَمْسَى عَلَى دَارَةِ الْحِمَى لَهُ مَنْزِلٌ أَوْ دُونَهُ بِقَلِيلٍ
لَا زَالَتْ سَمَاوُهُ مَضْجِيَّةً ، وَشُمُوسُ أَيَّامِهِ مَضْجِيَّةً .

● فَكُتِبَتْ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ :

يُقَبَّلُ الْأَرْضَ مَعْنَى ، وَإِلَّا فَأَيْنَ الْأَرْضُ ؟ وَيَتَوَهَّمُ وُجُودَهَا ذَهْنًا ، وَإِلَّا فَهِيَ
مَفْقُودَةٌ لِيَوْمِ الْعَرْضِ ، غَطَّتِ الْأَمْطَارُ نَرَاهَا ، وَشَطَّتْ مَنَازِلُهَا وَبَعَدَ جِمَاهَا ،
وَحَطَّتْ بِهَا رَكَائِبُ الشُّيُولِ فَاجْتَحَفَتْ تَرْبَهَا فَمَا نَرَاهَا (تَرْبًا) ، وَبَلَغَ السَّيْلُ الرُّبَا
لَا الرُّبَى ، وَزَكَّى الْغَيْثُ وَنَمَتْ بَرَكَاتُهُ وَرَبَا ، وَأَقْبَلَ شِبَاطُ فَمَا آبَ آبَ ، وَوَلَّى
تَمُوزُ هَرَبًا ، فَأَيْنَ الْمَقَرُّ وَلَا عَاصِمٌ ؟ وَأَيْنَ الْخَلَاصُ وَنَحْنُ بِمُدَى هَذِهِ الْبُرُوقِ
فِي حَزِّ الْغَلَاصِمِ ؟ وَكَيْفَ وَضُوحُ الْحُجَّةِ لِلنَّجَاةِ ، وَهَذِهِ الرُّعُودُ الْقَاصِفَةُ
تُخَاصِمُ ؟ وَكَيْفَ وَكَيْفَ ؟ وَهَذَا الْبَرْدُ قَدْ فَعَلَ فِي الْأَجْسَامِ مَا لَا يَفْعَلُهُ

ذُبَابُ الصَّيْفِ ، وَأَهْوَنُ بِهِ ، بَلْ وَلَا ذُبَابُ السَّيْفِ .

وَيُنْهِي وَرُودَ الْأَبْيَاتِ الدَّالِّيَّةَ تَجَرُّ رِدَاءَ حُسْنِهَا ، وَتَصِفُ شِدَّةَ حَلَّتْ بِنَا ،
وَمَا نَحْنُ وَزْنَ مُزْنِهَا ، وَتَسْرُدُ خَبَرَ الثَّفُوسِ الَّتِي اِزْتَاعَتْ فِي أَجْسَادِهَا ، وَمَا
كَأَنَّهَا فِي كُنْهَا ، وَتَتَّصِلُ بِرَوْضَةِ حَمَائِمُهَا سَاجِجَةً ، وَكَوَائِبُ فَضْلِهَا لِلْإِسْتِقَامَةِ
رَاجِعَةً ، وَعُيُونُ مُحَاسِنِهَا تَسْهَرُ لَهَا الْعُيُونُ وَهِيَ مِلءٌ جَفُونِهَا هَاجِعَةً ، فَشَغَلَهُ
حَلْيُهَا الَّذِي لَا يُعَارِ لِسَوَاهَا ، وَبُهِتَ لِهَذِهِ النَّيِّرَاتِ الَّتِي رَفَعَ [٣٠ ب] قَلَمُهُ سَمَكَهَا
فَسَوَّاهَا ، وَتَنَزَّهَ فِي نَفْسِهَا الَّذِي أَغْطَشَ لَيْلَهَا ، وَطَرَسَهَا الَّذِي أَخْرَجَ ضُحَاهَا .

وَقَالَ : أَلَا هَكَذَا فَلْيَكُنْ كَلَامُ مَنْ أَنْشَأَ ، وَأَبْطَنَ الْمَعَانِي الْبَلِغَةَ وَغَشَّاهَا مِنْ
الْأَلْفَافِ وَمَا غَشَّى ، وَكَتَبَ وَهَذَا مَجَازٌ ، وَإِلَّا فَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ طَرَزَ وَطَرَفَ ،
وَوَشَّعَ وَوَشَّى ، وَمَا يَقُولُ الْمَمْلُوكُ إِلَّا أَنَّ مَوْلَانَا مَلَكَ هَذَا الْفَنِّ وَالنَّاسُ عَلَيْهِ
عِيَالٌ ، وَهُوَ يَمْشِي فِي نُورِ أَيَّامٍ وَالنَّاسُ يَخْبِطُونَ فِي ظُلُمَاتٍ لَيَالٍ ، وَهُوَ يَقْطِفُ
زَهَرَ الْكَلَامِ وَيَجْنِي ثِمَارَهُ ، وَغَيْرُهُ يَحْتَطِبُ شَوْكَ السِّيَاحِ وَالسِّيَالِ .

فَلَقَدْ وَصَفَ هَذِهِ الشَّدَائِدَ بِمَا وَصَفَ ، وَحَكَى الْحَالَ الَّذِي كَمَ بَارِقٍ فِيهِ
لَمَعٌ ، وَكَمْ رَاعِدٍ قَصَفَ ، وَأَطْرَبَ الْأَلْبَابَ فَلَا خُدَّ وَزْدَ إِلَّا فِي خَبَجَلٍ ، وَلَا
غُضْنَ بَانَ إِلَّا أَنْقَصَفَ ؛ وَهُوَ حَرَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا وَصَفَ عَرَفَ مَا يَقُولُ ، وَأَتَى
بِمَا تَنْفَصِمُ لَهُ عُقُودُ الْعُقُولِ ، وَحَسَّنَ مَا يَهْوَنُ وَرَوَّعَ مَا يَهُولُ ، وَأَوْضَحَ الْمَعَانِي
فَمَا تَخْفَى إِلَّا عَلَى غَيْبٍ أَوْ جَهُولٍ ، فَاللَّهُ يُدِيمُ لَنَا هَذِهِ الْفَوَائِدَ الَّتِي هِيَ لِلذُّنُوبِ
هَذِهِ الشَّدَائِدُ كَفَّارَةٌ ، وَلِهَذِهِ السَّيِّئَاتِ الشَّتَوِيَّةُ غَفَّارَةٌ .

وَقَدْ أَجَابَ الْمَمْلُوكُ عَنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الطَّائِلَةِ بِقُصُورِهِ ، وَأَتَى بِأَكْوَاخِهِ
الصَّبِيغَةِ إِلَى مَلِكِ الْإِنْشَاءِ وَهُوَ فِي فَسِيحَاتِ قُصُورِهِ ، وَمَا ثَمَّ إِلَّا اسْتَرَّ مَوْلَانَا الَّذِي
عَوَّدَ إِسْبَالَهُ ، وَجَلَّمَهُ الَّذِي يَسْعُ هَفَوَاتٍ غَيْرِهِ ، وَلَوْ أَنْصَفَ نَتَفَ سِبَالَهُ ؛

وهي ^(١) : [من البسيط]

ما لِلْغَمَائِمِ قد أُرْسَتْ عَلَى الْبَلَدِ
وَحِينَ لَا حَتَّ عَلَى بُعْدِ طَلَائِعُهَا
خَاطَتْ عَلَيْهَا ثِيَابَ الشُّحْبِ فَالْتَأَمَتْ
وَلَمْ تَبْتَثْ أَعْيُنُ الْأَنْوَاءِ بَاكِئَةً
كَمْ شَقَقَ الرَّغْدُ جَيْباً مِنْ سَحَائِبِهِ
يَا لِلْعَجِيبِ قِبَابُ الشُّحْبِ قد وَقَفَتْ
فَاسْمَعْ حَدِيثَ عَنَاءٍ قد أَحَاطَ بِنَا
أَبُو قِلَابَةٍ يَرْوِي الْيَوْمَ عَنْ مَطَرٍ
لَا يُوجِسُ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يُقَالُ لَهُ
أَمَّا الثُّجُومُ فَشَيْءٌ كَانَ فِي زَمَنِ
كَذَا الْفِرَاءِ وَكَانَتْ ذَاتَ مَنْفَعَةٍ
وَهَكَذَا كُلُّ لُبْدٍ كُنْتَ تَعْهَدُهُ
وَمُذْ نَشَدْتُ ثِيَاباً أَسْتَعِينُ بِهَا
قَدْ أَفْقَرْتُ رَاخَتِي مِنْ رَاخَتِي وَخَلْتُ
فَلَا تُقْلُ إِنَّ ذَا لِلزَّرْعِ مَصْلَحَةٌ

وَلَمْ تُفَارِقْ مَغَانِيهِ مَدَى الْأَبَدِ ^(٢)
سَاقَتْ إِلَيْنَا بَرِيدَ الْبَرْدِ وَالْبَرْدِ
هَذَا وَخَيْطُ الْحَيَا خَالٍ مِنَ الْعُقَدِ
إِلَّا وَلِلْبَرْقِ فِيهَا حُمْرَةُ الرَّمَدِ ^(٣)
وَقَلْبَ الْبَرْقِ فِيهَا قَلْبَ مُزْتَعِدٍ
هَذَا الزَّمَانُ وَمَا قَامَتْ عَلَى عَمَدٍ
مِنْ عَهْدِ نُوحٍ وَحَتَّى الْآنَ لَمْ يَرِدْ
عَنْ ثَابِتٍ عَنْ يَزِيدٍ وَاصِلَ السَّنَدِ
شَمْسُ النَّهَارِ فَمَا تَبْدُو لِمُزْتَصِدٍ
مَضَى حَمِيداً فَقَدْ وَلَّى وَلَمْ يَعُدْ
« أَفَوْتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبَدِ » ^(٤)
« أَخْنَى عَلَيْهِ الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ » ^(٥)
« عَيْتٌ جَوَاباً وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدٍ »
« وَلَمْ أَعْرِضْ أَبَيْتَ اللَّعْنِ بِالصَّفَدِ »
« يَسْعَى لِنَفْعِي وَيَسْعَى سَعْيٌ مُجْتَهِدٍ » ^(٦)

(١) ستة من هذه الأبيات في الكشف والتنبيه ٢٣٣ .

(٢) في ب ، س : . . . مَدَى الْأَبَدِ .

(٣) البيت ساقط من أ ، م .

(٤) الأعجاز الآتية مضمّنة من دالية النابعة الدُّبْيَانِي ، ديوانه ٢ - ٢٦ .

(٥) في س : . . . كُنْتُ أَعْهَدُهُ .

(٦) هذا العجز والذي يليه مضمّنان من قول أسامة بن منقذ في ضررٍ له قَلَعَهُ : [ديوانه ١٥٢ ومختصر

تاريخ دمشق ٢٦٠/٤]

وصاحب لا تملُ الدهرَ صحبته يشقى لنفعي ويسعى سعي مجتهد

فَلَيْتَ هَذَا الشَّتَاءَ الصَّغْبُ مَذْ وَقَعَتْ
بَزْدٌ لَوْ أَنَّ الْوَرَى جَاءَتْ تُبَايَعُنِي
مَا نَحْنُ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ كِي يَطُوفَ بِنَا الطُّ
لَقَدْ سَكِرْنَا مِنَ الْهَمِّ الْمُبْرَحِ لَا
فَالْوَكْفُ رَاوِقُنَا وَالْبَيْتُ بَاطِيَةٌ
فَالْأَنْفُ بِإِكِّ لَأَنَّ الْعَيْنَ جَامِدَةٌ
قَدْ مَرَّ كَانُونَ خِلُوعاً مِنْ أَدَى وَقْدَى
[٣١] فَجَا شِبَاطُ بَسِيْبَاتِ السَّحَابِ إِلَى
فَكَمْ رَمَى نَبْلٍ وَبَلٍ بَاتَ يَزْشُقُنَا
مَا كَانَ أَغْنَى الْوَرَى فِي ذَا الْقَطُوعِ وَذَا التَّ
فَلَا تَقُلْ إِنَّ هَذَا رَحْمَةٌ نَزَلَتْ
إِنْ دَامَ لَا دَامَ عَمَّ الْهَلْكَ أَجْمَعْنَا

« عَيْنِي عَلَيْهِ افْتَرَقْنَا فُرْقَةً الْأَبَدِ »
عَلَى الْخِلَافَةِ لَمْ أَقْدِرْ أَمْدُ يَدَيِ
طُوفَانُ فَافْهَمُ لِتَعْرِضِي عَلَى بُعْدِ
مِنْ رَاحِ رَاحَةٍ سَاقٍ فَاتِنِ الْجِيدِ
وَنَحْنُ مِثْلُ حَبَابٍ فِيهِ مُنْتَضِدِ
وَالْجِلْدُ مِمَّا يُلَاقِي عَادِمُ الْجِلْدِ
وَجَمْرَةُ الشَّمْسِ لَا تَخْبُو لِمُتَقَدِّ
أَنْ جَلَّلَ الْأَفَقَ ثَوْباً لَمْ يُخْطُ بِيدِ
وَلَيْسَ تَمْنَعُهُ مَوْضُونَةُ الزَّرْدِ
تَغْتَبِرُ عَنْ لَقَطِ هَذَا اللَّوْلُؤِ الْبَدَدِ
فَإِنَّ هَذَا قِيَاسُ غَيْرِ مُطَرِّدِ
وَمَا لَنَا غَيْرَ رُحْمَى الْوَاحِدِ الصَّمَدِ

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ عِنْدَ قُدُومِي مِنَ الْقَاهِرَةِ ، أَوَّلَ سَنَةِ ٧٤٦ يَطْلُبُ مِنِّي
جَوَاباً كَتَبْتُهُ عَنِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلِ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ - إِلَى
السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَرْيُونِيِّ صَاحِبِ مُرَاكِش^(١) : [من الطويل]

رَعَى اللَّهُ قَلْباً لَا يَزَالُ يَشُوقُهُ
وَدَهْرًا أَعَادَ اللَّهُ فِيهِ زَمَانَنَا
فَمَا مِثْلُ مَنْ قَدْ كُنْتُ فَارَقْتُ شَخْصَهُ
لَقَدْ جَلَّ يَوْمَ الْبَيْنِ قَدْرُ فِرَاقِهِ
حَبِيبٌ عَلَى طُولِ الْمَدَى وَخَلِيلُ
وَقُصَّرَ ذَيْلُ الْفِرَاقِ طَوِيلُ
وَعَادَ وَقَلْبِي بِالْبِعَادِ عَلِيلُ
وَهَلْ كَخَلِيلٍ فِي الْفِرَاقِ خَلِيلُ

= لَمْ يَيْدُ لِي مِثْلُ تَصَاحِبِنَا فَحِينَ بَدَأَ لِنَظَائِرِي افْتَرَقْنَا فُرْقَةً الْأَبَدِ
(١) رسالة أبي الحسن المربني ، أوردها المقري في نفع الطيب ٣٨٦/٤ . وجواب الصفدي عنها في
٣٩٤/٤ وما بعد . وينظر إجازة الصفدي برواية رسالته في ٣٩٩/٤ .

المَمْلُوكُ يُقْبَلُ كَذَا^(١) ، التي جاءتْ هِيَ وَبَوَاكِيْرُ الرَّبِيعِ عَلَى قَدَرٍ ، وَوَرَدَتْ قَبْلَ الْوَرْدِ ، وَالْبَذْرَةُ لِمَنْ بَدَرَ ، وَعَادَتْ وَأَبْقَتْ النِّيلَ بِحُمْرَةِ خَجَلِهِ ، لِأَنَّ أَبَا الصَّفَاءِ لَا يُمَاطِلُهُ أَبُو الْكَدَرِ .

وَيُنْهِي تَشْوِيقَهُ إِلَى الرِّسَالَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ وَمَا كُتِبَ فِي جَوَابِهَا ، وَمَا يَشْكُ أَنَّهُ قَدْ سَاقَ إِلَى الْمَغْرِبِ الشَّمْسَ ، وَأَنْسَى بَيَوْمِهِ فِي الدِّيَّانِ كُلِّ أَمْسٍ ، وَأَسْمَعَ الْمَرِيْنِيَّ مَا لَمْ يَمُرَّ بِسَمْعِهِ مِنْ لِسَانٍ ، وَأَرَاهُ مِنْ مَقْدَمِهِ أَحْسَنَ مِنْ يَوْمٍ فَتَحَ تِلْمِسَانَ ، هَذَا إِلَى مُتَجَدِّدَاتِ هَذِهِ الرَّخْلَةِ مِمَّا لَا يُؤَلِّدُهُ مِنَ الدَّرِّ مَطَرُ نَيْسَانَ .

● فَكُتِبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ : [مِن الطويل]

خَلِيلُكَ إِذْ وَافَى حِمَاكَ تَرَفَّعْتَ بِهِ رُتَبٌ أَدْنَتْهُ فَهَوَ جَلِيلٌ
وَصَالَ وَهَابَتْهُ النَّوَى وَسَمَا بِهِ إِلَى الشُّهْبِ فَرْعٌ لَا يُرَامُ طَوِيلٌ
وَعَادَ فَعَادَتْهُ الْمَسَرَّةُ بَعْدَمَا مَضَتْ مُدَّةٌ بِالْبُعْدِ وَهُوَ عَلِيلٌ
وَمَنْ جَاءَ مِنْ مِصْرٍ إِلَى الشَّامِ قَاصِدًا إِلَيْكَ تَلَقَّاهُ بِجُودِكَ نِيلٌ
يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي وُرُودَ الْمِثَالِ الَّذِي خَسَفَ حُسْنُهُ الْقَمَرَ ، وَأَرَاهُ تَرَفَّعَ
الزُّهْرُ وَتَفْتَحَ الزَّهْرُ ، وَفَضَحَ رَوْنَقُهُ الدَّرَارِي ، وَإِنْ تَنَازَلَ فَقَدْ أَخْجَلَ الدَّرَرَ ،
وَتَحَقَّقَ أَنَّهَا دَوْحَةٌ أَخْرَجَهَا مَنْ ضَرَبَتْ أَغْرَاقُهُ الطَّيْبَةَ إِلَى عُمَرٍ ، وَامْتَثَلَ مَا رَسَمَ
بِهِ مَوْلَانَا وَجَهَّزَهُ ، عَلِمًا بِأَنَّهُ قَدْ أَهْدَى الذُّبَابَةَ إِلَى النَّيِّرِ الْأَعْظَمِ ، وَجَهَّزَ النِّيلَ
الْمُخْتَرِقَ إِلَى الْبَحْرِ الْمُفْعَمِ ، وَعَرَضَ عَلَى غُوطَةِ قَاسِيُونَ حَاجِزَ الْمُقَطَّمِ^(٢) ،
فَأَيْنَ جَوَابُ الْغَرْبِ مِمَّنْ مَلَأَ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ ذِكْرُهُ ؟ وَأَيْنَ هَشِيمُ الْمُقِلِّ مِنْ
مُكْثِرِ سَدِّ الْأَبَاطِحِ وَالرُّبَا زَهْرُهُ ؟ فَإِنْ كَانَ فِيهَا مَا يَرُوقُ فَهُوَ مِنْ بَضَائِعِ مَوْلَانَا الَّتِي
رَكَّاهَا اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَسَاقَ هَذِي هَدِيَّتَهَا إِلَيْهِ ، وَإِلَّا فِكَلَامُ الْعَاجِزِ عَجُوزَ ،

(١) فِي م : يَقْبَلُ الْأَرْضَ .

(٢) فِي ب : حَاجِرُ حَجَرِ الْمُقَطَّمِ .

وَمُقَابَلَةُ الشُّهْبِ بِالْحَصَى لَا تَجُوزُ ، وَاللَّهُ يُدِيمُ فَوَائِدَ مَوْلَانَا الَّتِي تَهْدِي فَوَاكِهَ
أُلْبُولَ إِلَى مَنْ فِي قَلْبِهِ حَرٌّ تَمْوُزُ ، بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ ، وَأَنَا بِصَفْدِ الْمَحْرُوسَةِ ، فِي سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةِ وَسَبْعِمِئَةِ
جَوَاباً :

لَا زَالَتْ فِطْنَتُهُ دَاعِيَةً لِإِسْرَاعِ ، وَمَحَاسِنُهُ مِلَّةَ الْأَبْصَارِ وَالْأَفْوَاهِ
وَالْأَسْمَاعِ ، وَتُنْهِي وَقُوفَهُ عَلَى كُلِّ مِنَ الْجَوَابِينَ ، فَوَقَّفَ النَّظَرَ عَلَيْهِ وَحَسَبَهُ ،
وَاسْتَأْنَسَ بِهِ فَأَمَّنَ سَمْعُهُ وَأَنَسَهُ ، وَاجْتَنَى [٣١ب] مَعَانِيهِ فَتَحَقَّقَ أَنَّهَا مِنْ ثَمَرَاتِ
ذَلِكَ الْغَرْسِ ، وَتَمَتَّعَ مِنْ مَحَاسِنِهِ بِجَنَاتٍ فِيهَا مَا تَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَتُسْتَهْيِي النَّفْسُ ،
وَعَلِمَ أَنَّهَا أَمِنَا أَنْ يُعَزَّزَ بِثَالِثٍ ، وَأَنْ يُضَاهِيَهُمَا إِلَّا عَابِثٌ ، وَأَنَّهَا الشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ ، وَالْبَحْرُ وَالْمَطَرُ ، وَاسْتَسَرَّ^(١) بِهِمَا وَتَهَنَّى ، وَقَالَ^(٢) : أَتَاكَ الْمَجْدُ مِنْ
هَئَا وَهَئَا^(٣) : [من الطويل]

سَمَتْ نَحْوَهَا الْأَبْصَارُ حَتَّى كَانَتْهَا بِنَارِيهِ مِنْ هَئَا وَثُمَّ صَوَالِي
وَقَالَ : هَكَذَا فَلْيَكُنْ مَنْ يُكَاتِبُ ، وَبِمِثْلِ هَذَا فَلْيُجَاوِبْ مَنْ يُجَاوِبُ ،
وَتَسَاوَتْ قِيَمَتُهَا فَلَمْ يَذَرِ أَيُّهُمَا يُفْضَلُ ، وَبَهَرَتْ أَنْوَارُهُمَا حَتَّى دَهَشَ ، أَيُّهُمَا
يَبْدَأُ بِهِ وَيَتَأَمَّلُ ؛ إِلَى أَنْ وَجَدَ أَحَدَهُمَا مُوشِعاً بِالْخَطِّ الْكَرِيمِ الْبَهَائِيِّ مَرْقُومٌ ،
مُشْتَمِلاً عَلَى رِيَاضِ صَدَرَتْ مِنْ أَنْامِلِهِ الشَّرِيفَةِ عَنْ غُيُومٍ ، وَمَا جَعَلَهُ فِي أَثْنَاءِ
ذَلِكَ الْكِتَابِ إِلَّا خَشْيَةً أَنْ يَبْدَأَ الْعُقُولَ فَيَشْدَهُمَا^(٤) بِالْخَيَالِ ، وَمَا كَانَ مَوْضِعُهُ
الْحَوَاشِي إِلَّا لِيُشْهِدَ لِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ عَلَيْهِ خَطُّ الْكَمَالِ ، وَلَا عَدَمَ الْمَمْلُوكُ مِنْ عَوَارِفِهِ

(١) فِي س : وَاسْتَسَرَّ . وَفِي م : وَاسْتَبَشَرَ .

(٢) صَدْرِ بَيْتِ لَأَبِي وَجْزَةِ السُّعْدِيِّ ، فِي دِيْوَانِهِ ١٦٠ . وَعَجْزُهُ :

وَكُنْتُ لَهُ بِمُغْتَلَجِ الشُّيُولِ

(٣) الْبَيْتُ لِأَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ ، فِي سَقَطِ الزُّنْدِ ٣/ ١١٦٤ .

(٤) فِي م : فَيَدْهَشُهَا .

في تالِدِ الفضلِ وطارِفِهِ : [من الخفيف]

مُحْسِنًا لَمْ يَدْعَ لَنَا بِأَيَادِيهِ ـــ عَلَى كَثْرَةِ الرَّجَاءِ رَجَاءُ
جَادَ قَبْلَ السُّؤَالِ بِرَأً فَلَمَّا ـــ لَمْ نَسَلْ مِنْ نَدَاهُ جَادَ ابْتِدَاءُ

ولقد استدرجَ كَرَمُهُ لِسَانَ المَمْلُوكِ ، عَمَّا كَانَ بِصَدَدِهِ مِنْ ذِكْرِ المُشْرِفِ
الوارِدِ ، وَوَصَفَ مِنْهُ التي تَبَثُّ في الأَعْنَاقِ كَالْفَلَانِدِ ؛ فَإِنَّ المَمْلُوكَ كَانَ قد
سَكِرَ بِمَا أَدَارَهُ القَلَمُ البَهِائِيُّ مِنْ كُؤُوسٍ تَصْرَعُ الأَلْبَابَ ، وَتَضْرِبُ بَيْنَ المَرْءِ
وَعَقْلِهِ بِحِجَابٍ ، وقد آنَ لِلْمَمْلُوكِ أَنْ يَصْحُو ، وَأَنْ يَقْصِدَ طَرِيقَ الأَدَبِ
وَيُنْحُو ، فيقولُ : إِنَّ المُشْرِفَتَيْنِ الكَرِيمَتَيْنِ وَإِنْ ثُلُثَا^(١) عَدَدًا ، وَسَلَكْنَا طَرِيقَ
قَدَدًا ، فَدَرُّهُمَا مُؤْتَلَفٌ ، وَبِرُّهُمَا لَا يَخْتَلِفُ ، وَوَصَلَ قَرِينَهُمَا مَا أَنْعَمَ بِإِنْفَاذِهِ
مِمَّا كَانَ المَمْلُوكُ التَّمَسُّهُ مِنْ كَرَمِهِ ، وَاسْتَهْدَاهُ^(٢) مِنْ مَوَاهِبِ قَلَمِهِ .

وَأَمَّا مَا كَانَ بَلَّغُهُ مِنَ الْأَخْبَارِ عَنِ الْجَنَابِ الزَّيْنِيِّ ، فَالْجَوَابُ عَنْهُ قَوْلُ
مِهْيَارِ .

وَأَمَّا المِراثِي الشَّهَابِيَّةُ ، فنَظَمَ الجَنَابَانِ الشَّرِيفَانِ العَلَايِيُّ والشَّهَابِيُّ وَلَدَا
غَانِمٍ أَبْقَاهُمَا اللهُ تَعَالَى قَصِيدَتَيْنِ ، بِلَ فَرِيدَتَيْنِ ، وَكَانَ الجَنَابُ العَالِي ابنُ نُبَاتَةَ
غَائِبًا عَنْ مَوْتِهِ ، فَلَمَّا حَضَرَ عَمِلَ قَصِيدَةً هَتَفَ بِهَا كُلَّ سَامِعٍ ، وَاسْتَبْكِي بِهَا
حَتَّى أَعْيَنَ الثُّجُومِ الطَّوَالِجَ ؛ وَعَمِلَ الأَدِيبُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ الْخِطَّاطِ مَرْثِيَةً
لَمْ يُرَفَّعْ لَهَا عَلمٌ ، وَلَا تَلَجَّلَجَ بِهَا نَعْمٌ ؛ وَتَقَدَّمَ مِنَ المَمْلُوكِ نَظْمٌ وَاحِدَةٌ ، وَبَلَغَ
المَمْلُوكُ أَمْرًا اقْتَضَى كَتْمَهَا^(٣) ، وَيَتَنَاسَى مَا فِيهَا ؛ وَعُقُوبَتُهَا يُجَهِّزُ بِهَا وَرَقَةً
مُحَبَّسَةً لِبَدَائِعِهَا وَحَابِسَةً ، لِيَقِفَ عَلَيْهَا فَيَدْفَعَ الأَرْبَعَةَ وَيَكْتُمُ الخَامِسَةَ ، وَأَوْصَلَ

(١) في أ ، ب ، س : ثَانِثًا .

(٢) بداية سقط في ب مقداره ورقة .

(٣) في س : اقتضى أن يخفيها .

المَمْلُوكُ إِلَى الْيَدِ الْكَرِيمَةِ النَّاجِيَةِ ، ابْنِ الْمَقَرِّ الْكَرِيمِيِّ ، كِتَابُهُ وَقَدْ وَعَدَ فِيهِ بِالزِّيَارَةِ ، فَأَوْقَفَ اللَّوَاحِظَ دَبَابِبَ السُّبُلِ تَتَرَقَّبُ انْتِظَارُهُ ، وَالْمَسَامِيعَ رَبِيبَةِ الرُّسُلِ لِتَسْمَعَ أَخْبَارَهُ ، وَالْمُسْتَمَدَّ مِنْ تَفْضِيلِهِ أَنْ يُوَاصِلَ بِخِدْمِهِ مَا دَامَ فِي قَوْسِ الْقَطِيعَةِ مَنْرَعٌ ، وَلِلرَّأْيِ تَرَدُّدٌ يُخْشَى وَيَتَوَقَّعُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُقَرِّبُهُ مَقِيلًا ، وَلَا يُعْذِمُ الْمَمْلُوكَ^(١) خَلِيلًا عَلَى الْحَقِيقَةِ جَلِيلًا ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ بِصَفَدِ الْمَحْرُوسَةِ فِي سَنَةِ ٧٢٠ جَوَابًا عَنْ كِتَابِ عَطْفَتِهِ عَلَى مُوشِحَةِ نَظْمَتِهَا مُعَارِضًا [١٣٢] بِهَا الْمَوْصِلِيُّ أَحْمَدُ بْنُ حَسَنِ ، وَسَوْفَ يَأْتِي ذِكْرُهَا فِي ذِكْرِ جَمَالِ الدِّينِ يَوْسُفَ الصُّوفِيِّ فِي حَرْفِ الْيَاءِ :

لَا زَالَتِ^(٢) الْبَلَاغَةُ جَنَى غَرْسِهَا ، وَالْبَرَاعَةُ شَانَ نَفْسِهَا ، وَقَبَّلَ الْمَمْلُوكُ تِلْكَ الْعَقَائِلَ الطَّالِعَةَ ، وَاسْتَشْفَى بِتِلْكَ الْمَوَاهِبِ النَّافِعَةَ ؛ وَفَهَمَ الْمَمْلُوكُ الْإِشَارَةَ فِي تَأْخِيرِ الْجَوَابِ الْبَهَائِيِّ ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ الْمُشْرِفَ الْمُشَارَ إِلَيْهِ حِينَ وَرَدَ ، اسْتَبَقَ نَظْرُ الْمَمْلُوكِ وَبَنَانُهُ إِلَى تَأْمُلِهِ وَالْإِجَابَةِ عَنْهُ ، وَازْدَحَمَتْ فِي طَرِيقِ نَظْمِهِ أَلْفَاظُهَا ، وَالْأَلْفَاظُ الْمُنْقُولَةُ مِنْهُ ، وَجَهَّزَهُ مَعَ قَاصِدٍ ، لَا شَكَّ أَنَّهُ عُرِفَ أَنَّهُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ ، فَكَبَّدَهُ ظَهْرِيًّا ، وَجَعَلَهُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ، وَلَمْ يَتَأَخَّرِ الْمَمْلُوكُ مُحْجِمًا ، مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّ الْإِحْجَامَ كَانَ بِمِثْلِهِ أَلْبَقَ ، لِيَسْتَرْ تَقْصِيرَهُ ، وَيُخْفِيَ عُيُوبَ فَهَائِهِ ، وَيُحِيلَ الْمُحْسِنَ عَلَى إِحْسَانِهِ الَّذِي يَكْفِيهِ مُجَازِيًّا وَيُمَاطِلُهُ مُجَازِيًّا .

وَقَدْ أَعَادَ الْمَمْلُوكُ إِلَى الْجَنَابِ الْبَهَائِيِّ خِدْمَةً ثَانِيَةً ، لَعَلَّ فَصَاحَةَ الْمَوْلَى فِي الْإِيرَادِ تُعْذِيهَا فَتُلْبِسُهَا الْمَحَاسِنَ ، وَتُكْسِيهَا الْمَيَامِينَ .

وَأَمَّا إِشَارَةُ الْمَوْلَى إِلَى الْمَوْشِحَةِ الَّتِي عَارَضَ بِهَا الْمَوْصِلِيُّ فِي الْوِزَنِ

(١) فِي س : وَلَا يَعدِمُ الْمَمْلُوكُ مِنْ بَقَائِهِ خَلِيلًا .

(٢) فِي م : يَقْبَلُ الْيَدَ ، لَا زَالَتِ .

وَالرَّوْيُ مُلتَزِمًا مَا جَاءَ بِهِ الْمُشَارُ إِلَيْهِ فِي عَفْوِ قَرِيبَتِهِ مِنَ الْغُصُونِ وَالْأَقْفَالِ ،
وَنَسَجِهِ عَلَى ذَلِكَ الْمِنْوَالِ ، فَقَدْ تَأَمَّلَهَا الْخَادِمُ وَاسْتَمَلَّهَا ، وَاسْتَجَلَّهَا
وَاسْتَخْلَاهَا ، وَأَخْضَرَهَا مَعَ مُوشَحَةِ الْمُؤَصِّلِي ، فَأَقْسَمَ بِالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ،
وَذَكَرَ بِهَا فَرِيدَةَ الْجَمَالِ ، فَقَالَ : وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ، وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّاهَا ، وَاللَّيْلِ
مِنْ سَوَادِ وَجْهِ مُعَارِضِهَا إِذَا يَغْشَاهَا ؛ وَتَمَثَّلَ الْقَوَافِي عَلَى غُصُونِهَا حَمَائِمَ ،
وَالْحَشَوِ عَلَى سَجَعَاتِهَا كَمَائِمَ ، وَعَذَّرَهَا فِي اتِّخَاذِ الْأَقْفَالِ عَلَى مَا صَانَ مِنْ
دُرِّهَا وَصَاغَ مِنْ تَبْرِهَا ، وَقَابَلَهَا بِكُلِّ مَا قِيلَ فِي هَذَا النُّوعِ فَوَجَدَهَا كَاسِفَةً ،
وَمَائِلَةً بِأَمْثَالِهَا فَغَدَثَ عَلَى حَظُّهَا إِذَا قِينَتُ أَحَاسِنُ الْمَحَاسِنِ آسِفَةً ، وَلَقَدْ
وَقَعْتُ مَوْقِعَ الْاسْتِخْسَانِ ، وَأَتَتْ كَامِلَةَ الْإِحْسَانِ ؛ لَوْ اهْتَدَتْ الْعَرَبُ الْأُولَى
إِلَى طَرِيقِهَا لَعَدَلْتُ إِلَى الْمُوشَّحَاتِ عَنِ الْقَصَائِدِ ، وَلَوْ أَلْفَهَا الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ
لَا سَتَفْتَحَ بِفَرَائِدِهَا مَا أَلَّفَ مِنْ « الْقَلَائِدِ » ، وَقَدْ عَطَفَهَا الْمَمْلُوكُ عَلَى مُوشَحَةِ
الْمَوْلَى جَمَالِ الدِّينِ مُقْتَضِبَةً مِمَّا كُتِبَ عَلَيْهَا^(١) مِنْ أَثْنِيَّةِ بُلْغَاءٍ لَمْ يُقَدِّرُوهَا حَقَّ
قَدْرِهَا ، وَلَا نَهَضُوا بِشُكْرِهَا ، مَعَ إِطَالَةِ تَفْضِي بِمُطَالِعِهَا^(٢) إِلَى الْمَلِكِ ،
وَتَشْرُحُ بِدَائِعِهَا عَلَى وَجْهِ الْجُمَلِ ، عَارِيَةً مِمَّا حُلِيَتْ بِهِ مِنْ وَصْفِهِمْ ، إِذَا كَانَتْ
الْمَلِيحَةُ تَغْنِي عَنْ حُلِيِّ وَعَنْ حُلَلٍ ؛ فَإِنَّ الْمَمْلُوكَ آثَرَ اسْتِنْسَاحِهَا ، وَاسْتَكْثَرَ
نُسَاحِهَا ، لَكِنْ ضَاقَ فِتْرٌ عَنْ مَسِيرِ^(٣) ، وَشَهِادَتُهَا لِنَفْسِهَا بَيِّنَةٌ لَا تُدْفَعُ ، وَحَسِبُ
الْمَلِيحَةَ أَنْ تَأْتِيَ سَافِرَةً وَلَا تَتَبَرَّقَعَ .

مُحِبُّ الْمَوْلَى الْجَنَابِ الزَّيْنِيِّ يُنَحِّفُهُ بِسَلَامٍ أَرْبِجِ النَّفْحَةِ ، بِهِجِ اللَّمَحَةِ ،
اعْتَزَّضَ بِهِ وَظَائِفَ الْأَذْعِيَةِ الَّتِي يَسْتَغْرِقُ بِهَا أَوْقَاتَهُ ، فَقِيلَ : هَذِهِ شَذْرَةٌ فِي
سُبْحَةِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) نهاية السقط في ب .

(٢) « بمطالعها » : ساقطة من أ ، م .

(٣) فوقها في أ : كذا .

● وكتبْتُ إليه كتاباً ، جواباً عن الأمير سيفِ الدين طُفْرَتْمَر^(١) نائب الشَّامِ المحروسِ ، وقد طُلِبَ إلى البابِ الشَّريفِ تحتَ الاختِرَازِ ، فلمَّا وَصَلَ إلى بلبَيسَ جاءَ بالإفراجِ [ب ٣٢] عنه ، وأنَّ يعودَ إلى الشَّامِ في سنة ٧٤٣ :

بَسَطَ اللهُ ظِلَّ المَقَرِّ الشَّريفِ^(٢) الشَّهابيِّ ، وخارَ لَهُ في الطَّعْنِ والإقامَةِ ، وأقدَمَهُ على ما يَسُرُّ أوليائَهُ من السَّلامَةِ ، وأطْلَعَ وَجْهَهُ الوَضَّاحَ على مَحَبَّتِهِ ، فَإِنَّهُ يَجْلُو الظَّلامَ والظُّلَامَةَ .

المَمْلوكُ يُقَبِّلُ يَدَ الشَّريفةِ التي تُخْجِلُ العِمَامَةَ ، ويخدمُ بدُعاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أعلامِ القَبولِ علامَةً ، وَيَصِفُ وَدّاً ما سَامَهُ من الإخلاصِ سَامَةً ، وَيَذْكُرُ مَحَبَّةَ ما لَهَا في العِرامِ غِرامَةً ، وَيُبَيِّثُ ثَناءً يَفْعَلُ بالألبابِ ما لا تَفْعَلُهُ المُدَامَةُ .

وَيُنْهِي إلى العَلَمِ الكَرِيمِ وَرُودَ المُشْرِفِ العالِي ، فِقابِلَ مِنْهُ مُحَيّا يَتَلَألُ نُوراً ، وَحِباهُ حُبوراً ، وَمَلَأَ حِجَرَ سَمْعِهِ لُؤْلُؤاً مَشْهُوراً ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ مَوْلانا يَنْقَلِبُ إلى أَهْلِهِ مَسْروراً ، وانْتَهَى مِنْهُ إلى الإِشارَةِ العالِيَةِ من مُسابقَتِهِ بالصدقاتِ الشَّريفةِ ، وتلقَّيهِ إلى بلبَيسَ بِما اسْتَفَرَّ بِهِ خَاطِرُهُ الكَرِيمُ ، لِيَدْخُلَ مِصْرَ إِنْ شاءَ اللهُ آمِناً ، وَيَسْتَتِيرَ لَهُ مِنَ السَّعْدِ ما هو في ضَمِيرِ اللُّطْفِ كَامِناً ، وَيَجِدَ بِهِ مَقْعَدَ العُلا مُتَطامِناً ، وَحُصولَ الرِّضَى الشَّريفِ عَلَيْهِ ، والإِفراجِ عَنْهُ وَعَمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِ .

فَسَرَّ المَمْلوكُ هذا البِناءَ الكَرِيمَ ، والخَبْرَ الذي آثَرَهُ اللُّطْفُ الإلهيُّ بالتَّقْدِيمِ ، وَعَلِمَ أَنَّ اللهُ تَعَالَى ما أَعادَهُ إِلَّا لَأَنَّ العَوْدَ أَحْمَدُ من أَحْمَدَ وَأَحْسَنُ ، ولا رَدَّهُ إلى أُمِّهِ إِلَّا كَي تَقَرَّ عَيْنُها ولا تَخْزَنَ .

(١) ترجمته في : الوافي بالوفيات ١٦ / ٤٦٥ .

(٢) في م : المقرِّ الكريم الشهابي .

وَأَمَّا الْإِشَارَةُ إِلَى مَا تَضَمَّنَهُ كِتَابُ الْمَقَرِّ الشَّرِيفِ الْعَلَائِيِّ ، أَخِي مَوْلَانَا ،
 مِنْ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا اتَّفَقَ بِمُطَالَعَةِ الْمَمْلُوكِ إِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ ، وَقِيَامِ الْمَقَرِّ
 الْكَرِيمِ السَّيْفِيِّ الدَّوَادَارِ ؛ فَقَدْ عَلِمَ الْمَمْلُوكُ ذَلِكَ ، وَقَابَلَهُ بِشُكْرِ تَلَا سُورَةَ
 حَمْدِهِ ، وَسَلَكَ فِيهِ طَرِيقاً أَتَعَبَ مَنْ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَمَا يَقُولُ الْمَمْلُوكُ إِلَّا أَنَّ
 الشُّكْرَ لِلرِّيَّاحِ لَا لِلسَّحَابِ ، وَلِمَنْ أَدَّى الرِّسَالَةَ لَا لِمَنْ خَطَّ الْكِتَابَ ، وَلِمَنْ
 تَلَطَّفَ لِلِاسْتِعْطَافِ لَمَّا أَنْ أَغْلَظَ الْعِتَابَ ؛ وَاللَّهُ يُدِيمُ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ وَيُخَلِّدُ
 مُلْكُهُ ، وَيَجْعَلُ الْمَمَالِكَ دُرّاً لَا تُودَعُ إِلَّا سِلْكُهُ ، وَيُفِيضُ مَلَاسَ إِحْسَانِهِ عَلَى
 مَنْ أَمَّ حَرَمَهُ ، وَيَجْبُرُ بَعْطْفِهِ مَنْ كَسَرَهُ الزَّمَانُ وَحَرَمَهُ .

وَإِذْ أَخَذَ مَوْلَانَا حَظَّهُ مِنْ رُؤْيَةِ أَخِيهِ ، وَتَبَتَّتْ بِرُؤْيَيْهِ قَوَاعِدُ سَعْدِهِ وَتَمَكَّنَتْ
 أَوَاحِيهِ ، فَمَا بَقِيَ إِلَّا أَنْ يَعُودَ إِلَى وَطَنِهِ لِنُجْدَدَ الْخِدْمَةَ بِعَهْدِهِ ، وَنُهَيَّئَهُ شِفَاهَا
 بِتِمَامِ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَكَمَالِ سَعْدِهِ .

فَإِنَّ مَوْلَانَا صَاحِبَ قَدِيمٍ وَأَخَ كَرِيمٍ ، وَكُنَّا نَشْءُ ذَلِكَ الرَّوْضِ النَّاصِرِيِّ
 النَّاصِرِ ، وَكَوَاجِبُ ذَلِكَ الْأُفُقِ الَّذِي مَا طَلَعَ فِيهِ إِلَّا بَدْرٌ نَيَّرَ أَوْ شَهَابٌ زَاهَرٌ .

فَلْيَعُدَّ قَرِيباً لِيُقَرَّرَ طَرْفَ وَطَنِهِ الدَّامِعِ الدَّامِي ، وَيُقَارَنَ بِدَرَّةِ السَّامِي الشَّامِي ؛
 فَمَا ضَلَّ مَنْ سَارَ بَيْنَ بَدْرَيْنِ ، وَلَا ظَمِيَءٌ مَنْ تَرَدَّدَ بَيْنَ بَحْرَيْنِ ، وَمَا أَحْسَنَهُ مُبْتَدَأُ
 رَفَعَ الْخَبْرَيْنِ .

فَإِنَّ مَوْلَانَا أَيْنَمَا حَلَّ حَلًى ، وَكُلَّمَا جَلَّ جَلًى ، وَعَوَاطِفُ هَذِهِ الْأَيَّامِ تَضَمَّنُ
 لَهُ الْحُسْنَى ، وَتُضَمِّرُ لَهُ الْمَوْرِدَ الْأَهْنَى .

وَأَمَّا إِشَارَتُهُ الْعَالِيَّةُ فِي الْفَضْلِ الثَّانِي ، فِي فَكِّ الْخَتَمِ عَنْ دَارِهِ بِحُضُورِ مَنْ
 وَضَعَ خَتَمَهُ عَلَيْهَا ، فَقَدْ عَلِمَ ، وَذَلِكَ أَمْرٌ مِمَّا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ ، فَإِنَّ الْعَوَاطِفَ
 الشَّرِيفَةَ شَمَلَتْ مَوْلَانَا ، وَالْحَاسِدُ حَاصِدُ الْخُسْرَانِ ، [٣٣] وَالْوَاشِي غَاشِي

الْحِزْمَانِ ؛ وَالْمَمْلُوكُ مُتَرَقِّبٌ طُلُوعَ شَهَابِهِ النَّيِّرِ فِي أَفْقِ الشَّامِ الْمَحْرُوسِ قَرِيباً ،
وَمُتَّطَلِّعٌ إِلَى أَنْ لَا يَرَى لَهُ فِي فَلَكَ السُّعُودَ مَغِيّاً ؛ فَيُحِيطُ عِلْمُهُ الْكَرِيمَ بِذَلِكَ ،
وَاللَّهُ يُقَدِّرُ لَهُ الْخَيْرَ فِي مَا هُنَا أَوْ هُنَالِكَ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ مِنْ بَلْبِيسَ :

يُقَبَّلُ كَذَا ، لَا شَانَ صَفْوَهَا كَدَّرَ ، وَلَا شَابَ وُدُّهَا تَغَيَّرَ الْغَيْرَ ، وَلَا شَادَ اللَّهُ
مَعْلَمَ مَجْدٍ إِلَّا وَلَهَا عَلَى صَدْرِهِ الْوُرُودُ وَلِسَوَاهَا الصَّدْرُ ، وَلَا شَاءَ بِخَيْرٍ إِلَّا وَلَهَا
مِنْهُ نَصِيبٌ مُعَجَّلٌ أَوْ مُنْتَظَرٌ ، وَلَا شَالَ بِضَنْعٍ مَاجِدٍ إِلَّا لِيُجِلَّهَا حَيْثُ الشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ ، وَلَا شَاعَ حَدِيثٌ وَفَاءً إِلَّا بِمَا يُحَدِّثُ مِنْهَا خَلِيلُ الصَّفَاءِ وَيَقُولُ : كَانَتْ
فَلْتَةً عُمَرَ .

وَيُنْهَى أَنَّهُ كَتَبَهَا مِنْ بَلْبِيسَ ، قَدْ عَاجَلَهُ بِحَمْدِ اللَّهِ الْفَرَجُ قَبْلَ قُدُومِهِ عَلَى
قَلْعَةِ الْجَبَلِ وَمُعَايَنَةِ أَهْوَالِهَا ، وَقَبْلَ حُلُولِهِ بِمَصْرَ وَتَوَقُّعِ زَلْزَالِهَا ، وَقَبْلَ
مُقَابَلَةِ^(١) الْقَاهِرَةِ وَرُؤْيَةِ أَطْلَالِهَا ، وَقِيلَ : ﴿ أَدْخُلُوا مَصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ ﴾
[يوسف : ٩٩] وَغُودُوا إِلَى دِمَشْقَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ سَالِمِينَ ، وَكَفَاهُ اللَّهُ خَطَرَاتِ تِلْكَ
الْوَسَاوِسِ ، وَخَطَرَاتِ تِلْكَ الْهَوَاجِسِ ، وَخُطُواتِ تِلْكَ الْبُقْعَةِ وَرُؤْيَةِ أُولَئِكَ
الْأَبَالِسِ ؛ وَالْمَوْقِفَ الْمَخْشِيَ هَوْلُهُ ، وَالسَّائِلَ الثَّقِيلَ قَوْلُهُ ، « وَالْعِزُّ فِي الْبَدْوِ
لَيْسَ الْعِزُّ فِي الْحَضَرِ » ، وَحَسَبُ الْمَرْءِ مِنَ الْمَسَاءَةِ النَّظَرُ .

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَدَارَكَ بِلُطْفِهِ ، وَغَلَّى يَدَ الْمُبْطِلِ وَسَيُسْقِطُ رَأْسَهُ عَلَى كَفِّهِ ؛
وَأَنْعَمَتِ الصَّدَقَاتُ الشَّرِيفَةُ السُّلْطَانِيَّةُ الْمَلِكِيَّةُ الصَّالِحِيَّةُ بِالْإِطْلَاقِ ، وَفَكَ الْخَتَمِ
وَحَلَّ الْوَثَاقِ ، وَجَاءَتْ مَرَاحِمُهُ عُقَيْبَ ذَلِكَ السُّمِّ أَسْرَعَ تَخْلِيصاً مِنَ الدَّزْيَاقِ ،
وَجَاءَتْ الْبُشْرَى بِمَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ بِصَدَقَاتِ سُلْطَانِنَا الْمَلِكِ الصَّالِحِ لَا يَسَبِّبُ مِنْ

(١) فِي س : مَقَارِبَةٌ .

الأسباب ، ولا بالسَّعْيِ إِلَى أَحَدٍ ، ولا بالوُقُوفِ لِأَحَدٍ عَلَى بَابٍ ، ولا بِإِبْدَاءِ عَذْرِ يَقُولِ وَلَا بِكِتَابٍ ، بل جَاءَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِمِثَّتِهِ لَا بِمِثَّةِ مَخْلُوقٍ ، وَلَا بِسَّعْيٍ سَابِقٍ وَلَا مَسْبُوقٍ ، حَتَّى أَذْكُرَهُ كَلِمَةً عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نَوْبَةَ الْإِفْكِ^(١) ، وَأَذْكُرْتُهُ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ ، وَتَمَّتِ الْأُمُورُ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ الْمَرْضِيَّةِ .

اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَخَدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، اعْتِقَاداً هُوَ الَّذِي لَمْ نَزَلْ نَرْجِعْ إِلَيْهِ ، وَنَنْجِعُ وَلَا نُعَرِّجُ إِلَّا عَلَيْهِ ، وَنَهْجَعُ ثُمَّ نَنْتَبِهُ بِتَذْكِيرِهِ ، وَنُفْجَعُ ثُمَّ نُسَرُّ بِمُقَادِيرِهِ ، وَلَمْ يَتَّقْ بِإِذْنِ اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُصْرَفَ إِلَيْهِ وَجْهُ الشَّرَى ، وَيُضَدَفَ فِي طَلَبِ الشَّرْعَةِ الْمَقْدُومِ عَلَيْهِ عَائِقُ الْكَرَى ، وَيُسْعِفَ اللَّقَاءَ بِهِ وَبِالْأَوْطَانِ ، وَيُنْصِفَ الزَّمَنُ الْجَائِزُ بِلُطْفِ اللَّهِ وَعَدْلِ السُّلْطَانِ ، وَيُتَحِفَ الْقَدَرُ بِجَمْعِ الشَّمْلِ ، وَيَعْلَمَ أَنَّهَا كَانَتْ نَزْعَةً مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ ؛ وَمَوْلَانَا يَعْذُرُ فِي التَّقْصِيرِ ، فَمَا هُوَ وَقْتُ الْإِطَالَةِ ، وَهَذَا كَثِيرٌ عَلَى الرَّائِبِ الْمُجَدِّ فِي مَا يُقَدِّمُ لَهُ مِنَ الْعُجَالَةِ .

● فَكُتِبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ : [من السريع]

وَنِعْمَةً جَاءَتْ كَمَا نَشْتَهِي	مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعَرْشِ مَسْرَاهَا
[٣٣ ب] أَتَتْ وَقَدْ جَرَّتْ ذِيُولُ الْهَنَا	بِأَيِّ شُكْرِ نَتَلَقَّاهَا
رَوَتْ فَرَوَتْ أَنْفُسًا تَلْتَظِي	مِنْ حَذَرٍ قَدْ كَانَ عَنَّاها
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنَّها	نَحْمَدُ أَوْلَاهَا وَأُخْرَاهَا
فَاللُّطْفُ فِي مَبْدِئِهَا كَامِنٌ	وَالسَّعْدُ فِي مَضْمُونِ عَقْبَاهَا
فَقُلْ لِمَنْ قَدْ وَلَعَتْ بِالْمُنَى	مُهِجَّتُهُ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ

(١) قالت - رضي الله عنها - : بحمد الله لا بحمدك . وثمة روايات أخر بهذا المعنى . (حديث الإفك ، للمقدسي) .

إِنَّكَ إِنْ أَبْصَرْتَهَا مَرَّةً أَكْبَرْتَهَا أَنْ تَمُنَّاهَا
يُقْبَلُ الْأَرْضَ أَوَّلًا عَلَى هَذِهِ النُّعْمَةِ شُكْرًا ، وَثَانِيًا عَلَى عَادَةِ خِدْمِهِ
مُسْتَمِرًّا ، وَثَالِثًا وَرَابِعًا وَخَامِسًا وَهَلُمَّ جَرًّا ، حَتَّى يَسْتَعْرِقَ الرَّاوِ الْعَطْفُ وَيَنْفَدَ
فِي السَّجْعِ حَرْفَ الرَّأ .

وَيُنْهِي وَرُودَ الْمِثَالِ الْكَرِيمِ ، الَّذِي كَانَ أَمَانًا مِنَ الْحَذَرِ ، وَمُخْلَصًا لِقَلْبِ
الْمُحِبِّ الَّذِي افْتَتَحَ الْحُزْنَ وَاخْتَتَمَهُ وَمَا شَعَرَ ، وَبِرَاءَةً مِنَ الْخُطْبِ الَّذِي لَوْ
عَالَجَهُ اللَّيْلُ لَانْصَدَعَ أَوْ الصُّبْحُ لَانْفَجَرَ ، وَفَكَأَنَّ لِنَفْسِ الْأَوْلِيَاءِ مِنَ الْجَزَعِ الَّذِي
لَوْ حَلَّ بِالْجِبَالِ حَجَرٌ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْحَجَرِ ، وَشَذَّوْا لِأَصْوَاتِ الْبَلَاغَةِ الَّتِي مَنْ
لَمْ يَطْرُبْ لَهَا قُلْنَا لَهُ مَا قَالَتْهُ النُّسُوءُ مِنْ قُرَيْشٍ^(١) : أَنْتَ أَغْلَظُ وَأَفْظُ يَا عُمَرُ :
[من الطويل]

أَلَيْسَ لِأَخْبَارِ الْأَجْبَةِ فَرْحَةٌ وَلَا فَرْحَةَ الْعَطْشَانِ فَاجَأَهُ الْقَطْرُ
فَقَبَّلَ الْمَمْلُوكُ شَفَتَيْ عُنْوَانِهِ ، وَتَخَيَّلَ لَعَسَ مِدَادِهِمَا إِثْمِدًا فَكَحَلَ بِهِ رَمَدَ
أَجْفَانِهِ ، وَكَرَّرَ السُّجُودَ حَتَّى قِيلَ : هَذَا هُذْهُدٌ بَيْنَ يَدَيِ سُلَيْمَانَ زَمَانِهِ^(٢) ؛
وَفَضَّهُ فَلَمَّا لَمَعَ تَاجَ اسْمِهِ ، قَامَ لَهُ وَلَبَسَهُ لَثْمًا ، وَعَلِمَ أَنَّ الْبَرَكَاتِ تَنْزَلَتْ عَلَيْهِ
لَمَّا سَمَى ، وَأَحَبَّ جَمْعَ مَا فِيهِ مِنْ مَالِ الْبَلَاغَةِ حُبًّا جَمًّا ، وَأَكَلَ ثَرَاتِ أَشْوَاقِهِ
الْمُخْلَفَةِ مِنْ حُرُوفِهِ أَكْلًا لَمًّا ، وَذَكَرَ مِنْ حَدِيقَتِهِ الْيَانِعَةِ مَا أَنْسَاهُ نَخْلَتِي حُلُوانَ^(٣)

(١) من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ٩٦/٤ و ١٩٩ و ٩٣/٧ ومسلم (٢٣٩٦) وأحمد في مسنده
١٧١/١ و ١٨٢ .

(٢) يضرب المثل بسجود الهدهد ، فيقال : أَسَجَدُ مِنْ هَدَهْد . (مجمع الأمثال ٣٥٦/١ وثمار القلوب
٧٠٧/٢) .

(٣) نخلتا حلوان : كانتا بقرية حلوان [= حلوان العراق] من غرس الأكاسرة ، فَضْرَبَ بهما المثل في
طول الصُّحْبَةِ وَقَدَمِ المجاورة . (الميداني ٤٣٨/١ وثمار القلوب ٨٤٢/٢ وفي حاشيته مزيد
نخريج) .

وَمَحَلَّتِي سَلْمَى : [من البسيط]

وَرُخْتُ أَسْقِيهِ مِنْ دَمْعِي وَالْثُمَّةُ وَكَادَ يَذْهَبُ بَيْنَ الدَّمْعِ وَالْقَبْلِ
ثُمَّ تَأَمَّلَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ جَنَاتٍ تَزْخَرَفَتْ ، وَبُرُوقٍ مَعَانٍ تَأَلَّقَتْ ،
وَسَحَائِبٍ سَطُورٍ تَأَلَّقَتْ ، وَنَزَعَاتٍ ^(١) فَاضِلِيَّةٍ اقْتَدَرَتْ عَلَى الْكَلَامِ فَتَصَرَّفَتْ ؛
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، بَلْ فِي كَلَامِ الْفَاضِلِ جُزْئِيَّاتٌ تُشَبِّهُ هَذِهِ الْكُلِّيَّاتِ ، وَمَعَابِرُ كَانَ
يَعْوِصُ فِكْرُهُ فِي لُجَّةٍ بَيَانِهَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ اللَّوْلُؤِيَّاتِ ، وَزَهْرَاتُ كَانَ
يَقْتَطِفُهَا مِنْ هَذِهِ الرِّيَاضِ ، وَقَطَرَاتُ كَانَ يَرْتَشِفُهَا فَمُ قَلْبِهِ مِنْ هَذِهِ الْحِيَاضِ ،
فَلَقَدْ أَتَى وَادِي مَوْلَانَا فَطَمَّ عَلَى قَرِيهِ ، وَجَاءَتْ جِيَادُهُ وَغُبَارُ سَبْقِهَا يُنْفِضُ مِنْ
هُوَادِي مَطْيَهٍ : [من الطويل]

وَمَا زَالَ يُنْبِي النَّاسَ فَضْلُ كَلَامِهِ بِأَنَّ كَلَامَ الْعَالَمِينَ فُضُولُ
فَاتَّخَذَهَا مَقَامًا ، وَحَنَا عَلَى جَوَاهِرِهَا لِأَنَّهَا يَنَامِي ، وَتَحَقَّقَ بَرَكَتُهَا فَإِنَّ نَارَ
الْحَلِيلِ رَجَعَتْ بِهَا بَزْدًا وَسَلَامًا ، وَرَشَفَ مِنْ أَلْفَاظِهَا مُدَامًا يُسَمِّيهِ النَّاسُ
كَلَامًا ، وَخَلَبَ لُبُّهُ سِحْرُهَا الْحَلَالَ ، وَكَانَ يَظُنُّ السِّحْرَ حَرَامًا ، وَفَهُمْ مِنْهَا
مَا وَقَرَّ فِي قَلْبِهِ فَسَبَقَ النَّاسَ إِلَى الْبُشْرَى ، وَصَحَا قَلْبُهُ وَصَحَّ لَمَّا تَفَرَّقَ عَمَامُ غَمِّهِ
وَتَفَرَّى ، وَوَدَّ لَوْ شَهِدَ بَطْنَ خَبْتٍ وَقَدْ لَاقَى الْهَزْبُ أَخَاهُ بِشْرًا ^(٢) ، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ

= ومحلَّتني سلمى : عبارة وردت في شعر جرير : [معجم البلدان ٢٥٢/٥]

أمنزلتي سلمى بناظرة اسلما وما راجع العرفان إلا توهُمَا
وفي ديوانه ٩٧٩/٢ : أمنزلتي هند . . .

وفي شعر البحتري : [ديوانه ١٩٥٤/٣]

أمحلتني سلمى بكأظمة اسلما وتعلَّما أَنَّ الجوى ما هجتمَا

(١) في م : وبراعات فاضليَّة .

(٢) من قول بشر بن عوانة : [مقامات البديع ٢٥٠] ومنتهى الطلب ٢٥٦/٨ وحياة الحيران « الهزير »

أناطم لو شهدت بطن خبت وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا

تعالى أَرَادَ لِمَوْلَانَا أَنْ يَدْخُلَ مِصْرَ عَزِيزًا ، وَيَجْعَلَ طِينَهَا الْإِبْلِيزَ مِثْلَ كَلَامِهِ
إِبْرِيَا ، وَأَنْ لَا يَرَى فِيهَا مَا يُرَوِّغُ رُوعَهُ ، وَأَنْ لَا يَرَى نَجْمَ اسْتِقَامَتِهِ يُخَالَفُ
رُجُوعَهُ ، فَحَفِظَهُ بِمُعَقَّبَاتٍ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ، وَلَمْ يُخَوِّجْهُ إِلَى غَيْرِ
مَا يَعْهَدُهُ مِنْ خَفِيِّ لُطْفِهِ^(١) : [من الخفيف]

رُبَّ أَمْرٍ أَتَاكَ لَمْ تَحْمَدِ الْفُعْ عَالَ فِيهِ وَتَحَمَدُ الْأَفْعَالَا
فَاللَّهُ يُوزِغُنَا - مَعَاشِرَ [١٣٤] الْأَوْلِيَاءِ - شُكْرَ هَذِهِ النَّعْمِ الَّتِي تَحَيَّلْنَا وَقُوعَهَا ،
وَتَحَيَّلْنَا بِصَحَّةِ الْيَقِينِ عَلَى عَوْدِهَا فَنَلْنَا رُجُوعَهَا ، وَمَا لَنَا إِلَّا الدُّعَاءُ إِلَى اللَّهِ بِأَنْ
نَرَى بَذْرَ وَجْهِهِ وَقَدْ طَلَعَ مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ ، وَقَدْ تَوَجَّهَ يَحُثُّ سَعُودُهُ وَانْقَطَعَ
الْخَضَمُ وَبَطَلَ النِّزَاعُ : [من البسيط]

مَنْ كَانَ ذَا أَمَلٍ فِي الذَّهْرِ يَقْصِدُهُ فَإِنَّمَا أَمَلِي فِي أَنْ تَرَى أَمَلَكُ
وَمَا أَمْرٌ بِلَيْسَ مِمَّا يُلْتَبَسُ ، وَلَا تَخْيِيسُ عَادَةِ السَّعَادَةِ مِمَّا يُحْتَبَسُ ، وَمَا
بَقِيَ إِلَّا عَوْدُ رِكَابِهِ إِلَى وَطَنِهِ ، وَرُجُوعُ دُرِّهِ إِلَى لُجَّةِ ، وَذَهَبِهِ إِلَى مَعْدِنِهِ ، لِنَأْمَنَ
تَوَثُّبَ الْبَاغِي وَنَزَوَاتِهِ ، وَنَعْنَمَ الصَّفَاءِ مِنْ وَدِّ يَحْمِيهِ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَنَزَغَاتِهِ :
[من الطويل]

وَكَمْ لِظُلَامِ اللَّيْلِ عِنْدِي مِنْ يَدٍ تُخَبِّرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ^(٢)
وَالْمَمْلُوكُ يَسْأَلُ بَسْطَ الْعُذْرِ عَنْ جُزْأَتِهِ فِي هَذَا الْجَوَابِ ، وَيَسْتَغْفِرُ اللَّيْثَ
الْأَغْلَبَ مِنْ وَقَاحَةِ الذَّنَابِ ، لَا بَلَّ لِحَاجَةِ الدُّبَابِ ، فَأَيْنَ عُجَالُهُ ذَلِكَ الرَّكِابِ
مِنْ مُهْلَةِ هَذَا الْمُطْمِئِنِّ ؛ وَأَيْنَ ذَلِكَ الرُّوحِ الطَّاهِرُ مِنْ هَذَا الْجَسَدِ الْمُسْتَحِجِّ ؟
وَأَيْنَ مَنْ ارْتَجَلَ مِمَّنْ تَرَوَى ؟ وَأَيْنَ قَلْبَ الْأَسَدِ مِنَ الْعَوَا^(٣) ؟ : [من الخفيف]

(١) البيت للمتنبي ، في ديوانه ١٣٨/٣ .

(٢) في س : . . عندك من يد . والبيت للمتنبي ، في ديوانه ١٧٨/١ . وفي هامش م : خ : عندك .

(٣) البيت لأبي العلاء المعري ، في شروح سقط الزند ٤٥٦/١ .

قَدْ أَجَبْنَا قَوْلَ الشَّرِيفِ بِقَوْلِي فَأَثَبْنَا الْحَصَى عَنِ الْمَرْجَانِ

● وَكُنْتُ أَنَا إِلَيْهِ مِنَ الدِّيَارِ الْمَضْرِبَةِ فِي سَنَةِ ٧٢٧ وَهُوَ بِالشَّامِ
الْمَحْرُوسِ ، جَوَاباً عَنْ كِتَابٍ وَرَدَ مِنْهُ ، وَأَهْنُتُهُ بِوَلَايَةِ وَالِدِهِ الْقَاضِي مُحْيِي
الدِّينِ كِتَابَةَ السَّرِّ الشَّرِيفِ : [مِن الطَوِيلِ]

أَيَا سَيِّدَا حَارَ الْعُلَا وَحَوَاهَا وَغَبَرَ فِي وَجْهِ الْأَوَائِلِ سَبْقُهُ
وَجَاءَتْهُ أَشْرَابُ التُّجُومِ حَوَاسِرَا فَأَبْهَجَهَا حَتَّى أَضَاءَتْ بِجَوَّهَا
أَتَانِي مِثَالُ مِنْكَ مِثْلُ خَرِيدَةٍ وَأَلْطَفُ مِنْ نَفْسٍ بَرَاهَا الْهَوَى وَقَدْ
وَأَلْعَبُ بِالْأَلْبَابِ مِنْ بِنْتِ كَرْمَةٍ تُطِيلُ إِلَيْهِ الزَّاهِرَاتُ تَأْمُلَا
فَوَاسَفَا إِذْ لَمْ أَحُلْ بِجَلْقِي أَشَاهِدُهَا فِي دَوْلَةٍ مُخَيَّوِيَةٍ
لَيْسَ كَانَتْ الْآدَابُ أُخْمِلَ قَدْرُهَا وَإِنْ كَانَ قَدَمًا قَدْ عَرَاهَا كَسَادُهَا
وَيُعْمَلُ فِي دَاجِي الْمُهْمَاتِ فِكْرُهُ أَنْامَ بِهَا عَيْنَ الْأَنَامِ فَرَدَّهَا
إِذَا رَأَيْتُهُ أَغْنَاكَ عَنْ نَشْرِ رَايَةٍ

وَجَاَزَ نِهَايَاتِ التُّهَى وَمَدَاهَا فَفَاتَ مَدَى غَايَاتِهَا وَشَاهَا
يَكْفُ الثَّرِيَّا تَسْتَعِيرُ حُلَاهَا وَالْأَحْفَهَا إِشْرَاقَهَا وَسَنَاهَا
تَضَوَّعَ فِي صُبْحِ الْوِصَالِ شَذَاهَا^(١) غَدَتْ تَشْكِي لِلْحَبِيبِ عَنَاهَا
يَحُكُّكَ مَحْبُوبٌ لِحَسَنِ طَلَاهَا وَتَعَجَّبُ مِنْ أَلْفَاظِهِ وَبِنَاهَا^(٢)
وَأَقْضِ بَقَايَا مُدَّتِي بِجَمَاهَا سَقَاهَا الْحَيَا وَسَمِيَّهِ وَرَعَاهَا
فَقَدْ عَادَ مَنْ كَانَتْ بِهِ تَبَاهِي فَهَا هِيَ قَدْ شَدَّ الزَّمَانُ عُرَاهَا
فَيُطْلَعُ فِيهَا شَمْسُهَا وَضَحَاهَا مُوسِنَةً مِنْ بَعْدِ فَقْدِ كَرَاهَا^(٣)
لَأَيَّةٍ حَالٍ تَسْتَطِيلُ قَنَاهَا

(١) فِي م : شَبْهُ خَرِيدَةٍ × .

(٢) فِي م : × وَبِنَاهَا .

(٣) فِي م : عَيْنَ الزَّمَانِ × مَوْسِنَةٌ

فِيَا فَوْزَ عَصْرِ أَنْتُمْ ذُخْرُ أَهْلِهِ وَبُشْرِي لِيَا لَيْنَا بِكُمْ وَهَنَاها
يُقَبِّلُ الْأَرْضَ لَا زَالَتْ مَرْكَزاً لِدَائِرَةِ التَّهَانِي ، وَقُطْباً لِفَلَكَ تَرْدُ الْمَسْرَةِ فِي
مَجْرَتِهِ عَلَى الدَّقَائِقِ وَالثَّوَانِي ، وَمَعْقِلاً يَغْتَصِمُ بِهِ وَسَائِلُ الْأَمَالِ وَعَقَائِلُ
الْأَمَانِي ، وَحَرَمًا تُحِثُّ إِلَيْهِ نَجَائِبُ الْبَشَائِرِ فَلَا يَكُونُ لَهُ عَنْهَا تَوَارِي وَلَا لَهَا عَنْهُ
تَوَانِي : [من الوافر]

إِلَى أَنْ يَجْتَنِيَّ مِنْهَا قُطُوفَ الْـ مَسْرَةٍ وَهِيَ طَيِّبَةُ الْمَجَانِي
وَيُبْدِعُ فِي عُلاهَا كُلَّ مَعْنَى فَتَنْظَفُرُ بِالْمَعَالِي وَالْمَعَانِي
تَقْبِيلَ مَنْ أُجِيبَتْ دَعَوَاتُهُ ، وَشُغِلَتْ بِذَلِكَ لَهَوَاتُهُ ، وَمُئِلَّتْ بِمَا يُمْلِيهِ مِنْهَا
خَلَوَاتُهُ ، وَيَسْتَمِرُّ عَلَى وَلَائِهِ الَّذِي لَمْ يَخْتَجْ - إِذْ يُخْتَجُّ بِهِ - [ب ٣٤] إِلَى ذَلِيلٍ ،
وَلَمْ يَجِدْ - إِذْ يَجِدْ - فِي سُلُوكِهِ مَشَقَّةَ سَبِيلٍ ، وَيَصِفُ مَا يَجِدُهُ مِنْ شَوْقٍ شُقَّتْ لَهُ
بِالْجَوَى جَوَانِحُهُ ، وَمَلَأَتْ الْفُؤَادَ فَوَادِحُهُ ، وَأَذَابَتْ الْقَوَى قَوَادِحُهُ .

وَيُنْهِي مَا عِنْدَهُ مِنْ هَذَا الْهَنَاءِ الَّذِي عَمَّتِ الْوُجُودَ بِشَائِرُهُ ، وَحَقَّقَ اللَّهُ بِهِ ظَنَّ
كُلِّ مُؤَمِّلٍ فَمَا خَانَتْ ضَمَائِرُهُ ، وَوَجَدَتْ الْقُلُوبَ لِأَخْبَارِهِ مَا يَجِدُهُ الْمَشُوقُ إِذَا
تَرَنَّمَ فَوْقَ الْأَيْكِ طَائِرُهُ ، فَلَا أَنْ أَعْطَى اللَّهُ الْقَوْسَ بَارِنِهَا ، وَأَنْزَلَ الدَّارَ بِالطَّالِعِ
السَّعِيدِ بَانِيهَا ، وَتَقَلَّدَتْ الْمَمَالِكُ عُقُودَ الْجَوَاهِرِ مِنْ بَحْرِ مُنْشِيهَا ، فَيَا لَهُ يَوْمًا
حَلَّى بِهِ الدَّهْرُ جِيدَهُ مِنْ عَطْلِهِ ، وَظَفَرَ الْمُلُوكَ بِالرَّأْيِ الْبَرِيِّ مِنْ خَطَائِهِ وَخَطْلِهِ ،
وَعَلِمَ أَنَّ الْبَذَرَ فِي الْوَهْنِ كَمَا هُوَ فِي سَحَرِهِ ، وَأَنَّ الشَّمْسَ فِي رَأْدِ نَهَارِهَا كَمَا
هِيَ فِي طَفْلِهِ ؛ وَلَا أَقُولُ إِلَّا أَنَّ السَّيْفَ قَدْ عَادَ إِلَى قِرَابِهِ ، وَالْمَالَ خَرَجَتْ مِنْهُ
زَكَاتُهُ وَعَادَ إِلَى نِصَابِهِ ، وَالْأَسَدَ أَبَ بَعْدَمَا غَابَ إِلَى غَايِهِ ، وَالذُّرَّ تَرَفَّى إِلَى
التَّاجِ بَعْدَ أَنْ تَحَدَّرَ مِنْ سَحَابِهِ ، وَالْهَلَالَ تَنَقَّلَ فِي مَنَازِلِ الشُّعُودِ حَتَّى طَلَعَ بِذَرًا
فِي ارْتِقَابِهِ ؛ فَاللَّهُ يُمْتَحُ الْأَيَّامَ وَالْأَنَامَ بِهِذِهِ النُّعْمَةِ الْكُبْرَى ، وَالْمَسْرَةَ الَّتِي
أَصْحَحَتْ بَعْدَ فِتْرَةٍ وَرُسُلُهَا تَتَرَى ، وَيُوزَعُ الْأَوْلِيَاءُ شُكْرَ هَذِهِ الْمَائَةِ الْجَمَّةِ وَالْيَدِ

الطُولَى ، وَيُعَرِّفُهُمْ قَدَرَهُ هَذِهِ الْكَرَّةَ ، فَإِنَّ الْأُخْرَى خَيْرٌ لَهُمْ مِنَ الْأُولَى ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

● فكتبَ هو إليَّ الجوابَ : [من الطويل]

رَدَدْتَ عَلَى عَيْنِي لَدِيدَ كَرَاهَا فَعَاوَدَهَا طَيْفُ أَطَالِ نَوَاهَا
سَرَى فِي الدُّجَى حَتَّى تَجَلَّتْ نُجُومُهُ فَوَاقِعَ تَطْفُو فَوْقَ بَحْرِ دُجَاهَا
وَهَبْتَ لِمَسْرَاهُ نَوَافِجَ رَوْضَةٍ تَجُرُّ عَلَيْهِ الرِّيحُ ذَيْلَ صَبَاهَا
أَيَادِي لَوْ أَخْفَيْتُ حُسْنَ صَنِيعِهَا لَنَمَّ عَلَيْهَا ضَوْؤُهَا وَشَذَاهَا
فَكَمْ مُزْنَةً أَخْجَلْتَ وَجَهَ سَحَابِهَا بِجُودِكَ حَتَّى غَاضَ مَاءُ حَيَاهَا
وَقَرَّخْتَ بِالسَّبْقِ الْمُبَرِّزِ قَلْبَهَا فَضَمَّتْ عَلَى نَارِ الْبُرُوقِ حَشَاهَا

يُقْبَلُ كَذَا ، مَتَعَ اللَّهُ بَيَانَ قَلَمِهَا الْمُؤَازِرِ ، وَحَكَمَهَا الَّتِي تَزْمُقُهَا النُّجُومُ بِطَرَفِ مُتَخَازِرِ ، وَكَلِمَهَا الَّتِي تَبَيَّنَ الْقَرَائِحُ دُونَ أَبْكَارِهَا مَشْدُودَةَ الْمَازِرِ .

وَيُنْهِي وَرُودَ مُشْرِفِهِ بِلِ مُشْتَفِهِ ، فَأُطْنَبَ فِي نِعَمِهِ ، وَأُطْرَبَ بِنِعْمِهِ ،
وَأُطْرَفَ بِمَا تَحَلَّى مِنْ صَيَاغَةِ قَلَمِهِ ، فَاجْتَنَى الْمَعَانِي مِنْ ثَمَرَاتِ غُرْسِهِ ،
وَاجْتَلَى مِنْهُ نَيْلَ مِضَرٍ فِي غُرْسِهِ ، وَالتَّفَحَّ بِهِ ذِمَّتُهُ فَأَحْسَنَ التَّوْلِيدَ ، وَالتَّمَحُّ مِنْهُ
عَجَائِبَ بَيَانِ شَيْبَتِ الْوَلِيدِ ، وَانْتَهَى إِلَى عَهْدِهِ الَّتِي اهْتَزَّ بِهَا لِذِكْرِ إِلْفِهِ ، وَاعْتَزَّ
بِهَا ثُمَّ بَزَّ بِالْإِنْعَاطِ إِلَى عِطْفِهِ ، وَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى هَذِهِ الْهَبَّةِ مِنْ رَقْدَتِهَا ، وَحَلَّ
هَذِهِ الْهَبَّةَ مِنْ عُقْدَتِهَا ، وَاسْتَبَيَّتْ أَنَّ صَحِيفَتَهُ مَخْمُورَةٌ بِلُطْفِهِ فَوْقَ مَا حَدَا مِنْ
الْقَبْلِ ، مَسْخُورَةٌ بِبَيَانِهِ فَلَمَّا تَمَثَّلَهَا ذَرَّتْ عَلَى أَعْطَافِهِ فِتْرَةَ الْكَسَلِ ، فَقَعَدَ
لَا يُجَارِيهَا وَلَا يُبَارِيهَا ، ثُمَّ أَخَذَ مِنْهَا وَشَكَرَهَا بِمَعَانِيهَا .

● وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ قَرِينَ أَغْنَامٍ لِلضَّحَايَا^(١) : [من الطويل]

(١) البيتان في الوافي وتعريف ذوي العلا وأعيان العصر ١/ ٤٢٣ .

أَيَا سَيِّدَا أَرْجُو دَوَامَ ظِلَالِهِ عَلَيْنَا وَأَنْ يُمْسِيَ بِخَيْرٍ كَمَا يُضْحِي
وَحَقُّكَ مَا هَذِي ضَحَايَا بَعَثْتَهَا وَلَكِنِّي سَفْتُ الْأَعَادِي إِلَى الذَّبْحِ

● فَكُتِبَ إِلَيَّ الْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ ^(١) : [من الطويل]

أَتَتْنِي ضَحَايَاكَ الَّتِي قَدْ بَعَثْتَهَا لِتُصْبِحَ كَالْأَعْدَاءِ فِي بُكْرَةِ الْأَضْحَى
[١٣٥] وَحَقُّكَ أَعْدَانَا كِلَابٌ جَمِيعُهُمْ وَحَاشَاكَ لَا تَجْزِي الْكِلاَبُ لِمَنْ ضَحَّى

● وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ بِحِمَاةٍ ، وَنَحْنُ بِشَاطِئِ الْعَاصِي ^(٢) : [من البسيط]

لَقَدْ نَزَلْنَا عَلَى الْعَاصِي بِمَنْزِلَةٍ زَانَتْ مَحَاسِنَ شَطْنِهِ حَدَائِقُهَا
تَبْكِي نَوَاعِيرُهُ الْعَبْرَى بِأَدْمُعِهَا لِكَوْنِهِ بَعْدَ لُقْيَاهُ يُفَارِقُهَا

● فَأَنْشَدْتُهُ أَنَا أَيْضاً لِنَفْسِي ^(٢) : [من الطويل]

وَنَاعُورَةٍ فِي جَانِبِ النَّهْرِ قَدْ غَدَتْ تُعَبِّرُ عَنْ شَوْقِ الشَّجِيِّ وَتُعْرِبُ
تُرْقِصُ عِطْفَ الْغُصْنِ تَنْهَاءً لَأَنَّهَا تُغْنِي لَهُ طُولَ الزَّمَانِ وَيَشْرَبُ

● وَأَنْشَدَنِي هُوَ أَيْضاً لِنَفْسِهِ ^(٣) : [من الكامل]

إِنَّا نُقِيمُ عَلَى حِمَاةٍ حُجَّةً فِي حُسْنِهَا وَلَهَا جَمَالٌ يَبْهَتْ
وَمِنَ النَّوَاعِيرِ الْفِصَاحِ خُصُومُنَا وَلَهَا لِسَانٌ نَاطِقٌ لَا يَسْكُتُ

● فَأَنْشَدْتُهُ أَنَا أَيْضاً لِنَفْسِي ^(٣) : [من السريع]

نَاعُورَةٌ أَنْتَ وَحَنْتَ فَقَدْ شَوَّقْتَ الدَّانِيَّ وَالْقَاصِي
قَدْ بَهَّتْنِي لِلْهُدَى وَالتُّقَى لَمَّا غَدَتْ تَبْكِي عَلَى الْعَاصِي

(١) البيتان في الوافي وتعريف ذوي العلا وأعيان العصر ١/٤٢٣ .

(٢) البيتان في النجوم الزاهرة والمنهل الصافي وأعيان العصر .

(٣) البيتان في أعيان العصر .

● وَأَنْشَدْتُهُ أَيْضاً لِنَفْسِي ، وَقَدْ طَالَ عَلَيْنَا الْمَرْكَزُ مِنْ شَمْسَيْنِ^(١) إِلَى

حِمَصٍ^(٢) : [من السريع]

مَحْبُوبُ قَلْبِي مِثْلُ بَذْرِ السَّمَاءِ أَذْنِيهِ عُمْرِي وَهُوَ لِي يُقْصِي
بَيْنِي وَيَبْنِ الصَّبْرَ فِي حُبِّهِ مَا يَبْنِ شَمْسَيْنَ إِلَى حِمَصٍ

● فَأَنْشَدَنِي هُوَ أَيْضاً لِنَفْسِهِ^(٢) : [من الرجز]

لَقَدْ تَمَادَيْتَ مَدَى يَا رَسْتَنُ كَأَنَّمَا قُرْبُكَ مَا لَا يُمَكِّنُ^(٣)
لَمَّا جَعَلْنَاكَ ضَمِيرَ قَضِينَا غَدَوْتَ مِمَّا لَا تَرَكَ الْأَعْيُنُ

● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ ، أَتَقَاضَاهُ مَا وَعَدَنِي بِهِ ، مِنْ قَلْعِ شَجَرَةٍ لِيَمُونٍ مُحْتَمٍ
وَتَجْهِيْزِهَا إِلَيَّ ؛ وَالتَزَمْتُ الْبَيَاءَ قَبْلَ النَّوْنِ^(٤) : [من مخلع البسيط]

يَا سَيِّدًا فِيهِ لِي وَلَاءُ عِنْدَ جَمِيعِ الْوَرَى تَبَيَّنَ
لِلْهَيْمُونَةِ أَرَاهَا لِي مُوْنَةٌ غَضْبُهَا تَزَيَّنَ
كَأَعْيُنِ الْحَاسِدِينَ بَغْيًا لِأَجْلِ ذَا قَلْعِهَا تَعَيَّنَ

● فَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ ، وَالتَزَمَ نُونًا قَبْلَ النَّوْنِ^(٤) : [من مخلع البسيط]

يَا فَاضِلًّا مَا لَهُ عَدِيلُ لِأَنَّهُ فِي الْوَرَى تَفَقَّنَ^(٥)
وَكُلُّ شَيْءٍ عَانَاهُ فِينَا عَلَى طَرِيقِ الْهُدَى تَفَقَّنَ
أَمْرُكَ حُكْمٌ فِي كُلِّ عَقْلٍ مَا عَاقَ إِلَّا مَنْ قَدْ تَجَنَّنَ

(١) شَمْسَيْنِ : قرية تقع إلى الجنوب من مدينة حمص ، على طريق دمشق ؛ لا تزال معروفة بهذا الاسم .

(٢) البيتان في أعيان العصر .

(٣) الرستن : بلدة بين حمص وحماة .

(٤) الأبيات في أعيان العصر .

(٥) في س : × . . في الوري تعيَّن .

١٧ * أحمد بن يوسف بن هلال بن أبي البركات (١) :

الحكيم الفاضل ، شهاب الدين ، الطبيب الصفدي .

أحد أطباء السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ،
بالقاهرة المحروسة .

● وقف بالقاهرة على شيء كتبه من نظمي بالأزورد والذهب ،
وزمكته (٢) ، فكتب إلي في سنة ٧٢٧ (٣) : [من الكامل]

ومزمك بالآزورد كتابة ذهباً فقلت وقد أتت بوفاق (٤)
أأخذت أجزاء السماء حللتها أم قد أذبت الشمس في الأوراق
أكتبت بالوجنات حمرتها كما مخضرها بمرائر العشاق
هبك النجوم علوت ثم سبكتها أنى أطاعك رنق الأخداق (٥)

● وكتب هو إلي أيضاً (٣) : [من الطويل]

معانيك والألفاظ قد سحرا الوري لكل من الأبواب قد أعطيا حظا
فهبك سبكت التبر معنى وصغته فكيف أذبت الدر صيرته لفظا

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٤٣٥/١ والوافي بالوفيات ٢٩٥/٨ ووفيات ابن رافع ٦١/١ والدرر الكامنة ٣٤١/١ والنجوم الزاهرة ٣١٧/٩ والمنهل الصافي ٢٧٩/٢ والدليل الشافي ٩٩/١ .
- مولده سنة ٦٦١ هـ . ووفاته سنة ٧٣٨ هـ .

(٢) التزمك : التزويق والتذهيب .

(٣) الأبيات في أعيان العصر والوافي .

(٤) قبل البيت زيادة في ط :

فقت الأنعام سيادة وزيادة وعلوت [بياض]
أعطى الذي قسّم الفضائل في الوري للناس قيراطاً وأنت الباقي
(٥) هذا البيت من م فقط . وفي هامشه : هذا مفقود في نسخة الأصل .
وروايته في ط والوافي : ورقمتها ببياضها وسوادها ×

● فكتبْتُ أنا إليه^(١) : [من الطويل]

وَحَقِّكَ لَمْ أَكْتُبْ بِنَبْرٍ كَمَا تَرَى سَطُوراً غَدَا فِي وَضْعِهَا مُنْيَةُ النَّفْسِ
وَلَكِنَّمَا هَذِي أَشْعَةُ وَجْهِكَ الْـ كَرِيمِ غَدَتْ تُلْقَى عَلَى صَفْحَةِ الطَّرْسِ

١٨ * إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد
ابن نصر^(٢) :

القاضي عماد الدين بن القاضي شرف الدين [ب٣٥] بن الصاحب فتح الدين،
ابن القيسراني، المخزومي، الخالدي؛ كاتب السر الشريف بحلب المحروسة،
وموقع الدست الشريف بالشام المحروس .

● كتبَ هو إليَّ من دمشق المحروسة، وأنا بالقاهرة سنة ٧٣٢^(٣) : [من الطويل]

إِلَيْكَ صَلَاحُ الدِّينِ شَوْقُ أَمْرِي غَدَا وَقَدْ صَحَّ دُونَ الْجِسْمِ فِيكَ وَدَادُهُ
تَرَحَّلْتُ عَنْ مَعْنَى دِمَشْقَ فَشَوْقُنَا إِلَيْكَ طَوَالَ الدَّهْرِ تَجْرِي جِيَادُهُ^(٤)
إِذَا كُنْتُ فِي أَرْضٍ يَحُلُّ صَلَاحُهَا وَإِنْ كُنْتُ فِي مَعْنَى يَزُولُ فَسَادُهُ

● فكتبْتُ أنا الجوابَ إليه^(٣) : [من الطويل]

أَتَانِي مِثَالُ مَنْكَ يُفْدِي سَوَادُهُ بَعَيْنِي بَلْ يَغْلُو عَلَيْهَا مِدَادُهُ
أَمِنْتُ بِهِ دَهْرِي وَصُلْتُ بِوَضْلِهِ عَلَى الْخَطْبِ حَتَّى خَافَ مِنِّي عِنَادُهُ
وَصَرَفْتُ فِي صَرْفِ الزَّمَانِ أَنَا مِلِّي إِلَى أَنْ غَدَا فِي حُكْمِ أَمْرِي قِيَادُهُ

(١) البستان في أعيان العصر .

(٢) ترجمته في : أعيان العصر ٥١٦/١ والوافي بالوفيات ٢١٧/٩ وذبول العبر ١٩٣ والبداية والنهاية ٣٩٠/١٨ والمقفى الكبير ٦٩/٢ وتذكرة النبيه ٧٣٢/٢ والدرر الكامنة ٣٧٨/١ والنجوم الزاهرة ٣١١/٩ والمنهل الصافي ٤٢٣/٢ والدليل الشافي ١٢٩/١ وشذرات الذهب ١٩٨/٨ .

- وفاته سنة ٧٣٦ هـ .

(٣) الأبيات في أعيان العصر .

(٤) في ب : x يجري جوادُهُ .

وَأَطْفَاءَ جَمْرًا فِي الْجَوَانِحِ كُلِّمَا
وَلَوْ لَمْ يَرِدْ هَذَا الْمِثَالُ لَمَا بَقِيَ
لَقَدْ أَصْبَحَ الْمَمْلُوكُ عَبْدًا مُكَاتَبًا
فَلَا غَرَوْ أَنْ يَبْنِي عَلَى الْأَفْقِ مَجْدَهُ
وَأَنْ صَلَاحًا نَالَ عَظْفَكَ فِي الْوَرَى
أَيَا مَنْ لَهُ سَبْقُ الْمَعَالِي إِذَا جَرَتْ
وَمَنْ يَتَحَلَّى الدَّهْرُ مِنْهُ بِمَا جِدَ
وَمَنْ لَاقَ مِنْ عَيْنِ الْكَمَالِ انْتِقَاؤُهُ
وَمَنْ فَرَعَتْهُ دَوْلَةُ خَالِدِيَّةٌ
لِيَهْنِيءَ بَنِي مَخْزُومَ فَخْرٌ غَدَا إِلَى
وَفَاحَتْ خُزَامِي مَجْدٍ مَخْزُومَ فِي الْوَرَى
وَلَمْ لَا وَسَيْفُ اللَّهِ خَالِدٌ مِنْهُمْ
فَكَمْ طَالَ مِنْهُ لِلْعَدَى صَدْرُ أَبْتَرٍ
بَقِيَتْ عِمَادُ الدِّينِ دُخْرُ امْرِئٍ صَفَتْ
وَأَخْلَصَ فِيكُمْ حُبُّهُ وَوَلَاءُهُ

١٩ * أَلْطَبْنُغَا (٣) :

تَذَكَّرْكُمْ قَلْبِي يَزِيدُ انْتِقَادُهُ
مِنَ الْخَاطِرِ الْمُشْتَاكِ إِلَّا رَمَادُهُ
وَتَمَّ لَهُ مِمَّا يُرِيدُ مُرَادُهُ
لَأَنَّكَ مِنْ دُونِ الْأَنَامِ عِمَادُهُ
عَلَيْهِ بَعِيدٌ أَنْ يَرَاهُ فَسَادُهُ
لِنَيْلِ الْعُلَا يَوْمَ الْفَخَارِ جِيَادُهُ
تَكَمَّلَ فِيهِ حِلْمُهُ وَسَدَادُهُ (١)
وَصَحَّ عَلَى زَيْفِ الْأَنَامِ انْتِقَادُهُ
فَطَارِفُهُ مَجْدٌ عَلَا وَتِلَادُهُ (٢)
عِمَادِهِمْ دُونَ الْأَنَامِ مَعَادُهُ
فَطَالَتْ رَوَائِيهِ وَطَابَتْ وَهَادُهُ
عَلَى عَاتِقِ الْمُلْكِ الْأَغَرِّ نِجَادُهُ
وَمَا قَصَّرَتْ فِي الدَّارِ عَيْنَ صِعَادُهُ
لِبَيْتِكُمْ نِيَّاتُهُ وَاعْتِقَادُهُ
وَصَحَّ عَلَى طُولِ الْبِعَادِ وِدَادُهُ

الْأَمِيرُ الْأَجَلُ ، علاء الدين الجاؤلي ، رحمه الله تعالى .

كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مُجَارَاةٌ وَمُبَارَاةٌ يَطْرَبُ لَهَا الْجَمَادُ ، وَيَهْتَرُّ لَهَا الْفَاضِلُ

(١) فِي أ ، م : × . . . حَكَمَهُ وَسَدَادُهُ .

(٢) فِي ب : وَمَنْ فَرَعَتْهُ مِنْ دَوْحَةِ خَالِدِيَّةٍ × . وَفِي س : وَمَنْ فَرَعَتْهُ دَوْحَةُ خَالِدِيَّةٍ .

(٣) تَرْجَمْتُهُ فِي : أَعْيَانُ الْعَصْرِ ١/٦١٠ وَالرَّوَائِي بِالْوَفَايَاتِ ٩/٣٦٦ وَفَوَاتُ الْوَفَايَاتِ ١/٢٠٥ وَتَذَكُّرَةُ النَّبِيَّةِ

٣/٥٠ وَتَارِيخُ ابْنِ قَاضِي شَهْبَةِ ١/٣٧٩ وَالتَّرَرُ الْكَامِنَةُ ١/٤٠٧ وَالنُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١٠/١٠٥ وَالمَنْهَلُ

الصَّافِي ٣/٧١ وَالدَّلِيلُ الشَّافِي ١/١٥٢ .

- وَفَاتَهُ سَنَةَ ٧٤٤ هـ .

والعماد ، ولكن لم أجد منها شيئاً عند تعلّقي هذه الأحرف ، ولم أفع على ما لعله يسمَح أو يُطَرَف ، غير ما أذكره ها هنا وأسطره ، وهو :
ما كتبه إليّ وقد وردت القاهرة سنة ٧٣٦ . وهي من مرذولٍ شعري^(١) : [من

الطويل]

إِلَيْكَ صَلَاحَ الدِّينِ أَهْدِي تَحِيَّةً كَنَشْرِ عَيْبٍ فِي الْجُيُوبِ إِذَا فُضًّا
وَمِنْ عَجَبِي أَنَّ الدِّيارَ قَرِيبَةً وَمَا فُزْتُ مِنْكُمْ بِالْوِدَادِ الَّذِي أَرْضَى
فَمِنْ بُعْدِكُمْ قَلْبِي تَأَلَّفَ بِالْأَسَى وَمِنْ بُعْدِكُمْ لَمْ أَذَرِ نَوْمًا وَلَا غَمَضًا
وإِنِّي عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي تَعْهَدُونَهُ مُقِيمٌ أَرَى حِفْظَ الْوِدَادِ لَكُمْ فَرَضًا
وَأَقْسَمَ قَلْبِي لَا يَقْرُ قَرَارُهُ وَلَا يَرْعُوِي حَتَّى يَرَى بَعْضُنَا بَعْضًا

● فكتبتُ أنا الجوابَ إليه ارتجالاً^(١) : [من الطويل]

أَيَا جِيزَةٍ قَدْ عَوَّدُوا الْحِلْمَ وَالْإِعْضَا وَحُبُّهُمْ قَدْ مَارَجَ الرُّوحَ وَالْأَعْضَا
وَحَقِّكُمْ مَا أَهْمَلَ الْعَبْدُ خِدْمَةً لَكُمْ وَجَبَتْ لِكِنَّهَا بَعْدَ ذَا تَقْضَى
أَنْنَسَى جَمِيلًا مِنْكُمْ قَدْ أَلْفَتْهُ وَحُسْنَ وِدَادٍ يُشْبِهُ الزَّهَرَ الْغَضَا
وَلُطْفًا يُحَاكِي نَسْمَةَ الرُّوضِ سِحْرُهُ فَإِنَّ لَهَا فِي الْعَاشِقِ الْبَسْطَ وَالْقَبْضَا
وَأَيَّامَ لَهْوٍ قَدْ تَقَضَّتْ بِقُرْبِكُمْ نُدَاوِي بِهَا مِنْ دَهْرِنَا أَنْفُسًا مَرْضَى
أَلَا خَفُّوا مِنْ عَتَبِكُمْ عَنْ مُحِبِّكُمْ [٣٦] فَذَاكَ ضَعِيفٌ لَا يُطِيقُ بِهِ نَهْضَا
فَلَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ وَيَذْكُرَ عَذْرُهُ فَإِنْ تَقَبَّلُوهُ رَحْمَةً قَبْلَ الْأَرْضَا

● وَأَشْدَّنِي يَوْمًا لِنَفْسِهِ^(٢) : [من البسيط]

انْهَلْ أَدْمَعُهَا دُرًّا وَفِي فَمِهَا دُرٌّ وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ وَتِمْثَالُ^(٣)

(١) الأبيات في أعيان العصر .

(٢) هما في : أعيان العصر والوافي والفوات وتذكرة النبيه والذّرر الكامنة والنجوم الزاهرة والمنهل .

(٣) روايته في م : انْهَلْ مَدْمَعُهَا دُرًّا وَمَبْسَمُهَا دُرًّا . . .

لَأَنَّ ذَا جَامِدٍ فِي الثَّغْرِ مُنْتَظِمٌ وَذَاكَ مُنْتَشِرٌ فِي الْخَدِّ سَيَّالٌ

● فَأَنْشَدْتُهُ أَنَا لِنَفْسِي ^(١) : [من السريع]

غَايِبَةٌ فِي فَمِهَا جَوْهَرٌ بِمِثْلِهِ تَبْكِي هَوًى هَائِلًا
فَرَّاحٌ ذَا فِي نَظْمِهِ وَاقِفًا وَلَاخٌ ذَا مَبْعٌ نَثْرِهِ سَائِلًا

● وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ أَيْضًا ^(٢) : [من الوافر]

وَسُودٌ صَيَّرَتْهَا السُّودُ بِنِضًا فَلَا تَطْلُبُ مِنَ الْأَيَّامِ بِنِضًا
فَبَعْدَ السُّودِ تَرْجُو الْبِنِضَ ظُلْمًا وَقَدْ سَلَّتْ عَلَيْهَا السُّودُ بِنِضًا

● فَأَنْشَدْتُهُ أَنَا لِنَفْسِي ^(٢) : [من الطويل]

عَجِبْتُ لِدَهْرِ سَرَّنِي زَمَنَ الصَّبَا وَكَدَّرَ عَيْشِي بِالْمَشِيبِ انْتِقَاضُهُ
فَبَيَّضَ عُمْرِي مِنْ شَبَابِي سَوَادُهُ وَسَوَّدَ دَهْرِي مِنْ مِثْيَيْ بَيَاضُهُ

● وَكُتِبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مِنْ صَفَدِ الْمَحْرُوسَةِ فِي سَنَةِ ٧١٨ أَتَشَوَّقُ إِلَيْهِ وَهُوَ بدمشق

المَحْرُوسَةِ ، مِنْ جُمْلَةِ قَصِيدَةٍ ^(٣) : [من البسيط]

بِاللَّهِ يَا بَارِقًا مِنْ قَاسِيُونَ بَدَتْ أَعْلَامُهُ خَافِقَاتٍ فِي دِيَاغِيهِ
قِفْ لِي بِتِلْكَ الرُّبَا إِنْ شِئْتَ تُسْعِفُنِي وَأَنْشُدْ فُؤَادَ شَجٍّ قَدْ عَزَّ فَادِيهِ ^(٤)
وَنَبِّهِ الْوُرُقَ وَالظُّلُمَاءُ عَاكِفَةً لَيْلًا لِيَتَحَكَّى نُوَاحِي فِي نَوَاجِيهِ
وَاخُذْ أَحَادِيثَ مَا تَزْوِيهِ مِنْ خَبَرٍ وَحَالِكِ جِسْمِي ضَنْئِي إِنْ كُنْتُ تَحْكِيهِ
وَقُلْ قَضَى نَحْبَهُ الْعَانِي أَسَى وَجَوَى وَمَا قَضَى مَا تَرْجَى مِنْ أَمَانِيهِ ^(٥)

(١) هما في : أعيان العصر والوافي والفوات وتذكرة النبيه والذَّبر الكامنة والنجوم الزاهرة والمنهل .

(٢) هما في : الوافي وأعيان العصر .

(٣) الأبيات في أعيان العصر .

(٤) في ب : × وأنشد فؤاد شجِّي عزَّ فاديه .

(٥) في ب ، م : × وما قضى ما يُرْجَى . . .

كَأَنَّمَا كَانَ عَيْشٌ مَرَّ غَائِبَةً تُجَلِّى بِكُمْ وَلَا لِيَهَا لِيَالِيهِ ^(١)
أَحْبَابَنَا إِنْ تَمَادَى الْبُعْدُ وَاتَّصَلَتْ أَيَّامُهُ وَاسْتَقَلَّتْ فِي تَرَاحِيهِ ^(٢)
فَلَا تَضُّوْا عَلَى الْمُضْنَى بِطَنِفِكُمْ فَفِيهِ لِلْوَالِهِ الْمُشْتَاكِ مَا فِيهِ
يَكْفِيهِ إِنْ زَارَهُ طَيْفُ الْخِيَالِ وَلَا يَكْفِيهِ مِنْكُمْ بَلَى وَاللَّهِ يَكْفِيهِ
فَالصَّبُّ إِنْ عَاقَتْ الْأَيَّامُ مَطْلَبَهُ يَرْضَى بِدُونِ الْمُنَى أَوْ مَا يُدَانِيهِ ^(٣)

* * *

حَرْفُ الْبَاءِ

٢٠ * أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مَحْمُودٍ بْنُ سَلْمَانَ بْنِ فَهْدٍ ^(٤) :

القاضي البليغُ الرَّئيسُ ، شَرَفُ الدِّينِ ، كَاتِبُ السَّرِّ الشَّرِيفِ بِالْقَاهِرَةِ
وبالشَّامِ ، ابنُ القاضي شَمْسِ الدِّينِ كَاتِبِ السَّرِّ الشَّرِيفِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ ،
ابنُ الْعَلَامَةِ الشَّيْخِ شَهَابِ الدِّينِ كَاتِبِ السَّرِّ الشَّرِيفِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ .

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مِنَ الشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، وَأَنَا بِالذَّيَّارِ الْمِصْرِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ ،
يَطْلُبُ مِنِّي الْحُضُورَ إِلَى الشَّامِ لِيُجَهِّزَنِي إِلَى الرَّحْبَةِ مُوقَّعًا ^(٥) : [من الكامل]

(١) كذا في أ ، ب . وفي أعيان العصر : كأنما مرَّ عيشٌ كان غائبةً × تجلَّى

(٢) في ب : × في مراخيه .

(٣) بعد ذلك في س : فكتب هو الجوابُ إليَّ عن ذلك . قلت : وليس ثمة جواب .

(٤) ترجمته في : أعيان العصر ١٢/٢ والوافي بالوفيات ٢٥٩/١٠ وذيول العبر ٢٣٨ ووفيات ابن رافع

١٨٨/١ وتذكرة النبيه ٥٦/٣ وتعريف ذوي العلا ٢٧ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣٦٩/١ والدَّررُ الكامنة

٤٦٤/١ والنجوم الزاهرة ١٠٦/١٠ والدليل الشافي ٨٢٢/٢ .

ـ مولده سنة ٦٩٣ هـ . ووفاته سنة ٧٤٤ هـ .

(٥) الأبيات في أعيان العصر .

يا فاضلاً فَحَرَ الْوَرَى بِخِلَالِهِ
شَرَفَ دِمَشْقَ إِنِ ارْتَضَيْتَ بِزُورَةٍ
فَقُلُوبُنَا مِنْ شَوْقِهَا جَمَرَاتُهَا
فَلَقَدْ مَلَأَتْ دِيَارَ مِصْرَ فَضَائِلًا
فاجْعَلْ لَنَا مِنْ تَبَرِ فَضْلِكَ فَضْلَةً
إِنَّ الْكَرِيمَ هُوَ الْجَوَادُ عَلَى الَّذِي

وَعَلَا عَلَى أَفْقِ الْعُلَا بِجَلَالِهِ
وَاشْفِ الْجَوَى مِنْ كُلِّ قُلْبٍ وَآلِهِ
لَمْ يُطْفِئْهَا بِالذَّمْعِ فَيَضُ سِجَالِهِ
كَمْ فَاضَ مِنْهَا النَّيْلُ عِنْدَ نَوَالِهِ
يَغْنَى بِهَا الْمَضْرُورُ عِنْدَ سُؤَالِهِ^(١)
قَدْ رَاحَ يَسْأَلُ مَالَهُ فِي مَالِهِ

● فكتبْتُ أَنَا الجوابَ إليه^(٢) : [من الكامل]

قُمْ فِي الدُّجَى حَتَّى الصَّبَاحِ وَوَالِهِ
وَأْمِلْ بِمَا تُمْلِيهِ أَغْطَاكَ الْوَرَى
وَأَسْجَعُ فَإِنَّكَ مَا بَرَحْتَ مُطَوَّقًا
مَوْلَى غَفْلَتٍ وَنَمَتَ عَنْ نَيْلِ الْمُنى
[٣٦ب] وَاسْتَأْقَاهَا غُرًّا إِلَيْكَ وَأَنْتَ لَمْ
وَالِبِرُّ أَفْضَلُ مَا أَتَى عَفْوًا وَلَمْ
هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الَّذِي فَضَحَ الْحَيَا
تَلْهُو بَنُو الْأَمَالِ عَنْ مَطْلُوبِهَا
كَرَّمَ يَفِيضُ عَلَى الْعُفَاةِ سَحَابُهُ
لِلَّهِ سَعْيُكَ فِي الْمَعَالِي إِنَّهُ
وَعَدَا يَجُرُّ عَلَى الْمَجْرَةِ سَاحِبًا
وَسَعَى فَأَذْرَكَ غَايَةً مِّنْ أُمَّهَا

بِدُعَا يَقُومُ يَبْغِضُ حَقَّ نَوَالِهِ
وَاحْمَدُ أَبَا بَكْرٍ عَلَى إِفْضَالِهِ
إِمَّا بِضَافِي جَاهِهِ أَوْ مَالِهِ
فَأَبَى وَصَيَّرَهَا شَوَاغِلَ بَالِهِ
تَخْتَجِ إِلَى تَحْرِيكِهِ سُؤَالِهِ
تَقْبِضُ يَدَ الرَّاجِي حِبَالَ مَنَالِهِ
وَسَمَا بِجَذْوَاهُ عَلَ هَطَّالِهِ
عِلْمًا بِأَنَّ لَهُمْ كَرِيمٌ خِلَالِهِ
وَيَسِخُّ وَابِلُهُ عَلَى اسْتِزْسَالِهِ
جَعَلَ الثَّرِيًّا فِي عِدَادِ نِعَالِهِ
يَوْمَ الْفَخَارِ الْفَضْلَ مِنْ أَذْيَالِهِ
قَامَتْ دَرَارِيهَا مَقَامَ ذُبَالِهِ

(١) سقط البيت من ب .

(٢) القصيدة في أعيان العصر .

ما عاق نائله عن العافي مدى
يا آل محمودٍ ليهنأ مجدكم
أقسمت ما لشبا السيوف إذا مضت
كلأ ، ولم نرقط بحراً مد من
خط أظن الروض جود عندما
وتلفظ إن قلت سحر لم يسع
وخلائق كالروض أهدى نشره
وسياسة طاش العدو لها وقد
فالله يحرس للزمان بقاءه

وعيد ولا شان العطا بمطالهِ
شرفت أناف على الوري بجلالهِ
في يوم معركة جلد جلالهِ
أمواههِ ما بث من أموالهِ
شقت كمام الزهر تحت مثالهِ
ني أن يكون حرام ذا كحلالهِ
مر السيم على ذواب ضالهِ
سكن الولي وقر من زلالهِ
ويمتع الدنيا بفضل كمالهِ

● وكتب هو إلي ونحن على الأهرام ضحبة الركاب الشريف ، ملغزاً في

« القُرْطِ »^(١) : [من مجزوء الرجز]

ما اسم ثلاثي ترى
اعمذ إلى تركيبهِ
تجد جنى يطى في الـ
واعكسه إن تركته
ترى به ذا طرقي
أبنه يا من فضله

حلته مؤوفه
فيه وصحف أحرقة
عود به من قطفه^(٢)
من بعد أن تحرفه^(٣)
بين الوري مختلفه^(٤)
يعجز من قد وصفه

(١) الأبيات في الوافي وأعيان العصر .

(٢) يريد : قرط . والقارطان : يذكر بن عترة وعامر بن رهم ، وكلاهما من عترة ، خرجا في طلب القرط ، فلم يرجعا .

فقيل في المثل : لا أتيك أو يؤوب القارط . وحتى يؤوب القارط العتري . (القاموس « قرط ») .

(٣) عكسه : طرق . وتحريفه : طرف .

(٤) في ب : ترى به من طرق × .

● فكتبْتُ أنا الجوابَ إليه عن ذلك^(١) : [من مجزوء الرجز]

يَا سَيِّدًا قَدْ زَانَهُ رَبُّ الْعُلا وَشَرَّفَهُ
وَقَدَّرَ الصَّوَابَ فِي أَقْلَامِهِ الْمُحَرَّفَهُ
وَأَوْضَحَ الْفَضْلَ لِمَنْ يَطْلُبُهُ وَعَرَّفَهُ
أَبَدَعْتَ لُغزًا حَسَنًا صِفَاتُهُ مُسْتَظَرَّفَهُ
مَثَّلْتَ الْحُرُوفَ كَمْ رَبَّعَ رَبِّ مَعْرِفَهُ
خُضِرَتْهُ يَانَعَهُ بِهِيَّةٍ مُشَرَّفَهُ
كَمْ زَانَ أَرْضًا أَفْقَرَتْ وَوَجَنَةً مُزَخَرَّفَهُ
فَالثَّلَاثُ مِنْهُ سُورَةٌ آيَاتُهَا مُشَرَّفَهُ^(٢)
بَلْ جَبَلٌ أَحَاطَ بِالْ أَرْضِ وَذَاكَ مَعْرِفَهُ^(٣)
وَانْظُرْ لِثُلَاثِيهِ تَجِدْ كِلَيْهِمَا فِي طَرَفِهِ^(٤)
بَقِيَّتَ مَا جَرَّ النَّسِيءِ سَمٌ فِي الرِّيَاضِ مُطَرَفَهُ
فِي ظِلِّ سَعْدٍ تَزْتَقِي مِنَ النَّعِيمِ غُرَفَهُ

● وكتبَ هو أيضاً إِلَيَّ مُلْغزاً في « حَلْفَا »^(٥) : [من السريع]

يَا مَاجِدًا نَجَّهْدُ فِي وَصْفِهِ وَفَضْلُهُ مِنْ بَعْدِ ذَا أَوْفَى
مَا اسْمٌ إِذَا مَا رُمْتَ إِنْصَاحَهُ عَزَّ وَعَنْ فِكْرِكَ لَا يَخْفَى
وَهُوَ رُبَاعِيٌّ وَفِي لَفْظِهِ تَرَاهُ حَقًّا نَاقِصاً حَرْفَا

(١) القصيدة في الوافي وأعيان العصر .

(٢) سورة ق .

(٣) جبل قاف ، بزعمهم .

(٤) يريد : طر .

(٥) القصيدة في الوافي وأعيان العصر .

صَحْفُهُ وَاخْذِفْ رُبْعَهُ تُلْفِهِ
وَهَذِهِ الْبَلَدَةُ تَصْحِيفُهَا
وَإِنْ تُصَحِّفْ بَعْضَهَا فَهِيَ مَا
وَذَلِكَ الْأِسْمُ عَلَى حَالِهِ
لَمْ يُرَ ذَا حَزْبٍ وَكَمْ شَبَّ مِنْ
وَإِنْ تَشَأْ صَحْفُهُ وَانْظُرْ تَجِدْ
أَبْنَهُ يَا مَنْ لَمْ يَزَلْ فِكْرُهُ
لَا زِلْتَ تُبْدِي لِلْوَرَى كُلَّ مَا

مَدِينَةً كَمْ قَدْ حَوَتْ لُطْفًا^(١)
خَلَقَ يَفُوتُ الْحَدَّ وَالْوَصْفًا^(٢)
زَالَتْ تُرَى فِي أُذُنِ شَنْفًا^(٣)
حَرْفُهُ يَرْجِعُ لِلصَّبَا « حِلْفًا »
نَارٍ لِغَيْرِ الرُّوعِ مَا تُطْفَأُ^(٤)
« خَلْفًا » سَوِيًّا قَطُّ مَا أَغْفَى
يَرْفَعُ عَنْ بَكْرِ النَّهْيِ سِجْفًا
يَسْتَوْقِفُ الْأَسْمَاعَ وَالطَّرْفَا

● فكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ^(٥) : [من السريع]

يَا سَيِّدَا أَلْسُنُ أَقْلَامِهِ
وَمُخْسِنًا مَا زَالَ طِيبُ النَّشَا
أَلْغَزَتْ شَيْئًا لَمْ يَلْنِ مَسَّهُ
وَمُفْرَدٌ إِنْ أَلَفَتْ عُوِّضَتْ
وَنِصْفُهُ « حَلَّ » وَإِنْ تَحْذِفِ الْ
وَلَيْسَ بِالْبَذْرِ عَلَى أَنَّهُ
أَمَّا هُنَا فِي بَرٍّ مُضَرٍّ وَإِنْ
إِنْ زَا حَمَ الشَّاعِرِ يُذَكَّرُ بِهِ

كَمْ صَرَفَتْ عَنْ عَبْدِهِ صَرْفًا
عَلَيْهِ حَتَّى زَيْنَ الصُّحُفَا
فَرَاخَ إِنْ صَحَفْتَهُ جِلْفًا
أُولَاهُ يَرْجِعُ بَعْدَ ذَا « أَلْفَا »
أَوَّلَ مِنْ أَخْرُفِهِ « لَفَا »
بِاللَّيْلِ كَمْ قَدْ نَزَلَ الطَّرْفَا^(٦)
صَحَفَتْ يُصْبِحُ بَعْدَ ذَا خَلْفَا
كَشَاجِمًا فِي الْحَالِ وَالرَّفَا

(١) يريد : جَلَقَ .

(٢) خَلَقَ ، تَصْحِيفَ جَلَقَ .

(٣) جَلَقَ .

(٤) نار الحلفا : يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي سُرْعَةِ الْإِيقَادِ . (ثمار القلوب ٢ / ٨٣١) .

(٥) القصيدة في الوافي وأعيان العصر .

(٦) في ب : . . . ولو أنه × .

لَا زِلْتَ تَرْقَى فِي الْعُلَا صَاعِدَا مَا نَظَّمَ الشَّاعِرُ أَوْ قَفَى
فِي ظِلِّ عَيْشٍ قَدْ صَفَا وَرَدُّهُ وِرَاحَ بِالْإِقْبَالِ قَدْ حُقَّا

[٣٧] ● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ مُلْغِزاً فِي « الْهَوَاءِ » ^(١) : [من المتقارب]

أَيَا مَاجِداً مَا وَهَى فَضْلُهُ وَنَجْمٌ مَكَارِمِهِ مَا هَوَى
أَبْنِ أَيْمًا اسْمٍ خَفَى مَنْظَرًا وَخَفَّ وَيُلْفَى شَدِيدَ الْقَوَى
وَلَا وَزْنَ فِيهِ وَفِي وَزْنِهِ إِذَا أَنْتَ حَقَّقْتَ عَمْدًا سَوَى

● فَكُتِبْتُ أَنَا الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ ^(١) : [من المتقارب]

أَيَا مَنْ تَقْصُرُ أَمْدَاخُنَا وَأَوْصَافُنَا فِيهِ عَمَّا حَوَى
كَأَنَّكَ أَلْغَزْتَ لِي فِي الَّذِي غَدَا وَلَهُ النَّشْرُ فِيمَا انْطَوَى
إِذَا مَرَّ فِي الرُّوضِ خَرَّتْ لَهُ غُصُونُ الْأَرَاكِ وَبَانَ اللَّوَى
يُمَدُّ وَيُقْصَرُ فِي لَفْظِهِ فَلِلْجَوِّ هَذَا وَذَا لِلْجَوَى

● وَكُتِبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مِنْ صَفْدِ الْمَحْرُوسَةِ فِي سَنَةِ ٧٣٣ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيَّ نَقْدَةً

ذَهَبٍ ^(٢) : [من البسيط]

يَا نَسْمَةً لِأَحَادِيثِ الْحِمَى نَقَلْتُ أَمَلْتُ قُضِبَ اللَّوَى مِنْ بَعْدِ مَا اعْتَدَلْتُ
خَطَرْتُ مَا بَيْنَهَا فَاغْتَادَهَا طَرَبُ فَرَنَحْتُ عِطْفَهَا بِالسُّكْرِ وَانْفَتَلْتُ ^(٣)
فَإِنْ تَكُنْ فَهَمْتُ مَعْنَى ظَفِرْتُ بِهِ فَعُذِّرُهَا وَاضِحٌ فِي كُلِّ مَا فَعَلْتُ
قَدْ كَانَ لِلْمِسْكِ أَنْفَاسٌ تَضُوعُ شَدَاً فَمُذْ أَتَيْتُ بِأَخْبَارِ الْحِمَى خَمَلْتُ
بِاللَّهِ كَيْفَ أَحِبَّائِي الَّذِينَ نَأَتْ بِي الْمَنَازِلُ عَنْ أَقْمَارِهِمْ وَخَلْتُ

(١) الأبيات في الوافي وأعيان العصر .

(٢) القصيدة في أعيان العصر .

(٣) في ب : x وانفعلت .

قَدْ كُنْتُ أَبْدَيْتُ أَعْدَاراً لِقَلْبِي فِي الْهَلِّ - عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ - حَالِ عَهْدِهِمْ
 آهَاءَ مِنَ الْبُعْدِ آهَاءٌ لِي كِبْدًا
 وَأَذْمَعًا إِنْ جَرَى ذِكْرُ الْوِصَالِ جَرَتْ
 وَمُهِجَةً سَأَلْتُ لَوْ كَانَ يَنْفَعُهَا :
 وَعَزَمَةً عَاقَهَا حَظٌّ بِهِ ابْتَلَيْتُ
 أَشْكُو الدَّيَالِي وَمَا لِي فِي الْوَرَى حَكَمٌ
 يَا دَهْرُ هَلْ نَهَضْتُ مِنْكَ الْجِبَالَ بِمَا
 يَا دَهْرُ إِنْ عَادَتْ الْآيَامُ تَجْمَعُنَا
 وَإِنْ ظَفِرْتُ بِلِثَمِ الثُّرْبِ بَيْنَ يَدَيِ
 ذَاكَ الَّذِي إِنْ عَلَتْ زُهْرُ الْكَوَائِبِ فِي
 ذَاكَ الَّذِي لَا أَرَى إِلَّا سَجِيَّتَهُ
 ذَاكَ الَّذِي خُلِقْتُ لِلْجُودِ رَاحَتُهُ
 أَقُولُ إِذْ عَمَّنِي بِالتَّبَرِّ نَائِلُهُ
 مَكَارِمٌ فَهَمَّتْ مَا أُرْتَجِي فَهَمَّتْ
 كَمْ نَلْتُ خَمْسَ مِئَةٍ مِنْ بَعْدِ خَمْسِ مِئَةٍ
 مَاذَا تَرَى فِي أَيَادِي مَا أَقَابِلُهَا
 لَوْلَا عَلَا شَرَفِ الدِّينِ الَّتِي بَهَرَتْ
 أَقْلَامُهُ الْحُمُرُ فِي صَوْنِ الْمَمَالِكِ لَوْ

بَقَاءَ مِنْ بَعْدِهِمْ بِاللَّهِ هَلْ قِيلَتْ
 فَمُهَجَتِي مَا انْتَشَتْ عَنْهُمْ وَلَا انْتَقَلَتْ
 تَضَرَّمْتُ بِلَطْفِ الْأَشْوَاقِ وَاشْتَعَلْتُ
 شَوْوَنُهَا فَتَخَالَ السُّحُبِ قَدْ هَطَلْتُ
 بِأَيِّ ذَنْبٍ عَلَى التَّحْقِيقِ قَدْ قُتِلْتُ
 لَوْلَاهُ كَانَتْ عَلَى الْمَطْلُوبِ قَدْ حَصَلْتُ
 يَكْفُ عَنِّي عَوَادِيهَا الَّتِي اتَّصَلْتُ
 نَهَضْتُ فِيكَ مِنَ الْبَلَوَى أَوْ اخْتَمَلْتُ
 غَفَرْتُ مَا عَرَفْتُ مِنِّي وَمَا جَهِلْتُ
 مَنْ أُرْتَجِي زَالَتِ الْبُاسَاءُ وَازْتَحَلْتُ
 مَحَلَّهَا تَلْقَاهَا عَنْ تُرْبِهِ نَزَلْتُ
 عَلَى الْهُدَى وَالتَّقَى وَالْبِرِّ قَدْ جُبِلْتُ
 فَقَاقَتِ الْغَيْثَ إِذْ تَهَمِّي وَمَا اخْتَمَلْتُ (١)
 هَذَا إِلَى السُّحُبِ إِنْ جَادَتْ وَإِنْ بَخِلَتْ
 وَهَمَّةٌ فَعَلْتُ مَا لَمْ يُطِيقْ فَعَلْتُ (٢)
 كَذَا أَعَدُّهَا يَوْمًا وَمَا انْفَصَلْتُ
 بِالشُّكْرِ إِلَّا أَرَاهَا وَهِيَ قَدْ فَضَلْتُ (٣)
 كَانَتْ شُمُوسُ النَّدَى وَالْفَضْلِ قَدْ أَفَلَتْ
 تَكُونُ سَطَوْتُهَا لِلْيَيْضِ مَا نَكَلْتُ

(١) فِي س : وَمَا اخْتَمَلْتُ .

(٢) فِي ب ، س : مَا أَشْكُو فَهَمَّتْ .

(٣) فِي ب : بِالشُّكْرِ لَمْ أَرَاهَا إِلَّا وَقَدْ فَضَلْتُ .

تَهْتَرُ فِي كَفِّهِ مِنْ فَوْقِ مُهْرَقِهِ
وَكَانَ فِيْمَا مَضَى لِلْسَّخْرِ تَرْجَمَةً
عِبَارَةً هِيَ أُنْدَى مِنْ نَسِيمِ صَبَاً
وَأَسْطَرٌّ إِنْ أَقْلَ مِثْلَ الْعُقُودِ فَمَا
[٣٧ ب] وَأَوْخَشْنَا لِمُحْيَاةِ الَّذِي نَقَصَتْ
فَلَسْتُ أَخْسُدُ إِلَّا مَنْ تَكُونُ لَهُ
هَلِ اللَّيَالِي تُرِينِي نُورَ طُلُوعِهِ
يَا آلَ مَحْمُودَ لَا ثُلْتُ عُروُشُكُمْ
وَلَمْ تَزَلْ مِنْكُمْ الْأَغْنَاقُ حَالِيَّةً

لَا تَهَا مِنْ مَعَانِي لَفْظِهِ ثِمَلْتُ^(١)
حَتَّى تَكَلَّمَ أَضَحَتْ وَهِيَ قَدْ بَطَلَتْ
مَرَّتْ عَلَى زَهْرَاتِ الرُّوضِ وَانْصَقَلَتْ
أَرَى الْعُقُودَ إِلَى تِلْكَ الْعُلَى وَصَلَتْ
لِحُسْنِهِ طُلُوعَةُ الْأَقْمَارِ إِذْ كَمَلْتُ
عَيْنٌ بِمَرَاهُ دُونِي فِي الْوَرَى كُجِلَتْ
فَرُبَّمَا غَلَطْتُ أَوْ رُبَّمَا عَدَلْتُ
وَلَا ذَوْتُ زَهْرَةٍ مِنْكُمْ وَلَا خَمَلْتُ
فَإِنَّهَا إِنْ خَلَتْ مِنْ فَضْلِكُمْ عَطَلَتْ

● فَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ^(٢) : [من البسيط]

يَا فَاضِلاً مِنْهُ أَقْمَارُ الْعُلَى كَمَلْتُ
وَمَنْ مَحَاسِنُهُ لِلنَّاسِ قَدْ بَهَرَتْ
لِلَّهِ دُرٌّ قَوَافٍ قَدْ بَعَثَتْ بِهَا
لَقَدْ أَطَاعَتْكَ أَنْوَاعُ الْبَلَاغَةِ فِي
وَمَا أَظُنُّكَ إِلَّا قَدْ بَعَثْتَ لَنَا
فَاللَّهُ يَشْكُرُ إِحْسَاناً حَبُوتَ بِهِ
مَا إِنْ وَعَتْ أُذُنٌ مَعْنَى بَلَاغَتِهَا
فَالزُّهْرُ قَدْ أُطْلِعَتْ وَالذُّرُّ قَدْ نَظِمَتْ
شَوْقِي إِلَيْكَ صَلاَحَ الدِّينِ مَا عَلِمْتُ
وَهَلْ يُحْسِنُ جَمَادٌ بِالَّذِي فَعَلْتُ

وَعَنْهُ آثَارُ أَرْبَابِ التُّهَى انْصَلَتْ
وَمَنْ مَكَارِمُهُ كُلُّ الْوَرَى شَمَلْتُ
طَالَتْ وَعَنْهَا نُجُومُ الْأَفْقِ قَدْ نَزَلَتْ
مَا قَدْ أَشْرَتْ مِنَ التَّرْتِيبِ وَامْتَثَلَتْ
خَمِيلَةً عِنْدَهَا زُهْرُ الدُّجَى خَمَلْتُ
فَمِنْ أَيَادِيكَ أَنْوَاءُ الْحَيَا خَجِلَتْ
إِلَّا وَأَمْسَتْ بِهَا الْأَعْطَافُ قَدْ ثِمَلْتُ
وَالزُّهْرُ قَدْ فَتَحَتْ وَالسَّخَرُ عَنْكَ تَلَتْ
بِشَرْحِهِ أَلْسُنُ الْأَقْلَامِ بَلْ جَهَلْتُ
بِي النَّوَى وَعَلَيْهِ أَضْلَعِي اشْتَمَلْتُ

(١) فِي س : . . . × . . . مِنْ مَعَانِي لُفْظِهِ . . .

(٢) الْقَصِيدَةُ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ .

وَمَا أَظُنُّ النَّوَى أُمِسْتُ تَزِيدُ عَلَى
كَأَنِّي بِكَ قَدْ أَقْبَلْتُ مُتَّصِرًا
وَقَدْ تَرَجَعَ فِيكَ الدَّهْرُ وَانْقَطَعَتْ
فَاصِبِرْ فَمَا الصَّبْرُ إِلَّا شِيْمَةٌ كَرُمْتُ
وَاللَّهُ يُبْقِيكَ فِي خَيْرٍ وَفِي دَعَاةٍ

● وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ ^(١) : [من البسيط]

وَفِي لَهَا الْحُسْنُ طَوْعًا بِالَّذِي اقْتَرَحَتْ
كَأَنَّهَا الْبَذْرُ فِي لَيْلِ الذَّوَائِبِ قَدْ
صَحَّتْ عَلَى سَقَمٍ أَجْفَانُهَا وَكَذَا
تَفْرِي حَشَايَ وَتُفْنِيهَا لَوَاحِظُهَا
مَهَاةٌ حُسْنٍ أَدَارِيهَا إِذَا نَفَرَتْ
قَدْ حَارَ فِي وَصْفٍ أَغْرَالِي الْعَدُولُ بِهَا
بَذَلْتُ فِي وَضْلِهَا رُوحِي فَقَدْ خَسِرْتُ
زَارَتْ لَتَمْنَحْنِي مِنْ وَضْلِهَا مِئْنًا
أَقْسَمْتُ مَا سَجَعْتُ وَزُقَ الْحَمَائِمُ فِي
وَكُلَّمَا اعْتَدَلْتُ بِالْمَيْلِ قَامَتْهَا
وَمَا اكْتَسَى خَذُّهَا مِنْ لَوْلُؤٍ عَرَقًا
وَلِي أَمَانِي نَفْسٍ طَالَمَا كَذَبَتْ
وَرَبَّ لَيْلٍ خَفِيفِ الْغَيْمِ أَنْجُمُهُ
يَتَلَوُ الْهِلَالَ الثُّرَيَّا فِي مَطَالِعِهَا

هَذَا وَقَدْ فَعَلْتُ فِينَا الَّذِي فَعَلْتُ
يَوْمًا عَلَى فِئَةٍ بِالْحَقِّ قَدْ خُذِلْتُ
عِصَابَةُ الْجَوْرِ عَمَّا فِيكَ وَانْخَزَلْتُ
وَمَا التَّجَلُّدُ إِلَّا رُبَّةٌ نَبَلْتُ
مَا حَرَّكَ الْغَضْنَ أَعْطَافًا قَدْ انْفَتَكَتْ

فَلَوْ رَأَتْهَا بُدُورُ التَّمِّ لَا فَتَضَحَّتْ
تَقَلَّدَتْ بِالنُّجُومِ الزُّهْرِ وَاتَّشَحَّتْ
أَعْطَافُهَا وَهِيَ سَكْرَى بِالشَّبَابِ صَحَّتْ
مَا ضَرَّ تِلْكَ الصَّفَاحَ الْبَيْضَ لَوْ صَفَحَتْ
عَنِّي وَأَعْطَفُهَا بِالْعَتَبِ إِنْ جَمَحَتْ
وَقَالَ : كَيْفَ حَلَّتْ فِي غَادَةٍ مَلَحَتْ
تِجَارَةُ الْحُبِّ فِي رُوحِي وَمَا رَبِحَتْ
أَهْلًا بِهَا وَبِمَا مَنَنْتُ وَمَا مَنَحْتُ
رَوْضٍ عَلَى مِثْلِ عِطْفِهَا وَلَا صَدَحْتُ
رَأَيْتُهَا فَوْقَ حُسْنِ الْغَضَنِ قَدْ رَجَحَتْ
لَكِنَّهَا وَزْدَةٌ بِالطَّلِّ قَدْ رَشَحَتْ
فِيهَا وَلَوْ جَنَحَتْ نَحْوَ الْوَفَا نَجَحَتْ
أَزَاهِرُ قَدْ طَفَتْ فِي لُجَّةٍ طَفَحَتْ
كَأَنَّهُ شَفَةُ لِلْكَأْسِ قَدْ فُتِحَتْ

(١) القصيدة في أعيان العصر .

وَلِلنَّسِيمِ رِسَالَاتٍ مُرَدَّدَةٌ
وَالزَّهْرُ قَدْ أُوقِدَتْ مِنْهُ مَجَامِرُهُ
تَحْكِي بِذَاكَ الشَّدَا الْفَيَّاحِ طِيبَ ثَنًا
سَهْلُ الْخَلَائِقِ لَا وَاللَّهِ مَا اغْتَبَقَتْ
مُسَدَّدُ الرَّأْيِ لَمْ تَقْضِرْ إِصَابَتُهُ
[١٣٨] رَقَى إِلَى غَايَةِ مَا نَالَهَا أَحَدٌ
بِهَمَّةٍ لَجَمِيعِ النَّاسِ عَالِيَةٍ
يُدَبِّرُ الْمُلْكَ مِنْ مِصْرِ إِلَى حَلَبٍ
يَسْتَعْمِلُ الْحَزَمَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فَكَمْ
خَصَّتُهُ عَاطِفَةُ السُّلْطَانِ فَهَوَّ بِهَا
حَتَّى لَقَدْ نَسَخَتْ آيَاتُ سُودْدِهِ
يَهْدِي عِدَاهُ وَلَيْسَ الْبَذْرُ يُفَكِّرُ مَعَ
أَضْحَتْ عَلَى الْجُودِ تُبْنِي رَاحَتَهُ وَمَا
كَانَتْ مَعَانِي الْهُدَى وَالْجُودِ قَدْ خَفِيَتْ
وَكَانَ لِلْجُودِ أَخْبَارٌ فَمَذُ رُويَتْ
لَوْلا الْوُلُوعُ بِأَنْ نَلْقَى لَهَا شَبَهَا
دَغْنِي مِنَ الْوُزَرَاءِ الذَّاهِبِينَ فَمَا
هَذَا الَّذِي إِنْ تَكُنْ أَرَاؤُهُمْ فَسَدَتْ
لَا زَالَ يَزْقَى وَيَلْقَى السَّعْدَ مُقْتَبِلًا
وَمَا تَأَلَّقَ بَزْقٍ لَيْسَ يُشْبِهُهُ

وَجَمْرَةُ الْبَرْقِ فِي فَحْمِ الدُّجَى قَدَحَتْ
فَكُلَّمَا لَفَحَتْ رِيحُ الصَّبَا نَفَحَتْ
عَلَى عَلَا شَرَفِ الدِّينِ الَّتِي مُدَحَتْ
بِمِثْلِهَا عُصْبَةُ سَكْرَى وَلَا اضْطَبَحَتْ
عَنِ الْهُدَى إِنْ دَنَتْ قُضُوهُ أَوْ نَزَحَتْ
وَلَا سَمَتْ نَحْوَهَا عَيْنٌ وَلَا طَمَحَتْ
وَنِيَّةٌ لِمَلِكِ الْعَصْرِ قَدْ نَصَحَتْ
بِعَزْمٍ كَافٍ بِهِ الْأَيَّامُ قَدْ فَرِحَتْ
قَدْ جَدَّ لَمَّا رَأَى بِنِصْ الطُّبَا مَرَحَتْ
يَأْسُو جَوَانِحَ دَهْرٍ طَالَمَا جَرَحَتْ
آيَاتٍ مَنْ قَدْ مَضَى مِنْ قَبْلِهِ وَمَحَتْ
مَحَلَّهُ فِي كِلَابِ الْأَرْضِ إِنْ نَبَحَتْ
زَالَتْ كَذَاكَ وَمَا انْفَكَّتْ وَمَا بَرِحَتْ
عَنَّا وَمَنْ مَجْدِهِ الْوَضَّاحُ قَدْ شَرِحَتْ
أَنْبَاؤُهُ نُسَيْتَ هَاتِكَ وَأَطْرَحَتْ
لَمَّا رَنْتَ مُقَلَّةً لِلشَّمْسِ إِذْ وَضَحَتْ^(١)
رَأَتْ لَوَاحِظُهُمْ هَذَا وَلَا لَمَحَتْ
فَإِنَّهَا مِنْهُ بِالتَّأْيِيدِ قَدْ صَلَحَتْ
مَا أَنْهَلَتْ الشُّحْبُ بِالْأَنْوَاءِ وَانْسَفَحَتْ
إِلَّا دِمَاءُ أَعَادِيهِ الَّتِي دُبِحَتْ

(١) في س، م : . . . نلقى له شبيهاً × .

● فكتبَ هو الجوابَ إليَّ عن ذلك^(١) : [من البسيط]

حَمَائِمُ الْأَيْكِ فِي الْأَفْنَانِ قَدْ صَدَحَتْ	أَمْ نَسَمَةُ الزَّهْرِ فِي الْأَصْبَاحِ قَدْ نَفَحَتْ
أَمْ رَوْضُهُ دَبَّجَتْهَا كَفُّ ذِي أَدَبٍ	غَضُّ لَغَيْرِ صَلَاحِ الدِّينِ مَا صَلَحَتْ
يَا فَاضِلًّا فَاقَ فِي الْآفَاقِ كُلِّ سَنًا	بُنُورِ طَلَعَتِهِ الْغَرَاءُ مُذْ لَمَحَتْ
أَوْحَشْتَنَا شَهِدَ اللَّهُ الْعَظِيمُ فَكَمْ	جَوَارِحُ بِسُيُوفِ الشَّقَمِ قَدْ جَرَحَتْ
فَلَا رَعَى اللَّهُ أَيَّامًا حَوَادِثُهَا	عَلَى تَفَرُّقِنَا قَهْرًا قَدْ اضْطَلَحَتْ
أَهْلًا بَعَادَتِكَ الْحَسَنَاءُ إِنَّ لَهَا	مَحَاسِنًا فِي بُدُورِ التَّمِّ قَدْ قَدَحَتْ
أَقْسَمْتُ مَا ظَفَرْتُ يَوْمًا بِمُشَبِّهَهَا	قَرِيحَةً مِنْ أَخِي نَظْمٍ وَلَا فَرِحَتْ
خَرِيدَةً وَلَدَتْهَا فِكْرَةٌ قَذَفَتْ	بِالدُّرِّ مِنْ لُجَّةٍ بِالْفَضْلِ قَدْ طَفَحَتْ
فَلَا بَرِخْتُ تُرِينَا كُلَّ آوَنَةٍ	قَصِيدَةً لَوْ رَأَتْهَا الشَّمْسُ لَأَفْتَضَحَتْ

● وكتبْتُ إليه من الدِّيارِ المِصْرِيَّةِ المحروسةِ ، وقد تَوَجَّهَ منها إلى الشَّامِ

المحروس ، في شعبان سنة ٧٣٣ : [من مجزوء الكامل]

الصَّبْرُ بَعْدَكَ مَا وَفَى	وَالنُّوْمُ أَشْرَفَ فِي الْجَفَا
وَالْجِسْمُ ذَابَ فَلَوْ أَرَا	دَعْنِ الْمَنِيَّةَ لَاخْتَفَى
وَالدَّمْعُ سَلَّ خَدَّيْ عِنْدَ	هُ فَقَدْ جَرَى مَا قَدْ كَفَى
وَالْعَيْنُ لَا وَصَفَاءَ وَدُ	دِي بَعْدَ بَعْدِكَ مَا صَفَا
أَفَمَا أَشْتَقِي مِنِّْي الْحُسُو	دُ بَلَى أَقُولُ قَدْ أَشْتَقِي
يَا نَازِحًا خَانَ الزَّمَا	نُ مُنَايَ فِيهِ وَمَا وَفَى
وَمُودَّعًا أَصْبَحْتُ إِذْ	فَارَقْتُهُ مُتَخَلِّفًا
أَنَا لَا أَقُولُ فَقَدْ ذُتُّهُ	بَلْ نُورُ عَيْنَيَّ انْطَفَا

(١) القصيدة في أعيان العصر .

إِنْ كَانَ عَبْدُكَ لَمْ يُمْتْ
لَمْ يَنْسَ ذِكْرَكَ سَاعَةً
كَمْ حَسْرَةً قَدْ أَغْمَدَتْ
وَمَذَلَّةً أَخْنَى الزَّمَا
تُغْضِي جُفُونِي إِنْ وَجَدْتُ
وَأَرَوْحُ مَا بَيْنَ الْأَسَا
وَاللَّهِ مَا أَفْنِي الدُّجَى
وَتَنَادُّمًا وَتَأَلُّمًا
يَا سَيِّدًا قَدْ جَرَّ مِنْ
وَعْدًا يَرَاغُ يَمِينِهِ
وَطُرُوسُهُ مَا تَزْتَضِي
[٣٨ ب] وَنِثَارُهُ وَنِظَامُهُ
لَوْ شَاءَ صَكَ قَفَا أَمْرِيءِ الْ
وَنَوَالُهُ مَنْ قَاسَهُ
كُنْ حَيْثُ كُنْتَ فَلَا أَرَى
مِنْ أَيْنَ أَلْقَى مِثْلَ جَنْبِ
أَوْ مِثْلَ جُودِكَ لَمْ يَزَلْ
فَلِذَا قَسَا زَمَنِي عَلَى
وَأَعَادَ لِي زَمَنَ الصَّبَا

فَعَلَى الْمَيِّتَةِ أَشْرَفَا
لَا وَالنَّبِيِّ الْمُضْطَفَى
لَكَ فِي حُشَاهُ مُزْهَفَا
نُ بِهَا عَلَيَّ وَأَسْرَفَا
تُ كَرَى عَلَى وَخَزِ السَّفَا
وِدِ وَالْأُسُودِ مُصْرَفَا
إِلَّا أَسَى وَتَأَشَّفَا
وَتَضَرُّمًا وَتَلَهَّفَا^(١)
فَوْقَ الْمَجَرَّةِ مُطْرَفَا
يَوْمَ الْمُهْهِمِّ مُثَقَّفَا
بِالرَّوْضِ فِيهَا أَحْرَفَا
حَلَّى الْبَيَانَ وَشَقَّفَا
سَقَيْسِ الَّذِي نَادَى « قِفَا »
بِحُبِّ الْحَيَا مَا أَنْصَفَا^(٢)
لِي عَنْ جَنَابِكَ مَصْرَفَا^(٣)
رِكَ كَيْفَ شِئْتُ مُصَحَّفَا^(٤)
لِي مُسْعِدًا أَوْ مُسْعِفَا
جِلْدِي الضَّعِيفِ تَعَطَّفَا
بَعْدَ الْمَشِيبِ وَأَخْلَفَا

(١) في ب : وشدائدًا × .

(٢) في س : × بحيا الحيا

(٣) في س : × لي عن جنانك

(٤) تصحيف جبرك : خيرك .

هَيْهَاتَ لَمْ يَضْلُخْ سِوَا لَكَ بِمِثْلِ ذَا أَنْ يُوصَفَا
فَمَتَى يَرَى يَعْقُوبُ حُزْنَ نِي مِنْ جَمَالِكَ يُوسُفَا

يُقَبِّلُ الْأَرْضَ ، لَا قَطَعَ اللَّهُ لَهَا عَنْ الْأَوْلِيَاءِ بَرًّا ، وَلَا أَمْطَرَ الْإِعْدَامَ سِوَى
سُحْبِ جُودِهَا ، فَكَمْ دَرَّ غَيْثُهَا دُرًّا وَتَبْرًا ، وَلَا رَفَعَ فِي السَّمَاءِ بَارِقَةً غَيْرَ نَارِ
قِرَاهَا ، فَكَمْ رَفَعَتْ ذَوَائِبُهَا فِي اللَّيْلِ أَلْوِيَةَ حُمْرًا ؛ وَلَا نَظَّمَ فِي سِلْكِ طَرِيقِهَا
غَيْرَ جَوَاهِرِ التَّقْبِيلِ ، فَكَمْ أَدَارَ اللَّثْمُ عَلَيْهَا دُرًّا ؛ وَلَا نَفَضَ مِنَ الْعُيُونِ الرَّمْدَ إِلَّا
تُرَابُهَا^(١) ، فَإِنَّهَا تَبُرُ بِذَلِكَ وَتَبْرَا ؛ وَلَا بَرَدَ الْأَخْشَاءَ الظَّامِئَةَ إِلَّا بِلَثْمِ أَعْتَابِهَا ،
فَقَدْ أَضْحَى ثَنَاؤُهَا مُسْتَقَرَّى عَلَى الْمَعَالِي مُسْتَقِلًّا مُسْتَقَرًّا ، وَلَا أَخْلَى حِمَاها مِنْ
الْعُقَاةِ ، فَإِنَّ التَّجَاحَ غَدَا بِهَا مُسْتَمَلًّا مُسْتَمَدًّا مُسْتَمَرًّا ؛ وَلَا أَنْزَلَ بِجَنَاتِ جَنَابِهَا
غَيْرَ الشَّرَفِ ؛ فَإِنَّهَا مَا فَارَقَتْهُ مُذْ عَرَفَتْهُ وَهَلُمَّ جَرًّا^(٢) : [من البسيط]

هِيَ الشِّفَاءُ لِدَائِي لَوْ ظَفِرْتُ بِهَا وَلَيْسَ مِنْهُ شِفَاءُ الدَّاءِ مَبْذُولُ
لَأَنَّهَا أَحَقُّ فِي الْوَصْفِ بِقَوْلِ الْأَوَّلِ : [من الطويل]

وَرَبِيعُ الَّذِي أَهْوَاهُ يُرْوِي تُرَابُهُ الْـ حِطَّاشَ وَيَشْفِي تُرْبُهُ الْأَعْيُنَ الرُّمْدَا
وَمَا أَظُنُّ الْقَائِلَ عَنِي غَيْرَهَا فِي قَوْلِهِ : [من الوافر]

تُرَابُهُمْ وَحَقُّ أَبِي تُرَابٍ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ عَيْنِي الْيَمِينِ
وَلَا أَعْتَقِدُ أَنَّ الْآخَرَ أَرَادَ سِوَاهَا فِي قَوْلِهِ : [من الكامل]

وَحِمَى يُدَاسُ تُرَابُهُ بِنِعَالِهِمْ مَنِّي بِأَحْدَاقِ الْجُفُونِ يُبَاسُ
وَيُنْهِي مَا يَجِدُهُ الْمَمْلُوكُ مِنَ الْأَشْوَاقِ الَّتِي يَسْتَعْرِ بِهَا الْقَلْبُ جَمْرًا ، وَلَمْ

(١) في س : وَلَا نَفَضَ فِي الْعُيُونِ الرَّمْدَ إِلَّا تُرَابُهَا .

(٢) البيت لهشام بن عتبة ، أخِي ذِي الرَّمَّةِ ، فِي شَرْحِ آيَاتِ سَبِيحِهِ ٤٢١/١ وَشَرْحِ شَوَاهِدِ الْمَغْنِي

يَسْتَعِزُّ لَهَا عَلَى ذَاكَ صَبْرًا ، فَهُوَ يَتَأَسَّى وَيَتَأَسَفُ ، وَيَتَلَهَّبُ وَيَتَلَهْفُ ، وَيَتَحَرَّى
فَيَتَحَرَّقُ ، وَيَسْلَى بِالْأَمَانِي وَعَلَيْهَا يَتَسَلَّقُ ، وَيَتَمَلَّى بِهَا وَلَهَا يَتَمَلَّقُ ، فَاهًا عَلَى
تِلْكَ اللَّيَالِي الْمَاضِيَةِ ، وَالْمُدَّةِ الَّتِي كُنْتُ بِقُرْبِ مَوْلَانَا فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ^(١) : [من
الطويل]

ذَكَرْتُ بِهَا وَضَلًا كَأَنْ لَمْ أَقْزِ بِهِ وَعَيْشًا كَأَنِّي كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَثْبًا

● فكتبَ هو الجوابَ إليَّ عن ذلك : [من مجزوء الكامل]

أَنْتَ الْخَلِيلُ أَبُو الصَّفَا	وَالْحِفْظُ شَأْنُكَ وَالْوَفَا
وَالْفَضْلُ كَانَ مُنْكَرًا	وَبِمَا صَنَعْتَ تَعَرَّفَا
وَأَنْزَلْتَ هَذَا الْفَنَّ فِيهِ	نَا بَعْدَمَا كَانَ انْطَفَا
فَالطَّرْسُ فِي يَمْنَاكَ كَمْ	حَبَّرْتَهُ فَتَزَخَّرَفَا
وَاللَّفْظُ مِنْكَ إِذَا وَعَا	هُ السَّمْعُ عَادَ مُشْتَفَا
أَفَأَنْتَ تَنْظُمُ أَمْ تُدِي	رُ عَلَى الْمَسَامِعِ قَرْفَا
دُمْ يَا صَلاَحَ الدِّينِ فِي	نَعَمِ الْإِلَهِ مُشَرَّفَا
وَأَدُمَ هَدَايَاكَ الَّتِي	تَهْدِي إِلَى الْمُضْنَى الشُّفَا
فَمُشَرَّفَاتُكَ قَدْ حَكَتْ	وُزُقَ الْحَمَامِ الْهَيْفَا
مَنْ قَالَ إِنَّكَ كَانِبٌ	أَوْ شَاعِرٌ مَا أَنْصَفَا
مَا أَنْتَ إِلَّا وَاحِدٌ	فِي فَنِّهِ لَنْ يُخْلَفَا
حَقُّ الْبُذُورِ إِذَا بَدَتْ	لَكَ فِي السَّمَاءِ أَنْ تُكْسَفَا
وَالْبَزْقُ إِنْ جَارَاكَ أَوْ	بَارَاكَ أَنْ يَتَوَقَّفَا
فَاللَّهُ يَجْمَعُ شَمْلَنَا	بِكَ فِي سُرُورٍ قَدْ صَفَا

(١) البيت للمتنبي ، في ديوانه ٥٨/١ .

[٣٩] قَدْ آنَ لِلدَّهْرِ الَّذِي قَدْ خَانَ أَنْ يَتَعَظَّمَا

يُقْبَلُ كَذَا^(١) لَا زَالَتْ تُدَبِّجُ الْمَهَارِقَ ، وَتُهْدِي فِي طَرَسِهَا وَنَفْسِهَا مَا يُذَرُّ
كَافُورُهُ وَعَنْبَرُهُ فِي الْمَفَارِقِ ، وَتَبْعُثُ مِنَ الْمَعَانِي الثَّيَرَةَ مَا يُخْجِلُ بُدُورَ الْمَغَارِبِ
وَشُمُوسَ الْمَشَارِقِ .

وَيُنْهِي بَعْدَ دُعَاءِ أَخْلَصَ فِي رَفْعِهِ سِرًّا وَجَهْرًا ، وَثَنَاءِ يَسْتَعِيرُ الرُّوضُ مِنْهُ
زَهْرًا وَالْأَفُقُ زُهْرًا ، وَرُودَ الْمُشْرِفِ الْكَرِيمِ ، بِلِ الْعَقْدِ النَّظِيمِ ، بِلِ الْأَفُقِ الَّذِي
كُلُّ حَرْفٍ مِنْهُ بَذْرٌ يَجْلُو اللَّيْلَ الْبَهِيمَ ؛ فَوْقَ لَهُ وَعَلَيْهِ ، وَقَبْلَ سُطُورِهِ وَهُوَ
يَخَالُهَا أَنَامِلَ مَوْلَانَا الَّتِي فِي يَدَيْهِ ، وَانْتَهَى إِلَى مَا ذَكَرَهُ مِنَ الشَّوْقِ الَّذِي أَمْلَأَهُ
عَنْ خَاطِرِ الْمَمْلُوكِ وَقَلْبِهِ ، وَوَصَفَهُ فَتَعَجَّبَ كَيْفَ أَطْلَعَ مَوْلَانَا عَلَى ضَمِيرِ
الْمَمْلُوكِ الَّذِي فِي جَنْبِهِ ، فَرَادَ نَارَ الْمَمْلُوكِ لَهَا ، وَجَدَّدَ حُرْنًا وَحَرْبًا ، وَبِاللَّهِ
الِاسْتِعَانَةَ عَلَى هَذَا النَّوَى ، وَالْحَادِثَةَ الَّتِي هَدَّتِ الْقُوَى^(٢) : [من الكامل]

فَلَرُبَّمَا نَثَرَ الْجُمَانُ تَعُمُّدًا لِيَكُونَ أَحْسَنَ فِي النِّظَامِ وَأَجْمَلًا
وَاللَّهُ يُرِينَا ذَلِكَ الْوَجْهَ الَّذِي يَغْلُو نُورُهُ فَرَقَ الْفَرَقِدَ ، وَيُقَرِّبُ مَرَارَ مَوْلَانَا
بِلُطْفِهِ الْخَفِيِّ ، وَفَضْلِهِ الْخَفِيِّ ، وَكَأَنَّ قَدْ .

● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ أَيْضًا : [من المتقارب]

أَلَا هَلْ أَتَى طَيْفُكُمْ أَوْ سَرَى فَمِنْ بَعْدِكُمْ مَا عَرَفْتُ الْكَرَى
وَأَيُّ مَنَامٍ لِمَنْ دَمَعُهُ بَنُو الثَّرِيَّا يُّبْلُ الثَّرَى
وَأَيُّ قَرَارٍ لِعَيْنٍ غَدَتْ وَمَحَجَّرُهَا بِالْبُكَاسْتَبَحَرَا^(٣)

(١) قوله : كَذَا . كلمة وضعها المؤلف تواضعاً ، بدلاً من : يداً . وفي ب : يَقْبَلُ الْأَرْضُ . .

(٢) البيت لابن خفاجة ، في ديوانه ٣٦١ ونفح الطيب ١٠٦/١ .

(٣) في ب : × . . . بالبكاء انبرى . وفي م : × . . . استبحرا .

أَحْبَبْنَا هَلْ بَعَثْتُمْ لَنَا
وَمَا يُبْعَدُ الْآنَ أَنَّ الْأَصِيلَ
لَإِنَّ تَحِيَّائِكُمْ تَخْتَوِي
بَعْدْتُمْ عَنِ الْعَيْنِ فَاسْتَوْحِشْتُ
وَأَقْسِمُ مَا الْقَلْبُ فِي يَقْظَةٍ
وَفَارَقْنِي رَاغِمًا وَاعْتَدَى
وَلَكِنْ إِلَى الْآنَ فِي لَذَّةِ الزُّ
وَلَوْ كَانَ يَذْرِي قَضَى نَحْبَهُ
حُرِمْتُ الرِّضَا مِنْكُمْ إِنْ رَأَتْ
وَلَا سُرَّ قَلْبِي إِنْ حَالَ عَنْ
وَلَا فَرَجَ اللَّهُ بَلَوَايَ إِنْ
وَأِنْ قُلْتُ لَا ذَنْبَ لِي فِي النَّوَى
وَلَكِنْ أَتَانِي الرَّدَى بَغْتَةً
لَأَتِي بِإِحْسَانِكُمْ وَاثِقُ
وَحِلْتُ السَّلَامَةَ فِي هَذِهِ
وَأِنْ تَطَلَّبُوا الْحَقَّ فِي قِصَّتِي
وَمَا لِأَمْرِي فِي الْقَضَا حِيلَةٌ
فَمَا مَا جَرَى مَذْمَعِي بَعْدَكُمْ

سَلَامًا فَإِنَّ الدُّجَى أَقْمَرَا^(١)
يَضُوعُ النَّسِيمُ بِهِ عَنَبَرَا
عَلَى مِثْلِ ذَا اللَّطْفِ أَوْ أَكْثَرَا
وَقَدْ حَكَمَ اللَّهُ أَنْ تَسْهَرَا
وَلَوْ كَانَ يَقْظَانِ لاسْتَشْعَرَا
عَلَى بَابِكُمْ يَسْتَمِيعُ الْقِرَى
زَمَانِ الَّذِي قَدْ مَضَى مُفَكِّرَا
عَلَيْكُمْ وَلَكِنَّهُ مَا دَرَى
لَكُمْ مُقْلَتِي مُشْبِهًا أَوْ تَرَى
وَدَادَكُمْ قَطُّ أَوْ غَيْرَا
رَضِينْتُ لِقَلْبِي أَنْ يَضْبِرَا
كَذَبْتُ وَقَدْ جِئْتُ مُسْتَغْفِرَا
فَدَاوَيْتُ مِنْ مَرَضِي الْأَخْطَرَا
وَقُلْتُ الْمُهَمَّ الَّذِي قَدْ طَرَا
فَقَدْ جَاءَنِي عَطْبِي مِنْ وَرَا
فَهَذَا الَّذِي كَانَ قَدْ قُدِّرَا
إِذَا كَانَ فِي فِعْلِهِ مُجْبَرَا
فَقُولُوا : عَفَا اللَّهُ عَمَّا جَرَى

● فكتبَ هو الجوابَ عن ذلك : [من المتقارب]

أَرَوْضُ مِنَ الْحَزَنِ قَدْ أَزْهَرَا وَإِلَّا فَأَفْئُقُ وَقَدْ أَقْمَرَا

(١) في م : x سُلَافًا

أَمِ الْفَاضِلُ الْبَارِعُ الْأَوْحَدُ الـ
أَرَادَ الْغِنَى بَعْدَ فَقْرِي لَهُ
وَشَرَّفَنِي بِالْقَرِيبِ الَّذِي
أَمْوَلَايَ بُعْدُكَ هَذَا الْقَوِيُّ
وَعَادَرَ قَلْبِي مِنْ صَبْرِهِ الـ
فَوَاللهِ لَمْ أَنْسَ عَيْشاً مَضَى
وَإِنِّي لَا ذَكْرُ إِخْسَانِكُمْ
فَلَا تَحْسَبُوا أَنَّ قَلْبِي سَلَا
وَلَا بُدَّ لِلدَّهْرِ أَنْ يَزْعَوِي

لَّذِي فَاقَ مَنْ خَطَأَ أَوْ مَنْ قَرَأَ
فَأَهْدَى إِلَى فَاقَتِي جَوْهَرَا
بِهِ نَفَحَ الْجَوُّ لِي عَنَبَرَا
وَأَثَّرَ فِي الْقَلْبِ مَا أَثَّرَا
غَنِيَّ بِهِ مُفْلِساً مُقْتَرَا
نَضِيرَا بِأَنْسِكُمْ أَخْضَرَا
وَحَقُّ لِمِثْلِي أَنْ يَذْكُرَا
فَمِنْ أَيْنَ لِلصَّبِّ أَنْ يَضِيرَا
وَيَقْتَرَّ مِنْ بَعْدِ مَا أَفْتَرَا

● وَأَنْشَدَنِي يَوْماً لِنَفْسِهِ مُلْغِزاً فِي « لَيْلٍ » ^(١) : [من الخفيف]

[٣٩ب] أَيُّمَا اسْمٍ يَغْشَى الْأَنَامَ جَمِيعاً
إِنْ تُزَلْ فِي هِجَائِهِ مِنْهُ حَرْفاً

وَإِذَا مَا فَكَّزْتَ « لِي » ثُلْثَاهُ
« لَكَ » مِنْهُ مُصَحِّفاً طَرَفَاهُ

● فَأَنْشَدْتُهُ لِنَفْسِي مُلْغِزاً فِي « فِيلٍ » ^(٢) : [من الخفيف]

أَيُّمَا اسْمٍ تَرْكِبُهُ مِنْ ثَلَاثِ
حَيَوَانٍ وَالْقَلْبُ مِنْهُ نَبَاتٌ

وَهُوَ ذُو أَرْبَعٍ تَعَالَى إِلَالَهُ
لَمْ يَكُنْ عِنْدَ جُوعِهِ يَرْعَاهُ ^(٣)

« فَيْكَ » تَضْحِيفُهُ وَلَكِنْ إِذَا مَا
رُمْتَ عَكْساً يَكُونُ « لِي » ثُلْثَاهُ

● وَأَنْشَدَنِي يَوْماً لِنَفْسِهِ ^(٤) : [من الطويل]

بَعَثْتُ رَسُولاً لِلْحَبِيبِ لَعَلَّهُ
يُبْرِهِنُ عَن وَجْدِي لَهُ وَيُتَرْجِمُ

(١) البيتان في الدرر الكامنة وأعيان العصر .

(٢) الأبيات في أعيان العصر . وبلا نسبة في المستطرف ١٤٧/٣ وحياة الحيوان « الفيل » .

(٣) يريد : ليف .

(٤) البيتان في أعيان العصر وتاريخ ابن قاضي شهبة والدرر الكامنة .

فَلَمَّا رَأَاهُ حَارَ مِنْ قَرْطِ حُسْنِهِ وَمَا عَادَ إِلَّا وَهُوَ فِيهِ مُتِّمٌ

● فَأَنشَدَتْهُ لِنَفْسِي ^(١) : [من الخفيف]

بِئْسَ غَزَالٌ لَمَّا أَطَعْتُ هَوَاهُ أَخَذَ الْقَلْبَ وَالتَّصْبُرَ غَضَبًا
مَا أَفَاقَ الْعَذُولُ مِنْ سَكْرَةِ الْعَذْلِ عَلَيْهِ حَتَّى غَدَا فِيهِ صَبًا

● وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ أَهْنَتُهُ بِالْقُدُومِ مِنَ الْحِجَازِ الشَّرِيفِ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فِي الْمُحَرَّمِ

سنة ٧٣٣ : [من الوافر]

قَدِمْتُ مِنَ الْحِجَازِ مَعَ السَّلَامَةِ قَدِمْتُ تَعْرِفُ الْعَلِيَا اهْتِمَامَهُ
وَوَجْهِهِ تَشْتَهِي الْأَقْمَارُ لَمَّا بَدَتْ فِي الْأُفُقِ لَوْ نَالَتْ ثُمَامَةً ^(٢)
مُحَيًّا إِنْ يَضِلَّ الرُّكْبُ لَيْلًا كَفَاهُمْ مِنْكَ أَنْ تُرْخِي لِثَامَهُ
وَأُقْسِمُ لَوْ تَحَيَّرَ فِيهِ عَافٍ تَعَرَّفَ لِلْمُؤَمِّلِ بِالْوَسَامَةِ
فِيَا لَكَ طَائِفًا بِالْبَيْتِ يَسْعَى وَقَدْ شَكَرَ الْإِلَهَ لَهُ مَقَامَهُ
وَيَا لَكَ مُحْرِمًا عَرَفْتَهُ تِلْكَ الْوَسَامَةُ
وَوَطَافَ وَلَمْ يَمَسَّ الطَّيِّبَ لَكِنْ مَشَاعِرُ قَبْلَ أَنْ يَضَعَ الْعِمَامَةَ
وَلَمَّا أَنْ رَأَى الْحَجَرَ الَّذِي قَدْ ثَنَاهُ يُفَضُّ عَنْ مِسْكِ خِتَامِهِ
تَلَقَّاهُ بِوَضَّاحِ الشَّايَا فِي صَخْنٍ خَدَّ الْبَيْتِ شَامَهُ
وَلَمَّا لَامَسَ الرُّكْنَ الْيَمَانِي يُقْبَلُهُ وَمَا أَخْلَى الشَّامَهُ
وَفِي عَرَفَاتٍ كَمْ قَدْ فَاحَ عَرَفُ تَمَنَّى أَنْ يُدِيمَ لَهُ التِّزَامَهُ
(وَلَمَّا أَنْ أَفَاضَ النَّاسُ فَاضَتْ لَهُ مِنْ عَرَفٍ يُثْنَاهُ عِلَامَهُ
وَكَمْ أَوْلَى الْمُنَى بِمُنَى فَقِيرًا يَدَاهُ بِمَا حَكَى الْغَيْثُ أَنْسَجَامَهُ
رَأَى بَرَقَ النَّدى مِنْهُ وَشَامَهُ

(١) البيتان في أعيان العصر .

(٢) في م : ثمامه .

وَجَاءَ يَزُورُ خَيْرَ النَّاسِ طُرّاً
وَمَلَى طَرْفَهُ لَمَّا مَلَاهُ
وَفَازَ بِقُرْبِ مَنْ يُعْتَدُّ ذُخْراً
وَصَلَّى والمعالي من وراه
فَأَثَرِي مَنْ يَشْرِبُ مِنْ نَدَاهُ
فَكَمْ مِنْ مُعْسِرِ أَوْلَاهُ يُسْراً
مَكَارِمُ مَنْ لَهُ فِي الْجُودِ عَشْقُ
فَذَا رَأْسُ الْمَكَارِمِ وَالْعَطَايَا
فَمَا يَدْرِي النَّدَامَةُ حِينَ يَسْخُو
وَلَمَّا أَنْ قَضَى وَطَرّاً وَوَلَّى
أَتَى وَالْدَّهْرُ يَخْدُمُهُ بِسَعْدِ
وَمَلَكُهُ سِيَادَةَ كُلِّ قَوْمِ
أَيَا مَوْلَى إِذَا مَا خَطَّ سَطِراً
وَلِنْ نَظَرَ الْعَوَاقِبِ فِي خُطُوبِ
وَلِنْ أَمَلَى عَلَيْنَا الْكُتُبَ نَشْراً
وَلِنْ يَنْظُمُ فَمَنْ أَعْطَى اللَّالِي
بِأَلْفَاظِ تَلَدُّ لِكُلِّ سَمْعِ
تَخَيَّرَكَ الْمَلِكُ لِسِرِّ مُضِرِّ
وَزَادَكَ مِنْهُ قُرْباً وَاعْتِنَاءَ
تُجَرَّدُ مِنْكَ لِلْأَعْدَاءِ رَأْيَا

وَمَنْ شَرُفَتْ بِمَبْعَثِهِ تَهَامَهُ
بِأَنْوَارِ الْمُظْلَلِ بِالْغَمَامَةِ
لَيَوْمِ الرَّوْعِ فِي هَوْلِ الْقِيَامَةِ
يُسَلِّمُ وَالرَّسُولُ غَدَا أَمَامَهُ (١)
وَشَرَعَ بِالنَّدَى فِيهَا خِيَامَهُ
وَنَوَّلَهُ مِنَ الْجَدْوَى مَرَامَهُ
فَلَا سُعْدَى هُنَاكَ وَلَا أَمَامَهُ
فَدَعْنِي بَعْدُ مِنْ كَعْبِ بْنِ مَامَهُ
يَقُولُ لِمَنْ لَحَاهُ عَلَى النَّدَى : مَهْ
إِلَيْنَا وَجْهَهُ رُزِقَ السَّلَامَهُ
تَبَرَّأَ فِيهِ مِنْ كَذِبِ النُّجَامَهُ
وَقَدْ أَلْقَى الزَّمَانُ لَهُ زِمَامَهُ
فَمَا ابْنُ هِلَالٍ إِلَّا كَالْقُلَامَهُ
قَدْ أَسْوَدَّتْ فَرْزَقَاءُ الْيَمَامَهُ
فَمَا سَجَعُ الْمُطَوَّقِ وَالْحَمَامَهُ
بِجِنْدِ الْغَيْدِ أَنْ تَحْكِي نِظَامَهُ
فَمَا سَامَتْ عِبَارَتُهُ سَامَهُ
لَأَنَّكَ كُنْتَ قَدْ حَلَيْتَ شَامَهُ
فَأَنْتَ وَلِيُّهُ وَلَكَ الْكَرَامَهُ
فَلَمْ تُخَوِّجْهُ أَنْ يَبْرِي سِهَامَهُ (٢)

(١) ما بين قوسين ساقط من أ، م .

(٢) في ب : يجدد × .

وَقَدْ أَغْنَيْتَهُ إِنْ جَاءَ خَطْبٌ
مَتَى أَعْمَلْتَ رَأْيَكَ فِي مُهِمٍّ
فَأَضَحْتَ مِصْرُ تُجْلَى فِي ثِيَابِ الْ
مَتَى سَمِعَ النَّدَامَى عَنْكَ ذِكْرًا
وَلَا يَتَغَزَّلُونَ بِذِكْرِ سَلْمَى
[٤٠] وَمَنْ أَضْعَى لِمَدْحٍ فِيكَ يُتْلَى
وَقَدْ عَطَفَ الزَّمَانُ عَلَى بَيْنِهِ
وَقَدْ نَفَقَتْ بِضَائِعُ كُلِّ عِلْمٍ
فَحُزْ مِصْرًا وَقُلْ حَمْدًا لِرَبِّ
وَحَقٌّ مَكَارِمٍ أَوْ لَيْتَنِيهَا
لَقَدْ طَابَتْ بِظِلِّكَ لِي حَيَانِي
فَلَا زَالَتْ سُعُودُكَ فِي صُعُودٍ
وَنِلْتَ مُنَاكَ مَا زَهَرَتْ نُجُومٌ

بِرَأْيِكَ أَنْ يَسْأَلَ لَهُ حُسَامَةٌ^(١)
فَقَدْ أَخْمَدَتْ فِي عَجَلٍ ضِرَامَةٌ
جَمَالٍ لَأَنَّهَا بِكَ مُسْتَهَامَةٌ
فَمَا يَتَلَفَّتُونَ إِلَى الْمُدَامَةِ
وَلَا ظِلُّ الْأَرَاكِةِ وَالْبَشَامَةِ
فَلَيْسَ تَشْوِقُهُ غِزْلَانُ رَامَةٍ
فَمَا أَبْقَى لِيذِي فَضْلٍ ظَلَامَةٍ
وَلَذَّ لَهَا بِمَغْنَاكَ الْإِقَامَةِ
هَدَى وَأَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ
وَلَا نَجِيْتُ مِنْ ذَلِكَ الْقَسَامَةِ^(٢)
وَقَبْلَكَ كُنْتُ أَنْفَقُهَا غَرَامَةٍ
يُصَاحِبُهَا عَلُوٌّ وَاسْتِقَامَةٌ
وَمَا انْشَقَّتْ عَنِ الزَّهْرِ الْكُمَامَةُ

٢١ * أبو بكر بن محمد بن سلمان^(٣) :

القاضي البليغ ، بهاء الدين بن القاضي شمس الدين ابن غانم ، كاتب السر
الشريف بصفد وبطرابلس المحروستين .

● كتبتُ إليه وأنا ضعيفٌ بصفد المحروسة ، سنة ٧٢٤ : [من البسيط]

(١) سقط البيت من س .

(٢) في ب : × . . . القيامة .

(٣) ترجمته في : أعيان العصر ٥/٢ والوافي بالوفيات ٢٥٣/١٠ وتذكرة النبيه ٢/٢٦٠ والدرر الكامنة ٤٥٨/١ .

- وفاته سنة ٧٣٥ هـ .

- في أ ، ب ، س : أبو بكر بن محمد بن غانم . وفي م : أبو بكر محمد بن غانم .

يا سَيِّدَ الْبَاسِ فِينَا وَنَائِلُهُ قَدْ أَصْبَحَا غَيْرَ مَأْمُونٍ وَمَمْنُونٍ
 هَذَا السَّقَامُ الَّذِي مَا كُنْتُ أُؤَثِّرُهُ إِلَّا إِذَا مَا عَدَا فِي أَعْيُنِ الْعَيْنِ
 أَوْ خَضِرَ هَيْفَاءَ يَثِيرُنِي تَلَفْتُهَا أَوْ نَسَمَةٍ خَطَرْتُ مِنْ رَمَلٍ يَثِيرِينَ
 أَمَا وَقَدْ عَاثَ فِي جِسْمِي السَّقَامُ فَلَا إِذْ كُلَّمَا قَلْتُ عَافَانِي يُعَفِّيَنِي
 يَقْبَلُ الْأَرْضَ ، صَرَفَ اللَّهُ الصُّرُوفَ عَنْ حِمَاها ، وَحَفِظَ سَاحَتَهَا مِنَ الْغَيْرِ
 وَحَمَاهَا ، وَجَعَلَ حَرَمَهَا لِأَوْلِيَائِهَا عُودَةً مِنَ الْأَسْوَاءِ ، فَإِذَا قَبَّلْتُهُ شِفَاهُ مَرْضَاهَا
 شِفَاهَا شَفَاهَا .

وَيُنْهِي ، لَا بَلْ يَشْكُو حَالَهُ الَّتِي لَيْسَ لَهُ مِنْهَا بَدَلٌ ، وَالْأَمَةُ الَّتِي كَلَّمَتْ أَعْضَاءَهُ
 وَلَمْ يُطِقْ جَلْدَهُ قَطَعَ ذَلِكَ الْجَدَلَ ، وَحُمَاهُ الَّتِي يَلْدَعُهُ مِنْهَا عَقْرَبٌ وَتَرْمِيهِ قَوْسٌ ،
 فَلَيْتَ جِسْمُهُ مَعَ ذَاكَ حَمَلٌ ، وَاتِّصَالَ عِزِّ عَرَقِهَا الَّذِي لَا يُقَالُ مَعَهُ : سَاوِي مِنْ
 جَمِيلِ الصَّبْرِ إِلَى جَبَلٍ ^(١) : [مَنْ الْوَافِر]

إِذَا مَا فَارَقْتَنِي غَسَلْتَنِي كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامٍ
 بَذَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَاثَتْهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي
 وَيَعْجُزُ الْمَمْلُوكُ عَنْ وَصْفِ مَا حَصَلَ لِرَأْسِهِ مِنَ الصُّدَاعِ وَلِجِسْمِهِ مِنَ
 الصُّدُوعِ ، وَلِأَمَالِهِ الْمُعْلَقَةِ مِنَ الْقَطْعِ ، وَلِحِظِهِ مِنَ الْقُطُوعِ ؛ وَمَا أَظُنُّ مَوْلَانَا
 تَرَكَ الزِّيَارَةَ إِلَّا لِعِلْمِهِ أَنَّ الْمَمْلُوكَ بَسَطَ جِسْمَهُ لِنَعْلِهِ وَهُوَ لَا يَمْشِي عَلَى غَيْرِ
 الصَّحِيحِ ، وَلَمْ يُسْمَعْ نَقْلَ الرِّيَّاحِ الْهَابَةِ مَا تَضَمَّنَتْهَا مِنَ الثَّنَاءِ ، لِأَنَّهُ لَا يَقْنَعُ مِنَ
 الْمَوَدَّةِ بِالرَّيْحِ ، وَاللَّهُ الْمَسْئُورُ بِبَرَكَتِهِ سَلَفِهِ ، وَرُقِيَ قَلَمِهِ فِي عَاقِبَةِ الْعَاقِبَةِ ،
 وَعَوْدُ الصَّخَةِ الَّتِي عَوْدَ لُبْسِ بُرُودِهَا الصَّافِيَةِ ، وَوَرَدَ مِنْهَا لَهَا الصَّافِيَةُ .

● فَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ : [مَنْ الْمُتَقَارِبُ]

(١) البَيْتَانِ لِلْمُتَنَبِّي ، فِي دِيْوَانِهِ ١٤٦/٤ .

وَقَفْتُ عَلَى دَوْحَةٍ أَيْنَعَتْ رِيَاضُ غُلَاهَا بِغَزْسِ الْعُلُومِ
سَمَا لَفْظُهَا عَنْ نَسِيمِ الصَّبَا وَزَهْرُ الرِّيَاضِ وَزَهْرُ النُّجُومِ
وَقَدْ بَشَّرْتَنِي بِأَنَّ الشِّفَاءَ بِلُطْفِ الرَّحِيمِ سَرِيعُ الْقُدُومِ
يُقْبَلُ كَذَا ، مَتَعَ اللَّهُ بِفَضَائِلِهَا الَّتِي رَقَّتْ وَرَاقَتْ لَفْظًا وَمَعْنَى ، وَبَيَّنَّا بِهَا
الَّتِي سَرَّتِ الْأَبْصَارَ وَالْمَسَامِعَ رَوْفًا وَحُسْنًا ، حَلَّتْ حِينَ تَحَلَّتْ بِذَرِّ
الدَّرَارِي ، وَجَلَّتْ حِينَ تَجَلَّتْ فِي حُلِّ فَضْلِهَا السَّهْلِ الْمُتَمَتِّعِ عَلَى السَّمْعِ
وَالْقَارِي فَتَمَتَّعَ بِمَحَاسِنِهَا وَتَمَلَّى ، وَتَلَا عِنْدَ مُعَايَنَةِ خَطِّهَا وَخِطَابِهَا ﴿وَالْإِلَّٰهَ إِذَا
يَقْشَى﴾ (١) وَالْتِهَارَ إِذَا تَجَلَّى ﴿[الليل : ١ - ٢] وَبَشَّرَهُ بِشَرِّهَا﴾ (٢) بِقُدُومِ الْعَافِيَةِ ، وَسَرَّهُ حَالُ
فِكْرِهَا الَّذِي لَا يَدَّلُ لِقَدِيمِ خَبَرِهَا الْمَرْفُوعِ عَنْ حَافِظِ تِلْكَ [٤٠ ب] الْمُقَدَّمَةِ
الْكَافِيَةِ .

فَلَوْ تَتَوَجَّعَتِ الثُّرَيَّا بِأَكَالِيلِ الْبَهَاءِ ، وَرَقَّتْ عَلَى فَرْقِ الْفَرْقَدِ ، لَكَانَتْ عِنْدَ
نِظَامِ دُرِّهَا كَالشُّهَى ، وَلَوْ حَمَلَ مِيزَانَ الْيَرَاعَةِ أَسَدُ الْبَرَاعَةِ لَدُهِشَ مِنْ حُسْنِ
صِنَاعَةِ صِبَاغَتِهَا وَسَهَا ؛ فَيَا لَهَا مِنْ رَوْضَةٍ عَذْبَةِ الْمَجَانِي ، وَدَوْحَةٍ جَنَى مِنْ
غَرْسِهَا ثَمَرَ الْأَمَانِي ، وَحَدِيقَةٍ سَرَحَتِ الْعُيُونُ فِي لُطْفِ رَوْنِقِهَا حِينَ شَرَحَتِ
الصَّدْرَ بِحُسْنِ مَنْطِقِهَا .

وَكَانَ نَتِيجَةَ هَذِهِ الْمُقَدَّمَةِ تَحْصِيلُ الشُّرُورِ وَالتَّهَانِي ، وَنَزْهَةٌ أَبَدَتْ مِنْ
شِعْرِهَا حِكْمَةً وَمِنْ بَيَانِهَا سِحْرًا ، قَدْ اشْتَمَلَا عَلَى أَحْسَنِ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي ؛
وَاللَّهُ يُوضِّحُ بِفَضَائِلِهِ إِلَى الْمَعَالِي سَبِيلًا ، وَيَجْعَلُ لَهُ حِرْزَ السَّلَامَةِ وَالْعَافِيَةِ عَلَى
الدَّوَامِ خَلِيلًا .

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مِنْ طَرَائِلُسِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَأَنَا بِدَمَشَقِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَقَدْ

(١) فِي س : بَرَّهَا

انْقَطَعَتْ عَنْهُ مُكَاتِبَاتِي ^(١) : [من السريع]

سُبْحَانَ مَنْ غَيَّرَ أَخْلَاقَ مَنْ أَحْسَنَ فِي حُسْنِ الْوَفَا مَذْهَبًا
كَانَ خَلِيلًا فَعَدَا بَعْدَ ذَا لَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا طُقُصًا
وَكُتِبَ هَذِينَ الْبَيْتَيْنِ فِي ذَيْلِ ثَلَاثَةِ أَوْصَالٍ بِنِصِّ وَجْهَازِهَا إِلَيَّ ، وَلَمْ يَكُتَبْ
غَيْرَهَا .

وهذا طُقُصُهَا كَانَ شَابًّا حَسَنًا نَجْتَمِعُ بِهِ ، وَلَهُ عَمُّ أَسْوَدُ يُدْعَى خَلِيلًا وَكُنَّا
نُكْرَهُهُ ، فَعَرَّضَ بِذَلِكَ ^(٢) .

● فَكُتِبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ ^(٣) : [من السريع]

يَا بَاعِثَ الْعَنْبِ إِلَى عَبْدِهِ وَمَا كَفَاهُ الْعَنْبُ أَوْ نَدَبًا
وَمُذَكِّرِي عَهْدًا لِبِسْنَابِهِ ثَوْبَ سُرُورٍ بِالْبَهَا مُذْهَبًا
مَرًّا فَلَمْ يَخْلُ لَنَا بَعْدَهُ عَيْشٌ وَلَمْ نَلَقِ الْهَوَى طَيِّبًا
مَا كُلُّ ذِي وَدٍّ خَلِيلٌ وَلَا كُلُّ مَلِيحٍ فِي الْوَرَى طُقُصًا
فَحَبَّذَا نِلَكَ اللَّيَالِي الَّتِي كَمَ يَسَّرَ اللَّهُ بِهَا مَطْلَبًا
مَا أَحَدٌ فِي مِثْلِهَا طَامِعٌ هَيْهَاتَ فَاتَتْ فِي الْمُنَى أَشْعَبًا

يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهَى - بَعْدَ دُعَاءٍ يَرْفَعُهُ فِي كُلِّ بُكْرَةٍ وَأَصِيلٍ ، وَوَلَاءٍ
حَصَلَ مِنْهُ التَّعِيمُ الْمُقِيمُ ، وَلَا يَقُولُ : وَقَعَ فِي الْعَرِيضِ الطَّوِيلِ ؛ وَثَنَاءٍ إِذَا مَرَّ
فِي الرِّيَاضِ النَّافِحَةِ صَحَّ بِهِ أَنَّ نَسِيمَ السَّحَرِ عَلِيلٌ ؛ وَحِفَاطِ وَدٍّ يَتَمَنَّى كُلُّ مَنْ

(١) البيتان في أعيان العصر والوافي والغيب المسج ١٧٦/٢ .

(٢) قال المؤلف في مصدرِي الخبر : أشار بذلك إلى أمر طُقُصِ المذکور ، وكان له عَمُّ أَسْوَدُ زَوْجُ أُمِّهِ
يُدْعَى خَلِيلًا ، وكان يَنْصَحُ عَلَيْنَا الْاجْتِمَاعَ بِحَضُورِهِ ؛ وَلَمَّا كُتِبَ هَذِهِ كَانَ طُقُصُهَا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ
تَوَفَّى بِصَفَدٍ مِنْ مَدَّةٍ ، فَحَسُنَ لَذَلِكَ إِبْرَازُ الْبَيْتَيْنِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ .

(٣) الجواب بشعره ونثره في الأعيان والوافي والغيب المسج ١٧٧/٢ .

جالسَهُ لو كَانَ لَهُ مِثْلُ الْمَمْلُوكِ خَلِيلٍ - وَرُودَ الْمِثَالِ الْكَرِيمِ ، فَقَابَلَ مِنْهُ الْيَدَ
الْبَيْضَاءَ ، بِلِ الدِّيمَةِ الْوُطْفَاءِ ، بِلِ الْكَاعِبِ الْحَسَنَاءِ ، وَتَلَقَّى مِنْهُ طُرَّةَ صُبْحٍ لَيْسَ
لِلدُّجَى عَلَيْهَا أَذْيَالٌ^(١) ، وَغُرَّةَ نُجُجٍ مَا كَدَّرَ صَفَاءَهَا خَيِّةُ الْأَمَالِ ، فَلَوْ كَانَ كُلُّ
وَارِدٍ مِثْلَهُ لَفُضِّلَ الْمَشِيبُ عَلَى الشَّبَابِ ، وَنَزَعَ الْمُتَصَابِي عَنِ التَّسْتُرِ
بِالْخِضَابِ ، وَرَفَضَ السَّوَادَ وَلَوْ كَانَ خَالاً عَلَى الْوَجْنَةِ ، وَعَدَّ الْمِسْكَ إِذَا دُرٌّ
عَلَى الْكَافُورِ هُجْنَةً ؛ وَأَيْنَ سَوَادُ الدُّجَى إِذَا سَجَى مِنْ بَيَاضِ النَّهَارِ إِذَا انْهَارَ ،
وَأَيْنَ وَجَنَاتُ الْكَوَاعِبِ التَّقِيَّةِ مِنَ الْأَصْدَاغِ الْمُسَوَّدَةِ بِدُخَانِ الْعِذَارِ ؛ وَأَيْنَ نُورُ
الْحَقِّ مِنْ ظُلْمَةِ الْبَاطِلِ ؛ وَأَيْنَ الْعِقْدُ الَّذِي كُلُّهُ دُرٌّ مِنَ الْعِقْدِ الَّذِي فِيهِ السَّبِجُ
فَوَاصِلَ ؟ يَا لَهُ مِنْ وَارِدٍ تَنْزَعُ عَنْ وَطْءِ الْأَقْلَامِ الْمُسَوَّدَةِ ، وَعَلَا عَنِ السُّطُورِ^(٢)
الَّتِي لَا تَزَالُ وَجُوهُهَا بِالْمِدَادِ مُرَبَّدَةً ، حَتَّى جَاءَ يَتَأَلَّأُ بَيَاضاً وَيَتَقَدُّ ، وَأَتَى
يَتَهَادَى فِي الثُّورِ الَّذِي تَعْتَقِدُ فِيهِ الْمَجُوسِيَّةُ مَا تَعْتَقِدُ .

وَلَكِنْ تَوَهَّمِ الْمَمْلُوكُ أَنْ تَكُونَ صُحُفُ الْوُدِّ أَمْسَتْ مِثْلَهُ عَفَاءً ، وَظَنَّ بِأَيَّاتِ
الْعُهُودِ السَّالِفَةِ أَنْ [١٤١] تَكُونَ مِثْلَ الْمُرَاسَلَةِ مِنَ الرُّقُومِ خَلَاءً^(٣) : [من الكامل]

لَوْ أَنَّهَا يَوْمَ الْمَعَادِ صَحِيفَتِي مَا سَرَّ قَلْبِي كَوْنُهَا بَيْضَاءَ
فَلَقَدْ سَوَّدَتْ حَالَ الْمَمْلُوكِ بَيَاضِهَا ، وَعَدِمَ مِنْ عَدَمِ الْفَوَائِدِ الْبَهَائِيَّةِ مَا كَانَ
يُغَازِلُهُ مِنْ صَحِيحَاتِ الْجُفُونِ وَمِرَاضِهَا .

يَا عَجَباً مِنْ مَوْلَانَا كَيْفَ اتَّخَذَ هَذَا الصَّامِتَ رَسُولاً بَعْدَ هَذِهِ الْفَتْرَةِ ، وَكَيْفَ

(١) من مقصورة ابن دريد : [شرح التبريزي ١٣]

إِنَّا نَرَى رَأْسِي حَاكِي لَوْنِهِ طُرَّةَ صُبْحٍ تَحْتَ أَذْيَالِ الدُّجَى

(٢) في م : الطروس .

(٣) البيت لشهاب الدين محمد بن يوسف ، المعروف بالتلعفري ، في ديوانه ١٣٤ والغيث المسجوم ١٧٦/٢ .
وروايته في م : × أنها بيضاء .

رَكَنَ إِلَيْهِ فِي إِبْلَاحٍ مَا فِي ضَمِيرِهِ وَلَمْ يُحْمَلْهُ مِنْ دُرَرِ الْكَلَامِ ذَرَّةً ، وَكَيْفَ أَهْدَى
عَرُوسَ تَحِيَّتِهِ وَلَمْ يُفَلِّدْهَا مِنْ كَلَامِهِ بِشَذَرَةٍ ؛ وَمَا أَحَقَّ تِلْكَ الْأَوْصَالَ الْوَارِدَةَ بِلَا
إِفَادَةٍ ، الْعَائِدَةَ بِزِيَارَتِهَا الَّتِي خَلَّتْ مِنَ الْجُودِ بِالسَّلَامِ ، وَإِنْ لَمْ تُخَلِّ زَوْرَتَهَا مِنَ
الْإِجَادَةِ ، أَنْ يُشَدَّهَا الْمَمْلُوكُ قَوْلَ الْبُحْتَرِيِّ أَبِي عُبَادَةَ^(١) : [من الكامل]

أَخْجَلْتَنِي بِنَدَى يَدَيْكَ فَسَوَّدَتْ مَا بَيْنَنَا تِلْكَ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ
وَقَطَعْتَنِي بِالْوَصْلِ حَتَّى إِنَّنِي مُتَخَوِّفٌ أَنْ لَا يَكُونَ لِقَاءُ
وَمَا نَطَقَ هَذَا الْوَارِدُ إِلَّا بِالْعِتَابِ مَعَ مَا نَذَرَ وَنَذَبَ ، وَأَبْدَى غَيْرَ مَا قَرَّرَهُ مِنَ
الْإِهْمَالِ وَقَرَّبَ : [من الطويل]

عَلَى كُلِّ حَالٍ أُمُّ عَمْرٍو جَمِيلَةٌ وَإِنْ لَبَسَتْ خُلُقَانَهَا وَجَدِيدَهَا
وَبِالْجُمْلَةِ فَقَدْ مَرَّ ذِكْرُ الْمَمْلُوكِ فِي خَاطِرِ مَوْلَانَا الْكَرِيمِ ، وَطَافَ مِنْ حُنُوِّهِ
طَائِفٌ عَلَى الْمَوَدَّةِ الَّتِي أَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ؛ وَإِذَا كَانَ الشَّاعِرُ قَدْ قَالَ : [من
مجزوء الكامل]

وَيَذُلُّ هَجْرُكُمْ عَلَى أَنَّنِي خَطَرْتُ بِبَالِكُمْ
فَكَيْفَ بِمَنْ دَخَلَ ذِكْرُهُ الضَّمِيرَ وَخَرَجَ ، وَذُكِرَ ثُمَّ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ عَوَجٍ ،
وَمَا اسْتَخَفَّ بِي مَنْ أَمَرَنِي ، وَمَنْ ذَكَرَنِي فَمَا حَقَّرَنِي ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُ حَيَاتَهُ
الَّتِي هِيَ الْأَمَانُ وَالْأَمَانِي ، وَيُمْتَعُ بِالْفَافِظَةِ الْفَرِيدَةِ الَّتِي هِيَ أَطْرَبُ مِنَ الْمَثَالِثِ
وَالْمَثَانِي ؛ بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ^(٢) : [من السريع]

يَا هَاجِرًا مَنْ لَمْ يَزَلْ قَلْبُهُ إِلَيْهِ مِنْ دُونِ الْوَرَى قَدْ صَبَا

(١) ديوان البحتري ٢١/١ - ٢٢ .

(٢) الجواب شعره ونثره ، في الأعيان والوافي .

أَرْسَلَتْ مِنْ بَعْدِ الْجَفَا أَسْطُورًا أَزَقَصَ مِنْهَا السَّمْعَ مَا أَطْرَبَا
شَفَتْ فُؤَادًا شَفَّهُ وَجَدُهُ مِنْ بَعْدَ مَا قَدْ كَادَ أَنْ يَذْهَبَا
قَالَ لَهَا الْعَبْدُ وَقَدْ أَقْبَلْتُ أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ يَا مَرْحَبَا
أَحَلَّهَا قَلْبًا صَحِيحَ الْوَلَا مَا كَانَ فِي صُحْبَتِهَا قُلُوبَا
وَلَا نَسِيَ عَهْدَ خَلِيلٍ لَهُ قَدِيمَ عَهْدٍ كَانَ مَعَ طُقُصَا

قَبْلَ مَوَاقِعَ تِلْكَ الْأَنَامِلِ الَّتِي يَحْنُ إِلَيْهَا^(١) ، وَاقْبَلِ بِالْإِقْبَالِ تِلْكَ
الْفَضَائِلَ الْمَخْصُوصَةَ بِالتَّفْضِيلِ ، وَاقْبَلْهَا بِالثَّنَاءِ الَّذِي إِذَا مَرَّ بِالْمَنْدَلِ الرَّطْبِ جَرَّ
عَلَيْهِ مِنْ كَمَائِمٍ كُمَّهُ فَضْلَ الْمَنْدِيلِ ، وَتَأَمَّلْهَا بِطَرْفٍ مَا خَلَا مِنْ تَصَوُّرِ مَحَاسِنِ
صَدِيقٍ ، وَلَا أَخْلَ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ^(٢) مِنَ التَّلَتُّمِ إِلَى مَوَدَّةِ خَلِيلٍ ، وَشَاهِدْ مِنْهَا
الرَّوْضَةَ الْغَنَاءَ ، بِلِ الدَّوْحَةِ الْفَيْحَاءِ ، بِلِ الطَّلَعَةِ الْغَرَاءِ ، فَوَجَدَهَا قَدْ تَسَرَّبَتْ
مِنَ الْمَعَانِي الْبَدِيعَةِ بِأَحْسَنِ سُرْبَالٍ ، وَتَحَلَّتْ مِنَ الْمَعَانِي الْبَدِيعَةِ بِمَا هُوَ أَخْلَى
فِي عَيْنِ الْمُحِبِّ الْمَهْجُورِ وَقَلْبِهِ مِنْ طَيْفِ الْخِيَالِ ؛ لَكِنَّ مَوْلَانَا غَابَ عَنْ مُحِبِّهِ
غَيْبَةً مَا كَانَتْ فِي الْحِسَابِ ، وَهَجَرَهُ وَهُوَ مِنْ خَاطِرِهِ بِالْمَحَلِّ الَّذِي كَانَ يَظُنُّ^(٣)
أَنَّهُ إِذَا نَادَاهُ بِالْأَشْوَاقِ أَجَابَ ، وَاتَّخَذَ بِذَعَةِ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْقَائِمِ بَعَرَضِ الْوَلَاءِ
سُنَّةً ، وَاشْتَغَلَ عَمَّنْ لَهُ عَيْنٌ رِضَى عَنْ نِسْيَانٍ مَا مَضَى كَلِيلَةً [٤١ ب] بِدِمْنَةٍ ،
فَخَشِيَ الْمَمْلُوكُ مِنْ تَطَاوُلِ الْمُدَّةِ ، وَخَامَرَ قَلْبَهُ^(٤) تَقَلُّبَاتِ الْأَيَّامِ فَخَافَ أَنْ تَبْقَى
أَسْبَابُ الْمُقَاطَعَةِ مُمْتَدَّةً ، وَوَقَّ^(٥) بِمَا تَيَقَّنَ مِنْ حُسْنِ الْوَفَاءِ وَيَعْتَقِدُ ، فَاقْتَضَى
حُكْمُ التَّذْكَارِ لُطْفَ الْإِخْتِصَارِ ، تَوَصُّلاً إِلَى تَفْقُّدِ التَّوَدُّدِ ، وَمِنْ عَادَاتِ السَّادَاتِ

(١) فِي ب ، س : الَّتِي يَحْنُ لَهَا .

(٢) « عَلَيْهِ » سَاقِطَةٌ مِنْ أ ، م .

(٣) فِي م : يَظُنُّ بِهِ أَنَّهُ .

(٤) فِي م : وَجَاشَ قَلْبَهُ .

(٥) فِي س : وَوَقَّ .

أَنْ تَفْتَقِدَ ، بِذِكْرِ أَيَّامٍ خَلَتْ مَسَرَّةً وَهَنَاءً ، وَلِيَالٍ أَهْلَى مِنْ سَوَادِ الشَّبَابِ أَوْلَتْ
بِرِصَالِ الْأَحْبَابِ يَدَ الْبَيْضَاءِ : [من الكامل]

لَوْ أَنَّ لَيْلَاتِ الرِّصَالِ يَعْذُنَ لِي كَانَتْ لَهَا رُوحُ الْمُحِبِّ فِدَاءً
فِيهَا لَهَا مِنْ مَلِيحَةٍ أَقْبَلَتْ بَعْدَ إِعْرَاضِهَا ، وَلَطِيفَةٍ رَمَقَتْ بِإِيمَاءِ جَفْنِ
مُوَاصَلَتِهَا وَإِيمَاضِهَا ، وَبَدِيعَةٍ اسْتَخْرَجَ غَوَاصُ مَعَانِيهَا مِنْ بَحَارِ مَعَالِيهَا كُلِّ
دُرَّةٍ ، وَصَنِيعَةٍ أَبَدَتْ نِظَامَ لَالِيهَا مِنْ غَرَرِ أَيَادِيهَا أَجْمَلَ غُرَّةٍ ، وَرَفِيعَةٍ جَدَّدَتْ
الشَّرُورَ ، وَشَرَحَتْ الصُّدُورَ ، فَعَلَتْ - بِمَا فَعَلَتْ - إِكْلِيلَ الْمَجَرَّةِ ، وَمُتَطَوَّلَةَ
رَغَبِ الْمُقْصَرِّ فِيمَا يَخْتَصِرُ وَحَبِيبَتْ ، وَمُتَفَضِّلَةَ قَضَتْ بِحَقِّ تَفْضِيلِهَا عَلَى
مَا سَبَقَ وَإِنْ كَانَ وَأَوْجَبَتْ : [من الطويل]

مَوَدَّنُهَا فِي مُهْجَتِي لَا يُزِيلُهَا بَعَادٌ وَلَا يُبْلِي الزَّمَانُ جَدِيدَهَا
وَاللَّهُ تَعَالَى يَشْكُرُ مَا حَوَاهُ مِنْ فَضْلِ هَذِهِ الْمَعَالِي وَالْمَعَانِي ، وَيُمْنِعُ
بِفَضَائِلِهِ الَّتِي تُغْنِي أَغَانِيهَا فِي مَعَانِيهَا عَنِ الْمَثَالِثِ وَالْمَثَانِي ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَأَخْبَرَنِي يَوْمًا أَنَّهُ زَارَ قَبْرَ طُقُصْبَا الْمَذْكُورِ ، فَوَجَدَ قَبْرَهُ قَدْ نَبَتَ بِهِ أَنْوَاعٌ
مِنَ الزَّهْرِ ، وَطَلَبَ مِنِّي نَظْمَ شَيْءٍ فِي ذَلِكَ ، فَأَنْشَدْتُهُ ^(١) : [من الطويل]

بِنَفْسِي حَبِيباً قَبْرُهُ رَاحَ رَوْضَةً خَمَائِلُهَا مَسْرُوقَةٌ مِنْ مَخَايِلِهِ
دَرَى أَنَّهُ لَا صَبْرَ لِلنَّاسِ بَعْدَهُ فَأَهْدَى لَهُمْ أَنْفَاسَهُ فِي شِمَائِلِهِ

● وَأَنْشَدْتُهُ أَيْضاً ^(٢) : [من البسيط]

(١) الخبر والبيتان في الأعيان والوافي .

(٢) البيتان في الأعيان والوافي .

أَضْحَى نَسِيمُ الصَّبَا مِنْ نَشْرِهِ عَطِراً^(١)
بَطْنُ الثَّرَى فَاسْتَحَالَتْ فَوْقَهُ زَهراً

لَا تُنْكِرُوا زَهراً مِنْ حَوْلِ ثُرْبَتِهِ
هَذِي مَحَاسِنُ ذَاكَ الْوَجْهِ غَيْرَهَا
● وَأَنْشُدْهُ أَيْضاً^(٢) : [من البسيط]

وَفِيهِ لَذَّ لِحْفَنِي الدَّمْعُ وَالسَّهَرُ
لِأَنَّ طَلْعَتَهُ تَحْتَ الثَّرَى قَمَرٌ^(٣)

أَفْدَى حَبِيباً غَدَا فِي الثَّرْبِ مَضْجَعُهُ
تَحْكِي نُجُومَ السَّمَاءِ أَزْهَارُ ثُرْبَتِهِ
٢٢ * أَبُو بَكْرٍ بْنُ عُثْمَانَ^(٤) :

الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ الصُّوفِيُّ ، عُرِفَ بِابْنِ الْعَجَمِيِّ .

● كَتَبَ إِلَيَّ : [من الكامل]

إِلَّا طَلَى يَسْعَى بِهَا يَعْقُورُ
لَأَخِي الْهَوَى مَوْتٌ بِهَا وَنُشُورُ
رَأْسِ الْفَتَى قَبْلَ الْمَذَاقِ يَسِيرُ^(٥)
مَاءٌ بِهِ فِي الْكَأْسِ شَبٌّ سَعِيرُ
كَانَتْ لِفَرْطِ اللَّطْفِ ثَمَّ تَطِيرُ
لَمَّا عَلاهَا بِالْمِزَاجِ قَتِيرُ
أَضْحَى بِهَا السَّاقِي عَلَيَّ يَدُورُ
قَمَرٌ يُقِلُّ جَمَالَهُ خَيْرُورُ^(٦)

مَا لِي عَلَى جَوْرِ الْهُمُومِ نَصِيرُ
مَشْمُولَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَنْقُضِي
طَابَتْ شَذَا فَعَبَّرَهَا بِالشُّكْرِ فِي
أَذْكَى الْمِزَاجِ لَهَيْبِهَا فَعَجِبْتُ مِنْ
لَوْ لَمْ يُجِدْ نَسْجُ الْحَبَابِ شِبَاكَهَا
قَدْ لَقَّبُوهَا بِالْعَجُوزِ ذُو الْحِجَا
مُذْ غَبِثْتُ عَنْ وَجْدِي وَتَهْتُ بِسُكْرَتِي
وَافِي بِهَا فَرَأَيْتُ شَمْساً فِي يَدَيَّ

(١) في م : . . . من فوق ثُرْبَتِهِ × .

(٢) البستان في الأعيان والوافي .

(٣) وسقط ما بعد ذلك من س حتى ترجمة حسن بن جعفر الفاضل ، الآتي برقم ٢٥ .

(٤) ترجمته في : الدرر الكامنة ٤٤٨/١ ودرر العقود الفريدة ١٥١/١ نقلاً وتاريخ ابن قاضي شهبه

٤٨٤/٣ والنجوم الزاهرة ١٣٥/١٢ والدليل الشافي ٨١٧/٢ ونزهة النفوس ٣٦٨/١ .

- وفاته سنة ٧٩٥ هـ . وولادته قبل ٧٢٠ هـ .

(٥) في ب : . . . فعبيرها بالمسك في × .

(٦) الخيزور : الخيزران .

يَخْتَالُ كَالْغُضَنِ النَّصِيرِ وَمَا لَهُ
 إِنْ ظَلَّ مِنْهُ الْخَدُّ سَهْلًا فَالْجَنَّا
 أَلِفَ الْتَفَارِ فَلَامَ فِيهِ عَاذِلِي
 عَجَبًا لِغُضَنِ قَوَامِهِ ، كُلُّ الْوَرَى
 وَكَذَاكَ نَضْرَةُ طَرْفِهِ وَنَشَاطُهُ
 حُصِرَتْ مَعَانِي الْحُسْنِ فِيهِ كَمَا غَدَتْ
 الْعَالِمُ الْحَبْرُ الْكَرِيمُ الْأَرْحِي
 مَوْلَى يَرَى مَا قَدْ حَوَاهُ جَمِيعُهُ
 وَكَذَاكَ خَطْبُ الذَّهْرِ يَصْغُرُ عِنْدَهُ
 مَا إِنْ يُرَى فِي ذَهْرِهِ مُتَظَلَّمٌ
 عَذْلًا وَجُودًا بَاعَ كِسْرَى عَنْهُمَا
 حَازَ الْأَثَالَ وَالْمَنَايَا وَالْكَرِي
 لُطْفًا يَذُوبُ الصَّخْرُ مِنْهُ وَعَزْمَةٌ
 خَجِلَتْ لَدَيْهِ الشُّحْبُ لَمَّا أَقْلَعَتْ
 فَكَأَنَّ بَارِقَهَا لَهَيْبٌ فِي الْحَشَا
 فَيَسَارُهُ يُمْنَى الْعَمَامِ لِمُجْدِبٍ
 لَا الْعُذْرَ يَذْرِبُهُ سِوَى بَعْدَ الْعَطَا
 وَافَى السَّمَاحَ مَسِيحُهُ فَأَعَادَهُ
 وَلَقَدْ أَتَى حِينٌ عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ

فِي حُسْنِهِ فِي الْعَالَمِينَ نَظِيرُ
 مِنْهُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ عَسِيرُ
 فَأَجَبْتُهُ إِنَّ الْغَزَالَ نَفُورُ
 [١٤٢] بِالْعَدْلِ قَدْ وَصَفُوهُ وَهُوَ يَجُورُ
 وَإِلَيْهِ تُعْزَى كَسْرَةٌ وَفُتُورُ
 ذَاتُ الصَّلَاحِ بِهَا الثَّنَا مَحْضُورُ
 فِي الْأَلْمَعِيِّ الْبَارِعِ النَّحْرِيرُ^(١)
 لِلْسَائِلِينَ بِأَنَّهُ مَحْفُورُ
 وَيَرَاهُ سَهْلَ الدَّفْعِ وَهُوَ خَطِيرُ
 أَبَدًا وَلَا يَبْنِي الْأَنَامَ فَقِيرُ
 قَدَمًا وَقَيْصَرَ عَاجِزٌ وَقَصِيرُ
 مُ عَلَى الْإِرَادَةِ وَالرَّدَى مَفْطُورُ^(٢)
 جَمَدَ الزَّلَالِ لَهَا وَكَادَ يَغُورُ
 وَنَدَاهُ فِي طُولِ الزَّمَانِ غَزِيرُ
 مِنْهَا وَصَوْتُ الرَّعْدِ مِنْهُ زَفِيرُ
 وَيَمِينُهُ فِيهَا الْيَسَارُ يَسِيرُ
 وَالْعَفْوُ إِلَّا وَهُوَ ثَمَّ قَدِيرُ
 خَلَقًا جَدِيدًا رُبْعُهُ مَحْفُورُ
 شَيْئًا يُظَنُّ بِأَنَّهُ مَذْكُورُ

(١) في م : . . . الحبر الهمام . . . × .

(٢) الأثال : المجد والشرف . (الفاموس) . وفي ب : حاز المعالي . . . × . وفي م : حاز

الأماني . . . × .

أَقْنَى وَأَغْنَى مُوقِعاً وَمُوقِعاً
بِأَنَامِلٍ فِي الطَّرْسِ شَاهِدُنَا التَّدْيِ
إِنْ سَطَرْتُ بَلْ طَرَسْتُ بَلْ طَرَزْتُ
حُرُّ الْمَقَالِ عَيْنِدُ بَعْضِ عَيْنِيهِ
بَسَجِيَّةٌ يَهْدِيهِ وَاضِحُ نُورِهَا
وَمَهَابَةٌ لَوْلا طَلَاقَةُ بَشْرِهِ
يُرْجَى وَيُخْشَى وَعَدُهُ وَوَعْدُهُ
سَاسَ الْمَمَالِكِ فَانْتَشَتْ مَخْفُورَةٌ
فَكَأَنَّهُ وَالِدُهُ مِنْ خُدَامِهِ
مِنْ مَعَشَرٍ إِنْ سُوِّجِلُوا أَوْ جُولِسُوا
لِلْمُجْتَرِي وَالْمُجْتَدِي وَالْمُجْتَلِي
كَمْ قَدْ تَرَاوَجَ فِي سَمَاءِ سُمُومِهِمْ
فَارْتَدَّ مُنْقَلِباً كَلِيلاً خَاسِئاً
عَايَنْتُ فِي طُرُقِ الْعُلَى مُذْ جَازَهَا
وَجَلَبْتُ حِينَ وَرَدْتُ بَحْرَ نَوَالِهِ
سَبَّتِ الصَّبَا لُطْفاً وَصَحَّتْ فَالْصَّبَا
أَجْرَيْتُهَا عَرِيَّةً لِحَبْوَادِهِ
قَدْ زَانَهَا طُولُ وَفِي أَبْيَاتِهَا
مَنْ لَيْسَ يَخْصُرُ وَضْفُهُ إِنْ قَصَّرْتُ
وَلَيْنَ قَصَّرْتُ أَوْ اقْتَصَرْتُ فَإِنِّي
وَبِعُذْرِهِمْ لَمْ يَظْفَرُوا بِمِثَالِهِ
فِيهِ سَمَا شِعْرِي سُمُوءاً لَيْسَ لِلشِّ

فَالْعَزْمُ نَارٌ وَالنَّوَالُ بُحُورُ
مِنْهَا عَلَى الْأَوْرَاقِ كَيْفَ يَسِيرُ
طِرْساً يَرَاعَتْهُ عَلَاهُ التُّورُ
وَلِشَأْوِهِ لَمْ يَجِرْ قَطُّ جَرِيرُ
أَنَّى دَجَتْ يَوْمَ الْهِجَاجِ أُمُورُ
فِي الدَّسْتِ طَاشَ إِذَا رَأَاهُ وَقُورُ
كَالسُّخْبِ فِيهَا رَحْمَةٌ وَثُبُورُ
إِذْ زَانَهَا مِنْ رَأْيِهِ التَّذِيرُ
يَجْرِي بِمَا يَخْتَارُهُ الْمَقْدُورُ
ذَلَّ التُّضَارُّ وَعَزَّ ثَمَّ نَظِيرُ
حَزْبٌ وَبَحْرٌ عِنْدَهُمْ وَبُدُورُ
بَصَرٌ وَمَا فِيهَا لَدَيْهِ فُطُورُ
كَمَدَا إِلَى أَهْلِيهِ وَهُوَ خَسِيرُ
دُرُّ الدَّرَارِي عَقْدُهُ مَثُورُ
أَيَّامٌ دُرٌّ ضِدُّهَا الْمَقْهُورُ
مُعْتَلَّةٌ وَلَهَا الْغَدَاةُ هَرِيرُ
عِلْماً بِأَنْ نِتَاجَهُ التَّيْسِيرُ
عَنْ حَضِرِ أَوْصَافِ الصَّلَاحِ قُصُورُ
عَنْهُ قَصِيدِي إِنِّي مَعْدُورُ
بِمَدِينِهِ لِلشَّالِفِينَ أَخِيرُ
بَحْرٌ لَنَا مِنْ دُرِّهِ التَّخْيِيرُ
شِعْرِي الْعَبُورُ عَلَى عُلاهِ عُبُورُ

وَنَشَرْتُ حَمْدًا فِيهِ يُحْمَدُ نَشْرُهُ
يُضِي الصَّبَا وَيَرَى الْقَبُولُ قَبُولَهَا
يَا مَنْ بِهِ دَسْتُ الرِّئَاسَةَ قَدْ زَهَا
إِنْ شَرَفْتُ يُمْنَاكَ فَايَ بَلْثِمَهَا
دُمُ بِالْمَعَالِي سَاعِيًا أَوْ بِالْمَسَا
لَا زِلْتُ بِالْجَدِّ السَّعِيدِ تَقُورُ بِالسَّ
وَلِيَهِنَّ دَهْرًا أَنْتَ مِنْ حَسَنَاتِهِ

فِي طَبِّهِ طَيْبُ الشَّدَا مَنُشُورُ
لُطْفًا فَيُذِيرُ عَنْ ذِكَاةِ دَبُورُ
وَعَلَا ذُرَاهُ مِنَ السَّعَادَةِ نُورُ
[١٤٣] فَلَيْلِثَمَنْ يَمِينِي الْجُمُهورُ
عِي عَالِيًا فَبِذَاكَ أَنْتَ جَدِيرُ
سَعْدِ الْجَدِيدِ وَسَعْيِكَ الْمَشْكُورُ
يَا ابْنَ الْكِرَامِ فَذَنْبُهُ مَغْفُورُ

● فكتبتُ أنا الجوابَ إليه عن ذلك ازتجالاً من رأسِ القلمِ : [من الكامل]

أَرِيَاضُ حَزْنٍ نَبَتْهَا مَنُطُورُ
أَمْ هَذِهِ نَفَثَاتُ سِحْرِ قَاتِلِ
أَمْ هَذِهِ أَيْبَاتُ شِعْرِ نَظْمِهَا
وَنَعَمْ فَهَذَا نَظْمٌ مِّنْ مَلَأَ الْمَلَا
مَعْنَى يَشْفُ ضِيَاؤُهُ وَعِبَارَةٌ
فَكَأَنَّمَا تِلْكَ الْقَوَافِي أَكُوسُ
وَكَأَنَّمَا الْأَلِفَاتُ أَغْصَانُ النَّقَا
وَكَأَنَّمَا تِلْكَ الشُّطُورُ جَدَاوِلُ
أَكْرِمِ بِهَا مِنْ دَوْحَةِ أَغْصَانِهَا
وَنَسِيْمُهَا فِي يَقْظَةٍ وَرَقِيْبُهَا فِي
وَالْظِلُّ مَمْدُودُ الرِّوَاقِ بِرَبْرِعِهَا
لَوْ هَبَّ أَيْسَرُ نَفْحَةٍ مِنْ تُرْبِهَا
لَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرُ مَذْحِ مَقْصَرِ
حَسْبِي بِهَا فِي خَلَوْتِي لِي جَلْوَةٌ

وَنُجُومُ أَفْقِ ضَمَمَها الدَّيْنُجُورُ
لِللَّصْبِ حِينَ زَنْتَ إِلَيْهِ الْخُورُ
يُزْهِمِي فَيَخْجَلُ عِنْدَهَا الْمَنُشُورُ
فَضْلًا وَفَاضَتْ مِنْ لَهَاةِ بُحُورُ
مِنْهَا تَضَوَّعَ فِي الزَّمَانِ عَيْسُرُ
بِالرَّاحِ قَدْ رَاحَتْ عَلَيَّ تَدُورُ
وَكَأَنَّمَا هَمْزَاتُهُنَّ طُيُورُ
فِيهَا الْبَدِيعُ يَفُوحُ ثُمَّ يَفُورُ
مَرْفُوعَةٌ وَغَدِيرُهَا مَجْرُورُ
غَفْلَةٌ وَنَدِيمُهَا مَسْرُورُ
وَالْحُسْنُ فِي سَاحَاتِهَا مَقْصُورُ
لَأَفَاقَ مِنْ ذَاكَ الشَّدَا الْمَحْمُورُ
هُوَ مَعَ مَسَاوِي ذَاتِهِ مَشْكُورُ
إِنْ ضَمَّنِي ثَوْبُ الدُّجَى الْمَزْرُورُ

لي من معانيها نديمٌ مؤنسٌ
 أنا لا أقومُ بشُكرٍ مُهديها ولو
 هيّات ذاكَ أَمِيرُ نَظْمٍ فائقُ
 فإذا اجتهدتُ يَكُونُ غَايَةُ قُدْرَتِي
 فإِلَيْكَ زَيْنَ الدِّينِ مَعْدِرَةُ امْرِئٍ
 فَالنَّاسُ مَا فِيهِمْ بِفَضْلِي عَالِمُ
 فَاللهُ يَجْعَلُنِي كَمَا قَدْ قُلْتُه
 بِجَمِيعِ لَذَاتِ الْأَنَامِ بِصِيرُ
 قَصَرْتُ عَنْهُ فَإِنِّي مَعْدُورُ
 وَلِرَاؤُهُ مِنْ فَوْقِنَا مَنُشُورُ
 أَنِّي عَلِ حُسْنِ الثَّنَاءِ قَدِيرُ
 فِي بَاعِهِ عِنْدَ الْجَوَابِ قُصُورُ
 وَبِفَضْلِ نَظْمِكَ يَشْهَدُ الْجُمُهورُ
 وَتَرُوحُ أَنْتَ وَذَنْبُكَ الْمَغْفُورُ

* * *

حَرْفُ الْجِيمِ

٢٣ * جَوَادُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ غَالِبِ التَّنُوخِيِّ (١) :

الْأَمِيرُ الْأَجَلُّ ، عَزَّ الدِّينُ ، أَمِيرُ الْغَرْبِ .

● أَهْدَى إِلَيَّ شَيْئاً مِنْ طَرَائِفِ الْجَبَلِ وَهَدَايَا بَيْرُوتَ ، فَكُتِبَتْ أَنَا إِلَيْهِ (٢) :

[من السريع]

يَا سَيِّدًا جَاءَتْ هَدَايَاهُ لِي عَلَى الْمُنَى مِنِّْي وَوَفَّقَ الْمُرَادُ
 أَنْتَ جَوَادٌ سَابِقٌ بِالنَّدَى مَنْ ذَا الَّذِي يُنْكِرُ سَبَقَ الْجَوَادُ

(١) ترجمته في : أعيان العصر ١٦٦/٢ والوافي بالوفيات ٢١٣/١١ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٨٣/٢ والدرر الكامنة ٥٤٠/١ والمنهل الصافي ٣١/٥ والدليل الشافي ٢٥٣/١ .
 - مولده في ٧٠٥ هـ . ووفاته سنة ٧٥٨ هـ .

- أمير الغرب : يعني أمير بيروت . (ينظر تاريخ بيروت لصالح بن يحيى) .

(٢) الخبر والأبيات جميعاً في : أعيان العصر والوافي والمنهل الصافي ؛ الأول والثاني من أبيات المترجم في الدرر الكامنة .

● وكتبَ هو إليَّ جواباً^(١) [من البسيط]

وافى مثالك مطوياً على نزه
فالعين تزع فيما خط كائنه
وإن وقفت أمام الحى أنشده
يچار مسمعه فيها وناظره
والسمع ينعم فيما قال شاعره
ود الخرائد لو تقنى جواهره^(٢)

* * *

حَرْفُ الحاءِ

٢٤ * (حسن بن علي^(٣)) :

الشيخ بدر الدين العباسي ، المعروف بابن البنا .

● كتبَ إليَّ وأنا بحلب المحروسة ، في سنة تسع وخمسين وسبعمئة :

[من الكامل]

هي مُقْلَةٌ إِنْ لَمْ تُعْنِكَ فَلَاحِهَا
لِلظَّاعِنِينَ عَلَيْكَ حَقٌّ فَاقْضِهِ
وَقَفْتُ صَبَاحَ أَمَامَ صُبْحِ رَحِيلِهِمْ
فَسَمَّاحُهَا بِالْدَّمْعِ عَيْنُ فَلَاحِهَا
مِنْ عَبْرَةٍ وَقَفْتُ عَلَى سَقَّاحِهَا
فَغَنَيْتُ عَنْ مِصْبَاحِهِمْ بِصَبَاحِهَا

(١) الخبر والأبيات جميعاً في : أعيان العصر والوافي والمنهل الصافي ؛ والأول والثاني من أبيات المترجم في الدرر الكامنة .

(٢) في ب : × . . . لو تغني جواهره .

(٣) ترجمته في : تذكرة النبيه ٢٧٣/٣ والمتقى من درة الأسلاك ٣٦٥ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢٤٩/٢

وتعريف ذوي العلا ١٦١ والدليل على العبر ١٧٥/١ ولحظ الألفاظ ١٤٥ والدرر الكامنة ٢١/٢

والنجوم الزاهرة ٨٤/١١ والمنهل الصافي ١٠/٥ والدليل الشافي ٢٦٥/١ .

- وفاته سنة ٧٦٥ هـ . عن نحو سبعين سنة .

- هذه الترجمة ساقطة من أ ، س ، م ، وهي من ب .

وَكَاَنَّ طَلًّا سَاقِطًا مِنْ دَمْعِهَا
وَكَاَنَّ رَاحًا مِنْ لَمَاهَا خَامَرَتْ
وَإِذَا الرِّيَاضُ زَهَتْ بِفَاخِرِ زَهْرِهَا
زُهِيتَ بِوَجَّتَيْهَا وَوَرْدُ شَقِيقِهَا
وَكَاَنَّ غُرَّتَهَا الْغَزَالَةُ نَبَّهَتْ
يَا حُسْنَ فَاتِنَةِ الْعُقُولِ أَهْكَذَا
حَلَلْتَ حَظَرَ دَمِي ، كَذَا فَعَلَ الَّذِي
سَيِّمَ اللَّحَاءَ تَجَبُّي لِمَلَامِهِمْ
لَمْ أَتْنِ عَنْ حَلَبِ عِنَانِ إِقَامَةٍ
كُلِّ الَّذِي أَسَدَتْ إِلَيَّ مَعَارِفِي
وَالدَّهْرُ يَفْرَعُ بِالنَّوَابِ عَادِيًا
هِيَ مَوْطِنُ النَّائِي الْمُقِلِّ كَأَنَّمَا
تَسْرِي بِهَا الْأَزْوَاحُ بَيْنَ مَرَوْضٍ
لَمْ تَبْرَحِ الشُّهْبَاءُ مِنْ شُهْبِ السَّمَاءِ
لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ
وَافِي صَلَاحِ الدِّينِ كَاتِبَ سِرِّهَا
رُفِعَتْ تَوَاقِيعُ الْبِلَادِ بِفَاضِلِ
فَكَأَنَّهَا تَزْمِي بِسَهْمِ إِصَابَةٍ
إِذْ أُنْشِرَتْ مِنْهَا الْمَنَاشِيرُ الَّتِي
بَحَرُ الْفَضَائِلِ فِيهِ يُوجَدُ دُرُّهَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْهُ مَوْرِدُ رَهْطِهَا

تَحْكِي فَرَائِدُهُ عُقُودَ وَشَاحِهَا
عَقْلِي تَلَاهَا رَاحُهَا مِنْ رَاحِهَا
فَالزَّهْرُ مِثْلُ الزُّهْرِ مِنْ وَضَاحِهَا
وَسَنَا ثَنَائِيهَا وَنَوْرُ أَقَاحِهَا
فِي الْحَيِّ حُورِ الْعَيْنِ مِنْ فَضَاحِهَا
تُسْتَجَلِبُ الْأَزْوَاحُ مِنْ أَشْبَاحِهَا
يَقْضِي عَلَى الْإِقْبَالِ عِنْدَ طِمَاحِهَا
وَقَدْ اطمَنَّ الْقَلْبُ مِنْ إِلْحَاحِهَا
جَنَفَتْ عَلَيَّ وَقَدْ أَقَمْتُ بِسَاحِهَا^(١)
سَلَبْتُهُ مِنْ عَقْلِي عُيُونُ مِلَاحِهَا
مَنْ لَا يُفِيقُ الدَّهْرَ مِنْ أَتْرَاحِهَا
وَقَفْتُ مَقَامَتُهُ عَلَى أَفْرَاحِهَا
عَنْ مُزْنَةٍ مَثْنٍ عَلَى سَحَاحِهَا
بِمَنَاجِحِ كَالشُّهْبِ مِنْ مُرْتَاحِهَا
إِضْلَاحُهَا شَأْنًا وَبَسْطَ جَنَاحِهَا
قَسَمًا تَعَيَّنَ وَهُوَ عَيْنُ صَلَاحِهَا
أَفْكَارُهُ وَقَفْتُ عَلَى اسْتِضْبَاحِهَا
مَنْ رَامَهُ مَا طَاشَ عِنْدَ كِفَاحِهَا
مَاتَتْ وَصَحَّ الْبَعْثُ مِنْ أَزْوَاحِهَا
فَصِحَاحُهُ تُوْهِى عُقُودَ صِحَاحِهَا
كَالشَّمْسِ عِنْدَ غُدُوِّهَا وَرَوَاحِهَا

(١) في ب : لم اين غر . . . ! وأثبت ما في أعلاه اجتهداً .

سَلَكَ السَّبِيلَ إِلَى مَشَارِقِ حِلِّهِ
كَشَفَتْ مَعَارِفُهَا الْغَوَامِضَ لَمْ تَزَلْ
مُتَقَلِّدٌ فِيهَا بِعِزِّ مُزْهَفَاً
وَإِذَا الصَّحَائِفُ شَحَّ وَذُقَّ سَحَابُهَا
وَكَأَنَّمَا أَقْلَامُهُ عِنْدَ الْعِدَى
أَخَى صَلَاحُ الدِّينِ كُلِّ فَضِيلَةٍ
وَإِذَا الْفَضَائِلُ رَجَحَتْ أَرْبَابُهَا
يَسْتَضِيحُ السَّارِي بِهِ فِي نَظْمِهِ
تَمَّتْ بِهِ رُتَبُ الْمَعَالِي حَيْثُمَا
فِي حِلْمِ نَفْسٍ لَا يَطِيشُ وَقَارُهَا
وَكِتَابَةُ السَّرِّ الَّتِي صَلَحَتْ بِهِ
وَافَتْ إِلَيْهِ فَسَدَّ خُلَّةَ أَمْرِهَا
تَسْرِي صَحَائِفُهُ كَأَنَّ بَرِيدَهَا
الْيُمْنُ مُنْشُورٌ بِهَا فِي طَيْهَا
وَبَدَائِعِ الصُّخْفِ التَّنْفِيسَةِ أَوْجُهُ
يَا مَنْ فِرَاضُ الْمَجْدِ دَلَّتْ أَنَّهُ
وَمُذَلِّلُ الْمُسْتَضْعَبَاتِ كَأَنَّهَا
أَهْدَى إِلَى هَجَرِ تِجَارَةِ بَائِسٍ
حَازَ الْمُعَلَّى مِنْ عُلاكَ بِمَدْحِهَا
وَهُوَ الَّذِي خَتَمَ الْقَرِيضَ بِشَعْرِهِ
حَمَلَتْ مَعَارِفُنَا اللَّيَالِي سَالِفَاً

عَرَفَ الصَّوَابَ الْحَقَّ مِنْ أَصْبَاحِهَا
مَضْرُوفَةً مِنْهَا عَلَى إِنْصَاحِهَا
يُغْنِيهِ عَنْ خَطِيئِهَا وَصِفَاحِهَا^(١)
فِرَاعُهُ السَّامِي مَهَبٌ رِيَاحِهَا
شُهْبُ الثُّجُومِ تَخْطُ سُمْرَ رِمَاحِهَا
فَكَأَنَّهُ قَدْ جَاءَ لَاسْتِفْتَاحِهَا
رَجَحَتْ فَصَائِلُهُ عَلَى رَجَّاحِهَا
فَقَرَّ الْبَلََاغَةَ يَقْتَدِي بِسَمَاحِهَا
كَانَتْ تَكُونُ بِهِ مَدَارُ نَجَاحِهَا
الْحِلْمُ مَنْسُوبٌ إِلَى أَسْجَاحِهَا
أَحْوَالُهَا ، وَالرَّأْيُ فِي إِضْلَاحِهَا
سَدّاً تُمَيِّزُهَا عَلَى نُصَاحِهَا
مِنْ سَابِحَاتِ الشُّحْبِ مِنْ مِسْبَاحِهَا
وَالنَّضْرُ مَقْرُونٌ إِلَى أَلْوَاحِهَا
تَتَطَلَّبُ الْحَاجَاتِ عِنْدَ صَبَاحِهَا
مُغْرَى بِهَا وَيَنْذِبُهَا وَمُبَاحِهَا
وَقَفَا جِيَادُ الْخَيْلِ عِنْدَ جِمَاحِهَا
تَمَرّاً تَمُرُّ بِهِ صَغِيدَ بَطَاحِهَا
وَهُوَ الْمُصِيبُ ثَنّاً بِضَرْبِ قِدَاحِهَا
إِذْ كَانَ دَامَ عُلاكَ مَنْ مَدَّاحِهَا
فَزَكَا التَّنَاجُ وَطَابَ عَقْدُ لِقَاحِهَا

(١) في ب : متلد فيها بعزم مرهف × . ولعل ما ذهب إليه هو الصواب .

إِنَّ المعارِفَ كالزَّكَايا بَعْضُهَا الـ
ولقد أُتيتَ بما تَجُرُّ مِنَ الحَيَا
لا زَالَتِ الأَقْلَامُ عِنْدَكَ تَقْتَفِي
ما فَضَّ خَتَمَ الزَّهْرِ أَنْفَاسُ الصَّبَا
عَذْبُ الزُّلَالِ صَفَا عَلَى مُمْتَاحِهَا
ذَيْلًا يَرُومُ الصَّفْحَ مِنْ لَمَاحِهَا
سُبُلَ المعَالِي فَهِيَ خَيْرُ سِلَاحِهَا
لَيْلًا وفَاحَ شَذَاهُ مِنْ فَوَاحِهَا^(١)
٢٥ * حسن بن جعفر^(٢) :

الفاضل بَذُرُ الدِّينِ بن شَمْسِ الدِّينِ البَلْبِيسِيِّ ، الطَّيِّبُ بالقَاهِرَةِ
المَحْرُوسَةِ .

● كَتَبَ إِلَيَّ فِي سَنَةِ ٧٤٥ وَأَنَا بِالْقَاهِرَةِ ، عَلَى وَزْنِ قَصِيدَةٍ نَظَّمْتُهَا أَنَا

ووقف هو عليها ، فقال : [من البسيط]

قَامَتْ مَقَامَ الحُمَيَّا رِيقُهُ الحَضِرَةُ
وخَالَ فِي مِعْطَفَيْهِ البَانُ مِنْهُصِرًا
ولَمْ يَكُنْ لِلحُمَيَّا طِيبُ رِيقَتِهِ
[٤٣] مِنَ الْآنَاسِيِّ فِي أَحْدَاقِهِ حَوْرٌ
وسِحْرُ أَجْفَانِهِ لَوْ كَانَ عَاصِرُهُ
فِي نَفْسِهِ صَلَفٌ ، فِي قَدِّهِ هَيْفٌ
تَنَالُ مِنْ خَصْرِهِ وَصَلًا مَنَاطِقُهُ
كَمِثْلِ لَفْظِ صَلَاحِ الدِّينِ مُحتَوِيًا
فَنَظْمُهُ اللُّؤْلُؤُ الْمَنظُومُ تَحْسِبُهُ
فَطَنَهَا بَعْضُ أَهْلِ العَصْرِ مُعْتَصِرَةً
فَقَالَ فِي مِعْطَفَيْهِ البَانُ مِنْ هَصَرَةٍ
ولا نَضَارَتِهِ لِلْبَانَةِ النَّصْرَةِ
تَمَنَّتِ الحَوْرُ فِي أَحْدَاقِهَا حَوْرَهُ
فِرْعَوْنُ مُوسَى لِأَغْنَاهُ عَنِ السَّحَرَةِ
صَبٌّ بِهِ كَلِفٌ ، أَمْرَاضُهُ خَطِرَةٌ^(٣)
وَذَاكَ مَعْنَى دَقِيقٌ وَهِيَ مُخْتَصِرَةٌ
عَلَى مَعَانٍ مِنَ الإِيجَازِ مُبْتَكِرَةٌ^(٤)
وَتَحْسَبُ اللُّؤْلُؤُ الْمَشُورَ مَا نَثَرَهُ

(١) وليس في ب رد الصندي .

(٢) لم أقف له على ترجمة .

(٣) في ب : × صَبٌّ بِهِ دَقَفٌ . . .

(٤) في س : × . . . مع الإيجاز . . .

يا شاعراً شَنَّفَ الْأَسْمَاعَ ما شَعَرَهُ
عَادَ الشُّرُورُ لِمُضِرِّ حِينَ عَذَّتْ لَهَا
كَانَتْ وَقَدْ غَبَّتْ عَنْهَا ما لَهَا قَمَرٌ
حَلَلَتْهَا فَلَهَا بِالْفَخْرِ أَلْوِيَّةٌ
قَالَتْ دِمَشْقُ وَقَدْ جَانَبَتْ جَانِبَهَا :
يا مَنْ إِذَا عَبَرْتَ أَرْضاً رَكَابُهُ

وَعَطَّرَ الْكَوْنَ مِنْ أَنْفَاسِهِ الْعَطِرَةَ
كَهَاجِرٍ وَصَلَ الصَّبَّ الَّذِي هَجَرَهُ
كَالَلِيلِ وَاللَّيْلِ يَرْجُو أَنْ يَرَى قَمَرَهُ
مَعْقُودَةً وَبِكَ الْأَمْصَارُ مُفْتَحِرَهُ
مَنْ غَابَ عَنْ جُودِ كَفِّهِ كَمَنْ حَضَرَهُ
تَبَقَّى بِهِ وَبِمَا يُنْمِلِيهِ مُعْتَبِرَهُ

● فكتبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ ازْجِجَالاً : [من البسيط]

أَهْدِيهِ رَوْضَةً أَنْفَاسُهَا عَطِرَةَ
أَمْ قِطْعَةً مِنْ قَرِيضٍ رَاقٍ قَافِيَةً
فَمَا يَمُرُّ عَلَى سَمْعِ امْرِئٍ وَلَهُ
بَالِغَتْ مَوْلَايَ بَدْرُ الدِّينِ فِي مِدْحِي
غَرِيبُ مُضْرِكَ لَمَّا حَلَّ رَبْعَكَ قَدْ
أَنْتُمْ أَنْاسٌ مَطَايِيعُ بِمُضْرِكُمْ
وَنَظْمُكُمْ يَخْلُبُ الْأَلْبَابَ رَوْنَقُهُ
وَفِي عِبَارَاتِكُمْ لُطْفٌ يَزِيدُ عَلَى
وَلَفْظُكُمْ قَدْ حَلَا فِي ذَوْقِ سَامِعِهِ

أَمْ أَفَقُّ لَيْلٍ جَلَا لَمَّا انْجَلَى قَمَرَهُ
وَرَقَّ لَفْظاً كَدَوَّحٍ تَجْتَلِي زَهْرَهُ
ذَوْقٌ قَيِّلُغٌ مِنْ تَكَرَّارِهِ وَطَرَهُ
وَالْبَدْرُ كَيْفَ نَرَاهُ يَمْدَحُ الشَّرَرَهُ
أَضْحَى يُنْفِقُ فِيمَا بَيْنَكُمْ عُجْرَهُ
أَهْدِي الشَّامُ لَكُمْ مِنْ أَرْضِهِ بَقَرَهُ
وَمِضْرُ مَعْرُوفَةٍ فِي النَّاسِ بِالسَّحَرَهُ
رِيحِ الصَّبَا حِينَ شَقَّتْ رَوْضَةَ نَضْرَهُ
وَلَيْسَ نَظْمِي فَيْكُمْ يَانِعُ الثَّمَرَهُ

٢٦ * حسن [بن عمر بن الحسن] بن حبيب (١) :

القاضي الفاضل ، بدر الدين الحلبي .

(١) ترجمته في : الذيل على العبر ٤٦٨/٢ وتعريف ذوي العلا ٢٧٥ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٥٥٩/٢
وإنباء الغمر ١٤٩/١ والدرر الكامنة ٢٩/٢ والنجوم الزاهرة ١٨٩/١١ والمنهل الصافي ١١٥/٥
والدليل الشافي ٢٦٧/١ وشذرات الذهب ٤٥١/٨ والبدر الطالع ٢٠٥/١ .
- هو صاحب « تذكرة النبيه » و« دُرَّةُ الْأَسْلَافِ فِي دَوْلَةِ الْأَتْرَافِ » .
- وفاته سنة ٧٧٩ هـ . ومولده سنة ٧١٠ هـ .

● كَتَبْتُ إِلَيْهِ وَقَدْ وَقَفْتُ لَهُ عَلَى قَصِيدَةٍ^(١) اِمْتَدَحَ بِهَا الْقَاضِي شَرَفَ الدِّينِ
ابن المرحوم شمس الدين بن العلامة المرحوم شهاب الدين أبي الثناء محمود ،
على هذا الوزن :

وَقَفَ الْمَمْلُوكُ عَلَى الْقَصِيدَةِ الَّتِي سَلَبَتْ لُبَّهُ ، وَكَشَفَتْ لَهُ عَنِ الْبَيَانِ
حُجْبَهُ ، وَوَصَفَتْ مَنَاقِبَ مَمْدُوحِهَا الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ نَازِمُهَا وَنَبَّهَ ، وَسَرَدَتْ مَآثِرَهُ
الَّتِي كَفَّرَتْ خَطِيئَةَ الزَّمَنِ بِوُجُودِهَا وَمَحَتْ ذَنْبَهُ ، وَدَلَّتِ الْعُفَاةَ عَلَى نَسَمَاتِ
جُودِهِ الَّتِي كَمَ لَهَا مِنْ هَبَّةٍ فِي كُلِّ هَبَّةٍ ، وَاخْتَارَتْ لَهَا مِنْهُ كُفُوءاً أَضْحَتِ الْمَجْرَّةُ
طَرِيقَهُ ، وَالْثَرَيَّا نَعْلَهُ ، وَالْهَلَالُ فَلَامَتُهُ ، وَأَزِيدُهُ شَرَفًا إِذَا قُلْتُ قَلْبَهُ .

فَوَقَفَ الْمَمْلُوكُ عَلَى كُلِّ بَيْتٍ مِنْهَا مَعَ حَسَدِهِ ، وَقَالَ : فَدَيْنَاكَ مِنْ رَنَعٍ وَإِنْ
زِدْتَنَا كُرْبَةً ، وَطَافَ بِهِ عَلَى عَيْنِهِ وَرَأْسِهِ لَمَّا كَانَ فِي الْأَدَبِ كَعْبَةً ؛ فَلَوْ تَعَاطَاها
الْعَرَبُ الْفِصَاحُ لَكَانَتْ لِقُلُوبِهِمْ طَابِخَةً وَعَلَى أَذْهَانِهِمْ ضَبَّةً ، وَلَوْ رَأَاهَا ابْنُ نُبَاتَةَ
لَوَجَدَ فِي كُلِّ خُطْبَةٍ خُطْبَهُ ، وَلَوْ اسْتَعْمَلَهَا الْفَاضِلُ فِي تَرْشُلَاتِهِ مَا عَمِلَ اللَّهُ لَهُ
- كَمَا قِيلَ - حَذْبَةً ، وَلَوْ نَظَرَ فَضْلُهَا الْكِسَائِيُّ لَتَحَقَّقَ تَجَرُّدُهُ فِي الْعِلْمِ^(٢)
وَسَلَبُهُ ، وَلَوْ عَاصَرَهَا ابْنُ يَعِيشَ لَقَضَى فِي الْوَقْتِ نَحْبَهُ ، وَلَوْ أُنْشِدَتْ لِحَمَّادِ
الرَّأَوِيَةِ لَقِيَ مِنْهَا عَرَقَ الْقِرْبَةِ ، وَلَوْ [ب ٤٣] شَاهَدَ ابْنُ الْبَوَّابِ سَطُورَهَا لَتَأَخَّرَ عَمَّا
يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الرُّتْبَةِ ، وَلَوْ نَظَرَهَا ابْنُ مُقْلَةَ لَتَمَتَّى أَنْ تَكُونَ أَلْفَاتِهَا هُذْبُهُ ، وَلَوْ
سَمِعَهَا ابْنُ الرُّومِيِّ لَقَطَعَ الرُّعْبُ مِنْهُ وَمِنْ أَضْلِهِ صُلْبُهُ ، وَلَوْ سَعَى خَلْفَهَا ابْنُ
سَهْلٍ لَعَلِمَ أَنَّ طَرِيقَهَا فِي النَّظْمِ صَعْبَةٌ ، وَلَوْ حَاوَلَ ابْنُ الْخَيَّاطِ مَعَانِيهَا لَكَانَ

(١) بعض هذه القصيدة في تذكرة النبيه ٣/ ٢٦٨ - ٢٦٩ والمتقى من درة الأسلاك ٣٥٤ - ٣٥٥ ،
ومطلعها :

بين جسمي وبين خضرك نِسْبَةٌ كيف عني مَنَعَتْ بِأَغْضُنْ قُرْبَهُ

(٢) في ب ، س : من العلم .

العَجْزُ وَقَعَ فِي قَبِّهِ^(١) وَضَرَبَ عَلَيْهِ قَبَّةً ، وَلَوْ تَعَوَّذَ بِكَلِمَاتِهَا عُمَارَةُ الِیْمَنِی لِأَمِنْ خَرَابَ عُمْرِهِ وَصَلْبُهُ ، وَلَوْ وَلَوْ وَلَوْ^(٢) : [من الخفيف]

بَيْنَ قَطْرِ النَّدَى وَشِعْرِكَ نِسْبَهُ
 مَا حَبِيبُ الطَّائِي يَا ابْنَ حَبِيبٍ
 وَأَرَى مَا نَظَّمْتَ زَهْرًا وَلَكِنْ
 وَعَجِيبٌ مِنْ عَقْدِ دُرٍّ نَفِيسٍ
 لَوْ غَدَا لَفُظُهُ هَدِيَّةً صَبَّ
 هُوَ حَالٍ فِي كُلِّ حَالٍ أَرَاهُ
 لَيْسَ عِنْدِي فِي الْأَفْقِ وَالْقَوْلِ حَقٌّ
 فَرِحْتَ جَلَّقَ بِقُرْبِكَ حَتَّى
 وَحَمَامُ الْغُصُونِ بِالسَّجْعِ أَضْحَى
 يَا أَدِيبًا أَتَى بِشِعْرِ يَرَاهُ
 وَجَوَادًا جَرَى فَجَلَّى فَكَانَتْ
 وَكَمِيًّا مَا مَدَّ فِي النَّظْمِ بَاعًا
 خَاضَ بَحَرَ الْقَرِيضِ غَيْرُكَ لَكِنْ
 أَيُّ شَيْءٍ أَلْهَاكُمْ يَا بَنِي الْعَصَى
 هُوَ عِنْدِي بِالنَّصْرِ فَازَ وَتَبَّتْ

فَلِهَذَا أَلْفَاظُهُ الْغُرُّ عَذْبَهُ
 حَامِدًا فِي الْقَرِيضِ بَعْدَكَ كَسْبَهُ
 هُوَ عِنْدِي بِالْأَنْجَمِ الزُّهْرِ أَشْبَهُ
 كُلُّ قَلْبٍ شَرَاهُ مِنْكَ بِحَبَّةٍ
 لِحَبِيبٍ لَكَانَ فِي الْبُعْدِ قُرْبَهُ
 نَضَبَ عَيْنِي وَالْحَالُ يَطْلُبُ نَضْبَهُ
 شُبْهَةً أَنْ تَبَيَّتَ تَنْظِمُ شُبْهَهُ
 كَانَ حِنَّا الْأَصِيلِ فِي الْأَفْقِ خُضْبَهُ
 يَنْغَنَى وَرَقَصَ الرُّوضُ قُضْبَهُ
 كُلُّ صَبٍّ يَفُوقُ وَضَلَّ الْأَجْبَهُ
 حَلَبٌ فِي الْقَرِيضِ لِلنَّاسِ حَلْبَهُ
 فَاقْتَضَى بَاعُهُ إِذَا مُدَّ قَلْبَهُ
 لَمْ يَذُقْ مِنْ زُلَالِكَ الْعَذْبِ نُغْبَهُ
 سِرٌّ فَلَمْ تَلْحَقُوا لَهُ قَطُّ رُبْنَهُ
 يَدُ مَنْ قَدْ غَدَا بِهِ يَشَبَّهُ^(٣)

● فكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ :

يُقْبَلُ كَذَا ، وَيُنْهَى بَعْدَ وَلَاءٍ اتَّخَذَهُ إِلْفًا وَقَرِينًا ، وَدَعَاءُ اسْتَفْتَحَ بِهِ بَابَ

(١) فِي ب : قَلْبِهِ .

(٢) مَعْظَمُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ فِي تَذَكُّرَةِ النَّبِيِّ ٣/ ٢٦٩ - ٢٧٠ وَبَعْضُهَا فِي الْمَتَقَى مِنْ دَرَّةِ الْأَسْلَافِ ٣٥٥ .

(٣) وَسَقَطَ مَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ سِ حَتَّى نِهَآيَةِ التَّرْجُمَةِ .

القبول فْقِيلَ لَهُ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ [الفتح : ١] وثناءً بِهِ يُعَرَفُ عَرَفُ الرِّيَاضِ ،
وانتماءً لَيْسَ لَهُ انْتِهَاءٌ وَلَا انْقِرَاضٌ ، وَشَوْقٍ إِلَى قُرْبِ أَيَّامِهِ الْمُسْتَنِيرَةِ ، التي
يَطُولُ الشَّرْحُ فِي وَصْفِ مَحَاسِنِهَا وَإِنْ كَانَتْ قَصِيرَةً^(١) : [من الطويل]

تَفَضَّلْتَ الْإَيَّامُ فِي الْجَمْعِ بَيْنَنَا . فَلَمَّا حَمِدْنَا لَمْ تَدِمْنَا عَلَى الْحَمْدِ
جَعَلْنَا وَدَاعِي وَاحِدًا لِثَلَاثَةِ جَمَالِكَ وَالْعِلْمِ الْمُبْرَحِ وَالْمَجْدِ
وُصُولِ الْإِنْعَامِ الشَّرِيفِ الَّذِي أَغْدَبَ شُرْبُهُ ، وَأَمْطَرَ سُحْبُهُ ، وَأَذْهَبَ غَيْظُهُ
عَلَى الذَّهْرِ وَعَتَبُهُ ، وَرَفَعَ لَهُ بَيْنَ الْمَلَأِ رُتْبَةً وَأَيُّ رُتْبَةٍ ، وَأَعْلَى قَدْرَهُ إِلَى أَنْ زَاخَمَ
فِي أَفْقِ التَّوْفِيقِ شُهْبَهُ ، وَتَبَّ مِنْهُ حَظًّا نَامَ دَهْرًا وَصَارَ لَهُ بِهِ فِي النَّاسِ نِسْبَةٌ .

فَيَا لِلَّهِ ذَلِكَ الْبَرَّ الشَّامِلَ وَمُهَنْدِيهِ ، وَالْفَضْلَ الْكَامِلَ وَمُبْدِيهِ ، وَأَخْسِنَ بِطَرْسٍ
يُضْبِي أَهْلَ الْعِلْمِ بِأَعْلَامِهِ وَأَفْوَاهِهِ ، وَأَلْفَاظٍ أَخْجَلَتِ الدُّرَّ فَرَّاحَ مُسْتَخْفِيًا فِي
أَصْدَافِهِ ، وَفَصَاحَةٍ تَعْقِلُ عُقُولَ ذَوِي الْفِطْرِ السَّلِيمَةِ ، وَفَقْرٍ يَفْتَقِرُ أَجْيَادُ الْحَسَنِ
إِلَى جَوَاهِرِ عُقُودِهَا النَّظِيمَةِ ، وَتَرَشَّلَ يُظْهِرُ نَقْصَ الْفَاضِلِ وَخُمُولَ ابْنِ النَّبِيِّ ،
وَحَظُّ لَوْ شَاهَدَهُ ابْنُ الْبَوَّابِ [٤٤] عَادَ قَلَمُهُ كَعَصَا أَبِيهِ^(٢) : [من الطويل]

فَإِنْ كَانَ زَهْرًا فَهَوَ صُنْعَ سَحَابِهِ وَإِنْ كَانَ دُرًّا فَهَوَ مِنْ لُجَّةِ الْبَحْرِ
لَقَدْ تَنَزَّهَ الْمَمْلُوكُ فِي رَقْمِ أَنْامِلِهِ الشَّرِيفَةِ ، وَاجْتَنَى أَزْهَارَ أَلْفَاظِهِ الْعَذْبَةِ
وَأَبْكَارَ مَعَانِيهِ اللَّطِيفَةِ ؛ يَا لَهَا مَعَانِي ظَهَرَتْ مِنَ الْبَلَاغَةِ فِي أَحْسَنِ الْأَنْوَاعِ ،
وَشَرَفَتْ الْأَبْصَارَ وَشَتَّتْ الْأَسْمَاعَ ، وَسَبَّتِ الْأَلْبَابَ وَسَلَبَتِ النُّفُوسَ ، وَأَغْنَتْ
عَنْ تَرْنَمِ الْأُسْنِ الْعِيدَانِ وَارْتِشَافِ شِفَاهِ الْكُؤُوسِ^(٣) ، مَا أَحْسَنَ مَا جَاءَتْ تَرْفُلُ
فِي ثَوْبِ طَرْسٍ رَاقِمِهِ عَلَى أَهْلِ الْعَصْرِ مُبَرَّرٌ ، وَمَا أَحَقُّهَا بِقَوْلِ ابْنِ

(١) البيتان للمتنبي ، في ديوانه ٦٩/٢ .

(٢) البيت ثالث ثلاثة لابن الحلّاي الموصلي ، في خزانة الأدب للحموي ٩٦/٣ .

(٣) في م : أفواه الكؤوس .

الرُّومِي^(١) : [من الكامل]

وَحَدِيثُهَا السُّحْرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ
شَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فَضْلَهُ الَّذِي طَوَّقَ الْأَجْيَادَ ، وَنَفَعَ بِفَضَائِلِهِ الْوَارِيَةَ الزِّنَادِ ،
وَأَدَامَ سَحَّ سَحَابِهِ الَّذِي جَادَ وَأَجَادَ^(٢) ، وَجَعَلَ أَنْوَارَ سَمَائِهِ وَنَارَ شَمْسِهِ ، هَذِهِ
تَهْدِي قُلُوبَ الْأَوْلِيَاءِ ، وَهَذِهِ تَتَأَجَّجُ فِي أَكْبَادِ الْحُسَادِ .

وقد خَدَمَ الْمَمْلُوكُ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ الْمُعْتَرِفَةَ بِالْقُصُورِ ، الْمُتَسَتِّرَةَ مِنَ الْحَيَاءِ
فِي طَيِّ رَقِّهَا الْمَنْشُورِ ، الطَّامِحَةَ إِلَى سَدِّ ظِلِّهَا^(٣) لَدَى السَّبْرِ ، الطَّامِعَةَ فِي أَنْ
تُلَمَّحَ عِنْدَ الْمُقَابَلَةِ بِالْجَبْرِ ، وَهِيَ : [من السريع]

سَفَكَ دِمَا عُشَّاقِهِ قَدْ أَبَاخَ	لَمَّا انتَصَى مِنْ مُقْلَتَيْهِ الصِّفَاخَ
أَهْيَفُ مَا هَزَّ قَنَاقُودُهُ	إِلَّا وَغَارَتْ مِنْهُ سُمْرُ الرِّمَاحِ
وَلَا تَبَدَّى وَجْهُهُ سَافِرَا	إِلَّا وَخِلْتُ الصُّبْحَ فِي الشَّرْقِ لَاحَ
ذُو مُقْلَةٍ كَخَلَاءِ سَحَّارَةٍ	لَا تُخَوِّجُ الصَّبَّ إِلَى شُرْبِ رَاخِ
كَمْ أَطْلَقْتَ سَهْمَاً وَكَمْ قِيدَتْ	قَلْبَ مُحِبِّ بِجِرَاحِ اجْتِرَاحِ
لَا تَسْأَلُوهَا أَبَدًا عَنْ دَمِي	فَمَا عَلَى الْمَرْضَى الشُّكَارَى جُنَاحِ
يَا غُضْنَ بَانَ قُصٌّ لَمَّا نَأَى	مِنْ طَائِرِ الْقَلْبِ جَنَاحِ النَّجَاحِ
ازْفَعَ قِتَالِي فِي حُرُوبِ الْهَوَى	فَإِنَّنِي عَجَزَاً وَضَعْتُ السَّلَاحِ
أَنْظُرْ إِلَى الْأَجْفَانِ وَاعْجَبْ لَهَا	مَكْسُورَةَ تُسْبِي الْعُقُولَ الصِّحَاخِ
إِنْ أَفْسَدَتْ أَسْيَافُهَا مُهْجَتِي	ظُلْمًا تَعَلَّقْتُ بِعَذْلِ الصَّلَاحِ
مَوْلَى لَهُ أَعْلَامُ عِلْمٍ إِذَا	مَا ظَهَرَتْ تَهْدِي لِطُرُقِ الْفَلَاحِ

(١) ديوانه ١١٦٤/٣ .

(٢) في م : جاد وأعاد .

(٣) في م : سدَّ خَلِّهَا .

رُبَّ مَعَانٍ عَذْبَةٍ أَخْرَسَتْ
 حَبْرُ الْهُدَى بَحْرُ النَّدى مَا جِدَّ
 يُثْنِي عَلَى مَعْرُوفِهِ مَنْ غَدَا
 ذُو قَلَمٍ قَدْ جَلَّ عَنْ قَادِحٍ
 إِنْ جَادَ قُلْنَا يَا حَيَاءَ الْحَيَا
 يَا حَبَّذا طِرْسٌ أَتَى مُنْعَمًا
 مُسْتَمْلَحَ الْوَصْفِ بِرَوْضَاتِهِ
 مُحَقَّقَ الْمَنَسُوبِ مِنْ خَطِّهِ
 لَمْ أَنْسَ إِذْ وَافَى وَفِي طَيْهِ
 لَمَّا دَنَا أَكْرَمَ بِهِ زَائِرًا
 لَا زَالَ يُهْدِي دُرَّهُ كَعَبَّةَ
 أَلْفَاظِهَا الْعُرْبَ السَّرَاةَ الْفِصَاخَ
 يَزْتَاحُ لِلْإِحْسَانِ أَيَّ ارْتِيَاخَ
 إِلَى حِمَى نَادِي نَدَاهُ وَرَاخَ
 يَنْفُذُ فِي الْأَمْرِ نَفْوذَ الْقِدَاخِ
 أَوْجَالَ غَارَتْ مِنْهُ يَبْضُ الصَّفَاخِ
 مِنْ رَبْعِهِ الْحَاوِي سَمَاءَ السَّمَاخِ
 زَهْرٌ يُغَيِّرُ الزُّهْرَ عِنْدَ الصَّبَاخِ
 يُخْجِلُ رِيحَانَ خُدُودِ الْمِلَاخِ
 نَشْرٌ نَفَى عَنَّا الْعَنَا حِينَ فَاخَ
 حَلَّ الْهَنَا وَالْبَشْرُ وَالْإِنْشِرَاخِ
 لِلْقَصْدِ مَا هَبَّتْ نَسِيمُ الرِّيَاخِ

٢٧ * حسن بن علي^(١) :

الشَّيْخُ بَذَرُ الدِّينِ ابْنُ الْمُحَدِّثِ الْكَاتِبِ .

● كَتَبَ إِلَيَّ أَبْيَاتًا لَامِيَّةً [فِي سِنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِئَةً]^(٢) التَزَمَ فِيهَا
 الْحِمِيمَ^(٣) ، فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ وَالتَزَمْتُ الْمِيمَ : [مِنْ مَجْزُوءِ الرَّجَزِ]

[٤٤ ب] يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي فِي الْعِلْمِ فَاقٍ وَالْعَمَلِ

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٢/ ٢١٠ والوافي بالوفيات ١٢/ ١٧٨ والدُرر الكامنة ٢/ ٢٥ وفوات
 الوفيات ١/ ٣٤٨ المقفى الكبير ٣/ ٤١٣ .

- وفاته سنة ٧٣٤ هـ .

(٢) الزيادة من أعيان العصر .

(٣) في ب ، س : وهي . ثم ترك الناسخ بياضاً يتسع لثلاثة أسطر .

وقال المؤلف في الوافي ١٢/ ١٨٠ : وكان قد أنشدني شيئاً من شغره ، وكتب إليَّ أبياتاً ملزومةً ،
 والتزمتُ الميم قبل اللام ، ولم أجذ أبياته لعدمها عند تعليق هذه الترجمة .

وَمَنْ حَوَىٰ فَضَائِلًا كَالْقَطْرِ لَمَّا أَنْ هَمَلْ
وَمَنْ لَّهُ تَجَمُّلٌ أَرْبَىٰ بِهِ عَلَى الْجَمَلِ
وَالْبَذْرُ لَا يَبْذَعُ إِذَا تَمَّ غُلَاهُ وَاکْتَمَلْ
أَيَّائِكَ الْغُرُّ أَتَتْ وَالرَّوْضُ مِنْهَا قَدْ حَمَلْ
حَلَّتْ مَعَانِيهَا التِّي كَالشَّمْسِ حَلَّتْ فِي الْحَمَلِ
رَقَصَ أَعْطَافِي بِهَا لَحْنُ الْخَفِيفِ وَالرَّمَلِ
وَأُبْرَأْتُ جُرْجِي الَّذِي لَوْلَمْ تَجِثْنِي مَا انْدَمَلْ
مَوْلَايَ أَنْتَ صَادِقٌ وَذَلِكَ بِالْعَارِ اشْتَمَلْ
وَلَوْ بَدَأَ عَنْ مُوَجِبٍ مِنِّْي لَكَانَ يُحْتَمَلْ
فَاخْلَعْ وَدَادَا قَدْ غَدَا مَنْ قَدِمَ الْعَهْدِ سَمَلْ
فَغَالِبُ النَّاسِ إِذَا صَحِبَتْهُ جَفَا وَمَلْ
فَاتَرُكُ مَنْ اسْتَنْكَرَتْهُ فِي الْوُدِّ يَزْعَى فِي الْهَمَلِ
وَاسْلَمْ وَدُمَ فِي نِعْمَةٍ مَا لَذَّ لِلْمَرْءِ أَمَلْ

٢٨ * حسن بن علي بن حمد بن حميد بن إبراهيم بن شنار^(١) :

القاضي البليغ ، بدر الدين الغزي ، كاتب الإنشاء الشريف بالشَّام
المحروس .

● كَتَبَ إِلَيَّ وَأَنَا بِصَفَدِ الْمَحْرُوسَةِ ، فِي سَنَةِ ٧٣٣ : [من الطويل]

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٢/٢١٤ والوافي بالوفيات ١٢/١٨٤ ووفيات ابن رافع ١/٣٠٧ وتذكرة
النبيه ٣/١٦٧ والمنتقى من درة الأسلاك ٢٨٨ وتاريخ ابن قاضي شعبة ٢/٣٩ والذَّور الكامنة ٢/٢٢
والنجوم الزاهرة ١٠/٢٨٨ والمنهل الصافي ٥/١١٠ والدليل الشافي ١/٢٦٧ .
- مولده سنة ٧٠٦ هـ . ووفاته سنة ٧٥٣ هـ .
- شنار : ضبطها المؤلف بقوله : بفتح الشين المعجمة ، والنون ، وبعد الألف راء .

تَقَلَّبَ فَلَيْسَ النَّارُ عَارًا عَلَى التَّبَرِّ
وما السَّيْفُ مَسْلُولا بِشَيْءٍ وَإِنَّهُ
وما زالَ لَيْثُ الْغَابِ يَأْلَفُ غَيْلَهُ
وفي الْحَجَرِ الصَّلْدِ الشَّرَارُ فَإِنْ جَرَى
لقد صَانَتْ الْأَيَّامُ حَدَّكَ أَنْ يُرَى
وإنْ جَعَلْتِكَ الْحَادِثَاتُ رَهْنَةً أَلْ
فَلَيْسَ بِمَخْفِيٍّ سَنَا الشَّمْسِ إِنْ بَدَتْ
يَمِينًا لَقَدْ سَاءَتْ مُعَامَلَةُ الْعُلَى
أَيَّمْنَعُ مَا أَبْرَزْتَهُ مِنْ بَلَاغَةٍ
وقد سَارَ مِنْ ذِكْرَاكَ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ
تَبَسَّمُ تَزْدُ حُسَّادَ فَضْلِكَ غَمَّةً
وقُلْ أَنْتَ يَا رَبَّاهُ مَفْرَعٌ لاجِئٍ
فإنَّ اخْتِمَالَ الْمَرْءِ مَا يُعْجِزُ الْقَوَى
وَكُلُّ اخْتِياجٍ لَيْسَ يُعْقِبُ ذَلَّةً
سِوَى مَا أَصَابَ الدَّهْرُ مِنْكَ فَلَ تَخَفْ
إذا ذَهَبَتْ دُنْيَاكَ فَالْدُّنَى مَكْسَبٌ
ولا بُدَّ بَعْدَ الْيَأْسِ أَنْ يُثْمَرَ الرَّجَا
عَلَيْكَ سَلامٌ مِنْ خَلِيلٍ وَفَاؤُهُ

وَلَيْسَ ثِقَافُ السَّمْهَرِيِّ بِهِ يُزْرِي
لَفِي الْغَمْدِ أُخْرَى أَنْ يُضَمَّ إِلَى الصَّدْرِ
وَيَأْنَفُ تَرْدَادُ السَّفَاهَةِ مِنْ كِبَرِ
على صَفْحِهِ زَنْدٌ أَثَارَ لَطْفِ الْجَمْرِ
حَمَائِلُهُ تَزْهِي عَلَى عَاتِقِ الدَّهْرِ
إِقَامَةٌ فِي بَيْتِ مُنِيفِ ذُرَى الْجُدْرِ
ولا الْقَمَرِ الْمَرْيِي فِي غُرَّةِ الشَّهْرِ
لَدَيْكَ وَقَدْ سَارَتْ عَلَى مَنْهَجِ الْعَذْرِ
تُضِيءُ بِهَا أَفْقَ الدَّفَائِرِ وَالشُّعْرِ
نُجُومٌ وَهَلْ يَخْفَى سَنَا الْأَنْجَمِ الزُّهْرِ
تَبِيْتُ لَهُمْ فِي كُلِّ جَانِحَةٍ تَسْرِي^(١)
رَمَتْهُ بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا يَذْرِي
أَدَلُّ عَلَى الْأَصْلِ الْكَرِيمِ مِنَ الْفَخْرِ
تَقُومُ مَقَامَ الْوَفْرِ وَالنَّائِلِ الدَّثْرِ
فَمَا اللَّيْلُ مَخْشِيًّا عَلَى طَلْعَةِ الْبَدْرِ
وما زَهْرَةُ الدُّنْيَا بَأَنْفَسِ مَا تَشْرِي
وَطُولُ اخْتِباسِ الْغَيْثِ أَوْفَرُ لِلْقَطْرِ
وَفَاءُ أَقَاحِي الرُّوضِ لِلْوَابِلِ الْغَمْرِ

● فكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ : [من الطويل]

أَشْغَرُكَ أَمْ رَوْضٌ تَبَسَّمُ عَنْ زَهْرِ وَلَفْظُكَ أَمْ عَقْدٌ تَتَضَّدُ مِنْ دُرٍّ

(١) في م : × . . . في كل جارية . . .

بَعَثَتْ بِأَيَّاتٍ بِهَا شُغِفَ النُّهَى
وَأَوْدَعَتْهَا مِنْ لَفْظِكَ الْعَذْبِ قَهْوَةً
وَأَطْلَعَتْ هَاتِيكَ الْمَعَانِي كَوَاكِباً
فَهَوَّنَتْ مَا أَلْقَاهُ مِنْ حَادِثِ الرَّدَى
وَلَذَّ لَدَيَّ الصَّبْرُ إِذْ أَمَرْتُ بِهِ
وَقَاسَمْتَنِي فِيهَا هُمُوماً حَمَلْتُهَا
وَبِالرَّغْمِ أَنْ أَلْقَى مُحَيَّاكَ سَافِراً
وَهَلْ لَاقَ بِالظَّمَانِ مِثْلِي إِذَا أَلْتَطَّ
وَلَكِنْ عُدْرِي وَاضِحٌ فِي تَخْلُفِي
وَحَسْبِي بِأَنِّي أَقْطَعُ اللَّيْلَ سَاهِراً
وَهَبْ أَنِّي صَبَّرْتُ قَلْبِي عَلَى الْأَذَى
أَلَيْسَ مِنَ الْخُسْرَانِ أَنْ لِيَالِيَا

من المثل الساري إلى الحكمة البكر
إذا ارتشفت لا إثم فيها مع الشكر
نضيء لأهل الفهم في حنيس الجبر
وعرفتني قدر المثوبة والأجر
فيا من رأى غيري تلذذ بالصبر^(١)
وهذا دليل الفضل في خلق الحر
ولم تلق مني ما عهدت من البشر
[٤٥] حشاه وذابت أن يصد عن البحر
وما كل خل صد متضح العذر
ويحرم حتى ناظري رؤية البدر
وقابلت هذا الأمر بالحمد والشكر
تمر بلا نفع وتحسب من عمري

● وكتب هو إلي وأنا بالقاهرة المحروسة ، سنة ٧٣٢^(٢) : [من البسيط]

لَيْلُ التَّجَنُّبِ مِنْ أَجْفَانِنَا شُهْبَةٌ
مَا لِلنَّوَى أَطْلَعَتْ فِي غَارِبِ قَمَرٍ
تَنْظَمَتْ عَبْرَاتِي فِي تَرَائِبِهِ
يَا مَنْ وَفَى الدَّمْعُ إِذْ خَانَ الْوِدَادُ لَهُ
قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ صَبْرِي لَا يُدْمُ وَقَدْ
يَا نَارِحاً سَكَنَ الْقَلْبَ الْخَفُوقَ وَمِنْ

ومجذب الربيع ما كانت دماً سحبة
يقله البان يوم البين لا غربه
عقدًا كما انتثرت في وجنتي سحبة
عذر الحبيب وفاء الدمع أو سببه
مضى وفي ذمة الأشواق أحسبته^(٣)
إحدى العجائب نائي الوصل مقتربه

(١) كذا صدره في أ ، س ؛ وفي ب : ولذ لدي الصبر والأمر منك لي × . وسقطت كلمتا « إذ أمرت »

من م .

(٢) القصيدة في الوافي وأعيان العصر .

(٣) في م : . . . لا يدوم وقد × وفي . . .

مَا لَاحَ بَرَقَ وَلَا نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ
 إِلَّا تَسَاعَدَ قَلْبِي وَالْدُمُوعُ وَأَخْ
 حَكَيْتَ يَا بَرَقَ قَلْبِي فِي الْخُفُوقِ وَلَمْ
 مَن لِي بِأَغْيَدَ بَدْرِ التَّمِّ حِينَ بَدَا
 مُمْنَعٌ بِالَّذِي ضَمَّتْ غَلَاثِلُهُ
 بَيْنَ الْأَسِنَّةِ مَحْجُوبٌ وَلَوْ قَدَرُوا
 سَلَبْتَنِي بِالضَّنَا لَحُمِي لَوَاحِظُهُ
 لَوْ لَمْ تَكُنْ رِيْقُهُ خَمْرًا وَمَرْشَفُهُ
 كَذَا ابْنُ أَيْتِكَ لَوْلَا مَا حَوَاهُ لَمَا
 ذَادَ الْأُولَى عَنْ طَرِيقِ الْمَجْدِ ثُمَّ نَحَا
 وَآبَ يَقْطِفُ مِنْ أَغْصَانِهِ ثَمْرًا
 أَقْلَامُهُ فَرَحًا بِالْفَضْلِ أَنْمُلُهَا
 تَكَادُ أَلْسِنُهَا تَمْتَدُّ مِنْ شَغْفٍ
 بَرَاعَةً رَوَّعَتْ لَامَاتُ أَحْرَفِهَا
 أَضَحَتْ مُسَبِّبَةَ الْأَرْزَاقِ حِينَ حَكَتْ
 يَا مَنْ يُجِيلُ قِدَاحَ الْمَيْسِرِ ازْمَ بِهَا
 وَاقْصِدْ جَنَابَ صَلَاحِ الدِّينِ تَلَقَّ فَتَى
 بَنَتْ عَلَى عُنُقِ الْعُيُوقِ هِمَّتُهُ
 قَدْ أَتَعَبَتْ رَاحَتَهُ الْكَاتِبِينَ وَلَمْ
 فَاعْجَبَ لَهَا رَاحَةً تَسْقِي الْيَرَاعَ نَدَى

وَلَا تَنَاحَ مِنْ بَابِ الْحِمَى عَذْبُهُ
 نَاءُ الضَّلُوعِ عَلَى شَوْقٍ عَلَا لَهْبُهُ
 يَفْتِكَ إِلَّا لَهَيْبُ الْوَجْدِ لَا شَنْبُهُ
 قَدْ سَاءَ إِذْ رَامَ تَشْبِيهًا بِهِ أَدْبُهُ
 مِنَ الْقَنَاءِ وَبِمَا أَصَمَّتْ بِهِ هُدْبُهُ
 مَا قَوْسُ حَاجِبِهِ أَغْنَتْهُمْ حُجْبُهُ
 وَهَمُّ أَسَدِ الشَّرَى الْمَسْلُوبِ لَا سَلْبُهُ (١)
 كَأَسَأَ لَمَا كَانَ يَحْكِي ثَغْرَهُ حَبِيبُهُ
 عَنِ الْكَتَائِبِ أَغْنَتْ فِي الْوَعْيِ كُتْبُهُ
 آثَارُهُ فَعَلَتْ أَجْبَالُهُمْ هُضْبُهُ
 إِذَا أَتَى غَيْرُهُ بِالشُّوْكِ يَحْتَطِبُهُ
 كُلُّ مُخَلَّقٍ ثَوْبِ الْمَجْدِ مُخْتَضِبُهُ
 إِلَى أَجَلٍ مَعَانِي الْقَوْلِ تَقْتَضِبُهُ
 أَحْشَاءُ مُنْحَرِفٍ لَامَاتُهُ يَلْبُهُ (٢)
 سَبَابَةُ لِعَدُوٍّ قَدْ وَهَى سَبِيبُهُ
 وَازِمَ الْفِجَاجِ لِيُسْرِ نَجْمُهُ طَلِبُهُ
 يَهْزُهُ حِينَ يُنَلِّي مَدْحُهُ طَرْبُهُ
 بَيْتًا يُمَدُّ عَلَى هَامِ الشُّهَى طُبُّهُ
 يُدْرِكُهُ حِينَ جَرَى نَحْوَ الْعُلَى تَعْبُهُ
 إِذْ لَمْ تَكُنْ أَوْرَقَتْ فِي ظِلِّهَا قُضْبُهُ

(١) « سلبني » ساقطة من م .

(٢) في م : يَرَاعُهُ × .

تَنَاسَبَ الدُّرُّ مِنْ أَلْفَاطِهَا وَإِلَى
يَرْضَى وَيَغْضَبُ فِي حَالِي نَدَى وَرَدَى
رِضَاهُ لِلطَّالِبِي جَذْوَاهُ ثُمَّ عَلَى
بَحْرِ النَّدَى لَا إِلَى بَحْرِ الدُّنَا نَسْبُهُ
وَبَيْنَ هَذَيْنِ مَنُهَوِّكَ الْحِمْلِي نَسْبُهُ
مَا تَحْتَوِي يَدُهُ مِنْ مَالِهِ غَضْبُهُ

● فَكُتِبْتُ أَنَا إِلَيْهِ أَشْكُرُهُ^(١) : [من البسيط]

أَغْضَنُ قَدْ أَقَلْتُ بَانَهُ كُتِبُهُ
أَمْ رَوْضُ حَزْنٍ جَدِيدُ الثَّبَتِ قَدْ بَسَمْتُ
أَمْ جَانِبُ الْأَفْقِ قَدْ دَجَّتْ حَنَادِسُهُ
أَمْ بِنْتُ فِكْرِ جَلَاها لِي أَخُو آدَبِ
قَرِيبُهُ تَعْرِفُ الْأَسْمَاعُ جَوْهَرَهُ
فَلَوْ هَمَى الشَّعْرُ قَطْرًا قَبْلَهُ لَغَدَا
وَنَثَرُهُ لَمْ يُدَاخِلْ مَسْمَعِي أَحَدٍ
وَحُطَّتْ مِثْلُ صُدُغٍ زَرْفَتُهُ يَدُ الْـ
لِوَضْعِهِ شَهْدَةٌ بِالْحُسْنِ قَدْ شَهِدَتْ
وَلِابْنٍ مُقَلَّةَ عَيْنٍ مَا رَأَتْ حَسَنًا
أَمْ دُرٌّ ثَغْرِ حَبِيبٍ زَانَهُ شَبَبُهُ^(٢)
فِيهِ أَقَاحِيهِ لَمَّا أَنْ بَكَتْ سُحْبُهُ
لِلْعَيْنِ لَمَّا أَزْدَهَتْ فِي لَمْعِهَا شُهْبُهُ
خِطَابُهُ زَانَ جِنْدِ الدَّهْرِ أَوْ خُطْبُهُ^(٣)
فَتَنَتَّقِي حَلِيهَا مِنْهُ وَتَتَخَبُّهُ
[ب: ٤٥] يَرَوِي الرُّبَا مِنْهُ هَامِي الْغَيْثِ مُنْسَكِبُهُ
إِلَّا وَرَنَحَ مِنْهُ عِطْفُهُ طَرَبُهُ
حُسْنِ الْبَدِيعِ وَقَانِي الْخَدِّ مُلْتَهَبُهُ^(٤)
وَقَدْ تَبَرَّأَ مِنْ يَاقُوتِهِ نَسْبُهُ^(٥)
هَذَا وَلَوْ عَايَنْتُهُ مَا انْقَضَى عَجَبُهُ

(١) القصيدة في أعيان العصر .

(٢) في م : أَغْضَنُ بَانِ أَقَلْتُ بَانَهُ كُتِبُهُ × .

(٣) في ب : × حُطَابُهُ

(٤) في ب : . . . مثل صُدُغٍ زَرْكَشْتُهُ . . . × .

يقال : وَقَدْ زَرْفَنَ صُدُغِيهِ : جَعَلَهُمَا كَالزَّرْفَيْنِ . وَالزَّرْفَيْنِ حَلَقَةُ الْبَابِ . (القاموس) .

(٥) في هامش م : شَهْدَةُ الْكَاتِبَةِ : معروفة ، من مشايخ الخط ، ولها سندٌ عالٍ في الحديث ، أَلْحَقْتُ فِيهِ الْأَصَاغِرَ بِالْأَكْبَارِ ، وَنَسَبَهَا مَعْرُوفٌ ، وَاسْمُهَا زَيْنَبُ ؛ وَقَدْ ذَكَرَهَا الْمُؤَرِّخُونَ كَالذَّهَبِيِّ فِي النَّبَلَاءِ وَغَيْرِهِ .

يَاقُوتُ : مَعْرُوفٌ ، مِنْ مَشَايِخِ الْخَطِّ . [وَطَمَسَ مَا بَعْدَ ذَلِكَ] .

قُلْتُ : هُوَ الْمَعْرُوفُ بِيَاقُوتِ الْمُسْتَعْصِي ، صَاحِبُ كِتَابِ « أَسْرَارِ الْحُكَمَاءِ » وَفِيهِ تَرْجُمَتُهُ .

هَذَا هُوَ الْبَذْرُ لَا النَّجْمُ الْبَصِيفُ فَقَدْ
جَزَاكَ رَبُّكَ بِذَرِّ الدِّينِ خَيْرَ جَزَى
بِالْغَتِ فِي مَدْحِهِ فَاللَّهُ يَجْعَلُهُ
مُدَّتْ عَلَى ابْنِ هِلَالٍ فِي الْعُلَى طُنْبُهُ
عَنْ أَمْرِيءَ لَمْ يَطْلُ نَحْوَ الْعُلَى سَبِيَّهُ
كَمَا تَقُولُ لِتَغْلُو فِي الْوَرَى رُتْبُهُ

● وَكُتِبَتْ أَنَا إِلَيْهِ مُلْغِزاً فِي « ضَبْعٍ » ^(١) : [من الخفيف]

أَيُّهَا الْفَاضِلُ الَّذِي مَنْ يُجَارِيهِ
وَالَّذِي مَنْ أَرَادَ يُبْصِرُ قَسّاً
هَاتِ قُلْ بِاللَّهِ مَا حَيَوَانٌ
عَيْنُهُ إِنْ قَلَعْتَهَا يَتَبَدَّى
هَ تَقَوَّى فِيمَا ادَّعَى وَتَقَوْلُ
فَعَلَيْهِ دُونَ الْبَرِيَّةِ عَوْلُ ^(٢)
ثَابِتُ الْخَلْقِ قَطُّ لَا يَتَحَوَّلُ
حَيَوَاناً غَيْرَ الَّذِي كَانَ أَوَّلُ ^(٣)

● فَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ ^(١) : [من الخفيف]

يَا إِمَاماً طَالَ الْوَرَى بِمَعَانٍ
وَإِذَا أَغْضَلَ السُّؤَالَ فَمَا زَا
أَيُّ زَهْرٍ أَهْدَيْتَهُ غَضَّ عَنْهُ
حِينَ أَلْغَزْتَ فِي مُعَمَّى هَدَانِي
حَيَوَانٌ إِنْ صَيَّرُوا رَأْسَهُ الْعَيْنُ
فَابَقَ وَاسْلَمَ تُفِيدُ عِلْماً وَجُوداً
فِي الْمَعَالِي يَفُوتُ مَنْ قَدْ تَطَوَّلُ
لَ عَلَيْهِ فِي الْمُغْضَلَاتِ الْمُعَوَّلُ
طَرْفُهُ ، وَاسْتَحَالَ زَهْرَ الْمُحَوَّلُ
نَحْوَهُ الْفِكْرُ حِينَ سَوَّى وَسَوَّلُ
مَنْ رَأَوْهُ إِلَى الْجَمَادِ تَحَوَّلُ ^(٤)
فَهُمَا لَيْسَ لِأَمْرِيءَ مُتَأَوَّلُ ^(٥)

● وَكُتِبَتْ أَنَا إِلَيْهِ ، وَقَدْ شَرِبَ دَوَاءً : [من الطويل]

شَرِبْتُ الدَّوَا فِي طَالِعِ السَّعْدِ وَالْمُنَى
وَطَرْفُ الْأَعَادِي عَنْ مَحَلِّكَ مَطْرُوفُ

(١) الأبيات في أعيان العصر .

(٢) في أ : . . . أن يبصر . . . × . . . وبه ينكسر الوزن .

(٣) ضَبَّ .

(٤) عَضِبَ .

(٥) في ب : × . . . بمؤول .

فَكَرَّرَ عَلَى بَيْتِ الْخَلَا غَيْرَ قَاصِرٍ عَلَى رَغَمِ أَنْفِ الصَّلِّ وَالْقَصْدِ مَعْرُوفٌ
قولي : عَلَى رَغَمِ أَنْفِ الصَّلِّ ؛ أَرَدْتُ بِهِ قَوْلَهُ مِنْ أَبْيَاتِ نَظْمِهَا فِي شَخْصٍ
هَجَاهُ وَشَبَّهَهُ بِالصَّلِّ .

● فَكُتِبَ هُوَ الْجَوَابُ إِلَيَّ : [من الوافر]

أَيَا شَيْخِي الرَّئِيسُ لَقَدْ أَتَانِي شِفَاءٌ مِنْكَ رِيْشَ بِهِ جَنَاحِي
كَلَامٌ رَقَّ حَتَّى كَادَ لُطْفًا يَسِيلُ وَسَلُ عَنِ الْمَاءِ الْقَرَّاحِ
شَدَدْتُ بِهِ قُوَايَ فَصَحَّ عِنْدِي وَحَقَّكَ أَنَّهُ بُشْرَى الصَّلَاحِ

● وَكُتِبْتُ أَنَا إِلَيْهِ وَقَدْ جَاءَتْهُ بِنْتُ^(١) : [من الوافر]

تَهَنَّ بِهَا وَإِنْ جَاءَتْكَ أَنْثَى لِأَنَّ الشَّمْسَ بَارِعَةَ الْجَمَالِ^(٢)
« وَمَا التَّائِيْتُ لِاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالِ »^(٣)
« وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ أَتَانَا لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ »

● فَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابُ^(١) : [من الوافر]

أَتَانِي مِنْ هَنَائِكَ يَا رَئِيسًا تَتَبَّعَهُ بِهِ الْمَعَانِي وَالْمَعَالِي
وَمِنْ آثَارِ جُودِكَ مَا أَرَانِي حَيًّا أَهْدَيْتُهُ لِي رِيْحُ الشُّمَالِ
وَكَمْ أَقْرَأْتَنِي وَقَرَأْتَ فَضْلًا يَفُوتُ الْحَضَرَ مِنْ أَدَبٍ وَمَالٍ
● وَكُتِبْتُ إِلَيْهِ مَعَ أَبْلُوجَةٍ سَكَّرَ ، وَكُنْتُ قَبْلَهَا قَدْ أَهْدَيْتُ إِلَيْهِ قَلِيلَ

قَطْرِ^(١) : [من المجتث]

أَبْلُوجَةً بَعَثْتَهَا مَحَبَّةً لَكَ عِنْدِي

(١) الأبيات في أعيان العصر .

(٢) في م : . . . وقد جاءتك . × . . .

(٣) البيتان للمتنبي ، في ديوانه ١٨/٣ . ورواية الثاني منهما : وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا × . وكذا ورد في م ! .

فِي اللَّوْنِ وَالكَوْنِ أَضَحَتْ تَخَالُهَا نَهْدَ هِنْدٍ

● فكتبَ هو الجوابَ إليَّ^(١) :

يُقَبِّلُ كَذَا ، وَيُنْهِي وَصُولَ صَدَقَتِهِ الْجَارِيَةِ ، وَهَدِيَّتِهِ الَّتِي جَاءَتْ بَيْنَ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ مُتَهَادِيَةً ، وَهِنْدِيَّتِهِ الَّتِي قَامَ نَهْدُهَا مَقَامَ ثَغْرِ الْغَانِيَةِ ، [١٤٦] وَأَشْرَقَتْ الْأَرْضُ بِنُورِ وَجْهِهَا ، وَكَأَنَّ الْقَمَرَ فِيهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، نَهْدٌ أَبْرَزَهُ الصَّدْرُ ، وَشَهِدَ مَا تَجَرَّعْتُ دُونَ اجْتِنَاءِ حَلَاوَتِهِ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ مَرَارَةَ الصَّبْرِ ، وَهَرَمَ أَكْسَبَ رَوْقَ الشَّبَابِ وَجْهَ الدَّهْرِ ، وَوَجْهَ طُبْعٍ عَلَى دَائِرَتِهِ لَيْلَةَ تَمَامِهِ الْبَدْرُ .

فَقَابَلَ الْمَمْلُوكُ تِلْكَ الْمِنْحَةَ^(٢) بِدُعَائِهِ ، وَشُكْرِهِ الْمُفْرِطِ وَثَنَائِهِ ، وَمَدَحِهِ الَّذِي تَنْدَرُجُ شَوَاهِدُ وَدِّهِ الصَّادِقِ فِي أَثْنَائِهِ ، وَتَذَكَّرَ بِهَا مَا مَضَى ، وَشَكَرَ يَدَ الْكَرِيمِ الَّذِي اسْتَأْنَفَ إِحْسَانَهُ السَّابِقَ وَمَا انْقَضَى ، فَذَكَرَ بِنُضَارِ الْقَطْرِ السَّائِلِ ، وَلُجَيْنِ هَذَا الْمَاءِ الْقَائِمِ قَوْلَ الْقَائِلِ^(٣) : [من الكامل]

وَكَذَا الْكَرِيمُ إِذَا أَقَامَ بِبِلْدَةٍ سَالَ النَّضَارُ بِهَا وَقَامَ الْمَاءُ

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ فِي سَنَةِ ٧٥١ وَنَحْنُ بِدِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ ، فِي يَوْمٍ وَقَعَ فِيهِ ثُلُجٌ كَثِيرٌ إِلَى الْغَايَةِ :

يُقَبِّلُ^(٤) الْمُسْرِفَةَ بِتُرْبِهَا ، الْمُسْرِفَةَ عَلَى كَيَوَانِ الْأَشْرَفِ بِعُيُونِ شُهْبِهَا ، الْمُسْرِفَةَ بِمَا تَبْسُطُ مِنْ أَرْزَاقِ الْأَمِلِينَ أَيَادِي سُحْبِهَا ، الْمُسْرِفَةَ فِي الدَّهْرِ الْمُدْلِهِمْ بِنُورِ رَبِّهَا .

وَيُنْهِي أَنَّهُ سَطَرَهَا وَالثَّلْجُ قَدْ نَفَسَ صُوفُهُ ، وَنُشِرَتْ شُفُوفُهُ ، وَدَلَّيْتُ عَلَى

(١) النص في أعيان العصر .

(٢) في أ : المحنة ! وفي م : المحبة .

(٣) البيت للمتنبي ، في ديوانه ١٩/١ .

(٤) في ب ، س ، م : يقبل الأرض المسرفة . . .

تَرَائِبِ الْجُدْرَانِ ذَوَائِبُهُ الشَّائِبَةُ وَدَلَّيْتُ قُطُوفَهُ ، وَلَيْسَ عَلَى رَسْمِ الْمُتَعَمِّمِينَ لِنَظَرِ
هَذَا الْيَوْمِ الْمُقْبِلِ تَشْرِيفُهُ ، وَبُسِطَ عَلَى بَطَائِنِ الطَّرِيقِ قُطْنُهُ الطَّائِرُ بِقَوْسِ الْغَمَامِ
نَدِيفُهُ ، وَلَيْتَ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى خِمَارُهُ ، وَعَلَى أَرْدَابِ الثُّرْبَا نَصِيفُهُ ، وَأَرْخِيَتْ
عَلَى أَعْطَافِ الْأَغْصَانِ عَذْبُهُ ، وَبَرَقَتْ فِي جِبَاهِ الْأَنْهَارِ أَسَارِيرُهُ ، وَبَدَأَ فِي تُغُورِ
الْجَدَاوِلِ شَنْبُهُ ، وَأُزْسِلَتْ بِلُزُومِ الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ نُجْبُهُ ،
وَأُسْدِلَتْ عَلَى وُجُوهِ الْمَسَالِكِ سُتُورُهُ الْمَانِعَةُ وَحُجْبُهُ ، وَحُمِلَتْ عَلَى رُؤُوسِ
الْأَغْصَانِ وَعُيُونِ الزَّهْرِ أَمْوَاجُهُ الزَّاخِرَةُ وَكُتْبُهُ ، وَأَخَذَ الْأَبْصَارَ الرَّامِقَةَ بَرِيئُهُ
وَرَدَّهَا بِصَيْصُهُ ، وَرُضِعَتْ فِي بَدَنَاتِ الْأَبْنِيَةِ فُصُوصُهُ ، وَسُدَّ بِهِ خِصَاصُ كُلِّ
بَيْتٍ لَوْلَاهُ مَا ثَلَّتْ عُرُوشُهُ وَلَا هُدِمَتْ خُصُوصُهُ ، وَضَعُفَتْ قَوَائِمُ الْجُدْرَانِ مِنْهُ
عَنْ حَمَلٍ مَا ثَقُلَ عَلَى الْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ مَرْصُوصُهُ ، وَتَطَايَرَتْ صُحُفُهُ الْبَيْضُ ،
وَنُشِرَ ثَوْبُهُ الطَّوِيلُ الْعَرِيضُ ، وَسَقَطَ طَائِرُهُ وَمَا كَلَّ جَنَاحُهُ وَلَا هَيْضُ^(١) ، وَدَنَا
فَرَّاشُهُ مِنْ سُرْجِ الْعُيُونِ الرَّامِقَةِ إِلَى وَمِيضٍ ، وَانْكَدَرَتْ نُجُومُهُ الْمُتَحَدِرَةُ فَلَزِمَتْ
الْحَضِيضُ ، فَكَمْ مِنْ ثُرَيَّا عُلِقَتْ بِأَمْرَاسٍ كَتَانِهِ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ^(٢) ، وَكَمْ عَاوَدَتْ
يَدُ الرِّيحِ بِهِ مِنْ فُتَاتِ الْعِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ ، وَقَدْ سَلَسَ قِيَادُ اللَّذَّةِ ، وَأَصْبَحَتْ
جَوَامِحُ خَيُْولِ اللَّهْوِ الَّتِي هِيَ إِلَى غَايَاتِ الْأَفْرَاحِ مُغَذَّةٌ ، وَلَانَ جَانِبُ الشُّرُورِ ،
وَفُكَّ جَيْبُ اللَّهْوِ الْمَزُورِ ، وَأُدِيلَ مِنَ الظُّلْمَةِ الثُّورُ ، وَآتَى أَمْرُ الْبَرْدِ بِلُزُومِ
الْمَنْزِلِ قَبْلَ وَقْدِ فَارِ الثُّورِ ، وَالْحُرْمَةُ تَقْتَضِي إِكْرَامَ هَذَا الصَّيْفِ ، وَتُلْزِمُ قَبُولَهُ
فَإِنَّهُ نَازِلٌ رِحْلَتُهُ لِلشَّتَاءِ لَا لِلصَّيْفِ ، وَإِكْرَامُ نَزْلِهِ مِنْ شَوَاهِدِ الْكَرَمِ ، وَالْإِعْتِدَادُ
لِمِثْلِهِ أَوْلَى مَا شُدَّتْ بِهِ أَوَاصِرُ الْحَرَمِ ، وَهُوَ فَمَا [٤٦ب] خَرَجَ عَنِ الْعَادَةِ وَلَا

(١) « ولا هيض » ساقطة من م .

(٢) من قول امرئ القيس : [ديوانه ١٩]

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِقَتْ فِي مَصَامِيهَا بِأَمْرَاسٍ كَتَانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ

خَرَمَ ، وقد أتى والزَّمانُ في شَبِيبَتِهِ فَسَرَّ ، ومِثْلُهُ لا يَأْتِي على (الهُموم و) الهَرَم .
والخَادِمُ يَتَوَسَّلُ إلى أَخلاقِ مَوْلانا السَّرِيَّةِ ، وطِباعِهِ التي خالَفَتْ من السُّوءِ
ما في الطَّباعِ البَشَرِيَّةِ ، وشَمائِلِهِ التي : [من الطويل]

هِيَ المَاءُ أَوْ أُنْدَى من المَاءِ رِقَّةً وَلُطْفاً إِذَا شَبِيتَ بِهِ الرُّاحُ وَاللَّمَى
تُجِيبُ إِذَا هُزَّتْ بِعَزمٍ كَأَنَّهُ صَفِيحَةٌ هِنْدِيَّةٌ إِذَا هُزَّ صَمَمًا
بِأَيَّامِ الصُّبَا التي خَلَتْ عَهودُهَا المَوَاضِي ، وَلِيَالِي الوَصْلِ التي حُلَّتْ
عُقودُهَا من خَلْفِ القَاضِي ، والنَّفْسِ المُطْمَئِنَّةِ بِالتِّزَامِ المَعشُوقِ إِذَا حَصَلَ
التَّرَاضِي ، في الاستِغْصافِ بِنَظَرِهِ ، وَقَضَاءِ وَطَرِ العَبْدِ الأَصْغَرِ وَوَطَرِهِ ؛ فَإِنَّ
النَّارَ قَدِ اتَّهَبَ جَمْرُهَا ، واشْتَهَبَتْ سُوْدُهَا وَحُمْرُهَا ، وَلَبَسَتْ المَسَالِكُ
الثَّلُوجَ ، وَحَبَسَتْ عَنِ الدُّخُولِ إِلَّا فِي لَذَّةٍ لا يَخْسُنُ مَعَهَا الخُرُوجُ ؛ والعَبْدُ
عَاكِفٌ فِي البَيْتِ لا يَرِيمُ ، وَمَوْلانا البَادِيءُ وَلَهُ الفَضْلُ وكذا الكَرِيمُ ، والرَّأْيُ
أَعْلَى ، وَأَحَقُّ بِأَنْ يُمَثَّلَ ما يَفْتَضِيهِ وَأَوْلَى ، إِنْ شاءَ اللهُ تَعَالَى .

● فَكُتِبَتْ أَنَا الجَوَابَ إِلَيْهِ عن ذلك :

يُقَبَّلُ الأَرْضَ ، وَيُنْهَى وُرُودَ المُشْرِفِ الكَرِيمِ فِي هذا اليَوْمِ الذي ابْيَضَّتْ
رَايَتُهُ ، وَعَظُمَتْ فِي الآيَاتِ آيَتُهُ ، وَجُعِلَتْ إلى القِيَامَةِ غَايَتُهُ ، وَتَطَايَرَتْ
صُحُفُهُ ، وَنُشِرَتْ مُلَاءَتُهُ ، وَغَطَّتِ الأَرْضَ لُحْفُهُ ، وانتَشَرَ فِي الجَوِّ جَرَادُهُ ،
وَمَلَأَ الفُضَاءَ انْعِكَاسُهُ واطَّارَدُهُ ، وَدُزَّ عَلَى الوجودِ مِنَ الكَاتِبَةِ رَمَادُهُ ، وَمُنِعَ كُلُّ
جَفْنٍ كَرَاهٍ فَمَا يَرْجِعُ بِرُقَاهُ رُقَادُهُ ، وَبَهَرَ كُلَّ عَارِفٍ بِبَيَاضِهِ^(١) حَتَّى اتَّهَمَهُ
سَوَادُهُ ، وَأَذْهَلَ كُلَّ صَبٍّ عَنِ إِنْفِهِ فَمَا تُلْهِيه رَبَابُهُ وَلَا سَعَادُهُ ، فَأَقْبَحَ بِهِ وَإِنْ
كَانَتْ تُغَوِّرُهُ ضَحَاكَةٌ ، وَيَدُهُ لِحْصَا الكَافُورِ فَرَاكَةٌ ، وَأَبْعَدَ بِهِ وَإِنْ مَلَأَ الفُضَاءَ

(١) فِي م : وَبَهَرَ كُلَّ طَرَفٍ بِبَيَاضِهِ .

فِضَّةً ، وَجَعَلَ الْوَهَادَ وَالرُّبَا بَعْدَ قَسْفِهَا وَكَلَفِهَا غَضَّةً بَصَّةً .

فوقَفَ الْمَمْلُوكُ مِنْهُ عَلَى حَدَائِقِ ذَاتِ بَهْجَةٍ ، وَرَأَى بِهِ طَرِيقَ الْبَيَانِ وَنَهْجَهُ ،
وَفَدَاهُ بِمَا لَهُ مِنْ عَيْنٍ وَمَا يَمْلِكُهُ مِنْ مُهْجَةٍ ، وَغَرِقَ مِنْ عَجَائِبِهِ فِي لُجَّةٍ بَعْدَ
لُجَّةٍ ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ قَلَمَ مَوْلَانَا مَجَّ فِيهِ دُرَّةٌ يَتِيْمَةٌ فِي كُلِّ مَجَّةٍ ، فَهَالَهُ مَا وَقَفَ عَلَيْهِ
مِنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْاعْتِرَافَ لَهُ بِالْعَجْزِ مِنْ جُمْلَةِ الْإِنْصَافِ ، فَمَا
يَصْلُحُ هَذَا الْبَرْ لَابْنِ الْمُعْتَزِّ ، وَلَا هُوَ مِمَّا يُؤْمِي إِلَى ابْنِ الرُّومِي ، وَلَا هَذَا التَّمَامُ
مِنْ رِيحَانِ أَبِي تَمَامٍ ، وَلَا هَذَا الْمُعْجِزُ الَّذِي يُشَيَّبُ مِمَّا افْتَحَرَ بِهِ أَبُو الطَّيِّبِ .

وَبَلَاغَةُ الْمَعَانِي قَرَنَهَا مَوْلَانَا بِفَصَاحَةِ الْعِبَارَةِ ، وَإِنْقَانُ التَّشْبِيهِ ضَمَّهُ إِلَى
حُسْنِ الْأَسْتِعَارَةِ ، فَلِلَّهِ هَذِهِ الْكَلِمُ الَّتِي صَاغَهَا لِسَانُهُ ، وَأَتَى بِهَا حَسَانُهُ ،
وَأَهْدَاهَا إِحْسَانُهُ .

وَقَدْ قَابَلَ الْمَمْلُوكُ أَمْرَ مَوْلَانَا بِامْتِنَالِهِ ، وَهُوَ فِي عَزْمِ الْحُضُورِ إِلَى بَابِهِ
الْعَالِي لَا زَالَ أَوْلِيَائِهِ فِي ظِلَالِهِ ؛ هَذَا إِنْ تَقَشَّعَ هَذَا السَّحَابُ ، وَشَمَّرَ ذَيْلُهُ
السَّحَابَ ، وَأَقْلَعَ هَذَا النَّوْءُ الَّذِي زَادَ نَذْفُ قَطَّانِهِ ، وَضَيَّقَ فُسْحَ الْمَنْزِلِ عَلَى
قُطَّانِهِ ، وَإِلَّا فَالطَّرْقُ قَدْ طُمَّتْ خَنَادِقُهَا ، وَجَالَتْ [٤٧ ؛ ٤٨] فِي رُقْعَتِهَا أَوْلَادُ الزُّنَا
وَتَفَرَّزَنْتْ بِيَادِقُهَا ، وَكُلُّ خَمْسَةٍ أَوْ سِتَّةٍ قَدْ وَقَفُوا عِنْدَ سَبْعِ صَنْعُوهُ ، وَإِذَا مَرَّ بِهِمْ
أَحَدٌ تَنَاوَلُوهُ بِكُرَاتِ الثَّلْجِ وَشَقَّعُوهُ أَوْ سَقَّعُوهُ ؛ وَمَا يُسْمَعُ لَهُ كَلَامٌ ، وَاللَّهُ
الْمُسَلِّمُ مِنْهُمْ ؛ وَالسَّلَامُ .

وَإِنْ أُمَكَّنْتَ الْفُرْصَةَ حَضَرَ الْمَمْلُوكُ إِلَى مَوْلَانَا ، وَنَالَ مَعْرِفَتَهُ ، وَإِلَّا فَنَادِرَةٌ
خَبِرَ طَرَى مَعَ الْأَشْرَفِ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ مَعْرُوفَةٌ . أَنْهِيَ ذَلِكَ .

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ أَيْضًا^(١) : [مِنْ مَخْلَعِ الْبَسِيطِ]

(١) الْآيَاتُ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ .

يا ماجدا لم يزل نداءه
ومن عدا بالصفاء يُكنى
نحن افتراقاً بنات نعش
فسر إلينا نكن ثرياً
ولا تدعنا نثر شوقاً
أولى بتقريب كل مثني
وودنا عنه ليس نكني
في ظلمة الهَمِّ والتَمَنِّي^(١)
وادخل علينا بغير إذن
ولا تقل للرسول : إني

● فكتب أنا الجواب عن ذلك^(٢) : [من مخلص البسيط]

أبياتك الغر قد أتنى
شعرك فيها ظريف لفظ
قد أثقلت كاهلي بشكر
فإن أفر بالمثول فيكم
وإن تخلفت عن حماكم
فشرفتني وشفتني
لطيف معنى خفيف وزن
فكل مثني إذ كلمتني
فإنه غايه التمني
يا طول دقي في الجرن حزني^(٣)

● وكتب إلي وقد توالى الأمطارُ والثلوجُ في العشرِ الأخيرِ من شهرِ
رمضانِ المُعظَّم ، سنة ٧٥٢ وذلك في تشرين الثاني^(٤) :

كيف مولانا ، ألحف الله ظله ، وأزشف طله ووبله ، وحمل على أعناق
الأيام كله ، وجعل مثله السحاب الجود ولا أعرف مثله ، وضاهى برزقه هذا
الغيث الواقع على خلاف القياس كله ؛ فإن هذا اليوم قد عزز الصن والصبر^(٥)

(١) في م : نحن افترقنا . . . × .

(٢) الأبيات في أعيان العصر .

(٣) العجز مكسور الوزن ، ولو قال : يا طول دقي بجرن حزني ، لصح الوزن . وسقطت « دقي في
الجرن » من م ومكانها فراغ .

(٤) النص في أعيان العصر .

(٥) الصن والصبر : من أيام برد العجوز ؛ قال الشاعر :

فإذا انقضت أيام شهلتننا
بالصن والصبر والوبر =

وَعَجَزَ الصَّبِيرُ ، وَعَزَى سَكَّانُ الْأَجْدَاثِ بِالْأَحْيَاءِ فَكُلُّ بَيْتٍ قَبْرٌ^(١) : [من مجزوء
الكامل]

يَوْمٌ كَانَ سَمَاءُهُ حُجِبَتْ بِأَجْنَحَةِ الْفَوَاحِشِ

جاءَ بِالْطُّوفَانِ وَالْبَحْرِ الْمُحِيطِ ، وَجَابَ الصَّخَرِ بَوَادِي الرُّبُوعِ دُمُ سَيْلِهِ
الْعَيْطِ ، وَجَالَ فِي وَجْهِ الْبَسِيطَةِ حَيَاؤُهُ ، فَمَا انْبَسَطَتِ الْخَوَاطِرُ لِجَوْهَرِهِ
الْبَسِيطِ ، أَخْفَتِ الثُّجُومُ فِي لَيْلِهِ ، وَأَطْلَعَ الْحَيَّ الْقَيُّومُ عَلَى زِنْتِهِ الرَّاجِحَةِ
وَكَيْلِهِ ، وَتَرَاكَمَتْ سُحُبُهُ السَّائِرَةُ فِضَاءَ الْأَفُقِ بِفَضْلِ ذَيْلِهِ ، وَأَجْلَبَ عَلَى الْوَهَادِ
وَالرُّبَا بِرَجْلِهِ الطَّامَّةِ وَخَيْلِهِ ، فَكَأَنَّمَا وَهَتْ عُرَى ذَلِكَ الزَّمْهَرِيرِ فَهَبَطَ ، أَوْ هِنِضَ
جَنَاحُ السَّحَابِ الْجَوْنِ فَسَقَطَ ، أَوْ حُلَّ سِلْكُ الثُّجُومِ الزَّاهِرَةِ فَفَرَطَ جَوْهَرُ ذَلِكَ
الْقَطْرِ لَمَّا انْفَرَطَ ، فَالْجُذْرَانُ لِهَيْبَتِهِ مُطْرِقَةٌ ، وَالْعِمْرَانُ^(٢) قَدْ تَدَاعَتْ فَلَا تَقْبَلُ
الْبِنَاءَ جُمُوعُهَا الْمُفَرَّقَةُ ، وَالطَّرِيقُ قَدْ شَرِقَتْ بِالسُّيُولِ فَلَا تَنْطِقُ أَنَاثُهَا الْمُغْرَبَةُ وَلَا
الْمُشْرِقَةُ ، وَقَدْ قَصَّ جَنَاحُ الْأَرِزْكَاضِ ، وَحُصَّتْ قَوَادِمُهُ فَمَا تَنْهَضُ ، وَعَظُمَتْ
مُنْهَاضُ ، وَالسَّيْلُ قَدْ بَلَغَ الزُّبَى ، وَسَوَى بَيْنَ الْوَهَادِ الْمُتَطَامِنَةِ وَالزُّبَى ، وَبَكَتِ
السَّقُوفُ بِعَيُونِ الدَّلْفِ ، وَحَمَلَهَا الْمَطَرُ بِيَدِهِ الْعَادِيَةِ عَلَى خُطَّةٍ خَسَفِ ،
وَاسْتَدَلَّ لَهَا بِمَنْطِقِ الرَّعْدِ عَلَى أَنَّ [٤٧أ] قَدْ آمَهَا الْخَيْرُ ، فَقَالَتْ : هَذَا خَلْفُ ،
وَشَهْرُ الصَّوْمِ قَدْ بَلَغَ غَايَتَهُ ، وَعَيْنُ الْفِطْرِ قَدْ نَصَبَ رَايَتَهُ ، وَتَلَا آيَتَهُ ، وَطَلَبَ مِنْهُ
الْمُوسِرُ وَالْمُعْسِرُ كِفَايَتَهُ ؛ فَأَعَاذَ اللَّهُ مُوَلَانَا مِنَ الطَّلَبِ فِيهِ ، وَلَا أَلْجَأَهُ إِلَى

= وَبِأَمِيرٍ وَأَخِيهِ مُؤْتَمِرٍ وَمُعَلَّلٍ وَبِطُفْئِ الْجَنَرِ
ذَهَبَ الشَّيْءُ مُوَلِيًّا عَجَلًا وَأَتَكَ وَإِفْدَةً مِنَ الْحَرِّ
[ثمار القلوب ١/ ٤٨٣ - ٣٨٤] .

(١) البيت لابن المعتز ، في ديوانه ٢٢٣/٢ ومن غاب عنه المطرب ١٠٧ (شعلان) و ١٣٠ (سامرائي)
والكشف والتنبيه ٢٢٨ .

(٢) في م : والبنيان .

رَفَعُ
عبد الرحمن النخعي
(أسكنه الله الفردوس)

السَّعْيِ لَا يَنْتِغَاءِ فَضَّلَ اللَّهُ إِلَّا بِفِيهِ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

● فَكُتِبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ (١) :

الْعَجَبُ مِنْ سُؤَالِ مَوْلَانَا عَنْ الْمَمْلُوكِ بِكَيْفِ حَالِهِ ، وَعِنْدَهُ عِلْمُ هَذَا الْعَنَاءِ
الَّذِي نُصِبَ عَلَى الْأَيْنِ ، وَالنَّصَبُ تَمْيِيزُهُ وَحَالُهُ ، وَهِيَ حَالُ أَبِي الطَّيِّبِ وَمَا
عَلِمَ ابْنُ مَنْصُورٍ بِهَا ، وَلَوْ عَلِمَ اسْتَعْمَلَ التَّبَالَةَ ؛ أَمَا تَرَى هَذَا النَّوْءَ الَّذِي ذُمَّ نَوَاهُ
وَحُمِدَ نَوَاهُ ، وَأَذْهَلَ الصَّائِمَ عَنْ صَوْمِهِ ، فَمَا بَيَّتَ أَمْرَهُ وَلَا نَوَاهُ ، وَشَغَلَهُ عَنْ
حِسِّهِ فَمَا يَذَرِي أَأَفْطَرَ عَلَى تَمَرَةٍ أَمْ نَوَاهُ (٢) ؛ قَدْ هَالَ الْجِبَالُ أَمْرَهُ ، فَشَابَتْ مِنْ
الْفَرْقِ إِلَى الْقَدَمِ ، وَغَمَرَتْ سُيُولُهُ الْأَبَاطِحَ وَالرُّبَى ، وَلَكِنْ مِنَ الزِّيَادَةِ بِدَمٍ ،
كَيْفَ يَهْنَأُ الْعَيْشُ وَبُرُوقُ الْجَوْ سُيُوفٌ تُخْتَرِطُ ، وَنَفْسُ هَذِهِ الرُّعُودِ يَخْرُجُ بَعْدَمَا
حُبِسَ فِي حَشَى السَّحَابِ وَانْضَغَطَ ، وَالْحَاحُ سَائِلٍ هَذَا الْمَطَرِ ، فَلَوْ كَانَ قَطْرُهُ
دُرًّا لَمَا مَدَّ الْفَقِيرُ إِلَيْهِ كَفًّا وَلَا التَّقَطُّ ، وَتَوَالِي هَذِهِ الْغُيُوثِ الَّتِي لَوْ عَايَنَهَا ابْنُ
هَانِي لَمَا قَالَ (٣) : [من البسيط]

الْوَلُؤُ دَمْعُ هَذَا الْغَيْثِ أَمْ نَقْطُ

كَأَنَّ الْأَيَّامَ قَرَا فِي أَنْدَمَجَتْ فِي اللَّيْلِ ، أَوْ النُّجُومَ أَقَاحِي وَلَكِنْ غَطَّاهَا تَرَائِكُمُ
السَّحَابِ السَّحَابِ لِلذَّلِيلِ ، أَوْ كَانَ اللَّهُ جَعَلَ الزَّمَانَ سَزَمَدًا ، فَلَا يَتَعَاقَبُ فِيهِ
شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ ، وَلَا تَصْفُو لُجَّةُ الْأُفُقِ بِضَوْءٍ وَلَا تَزْمِيهَا الدِّيَاجِي بِكَدَرٍ ، قَدْ
تَرَاحَمَتِ الْغِيَاهِبُ عَلَى الْمَوَاقِفِ بِالْمَنَاقِبِ ، وَجُهِلَتِ الْمُدَدُ ، فَيَا وَحْشَتَنَا
لِحَاجِبِ الشَّمْسِ وَمُحَيَّا الْقَمَرِ وَعُيُونِ الْكَوَاكِبِ ، أَكُلُّ هَذَا تَشْرِيعُ تَشْرِينِ ،
وَشَرُّهُ شَرُّهُ حَتَّى نَتَجَرَّعَ مِنْ أَمْرِهِ الْأَمْرَيْنِ ، وَشَهْرُهُ شَهْرِهِ ، فَيَا أَيَّامَ كَانُونَ إِذَا

(١) النص في أعيان العصر .

(٢) في أ : نواها .

(٣) ديوانه ١٩٥ . وعجزه : ما كَانَ أَحْسَنَهُ لَوْ كَانَ يُلْتَقَطُ .

جَنَّتْ مَاذَا تَبْعِينَ وَتَشْرِينَ ؟ أَمَّا الْمَسَاكِينُ فَأَهْلُهَا مَسَاكِينُ ، وَأَفْوَاهُهُمْ مِنَ الْحُزَنِ مُطْبِقَةٌ فَمَا تَفْتَحُهَا السَّكَاكِينُ ، قَدْ انْتَبَذَ كُلُّ مِنْهُمْ زَاوِيَةً مِنْ دَارِهِ ، وَتَدَاخَلَ بَعْضُهُ فِي بَعْضِهِ لِتَضَمُّهُ بُقْعَةً عَلَى مِقْدَارِهِ ، هَرَبًا مِنْ تَوْقِيعِ أَكْفِ الْوَكْفِ ، وَخَوْفًا مِنْ رُكُوعِ الْجِدَارِ وَسُجُودِ السَّقْفِ .

وما يَعْتَقِدُ الْمَمْلُوكُ أَنَّ فِي كَانُونٍ مِثْلَ هَذِهِ الْجَمَرَاتِ ، وَلَا أَنَّ سَابَاطَ شُبَّاطٍ وَأَذَى آذَارٍ يَزِمِي الْقُلُوبَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْحَسَرَاتِ ، وَتَمَامُ التَّعْثِيرِ فِي الرُّكُوبِ إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ ، وَالكِتَابَةِ الَّتِي صَارَتْ فِي هَذَا الزَّمَانِ زِيَادَةً فِي نَقْصِ السِّيَادَةِ ؛ وَاتَّسَاعِ هَذِهِ الْأَهْوَالِ ، وَضَيْقِ ذَاتِ الْيَدِ ، مُضَافًا إِلَى ضَيْقِ الثُّفُوسِ ، وَبُصَاقِ هَذَا الثَّلْجِ فِي وَجْهِ الصَّاحِكِ مِنَّا وَالْعَبُوسِ ، وَشُكْرِ هَذِهِ الْمَيَازِينِ الَّتِي لَا تَبُولُ إِلَّا عَلَى الرُّؤُوسِ ، وَأَشْغَالِ الدِّيَّانِ الَّتِي تُكَاثِّرُ الْمَطَرَ ، وَلَا تَبْلُغُ الْغَايَةَ مِنَ الْوَطَرِ ؛ فَتَحْنُ مِنَ الدِّيَّانِ فِي جَامِعَةٍ لَا جَامِعَ ، وَبَابُ الْبَرِيدِ عَلَى عَدَدِ السَّاعَاتِ وَذَقُّهُ هَامِعٌ ، وَبَرْقُهُ لَامِعٌ ، لَا يَفْتَرُّ وَرُودُهُ ، وَلَا يَزَالُ يَصِلُ حَدِيدُهُ [٤٨] وَتَصِلُ وَفُودُهُ ، وَكُلُّ كِتَابٍ يَصِلُ مَعَهُ تَتَفَرَّغُ مِنْهُ أَشْغَالُ عَدَدِ حُرُوفِهِ ، وَتُطْلَبُ فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ ، فَلَوْ كَانَتْ بِالطَّابِعِ لَانْهَارَتْ جَوَانِبُ جُرُوفِهِ ؛ وَصَاحِبُ الدِّيَّانِ أَسْبَغَ اللَّهُ ظِلَالَهُ فِي تَنْفِيذِ الْمُهِمَّاتِ أَسْرَعَ مِنْ هَذِهِ الْبُرُوقِ ، وَأَنْفَذَ مِنَ السَّهْمِ فِي الْقَضَاءِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مَا يَصُدُّ وَلَا مَا يَعُوقُ ، فَهُوَ إِذَا دَبَّرَ الْمُهِمَّاتِ نَجَرَ ، وَدَمَّرَ الْعُدَاةَ وَخَنَرَ ، وَهَذَا الْعَيْدُ قَدْ أَقْبَلَ وَمَا لَنَا بِتَكَالِيفِهِ قَبْلُ ، وَكُلُّ مَنْ يَخْتَصُّ بِشَيْءٍ مِنْهَا يَلْحَظُكَ بِطَرْفٍ مُتَخَازِرٍ كَأَنَّمَا بِهِ قَبْلُ ، وَالِاسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ عَلَى هَذِهِ الشُّرُورِ الَّتِي اتَّصَلَتْ نُقْطُ خَطِّهَا ، وَالْفِرَارُ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْخُطُوبِ الَّتِي تَعَجُّزُ عَنْ شَيْلِ سَيْلِهَا وَحَدَّ حَطِّهَا ، وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَوْلَانَا وَإِيَّاهُ حَلَاوَةَ الصَّبْرِ ، وَيَجْعَلُ الْعَدُوَّ بَيْنَ جَانِحَتَيْ قَبْرِ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

٢٩ * حسنُ بن محمد^(١) :

الشَّيْخُ الإِمَامُ ، البارُعُ ، البليغُ ، الخطيبُ ، نجمُ الدِّينِ ، أبو محمَّد ، بن
الشَّيْخِ كمالِ الدِّينِ القُرْطُبِيِّ ، خطيبُ الجامعِ الظَّاهِرِيِّ [بِصَفَد] ، وكاتبُ
السُّرِّ الشَّرِيفِ بها .

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ يَوْمًا ، وَقَدْ فَارَقْتُهُ مُتَأَذِّيًا^(٢) : [من السريع]

بِاللَّهِ لَا تَغْضَبْ لِمَا قَدْ بَدَا	فَأَنْتَ عِنْدِي مِثْلُ عَيْنِي الْيَمِينِ
مَا أَتَعَبَ النَّفْسَ سِوَى مَنْ غَدَا	يَجْحَدُ مَا أَوْلَيْتُهُ أَوْ يَمِينُ
وَأَنْتَ عِنْدِي جَوْهَرٌ قَدْ صَفَا	مِنْ دَنْسِ الذَّمِّ نَفِيسٌ ثَمِينُ
وَوَالَّذِي يَعْلَمُ مَا قُلْتُهُ	إِخْبَارٌ مَنْ أَخْلَصَ فِي ذِي الْيَمِينِ
مَا حُلْتُ عَنْ حُسْنِ الْوَفَا فِي الْهَوَى	وَأَنْتَ فِي هَذَا الْمَكَانِ الْأَمِينِ ^(٣)

● فَكُتِبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ^(٢) : [من السريع]

بَرَزْتَ فِيمَا قُلْتَ يَا سَيِّدِي	وَلَسْتَ تَخْتَاجُ إِلَى ذِي الْيَمِينِ
وَاللَّهِ لَمْ أَغْضَبْ وَحَاشَا لِمَنْ	أَرَاهُ عِنْدِي مِثْلَ عَيْنِي الْيَمِينِ
وَلَمْ يَكُنْ غَيِّظِي إِلَّا لِمَنْ	يَمِيلُ عَنْ طُرُقِ الْوَفَا أَوْ يَمِينُ
وَيَقْتَرِي الْبَاطِلَ فِي قَوْلِهِ	عَنِّي وَلَيْسَ النَّاسُ عَنْهُ عَمِينُ
وَيُظْهِرُ الْوُدَّ الَّذِي إِنْ بَدَا	ظَاهِرُهُ وَالْغِشُّ فِيهِ كَمِينُ

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٢/٢٣٢ والوافي بالوفيات ١٢/٢٥٦ وذيول العبر ١٣١ وتذكرة النبيه ٢/١٤٠ والدرر الكامنة ٢/٤٤ والمنهل الصافي ٥/١٣٤ والدليل الشافي ١/٢٦٩ وشذرات الذهب ٨/١١٠ .

- مولده سنة ٦٥٨ هـ . ووفاته سنة ٧٢٣ هـ .

- ما بين حاضرتين زيادة لازمة من الأعيان .

(٢) الأبيات في أعيان العصر والوافي .

(٣) في ب : × وأنت في ذا المكين الأمين . وفي س : × وأنت في هذا المكين الأمين .

فَعَثُّهُ غَتَّى نَفْسَ الْوَرَى مِمَّنْ تَرَى وَالشَّمُّ مِنْهُ سَمِينُ

● وَنَظَّمَ يَوْمًا هَذِهِ الْأَبْيَاتِ فِي سَنَةِ ٧١٩ بِصَفْدِ الْمَحْرُوسَةِ : [من السريع]

قُمْ نَنْتَهِزْ فُرْصَةً أَوْقَاتِنَا	فَالْوَقْتُ قَدْ رَاقَ وَغَتَّى الْحَمَامُ ^(١)
وَالزَّهْرُ قَدْ أَبْدَى لَنَا ثَغْرَهُ	طُولَ ابْتِسَامٍ مِنْ بُكَاءِ الْغَمَامِ
فَمِنْهُ مَا أَطْلَعَ شَمْسَ الصُّحَى	وَمِنْهُ مَا أَبْدَعَ بَذَرَ التَّمَامِ
وَمِنْهُ مَا لَاحَتْ يَوَاقِيْتُهُ	مِثْلَ كُؤُوسٍ مُلْتَمِتٍ مِنْ مُدَامِ
إِذَا أُدِيرَتْ فَوْقَ أَغْصَانِهَا	جَلَّتْ بُرُوقاً فِي بَقَايَا غَمَامِ
تُذَكِّرُ الْعُشَّاقَ مَحْبُوبَهُمْ	إِذَا تَبَدَّى مُسْفِراً عَنْ لِثَامِ
يُضْرِمُ فِي الْأَخْشَاءِ نَارَ الْأَسَى	وَوَجْهَهُ يَدْخُلُ دَارَ السَّلَامِ
فَكَمْ لَهُمْ مِنْ نَشْوَةٍ فِي الْهَوَى	وَكَمْ لَهُمْ مِنْ سَكْرَةٍ بِالْغَرَامِ
وَلَا تُسَوِّفُ فُسُوفُ الرَّدَى	لَيْسَ لَهَا دَأْبٌ سِوَى الْإِنْتِقَامِ
أَيَّنْ مُلُوكُ الْأَرْضِ مِمَّنْ مَضَى	وَأَيَّنَ مَنْ قَدْ سَادَ مِنْ عَهْدِ حَامِ
وَلَا تَقُلْ قَدْرِي غَدَا سَامِياً	فَكَمْ سَمَا مِثْلُكَ مِنْ قَبْلِ سَامِ

● واقترح عليَّ أَنْ أَنْظِمَ فِي مَعْنَاهَا وَوَزْنِهَا وَرَوِيَّهَا ، فنظمتُ حَسْبَمَا

اقتَرَحَهُ : [من السريع]

بَادِرُ صَفَا الْعَيْشِ وَصَفْوِ الْمُدَامِ	وَإِنْ تَنَزَّيْتُ اللَّذَاتِ قَبْلَ الْحَمَامِ
[٤٨ ب] وَأَنْفِ جُيُوشِ الْهَمِّ إِنْ جَاوَرَتْ	بَيْنَتْ كَرَمٍ أَوْ بَيْنَتْ الْكِرَامِ
فَالزَّهْرُ فِي الدَّوْحِ كَزُهرِ السَّمَاءِ	إِذَا تَبَدَّتْ فِي أَدِيمِ الظَّلَامِ
كَمْ سَحَبَتْ رِيحُ الصَّبَا ذَيْلَهَا	عَلَيْهِ حَتَّى انْشَقَّ مِنْهُ الْكِامِ
فِي رَوْضَةٍ حَاكَتْ أَكْفُ الْحَيَا	لَهَا بُرُوداً مَا حَكَاهَا الْأَنَامِ

(١) في ب : . . . قد راقَ وَغَتَّى الْحَمَامِ .

وَاسْتَخَرَجْتَ مَكْنُونَ أَزْهَارِهَا مُؤْتَلَفَ الْحُسْنِ بَدِيعِ النَّظَامِ
وَجَرَّدَ التَّهَرُّ بِهَا صَارِمًا لَمَّا أَرَاهُ الْقَطْرُ وَقَعَ السَّهَامُ^(١)
فَدَغَ زَمَانًا مَرًّا بِالْمُنْحَنِى وَعَدَّ عَنْ ذِكْرِ اللَّوَى وَالْخِيَامِ
وَبَادِرِ الْفُرْصَةِ مَا أَمَكَّنَتْ وَأَسْعَفَ الدَّهْرَ بَنِيْلَ الْمَرَامِ
فَلَيْسَتْ الدُّنْيَا وَإِنْ أَقْبَلَتْ عَلَيْكَ أَوْ وَلَّتْ بِدَارِ الْمُقَامِ
فَحَامُ لَمَّا سَامَ فِيهَا الْبَقَا دَارَ بِهِ صِرْفُ الْمَنَايَا وَحَامِ
وَكَمْ أَبَادَ الدَّهْرُ مِنْ مَعْشَرٍ مِنْ بَعْدِ أَنْ قَصَّرَ عَنْهُمْ وَنَامِ
وَأَوْدَعَ الْأَمْلاكَ بَطْنَ الثَّرَى قَسْرًا وَلَمْ يَزَعْ لَدَيْهِمْ ذِمَامِ

● وجاءني منه كتابٌ من صَفْدِ المحروسة ، وأنا بدمشق المحروسة ، في سنة ثمان عشرة وسبعمئة ، فيه نظمٌ ونثرٌ عَدِمْتُهُ^(٢) ، فكتبتُ أَنَا إِلَيْهِ^(٣) : [من الطويل]

تَذَكَّرْتُ عَيْشًا مَرَّ قَدَمًا وَقَدْ حَلَا وَرَبْعًا عَمَزْنَاهُ بِلَهْوٍ وَقَدْ خَلَا
فَهَاجَتْ لِي الذِّكْرَى غَرَامًا أَلْفَتْهُ وَشَنَّتْ عَلَى الْأَخْشَاءِ حَرْبًا مُقَسَّطَلَا
وَأَذَكَّتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ نَارَ صَبَابَتِي وَجَدَّدَ لِي وَجْدِي أَخِيرًا وَأَوَّلَا
وَاللَّهِ صَبْرِي فِي الرَّزَايَا فَإِنَّهُ جَمِيلٌ وَلَكِنْ خَانَ فِيكُمْ وَبَدَّلَا
وَقِيلَ : أَتَبْكِي فِي دِمَشْقَ مِنَ الْأَسَى وَإِنْ حَلَّ جَيْشُ الْهَمِّ فِيهَا تَرَحَّلَا
زَمَانًا تَقْضَى أَوْ رُبُوعًا تَطَاوَلَتْ عُهُودُكَ مِنْهَا وَانْمَحَتْ بِيَدِ الْبِلَى
فَفَاضَتْ جُفُونِي بِالْذُّمُوعِ لِقَوْلِهِمْ وَقُلْتُ لَهُمْ : أَبْكِي حَبِييًّا وَمَنْزِلَا
وَهَلْ نَافِعِي أَنَّ الرِّيَاضَ تَدَبَّجَتْ بِسَاحَاتِهَا أَوْ صَوْتَ قُمْرَيْهَا عَلَا

(١) في ب : وجدد التبر . . . × .

(٢) في أ ، ب : عد منه ! . والإشارة إلى ضياع كتاب المترجم بما تضمن من نثر وشعر .

(٣) القصيدة في أعيان العصر .

وَاللُّوْزُقِ مِنْ زَهْرِ الرِّيَاضِ مَجَامِرٍ
 وَقَدْ رَاحَ فِيهَا الدَّوْخُ لَابَسَ حُلَّةٍ
 وَغَنَى حَمَامُ الْأَيْكِ ثُمَّ تَرَاقَصَتْ
 فَمَالَتْ سُكَارَى ثُمَّ صَفَّقَ جَدُولُ
 فَمِنْ جَدُولٍ أَضْحَى حُسَاماً مُجَرِّداً
 وَلِلْبَيْنِ فِي الْأَحْشَاءِ مَا لَوْ أَقْلَهُ
 كَأَنَّ اجْتِمَاعَ الشَّمْلِ عِقْدٌ تَعَلَّقَتْ
 فَفَارَقْتُ مَخْذُوماً حَمَى اللَّهِ رُبْعَهُ
 سَقَانِي طِفْلاً قَهْوَةَ الْعِلْمِ وَالنَّهْيِ
 وَأَكْسَبَنِي لَمَّا اتَّصَفَتْ بِرِقِّهِ
 وَكَمْ نِعَمٍ لَوْ رُمْتُ تَعْدَادَهَا أَبَتْ
 إِذَا غِبْتُ عَنْ أَبْوَابِهِ فَهَبَاتُهُ
 وَإِنْ قَذَفْتَنِي غُرْبَةً كَانَ جُودُهُ
 وَوَفَى كِتَابُ مِنْهُ مِنْ بَعْدِ فِتْرَةٍ
 لَقَدْ أَنْشَأَتْهُ رَاحَةً كَفَّ كَفُّهَا
 تَمَنَّى مُلِثُ الْعَيْثِ لَوْ كَانَ بَطْنُهَا
 عَلَى أَنْ كُتِبِي لَا تَزَالُ كَتَائِباً
 أَقْبَلُ فِيهَا الْأَرْضَ أَغْنِي مُؤَدِّياً
 وَإِنْ كَانَ فِي الْأَحْشَاءِ مَا يَمْنَعُ الْفَتَى
 فَلَا زَالَ مَخْرُوسَ الْجَنَابِ مُظْفَراً

● فكتبَ هو الجوابَ عن ذلك^(١) :

إِذَا حَرَّكَتْ عُوداً تَحَرَّقَ مَنَدَلاً
 وَصَاغَ مِنَ الْأَزْهَارِ تَاجاً مُكَلَّلاً
 غُصُونٌ سَقَتْهَا الرِّيحُ كَاسَاتِهَا مِلا
 فَالْقَتَ عَلَيْهِ مِنْ مَعَاطِفِهَا الْحُلَى
 وَمِنْ هَيْفِ أَغْصَانٍ تَحَرَّكَ ذُبْلاً
 ثَبِيرٌ قَلِيلاً مَلَّ ثُمَّ تَمَلَّماً
 بِأَسْلَاحِهِ كَفُّ التَّوَى فَتَفَصَّلاً
 مِنَ الدَّهْرِ يَوْمًا مَا أَبَرَ وَأَجَمَلاً
 وَزَادَ إِلَى أَنْ طَالَ قَدْرِي وَاعْتَلَى
 مِنَ الْفَخْرِ وَالْعِلْيَاءِ مَجْدًا مُؤَثَّلاً
 وَكَانَتْ مِنَ الْإِحْصَاءِ لِلذَّرِّ أَسْهَلاً
 إِلَيَّ كَأَنْفَاسِ النَّسِيمِ تَوْصُلاً
 سَحَاباً يُوَافِينِي فَأَعْطَى وَنَوَلاً
 فَأَضْحَى بِهِ دَمْعِي عَلَى الْخَدِّ مُرْسَلاً
 مِنَ الْخَطْبِ مَا أَعْيَى الْأَنَامَ فَأَعْضَلاً
 وَوَدَّتْ بِهَا الْأَنْهَارُ لَوْ كُنَّ أَنْمَلاً
 أُلَاقِي بِهَا فِي سَاحَةِ الْوَجْدِ جَخْفَلاً
 [٤٩] بِذَلِكَ فَرَضاً مَا أَرَاهُ تَقْضِياً
 مِنَ الْوَجْدِ وَالتَّبْرِيحِ أَنْ يَتَرَسَّلاً
 بِأَعْدَائِهِ مَا هَيَّجَ الشُّوقُ مُبْتَلَى

(١) الجواب نثراً وشعراً في أعيان العصر .

يُقْبَلُ الْبَاسِطَةَ ، أَلْهَمَهَا اللَّهُ الْوَفَاءَ لِمَنْ وَفَى بِعَهْدِهِ ، وَأَطْلَعَ نَجْمَهَا الْمُتَّقِدَ
 فِي مَطَالِعِ سُعُودِهِ ، وَأَعَادَ عُصْنَهَا إِلَى مَنْبَتِ سَمَا مِنْهُ رَافِلاً فِي خِلَعِ بُرُودِهِ ،
 مُثْمِراً بِدَوْحَةِ مَنْشِئِهِ الَّذِي مَا تَفَتَّحَ وَرْدُهُ إِلَّا لَمَّا سَقَى مَاءَ وَرْدِهِ عِنْدَ وَرُودِهِ .

وَيُنْهِي بَعْدَ وَصْفِ شَوْقِهِ الَّذِي تَطَاوَلَ عَلَيْهِ لَيْلُهُ فَادْلَهَمَا ، وَلَمَعَ فِي دُجْنَتِهِ
 بَارِقُ اللَّوَاعِجِ فَأَضْرَمَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ نِيرَانَ الْخَلِيلِ لَمَّا ، وَأَجْرَى مِنْ جَفْنِهِ الْقَرِيحَ
 طُوفَانَ نُوحٍ ، فَلَا جُلَّ ذَلِكَ هَجَرَهُ الْوَسْنُ وَمِنْ بَعْدِ الْهَجْرَانِ أَلَمٌ^(١) بِهِ مَا أَلَمَّا ،
 وَكَابَدَ فُؤَادُهُ هَمًّا ، وَالَّذِي يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ بِالسُّلُوكِ مَا هَمًّا ، وَعَاهَدَهُ عَلَى
 الْأَخْذِ بِسِتَّةِ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ فَلَمْ يَفِ بِعَهْدِهِ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْماً ، وَأَرَادَ الْقَلَمُ أَنْ
 يَصِفَ مَا وَجَدَهُ بَعْدَ الْبُعْدِ مِنَ الْأَسْفِ نَثْراً ، فَأَبَتِ الْبَلَاغَةُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَظْماً ،
 وهو : [من الطويل]

نَأَيْتُمْ فَأَمْسَى الدَّمْعُ مِنِّي مُورِداً	على صَحْنٍ خَدَّ صَارَ بِالسَّقْمِ عَسْجِداً
إِذَا مَا بَدَأَ فِي وَجْنَتِي مِنْهُ صَيِّبٌ	رَأَيْتَ مِنَ الْيَاقُوتِ نَثْراً مُبَدِّداً
وَإِنْ نَظَّمْتُهُ فَوْقَ نَحْرِي صَبَابَةٌ	تَبَيَّنْتَ عِقْداً بِالشُّذُورِ مُنْضَداً
وَمَا حَتَّهُ إِلَّا بَرِيقٌ تَتَابَعَتْ	لَوَامِعُهُ يُبْدِيْنَ نَضْلاً مُجَرَّداً
وَكَمْ أَذْهَبَ التَّذْهِيبُ مِنْهُ حُشَّاشَةٌ	وَأَوْدَعَ حُزْناً فِي الْفُؤَادِ مُجَدِّداً
بَدَأَ مِنْ سَنِيرٍ مُسْتَطِيراً ضِيَاؤُهُ	فَأَنْسَتْ نَاراً فِي الدُّجْنَةِ مُذْ بَدَأَ ^(٢)
وَأَمْسَى فُؤَادِي كَالْكَلِيمِ وَلَمْ يَجِدْ	عَلَى النَّارِ لَمَّا أَنْ تَحَقَّقَهَا هُدًى
وَكَيْفَ اهْتِدَاءُ الصَّبِّ وَالْقَلْبُ وَالِهُ	وَإِذْ رَاكُهُ مُذْ غَبَّتْ عَنْهُ تَشَرِّداً
يَهِيمُ إِذَا هَبَّتْ نُسَيْمَةٌ جَلَّقَ	وَيَضْبُؤُ إِذَا نَاحَ الْحَمَامُ وَغَرَّداً

(١) « أَلَمٌ » من م .

(٢) في م : مستطيراً فؤاده × . وسنير : جبل بين حمص وبعبك . (معجم البلدان ٢٦٩/٣) .

وَيَذْكُرُ أَيَّاماً تَقْصُصَتْ بِسَفْحِهَا
لِيَالِي يُجْلَى الرُّوضُ فِي حُلَلِ الْحَيَا
تَبَسَّمَ نَغْرُ الزَّهْرِ لَمَّا بَكَى أَسَى
أَحْبَابَنَا غِبْتُمْ فَكَمْ لِي وَقْفَةٌ
وَكَمْ لِي بِهَاتِيكَ الطُّلُولِ مَوَاقِفُ
تَنَاءَى خَلِيلُ يَا خَلِيلِي فَاسْعِدَا
وَأَبْدَى صُدُوداً وَالصُّدُودُ مَلَامَةٌ
كَذَا شَيْمَةُ الدَّهْرِ الْحَوُونِ وَدَابُّهُ

فَيَبْدَى نَوْحاً فِي الظَّلَامِ مُرَدِّداً^(١)
وَعُضُنُ النَّقَا يُبْدِي عَلَيْهِ تَأَوُّداً
وَلَاخَ كَصُبْحِ بِالظَّلَامِ قَدْ اِزْتَدَى^(٢)
عَلَى صَفْدٍ وَالْقَلْبُ مِنِّي تَصَفَّداً
وَقَفْتُ عَلَيْهَا الدَّمْعُ إِذْ رُحْتُ مُنْشِداً
بَدَمْعٍ يُضَاهِي الْمُنَّ إِنْ كُنْتُ مُسْعِداً
وَأَنْجَزَ هِجْرَاناً وَأَخْلَفَ مَوْعِداً
يَخُونُ وَفِيّاً أَوْ يُكَذِّرُ مَوْرداً

● وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ عَلَى طَرِيقِ ابْنِ رَشِيقٍ فِي الْآيَاتِ الْمَشْهُورَةِ^(٣) :

[الكامل]

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ بَيْنَ مُشْتَجِرِ الْقَنَا
وَأَسِنَّةِ الْمُرَّانِ مِثْلُ كَوَاكِبِ
وَلَوَامِعِ الْبَيْضِ الرِّقَاقِ كَأَنَّهَا
وَالْحَتَفُ قَدْ لَعِبَتْ كُؤُوسُ مُدَامِهِ

وَالْمَوْتُ يَخْتَطِفُ الثُّفُوسَ بِمِخْلَبِ
تَبْدُو أَشْعَثُهَا بِظُلْمَةِ غَنَهِبِ
بَرْقُ تَأَلَّقَ مُذْهَباً فِي مُذْهَبِ
بُعُقُولِنَا وَالذِّكْرُ غَايَةُ مَطْلَبِي

(١) في م : × فيبدي نوحاً

(٢) في م : تبسم زهر الرّوض × .

(٣) الآيات في أعيان العصر .

قلت : وآيات ابن رشيقي ، هي : [ديوانه ٤٨ - ٤٩ والغيث المسجوم ٣٩/٢]

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ فِي السَّفِينَةِ وَالرَّيْدِ
وَالْجَوُّ يَهْطُلُ وَالرِّيحُ عَوَاصِفُ
وَعَلَى السَّوَاكِحِلِ لِإِلْعَادِي غَارَةٌ
وَعَلَّتْ لِأَصْحَابِ السَّفِينَةِ ضَجَّةٌ

مُرْتَضِعٌ بِتَلَاظِمِ الْأَمْوَاجِ
وَاللَّيْلُ مُنْشَوْدُ الذَّوَائِبِ دَاجِ
يُوقَعُونَ لِغَارَةِ وَهِيَا
وَأَنَا وَذِكْرُكَ فِي أَلْدُّ تَنَاجِي

● وَأَمَرَنِي أَنْ أَنْظِمَ عَلَى هَذَا الْأُسْلُوبِ ، فَقُلْتُ^(١) : [من الكامل]

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكُمْ بِحَرْبٍ يَنْشِي عَنْ بَأْسِهَا اللَّيْثُ الْهَزْبُ الْأَغْلَبُ
وَالصَّافِنَاتُ بِرِكَضِهَا قَدْ أَنْشَأَتْ لَيْلًا وَكُلَّ سَنَا سِنَانٍ كَوَكَبُ
وَالْبَيْضُ تَنْشُرُ كُلَّ مَا نَظَمَ الْقَنَا [٤٩ب] وَالتَّبَلُّ يُشَكِّلُ وَالْعَجَاجُ يُزَبُّ
وَحُشَّاشَةُ الْأَبْطَالِ قَدْ تَلَفَتْ ظَمًا وَدَمَ الْفَوَارِسِ مُسْتَهْلٌ صَيَّبُ
وَالنَّفْسُ تُنْهَبُ بِالْفَوَارِسِ وَالْقَنَا وَأَنَا بِذِكْرِكُمْ أَمِيلُ وَأَطْرَبُ

● وَكَتَبَ يَوْمًا إِلَيَّ فِي الْإِعْذَارِ مِنْ وَدَاعِ الْحَبِيبِ^(٢) : [من الكامل]

يَوْمَ الْوَدَاعِ بَدَتْ شَوَاهِدُ لَوْعَتِي نَارُ الْخَلِيلِ تُشَبُّ فِي الطُّوفَانِ
وَأَرَذْتُ أَغْتَنِقُ الْحَبِيبَ فَخَفَّتْ أَنْ يَغْشَاهُ يَمٌّ أَوْ لَظَى نِيرَانِ

● وَطَلَبَ مِنِّي أَنْ أَنْظِمَ شَيْئًا فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ ، فَقُلْتُ^(٣) : [من الكامل]

لَمْ أَطْرَحْ يَوْمَ الْوَدَاعِ عِنَاقَهُ مَلَأَ وَدَمْعُ الْمُقْلَتَيْنِ سَكُوبُ
إِلَّا مَخَافَةَ أَنَّهُ يَفْتَرُّ عَن بَرْدٍ وَتَبْدُو حُرْقَتِي قَيْذُوبُ

٣٠ * الْحُسَيْنُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ رِيَّانَ^(٤) :

القاضي الفاضل ، البليغ ، شَرَفُ الدِّينِ بْنِ الصَّحْبِ جَمَالَ الدِّينِ الطَّائِي ،

(١) الأبيات في أعيان العصر والغيث المسجم ٤٣/٢ .

(٢) البيتان في أعيان العصر والدرر الكامنة .

(٣) البيتان في أعيان العصر .

(٤) ترجمته في : الوافي بالوفيات ٣٦٩/١٢ والدليل على العبر ٢٧١/١ وتذكرة النبيه ٣٢٢/٣ والمتقى من درة الأسلاك ٣٩٠ ودرر العقود الفريدة ٤١/٢ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣٢٨/٢ والدرر الكامنة ٥٥/٢ والمنهل الصافي ١٥٦/٥ والدليل الشافي ٢٧٣/١ .

- مولده سنة ٧٠٢ هـ . ووفاته سنة ٧٧٠ هـ - وقيل : ٧٦٩ هـ - .

- في م : الحسن بن سليمان . . . ! .

مَوْقِعُ الدَّسْتِ الشَّرِيفِ بِحَلَبِ المحروسة ، وناظرُ الدَّوَابِّينِ المَعْمُورَةِ بِحِمَاةِ
المحروسة .

● كَتَبْتُ أَنَا مِنْ رَحْبَةِ مَالِكِ بْنِ طُوقٍ إِلَى أَخِيهِ الْقَاضِي بِهِاءِ الدِّينِ الْحَسَنِ
كِتَابًا ، وَفِيهِ عَتَبْتُ عَلَيْهِ بِسَبَبِ انْقِطَاعِ مُشْرِفَاتِهِ عَنِّي ، فَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ فِي سَنَةِ
٧٢٩^(١) : [من الكامل]

قَرَرْتُ بِمَنْصِبِكَ الْجَلِيلِ عُيُونُ وَرَزَنْتُ إِلَيْكَ مِنَ السُّعُودِ جُفُونُ
وَأَتَيْتُكَ مِنْ رُتَبِ السَّعَادَةِ غَادَةً يَسْبِيكَ مِنْهَا الْحَاجِبُ الْمَقْرُونُ
وَدَعَيْتُكَ لِلرُّتَبِ الْعَلِيَّةِ فَارْقَهَا فِي نِعْمَةٍ وَقَرِينُكَ التَّمَكِينُ^(٢)
وَأَضَعْتُ إِلَى دَرَجِ الْمَعَالِي رَاقِيًا أَعْلَى الْعُلَى فَلَأَنْتَ ثُمَّ أَمِينُ
وَالْبَسَنْ بِهَا الْخِلْعَ التَّفَيْسَةَ دَائِمًا وَلَكَ السَّعَادَةُ فِي الْأُمُورِ تُعِينُ
فَلَسَوْفَ تَعْلُو بَعْدَهَا وَيَطِيرُ مِنْ أَرْجَائِهَا لَكَ طَائِرٌ مَيْمُونُ
وَلَقَدْ أَتَى مِنْكَ الْمِثَالُ إِلَى أَخِي وَعَلَيَّ فِيهِ مِنَ الْعِتَابِ فَنُونُ
وَزَعَمْتُ أَنِّي حُلْتُ عَنْ ذَاكَ الْوَفَا لَا كَانَ ذَاكَ وَلَا أَرَاهُ يَكُونُ
أَنَا لَا أَحُولُ وَلَا أَمِيلُ عَنِ الْوَفَا أَبَدًا وَفِي ذَا الْقَوْلِ لَسْتُ أَمِينُ
سَلْ مِنْ ضَمِيرِكَ عَنْ وِدَادِي إِنَّهُ عِنْدِي الْأَمِينُ وَقَوْلُهُ الْمَأْمُونُ
لَا تَنْسَبِنِّي لِلْمَلَالِ فَإِنَّنِّي أَذْرِي بِمَا عِنْدِي وَسَوْفَ يَبِينُ

وفي أثناء الكتابِ بَيْتَانِ ، وهما : [من الكامل]

أَبْشِرْ بِهَا مِنْ رَحْبَةٍ قَدْ أَضْبَحَتْ كَهَفَ الْغَرِيبِ وَمَأْمَنًا لِلْسَّالِكِ^(٣)
وَحَلَلَتْهَا يَا مَالِكِي فَلْأَجَلِذَا قَدْ أَضْبَحَتْ تُدْعَى بِرَحْبَةِ مَالِكِ

(١) القصيدة في الوافي .

(٢) سقط البيت من أ ، م .

(٣) « كهف الغريب » ساقطة من م .

● فكتبْتُ أنا الجَوابَ إليه^(١) : [من الكامل]

جاءَتْ سَطُورُكَ والسُّرُورُ قَرِينُ
اللهُ أَكْبَرُ كَمْ تَلَطَّطْتُ قَبْلَهَا
وَلَكُمْ سُرُورٌ غَابَ عَنْ سِرِّي وَكَمْ
حَتَّى أَتَتْ غَرَاءَ يَفْضُلُ حُسْنُهَا
يَا حُسْنَهَا مِنْ رَوْضَةِ هَمَزَاتِهَا
أَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ غَلِطْتُ فِي
اغْدُزْ فَإِنِّي مِنْ بَقَايَا دَهْشَتِي
بَلْ دِنِمَّةُ الْفَضْلِ الَّتِي كَمْ قَدْ سَقَتْ
وَعَلِطْتُ أَيْضاً بَلْ هِيَ الْبَحْرُ الَّذِي
وَأَنَا أَقِيمُ أَدَلَّةَ يَرْضَى بِهَا
مِنْ وَزْنِهَا بَحْرٌ وَمِنْ أَلْفَاظِهَا
مَا هَذِهِ عِنْدِي بِأَوَّلِ مِثْنَةٍ
[٥٠] عِنْدِي لِفَضْلِكَ كُلُّ طُولٍ سَابِغٍ

وَلَهَا مِنَ الْحُسْنِ الْبَدِيعِ فُنُونُ
كَبِدِي عَلَيْكَ وَكَمْ بَكَتْكَ عُيُونُ
وَرَدَّتْ عَلَيَّ لِأَجْلِ ذَاكَ مَنْوُنُ
لَيْلِي وَلَكِنِّي بِهَا الْمَجْنُونُ
فَوْقَ السُّطُورِ حَمَائِمٌ وَعُصُونُ
تَشْبِيهِهَا بِالرُّوضِ وَهُوَ الدُّوْنُ
لَمَّا أَتَنِّي بَغْتَةً مَفْتُونُ
زَهْرًا وَكَمْ مِنْهَا اسْتَهْلَ هَتُونُ^(٢)
أَلْفَاظُهَا دُرُّ النَّهْيِ الْمَكْنُونُ
وَالصَّدْقُ فِيمَا أَدْعِي مَضْمُونُ
دُرٌّ وَقَافِيَةُ الْقَصِيدَةِ نُونُ
مَا أَجْرُهَا لِتَمَامِهَا مَمْنُونُ
وَعَلَى مَدِيحِي فِي عِلَاكَ دُيُونُ^(٣)

● وكتبْتُ في أَثْنَاءِ الْكِتَابِ أَيْضاً : [من الكامل]

وَلَقَدْ حَلَلْتُ بِبَلَدَةٍ حَاشَا لَطَيٍّ
وَسِعَتْ لِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ عَلَى الْفَتَى
وكتبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مِنْ صَفَدِ الْمَحْرُوسَةِ - وَهُوَ بِحَلْبِ الْمَحْرُوسَةِ^(٤) - ،

وَقَبِيحٍ مَنَظَرِهَا الشَّنِيعِ الْحَالِكِ
فَلِذَاكَ سَمَّوْهَا بِرَحْبَةِ مَالِكِ

(١) القصيدة في الوافي .

(٢) في ب : التي بك كم سقت × عيون .

(٣) في ب : سابع × من علاك

(٤) الجملة المعترضة من س .

أَتَشَوِّقُ إِلَيْهِ ، فِي سَنَةِ ٧٢٤ : [من البسيط]

هَبَّتْ نَسِيمُ الصَّبَا لِي مِنْ رُبَا حَلَبٍ
فِيَا لَهَا نَسَمَةً أَحْيَتْ فُؤَادِي إِذْ
أَدَّتْ رَسَائِلَ وُزُقِ الدَّوْحِ تَرْجَمَهَا
فَهَمْتُ لَمَّا فَهَمْتُ السَّرَّ حَيْثُ نَزِدُ
سَحَّ السَّحَابُ عَلَى السَّاحَاتِ مِنْ حَلَبٍ
وإنْ وَنَى حُثَّةُ حَادِي الرُّعُودِ وَإِنْ
إِنْ شَحَّ بُخْلًا عَلَى تِلْكَ الدِّيَارِ وَلَمْ
فِيَّ لِي مَذْمَعًا يُغْنِي مَعَالِمَهَا
أَوْطَانَهَا لِي أَوْطَارٌ بِهَا وَمَعَا
لَا تَسْكُنُ النَّفْسُ إِلَّا فِي مَسَاكِينِهَا
فِيَا نَسِيمَ الصَّبَا لَا زِلْتَ تَخْطُرُ فِي
إِيَّاهُ أَعْدُ لِي حَدِيثًا لَذَّ مَوْقِعُهُ
وَأَخُذُ بِنَا فِيهِ أَيْضًا فَهَوَ أَعْذَبُ لِي
وَكَرَّرِ الْقَوْلَ لَا تَسَامُ فَإِنَّكَ إِنْ
وَلَا تَقُلْ لَمْ أَقُمْ بِالْوَاجِبَاتِ عَلَى
فِيَّ شُكْرِي عَنْ سُكْرِي لَهُ شُغْلُ

فَأَسْكَرْتَنِي إِلَى أَنْ مِلْتُ مِنْ طَرَبِي^(١)
تَنَفَّسْتُ نَفْسْتُ عَنْ مُهْجَتِي كُرْبِي
وَسَطَرَ الْبَرْقُ مَا أَمْلَتْهُ بِالذَّهَبِ^(٢)
وَرُحْتُ مِنْ رَاحِهَا وَالشُّوقُ يَلْعَبُ بِي
وَجَادَ أَكْنَافُهَا بِالْوَاكِفِ السَّرِبِ^(٣)
ضَلَّ الطَّرِيقَ اهْتَدَى بِالْبَرْقِ مِنْ كَثَبٍ
يَسَحُّ وَبَلَاً عَلَى الْأَجْرَاعِ وَالْكُثَبِ
إِذَا تَذَكَّرْتُهَا عَنْ مِنَّةِ الشُّحْبِ
بَيْنَهَا غَنَائِي وَفِي تِلْكَ الرُّبَا أَرْبِي^(٤)
وَالْقَلْبُ عَنْ سَاكِنِيهَا غَيْرُ مُنْقَلِبٍ
رَوْضِ الْخَزَامِيِّ بِذَيْلِ مِنْكَ مُنْسَجِبِ^(٥)
فِي مَسْمَعِي وَشَفَى قَلْبِي مِنَ الْوَصَبِ
عَلَى عَذَابِي بِهِ مِنْ ثَغْرِ ذِي شَنْبِ
كَرَّرْتُهُ لِي حَلَا أَوْ زِدْتُهُ يَطِبِ
مِثْلِي لِمِثْلِكَ فَالْمَعْرُوفُ لَمْ يَخِبِ^(٦)
حَتَّى أَفِيقَ مِنَ الْوَجْدِ الْمُبْرَحِ بِي^(٧)

(١) فِي ب : . . . مِنْ رَا حَلَب × .

(٢) فِي م : . . . الدَّوْحُ حِينَ سَرَتْ × . وَفِي هَامِشِهِ : خ : تَرْجَمَهَا .

(٣) فِي م : × . . . بِالْوَابِلِ السَّرِبِ .

(٤) « فِيهَا غَنَائِي » سَاقِطَةٌ مِنْ م .

(٥) فِي م : × ذَيْلُ الْخَزَامِيِّ . . .

(٦) فِي أ ، م : وَلَا تَقُلْ لِي أَقْمُ . . . × .

(٧) فِي م : فَإِنْ سُكْرِي عَنْ سُكْرِي . . . × .

لَا تَحْسَبَنَّ جَنَّةَ الْمَأْوَى سِوَى حَلْبٍ
وَكَمْ تَمَتَّعْتُ فِي بَابِ الْجِنَانِ بِهَا
مَوْلَايَ يَا شَرَفَ الدِّينِ الَّذِي انْضَحَّتْ
وَفَاقَ بِالْفَضْلِ فِي الْآفَاقِ كُلِّ فَنَى
وَأَحْدَقْتُ بِعُلَاهُ كُلِّ مَكْرَمَةٍ
أَعَيْدُ فَضْلِكَ يَا شَمْسَ الْعُلُومِ وَيَا
أَوْلَيْتَنِي نِعْمًا لَوْ رُمْتُ أَنْكِرُهَا
وَكَيْفَ أَنْسَى الَّذِي أَوْلَيْتَ مِنْ كَرَمٍ
فِيَارِعَى اللَّهَ أَكْبَامًا نَعِمْتُ بِهَا
مَالِي سِوَى مَحْضٍ وَدِّي إِنْ رَضِيتَ بِهِ
بَلَى وَطَيْبُ نِئَاءٍ عَنْكَ أَنْشُرُهُ
وِخْدَمَةٌ أَنْتَ تَذَرِي حَقَّ قُرْبَتِهَا
فَعُدَّ عَلَيَّ بِكُتُبٍ مِنْكَ تُنْجِدُنِي
لَا تَنْسَ حَاشَاكَ عَهْدًا بَيْنَنَا أَبَدًا

فَكَمْ رَأَيْتُ بِهَا مِنْ مَنْظَرٍ عَجَبٍ^(١)
مِنْ حُسْنٍ وَلَدَانِهَا وَالْحُرْدِ الْعُرْبِ
بِهِ الْمَعَالِي وَكَانَتْ قَبْلُ فِي حُجُبٍ
وَحَلَّ مِنْ مَجْدِهِ فِي مَعْقِلِ أَشْبِ
فَرَاخَ وَسَطَ الْعُلَى وَالْفَضْلِ كَالْقُطْبِ
بَذَرَ الْمَحَافِلِ بِالسَّيَّارَةِ الشُّهْبِ
لَمَّا اخْتَفَى ذَاكَ مِنِّي عِنْدَ كُلِّ غَبِي
وَقَدْ تَعَاطَيْتُ مِنْهُ أَزْفَعَ الرُّتَبِ^(٢)
مِنْ قُرْبِكُمْ وَنَصِيْبِي بَعْدَهَا نَصِيْبِي
فَإِنَّ ذَلِكَ لِي مِنْ أَزْفَعِ الْقُرْبِ^(٣)
فَيَعْبِقُ الْمِسْكُ فِي الْأَرْجَاءِ وَالرَّحَبِ
نَعَمْ وَمَا بَيْنَنَا مِنْ نِسْبَةِ الْأَدَبِ
بِهَا وَتُنْقِذُنِي مِنْ قَبْضَةِ الْحَرْبِ
وَدُمْ عَلَيَّ وَدَّكَ الصَّافِي مِنَ الرَّيْبِ^(٤)

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ ، وَأَنَا بِحَلْبِ المحروسة ، في شهر رمضان سنة

٧٥٩هـ^(٥) : [من المتقارب]

كَلَامُ الْعَوَازِلِ مَا يُسَمَّعُ
شَوَاهِدُهَا لَهَبٌ فِي الضُّلُوعِ
وَدَعَاوِي الْمَحَبَّةِ مَا تُدْفَعُ
عِ وَفَيْضُ الدُّمُوعِ الَّتِي تَهَمُّ

(١) في م : . . . جنة الدنيا . . . × .

(٢) في م : . . . أوليتني كرمًا × .

(٣) في ب ، س : × . . . من أنفع . . .

(٤) وسقط ما بعد ذلك في س إلى قوله : وكتب أنأ إليه أعزبه في والده . . .

(٥) في م : سنة ثمان وخمسين وسبعمئة .

مَسَاكِينُ أَهْلِ الْهَوَى مَا لَهُمْ
 غَرَامٌ يَغِيبُ بِهِ وَعْيُهُمْ
 يُرْجُونَ عَوْدَةَ أَفْهَامِهِمْ
 وَكَيْفَ يَعُودُ لِأَهْلِ الصَّبَابِ
 [٥٠ ب] وَلِي صَاحِبٌ وَدَّهٌ فِي الْحَشَا
 أَلَفْتُ بِهِ فِي زَمَانِ الصَّبَا
 تَمَكَّنَ مِنْ مُهْجَتِي حُبُّهُ
 صَلاَحِي خَلِيلِي أَمِيرِي أَخِي
 لَقَدْ فَاقَ فِي الْفَضْلِ أَهْلَ الزَّمَا
 وَكَمْ قَدْ صَحِبْتُ مِنَ الْعَالَمِيَّةِ
 وَلَمْ أَرْ فِيهِمْ مُقِيمًا عَلَى الْإِ
 وَقَدْ كُنْتُ فِي حَلَبٍ شَيْقًا
 أُرْجَى اجْتِمَاعِي بِهِ وَالنَّوَى
 وَكُنْتُ كَرِهْتُ مُقَامِي بِهَا
 وَضَاعَ بِهَا الْعُمُرُ لَا فَاضِلُّ
 وَمَا زَالَ فِي أَمَلِي أَنَّ
 إِلَى أَنْ قَضَى اللَّهُ أَنَّ الْبَعَا
 فَجَاءَ مِنَ الشَّامِ فِي رُبْعَةٍ
 فَلَدَّ مُقَامِي بِهَا وَانْجَلَتْ

مُعِينٌ وَلَا شَافِعٌ يَشْفَعُ
 فَمَا يَعْرِفُ الصَّبُّ مَا يَصْنَعُ
 إِلَيْهِمْ ، وَمَا فَاتَ لَا يَرْجِعُ
 وَغَيٍّ وَمُسْتَبْعَدٌ أَنْ يَعُوا
 لَهُ مُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ
 فَمَا لِي عَنْ حُبِّهِ مَرْجِعُ
 فَمَا لِسِوَاهُ بِهَا مَوْضِعُ^(١)
 صَدِيقِي ذُخْرِي الَّذِي يَنْفَعُ^(٢)
 نِ وَرَاقَتْ مَحَاسِنُهُ أَجْمَعُ
 نَ أَنْسَاءً وَهُمْ قَلَّ أَنْ يَنْفَعُوا
 —ودادِ سِوَاهُ إِذَا ضَيَّعُوا
 إِلَيْهِ وَقَلْبِي بِهَا مُوَجَّعُ^(٣)
 تَحُولُ وَتَنَأَى بِي الْأَرْبَعُ
 وَضَاقَ عَلَيَّ الْفَضَا الْأَوْسَعُ
 إِذَا قُلْتُ يَفْهَمُ أَوْ يَسْمَعُ
 نَنَالُ اللَّقَاءَ وَنَسْتَجْمِعُ
 دَ يَزُولُ وَشَمْلِي بِهِ يُجْمَعُ
 عَلَتْ وَهُوَ مِنْ قَدْرِهَا أَرْفَعُ
 هُمُومِي وَطَابَ لِي الْمَرْبَعُ

(١) في أ ، ب : × فما لسواها . . . ! والمثبت من م .

(٢) في م : × صديقي وذخري . . .

(٣) في م : × . . . به موجه .

وَيَهْنِكَ شَهْرُ الصَّيَامِ الَّذِي
وَلَا زِلْتَ فِي نِعْمَةٍ مَا شَدَتْ
هَلَالَ السُّعُودِ بِهِ يَطْلُعُ
عَلَى الْأَيْكَ قُمْرِيَّةٌ تَسْجَعُ

● فَكْتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ : [من المتقارب]

أَرَوْضُ غَدَتْ وَزُقُهُ تَسْجَعُ
وَهَيْهَاتَ بَلْ هَذِهِ رُقْعَةٌ
بَلِيغٌ إِذَا فَاهَ فِي مَخْفَلٍ
وَأَقْلَامُنَا فِي الطُّرُوسِ اغْتَدَتْ
فَضَائِلُهُ قَدْ سَرَى ذِكْرُهَا
يُوشِي الطُّرُوسَ وَلَكِنَّهُ
إِمَامُ الْقَرِيضِ إِمَامُ التُّحَاةِ
إِذَا قِصَّةٌ خَطَّ فِيهَا فَمَا
أَخِي صَاحِبِي شَرَفِي سَيِّدِي
صَفَا إِذْ تَكْدَّرَ وَزْدُ الْعِدَى
تَغَرَّبْتُ عَنْ جِلْقِي وَائْتَقَا
فَأَلْفَيْتُ أَنْسِي بِهِ حَاضِرَا
وَذَكَّرَنِي طِيبَ عَيْشٍ مَضَى
فَمَا كَانَ أَهْنَا زَمَانَ الصَّبَا
يَجِيءُ الشُّرُورُ كَمَا نَشْتَهِي
وَكَمْ قَدْ أَعَدْنَا سُرُورَا مَضَى

أَمِ الْأَفَقُ أَقْمَارُهُ تَطْلُعُ
جَنَابُ الَّذِي خَطَّهَا أَرْفَعُ
فَحَظُّ الْأَفَاضِلِ أَنْ يَسْمَعُوا
لِتَعْظِيمِ إِنْشَائِهِ تَرْكَعُ
فَلَمْ يَخْلُ مِنْ حُسْنِهَا مَوْضِعُ^(١)
يُوشَعُهَا بِالضِّيَا يُوشَعُ
إِمَامُ الْمَعَانِي النَّبِي تَبْدَعُ
يُوقَعُ بَلْ بِالْعِدَى يُوقَعُ^(٢)
رَفِيقِي إِمَامِي الَّذِي أَتْبَعُ
وَمَنْ لَا صَفَا كَيْفَ لَا يُصْفَعُ
بِهِ أَنَّ خَطْبَ النَّوَى يُدْفَعُ
وَمَا أَرْتَجِي عَنْدَهُ أَجْمَعُ^(٣)
سَقَتُهُ دُمُوعِي الَّتِي تَهْمَعُ
وَأَوْقَاتُهُ بِالْمُنَى تُقْطَعُ
وَيَكْمُلُ مِنْ قَبْلِ مَا نَشْرَعُ
بِعِزٍّ وَأَنْفُ الْعِدَى يُجْدَعُ

(١) فِي ب : . . . قَدْ سَمَا ذَكَرَهَا × .

(٢) فِي م : × . . . بَلْ فِي الْعِدَى . . .

(٣) فِي م : . . . بِهَا حَاضِرَا × .

وَأَحْكَامُنَا فِي الرَّدَى قَدْ مَضَتْ
وَكُلُّ فَرِيقٍ إِذَا مَا اشْتَكَى
فَأَهٍ عَلَى عَوْدِ دَهْرٍ مَضَى
وَمَا لِي وَذِكْرُ صَبَا فَائِتٍ
وَلَكِنْ عُلالَةُ ذِي أُلْفَةٍ
أَيَا شَرَفَ الدِّينِ أَنْتَ الَّذِي
لَأَنَّكَ لِي شَرَفٌ رُكْنُهُ
وَأَنْتَ مَعَاذِي الَّذِي أَزْتَجِي
فَهُنَيْتَ شَهْرَ الصَّيَامِ الَّذِي
تَصُومُ وَتُقَطِّرُ فِي صَحَّةٍ
وَيُؤْمِنُكَ اللَّهُ مَا تَخْشِي

فَلَا تَخْشَى وَلَا نَخْضَعُ^(١)
إِلَيْنَا ظُلَامَاتُهُ تُزْفَعُ^(٢)
وَإِنْ كَانَ مَا فَاتَ لَا يَرْجِعُ
وَمَا فِي لَوْ عَادَ مُسْتَمْتَعُ
بِتَذْكَارِهِ لِلصَّبَا يُنْزَعُ
بِهِ رُحْتُ لِلخَطْبِ لَا أَضْرَعُ
بِفَرْقِ السَّمَاءِ غَدَا يُوَضَعُ
إِذَا عَصَفَتْ لِلرَّدَى زَعَزَعُ
غَدَا نُورُهُ فِي الدُّجَى يَسْطَعُ
صَفَا لَكَ مِنْ وَرْدِهَا الْمَشْرَعُ
وَمَا تَنْقِيهِ وَمَا تَجْزَعُ

● وَكَتَبَ إِلَيَّ أَيْضاً ، وَأَنَا بِحَلَبِ المَحْرُوسَةِ^(٣) : [من الطويل]

أَيَا فَاضِلاً فِي الْعِلْمِ مَا زَالَ بَارِعاً
لَقَدْ سَمِعَ الْمَمْلُوكُ بَيْنَيْنِ فِيهِمَا
لَنَا إِبِلٌ مَا رَوَعَتْهَا الصَّفَائِحُ
إِذَا سَمِعَتْ أَضْيَافَنَا مِنْ رُعَاتِهَا
فَمَا مُقْتَضَى رَفَعِ الذَّبَائِحِ فِيهِمَا
أَجِبْ عَنْ سُؤَالِي وَاغْتَنِمْ أَجْرَ سَائِلٍ
إِمَاماً لَدَيْهِ مُشْكِلُ النَّخْرِ وَاضِحُ
سُؤَالٍ لِأَرْبَابِ الْجَهَالَةِ فَاضِحُ
وَلَا نَفَرَتْهَا بِالصِّيَاحِ الصَّوَائِحُ
أَتَيْنَ سِرَاعاً يَتَدَرْنَ الذَّبَائِحُ
وَوَجْهُهُ وَجُوبُ النَّصْبِ فِي الْحَالِ لَائِحُ
لَهُ فِي صِفَاتِ الْفَاضِلِينَ مَدَائِحُ

[٥١] فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ ارْتِجَالاً^(٣) : [من الطويل]

(١) في ب : . . . في الوري . . . × .

(٢) « لا فريق » ساقطة من م .

(٣) الأبيات والجواب ، في الطبقات السنية ١٤٨/٣ .

أَيَا فَاضِلاً أَصَحَّتْ رِيَاضُ عُلُومِهِ لَهَا نَسَمَاتٌ بِالدُّكَاةِ نَوَافِحُ
وَمَنْ حَارَ ذَهْنًا نَارُهُ قَدْ تَوَقَّدَتْ وَفَكَّرًا بِهِ مَاءُ الْبِدَائِعِ طَافِحُ
سُؤَالُكَ فِي رَفْعِ الذَّبَائِحِ ظَاهِرٌ وَمَا النَّصْبُ فِيهِ إِنْ تَحَقَّقَ لَائِحُ
« إِذَا سَمِعْتَ » يَخْتِاجُ ذَا الْفِعْلُ فَاعِلاً وَذَلِكَ فِي رَفْعِ « الذَّبَائِحِ » بَائِحُ
و« أَضْيَافُنَا » الْمَفْعُولُ، فَاسْمَعْ مَقَالَ مَنْ يُسَامِي عَلَى نَقْصِ الْعُلَى مَنْ يُسَامِحُ
وخذُ قَوْلَ شَيْخٍ قَدْ تَدَانَى مِنَ الْبَلَى لَهُ شَبَحٌ نَحْوَ الضَّرَائِحِ رَائِحُ

● وَكُتِبَ إِلَيَّ أَيْضاً ، وَأَنَا بِحُلْبِ المحروسة : [من الرجز]

يَا فَاضِلاً فِي النَّحْوِ وَالْقُرْآنِ يَا مَنْ فَاقَ فِي عِلْمِهَا وَحَرَرةَ
مَا اسْمٌ أَتَى فِي الذِّكْرِ وَهُوَ مُفْرَدٌ مُعَرَّفٌ وَصِفَاً لِيَجْمَعَ نِكْرَهُ
أَجِبْ سُؤَالِي وَاعْتَنِمْ شُكْرِي فَمَا أَبْذُلُهُ إِلَّا لِذَهْنٍ أَظْهَرَهُ

● فَكُتِبْتُ أَنَا الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ : [من الرجز]

يَا مَنْ إِذَا رَاحَتُهُ تَنَاوَلَتْ طِرْساً فَقَدْ رَوَّضَهُ وَزَهَّرَهُ
أَرَى الَّذِي أَرَدْتَهُ « إِلَهَةً » وَبَعْدَ « دُونَ اللَّهِ » فَاعْرِفْ خَبَرَهُ
فَلِإِنْ دُونَ مُفْرَدٌ مُعَرَّفٌ وَقَدْ أَتَى وَصِفَاً لِيَجْمَعَ نِكْرَهُ^(١)
وَإِنْ تَشَاءُ فَمِثْلُهُ « إِلَهَةً » إِلَّا إِلَهَةً فَاتَّخِذْهَا تَذَكُّرَهُ

أَرَدْتُ بِذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ أَتَفْكَا إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تَرْيَدُونَ ﴾ [الصافات : ٨٦] أَوْ قَوْلَهُ
تَعَالَى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾^(٢) [الأنبياء : ٢٢] والمعنى : غَيْرُ اللَّهِ .

● وَكُتِبْتُ أَنَا إِلَيْهِ أَعَزِّيهِ فِي الْيَدِ الْقَاضِي جَمَالَ الدِّينِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَقَدْ

تُوفِيَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ٤٩٧^(٣) : [من البسيط]

(١) فِي ب : × وَقَدْ أَتَى وَصَفَ الْجَمِيعِ نِكْرَهُ .

(٢) « لَفَسَدَتَا » مِنْ م فَقَط .

(٣) الْقَصِيدَةُ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ ٢/٤٢٨ - ٤٣٠ .

أَظْمَأَتِ نَفْسَ الْمَعَالِي يَا ابْنَ رَبَّانَا
وَانْهَلَّ دَمْعُ الْعَوَادِي فِيكَ مِنْ حَزَنِ
وَمَزَقَ الصُّبْحُ أَثْوَابَ الدُّجَى وَرَمَى
وَكُلُّ سَاجِجَةٍ فِي الْأَيْكِ نَائِحَةً
أَتَتْ دِمَشْقَ بَكَ الْأَخْبَارُ مِنْ حَلَبٍ
وَدِدْتُ مِنْ حُزْنِي لَوْ كُنْتُ ذَا صَمَمٍ
تَكَادُ صُمُّ الصَّفَا تَنْشَقُّ مِنْ حَزَنِ
تَكَادُ تَبْكِي الْمَعَالِي فِيكَ مِنْ جَزَعٍ
مَنْ لِلظَّلَامِ إِذَا نَامَ الْأَنَامُ غَدَاً
وَمَنْ لِمَحْرَابِكَ الزَّاكِي فَلَيْسَ يَرَى
كَمْ قَدْ خَتَمْتَ كِتَابَ اللَّهِ مُتَعِظاً
وَكَمْ حَثَّتِ الْخُطَا نَحْوَ الصَّلَاةِ لِأَجْرِ
تَوَاطُبِ الصَّوْمِ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ وَفِي الْإِ
وَكَمْ مَمَالِكٍ قَدْ دَبَّرَتْ حَوَزَتَهَا
وَتَسْتَقِيمُ بِكَ الْأَحْوَالُ مَا شِئَتْ
لِلَّهِ دَرْكُكُمْ جَمَلْتِ مَدْرَسَةً
فَكُنْتُ فِي الْجُودِ غَيْثاً وَالْهُدَى عِلْماً

حَتَّى تَوَقَّدَتِ الْأَخْشَاءُ نِيرَانَا
وَشَقَّقَ الْبَرْقُ فِي الْأَفَاقِ أَرْدَانَا
حَلَّى النُّجُومِ وَأَضْحَى فِيكَ عُزْيَانَا
تُمْلِي مِنَ الْوَجْدِ فِي الْأَسْحَارِ أَشْجَانَا^(١)
يَا بَنَسَ مَا خَبَرَ النَّاعِي وَنَاجَانَا
وَمَا سَمِعْتُ الَّذِي أَنْكَيْ وَأَبْكَانَا
لَوْ أَنَّ لِلصَّخْرِ قَبْلَ الْيَوْمِ آذَانَا
بِالدَّمْعِ لَوْ وَجَدَتْ لِلدَّمْعِ أَجْفَانَا
« يَقَطُّعُ اللَّيْلُ تَسْبِيحاً وَقُرْآنَا »^(٢)
مِنْ بَعْدِ فَقْدِكَ فِيهِ قَطُّ إِنْسَانَا
وَفِي تَدْبِيرِهِ كَمْ رُحْتَ وَلَهَانَا
لِلصَّفِّ الْأَوَّلِ فِي الْأَسْحَارِ عَجَلَانَا
أَتَيْنِ حَتَّى لَقَدْ أَمْسَيْتِ خُمْصَانَا
فَكُنْتُ خَيْرَ وَزِيرٍ قَطُّ مَا خَانَا
حَتَّى تَفِيضَ بِكَ الْأَمْوَالُ طُوفَانَا^(٣)
وَبِالْكِتَابَةِ كَمْ شَرَّفْتَ دِيْوَانَا
وَفِي الْحِجْلِ حُجَّةٌ وَالْعِلْمُ نَهْلَانَا^(٤)

(١) في أ، م : × في الأشجار أشجانا .

(٢) في أ، م : مَنِ لِلْأَنَامِ . ×

والعجز مضمّن من قول حسان بن ثابت في رثاء سيّدنا عثمان : [ديوانه ٩٦/١ « عرفات »]
صَحَّحُوا بِأَشْطَ عَنَوَانُ السُّجُودِ بِهِ يَقَطُّعُ اللَّيْلُ تَسْبِيحاً وَقُرْآنَا

(٣) في س : صدر هذا البيت مع عجز الذي يليه ، ثم صدر الذي يليه مع عجز هذا البيت ! .

(٤) في ب : × سلطانا .

ثُمَّ اغْتَزَلَتْ الْوَرَى مِنْ غَيْرِ مَا سَبَبِ
وَمَنْ أَرَادَ مِنَ الْأُخْرَى جَوَاهِرَهَا
وَكَانَ أَزْبَحَ مَالاً عِنْدَ خَالِقِهِ
فَاذْهَبْ فَأَيُّ ضَرِيحٍ بَتَّ سَاكِنُهُ
[٥١ ب] وَلَمْ يَمُتْ مَنْ بَنُوهُ سَادَةٌ نُجُبٌ
وَجَمَلُوا الْمُلْكَ إِذْ زَانُوا مَنَاصِبَهُ
إِنْ كُوتِبُوا أَوْ لُقُوا أَوْ خُوطِبُوا وَجِدُوا
بَهَاؤُهُمْ مَا يُيَاهِي عَزْمَهُ أَحَدٌ
وَمَا شِهَابُهُمْ خَافٍ بِمُطْلَعِهِ
تَعَزَّى يَا شَرَفَ الدِّينِ الَّذِي قَبَضَتْ
بِيَانُهُ ظَاهِرٌ لَوْ أَنَّ رَوْنَقَهُ
تَاللهِ مَا دَارَ كَأْسٌ مِنْ بِلَاغَتِهِ
لَهُ عِبَارَاتٌ نَظِمَ كُلَّمَا سَحَبَتْ
مِثْلَ « الْعُيُونِ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ
فَالنَّاسُ فِي حَلَبٍ حَلَّتْ بِهِمْ نُهْمٌ
فَلَا يُسْرِعُ لَكُمْ سِرْبٌ بِحَادِثَةٍ
وَلَا يَكْدُرُ لَكُمْ سِرْبٌ بِنَازِلَةٍ
تَحْقُقْكُمْ بَرَكَاتٌ مِنْ تَقَاهُ فَقَدْ

إِلَّا لِيَطْلُبَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانًا^(١)
أَبَاعَ أَعْرَاضَ هَذِي الدَّارِ مَجَانًا^(٢)
وَرَأَى الثَّرَابَ بِهِ رَوْحاً وَرِيحَانَا
لَمَّا بَنَى مَجْدَهُمْ شَادُوهُ إِنْقَانَا
وَأَلْبَسُوهَا مِنَ الْعَلْيَاءِ تِنِجَانَا
فِي الْخَطِّ وَاللَّفْظِ وَالْهَيْجَاءِ فُرْسَانَا
وَفِيهِمْ شَرَفٌ بَاقٍ لَهُمْ زَانَا
كَمَا كَمَا لَهُمْ قَدْ حَارَ إِحْسَانَا
يُمْنِي عُلَاهُ مِنَ الْعَيْثُوقِ أَرْسَانَا
لِلْبَذْرِ لَمْ يَخْشَ عِنْدَ السَّيْرِ نُقْصَانَا
عَلَيَّ إِلَّا أَهْزَ الْعُطْفَ نَشْوَانَا
ذُبُولَهَا أَغَثَرْتُ فِي الْحَالِ سَخْبَانَا
قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُخَيِّنَ قَتْلَانَا^(٣)
وَأَصْبَحَ الْقَوْمُ خُرْساً فِي خُرَاسَانَا
وَلَا رَمَى شَأْنَكُمْ خَطْبٌ وَلَا شَانَا^(٤)
وَلَا حَدَثَ لَكُمْ الْأَخْدَاتُ أَظْعَانَا^(٥)
أَخَذْتُمْ مِنْهُ حِزْزاً مِنْ سُلَيْمَانَا

- (١) عجزه من بيت عمران بن حطان : [شعر الخوارج ٢٦]
يا ضريبة من تقى ما أراد بها
إلا ليلخ من ذي العرش رضوانا
(٢) في م : × ابتاع أعراض هذا الذكر مجانا .
(٣) البيت لجبر : إن العيون . . . [ديوانه ١٦٣ / ١] .
(٤) لفق في أو أعيان العصر من صدر هذا البيت وعجز الذي يليه بيتا .
(٥) في م : ولا [بياض] لكم شرب بنازلة × .

يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي مَا عِنْدَهُ مِنَ الْأَلَمِ ^(١) لِهَذِهِ النَّازِلَةِ ، وَالْقَلَقِ لِهَذِهِ الرَّزِيَّةِ الَّتِي جَعَلَتِ الدُّمُوعَ هَامِيَةً هَامِلَةً ، وَالْجَزَعَ لِهَذِهِ الْحَادِثَةِ الَّتِي تَرَكَتْ الْجَوَانِحَ حَامِيَةً ، فَلَيْتَ الْقُوَى لَوْ كَانَتْ حَامِلَةً ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ، قَوْلَ مَنْ فَقَدَ جَمَالَهُ ، وَعَدِمَ صَبْرَهُ وَاحْتِمَالَهُ ، وَفَجَعَهُ الدَّهْرُ بِوَاحِدِهِ الَّذِي مَا رَأَتْ عَيْنُهُ مِثَالَهُ ؛ رَحِمَ اللَّهُ ذَلِكَ الْوَجْهَ الْجَمِيلَ ، وَقَدَّسَ تِلْكَ السَّرِيرَةَ الَّتِي كَانَ الصِّفَاءُ لَهَا أَلْزَمَ زَمِيلٍ ، وَمَا بَقِيَ غَيْرُ الْأَخْذِ فِي مَا وَقَعَ بِالسُّنَّةِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى فَقْدِ مَنْ أَثَارَ النَّارَ فِي الْفُؤَادِ وَسَكَنَ الْجَنَّةَ .

وَقَدْ جَهَّزَ الْمَمْلُوكُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ الَّتِي يَسْبُحُ نُورُهَا فِي الْهَمِّ فِي يَمٍّ ، وَيُشْرَحُ فِي هَذَا الْمَأْتَمِ مَا تَمَّ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكُتِبَ هُوَ الْجَوَابُ إِلَيْ ^(٢) :

يُقْبَلُ كَذَا ، وَيُنْهِي وَرُودَ الْمِثَالِ الشَّرِيفِ ، يَتَضَمَّنُ تَعَزِيَةً حَسَنَ لَفْظُهَا ، وَأَثَرَ فِي الْقُلُوبِ وَعَظُهَا ، وَتَعَيَّنَ تَسْطِيرُهَا فِي صَحَائِفِ الْأَفْكَارِ وَحِفْظُهَا ؛ فَوَقَفَ الْمَمْلُوكُ عَلَى مَحَاسِنِهَا وَأَحَاسِنِهَا ، وَشَمَلَتْهُ مَن مَكَامِنِهَا بِمَيَامِنِهَا ، وَتَسَلَّى بِمَا حَوَتْهُ مِنْ مُفْضَلِ الرِّثَاءِ وَمَجْمُوعِهِ ، وَأَسَالَ مِنْ أَجْفَانِهِ دَمًا بَدَلَ دُمُوعِهِ ، فَيَا لَهَا مِنْ رَزِيَّةٍ عَظُمَتْ فِيهَا الْمَأْتَمُ ، وَمُصَابٍ كَشَفَتْ حُجُبُهُ السُّلَيْمَانِيَّةُ عَنْ حَزَنِ لَهُ خَاتَمٍ ، وَتَحَقَّقَ الْمَمْلُوكُ مِنْ أَثْنَاءِ آيَاتِ الْقَصِيدَةِ التَّوْنِيَّةِ بَرَكَاتِ ذِي التَّوْنِ ، وَنَظَرَ إِلَى نُورِهَا وَقَدْ غَاصَ فِي بَحْرِ الْفَضَائِلِ ، فَاسْتَخْرَجَ دُرَّةَ الْمَكْنُونِ .

وَقَدْ كَتَبَ الْمَمْلُوكُ جَوَابَ مَوْلَانَا مُعْتَرِفًا فِيهِ بِالتَّقْصِيرِ ، مُعْتَرِفًا مِنْ مَنَهْلِ فَضْلِهِ الْغَزِيرِ ؛ وَهُوَ ^(٣) : [مَنْ الْبَسِطُ]

(١) « مِنَ الْأَلَمِ » سَاقِطَةٌ مِنْ أ ، م .

(٢) الْجَوَابُ بِشْرُهُ وَشِعْرُهُ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ .

(٣) مِنْهَا تِسْعَةُ آيَاتٍ فِي الْمَتْنِ مِنْ دُرَّةِ الْأَسْلَافِ ٢٤٧ .

جَدَّدَتْ فِي الْقَلْبِ آلاماً وَأَحْزَاناً
فَاعْجَبَ لِحَفْنٍ يُغِيضُ الْمَاءَ مَذْمَعُهُ
عَزَّيْتَنَا فِي أَيْنَا فَاكْتَسَبَتْ بِهِ
أَكْرِمَ بِهِ مِنْ أَبٍ شَاعَتْ مَنَاقِبُهُ
كَمْ بَاتَ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ مُتَتَّصِباً
كَمْ خَتَمَتْهُ قَدْ تَلَاهَا فِي النَّهَارِ وَكَمْ
[١٥٢] وَلَا زَمَ الصَّوْمَ أَوْقَاتَ الْهَوَاجِرِ لَا
وَكَانَ يَخْشُنُ فِي دِينِ الْإِلَهِ تُقَى
وَكَانَ يُخْشَى وَيُرْجَى فِي نَدَى وَرَدَى
شَبْنَا وَأَذْهَلْنَا عُظْمُ الْمُصَابِ بِهِ
سَارَتْ جِنَازَتُهُ وَالْخَلْقُ تَتَّبَعُهَا
حَتَّى مَلَائِكَةُ الرِّضْوَانِ مُذْ عَلِمُوا
نَعَى الثُّعَاءِ وَضَجَّوْا بِالنَّعَى لَهُ
جَارَ الزَّمَانُ وَلَمْ يَقْصِدْ بِمَضْرَعِهِ
إِنَّ الْخُطُوبَ الَّتِي سَاقَتْ مَيِّتَهُ
مَنْ ذَا يُؤَفِّي عُلَاهُ بِالرِّثَاءِ وَلَوْ
لَمْ أَقْضِ بِالشُّعْرِ حَقّاً مِنْ عُلَاهُ وَلَوْ
لَوْ قِيلَ مَنْ فَاقَ أَرْبَابَ الصَّلَاحِ تُقَى

أَسَالَتِ الدَّمْعَ مِنْ جَفْنِي طُوفَاناً
وَمُهْجَةً تَلْتَظِي بِالْحُزْنِ نِيرَاناً
أَجْراً وَأَوْلَيْتَنَا فَضْلاً وَإِحْسَاناً
فِي النَّاسِ وَاشْتَهَرَتْ بِالْجُودِ إِعْلَاناً
فِي خِدْمَةِ اللَّهِ يَقْضِي اللَّيْلَ يَقْطَاناً
أَفْنَى الْخَنَادِسَ تَسْبِيحاً وَقُرْآناً
يَزْتَدُّ عَنْ صَوْمِهِ دِيناً وَإِيمَاناً
«عِنْدَ الْحَفِيزَةِ إِنْ ذُو لَوْثَةٍ لَنَا» (١)
وَالصَّعْبُ مِنْ رَأْيِهِ تَلْقَاهُ قَدْ هَانَا
فَكُلُّ صَبٍّ بِهِ ذَهْلُ بْنُ شَيْبَانَ
وَالْحُزْنُ قَدْ عَمَّهُمْ فِيهَا وَغَشَّانَا
«طَارُوا إِلَيْهِ زُرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا» (١)
فَأَوْرَثُوا الْقَلْبَ أَحْزَاناً وَأَشْجَانَا
إِلَّا لِيَهْدِمَ لِلْمَعْرُوفِ أَرْكَانَا
«قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَ قَتْلَانَا» (٢)
كَانَ الْمُرْتِي لَهُ قَسّاً وَسَحْبَانَا
نَظَّمْتُ فِي كُلِّ يَوْمٍ فِيهِ دِينُونَا
كَانَ الْجَوَابُ سُلَيْمَانَ بْنَ رِيَّانَا

(١) العجز مضمّن من قول قريط بن أنيف : [شرح الحماسة للمرزوقي ٢٥/١]

إذا لِقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرَ خُشْنٍ

قَوْمٌ إِذَا الشُّرُّ أَبْدَى نَاجِذِهِ لَهُمْ

(٢) العجز مضمّن من قول جرير : [ديوانه ١٦٣/١]

إِنَّ الْعَبُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرْضٌ

قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَ قَتْلَانَا

إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُهُ
 حَيَّرْتَنَا بِمِثَالٍ فِيهِ تَعَزِيَّةٌ
 فِيهِ قَرِيضٌ بَدِيعُ النَّظْمِ مُشْتَمِلٌ
 إِنْ رُمْتُ تَشْبِيهَهُ بِالرَّوْضِ كَانَ لَهُ
 الرَّوْضُ يَذْبُلُ فِي وَقْتٍ (٣) وَنَظْمُكَ قَدْ
 أَوْ قُلْتُ أَلْفَاظُهُ مِثْلُ الْكَوَاكِبِ لَمْ
 إِذِ الْكَوَاكِبُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ أَرَى
 لَكِنْ أَقُولُ هُوَ الْعِقْدُ الثَّمِينُ وَقَدْ
 فِي أَحْمَرِ الطَّرْسِ قَدْ سَطَرْتَ أَحْرَفَهُ
 حَفِظْتَ عَهْدَكَ فِي حَالِ الْحَيَاةِ وَمَنْ
 كَذَا تَكُونُ صِفَاتُ الْحُرِّ يَحْفَظُ مَنْ
 بِذَا جَرَتْ عَادَةُ الْأَصْحَابِ تَحْفَظُ فِي
 لَا دُقْتُ فَقَدْ حَبِيبٌ بَعْدَهَا وَحَمَتُ

« أَوْفَى الْبَرِّيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانًا » (١)
 بِهِ أَتَعَطَّنَا وَعَزَّانَا وَسَلَّانَا (٢)
 عَلَى مَعَانٍ حِسَانٍ فَقَنْ حَسَّانَا
 فَضْلٌ عَلَى الرَّوْضِ لَا يَحْتَاجُ بُرْهَانَا
 وَقَاهُ فِكْرُكَ طُولَ الدَّهْرِ مَا شَانَا
 أَكُنْ مُوَفِّقَهُ بِالْوَصْفِ تَيْنَانَا
 أَنْوَارَهَا تَخْتَفِي فِي الْجَوِّ أَحْيَانَا
 نَظَّمْتَ أَلْفَاظَهُ دُرًّا وَعِيقَانَا
 كَالدُّرِّ خَالِطَ يَاقُوتَا وَمُرْجَانَا
 بَعْدَ الْمَمَاتِ فَحَيَّا اللَّهُ مَوْلَانَا
 يُحِبُّهُ وَيُؤَافِي كَيْفَ مَا كَانَ
 عَهْدَ الْمَوَدَّةِ أَصْحَابًا وَإِخْوَانَا
 وَقَايَةَ اللَّهِ مَوْلَانَا وَإِيَّانَا

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ أَيْضًا ، وَهُوَ بِطَرَابُلُسَ ، لُغَزَاءً فِي الْمِثْلَةِ ، وَهُوَ (٤) :

مَا اسْمٌ إِنْ قَصِدَ تَعْرِيفُهُ فَهُوَ مَعْرُوفٌ ، وَإِنْ طُلِبَ وَجِدَ فِي جُمْلَةِ الطَّرُوفِ ،
 خُمَاسِيٌّ وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا أَرْبَعَةُ حُرُوفٍ ؛ حَارَ النَّحْوِيُّ فِي تَصْرِيفِهِ ، وَعَجَزَ عَنِ
 تَأْلِيفِهِ ؛ مَفْعُولٌ وَهُوَ مَرْفُوعٌ ، مَحْمُولٌ وَهُوَ مَوْضُوعٌ ، مَبْنِيٌّ يَدْخُلُهُ الْإِعْرَابُ ،
 مَرْفُوعٌ وَهُوَ بَاقٍ عَلَى الْإِنْتِصَابِ ، يَقْبَلُ التَّصْغِيرَ وَالتَّكْبِيرَ ، وَفِيهِ التَّأْنِيثُ

(١) العجز مضمّن من قول عمران بن حطان : [شعر الخوارج ٢٦]

إِنِّي لِأَذْكُرُهُ يَوْمًا فَأَحْسِبُهُ أَوْفَى الْبَرِّيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانًا

(٢) فِي س ، م : جَبَّرْتَنَا . . . X .

(٣) « وَقْتُ » سَاقِطَةٌ مِنْ م .

(٤) النَّصُّ فِي الْوَاقِفِ ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ فِي الْغَيْثِ الْمَسْجُومِ ٢١٩ . وَعِبَارَةٌ « هُوَ إِلَيَّ أَيْضًا » مِنْ م .

والتذكير ، لا يصح فيه معنى العطف ، ولا يدخله من الحركات إلا الوقف ، لا يستعمل إلا في النداء ، ولا يُعرب إلا وهو باقي على البناء ؛ وفيه نوعان من أدوات الشرط والجزاء ، له هيئة إلى التبصرة مفتقرة ، وشكل خطوطه في الهندسيات معتبرة ، وأضلاع قامت في البسيط على كُرّة ، وزوايا قائمة حدثت على مُنفرجة ، ومعانٍ دقيقة زادت على درجة ، والفقيه يرى أنه مُحَرَّم الابتِيع ، ويُندب إلى المُنادة عليه بشرط الاتِّباع ، مع أنه عَيْن طاهرة يصح بها الانتفاع ؛ كم صَلَّى خَلْفَ إِمَامٍ ، واقتدي به وهو أَمَامٌ ، حيناً يوجد في الشَّام ، وحيناً في بيتِ الله الحَرَامِ ، وحيناً تراه قائماً في ظلام اللَّيْلِ والنَّاسُ نِيَامٌ ؛ والعروضي [٥٢ ب] يعلم أنه بيت برع حسناً ، واستقام وزناً ، ونظم على البسيط وهو طويل ، وزُكِبَ من سببين خفيف وثقيل ، ينزحفت بحذف فاصلة صغرى^(١) ، ويتغيّر وزنه فتري فيه كسراً ، خمسه حرف من الحروف^(٢) ، وبعضه في بعضه يطوف ، وإن حذف أوله فباقيه بلدٌ معروف^(٣) ، ومع ذلك فكل حرف منه ساكن يصح عليه الوقوف ، وفيه أعمال أقصرت عنها ، واختصرت منها ، خيفة الملل ، وتخفيفاً في العمل ، وقد قصدت بيان الجواب ، ورصدت إحسان الجناب ، والله الموفق إن شاء الله تعالى للصواب .

● فكتبُ أنا إليه^(٤) : [من البسيط]

وإن صَخراً لتأتُم الهداة به كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ^(٥)

(١) في س : فاصلة كبرى . خطأ .

(٢) يريد : إذ .

(٣) يريد : أذنة .

(٤) النص في الوافي حتى نهاية الآيات الأربعة الآتية .

(٥) البيت للخساء ، في ديوانها ٣٨٦ .

لَحَقِيقُ بَأَن يَصِفَهُ مَوْلَانَا وَصَفَ الْخَنَسَاءَ ، وَيُعَدِّدُ مُحَاسِنَهُ الَّتِي أَزَيْتَ كَثَرَتُهَا
عَلَى رَمَلَةِ الْوَعْسَاءِ ، وَيَسْتَغْرِقُ أَوْصَافَهُ الَّتِي اسْتَوْعَبَ فِي سَرِّدِهَا ، وَيَرَكُضَ فِي
مَيَادِينِ الْبَلَاغَةِ عَلَى مُطَهَّمَاتِ نُعُوتِهِ وَجُرِّدِهَا ، حَتَّى أَبْدَعَ فِي مَقَاصِدِهِ الَّتِي وَقَفَ
لَهَا كُلُّ سَائِلٍ ، وَقَالَ فَلَمْ يَتْرُكْ مَقَالاً لِقَائِلٍ ، وَفَتَحَ بَاباً لَيْسَ لِلنَّاسِ عَلَيْهِ طَاقَةٌ ،
وَأَصْبَحَ فِي التَّقَدُّمِ لِعِصَابَةِ الْأَدَبِ رَأْساً وَالنَّاسُ سَاقَةٌ ، لَا جَرَمَ أَنَّ هَذَا الْمُتْلِغَ
فِيهِ ، قَالَ بَعْضُ وَاصِفِيهِ^(١) : [من الخفيف]

عَلَمٌ مُفْرَدٌ فَإِنْ رَفَعُوهُ رَفَعُوهُ قَصْداً لِأَجْلِ النَّدَاءِ
أَنَّثُوهُ وَمِنْهُ قَدْ عُرِفَ التَّذْكِيرُ فَاَنْظُرْ تَنَاقُضَ الْأَشْيَاءِ
وَأَمَّا الْمَمْلُوكُ فَإِنَّهُ يَقُولُ فِيهِ : إِنَّهُ صَاحِبُ الرِّبَاطِ وَالزَّوَايَةِ ، وَالْمَقَامِ الَّذِي
يُقَالُ لِقَاعِدَتِهِ : الْجَبَلُ يَا سَارِيَّةُ ، وَالْقِسْمَةِ الَّتِي هِيَ عَلَى صِحَّةِ الْاِخْتِلَافِ
مُنْسَاوِيَّةُ ، كَم فِي الزَّوَايَا مِنْ خَبِيَّةٍ حَنِيَّةٍ ؟ وَكَم عُلِّقَ عَلَيْهِ ذُرِّيَّةٌ مِنَ الْكَوَاكِبِ
الدَّرِّيَّةِ ؟ كَم رَأَى النَّاسُ فِي قِيَامِهِ مِنْ قَاعِدَةٍ ، وَكَم لَشَهَادَتِهِ مِنْ كَلِمَةٍ إِلَى الْعَرْشِ
صَاعِدَةٍ ؟ وَكَم تَلَيَّثَ عَلَى الصَّخْرِ مِنْهُ آيَةٌ مِنَ الْمَائِدَةِ ؟ يَكَادُ مَنْ عَلَاهُ يُسَامِرُ
النُّجُومَ فِي الدُّجْنَةِ ، وَيُرْقَى كُلَّ حِينٍ وَلَيْسَ بِهِ فِي النَّاسِ جِنَّةٌ ؛ هِلَالُهُ لَا يَزِيدُ
وَلَا يَنْقُصُ فِي الطَّرْفِ ، وَرَاقِيهِ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ، قَدْ حَسُنَ مِنْهُ عَكْسُهُ
الْمُصَحَّفُ ، وَعَظُمَ قَدْرُهُ فِي الْبِنَاءِ فَلَا بَدْعَ إِذَا تَشَرَّفَ ؛ عَجَبَ الْعَرُوضِيِّ مِنْ
بَحْرِهِ الطَّوِيلِ الْوَافِرِ^(٢) ، وَوَقَفَ عَلَى سَاقٍ وَاحِدَةٍ ، وَكَم كَانَ لَهُ مِنْ حَافِرٍ ،
وَاسْتَقَامَ خَطُّهُ وَفِيهِ الدَّائِرُ ، وَشَاهَدْنَا الْقَرْنَصَةَ فِيهِ وَهُوَ غَيْرُ طَائِرٍ ، وَأَقَامَ مَكَانَهُ
وَنَدَاؤُهُ لِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ سَائِرٌ ؛ يُجِيبُ نِدَاءَهُ الْمُلُوكُ وَالْمَلَائِكُ ، وَيُرَى مِنْ يَغْلُوهُ
وَهُوَ مُتَكَيِّئٌ عَلَى الْأَرَائِكِ^(٣) : [من الطويل]

(١) البیتان من قطعة لابن خلكان ، في الغيث المسجم ٢١٩/٢ .

(٢) في ب : من بسطه الطويل الوافر . وفي م : من بحره الطويل الزاخر .

(٣) الثالث والرابع من الأبيات في الغيث المسجم ٢١٩/٢ .

إِذَا مَا اطْمَأَنَّتْ دُونَهُ السُّحُبُ إِنَّهُ لَهُ هِمَّةٌ لَمْ تَرْضَ إِلَّا التَّأْهِيًا
وَحَسْبُكَ أَنَّ الْقَائِمِينَ بِحَقِّهِ يَحُوزُونَ فِي الدَّارَيْنِ مِنْهُ الْمَعَالِيَا
شَهَادَتُهُ مَا رَدَّهَا غَيْرُ كَافِرٍ وَيَقْبَلُهَا مَنْ كَانَ بِالْحَقِّ قَاضِيَا
يَقُولُ مُعَانِي الطَّبِّ يَا عَجَباً لَهُ يَصِحُّ وَقَدْ ضَمَّتْ حَشَاهُ الْمَرَاقِيَا
الْتَقَطَ الْمَمْلُوكُ هَذِهِ الْأَوْصَافَ مِمَّا غَادَرَهُ سَيْلُ مَوْلَانَا الْمُجْتَحِفُ ،
وَتَذَكَّرَهَا مِنْ فَوَائِدِهِ الَّتِي مَا يَزَالُ يَخْتَفِلُ بِهَا إِذْ يَلْتَحِفُ ، فَإِنْ صَادَفَتْ مَحَلًّا مِنْ
خَاطِرِهِ فَقَدْ تَرَقَّى إِلَى مَا تَرَقَّبَ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا مَوْقِعٌ فَأَيْنَ كَلَامُ مَوْلَانَا ، وَهُوَ
الدُّرُّ الَّذِي تَنْظَمُ ، مِنْ كَلَامِ الْمَمْلُوكِ وَهُوَ الْجَزْغُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبْ^(١) .

وَلَمَّا وَصَلَ فَلَانَ الدِّينِ ، أَوْقَفَ الْمَمْلُوكُ [١٥٣] عَلَى هَذَا اللَّغْزِ الَّذِي أَنْشَأَهُ
مَوْلَانَا ، فَأَنْشَأَ لَهُ الطَّرَبَ ، وَأَحْدَثَ لَهُ الْعَجَبَ ، وَتَأَمَّلَ تِلْكَ الْمَقَاصِدَ الَّتِي
قَصَدَهَا وَوَرَّأَهَا ، وَأَخْفَى مَأْخِذَهَا وَعَمَّاها ، فَوَجَدَهَا مَسَالِكَ لَا يَهْتَدِي مِنْهَا
الْبِزْبُورُ لِنَافِقَائِهِ ، وَقَالَ : كَذَا يَكُونُ سُلُوكُ الْأَدَبِ الَّذِي طَالَ عَهْدُ الزَّمَانِ بِهِ
وَبِأَبْنَائِهِ ؛ وَالزَّرَمَ الْمَمْلُوكُ الْمَوْلَى فَلَانَ الدِّينِ بِالْجَوَابِ ، فَاسْتَعْفَى مِنْ هَذَا
الْمَقَامِ الَّذِي تَزَلُّ فِيهِ أَقْدَامُ التَّخَيُّلِ ، وَيَعْمَى الصَّوَابُ فِيهِ عَنْ طَرِيقِ التَّحْيُلِ ، فَمَا
أَقَالَهُ مِنْ هَذِهِ الْوَرْطَةِ ، وَقَالَ : أُرِيدُ الْجَوَابَ وَشَرْطُهُ ؛ فَأَخَذَ الْمَمْلُوكُ عَلَى
مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْهُمُومِ الَّتِي تَعْتَلِجُ فِي صَدْرِهِ ، وَتَتَاوَلَ الْقَلَمَ ، وَالْقَلْبُ فِي ضَيْقِ
أَنْبُوبِهِ ، وَالْوَرَقُ وَالْحَالُ أَرْقُ مِنْ طَرْسِهِ ، وَالْمِدَادُ وَالْوُجُودُ فِي عَيْنِهِ أَشَدُّ سَوَادًا
مِنْ حَبْرِهِ ؛ وَكَتَبَ وَقَدْ أَعْجَبَهُ طَنِينُ رَأْسِهِ ، وَسَوَّدَ وَجْهَهُ حَطُّهُ بِحَطِّهِ لَا صَفْحَةَ
قُرْطَاسِهِ ، وَقَدْ عَطَفَهَا عَلَيْهِ وَآرَاؤُهُ الْعَالِيَةِ فِي كَيْتَمَانِ سِرِّهِ مِنْ مَسَاوِيهِ ، وَالْوُقُوفِ
عَلَيْهِ إِنْ كَانَ هَذَا الْقَدْرُ يُسَاوِيهِ .

(١) من قول امرئ القيس : [ديوانه ٥٣]

كَأَنَّ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خَبَاتِنَا وَأَرْحَلُنَا الْجَزْغُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبْ

● وكتبْتُ أنا إليه من طَبْرِئَةٍ ، ونحنُ بِصَفَدِ المحروسة ، في سنة

٧٢٠ (١) : [من الكامل]

وَقَلْبُونَا مِنْ شَوْقِهَا تَتَضَرَّمُ
وَالْمَوْجُ يَنْزِلُ فِي قَفَاهُ وَيَلْطِمُ
غَيْظاً وَفِي حَافَاتِهِ يَتَبَسَّمُ
دُرَّرُ ثُبْتُ عَلَى الْمِيَاهِ وَتُنْظَمُ
سَطْرًا عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ يَتَزَجَمُ
يَجْرِي بِهَا لِلتَّبَرِّ نَهْرٌ مُفْعَمُ
لَمَّا تَرَاءَتْ فِي حِشَاهُ الْأَنْجُمُ
أَبْدَأَ بِهِ ظِلْمُ الدُّجَى تَتَضَرَّمُ
وَجَوَى وَلَكِنَّ الْعُيُونَ تَنْعَمُ
وَجْهَ الْمَسَرَّةِ كَالِحاً يَتَجَهَّمُ
مَأْوَى وَأَنَّ الْبُعْدَ عَنْكَ جَهَنَّمُ
وَالْوَجْدُ أَقْتَلُ وَالتَّصَبُّرُ أَرْحَمُ
اللَّهُ وَالشَّوْقُ الْمُبْرِّحُ أَعْلَمُ (٢)

وَلَقَدْ نَزَلْنَا الْبَحْرَ مِنْ طَبْرِئَةٍ
وَكَمَا عَلِمْتَ لِكُلِّ بَحْرِ سَاحِلُ
وَاللُّجُ عَبَسَ وَجْهَهُ مِنْ مَوْجِهِ
وَحَبَابُ ذَاكَ الْمَوْجِ تَحْسَبُ أَنَّهُ
وَالْبَدْرُ قَدْ كَتَبَتْ أَشْعَةُ نُورِهِ
فَكَأَنَّمَا هُوَ رَوْضَةٌ مِنْ سَوَسَنِ
وَكَأَنَّمَا شَرَّرَ حَوَاهُ دُخَانُهُ
مَا شَاقَنَا إِلَّا مُحَيَّاكَ الَّذِي
فَنَفْسُنَا تَشْقَى لِبُعْدِكَ وَخَشَّةُ
وَالْأَنْسُ بَعْدَكَ وَخَشَّةُ فَقَدْ اغْتَدَى
مَا كُنْتُ أَذْرِي أَنَّ قُرْبَكَ جَنَّةُ الْ
حَتَّى ازْتَحَلْتُ وَفِي الْحِشَا مَا فِي الْحِشَا
لَا تَسْأَلَا عَنْ حَالَتِي وَصَبَابَتِي

● وكتبَ هو إليَّ من حَلَبِ المحروسة ، في سنة ٧٥٣ : [من الطويل]

وَلَوْ حَصَلَ الْإِنْصَافُ نِلْتُ أَجَلَهَا
إِلَى رُتَبٍ كَانَتْ مِنْهُمْ أَقْلَهَا
بَطَائِفَةٍ قَدْ رَكِبَ الْمَالُ جَهْلَهَا
وَكَانُوا قَدِيمًا قَبْلَ ذَاكَ أَذْلَهَا

تَرَقَّيْ إِلَى الْعُلَيَاءِ مَنْ لَيْسَ أَهْلَهَا
تَرَقَّوْا بِفَرْطِ الْجَهْلِ وَالْمَالِ فِي الْعُلَا
بُلَيْتُ مِنَ الْأَيَّامِ فِيمَا أَرَوَّمُهُ
وَقَدْ أَضْبَحُوا بَيْنَ الْبَرَايَا أَعَزَّهَا

(١) في م : سنة خمس وعشرين وسبعمئة ! .

(٢) في ب ، م : لا تسألن x .

صُرُوفُ اللَّيَالِي قَدْ تَضَاعَفَ جَوْرُهَا
أَرْجِي بُلُوغَ الْقَصْدِ مِنْ رُتَبِ الْعُلَا
لَعَلَّ لَهَا عُذْرًا عَنِ الْغَدْرِ بِي وَلِي
وَلِي عُقْدَةٌ فِي الرُّزْقِ أَحْكَمَ عَقْدُهَا
أَعَالِجُ فِيهَا كُلِّ وَفَتْ فَتَلْتَوِي
وَمَا جَادَ شِعْرُ ابْنِ الْحُسَيْنِ لِأَنَّهُ
هِيَ النَّفْسُ لَا تَرْضَى بِعَيْشٍ مُنْغَصٍ
فَأَصْدَرْتُهَا عَنْ مَوْرِدِ الْحِرْصِ وَالْعَنَا
[٥٣ ب] أَصَوِّغُ مِنَ الدُّرِّ النَّفِيسِ قِصَائِدًا
إِذَا أُنْشِدَتْ فِي مَحْفَلٍ قَالَ أَهْلُهُ
وَلَوْ فَهِمُوا حُسْنَ الْبَدِيعِ الَّذِي بِهَا
تُعَابُ بِقُرْبِ الْعَهْدِ لَوْ أَنَّ عَهْدَهَا
وَبِي غَادَةٌ كَالْغُصْنِ أَزْوَاقُ شَعْرِهَا
تَرَامِي عَلَى أَقْدَامِهَا مُتَشَفِّعًا
حَوَاجِبُهَا مِثْلُ الْقَيْسِي إِذَا رَنْتَ
وَحْضَرُ دَقِيقُ أَثْقَلْتَهُ رَوَادِفُ
فَقُلْتُ لِقُضْبِ الْبَانِ : مَا أَنْتِ قَدْهَا
مِنَ التُّرْكِ ضَاقَتْ عَيْنُهَا بِبُوصَالِهَا
إِذَا مَا أَحَسَّ الْقَلْبُ مِنْهَا بِسَلْوَةٍ
تَجَنَّتْ عَلَى ضِعْفِي وَأَبَدَتْ مَلَالَةً

أَمَّا حَلَّهَا أَنْ يَسُطَّ الدَّهْرُ عَذْلَهَا
إِذَا لَمْ يَنْلِ مِثْلِي الْمَعَالِي فَمَنْ لَهَا
مِنْ اللَّهِ أَلْطَافُ تَهَوُّنُ فِعْلَهَا
بِغَيْرِ الرِّضَا وَالصَّبْرِ لَمْ أَرِ حَلَّهَا
عَلَيَّ وَأَمَالِي تَقُولُ : لَعَلَّهَا
فَصِيحٌ وَلَكِنَّ اللَّهَى تَفْتَحُ اللَّهَا^(١)
وَتَأْنَفُ مِنْ أَنْ تَقْتَضِيَ الْحَالَ ذُلَّهَا
وَأُورِدْتُهَا حَزْنَ الْأُمُورِ وَسَهْلَهَا
وَأَيْنَ الَّذِي فِي النَّاسِ يَعْرِفُ فَضْلَهَا
جَوَاهِرُهَا فِي الْحُسْنِ لَمْ نَرِ مِثْلَهَا
أَقْرُوا وَقَالُوا : مَا سَمِعْنَا قَبْلَهَا
قَدِيمٌ لَكَانَتْ تُفْحِمُ الْعُرْبُ كُلَّهَا
عَلَى عِطْفِهَا قَدْ أَسْبَغَ اللَّهُ ظِلَّهَا^(٢)
إِلَيْهَا بِهَا فِي مُغْرَمِ رَامٍ وَصَلَّهَا
لَوَاحِظُهَا تَزْمِي إِلَى الْقَلْبِ نَبْلَهَا
إِذَا مَا مَشَتْ يَسْتَعْظِمُ الْخَضِرُ حَمْلَهَا
وَأَزْدَافُهَا : يَا حِقْفُ مَا أَنْتِ حَمْلَهَا
تَضَائِقُهَا بِالْوَصْلِ أَوْجَبَ بُخْلَهَا
تَشَفَّعَ بِالْوُدِّ الصَّحِيحِ فَسَلَّهَا
فَقُلْتُ وَقَدْ قَبَلْتُ إِذْ ذَاكَ رِجْلَهَا

(١) ابن الحسين : أحمد بن الحسين المصنفي .

(٢) في ب : ولي غادة x .

أَنْزَعَيْنَ أَنْ أَقْضِيَ ؟ وَكَانَ جَوَابُهَا :
 إِذَا اجْتَهَدَ اللُّوَامُ فِيَّ بِعَذْلِهِمْ
 وَإِنْ أَظْلَمْتُ سُبُلَ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى
 خَلِيلِي خَلِيلٌ لَسْتُ أَنْسَى وَدَادَهُ
 تَغَافَلَ عَنْ وَدْدِي وَأَهْمَلَ جَانِبِي
 لَقَدْ أَوْحَشْتُ دَارِي لِتُعْدِ مَزَارِهِ
 فَهَلْ يُمَكِّنُ الدَّهْرُ الْخَوَوْنَ اجْتِمَاعَنَا
 أَلَيْسَ لِهَذَا الْبُعْدِ مِنْكَ نِهَايَةٌ
 مُحِبٌّ عَلَى صِدْقِ الْوَدَادِ مُحَافِظٌ
 عَلَيْكَ سَلَامِي مِثْلَمَا هَبَّتِ الصَّبَا

يُقَبِّلُ الْأَرْضَ الَّتِي مَا بَرَحَ يَشْتَاقُهَا ، وَالْيَدَ الشَّرِيفَةَ الَّتِي مِنْهَا فِي الْأَعْنَاقِ
 أَطَوَّقَهَا ، وَيَتَشَوَّفُ إِلَى مُشَاهَدَةِ طَلْعَتِهِ الْكَرِيمَةِ فَقَدْ آلَمَهُ فِرَاقُهَا .

وَيُنْهِئِي بَعْدَ أَدْعِيَةٍ يَسْجُعُ فِي أَفْلَاكِ الْقَبُولِ نِطَاقُهَا ، أَنَّ أُمِّئِلَةَ مَوْلَانَا الْعَالِيَةِ قَدْ
 تَأَخَّرَتْ عَنِ الْمَمْلُوكِ أَوْرَاقُهَا ، وَمُنِعَ عَنْهُ إِطْلَاقُهَا ، وَكَانَ يَجِدُ بِهَا مَسْرَةً يَمْتَدُّ
 رِوَاقُهَا ، وَنَشْوَةٌ تُشْرِقُ بِهَا مَشَارِقُ الْقُلُوبِ وَأَفَاقُهَا ، وَلَذَّةٌ لَوْ اخْمَرَتْ طُرُوسُهَا
 حَصَلَ لَهَا فِعْلُ الْمُدَامِ وَلَوْ نَهَا وَمَذَاقُهَا ، فَأَرْسَلَ هَذِهِ الْآيَاتِ مَدْعَاةً لِمَوَدَّتِهِ ،
 وَتَذْكَارًا بِمَا سَبَقَ مِنْ صُحْبَتِهِ ؛ وَهُوَ يَسْأَلُ دَوَامَ الْإِحْسَانِ فِي الْإِنْحَافِ بِأُمْنِيَّتِهِ ،
 وَاللَّهُ يَزِيدُ فِي عُلُوِّ مَرْتَبَتِهِ ، بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكُتِبَتْ أَنَا الْجَوَابُ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ : [مِن الطويل]

مُشَرَّفَةٌ أَلْخَفْتَنِي مِنْكَ ظِلُّهَا
 وَأَعْلَيْتَ قَدْرِي حِينَ أَعْلَيْتَ قِيَمَتِي
 وَبَرَدْتَ قَلْبِي حِينَ أَهْدَيْتَ طَلُّهَا
 فَلَمْ أَلْقَ مَا بَيْنَ الْحَدَائِقِ شَبْهَهَا
 بِلَامِيَّةٍ قَالَ الْجَمَالُ : تَمَلَّهَا
 وَلَمْ أَرِ مَا بَيْنَ الْكَوَاكِبِ مِثْلَهَا

مُخَدَّرَةٍ وَافَتْ عَلَى الْفِطْرَةِ الَّتِي
 مُهَذَّبَةٌ جَاءَتْ فَجَادَتْ تَكْرُمًا
 كَأَنِّي قَيْسٌ وَهِيَ لَيْلَى مَلَا حَةً
 فَأَكْرِمُ بِهَا مِنْ بِنْتٍ فِكْرٍ تَبَرَّجَتْ
 وَزَارَتْ بِإِحْسَانٍ وَقَدْ زَارَتْ بِهَا
 وَلَمَّا أَتَتْ نَحْوِي سَجَدْتُ وَلَمْ أَطُلْ
 فَيَا حُسْنَهَا مِنْ غَادَةٍ قَدْ تَنَازَلَتْ
 وَمَا كُنْتُ لَوْلَا جُودُ مُرْسِلِهَا أَرَى
 أَتَنِّي وَمَا أَبْقَى لِي الشَّوْقُ مُهْجَةً
 فَقَدْ غَسَلْتُ بِالذَّمْعِ أَذْرَانَ وَجَنَّتِي
 وَكَانَتْ بِأَحْسَائِي بَقَايَا تَصْبُرٍ
 فَالزَّمْتُ نَفْسِي بِالْجَوَابِ فَلَمْ يَجْزُ
 وَأَيْنَ مَدَى قَدْرِي فَإِنْ شِئْتَ قُلْ لَهَا
 وَخَيْلِي مَا تَجْرِي بِمِيدَانٍ رَكُضِهَا
 وَجَزَعُ قَرِيضِي مَا يُقَاسُ بِدُرِّهَا
 لَيْسَ عُلَّقْتُ لِلْجَاهِلِيِّ قَصِيدَةً
 وَلَكِنَّهَا رَضْتُ فُؤَادِي إِذْ شَكْتُ
 وَقَدْ يَصْبِرُ الْحُرُّ الْكَرِيمُ عَلَى الْأَذَى
 فَإِنْ تَمَهَّلْ إِنْ أَصَابَتْكَ مِحْنَةٌ
 عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ غَضَبَةٌ
 وَلِي فِيكَ آمَالٌ قَضَى لِي تَقَرُّسِي

بِإِدْرَاكِهَا تَسْمُو الْخَلَائِقَ كُلَّهَا
 عَلَى مُغْرَمٍ مَا زَالَ يَغْهَدُ فَضْلَهَا
 رَأَى دَلَّهَا يَوْمًا فَرَاخَ مُدْلَهَا
 وَزَفَّتْ إِلَى مَنْ لَيْسَ تَرْضَاهُ بَعْلَهَا
 [١٥٤] أَسْوَدُكَ فَاسْتَجَلَى الضِّيَا وَاسْتَجَلَّهَا (١)
 إِلَى تَاجِهَا ذُلًّا فَقَبَّلْتُ نَعْلَهَا
 إِلَيَّ وَإِنْ كَانَ السَّمَاءُ مَحَلَّهَا
 عُيُونِي أَهْلًا أَنْ تُقَارِبَ وَضْلَهَا
 أَعْلَلَهَا بِالْقُرْبِ حَتَّى أَبْلَهَا
 وَقَدْ نَفَضْتُ عَيْنِي مِنَ الدَّمْعِ كُحْلَهَا
 فَمَدَّ إِلَيْهَا الدَّهْرُ كَفًّا وَسَلَّهَا
 لَهَا أَنْ تُعَانِي أَوْ تُعَارِضَ جَزْلَهَا
 فَكُفِّرِي عِنْدِي مَا يُقَاوِمُ قُلُّهَا
 كَذَا يَا سَمِينِي مَا يُوَازِنُ رَطْلَهَا
 كَذَلِكَ خَلَّيَ مَا يُشَابَهُ بِقُلُّهَا
 فَقَدْ عَلَّقْتُ هَذِي عَلَى النَّاسِ قُفْلَهَا
 صُرُوفَ زَمَانٍ مَا يَرَى الْحُرُّ حَمْلَهَا
 إِذَا شِدَّةٌ حَلَّتْ وَبِالصَّبْرِ حَلَّهَا
 فَإِنَّكَ جَرَّعْتَ الْأَعَادِي مُهْلَهَا
 فَكَمْ قَدْ عَلَا فِيهَا امْرُؤٌ كَانَ سُفْلَهَا
 بِصَدَقِ ظُنُونٍ فِيكَ أَنْ لَا أَمَلَهَا

(١) فِي أ : وَقَدْ رَزَأَتْ بِهَا × ! وَفِي م : وَرَادَتْ بِإِكْرَامِ × .

وَالْأَفْهَوْنَ مَا تَرَاهُ مِنَ الْأَذَى
فَهَلْ نَاصِرٌ تَلْقَاهُ أَوْ هَلْ مُسَاعِدٌ
قَدْ اسْتَحْوَذَ الشَّيْطَانُ مِنْهَا عَلَى الْهُدَى
وَكَيْفَ يَجُودُ النَّظْمُ وَالْبُخْلُ قَدْ فَشَا
أَمْوَلَايَ لَا تَجْزَعُ فَإِنَّكَ فَارِسُ الدِّ
سَبْلُغَ مَا أَمَلْتُ يَا مَنْ صِفَاتُهُ
وَيَا مَنْ غَدَتْ أَقْلَامُهُ سَمَهْرِيَّةٌ
نَشَرَتْ لِطَيِّبِ الْمَحَامِدِ بُرْدَةً
وَزِدْتَ بَنِي رِيَّانٍ رِيًّا تَضَوَّعَتْ
وَقُفَّتَ بِمَا قَدْ نَلْتَهُ مِنْ فَصَاحَةٍ
فَقَدْ دُسَّتْ دَوْسًا حِينَ غَالِبْتَ تَغْلِبًا
فَلَا بُدَّ أَنْ تَحْظِيَ بِقُرْبِكَ جَلْقٌ
فَأَنْتَ فَرِيدٌ فِي اللَّيَالِي تَهْتَهَا

يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي وَرُودَ الْمِثَالِ الْعَالِي ، أَعْلَاهُ اللَّهُ وَأَجَلُهُ ، وَوَضَعُهُ
تَاجًا عَلَى فَرْقِ الْفَرْقِدِ وَأَحْلَهُ ، فَوَقَفَ لِرُودِهِ ، وَحَلَّى أُذُنَهُ وَجِيدَهُ بِشُئْنِهِ
وَعُقُودِهِ ، وَانْتَشَقَّ مِنْ آثَارِ أَنَامِلِ مَوْلَانَا أَرْجَ بَانَ الْحِمَى وَزُرُودِهِ ، وَقَبَّلَ شِفَاهَ
سُطُورِهِ^(٤) الَّتِي لَعَسَهَا مِدَادٌ ، وَغَازَلَ مَعَانِيهِ الَّتِي لَمَّا تَمَلَّأَ بِهَا مَلَأَتْ مَحَاجِرَهُ
بِالشُّهَادِ ، وَقَابَلَ مِنْهَا مُحِيًّا مِنْ أَيْنَ لِلْبَدْرِ تَمَامُهُ ، وَبَيَاضَ طَرَسٍ مِنْ أَيْنَ لِلصُّبْحِ
ضِيَاؤُهُ ، وَسَوَادَ نَفْسٍ مِنْ أَيْنَ لِلَّيْلِ ظِلَامُهُ ، وَسِحْرَ أَلْفَاظٍ مِنْ أَيْنَ لِلدَّرِّ قِيمَتُهُ أَوْ

(١) فِي أ ، م : × فَأَبْعَدَهَا فِي حَقِّهِ

(٢) أَزَلَّهَا : ضَيَّقَهَا .

(٣) فِي ب ، س ، م : × شَمَلَهَا .

(٤) فِي م : طَرُوسُهُ .

لِلْعَقْدِ انْتِظَامُهُ^(١) : [من الخفيف]

قُلْ فَكَمْ مِنْ جَوَاهِرٍ فِي نِظَامٍ وَدُّهَا أَنَّهَا بِفِيكَ كَلَامُ
وَحَاوَلَ الْمَمْلُوكُ الْجَوَابَ فَجَاءَتْ هَذِهِ الْعَوَائِقُ الَّتِي مَا اخْتَسِبْتُ ،
وَالْحَوَادِثُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ كَيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَإِنَّ [هـ ب] لِكُلِّ نَفْسٍ فِيهِ مَا كَسَبَتْ
وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ .

يَا مَوْلَانَا ، هَذِهِ مَصَائِبُ طُمْتُ وَعَمْتُ ، وَصَرَخَتْ بِالشَّرِّ وَمَا عَمْتُ ،
وَقِيدَتْ إِلَيْهَا الْأَهْوَالُ وَزَمَّتْ ، وَدَعَتْ الْجَفْلَى إِلَى مَادِبِهَا ، وَأَصَمَّ الْمَسَامِعَ نَغْيِ
نَوَادِبِهَا ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، قَوْلٌ مَنْ ضَاقَتْ بِهِ حِيلَتُهُ ،
وَأَتَسَعَتْ عَلَيْهِ بِالْهُمُومِ لَيْلَتُهُ^(٢) : [من البسيط]

قَدْ كَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُهُ فَظُنُّ شَرًّا وَلَا تَسْأَلُ عَنِ الْخَبَرِ
وَنَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى فِي حُسْنِ الْخَاتِمَةِ ، وَفَجَّرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ الْعَاتِمَةَ ، فَقَدْ بَلَغَتْ
الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ، وَحَزَّتِ الْعَلَاصِمُ بِالْحَنَاجِرِ ، وَكَسَرَتْ بَرَانِي الصَّبْرَ ، وَحَسَدَ
مَنْ امْتَطَى ظَهَرَ الْأَرْضِ لِمَنْ اسْتَكَنَّ فِي جَوَانِحِ الْقَبْرِ ، وَهَذِهِ رَزَايَا شُمُوسُ
التَّثَبُّتِ بِهَا كَاسِفَةٌ ، وَ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٨] .

اللَّهُمَّ اكشِفْ هَذِهِ الْبَلِيَّةَ عَنِ الْبَرِيَّةِ ، وَلَقِ الثُّفُوسَ الظَّالِمَةَ وَوَقِّ الْبَرِيَّةَ ،
وَأَجِرْنَا عَلَى عَادَةٍ أَجَرْنَا ، وَعَجِّلْ فَكَّ أَسْرِنَا بِأَسْرِنَا ؛ إِنَّكَ بِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ ،
وَعَلَى كَشْفِ هَذِهِ اللَّأْوَاءِ قَدِيرٌ .

ويعودُ الْمَمْلُوكُ إِلَى ذِكْرِ الْجَوَابِ ، فَقَدْ أَثَابَ الْحَصَا عَنِ الْمُرْجَانِ ،

(١) البيت للمتنبي ، في ديوانه ١٠٠/٤ .

(٢) البيت لابن المعتز ، في وفيات الأعيان ٧٨/٣ . وهو مما أهمله محقق ديوانه ، ينظر ٢٥١/٢

[الحاشية رقم ١] !!! .

وجارى مع ضيق دائرته من له البلاغة والفصاحة مُرْجَانٌ ، لكنه وثق بحلم مولانا وعفوه ، وبما حازه من صفاته الرائقة اللائقة وصفوه^(١) : [من البسيط]

أرسلت نفسي على سجيّتها وقلت ما شئت غير مُحْتَشِمِ
والله يُدِيمُ فَوَائِدَ مَوْلَانَا لِأَهْلِ الْأَدَبِ ، ويجعل بابه كَعَبَةٍ يَنْسِلُونَ إليها من
كُلِّ حَدَبٍ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

٣١ * الحسين بن علي بن عبد الكافي^(٢) :

الإمام الفاضل ، أفضى القضاة ، جمال الدين بن مولانا قاضي القضاة تقي الدين ، الشُبُكِي ، الشافعي ، نائب الحكم العزيز بالشام المحروس .

● كتبت أنا إليه^(٣) : [من الكامل]

عندي جمال الدين مسألة غدا تينانها فيما لديك مُحَرَّرَا
إذ أنت من بيت جميع بينه قد فازوا بما حازوا وقد سادوا الورى
إن جاودوا ألفتهم صوب الحيا أو جادلوا أبصرتهم أسد الشرى^(٤)
فاطلع بأفق الفضل شمساً أشرقت لا ترض أنك فيه بذر أسفرا
وأعد جوابي عن سُؤالي إنه لك واضح إن رخت فيه مفكرا

(١) البيت ثاني اثنين لمحمد بن كناسة ، أوله : [الإعجاز والإيجاز ٢١٨]
فني انقباض وحشمة فإذا لقيت أهل الوفاء والكبرم
(٢) ترجمته في : المعجم المختص ٨٨ وأعيان العصر ٢/٢٧٣ وذيول العبر ٢٩٩ ووفيات ابن رافع ٢/٣٢٤ والبداية والنهاية ١٨/٥٦٣ وطبقات السبكي ٩/٤١١ وتذكرة النيه ٣/١٨٦ وتعريف ذوي العلا ٩٧ والمقفى الكبير ٣/٦١٨ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢/٦٧ والذيل للكامنة ٢/٦١ والمنهل الصافي ٥/١٦٦ والدليل الشافي ١/٢٧٥ والذيل التام ١/١٤٠ والدارس ١/٢٣٩ وحسن المتحاضرة ١/٣٧٦ وشذرات الذهب ٨/٣٠٤ .

- مولده سنة ٧٢٢ هـ . ووفاته سنة ٧٥٥ هـ .

(٣) القصيدة في أعيان العصر ، وبعضها في طبقات السبكي .

(٤) في م : x . . ألفتهم أسد الشرى .

فَكَرْتُ وَالْقُرْآنُ فِيهِ عَجَائِبُ
 فِي ﴿ هَلْ أَتَى ﴾ لَمْ ذَا أَنَا شَاكِرًا
 فَالشُّكْرُ فَاعِلُهُ أَتَى فِي قَلَةٍ
 فَعَلَامَ مَا جَاءَ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ
 لَكِنَّهَا حَكَمَ يَرَاهَا كُلُّ ذِي
 فَابْنِهِ لَا زِلْتَ الْجَوَادَ بِفَضْلِهِ
 بَهَرْتُ لِمَنْ أَمْسَى لَهُ مَتَدَبَّرًا
 حَتَّى إِذَا قَالَ ﴿ الْكُفُورُ ﴾ تَغَيَّرَا
 وَالْكُفْرُ فَاعِلُهُ أَتَى مُتَكَثِّرًا
 إِنَّ التَّوَاظُنَ فِي الْبَدِيعِ تَقَرَّرَا
 لُبٌّ وَمَا كَانَتْ حَدِيثًا مُفْتَرَى
 لِمَنْ اسْتَعَانَ بِهِ لِإِشْكَالِ طَرَا

● فَكُتِبَ الْجَوَابُ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ سَرِيعًا^(١) [من الكامل]

قَبْلْتُ أَسْطَرَ فَاضِلٌ بِهَرِّ الْوَرَى
 قَدْ نَالَ فِي عِلْمِ الْبَلَاغَةِ رُبَّةً
 وَأَرَادَ مِنِّي حَلَّ مُشْكِلَةٍ غَدَا
 وَجَوَابُهُ أَنَّ الْكُفُورَ وَلَوْ أَتَى
 بِخِلَافٍ مَن شَكَرَ الْإِلَهَ فَإِنَّهُ
 فَإِذْ مُرَاعَاةُ التَّوَاظُنِ هَا هُنَا
 [٥٥] فَاصْفَحْ فَعَجَزِي عَنْ جَوَابِكَ ظَاهِرٌ
 مِمَّا لَدَيْهِ عَجَائِبُ لَنْ تُحْصَرَا
 عَنْهَا غَدَا عَبْدُ الرَّحِيمِ مُقْصَرًا^(٢)
 تَبَيَّنْهَا عِنْدِي كَصُبْحِ أَسْفَرَا
 بِقَلِيلٍ كُفِرَ كَانَ ذَاكَ تَكْثُرَا
 بِكَثِيرٍ شُكِرَ لَا يُعَدُّ مُكْثُرَا
 مَخْظُورَةٌ لِمَنْ اهْتَدَى وَتَفَكَّرَا
 كَظُهُورٍ مَا بَيْنَ الثَّرِيَّا وَالثَّرَى

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ أَيْضًا مُلْفَرًا^(٣) : [من البسيط]

يَا أَيُّهَا الْبَحْرُ عِلْمًا وَالْعَمَامُ نَدَى
 أَشْكُو إِلَيْكَ حَبِيبًا قَدْ كَلَفْتُ بِهِ
 خُمُسَاهُ قَدْ أَصْبَحَا فِي زِيٍّ عَارِضِهِ
 لَا رَيْبَ فِيهِ وَفِيهِ الرَّيْبُ أَجْمَعُهُ
 وَمَنْ بِهِ أَضْحَتْ الْأَيَّامُ مُفْتَخِرَةً
 مُوَرَّدَ الْخَدِّ سُبْحَانَ الَّذِي فَطَرَهُ
 وَفِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ قَلَّ مَن قَهَرَهُ
 وَفِيهِ يُبْسٌ وَلَيْسَ الْبَانَةُ النَّصِيرَةُ

(١) القصيدة في أعيان العصر ، وبعضها في طبقات السبكي .

(٢) عبد الرحيم : هو القاضي الفاضل .

(٣) خمسة منها في أعيان العصر والدرر الكامنة وشدرات الذهب ، وبيتان في المقفى الكبير .

وَفِيهِ كُلُّ الْوَرَى لَمَّا تَصَحَّفُهُ وَضَيْعَةً بِبِلَادِ الشَّامِ مُشْتَهَرَةً
وَفِيهِ سِرٌّ لَطِيفٌ لَا أَبُوحُ بِهِ فَافْهَمُهُ يَا مَنْ زَكَتْ أَنْفَاسُهُ الْعَطِرَةَ
وَقَدْ ذَكَرْتُ اسْمَهُ فِي غَيْرِ تَوْرِيَةٍ تَبِينُ كَالْبَذْرِ وَالظُّلْمَاءِ مُعْتَكِرَةَ
دَامَتْ مَعَالِيكَ يَا أَزْكَى الْوَرَى نَسَبًا وَمَنْ لَهُ طُرُقٌ لِلْمَجْدِ مُخْتَصَرَةَ

● فكتبْتُ أَنَا الْجَوَابَ ، وهو في « ريباس »^(١) .

٣٢ * الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدٌ^(٢) :

الْعَدْلُ الْفَاضِلُ ، الشَّيْخُ بَهَاءُ الدِّينِ بْنِ تَاجِ الدِّينِ ، الْمَوْصِلِيُّ ، الْحَبْلِيُّ ،
شَيْخُ الْحَدِيثِ بِالْعَسَاكِرِيَّةِ^(٣) ، بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ .

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مُلْغَزًا^(٤) : [من الطويل]

وَمَا اسْمٌ إِذَا فَكَّرْتَ فِيهِ وَجَدْتَهُ يَحُلُّ بِتَضْخِيفٍ مَحَلًّا مُسْتَرًا^(٥)
بَدِيعُ فِعَالٍ لَيْسَ يُدْرِكُ صُنْعُهَا إِذَا فَكَّرَ الْإِنْسَانُ فِيهِ تَحَيَّرَا
وَيُزْرِي بِهِ مَعْكُوسُهُ مُطْلَقًا فَإِنْ أَتَى فِيهِ تَضْخِيفٌ فَلَا تَسْأَلِ الْقِرَى^(٦)

(١) في هامش أ : لم نجد الجواب في نسخة تلميذ المصنف . قلت : واللغز بلا جواب شعري في أعيان العصر . والرَّيباس : نبت ينفع الحصى والجدرى والطاعون . (القاموس) .

(٢) ترجمته في : أعيان العصر ٢٧٧/٢ والدرر الكامنة ٥٩/٢ والمقصد الأرشد ٣٤٦/١ والمنهج الأحمد ١٠٩/٥ وشذرات الذهب ٣٢١/٨ .
- مولده سنة ٦٩٠ هـ . ووفاته سنة ٧٥٩ هـ .

- في س : الحسين بن علي بن أبي بكر موسى ! .

(٣) بدل هذه العبارة في س : أحد عدول المسمارية . قلت : والعبارتان صحيحتان ، كما في مصادر ترجمته . فالمدرسة المسمارية : قبلي القيصرية الكبرى داخل دمشق ، بالقرب من مئذنة فيروز ؛ وافقها الشيخ مسمار - وقيل : الحسن بن مسمار - الحوراني . (الدارس ١١٤/٢) . والعساكرية : أراها دار الحديث الثورية ، التي بناها السلطان نور الدين الشهيد للحافظ ابن عساكر . (الدارس ٩٩/١) .

(٤) القطعة في أعيان العصر .

(٥) يحل : تصحيف نخل .

(٦) معكوسه : لحن . وتصحيفه : بُخِل .

فَتَضَحِيفُهُ مِنْهُ دَقِيقٌ وَبَعْضُهُ
وَأِنْ صُحِّفَ التَّضَحِيفُ مِنْ عَيْنِ فِعْلِهِ
وَقَدْ جَمَعَ الضَّادَيْنِ نَفْعاً وَضِدَّهُ
وَقَدْ جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ آيٌ بِذِكْرِهِ
وَجُمْلَتُهُ فِي اللَّيْلِ يُمَكِّنُ حَضْرَهَا
قَصِيرٌ وَبَعْضٌ قَدْ عَلَا وَتَجَبَّرَا^(١)
فَذَلِكَ مَحْبُوبٌ إِلَى سَائِرِ الْوَرَى^(٢)
وَجَمْعاً وَتَفْرِيقاً وَحُلُواً مُمَرَّرَا^(٣)
وَذَلِكَ أَمْرٌ ظَاهِرٌ لِلَّذِي قَرَأَ
وَأِنْ سِينِمَ عَدَاً فِي النَّهَارِ تَعَذَّرَا

● فكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ ، وَهُوَ فِي « نَحْل »^(٤) : [من الطويل]

قَرَيْضُكَ فِينَا قَدْ عَدَا شَامِخَ الذَّرَى
تَغْوِصُ عَلَى الْمَعْنَى الْخَفِيِّ بِفِكْرَةٍ
أَحَاشِيكَ مِنْ عَكْسِ الَّذِي قَدْ أَرَذْتَهُ
وَحَاشَاكَ مِنْ تَضَحِيفِهِ فَهُوَ خُلَّةٌ
فَلَا زِلْتَ تُهْدِي لِلْأَنَامِ بَدَائِعاً
نَرَى طِرْسَهُ عِنْدَ الْبَيَانِ مُزَهَّراً
تُرِيكَ دُجَى الْإِشْكَالِ فِي الْحَالِ نَيْرَا
وَأَلْغَزْتَهُ يَا فَاضِلاً بَهَرَ الْوَرَى^(٥)
عَدَا بَعْضُهَا فِي النَّاسِ شَيْئاً مُقَرَّرَا^(٦)
مِنْ النَّظْمِ مَا أَنْهَلَ الْغَمَامُ عَلَى الثَّرَى^(٧)

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ أَيْضاً مُلَغِزَا^(٨) : [من السريع]

وَصَاحِبِ مُسْتَحْسَنِ فِعْلُهُ
فَقَيَّ وَلَكِنْ سِنَّهُ رُبَّمَا
لَيْسَ لَهُ ثِقْلٌ عَلَى صَاحِبِ
زَادَتْ عَلَى السَّبْعِينَ فِي الْغَالِبِ^(٩)

(١) الدقيق : نحيل . والقصير : نجيل . والمتجبر : نخيل .

(٢) المحبوب : نجل .

(٣) الضدان : عسل وسع .

(٤) الآيات في أعيان العصر .

(٥) عكسه : لحن .

(٦) تصحيفه : بخل .

(٧) في هامش أرواية أخرى :

فَلَا زِلْتَ تُهْدِي لِلْأَنَامِ أَيَادِيَا × مِنْ اللَّطْفِ

(٨) الآيات في أعيان العصر والذرر الكامنة .

(٩) في م : . . . سَنُهُ فِي الْوَرَى × .

قُلْتُ وَقَدْ قَالُوا : أَبِنْ مَا اسْمُهُ لِيُعْلِمَ الشَّاهِدُ لِلْغَائِبِ
« ظَنَنْتُمْ » تَضْحِيْفَ مَعْكَوْسِهِ يَخْفَى وَلَيْسَ الظَّنُّ بِالْكَاذِبِ

● فكتبْتُ أَنَا الْجَوَابَ ، وهو في « مَشْطٍ »^(١) : [من السريع]

أَفْدِي بِهِاءَ الدِّينِ مِنْ فاضِلٍ في النَّظْمِ لم يَخْرُجْ عن الواجِبِ
أَلْغَزَ فِي شَيْءٍ غَدَا حَمْلُهُ على رُؤوسِ النَّاسِ في الغَالِبِ
تَرَاهُ لَا تَضْحَكُ أَسْنَانُهُ يا حُسْنُهُ مِنْ أَصْفَرِ شاحِبِ
كم غاصَ في لَيْلِ شَبَابٍ وَكَمْ قَدْ لَاحَ في صُبْحٍ مِنَ الشَّايِبِ

● وكتبَ هو إليَّ أيضاً مُلْغِزاً^(١) : [من مجزوء الرجز]

وصاحِبِ بِكَرَمٍ يَنْعَتُهُ مَنْ وَصَفَهُ^(٢)
يَجُودُ بِالنَّفْعِ على مَنْ دَهَرَهُ مَا عَرَفَهُ
وَلَيْسَ يُكْسَى حُلَّةً إِلَّا بِهَا قَدْ أَنْحَفَهُ
ولا يَزَالُ عَارِيّاً وَبَرْدُهُ قَدْ أَنْحَفَهُ
وَعَكْسُهُ مُصَحَّفاً تَقْبِيلُ نَعْرِ بِشَفَهُ

● فكتبْتُ أَنَا الْجَوَابَ ، وهو في « مِيلٍ »^(١) : [من مجزوء الرجز]

[هه ب] هَذَا بِهِاءُ الدِّينِ لَا يَزَالُ يُبْدِي طُرْفَهُ
أَلْغَزَ فِي شَيْءٍ حَكِي مِنْ كُلِّ قَدْ هَيْفَهُ
وَفِيهِ مِنْ ذَاكَ الَّذِي حُوشِيَتُهُ بَعْضُ الصَّفَةِ
بَطُولِ شِبْرِ رَأْسِهِ أَمْلَسُ رَابِي الهَدَفَةِ
إِنْ غَاصَ فِي شَيْءٍ فَمَا يُّعْلِلُ إِلَّا طُرْفَهُ

(١) الأبيات في أعيان العصر .

(٢) في م : وصاحب مكرَّم × .

● وكتبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مُلَغِزاً فِي « درهم » : [من مجزوء الرجز]

يَا فَاضِلاً لَا يَفْتُرُ	عَنْهُ الثَّنَاءُ الْمُعْطَرُ
وَطَرَسُهُ مُوَفَّرُ	عَلَى رِيَاضِ تَزْهِرُ
وَلَفْظُهُ الْمُجَوَّهُرُ	بِهِ الزَّمَانُ يَفْخَرُ
مَا مُفَرَّدٌ مُذَكَّرُ	وَصَرَفُهُ لَا يُنْكَرُ
مُنْرَبٌّ مَدَوَّرُ	كَالْبَذْرِ لَمَّا يَنْدُرُ
مَنْ حَارَهُ مُسْتَبْشِرُ	وَفِيهِ هَمْ يَبْصُرُ
وَدُّهُ لَا يُنْثَرُ	كَلَامُهُ مُفَسَّرُ
مُؤَرَّخٌ مُسَطَّرُ	يَبْنِيهِ فَهُوَ يُسْفَرُ

وَالْوَجْهُ مِنْهُ يَبْرُ

لَا زِلَّتْ غَيْشاً يُمِطُرُ	صَوَابُهُ فَيَشْكُرُ
مَا دَامَ وَزَقَّ تَهْدِيرُ	وَصَوْنُهُ لَا يُكْرَرُ

● فكتبَ الجَوَابَ إِلَيَّ عن ذلك : [من مجزوء الرجز]

يَا مَنْ بِهِ أَفْتَحِرُ	مَنْعَ أَنْتَنِي أَعْتَدِرُ
لَا تَنْتَنِي مُقَصِّرُ	وَلَسْتُ مَنْعَ ذَا أَقْدِرُ
عَنْ فَضْلِهِ أُعَبِّرُ	لَهُ الثَّنَاءُ الْعَطِرُ
فِيهِ الْبَيَانُ يُخَصِّرُ	وَاللَّفْظُ مِنْهُ جَوْهَرُ
كَخَطِّهِ إِذْ يَسْطُرُ	مَاذَا يَقُولُ الْمُكْثِرُ
سُؤَالُهُ الْمُحَبَّرُ	مَا مُفَرَّدٌ مُذَكَّرُ
وَصَرَفُهُ لَا يُنْكَرُ	جَوَابُهُ مُحَرَّرُ
فَجَمْعُهُ مُكْسَرُ	لِكِنَّةٍ قَدْ يَعْسُرُ
مَنْ حَارَهُ يَسْتَكْبِرُ	وَفِيهِ هَمْ يَبْصُرُ

لَا يَهْجَاءُ يُذَكَّرُ وَدُرُّهُ لَا يُثْنَى
 خَفِيفٌ وَزَنٌ يُكْسَرُ وَوَجْهُهُ مُدَوَّرُ
 أَبْيَضٌ حِينَ يُسْفَرُ نَعَمٌ وَفِيهِ أَشْطَرُ
 كَلَامُهُ مُفَسَّرُ لِمَنْ قَرَاهُ يَظْهَرُ
 وَعَكْسُهُ الْمُعْتَبَرُ بِهِ أُمُورٌ تَبْدُرُ
 ضَارِبُهُ وَالْمُظْهِرُ عَبْدُ الْمَلِكِ الْأَبْخَرُ
 وَافْتِكَ مِنْهُ بِدَرُ وَتَابِعَتْهُ أَبْدَرُ
 وَلَا زَمْتُكَ الْبَشَرُ وَزَالَ عَنْكَ الْحَذَرُ
 وَلَا بَرِخَتْ تُنْصَرُ

٣٣ * الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُصَدِّقٍ (١) :

الشيخ الإمام، شرف الدين، أبو عبد الله، الشيباني، الواسطي، الصوفي.

● أنشدني لنفسه بالقاهرة المحروسة ، سنة ٧٢٨ (٢) : [من الطويل]

وَأَخَوَرُ أَخَوِي فَاتِنِ الطَّرْفِ فَاتِرِ مَسِيرُ بُدُورِ التَّمِّ مِنْ دُونِ سَيْرِهِ
 إِذَا جِئْتُ أَشْكُو طَرْفَهُ قَالَ قَدْهُ : «وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بغيرِهِ» (٣)

● فَأَنشَدْتُهُ أَنَا لِنَفْسِي فِي مَلِيحِ نَائِمٍ (٤) : [من الطويل]

سَبَانِي خَدٌّ مِنْ فَتَى كَانَ نَائِمًا فَقَالَ عَذُولٌ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ :
 أَتَهْوَى وَلَمْ تَذِرِ الْعُيُونَ ؟ فَقُلْتُ : دَعْ «وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بغيرِهِ»

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٢/٢٧٢ والوافي بالوفيات ١٣/٢٤ والدرر الكامنة ٢/٦٤ .

- مولده سنة ٦٦٠ هـ ! [كذا عند ابن حجر] ولم يذكر أحد تاريخ وفاته .

(٢) البيتان في أعيان العصر والوافي والدرر الكامنة .

(٣) العجز مضمّن من قول ابن نباتة السعدي : [وفيات الأعيان ٣/١٩٣]

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بغيرِهِ تنوعت الأسباب والداء واحد

(٤) البيتان في أعيان العصر والحسن الصريح ٥٥ و٣٩ .

● وَأَنْشَدْنَاهُ أَنَا لِنَفْسِي فِي مَلِيحٍ يُقَابِلُ كِتَابًا^(١) : [من الرجز]

قَابَلْتُ كُتُبًا مَعَ حَبِيبِ هَاجِرٍ فَسَرَّ قَلْبًا كَادَ أَنْ يَفْنَى وَلَكِنَّهُ
فَقُلْتُ : يَا وَارِثَ قَلْبِي فِي الْهَوَى جَمَعْتَ بَيْنَ الْجَبْرِ وَالْمُقَابَلَةِ

● فَأَنْشَدَنِي هُوَ لِنَفْسِهِ^(٢) : [من الرجز]

قَابَلَنِي الْمَحْبُوبُ يَوْمًا وَغَدَا يَمْنَحُنِي جَمَالَهُ وَنَائِلَهُ
قُلْتُ لَهُ : يَا سَيِّدِي جَبَزْتَنِي فَهَلْ أَرَى مِنْ بَعْدِهَا مُوَاصِلَهُ
فَقَالَ لِي : هَذَا الَّذِي فَعَلْتُهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَبْرِ وَالْمُقَابَلَةِ

٣٤ * الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ^(٣) بْنِ زَيْدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُظَفَّرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ
ابْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَوْكَلَانِيِّ^(٤) بْنِ مُوسَى الْكَاطِمِ بْنِ الْإِمَامِ
جَعْفَرِ الصَّادِقِ بْنِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ ابْنِ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ^(٥)
عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

السَّيِّدُ الْإِمَامُ ، الْبَلِيغُ ، الْمُنْشِئُ ، الشَّرِيفُ ، [٥٦ أ] شِهَابُ الدِّينِ ، مُوقِّعُ
الدَّسْتِ الشَّرِيفِ بِالْقَاهِرَةِ الْمُحْرُوسَةِ ، وَكَاتِبُ السِّرِّ الشَّرِيفِ بِحَلَبِ الْمُحْرُوسَةِ .

(١) البَيْتَانِ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ وَالْحَسَنِ الصَّرِيحِ ٥٥ وَ ٣٩ .

(٢) الْأَبْيَاتُ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ وَالتَّرُّرِ الْكَامِنَةِ .

(٣) تَرْجَمْتُهُ فِي : أَعْيَانِ الْعَصْرِ ٢٨٣/٢ وَالرَّوَانِي بِالْوَقِيَّاتِ ٥١/١٣ وَدُرَرِ الْعُقُودِ الْفَرِيدَةِ ٤٧/٢ وَالدَّرَرِ الْكَامِنَةِ ٦٦/٢ وَوَفِيَّاتِ ابْنِ رَافِعٍ ٣٧٠/١ وَلِحَظِ الْأَلْحَازِ ٣٦ وَالنَّجُومِ الزَّاهِرَةِ ١٠/١١ وَالْمَنْهَلِ الصَّانِي ١٦٩/٥ وَالدَّلِيلِ الشَّافِي ٢٧٦/١ وَالبَدْرِ الطَّالِعِ ٢٢٨/١ .

- مَوْلَدُهُ سَنَةَ ٦٩٨ هـ . وَوَفَاتَهُ سَنَةَ ٧٦٢ هـ .

- فِي أ ، م : الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ . . . ! .

(٤) ضَبِطَ الْمُؤَلَّفَ هَذِهِ النِّسْبَةَ فِي الْأَعْيَانِ بِقَوْلِهِ : بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ الْمَفْتُوحَةِ ، وَالْوَاوِ السَّكَنَةِ ، وَبَعْدَهَا كَافٌ مَفْتُوحَةٌ ، وَلَامٌ أَلْفٌ ، وَنُونٌ ، وَيَاءٌ نَسْبَةٌ .

(٥) فِي أ : بَنُ عَلِيٍّ ! .

● كَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مِنَ الرَّحْبَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، سَنَةِ ٧٢٩^(١) : [من الخفيف]

مَا لِقَلْبِي عَنْ حُبِّكُمْ قَطُّ سَلَوَهُ
 إِنْ بَخِلْتُمْ - حَاشَاكُمْ - بِوَفَاءِ
 فَلَكُمْ قَدْ قَضَى وَمَا نَقَضَ الْعَهْدُ
 يَا ابْنَ ابْنَةِ النَّبِيِّ قُلْ لِي وَقَوْلِي
 هَلْ بَدَا فِي الْوَفَاءِ مِنِّي نَقْصٌ
 فَعَلَامَ الْإِعْرَاضِ وَالصَّدُ عَمَّنْ
 كَيْفَ أَنْسَى سَاعَاتِ وَضَلٍ تَقَضَّتْ
 مَا خَلَّتْ خَلْوَةٌ وَلَمْ أَلْقَ فِيهَا
 حَيْثُ لِي مِنْ فُنُونِ نَظْمِكَ وَالثَّ
 وَمَعَانٍ كَالْحُورِ زَفَّ حُلَاهَا
 كَانَ فِي مِصْرَ لِي بِقُرْبِكَ أَنْسٌ
 وَأَرَى رِقَّةَ الْحَوَاشِي الَّتِي عِنْدَ
 وَإِذَا مَا أَتَيْتُ أَلْفَيْتُ صَدْرًا
 وَاقْتَعَدْتُ الْفَخَّارَ بَيْنَ الْبَرَائِيَا
 وَأَرَى أَنَّ لِي إِذَا زُرْتُ أَرْضًا
 كَيْفَ لَا وَالْوِلَاءُ فِي قَوْمِكَ الْغُرُ
 مُنِّي أَنْ أَرَى حِمَاكَ بِعَيْنِي
 آه لَوْ تُنْصَفُ اللَّيَالِي إِذَا مَا
 أَوْ لَوَانَ الْفِرَاقَ يَقْبَلُ مِنِّي

كُلُّ حَالٍ مِنْكُمْ لَدَى الصَّبِّ حُلْوَةٌ
 أَوْ تَتَكُّمَ بَعْدَ التَّعَطُّفِ قَسْوَةٌ
 لَدَ مُحِبٍّ وَلِي بِذَلِكَ أَسْوَةٌ
 يَا ابْنَ ابْنَةِ النَّبِيِّ أَفْضَلُ دَعْوَةٍ
 أَوْ جَرَى فِي الْحِفَاطِ مِنِّي هَفْوَةٌ
 لَمْ يَجِدْ فِي سِوَى مَعَالِيكَ صَبْوَةٌ
 وَبِعِظْفِي مِنْهَا بَقِيَّةُ نَشْوَةٍ
 مِنْ عَذَارَى حَدِيثِكَ الْعَذْبِ جَلْوَةٌ
 رَ مَتَى مَا أَرَدْتُ كَاسَاتِ قَهْوَةٍ
 مَنْطِقُ تَشَخُّصِ الْأَفَاضِلِ نَحْوَةٍ
 عَنْ أَنْاسٍ لَهُمْ عَنِ الْخَيْرِ نَبْوَةٌ
 لَدَكَ تُغْنِي عَمَّنْ غَدَا فِيهِ جَفْوَةٌ
 مِنْكَ لِي فِي حِمَاهُ حَظٌّ وَحُظْوَةٌ
 وَتَسَنَّمَتِ فِي السِّيَادَةِ ذُرْوَةٌ
 أَنْتَ فِيهَا التَّشْرِيفُ فِي كُلِّ خُطْوَةٍ
 رَ أَرَاهُ فِي الدِّينِ أَوْثَقَ عُزْوَةٍ
 لَا أَرَاكَ الْحِمَى وَلَا دَارَ عَلْوَةٍ
 حَكَمْتَ بِالْبِعَادِ مِنْ غَيْرِ عَنْوَةٍ
 فِي اقْتِرَابِ الدِّيَارِ مِنْ مِصْرَ رِشْوَةٍ^(٢)

(١) القصيدة في أعيان العصر والوافي بالوفيات ؛ والنص الشري لم يرد فيهما .

(٢) في أ : أو لوان الفرار . . . ! × .

يَا زَمَانًا بِمُضَرٍّ وَلَيْ حَمِيدًا هَلْ يُجِيبُ الْإِلَهَ لِي فِيكَ دَعْوَةَ
يُقَبِّلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي - بَعْدَ وَلَائِهِ الَّذِي تَنْطِقُ بِهِ مَخَابِلُهُ ، وَتَشْهَدُ لَهُ
دَلَالَتُهُ ، وَيَحْمِلُ لَوَاءَهُ الَّذِي هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ حَامِلُهُ ، وَوَفَائِهِ الَّذِي يَضْحَكُ إِلَى
وَفَاتِهِ ، وَيَرِفُّ عَلَى رُفَاتِهِ ، وَتَشْفُ عَنْ صَفَاءِ صِفَاتِهِ فِي سَمَاءِ سَمَائِهِ ، وَثَنَاتِهِ
الَّذِي تَنْسَمَتِ الرِّيَاضُ بِهِ فِي أَسْحَارِهِ ، وَتَبَسَّمَتْ مِنْ حَدِيثِهِ تُغَوِّرُ أَزْهَارِهِ ،
وَتَنْظُمَتْ أَسْجَاعُ ذِكْرِهِ فِي تَغْرِيدِ أَطْيَارِهَا - أَنَّهُ قَدْ شَغَلَهُ أَلَمُ الْإِغْرَاضِ عَنْ أَلَمِ
الشُّوقِ ، وَضَاقَتْ الرَّحْبَةُ بِفَضَائِلِهَا ، عَلَى أَنَّهُ لَا رَحْبَةَ لِابْنِ طَوْقٍ ، وَتَحَزَّرَ
بِالْمُكَاتَبَةِ إِلَى مَوْلَانَا ، فَجَاءَ بِطُوفَانٍ هَجَرَهُ مِنْ فَوْقٍ ، وَتَطَلَّبَ الْأَعْدَارُ فِي تَرْكِ
الْجَوَابِ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهَا فِي النَّفْسِ ذَوْبُ قَبُولٍ وَلَا ذَوْقٍ ؛ عَلَى أَنَّ الْمَمْلُوكَ فَارَقَ
مَوْلَانَا وَمَا صَفَّ لَهُ جَفَاءً ، وَلَا جَفَّ لَهُ صَفَاءً ، وَلَا تَوَسَّمْ مِنْ عَوَاطِفِهِ رَذِيٍّ^(١)
رَذٍّ ، وَلَا سَمِعَ مِنْ عَوَارِفِهِ صَلِيٍّ صَدٍّ^(٢) : [من الطويل]

وإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا فَأَفْعَالُهُ اللَّائِي سَرَزْنَ أُلُوفُ
وَقَدْ جَهَّزَ الْمَمْلُوكُ هَذِهِ الْعُبُودِيَّةَ ، وَهِيَ لِعَوَاطِفِهِ مُتَطَلِّبَةٌ مُتَطَلِّعَةٌ ، مُتَضَرِّمَةٌ
الْأَخْشَاءَ مُتَضَرِّعَةٌ ، مُتَجَرِّدَةٌ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ كَانَتْ لِعُصْصِهَا مُتَجَرِّعَةٌ ؛ وَمَا
أَجْدَرَ مَكَارِمَ مَوْلَانَا أَنْ يُجِيبَ سُؤَالَهَا وَيُجِيبَ ، وَيُعِينَ نَوَالَهَا وَيُعِيدَ ، وَيُقَيِّتَ
وَبِالْهَالِ وَيُقَيِّدَ^(٣) : [من الطويل]

٥٦٦ ب [وَأِنْ كَانَ ذَنْبٌ عَنْ أَوْ تَكَ هَفْوَةٌ عَلَى خَطَايَا مِنِّي فَعُذِّرِي عَلَى عَمْدٍ
وَاللَّهُ لَا يَعْطِفُ عَنْ وَلِيِّهِ عَظْفُهُ ، وَلَا يَصْرِفُ عَنْ صَفِيٍّ لُطْفُهُ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) الرَّذِيّ : الضعيف . (القاموس) . وفي م : ولا توهم من عواطفه . . .

(٢) البيت للمتنبي ، في ديوانه ٢/ ٢٩٢ .

(٣) البيت لأبي تمام ، في ديوانه ٢/ ١١٧ .

● فكتبَ هو الجوابَ إليَّ عن ذلك^(١) : [من الخفيف]

أَنْسِئِمْ الصَّبَا عَلَى الرَّوْضِ غَدَوَهُ
وَسَرَى لُطْفُهَا إِلَى الدَّوْحِ فَازْتَا
أَمْ سَقِطُ النَّدى عَلَى الْوَرْدِ كَالْيَا
أَمْ تَشَّى الغُصُونِ فِي حَلَلِ الزَّهْرِ
أَمْ مَسِيلُ المِيَاهِ بَيْنَ رِيَاضٍ
أَمْ غِنَاءُ الحَمَامِ غَرَّدَ فِي الْبَا
أَمْ نُجُومُ السَّمَاءِ زُهْرٌ أَمْ الْبَدُ
أَمْ وَصَالُ الحَبِيبِ بَعْدَ صُدُودٍ
أَمْ بَشِيرُ الْأَمَانِ مِنْ بَعْدِ خَوْفٍ
أَمْ حَدِيثُ العُذِيبِ يَغْذُبُ فِي
أَمْ كِتَابٌ قَدْ جَاءَنِي مِنْ خَلِيلٍ
رَحْبٌ بَاعَ لِرَحْبَةِ الشَّامِ وَافَى
سَامِقٌ فَوْقَ هَضْبَةِ المَجْدِ والعِزِّ
نَاظِمٌ نَائِرٌ بَلِيغٌ بَدِيعٌ
حَيْثُمَا حَلَّ فِي المَمَالِكِ حَلًى
بَعْدَ حَوَائِنٍ قَدْ أَتَانِي فَأَهْلًا
وَعَنَانِي مِنْ بُعْدِ دَارٍ وَلَكِنْ
وَأَرَادُوا خُمُولَ ذِكْرِي فَعَارُوا

سَحَبَتْ ذَيْلَهَا عَلَى كُلِّ رِبْوَةٍ
حَ فَكَمْ رَنَحَتْ مَعَاظِفَ سَرْوَةٍ
قُوتٍ إِذْ يَجْعَلُ اللَّالِيَاءُ حَشْوَةً
رِ سَقَاهَا السَّحَابُ كَاسَاتٍ فَهَوَةً
بُنْضَارِ الْأَصِيلِ أَمْسَتْ تُمُوءَةً
نِ وَأَضْحَى بِهِ يُرْجِعُ شَدْوَةً
رُ مُنِيرٌ أَمْ مَشْرِقُ الشَّمْسِ ضُخْوَةً
فَأَتَى ذَا لِيَذَا فَاسْرَعَ مَخْوَةً
لِخَلِيعِ رَأَى الرِّيْعَ وَزَهْوَةً
كُلُّ لَهَاةٍ لِمَنْ تَذَكَّرَ لَهْوَةً
بَارِعٍ فَالْخَلِيلُ لَمْ يَنْحُ نَحْوَةً
ذَا وَفَاءٍ وَعِمْقَةٍ وَفُتُوَةً
زِ سَبُوقٌ لَمْ يُدْرِكِ النَّاسُ شَأْوَةً
مَاهِرٌ بَاهِرُ المَقَالَةِ أَفْوَةٌ^(٢)
وَعَدَا وَارِدًا مِنَ الحَمْدِ صَفْوَةً
وَحَبَانِي عَذَبَ الكَلَامِ وَحُلْوَةً
غَضَبَتْهُ أَيْدِي الحَوَاسِدِ عُتْوَةً
مِنْهُ لَمَّا أَعْلَى بِذِكْرِي وَنَوَةً

(١) القصيدة بتمامها في الرافي ، وتنقص أبياتاً في أعيان العصر ؛ وأربعة من أوائها في الدرر الكامنة ، وقال : وهي نحو السبعين بيتاً .
(٢) في م : . . . بديعٌ بليغٌ × .

حَجَبُوهُ عَنِّي فَأَظْهَرَهُ اللَّـهُ
قُمْتُ لِلَّهِ شَاكِرًا ثُمَّ حَلَيْتُ
غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ فِيهِ عِتَابًا
قَالَ : إِنِّي بَخِلْتُ بِالْوُدِّ ؛ كَلَّا
وَرَمَى أَشْهُمَا تَمَزَّقَ ثَوْبُ الصَّبْرِ
الزَّمِ الذَّنْبَ قَبْلَ ذَنْبٍ فَأَنْصِفْ
لَمْ يَكُنْ شَأْنِي الصُّدُودُ بِلا جُزْ
لَيْسَ مِثْلِي مِمَّنْ يَحُولُ عَنِ الْوُدِّ
كَيْفَ يَهْفُو ثَبِيرُ حِلْمِكَ يَا ذَا الْـ
أَذْكَرْتَنِي أَيْبَاتِكَ الْغُرُّ أَيْبَا
سَابِقٌ قَدْ هَدَى إِلَى التُّجَحُّ قَضِي
وَمَعَ الْبُعْدِ كَانَ يُذْنِي لِي اللَّطْفُ
كَانَ لِي وَالِدًا وَبَرًّا شَفِيقًا
منها :

هُ لِعَيْنِي ، أَتَخَجَّبُ الشَّمْسَ هَبْوَةً
تُ وَقَدْ حَلَّ سَاحَتِي كُلَّ حُبْوَةٍ
مُضْرِمًا مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ جُدْوَةٍ
مَا تَعَمَّدْتُ إِنَّمَا هِيَ سَهْوَةٌ
مِنْهَا وَمِنْهُ أَهْلُتُ رَفْوَةٍ
وَسَلَّ الْقَلْبَ هَلْ نَوَى عَنْكَ سَلْوَةٍ
مُوحَاشَا لِوَجْهِ وَدِّي يُشَوِّهِ
دِ وَلَا يُبْدِلُ الْمَحَبَّةَ جَفْوَةٍ
ثَبَّتْ لَمَّا ظَنَنْتُ مِنِّي هَفْوَةٍ
تَ الْإِمَامِ الْمَحْمُودِ أَنْفَعُ قُدْوَةٍ
لَمْ يُطِقْ مَنْ سَعَى هُنَالِكَ خُطْوَةٍ
فَ وَبَشْكُو لَهُ فُؤَادِي شَجْوَةٍ
فَذُوُّهُ لِي فِي الْمَحَبَّةِ إِخْوَةٍ

وَالَّذِي مِنْ إِنْشَائِهِ لِي نَشْوَةٍ
إِذْ أَتَلَّثُ بِحَدِّ ذَهْنِي نَبْوَةٍ
وَنَجَّيْتُ فَصِرْتُ مِنْهَا بَنْجْوَةٍ
حُجَّجٌ قَدْ مَضَتْ وَلَمْ أَلْقَ حُطْوَةٍ
رُمْتُ أَنْ يَمْشِيَ عَاجِلَتُهُ كَبْوَةٍ
رَ مَسَاءً أَرَى الْمَسَاءَةَ غُدْوَةٍ
مَهْلِي لِلْفَخَارِ يَسْبِقُ عَذْوَةٍ^(١)

يَا صَلاَحَ الدِّينِ الْبَلِيعِ نِظَامًا
لَا تَكْلُمْنِي عَلَى تَأْخُرِ كُتُبِي
كُنْتُ فِي شِدَّةٍ وَقَدْ فَرَجَ اللَّـهُ
وَنَسِيتُ الصَّنَاعَتَيْنِ لِأَنِّي
يَزْجِعُ الْحِطُّ الْقَهْقَرَى فَإِذَا مَا
كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ مَضَى الْهَمُّ إِذْ مَزْ
[٥٧] وَأَعَادِي ظُلْمًا وَأَقَهَرُ مِمَّنْ

(١) سقط البيت من س .

أَنَا سَبَطُ النَّبِيِّ وَابْنُ عَلِيٍّ شَرَفْتُ شَامِيخُ لِأَرْفَعَ ذُرْوَهُ
وَإِذَا مَا اغْتَرَانِي الدَّهْرُ بِالْعُدِّ وَإِنْ أَمْسَكْتُ مِنْهُمَا أَيْ عُرْوَهُ
وَكَانَتْ يَسْعَةً وَسِتِّينَ بَيْتاً ، وَهَذَا الْقَدْرُ الَّذِي أُثْبِتُهُ^(١) مِنْهَا كَافٍ .

● وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ مِنْ دِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ أَهْنَتْهُ بِالْذُّخُولِ إِلَى الدَّسْتِ الشَّرِيفِ ،
وَقَدْ رُسِمَ لَهُ بِالتَّوْقِيعِ بَيْنَ يَدَيِ مَوْلَانَا الشُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ شَعْبَانَ^(٢) ، خَلَدَ اللَّهُ
مُلْكَهُ ، فِي سَنَةِ ٧٤٦ : [من الطويل]

أَيَا فَخْرَ مُلْكٍ أَنْتَ فِيهِ تُوقِّعُ	وَيَا عِزَّ دَسْتٍ فِيهِ لَفْظُكَ يُسْمَعُ
وَيَا بَهْجَةَ الدُّنْيَا يَمَجِّدُ تُشِيدُهُ	وَيَا تَنْصُبُ رَايَاتِ الطُّرُوسِ وَتَرْفَعُ
فَأَقْسِمُ مَا الْأَقْلَامُ غَيْرَ أَسْنَةِ	يَكْفُكَ فِي نَخْرِ الْمُحَارِبِ تُشْرَعُ ^(٣)
غَدَا الْمُلْكُ مِنْهَا فِي غِنَى عَنْ قَوَاضِي	تُجَرِّدُ سُمّاً لِلْأَعَادِي تُجَرِّعُ
وَتُوَلِّيَ التَّدْيِ مَنْ أَخْلَصَ الْوُدَّ قَلْبُهُ	وَتُوقِّعُ بِالْأَعْدَاءِ لَمَّا تُوقِّعُ
وَكَمْ أَطْرَبْتَ أَسْمَاعَنَا بَيَانِهَا	فَهَلْ هِيَ فِي الْأَوْرَاقِ وَزَقَاءُ تَسْجَعُ
وَلَيْسَتْ سَطُورٌ فِي طُرُوسٍ تَخْطُهَا	وَلَكِنْ كُؤُوسٌ لِلْسُّلَافِ تُشْعِشَعُ
فَمَا أَنْتَ إِلَّا لِلْعَدُوِّ مُشَرِّدٌ	وَمَا أَنْتَ إِلَّا فِي الْبَيَانِ مُشَرِّعُ ^(٤)
وَلَفْظُكَ بِالسَّخْرِ الْحَلَالِ مُقْنَدٌ	وَطُرُسُكَ فِي بُرْدِ الْبَيَانِ مُقْنَعُ
وَإِنْ قُلْتَ بَيْتاً فِي الْقَرِيضِ مُصَرَّعاً	فَمَا هُوَ إِلَّا بِاللَّالِي مُرْصَعُ
وَإِنْ كُنْتَ فِي حَفْلٍ فَمَا يَسَعُ الْوَرَى	سِوَى أَنْ تُوَالِيَ الْقَوْلَ وَالنَّاسُ تَسْمَعُ
فَيَا سَعْدَ مَنْ يُلْقِي لَدَيْكَ رِدَاءَهُ	وَيَلْقَظُ دُرَّ الْقَوْلِ مِنْكَ وَيَجْمَعُ

(١) « الَّذِي أُثْبِتُهُ » مِنْ س .

(٢) تَرْجَمَةُ الْمَلِكِ الْكَامِلِ شَعْبَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ قِلَافُونَ ، فِي الرَّافِي بِالْوَفَايَاتِ ١٥٣/١٦ وَفِيهِ مَصَادِرُ تَرْجَمَتِهِ .

(٣) فِي ب : × . . . تَسْرَع .

(٤) فِي ب : × . . . إِلَّا لِلْبَيَانِ . . .

ويا فوزَ عَيْنٍ لاحتَتْكَ فَأَصْبَحْتَ
 وإنْ وَطِئْتَ رِجْلَكَ صَهْوَةً مِنْبَرٍ
 فَلَا قَلْبَ إِلَّا وَهُوَ بِالنَّارِ يَلْتَطِي
 وإنْ كَانَ فِي الْأَقْوَامِ رَبُّ فَضِيلَةٍ
 فَمَا لِعُيُونِ الزَّهْرِ عِنْدَكَ مَطْمَحُ
 مُحَيَّاكَ بَذَرٌ بِالْجَمَالِ مُنَوَّرُ
 وعافِيكَ بِالْإِحْسَانِ فِيكَ مُرَوِّحُ
 كَانَ نُجُومَ الزَّهْرِ فِي الْأَفْقِ أَغْنِي
 كَذَا يَا ابْنَ بَنَاتِ الْمُصْطَفَى فَلَتَكَ الْعُلَا
 فَقُلْ لِلْمُجَارِي : قِفْ مَكَانَكَ تَسْتَرِحْ
 وَخُذْهَا رِياضاً جَادَهَا فِكْرُ مُخْلِصٍ
 يُسِرُّ إِذَا مَا جَدَّدَ اللَّهُ رِفْعَةً
 وَيُخْلِصُ فِيكَ السَّرَّ إِنَّ بَاتَ دَاعِياً
 وَيَسْأَلُ جَمَعَ الشَّمْلِ مِنْ بَعْدِ فُرْقَةٍ
 أُعِينُكَ مِنْ عَيْنِ الْحَسُودِ وَبَغْيِهِ

يُقَبِّلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي أَنْ مَحَبَّتَهُ الْقَدِيمَةَ ، وَوَدَّهَ الَّذِي هُوَ وَالْوَفَاءُ كُنْدَمَانِي
 جَذِيمَةً ، وَوَلَاءَهُ الَّذِي يَعُدُّ الْإِخْلَاصَ فِي دَهْرِهِ غَنِيمَةً ، يُوجِبُ لَهُ السُّرُورَ بِكُلِّ
 مَا يَتَجَدَّدُ لِمَوْلَانَا مِنْ غُلُوٍّ غُلُوٍّ ، وَيَتَأَكَّدُ لَهُ مِنْ إِشَادَةِ مَجْدٍ سَمَكُهُ بَيْنِي عَلَى
 السُّمُوِّ ، وَيَتَرَدَّدُ لَهُ مِنْ إِقْبَالِ نَمَامٍ عَرَفِهِ فِي نُمُوٍّ ، وَيَتَأَبَّدُ لَهُ مِنْ دَوَامٍ سَعْدٍ يُكْمِدُ
 مَسَاءَ الْمُسَيِّءِ وَيُنَكِّدُ غُدُوَّ الْعَدُوِّ ، لِأَنَّهُ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَالُ الْمَرَاتِبِ ، وَجَمَالُ
 [٥٧] الْمَنَاصِبِ ، وَثِمَالُ الْمَنَاسِبِ .

أَمَّا النَّسَبُ ، فَإِنَّهُ مُنْصِلٌ بِالْبَتُولِ وَحَيْدَرَةٍ ، وَمَنْ كَانَ فَرَعُهُمَا فَأَكْرَمَ بَغْضَنِ

تَهْدَلْ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ .

وَأَمَّا الْفَقْهُ فِإِمَامُ الْحَرَمَيْنِ^(١) صَلَّى خَلْفَهُ وَسَلَّم ، وَصَاحِبُ « التَّنْبِيهِ »^(٢)
أَغْمَضَ طَرْفَهُ وَهَوَّمَ .

وَأَمَّا الْأُصُولُ ، فَالْسَّيْفُ الْأَمْدِيُّ^(٣) قُلَّ حَدُّهُ وَتَثَلَّمَ ؛ وَابْنُ الْحَاجِبِ^(٤)
تَأَخَّرَ بَعْدَمَا تَقَدَّمَ .

وَأَمَّا الْخَطَابَةُ ، فَابْنُ نُبَاتَةَ^(٥) بَقِيَ مَعَهُ فِي شِمَاتِهِ ، وَابْنُ الْمُنِيرِ^(٦) ذَهَلَ مَعَهُ
وَتَحَيَّرَ .

وَأَمَّا الْأَدَبُ ، فَالْجَاحِظُ جُحِدَ بَيَانُهُ ، وَابْنُ بَسَّامٍ^(٧) بَكَى لِرَمَانَتِهِ زَمَانُهُ .
وَأَمَّا الْخَطُّ ، فَهُوَ بَعْدَ ابْنِ مُقْلَةٍ^(٨) إِنْسَانُهُ ، وَابْنُ هِلَالٍ^(٩) ظَهَرَ بَعْدَ كَمَالِهِ
نَقْصَانُهُ .

-
- (١) هو أبو المعالي ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، شيخ الشافعية ؛ توفي سنة ٤٧٨ هـ .
(سِير أَعْلَامُ النَبَلَاءِ ١٨ / ٤٦٨) .
- (٢) هو الإمام الشيرازي ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي الشافعي ؛ توفي سنة
٤٧٦ هـ . (سِير أَعْلَامُ النَبَلَاءِ ١٨ / ٤٥٢) .
- (٣) هو العلامة علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي ، فارس الكلام ؛ توفي سنة ٦٣١ هـ .
(سِير أَعْلَامُ النَبَلَاءِ ٢٢ / ٣٦٤) .
- (٤) هو جمال الأئمة أبو عمرو ، عثمان بن عمر بن أبي بكر الكردي ، الفقيه النحوي ؛ توفي سنة
٦٤٦ هـ . (سِير أَعْلَامُ النَبَلَاءِ ٢٣ / ٢٦٤) .
- (٥) مضت ترجمته في حواشي هذا الكتاب .
- (٦) هو ناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور الجذامي ، الإسكندراني ، له مصنفات مفيدة ؛ توفي سنة
٦٨٣ هـ . (فَوَاتِ الْوُفَيَاتِ ١ / ١٤٩) .
- (٧) هو أبو الحسن ، علي بن بسام الشنتريني الأندلسي ، صاحب كتاب « الذَّخِيرَةُ فِي مُحَاسِنِ أَهْلِ
الْجَزِيرَةِ » . (الْمَغْرِبُ لِابْنِ سَعِيدٍ - قِسْمُ الْأَنْدَلُسِ - ١ / ٤١٧) .
- (٨) هو أبو علي ، محمد بن علي بن الحسين بن مقلّة ، يُضْرَبُ بِخَطِّهِ الْمَثَلُ ؛ توفي سنة ٣٢٨ هـ .
(ثِمَارُ الْقُلُوبِ ١ / ٣٤٥) .
- (٩) هو أبو الحسن ، علي بن هلال ، المعروف بابن البوّاب ، الكاتب المشهور ؛ توفي سنة ٤٢٣ هـ .
(وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٣ / ٣٤٢) .

وَأَمَّا التَّرْسُلُ ، فَالْعِمَادُ^(١) مَا لَ رُكْنُهُ ، وَتَهْدَمُ بُنْيَانُهُ ، وَالْجَزْرِيُّ^(٢) صَوَّحَ رَوْضَهُ وَأَمَحَلَ بُسْتَانَهُ .

وَأَمَّا النِّظْمُ فَابْنُ الْمُعْتَزِّ أَحَاطَ بِهِ ذُلُّهُ وَهَوَانُهُ ، وَالشَّرِيفُ الرَّضِيُّ غَضِبَ لَمَّا أَهْمَلَ دِيْوَانَهُ .

هَذَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَحَاسِنَ تَعَدَّدَتْ ، وَفَوَائِدَ كَلَّمَا تَقَدَّمَ^(٣) الدَّهْرُ عَلَيْهَا تَجَدَّدَتْ ، وَفَوَاضِلَ جَمَعَهَا التَّدْوِينُ وَخُلِّدَتْ فِي الدَّفَائِرِ وَجُلِّدَتْ ، وَمُرُوءَةً تَحَمَّلَتْ كُلَّ مَشَقَّةٍ ، وَلَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ^(٤) ، وَرِثَاسَةٌ تَنَوَّعَتْ مِنْ عَوَارِفِهَا الْأَجْنَاسُ .

وَقَدْ أَنْهَى الْمَمْلُوكُ إِلَى الْعَلَمِ الْكَرِيمِ مَا تَجَدَّدَ لَهُ مِنَ الْبَهْجَةِ وَالشُّرُورِ ، وَشَارَكَ فِيهَا مُجِبِّي مَوْلَانَا ، وَهُمْ غَالِبُ النَّاسِ وَخُلَاصَةُ الْجُمْهُورِ ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى هَذِهِ النُّعْمَةِ الَّتِي انْتَبَهَ لَهَا الدَّهْرُ بَعْدَ إِغْفَائِهِ ، وَلَحَظَ حَظَّ الْفَضْلِ وَخَصَّ أَبْنَاءَ إِنْسَائِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُ لَنَا - مَعَاشِرَ الْأَرْقَاءِ وَالْمُحَيِّينَ - هَذِهِ النُّعْمَةَ ، وَيُمْتِعَ الْأَبْصَارَ وَالْبَصَائِرَ بِطُلُوعِ هَذَا الشُّهَابِ الَّذِي أَخْجَلَ الْبَدْرَ وَتَمَّمَهُ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكُتِبَ هُوَ الْجَوَابَ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ : [مِن الطَوِيلِ]

خَلِيلُ سَرَى عَنِّي وَقَلْبِي مُودَعٌ لَدَيْهِ فَلَيْتَ الْجِسْمَ لَوْ كَانَ يَتَّبِعُ

(١) عماد الدين الأصبهاني ، محمد بن محمد بن حامد القرشي ، صاحب « الخريدة » ؛ توفي سنة ٥٩٧ هـ . (مسالك الأبصار ١٢ / ٢٥٣) .

(٢) هو نصر الله بن محمد بن محمد ، ابن الأثير الجزري الكاتب ؛ توفي سنة ٦٣٧ هـ . (مسالك الأبصار ١٢ / ٢٦٩) .

(٣) في ب ، س : تقادم .

(٤) من قول المتنبي ، ديوانه ٣ / ٣٧٨ :

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ

خَلِيلُ صَفَاءِ ذُو وَفَاءٍ بَعْهْدِهِ
 بَدِيعُ الْحُلِيِّ وَافِي الْعُلَا وَاجِبُ الْوَلَا
 وَغَيْثُ لَأَقْصَى الْأَرْضِ يُهْدِي سَحَابًا
 تَنْوَهُ قَلْدَرِي حِينَ وَافِي كِتَابُهُ
 كِتَابُ حَكِي فِي لُطْفِهِ نَسْمَةُ الصَّبَا
 أَتَانِي فِي مُحَمَّرٍ طُرْسٍ كَأَنَّهُ
 تَضَوَّاتِ الْآفَاقِ نُورًا بِهِ كَمَا
 فَقُلْتُ لِأَزْيَابِ الْبَرَاةِ كُلِّهِمْ :
 وَهَنًا مَنْ بُقْيَاكَ أَقْصَى مُرَادِهِ
 بِتَوْقِيعِ دَسْتِ الْمُلْكِ وَالْمَجْلِسِ الَّذِي
 وَسَرَكَ مَا قَدْ سَرَّنِي مِنْ وَظِيفَةٍ
 وَشَبَّهْتُ بِالرَّايَاتِ نَشْرَ رِقَاعِهَا
 وَصَلْتُ عَلَى بُعْدِ الْمَسَافَةِ مُخْلِصًا
 وَمَا زُمْتُهَا لِلْمَعْلُوباتِ تَدْرُجًا
 وَلَكِنْ إِمَامُ الْفَضْلِ وَابْنُ إِمَامِهِ
 وَمَنْ قَدَرُهُ الْعُلَيَاءُ قَدْ شَرَفَتْ بِهِ
 تَصَدَّقَ فِي أَمْرِي مِرَارًا وَجَادَ لِي
 [٥٨] بِهِ انْصَرَفَتْ عَنِّي مَكَائِدُ حُسَيْدٍ
 وَكَمْ مِنْهُمْ مِنْ كَادِحٍ بَلَغَ الْمُنَى

إِلَى مَكْرُمَاتٍ سَابِقُ مُتَسَرِّعٍ
 لَهُ جَمٌّ بِرٍّ وَاصِلٌ يَبْرَعُ^(١)
 تَمُرٌّ بِأَفْطَارِ الْبِلَادِ فَتَمْرِعُ
 بِفَضْلِ لَهُ مِضْرًا وَشَامًا تَنْوَعُ
 وَأَسِيرُ مِنْهَا فِي الْبِلَادِ وَأَشْبِعُ
 سَنَا الشَّمْسِ فِي إِشْرَاقِهَا حِينَ تَطْلُعُ
 تَأَرَّجَتْ الْأَزْجَاءُ إِذْ يَتَضَوَّعُ
 كَذَا فَاسْلُكُوا نَهْجَ الْبَلَاغَةِ أَوْدَعُوا
 وَلُقْيَاكَ أَسْمَى مَا لَهُ يُتَطَّلَعُ
 تُزَالُ بِهِ شَكْوَى الضَّعَافِ وَتُسْمَعُ
 تَسَامَتْ فَكَمْ مِنْهَا عَدُوٌّ مُرَوِّعُ
 فَحَاكَتْ أَكْفًا بِالْذُّعَا لَكَ تَضَرُّعُ
 وَغَيْرُكَ بِي مَعَ قُرْبِ دَارِي يَقْطَعُ
 وَلَا رَغْبَةً فِي رُتْبَةٍ هِيَ أَرْفَعُ
 عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى الْحَاكِمِ الْمُتَشَرِّعُ
 وَمَنْ صَدْرُهُ الدَّهْنَاءُ بَلْ هُوَ أَوْسَعُ
 بِجَبْرِ وَطُولِ فَضْلِهِ الْمُتَطَوِّعُ^(٢)
 عَلَى ضَرَرِي بِالظُّلْمِ وَالْبَغْيِ أَجْمَعُوا^(٣)
 وَمَعَ جَمْعِهِ الدُّنْيَا لَهُ لَيْسَ يَشْبَعُ

(١) فِي ب : × مُتَبَرِّع .

(٢) فِي م : × بِخَيْرٍ

(٣) فِي م : مَكَارَهُ حُسَيْدٍ × .

إِذَا نَزَعَتْ عَنْ مُنْكَبِ الْحُرِّ حُلَّةً
وإن دَفَعُوهُ عَنْ وِلَايَةِ مَنْصِبٍ
وَمَا بِيَدِ الْمَخْلُوقِ مَنَعٌ وَلَا عَطَا
وَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارِ إِقَامَةٍ
وَمَا الْقَوْمُ إِلَّا هَالِكٌ بَعْدَ هَالِكٍ
إِلَيْكَ صَلَاحُ الدِّينِ زَادَ تَشَوُّقِي
بِعَادُكَ عَنِّي لَمْ يَكُنْ بِإِرَادَتِي
لَكَ الْأَدَبُ الْعَظُفُ الَّذِي قَدْ حَلَّاهُ
وَأَقْلَامُكَ الْحُسْنَى بَهَزَنَ مَحَاسِنَا
هِيَ الْأَغْصَنُ الْخُضْرُ الَّتِي تُثْمِرُ الْغِنَى
لَقَدْ أَلْبَسْتَ عِظْفِي لِلْفَخْرِ حُلَّةً
قَرِيضاً يُنْسِنَا الْغَرِيضَ وَمَعْبِداً
وَيَبْنِعُهُ نَشْرٌ جَلَّتْهُ كِتَابَةٌ
وَحُسْنُ مَقَاطِيعِ تَقَطَّعَ دُونَهَا
وَكَمْ كَلِمَاتٍ كَامِلَاتٍ مَحَاسِنَا
وَعَالِي تَعَالِيْقِي أَبَرَّ غَرَائِبَا
وَجَمُّ مَجَامِيعِ أَفْذَنَ لَطَائِفَا
إِذَا قُلْتَ لَمْ تَتْرُكْ مَقَالاً لِقَائِلِ
فَمَا رِقَّةُ الْوَرَّاقِ ، كَمْ مِنْ مَحَاسِنِ

فَعَنهُ لِبَاسُ الْفَضْلِ مَا لَيْسَ يُنَزَعُ
فَعَنْ مَنْصِبِ اسْتِحْقَاقِهِ لَيْسَ يُدْفَعُ^(١)
وَلَكِنَّهُ الْخَلَاقُ يُعْطِي وَيَمْنَعُ
وَبَعْضُ الْوَرَى فِي السَّيْرِ لِلْبَعْضِ يَتَّبِعُ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا رَاحِلٌ وَمُودَعُ
كَمَا صُدَّ ظَمَانٌ وَفِي الْمَاءِ يَكْرَعُ
وَلَمْ أَذِرْ فِي قُرْبِ اللَّقَا كَيْفَ أَصْنَعُ
جَنَى وَعَلَا مِقْدَارُهُ الْمُتَرْفَعُ
تُوشِّي بِهَا الْأَطْرَاسَ ثُمَّ تُوشَّعُ
بِهَا الْخَلْلُ يُرْعَى وَالْمُعَانِدُ يُزْدَعُ
شَأَتْ وَعَلَتْ عَمَّا بِصُنْعَاءِ يُصْنَعُ
عَلَيَّ مَحَلٌّ عَنْهُ يَجِبُنُ أَشْجَعُ^(٢)
تُحَيِّرُنِي أَيُّ الثَّلَاثَةِ أَبْدَعُ
قُلُوبِ الْعِدَى فِي قَالِبِ الْحُسْنِ تُطْعُ
طَوَالِ بِهَا شَمْلُ الْبَدَائِعِ يُجْمَعُ
بِهَا مُلْحٌ مِمَّا يُقَالُ وَيُسْمَعُ
تَعَدَّدَنَ فِيهَا وَالْمَيَامِنُ تُودَعُ
وَتَرْقَى إِلَى حَيْثُ الْكَوَائِبُ تَخْضَعُ
خَوِيَتْ عَلَى الْجَزَارِ بِالْفَضْلِ تَقْطَعُ^(٣)

(١) في م : وإن دفعوه . . . × .

(٢) الغريض ومعبد : من أعلام الغناء في العصر الأموي .

(٣) الإشارة إلى محمود الوراق ، شاعر الزُهديات في العصر العباسي ؛ وإلى أبي الحسين الجزار ، الشاعر المصري المعروف .

يَعُودُ التَّعَاوِيزِيُّ عَجْزاً كَمَا غَدَا
وَذَكَرَكَ بَعْدَ الْخَالِدِيِّينَ خَالِدٌ
فَأَنْتَ خِتَامٌ لِلْأَفَاضِلِ آخِرٌ
يَفُوقُ عَلَى الْعَبْدَيْنِ حُرّاً كَلَامِهِ
فِيَا سَابِقاً فِي حَوْزِ كُلِّ بَدِيعَةٍ
تَجَمَّلَ كُتَّابُ الرِّسَائِلِ إِذْ غَدَا
وَأَضْحَى لِعِقْدِ الْفَضْلِ وَاسِطَةً بِهَا
رَعَيْتُ لَكَ الْحَقَّ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
فَإِنِّي مِنْ آلِ النَّبِيِّ ذَوِي الصِّفَا
فَلَلْتَرْحَةَ الْعَبْرَاءِ عَنَّا تُفَرِّجُ
عَلَى رَبَّنَا مِنَّا صَاحِبُ تَوَكُّلٍ
وَدُونَكَ مِنِّي فِي الْبِعَادِ تَحِيَّةٌ
يَفُوقُ رَضِيئاً مُرْتَضًى قَوْلُهَا الَّذِي
تَحِيَّةَ ذِي وَدٍّ يَوَدُّ تَقَرُّباً

من البارِعِ المَشْهُورِ شِعْرُكَ أَبْرَعُ^(١)
وقَوْلُكَ من قَوْلِ الْبَدِيعَيْنِ أَبْدَعُ^(٢)
إِمَامٌ إِلَيْهِ فِي الْفَضَائِلِ يُرْجَعُ
وفي حِكْمَةِ الْإِنْشَاءِ كَالْعَبْدِ طَيِّعُ^(٣)
تَرْفُقُ بِنَا مَا فِي لِحَاقِكَ مَطْمَعُ^(٤)
صَلَاحاً لَهُمْ يُبْدِي الْمَقَالَ فَيُبْدِعُ
يَكُونُ جَمَالَ الْقَوْمِ إِنْ هُمْ تَجَمَّعُوا
وعَهْدُ خَلِيلِي لَيْسَ عِنْدِي يُضَيِّعُ
لَهُمْ فِي الْوَفَا نَهْجٌ قَوِيمٌ وَمَهْمُ
وَلِلدَّوْحَةِ الزَّهْرَاءِ مِنَّا تُفَرِّعُ
فَلَا مَفْرَعٌ إِلَّا لَهُ فِيهِ نَفْرَعُ^(٥)
تَحُبُّ إِلَى نَادِي دِمَشْقٍ وَتُوَضَّعُ
جَرَى خَلْفَهُ مِهْيَارُ كَالْعَبْدِ يَتَّبِعُ^(٦)
إِلَيْكَ وَيَرْجُو شَمْلَهُ بِكَ يُجْمَعُ

- (١) التَّعَاوِيزِيُّ : أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ ، وَالْكَاتِبُ الْمَعْرُوفُ ؛ تَوَفَّى سَنَةَ ٥٨٤ هـ . (وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٤ / ٤٦٦) .
- وَالْبَارِعُ : هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ، الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ ، الْأَدِيبُ النَّدِيمُ الْبَغْدَادِيُّ ؛ تَوَفَّى سَنَةَ ٥٢٤ هـ . (وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٢ / ١٨١) .
- (٢) الْخَالِدِيَّانِ : أَبُو بَكْرٍ سَعِيدٌ ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ ، ابْنَا هَاشِمٍ ، الْمُوصِلِيَّانِ . (تَرْجَمْتُهُمَا فِي مَقْدَمَةِ دِيَوَانِهِمَا) .
- وَالْبَدِيعَانِ : بَدِيعُ الزَّمَانِ الْهَمْدَانِي ، صَاحِبُ الْمَقَامَاتِ ؛ وَالبَدِيعُ الْإِسْطَرَلَابِيُّ ، الطَّبِيبُ وَالْفِيلَسُوفُ وَالْفَلَاسُفِيُّ وَالشَّاعِرُ .
- (٣) أَرَى أَنَّهُ يَقْصِدُ بِالْعَبْدَيْنِ : عَنْتَرَةَ بْنَ شَدَّادٍ ، وَسُحَيْمَ بْنَ عَبْدِ بَنِي الْحَسْحَاسِ .
- (٤) فِي م : × نَطْمَعُ .
- (٥) سَقَطَ هَذَا الْبَيْتُ مِنْ ب . وَفِي م : × يُنْفَعُ .
- (٦) إِشَارَةٌ إِلَى الشَّرِيفَيْنِ : الرُّضِيِّ وَالْمُرْتَضَى .

وَلَوْ لَمْ تُطَارِحْنِي طَرَحْتُ مَقَالَتِي لِنَظْمٍ وَنَثَرٍ مِنْهُمَا يَدٌ أَنْزَعُ
 وَلَكِنْ مُكَافَأَةُ الْجَمِيلِ تَعَيَّنَتْ عَلَيَّ لِمَنْ لِي مِنْهُ يَغْدُبُ مَشْرَعُ
 وَوَازَنْتُ دُرَّ الشَّعْرِ مِنْكَ بِزِمَمِي وَمَا يَسْتَوِي فِي الشَّعْرِ دُرٌّ وَيَزَمَعُ^(١)
 وَمَا صَنَعَةُ الْأَدَابِ إِلَّا شَقَاوَةٌ فَعَنْهَا الَّذِي يَهْوَى السَّعَادَةَ يُقْلَعُ
 كَفَاكَ الْغِنَى عَنْ أَنْ تَكُونَ مُوقِعًا فَمَا ذُو الْعَنَاءِ وَالْفَقْرِ إِلَّا الْمَوْقِعُ
 يُقْبَلُ الْأَرْضَ الْمُتَوَالِيَةَ [هـ ٥٨] الدَّيْمَةِ ، الْغَالِيَةِ الْقِيَمَةِ ، الزَّاكِيَةِ الشَّيْمَةِ ،
 الْكَافِيَةِ وَلَيْهَا بِمَا تَسْمَحُ بِهِ مِنَ الْمِنَحِ أَنْ يَلْمَحَ الْبَرْقُ أَوْ يَشِيْمَهُ ، لَا زَالَتْ نِعْمُهَا
 لَهَا الْمَوَاهِبُ الْعَمِيْمَةُ ، وَهَمَمُهَا لَهَا الْكَوَاكِبُ ضَمِيْمَةُ .

ويُنْهِي - بَعْدَ مُوَالَاةٍ صَحِيْحَةٍ صَمِيْمَةٍ ، وَمُتَالَاةٍ مَدِيْحَةٍ الَّذِي يَخْسُدُ الْمِسْكُ
 شَمِيْمَهُ ، وَمُغَالَاةٍ فِي ذِكْرِ مَحَاسِنِهِ الَّتِي يُوَالِي إِلَى كُلِّ سَامِعٍ إِذَا ذَكَرَ الْخَلِيلُ
 تَحِيَّتَهُ وَتَسْلِيْمَهُ - وَرُودَ الْمُشْرِفِ الْعَالِي ، الْمُشْرِفِ لِقَدْرِهِ ، الْمُسْعِفِ بِرِّهِ ،
 الْمُسْلَفِ لِحَبْرِهِ ، الْمُوجِفِ^(٢) لِمَيْمُونِ نَصْرِهِ ، الْمُنْصِفِ دُونَ أَهْلِ عَصْرِهِ ،
 الْمُتَحِفِ بِالْإِنْعَامِ وَالْجُودِ مِنْ شَأْمِ الْوُجُودِ لِمُضْرِهِ ؛ فَلَثَمَ آثَارَ أَنْامِلِهِ ، وَغَنِمَ إِثَارَ
 قَوَاضِيهِ ، وَتَقَلَّدَ عُقُودَ جَوَاهِرِهِ ، وَوَجَدَ سُعُودَ زَوَاهِرِهِ ، وَجَنَى يَانِعَ ثَمَرِهِ
 وَاجْتَلَى طَالِعَ قَمَرِهِ ، فَوَقَّرَ لَهُ حَيْنَ عَادَ بِجَمِيْلِهِ أَنْسَاءً ، وَذَكَرَ مَنْ كَادَ لِحُمُولِهِ
 يُنْسَى ، وَأَتْلَجَ بِضُدُورِهِ صَدْرًا وَأَبْهَجَ نَفْسًا ، وَعَرَّجَ عَلَى طَلَلٍ بَالٍ أَثَرَ فِيهِ امْتِهَانُ
 الزَّمَانِ دَرْسًا ، فَسَقَى هَتَائِهُ غَرْسًا ، وَوَقَّى إِحْسَانَهُ بَأْسًا ، وَانْتَفَى مِنْ نُطْقِهِ طِرْزًا
 بَدِيعًا فَأَوْدَعَهُ لِرَقِّهِ طِرْسًا ، وَرَفَعَ الْمَمْلُوكُ لَهُ بِالْإِبْتِهَالِ خَمْسًا ، وَغَنِمَ مِنْهُ
 الْإِفْضَالَ الَّذِي أَلْفَ غَمْرًا وَغَرَفَ فِيهِ غَمْسًا ، وَحَكَمَ لَهُ الْإِتِّصَالُ بِالصَّلَاحِ أَنْ
 يَفْضَلَ شَهَابُهُ فِي غَزَارَةِ الْإِنَارَةِ شَمْسًا .

(١) الْبَرَمَعُ : الْخُذْرُوفُ يَلْعَبُ بِهِ الصَّبِيَّانِ ، وَحَجَارَةٌ رَخْوَةٌ إِذَا فُتَّتْ انْفَتَتْ . (الْقَامُوسُ) .

(٢) فِي ب ، س : الْمَرْجِفُ .

ورأى المملوك ما اشتمل عليه من بدأة إفضال ، وإفاعة ظلال ، وافتتاح
 بإجمال ، وإنجاح آمال ، وشمول بإحسان لا يُحسن شكر لسنه اللسان ،
 ومقول من بديع بيان ، تعجز العقول بمثله عن الإتيان ، وإن تعددت الأحياء
 وتجددت الأحيان ؛ فإذا هو قد كساه من حلله ، وواساه بتفضله ، وما تناساه
 من تطوُّله ، وبجله أوصافاً ، جمّلت له أعطافاً ، وخوّله إسعافاً ، يُديم به
 اعتداداً وله اعترافاً ؛ فجّلّ إنعامه أن يكافى ، واستهلّ غمامه بسقيا الرحمة
 ووافى ، ودلّ نظامه على أن بحرّه لا يهدي الدُرّ إلا كباراً ، ولا يُبدي الجوهر
 إلا شفافاً .

فتقلّد المملوك صنائعه ، وخلّد بدائعه ، وحمد الله تعالى على أن حفظ به
 صناعة الأدب الضائعة ، (وعضد الملك بسهامه النابلة الراشقة ، الصائلة
 الرائعة) ، (١) ونضد السلك بفرائد فوائده الشائعة ، التي تأتيها المعاني الطائلة
 وهي طائعة .

فأما الشعر : فما أبو الطيّب غير عزفه ، وما حبيب غير لطفه ، وما
 البُخترى إلا قصير عن وصفه ، وما بشار إلا أعمى عن إدراك طرفه بطرفه (دون
 حتفه) ، وما أبنا الهائنين (٢) إلا كالوائنين من خلفه ، وما جرير غير أسير في
 قبضة كفّه ، وما الفرزدق وإن طبّق شعره الأرض إلا عاجز عن إدراك شأوه ولم
 يوفّه .

وأما النثر فما ابن عباد إلا كعبيده ، وما الخوارزمي إلا من بعض جُنّده ،
 وما ابن خاقان إلا مُلقط دُرّ قلائده من عقده ، (وما ابن عبد ربّه إلا مُعَبِّط
 بجواهره ، ليَجعلها زينة عقده ،) (١) وما عبد الحميد إلا مُستفيد في رسالته من

(١) ما بين قوسين ساقط من أ .

(٢) الحسن بن هاني (أبو نواس) ، وابن هانيء الأندلسي .

رُشِيدِهِ ، وما عبدُ الرَّحِيمِ الْفَاضِلُ إِلَّا مُتَزَيِّدٌ مِنْ رِفْدِهِ ، نَاقِصٌ عَنْ مَجْدِهِ .

وَأَمَّا اللَّغَةُ فَمَا ابْنُ فَارِسَ مِنْ قُرْسَانِهِ ، وما الْجَوْهَرِيُّ غَيْرَ بَيَانِهِ ؛ [٥٩ أ] وما صَاحِبُ الْمُحْكَمِ^(١) غَيْرَ إِتْقَانِهِ ، وما النَّهَابَةُ إِلَّا لِإِحْسَانِهِ ، وما الْأَصْمَعِيُّ إِلَّا دَعِيٌّ عِنْدَ إِتْقَانِهِ ، وما الصَّاعِغَانِيُّ إِلَّا مَا صَاغَهُ إِبْرِيزُ لِسَانِهِ .

وَأَمَّا الْحِفْظُ فَمَا حَمَّادٌ عِنْدَ رِوَايَتِهِ ، وما ابْنُ دُرَيْدٍ عِنْدَ دِرَايَتِهِ ، وما الْحَلِيلُ سَمِيئُهُ إِلَّا مُتَحَلٍّ عَنِ السُّمُوِّ لِغَايَتِهِ ، وما السَّيرَافِيُّ إِلَّا سَائِرٌ فِي نُورِ هِدَايَتِهِ ، وما خَلْفُ الْأَحْمَرِ إِلَّا تَحْتَ بَيَاضِ رَايَتِهِ .

وَأَمَّا التَّأْلِيفُ فَمَا لَابْنُ رَشِيقٍ عُمْدَةٌ عَلَى غَيْرِ مَقَالِهِ ، ولا الْمَيْدَانِيُّ ذُو الْأَمْثَالِ مِنْ أَمْثَالِهِ ، ولا ابْنُ الْقَطَاعِ إِلَّا قَاصِرٌ عَنْ أَفْعَالِهِ ، ولا ابْنُ حَمْدُونَ إِلَّا مُقْتَدٍ فِي تَذَكُّرَتِهِ بِأَقْوَالِهِ ، ولا الْعَسْكَرِيُّ إِلَّا مُنْهَزِمٌ مِنْ نِزَالِهِ ، ولا النَّحَّاسُ إِلَّا مُخْتَدٍ فِي صِنَاعَتِهِ بِتِمَثَالِهِ ، ولا ابْنُ مَضَاءٍ إِلَّا وَاقِفٌ عِنْدَ حِدَّةِ ذَهْنِهِ مُقَرَّبٌ بِكَلَالِهِ .

وَأَمَّا الْكِتَابَةُ فَمَا ابْنُ هِلَالٍ إِلَّا مُسْتَتِرٌ عِنْدَ تَمَامِهِ ، وما ابْنُ مُقْلَةَ إِلَّا غَاضٍ بِصَرِّهِ عَنْ رِفْعَةِ مَقَامِهِ ، وما الْوَلِيُّ^(٢) عِنْدَ اسْتِزْسَالِ خَطِّهِ وَانْسِجَامِهِ ، وما ابْنُ الْعَدِيمِ^(٣) عِنْدَ وَجْدِهِ إِلَّا تَابِعٌ لِأَبِيهِ فِي إِعْدَامِهِ ، وما ابْنُ الشَّيرَازِيِّ^(٤) أَهْلًا أَنْ يُوَازِي قُلَامَةً مِنْ أَقْلَامِهِ .

فَآخِياً اللَّهُ تَعَالَى مَوْلَانَا لِلْأَدَبِ يُجَدِّدُ دَائِرَتَهُ ، وَيُوجِدُ مَآثِرَهُ ، وَيُنْجِدُ

(١) في أ ، ب ، س : وما صاحب الحكم ! والمثبت من م . وصاحب المُحْكَمِ : هو ابن سِيْدِهِ ، عليّ

ابن إسماعيل النحويّ اللّغويّ الأندلسيّ المشهور توفّي سنة ٤٥٨ هـ . (وفیات الأعيان ٣/ ٣٣٠) .

(٢) هو وليّ الدّين العجميّ ، عليّ بن زنكي ، أخذ الخط المنسوب عن ياقوت المستعصمي ، وعنه أخذ

عفيف الدّين محمّد الحلبي . (صبح الأعشى ٣/ ١٤) . ولعلّ الصّواب : وما الوليّ [بوليّ] .

(٣) ابن العديم : الصّاحب كمال الدّين عمر بن أحمد بن أبي جرادة صاحب كتاب « بغية الطلب في

تاريخ حلب » . توفّي سنة ٦٦٠ هـ . (الوافي بالوفيات ٢٢/ ٤٢١) .

(٤) لم أعرفه .

عائِرُهُ ، وَيُرْشِدُ نَاطِمَهُ وَنَائِرَهُ ، وَيَبْرِزُ أَهْلَهُ ، وَيُعِزُّ سَهْلَهُ ، وَيُعْذِبُ نَهْلَهُ ، وَيُذْهِبُ جَهْلَهُ ، وَيُؤَلِّفُ جَمْعَهُ ، وَيُسَلِّفُ صُنْعَهُ ، وَيُهَيِّئُ نَفْعَهُ ، وَيُبَوِّئُ مِنْهُ الرِّفْعَةَ .

وَلَا أَعْدَمُ أَصْحَابَهُ سَحَابَهُ^(١) ، وَلَا أَفْقَدُ إِخْوَانَهُ امْتِنَانَهُ ، وَرَأَى لَهُ سَبْقَهُ ، وَرَعَى لَهُ حَقَّهُ ، فَقَدْ وَصَلَ فِي الْفُرْقَةِ ، دُونَ الرُّفْقَةِ ، وَأَوْصَلَ رِفْقَهُ ، إِذْ قَطَعَ الرُّفْقَةَ ؛ وَقَرَّبَ جَبْرَهُ عَلَى بُعْدِ الشُّقَّةِ ، فَأَذْهَبَ الْمَشَقَّةَ ، وَأَبْقَى بَرَّهُ الَّذِي مَا ضَرَّهُ مَعَهُ مَنْ عَقَّهُ ، بَلْ أَسْعَدَهُ بِمَا اسْتَعْبَدَهُ وَاسْتَرْقَهُ .

وَمَا يَتْرِكُ الْمَمْلُوكُ الْمُوَاصِلَةَ بِخِدْمِهِ مَعَ كُلِّ بَرِيدٍ يَسِيرُ ، وَالْمُرَاسِلَةَ بِكَلِمَةٍ لِيَلْتَمِسَ مِنْ نَحْوِهِ الْإِفَادَةَ وَيَسْتَمِيرَ ، إِلَّا تَخْفِيفًا عَنْ خَاطِرِهِ الشَّرِيفِ مِنَ التَّثْقِيلِ ، وَتَسْوِيفًا بِأَيَّامِ الْبُعْدِ لَعَلَّ الْقُرْبَ يَكُونُ عَنْ قَلِيلٍ ، فَيُشَاهِدَ ذَاكَ الْمُحَيَّا^(٢) الْجَمِيلَ ، وَيُسَاعِدَ عَلَى سُبُوغِ التَّأْمِينِ وَبُلُوغِ التَّأْمِيلِ ، وَيُعَاضِدَ مِنْ كَرَمِ مَوْلَانَا الْجَلِيلِ ، بِنِعَمِ الْخَلِيلِ ، فَيُمْسِي وَقَدْ أَقَامَ بَيْنَ أَهْلِ الشَّامِ فِي أَعَزِّ قَبِيلٍ ، وَيُضْبِحَ وَمَا لَاهِتْضَامِ الْأَيَّامِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ .

وَفِهِمُ الْمَمْلُوكُ الْإِشَارَةَ الْكَرِيمَةَ ، إِلَى إِحْسَانِ الْمَوَالِي السَّادَةِ كُتَابِ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِدَمْشَقِ الْمَحْرُوسَةِ ، حَمْدَ اللَّهِ صَنِيعَهُمْ ، وَأَيَّدَ جَمِيعَهُمْ ، وَجَمَعَ فِي رُبُوعِ الْعُلْيَا شَمْلَهُمْ ، وَسَمِعَ مَرْفُوعَ الدُّعَاءِ لَهُمْ ، فَالْمَمْلُوكُ يَسْأَلُ إِبْلَاغَهُمْ سَلَامَهُ ، وَالنَّبَايَةَ عَنْهُ فِي شُكْرِ عَوَارِفِهِمُ الْعَامَّةِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَحْفَظُ بِطَوْلِ بَقَائِهِ لِلْأَدَبِ نِظَامَهُ ، وَيَلْحَظُ بِجَمِيلِ انْتِقَائِهِ رُتَبَ الزَّعَامَةِ فِيهِ وَالْإِمَامَةِ ، فَمَا عِنْدَ نَفْدِهِ نَقْدُ أُسَامَةِ ، أَمْ مِنْ قَدَامَةٍ قُدَامَهُ ؛ بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ ، وَقَدْ سَيَّرَ إِلَيَّ يَطْلُبُ عَبَاءَةً سَوْدَاءَ لِيَلْبَسَهَا ، تَوَاضَعًا مِنْهُ ،

(١) فِي أ ، ب ، س : سَحَابِهِ . وَالْمُثَبِّتُ مِنْ م .

(٢) فِي ب : الْوَجْهَ الْجَمِيلَ . وَهَذَا بِمَعْنَى .

فَجَهَّزْتُهَا إِلَيْهِ ، وَمَعَهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتُ ^(١) : [من الكامل]

يَا سَيِّدَا مَا زَالَ يُدْعَى سَيِّدَا
شَرَفْتَنِي بِأَوَامِرِ دَأْبِي لَهَا
وَطَلَبْتَ بُشْتَا أَسْوَدَا مِنْ جَلَقِ
لُبْسِ الْعِبَاءَةِ وَالْعُيُونُ قَرِيرَةٌ
فَالْبَسْنُهُ فَضْفَاضَ الدُّبُولِ حَكَى الدُّجَى
حَارَ الْمَكَارِمَ وَالْعُلَى وَالشُّؤْدَا
مَهْمَا أَتَى مَرْسُومُهَا أَنْ أَسْجُدَا
[٥٩هـ] وَلَوْ اقْتَصَرْتَ لِبَسْتَ حَظِي الْأَسْوَدَا
خَيْرٌ مِنَ الْحُلِيِّ الْحَرِيرِ مَعَ الرَّدَى
لَوْنَا فَوَجْهَكَ فَوْقَهُ بَدْرٌ بَدَا

● فَكُتِبَ هُوَ الْجَوَابُ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ ^(٢) : [من الكامل]

حَيَا دِمَشْقَ وَأَهْلَهَا غَيْثُ النَّدَى
دَارُ خَلِيلِ الصَّدَقِ سَاكِنُ رُبْعِهَا
الْفَاضِلُ الْمُتَفَضَّلُ الْحَبْرُ الَّذِي
النَّاطِمُ الْعَقْدَ الْفَرِيدَ قَرِيبُهُ
وَالكَاتِبُ الْحَسَنَاتِ فِي صُحُفٍ لَهُ
الصَّاحِبُ الْمَوْلَى الْجَمِيلُ صَحَابُهُ
وَصَلَتْ وَصَلَتْ إِلَيَّ مِنْكَ عَوَارِفُ
وَأَتَى إِلَيَّ الْبُشْتُ مُقْتَرِنَا بِمَا
صُوفُ بِهِ لِدَوِي الصَّفَاءِ تَلْقُعُ
قَدْ جَاءَ مِنْ جِهَةِ الصَّلَاحِ فَحَبَّذَا
هُوَ حَالِكٌ لَوْنَا كَلَحَظِ أَغْيَدِ
قَدْ قُمْتُ فِي لَيْلِ الشِّتَاءِ بِهِ إِلَى
وَسَقَى مَعَاهِذَهَا الْحَيَا مُتَعَهِّدَا
مَا عَنْهُ مِنِّي بِالرَّضَى أَنْ أَبْعَدَا
جَمَعَ الْمَحَاسِنَ كُلَّهَا فَتَقَرَّدَا
وَالنَّائِرُ الدَّرُّ النَّفِيسَ مُنْضَّدَا
يَبْضُ لَهَا اسْوَدَّتْ وَجُوهٌ لِلْعَدَى
مُتَفَضِّلًا مُتَطَوِّلًا مُتَوَدَّدَا
قُرْبًا وَبُعْدًا بِرُّهَا لَنْ يُفْقَدَا
لَكَ مِنْ يَدِ بَيْضَاءَ كَمْ وَهَبَتْ يَدَا
شَعْرُ شِعَارٍ مَنِ اغْتَدَى مُتَعَبِّدَا
هُوَ مِنْ لِبَاسِ ثَقَى بِهِ قَدْ أَسْعَدَا
أَوْ مِثْلَ حَظِي حِينَ أَمْسَى أَسْوَدَا
رَبِّ السَّمَاءِ أَدْعُو لَهُ مُتَهَجِّدَا ^(٣)

(١) الأبيات في أعيان العصر .

(٢) القصيدة تنقص أبياتاً في أعيان العصر .

(٣) إلى هنا في أعيان العصر .

طَلَبِي لَهُ تَزْكَاءَ لِدُنْيَاهُمْ لَهَا وَخَرَجْتُ عَنْهَا زَاهِداً مُتَجَرِّداً
فَلِمَ التَّعَلُّقُ بِالْحُطَامِ وَأَهْلِهِ وَعَفَافُ نَفْسِي مانِعٌ أَنْ أَجْهَدا
وَالْأَمْسُ فَاتٌ وَلَيْسَ يَوْمِي خَالِداً لَكِنْ بِوَعْدِ اللَّهِ لِي ثِقَةٌ غَدا
فَاللَّهُ يُنْهَضُنَا لِنَعْمَلَ صَالِحاً وَاللَّهُ يُوقِظُنَا لِذَا قَبْلَ الرَّدَى
وَاللَّهُ يَجْمَعُ بِاقْتِرَابِكَ شَمْلَ مَنْ يَعْدُو لِمَذْحِكَ مُضِيراً أَوْ مُورِداً
يُقْبَلُ كَذَا ، التي ما زالَ يَأْوِي ظِلَّهَا ، وَيَخْوِي فَضْلَهَا ، وَيَزْوِي عَنْهَا
الْمَحَاسِنَ جَمِيعَهَا وَالْمَيَامِينَ كُلَّهَا ، لَا يَبْرَحُ تَهَمُّعٌ وَبَلْهًا ، وَتَتَبَرَّعُ بِالْجُودِ لِمَنْ
قَصَدَهَا وَأَمْلَهَا ، كَمَنْ وَرَدَهَا وَحَلَّهَا .

وَيُنْهِي بَعْدَ أَدْعِيَةٍ تَصِلُ مِنْ أَبْوَابِ الْإِجَابَةِ سُبُلَهَا ، وَأَثْنِيَّةٍ مَا النَّدُّ نِدَّهَا وَلَا
الْمِسْكُ مِثْلَهَا ، وَرُودَ الْمُشْرِفِ الْعَالِي عَلَى يَدِ مَوْلَانَا الشَّيْخِ بَهَاءِ الدِّينِ أَبِي
حَامِدٍ ، وَلَدِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا قَاضِي الْقَضَاةِ تَقِيِّ الدِّينِ السُّبْكِيِّ ، أَعَزَّ اللَّهُ
أَحْكَامَهُ ، وَوَقَى الْأَسْوَاءَ الْأَضْلَ وَالْفَرْعَ ، وَأَبْقَى^(١) فِي يَدِ عَدْلِهِمَا زِمَامَ
الشَّرْعِ ، فَأَفْضَى الْمَمْلُوكُ إِلَيْهِ بِالْقُبُلِ قَبْلَ أَنْ يَقْضَهُ ، وَأَدَّى مِنْ تَكْرِيرِ التَّكْرِيمِ
فَرَضَهُ ، وَتَسَلَّمَ الْمَمْلُوكُ مَا افْتَرَنَ بِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ ، وَعَمَّتْ جَوَارِحُهُ نِعَمَ مَوْلَانَا ،
فَقَامَ عَنْهَا لَا بِسَاءَ السَّوَادِ بِالْحَمْدِ خَطِيبُ لِسَانِهِ ؛ وَمَا أَخَّرَ الْجَوَابَ عَنْ وَقْتِهِ إِلَّا
لِشَوَاغِلِ أَفْكَارِهِ ، بِتَوَاضُلِ أَكْدَارِهِ ، وَإِقْبَالِ أَيَّامِهِ بِإِفْحَامِهِ وَإِذْبَارِهِ ، وَقِلَّةِ
أَنْصَارِهِ ، وَذِلَّةِ إِفْتَارِهِ^(٢) ؛ وَلَكِنَّ عِزَّةَ نَفْسِهِ مُسْتِنْدَةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي إِقْلَالِهِ
وَإِكْثَارِهِ ، مُعْتَمِدَةً عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أَهْوَالِهِ وَأَخْطَارِهِ .

● وَكُنْتُ هُوَ إِلَيَّ وَقَدْ طُلِبْتُ إِلَى الْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ فِي سَنَةِ ٧٤٥ : [من]

[المنقارب]

(١) فِي أ ، ب ، م : وَأَلْقَى .

(٢) فِي ب : افْتَقَارِهِ .

خَلِيلَ الصَّفَا مَرْحَباً مَرْحَباً
وَجِئْتَ إِلَى مَلْجَأِ الْقَاصِدِينَ
وَمُنْجِدِ هَذَا الْوَرَى بِالسَّمَّاحِ
وَمَنْ أَسْلَفَ الْخَيْرَ وَالْمَكْرُمَا
وَحَافِظِ أَسْرَارِ مَوْلَى الْمُلُو
وَتَجْرِي الْأَجُورُ بِأَقْلَامِهِ
وَتَهْزَأُ إِنْ جُرِّدَتْ لِلْكَفَا
وَمَنْ فَاقَ مَنْ قَبْلَهُ فِي الْفَخَا
لَهُ الرُّتَبُ الْبَاهِرَاتُ الْعُلَى
وَإِنْ جَهَّزَ الْبُرْدَ السَّائِرَا
وَسَطَّرَ مِنْ خَطِّهِ فِي الطُّرُو
وَقَدْ مَلَأَ الصُّخْفَ إِمْلَاؤُهُ
وَأَعْجَزَ إِدْعَاؤُهُ الْقَائِلِيْدُ
وَبَخَّرَ الْعُلُومَ الْمُفِيدُ الصَّوَا
فَعَلِيَاؤُهُ بَزَغَتْ مَشْرِقَا
وَلِلتُّجَحِ أَبْوَابُهُ جُرْبَتْ
وَصَيَّرَنِي جُودُهُ خَادِماً
وَحَيَّمْتُ فِي رُبْعِ مَوْلَى الْكِرَا
جَعَلْتُ حَوَالَتَهُ فِي غَدِ

طَلَعْتَ بِأَفْقِ الْعُلَا كَوَكْبَا
عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى الْجَزِيلِ الْحَبَا
وَمَنْ لَمْ يَزَلْ غَزُسُهُ مُنْجِبَا
تِ وَمَنْ شَرَّفَ الدَّهْرَ وَالْمَنْصِبَا
كَ [١٦٠] يُودِعُهَا صَدْرُهُ الْأَزْحَبَا
فَكَمْ لِلْكَرَامِ قَدْ اسْتَكْتَبَا^(١)
حِ بِسْمِ الرِّمَاحِ وَيُبِضُ الطُّبَا^(٢)
رِ وَصَارَ لِمَنْ بَعْدَهُ مُنْعِبَا
لَهُ الْكُتُبُ الْعَاطِرَاتُ النَّبَا
تِ أَبَادَ الْعِدَى مِقْتَباً مِقْتَبَا
سِ مَا عِنْدَهُ ابْنُ هِلَالٍ هَبَا
لَطَائِفَ كَمْ أَنْجَحْتَ مَطْلَبَا
نَ إِنْ هُوَ أَوْجَزَ أَوْ أَسْهَبَا
بِ وَطُودُ الْحُلُومِ إِذَا مَا اخْتَبَى^(٣)
وَنَعْمَاؤُهُ بَلَغَتْ مَغْرِبَا
وَإِنِّي لِمَنْ بَعْضِ مَنْ جَرَّبَا
وَأَمْطَرَنِي جُودُهُ صَيِّبَا
مِ وَمَنْ لِلْوَسَائِلِ مَا خَيَّبَا
عَلَى جَدِّي الْمُصْطَفَى الْمُجْتَبَى

(١) في أ، م : ومجري ×

(٢) في ب : وتهتز ×

(٣) في م : . . . مفيد الصواب ×

وَأَدْعُو لَهُ إِنَّ دَعْوَتُ الْبُتْرِ
 قَدَامَ غِيَاثٍ لِأَهْلِ الزَّمَانِ
 أَعْلَى الْوَرَى رُتْبَةً فِي الْبِيَا
 عَالَا بِلِقَائِكَ شَأْنُ الشَّامِ
 لَكَ الْأَدَبُ الْحُلُوُّ غَضُّ الْجَنَى
 وَأَبْدَعْتَ نَظْمَ عُقُودِ الْقَرِيذِ
 رَفِيقُ الْحَوَاشِي أَنْيَقُ الْحُلَى
 فَمِنْهُ مَطَالِغُ تَحْوِي الثُّجُو
 وَنَضَّدْتَ نَثْرًا كَزَهْرِ الرِّيَا
 بَدِيعُ الْفُصُولِ صَنِيعُ الْمَقْوِ
 وَدُونِكَ فِي الْعِلْمِ مَنْ أَلْفَ التَّدْ
 فَإِنَّ الْخَلِيلَ إِمَامُ الْكَلَا
 وَأَنْتَ الْجَوَادُ الَّذِي مَا كَبَا
 وَقَدْ خَطَبْتِكَ لَهَا الْمَعْلُو
 وَعُذْتُ إِلَى مِضْرَ عَوْدَ الرِّيَا
 وَأَنْسَتَ لِمَا رَجَعْتَ الدِّيَا
 فَالْبَسَ يَرَاعُكَ ثَوْبَ السَّوَا
 وَقَدْ تَقَالَيْدَكَ الْفَاخِرَا
 وَأَبْدِ الْغَرَائِبَ مِمَّا ابْتَكُرَ

لَ أُمًّا وَحَيْدَرَةً لِي أَبَا
 نِ يُرْتَعُّهُمْ رَوْضُهُ الْمُخَصَّبَا (١)
 نِ وَمَنْ لِلْبِدَائِعِ قَدْ رَتَّبَا
 مِ وَرَاعَ يَرَاعُكَ مَاضِي الشَّبَا (٢)
 فَكَمْ مَرَّ بِالسَّمْعِ مُسْتَعْذَبَا
 ضِ وَأَبْدَيْتَ مَذْهَبَكَ الْمَذْهَبَا
 يُقَارِنُ مُرْقِصُهُ الْمُطَرِبَا
 مِ وَمِنْهُ الْمَرَابِيعُ تَأْوِي الظُّبَا
 ضِ حَازَ حُلَى الْحُسْنِ مُسْتَوْعِبَا
 لِ يَسْتَعْمِلُ الْأَلْيَقَ الْأَنْسَبَا
 تَصَانِيفَ مَنْ قَبْلُ أَوْ هَذَبَا
 مِ كَمْ لِلْأَنَامِ بِهِ دَرَبَا
 وَأَنْتَ الْحُسَامُ الَّذِي مَا نَبَا
 تُ وَحُقَّ لِمِثْلِكَ أَنْ يُخْطَبَا
 بِ حَلٍّ فَأَنْعَشَ بِنْتَ الرُّيَا (٣)
 رَ وَجَمَلْتَ ذَا الْبَلَدِ الطَّيِّبَا
 دِ وَمُرُهُ بِسَجْعِكَ أَنْ يَخْطَبَا
 تِ مَنْ شَهِدَ الدُّسْتَ وَالْمَوْكِبَا
 تَ وَلَيْسَ بِدِيعِكَ مُسْتَعْرَبَا

(١) فِي م : × . . . حَوْضُهُ الْمُخَصَّبَا .

(٢) فِي س : عَلَا بِمَقَامِكَ . . . × . . . وَفِي م : عَلَا بِمَقَامِكَ شَاو . . . × . . .

(٣) فِي م : × . . . نَبَتِ الرُّيَا .

بِدَائِعُ مَنْ حَاذَهَا لَمْ يَزَلْ
رَوَائِعُ كَمْ أَنْهَجَتْ وَاعِيَا
كَطِيبِ الزَّمَانِ وَظِلُّ الْأَمَا
فَدُمْتَ جَلِيلًا بِكُلِّ الْبَلَا
يُصَاحِبُهُمْ مِنْكَ خُلُقٌ جَمِيعُ
تَعْلَمَ مِنْ لُطْفِ أَوْصَافِكَ الْ
فَمُنِيَّةُ نَفْسِي هَذَا الدُّنُو
وَسَامِخٌ مُقِلًّا مُخَالًّا بِمَا

بِإِبْرِيذِهَا تَائِهًا مُعْجَبًا^(١)
وَكَمْ نَهَجَتْ مَهْيَعًا أَضُوبًا^(٢)
نِ وَعَصْرِ الشَّبَابِ وَعَيْشِ الصَّبَا^(٣)
دِ خَلِيلًا إِلَى الْخَلْقِ قَدْ حُبِّيَا^(٤)
لْ وَيَغْدُو اخْتِرَامُكَ مُسْتَضْحِيَا
حِسَانِ فَرَقَ نَسِيمُ الصَّبَا
وَقُرَّةُ عَيْنِي أَنْ تَقْرِبَا^(٥)
عَلَيْهِ لَكَ الْفَضْلُ قَدْ أَوْجَبَا

● فكتبتُ أنا إليه الجوابَ عن ذلك : [عن المتقارب]

أَسَيَّدْنَا الْفَاضِلَ الْمُجْتَبَى
وَمَنْ سَارَ بَيْنَ الْوَرَى ذِكْرُهُ
وَمَنْ خَطَّهُ مِثْلُ زَهْرِ الدُّجَى
وَمَنْ رَفَّ لِي فَضْلُهُ غَادَةٌ
فَشَرَفَ قَدْرِي وَأَعْلَاهُ لِي
فَأَهْدَى الشُّرُورَ إِلَى خَاطِرِي
وَأَغْرَبَ عَنْ سُودِدِ ظَاهِرِي
وَنَزَهَ طَرْفِي فِي رَوْضَةٍ
وَكَمْ كَفَّ عَنِّي مِنْ مَهْلِكِ

وَرَبَّ الْعُلَا وَالْحِجَى وَالْحُبَا
قَطَابَ بَرِّيَاهُ نَشْرُ الصَّبَا
وَأِنْ نَتَازَلَ فَرْهَرُ الرُّبَا
أَتَتَّنِي مِنْ طَرْسِهِ فِي خِبا
إِلَى أَنْ تَخَيَّلْتَهُ كَوَكْبَا
وَجَدَدَ عِنْدِي عَهْدَ الصَّبَا
وَلَكِنَّهُ فِي الْعُلَا أَغْرَبَا
سَقَاهَا الْحَيَا غَيْثُهُ صَيِّبَا
يُسُوءُ وَنَوَّلَنِي مَطْلَبَا

(١) سقط البيت من س .

(٢) في ب ، م : داعياً × وفي م : × وكم نهجت منهجاً أضوباً .

(٣) في م : بطيب الزمان × .

(٤) في م : فدمت خليلاً × جليلاً

(٥) في م : فمُنيت نفسي × .

فَلَوْ صَاغَ قُسٌّ حُلًى مَدْحِهِ
 وَلَوْ سَابَقَ الْبَرْقَ فِي حَلْبَةٍ
 [٦٠] تَرَفَّقَ بِمَنْ ذَهْنُهُ مُظْلِمٌ
 فَإِنَّكَ أَصْبَحْتَ فِي غَايَةِ
 وَعَبْدُكَ أَفْكَارُهُ أَجْبَلَتْ
 وَعَالَجَ خَمْسِينَ عَامًا مَضَتْ
 يُسَاقِيكَ فِيهَا كُؤُوسَ الْوَفَا
 وَيَحْمِلُ فِيكَ لِوَاءَ غَدَا
 لَكَ الْحَسَبُ الطَّاهِرُ الْمُتَّقَى
 لَهُ صَلَافٌ بِبَيِّ الْهُدَى
 لَقَدْ سَادَ مَنْ أَضْلُهُ قَدْ عَلَا
 وَأَمَّا حُضُورِي إِلَى بَابٍ مَنْ
 فَإِنَّ السَّعَادَةَ قَدْ لَاحَظَتْ
 أَمَّا تَنْظُرُ الْبِشْرَ فِي وَجْهِهِ
 وَأَكْرَمَ نَزْلِي بِإِفْضَالِهِ
 أَمِينٌ عَلَى الْمُلْكِ فِي سِرِّهِ
 وَيُخْجِلُ صَوْبَ الْحَيَا كَفُّهُ
 لَقَدْ جَمَلَ الْمُلْكَ تَذْيِيرُهُ
 تَحُوطُ الْأَقَالِيمِ أَقْلَامُهُ

لَقَصَّصَرَ فِيهِ وَلَوْ أَطْنَبَا
 تَخَلَّفَ مَنْ خَلْفِهِ أَرْكَبَا
 وَنُورُ بَدِيدَتِهِ قَدْ حَبَا
 شُمُوسُ الْمَعَالِي لَدَيْهَا هَبَا
 وَقَدْ رَابَ مِنْ هَمِّهِ مَا رَبَا
 وَمَا ذَاقَ شُرْبًا لَهَا طَيِّبًا^(١)
 ءِ شَرَّقَ فِي الْأَرْضِ أَوْ غَرَّبَا
 يَرَاهُ الْوَرَى بِالْوَلَا مُذْهَبَا
 أَطْلَ عَلَى الْمَدْحِ وَاسْتَوْعَبَا
 فَيَا حَبْذَا مِنْكَ هَذَا النَّبَا
 وَيَيْنَ السَّمَائِينَ قَدْ طَنَبَا
 سَمَا وَعَلَا فِي الْوَرَى مَنْصَبَا
 وَحَظِّي أَتَى بَعْدَمَا قَدْ أَبَى
 وَإِخْسَانُهُ الْجَمُّ لَنْ يُحْجَبَا
 وَقَدْ قَالَ لِي جُودُهُ : مَرْحَبَا
 تَرُدُّ الْقَنَا كُتُبُهُ وَالطُّبَا^(٢)
 إِذَا جَادَ رَوْضُ الْحِمَى أَعْشَبَا
 وَسَهَّلَ بِالرَّأْيِ مَا اسْتَضَعَبَا
 وَتَسْقِي أَبَاطِحَهَا وَالرُّبَا^(٣)

(١) في م : أطيبا .

(٢) في س : في بَرِّهِ .

(٣) في م : تجوب الأقاليم

فَعُذِرًا إِذَا فِكْرَتِي قَصَّرَتْ وَكَانَ جَوَابِي جَوَى مُتَعَبَا
فَإِنِّي بِنَظْمِي أَلَوْكَ الْحَصَا وَنَظْمُكَ عِنْدَكَ كَالشَّوْرِبَا^(١)
بَقِيَتْ مَلَاذًا لِأَهْلِ التُّهَى تَقُلْ لِحَظَبِ الرَّدَى مَضْرِبَا

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ وَإِلَى الْقَاضِي بَذَرِ الدِّينِ حَسَنَ الْغَزِيِّ ، وَقَدْ تَوَجَّهْنَا لِتَلَقِّي
الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ أَرْغُونَ الْكَامِلِي لِمَا رُسِمَ لَهُ بِنِيَابَةِ الشَّامِ الْمَحْرُوسِ ؛ وَكَانَ
السَّيِّدُ الْمُشَارُ إِلَيْهِ قَدْ حَضَرَ مَعَهُ ، فَكَانَ الْمُتَلَقَّى فِي حِمَصِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَكُنَّا قَدْ
نَزَلْنَا فِي الْمَيْدَانِ ؛ وَالنَّزَمَ حَرْفَ الْمِيمِ : [مَنِ الْبَسِيطُ]

كُتَابَ جَلَّقَ قَدْ جَمَلْتُمْ حِمَصَا وَقَدْ تَسَرَّبَلْتُمْ حُسْنَ الشَّنَا قُمْصَا
مِنْ ثَمَرِ رَوْضِكُمْ طَيْرُ التُّهَى التَّقَطَّتْ عَادَتْ بِطَانًا وَرَاحَتْ نَحْوَكُمْ خُمْصَا
نِعْمَ الْخَلِيلُ تَلَاهُ رِفْعَةً حَسَنُ فَلَمْ يُطِقْ فَرْقَدًا أَفْقُ السَّمَاءِ غُمْصَا
هُمَا رَضِيعَا لَبَانِ الْفُضْلِ لَا فُطْمَا فَكَمْ لِنُدِيِّ الْعُلَا وَالْعِلْمِ قَدْ مَضَا^(٢)
وَتَبَرَا مَطْلِعَ الْإِبْدَاعِ كَمْ بَهَّرَتْ أَشْعَةً لَهُمَا مِنْ مُقْلَةٍ رَمْصَا

يُقَبَّلُ وَيَلْتَمُ الْأَرْضُ أَمَامَهُمْ ، وَيُقَدَّمُ الْفَرَضُ إِمَامَهُمْ ، وَيُحْجِمُ عَنْ لِقَائِهِمْ
حَيْثُ لَا يَبْلُغُ مَقَامُهُ مَقَامَهُمْ ؛ وَيُنْهَى أَنَّهُ سُرَّ بِسَمَاعِ أَنْبَائِهِمْ ، لَوْ رَجَا^(٣) أَنْ يَقَرَّ
عَيْنًا بِأَنْبَائِهِمْ ، لِأَنَّهُ الصَّادِقُ فِي اعْتِقَادٍ وَلَا إِلَيْهِمْ ، النَّاطِقُ بِإِيرَادِ حَمْدِهِمْ
وثنائهم ؛ فَتَوَجَّهَ الْمَمْلُوكُ إِلَى سَعِيدِ مَحَلَّتِهِمْ ، وَأَوَّجَهَ إِلَى مَدِيدِ ظِلِّهِمْ ، فَاعْتَرَاهُ
سُوءُ الْحَظِّ بِالْحِزْمَانِ ، وَأَرَاهُ الْعَجْزَ عَنْ لِحَاقِهِمْ أَنَّهُ لَا يُدْرِكُ لَهُمْ عُبَارًا ، وَلَا
يَلْحَقُ السَّوَابِقَ فِي الْمَيْدَانِ ، فَاسْتَنَابَ الْمَمْلُوكُ هَذِهِ الْأَحْرُفَ ، لِتَسْعَدَ بِلِقَائِهِمْ
وَتَشْرُفُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْمَعُ شَمْلَهُمْ ، وَيُمَتِّعُ الْأَدَبَ بِمِنْلِهِمْ ، وَلَا أَعْرِفُ

(١) فِي أ ، م : × وَنَظْمُكَ عِنْدِي

(٢) فِي م : . . . لَا عُدْمًا × .

(٣) فِي م : وَرَجَا .

رَفَعُ
عبد الرحمن النخعي
أَسْلَمَ النَّبِيُّ الْفَرْدُوسِ

مِثْلَهُمْ ؛ بِمَنْهُ وَكَرَّمِهِ .

● فكتبَ الجوابَ إليه المولى بدرُ الدِّينِ الغَزَّيِّ : [من البسيط]

يا مَنْ بِأَجْمَلِ أَوْصافِ العُلا خُصًّا وَعَنْهُ جُلُّ أَحَادِيثِ النَّدَى قُصًّا
وَمَنْ بِهِ حِمَاصُ الدُّنْيَا وَسَاكِئُهَا عَلَتْ مَحَلًّا ، فَمَنْ قَدْ جَمَلُوا حِمَاصًا
أَنْلَتْ طَارِفَ مَجْدٍ لِلتَّلِيدِ بِهِ زِيَادَةً لَيْسَ يَخْشَى بَعْدَهَا نَقْصًا^(١)
وُطِلَتْ كُلُّ عَلِيٍّ يَا حُسَيْنُ فِطْرُ فَرْدًا فَكُلُّ جَنَاحٍ عَنْكَ قَدْ قُصًّا
وَأَفْخَرُ بِجَدِّكَ وَالْجَدُّ الشَّرِيفُ فَمَا تُقْصِي إِذَا قُلْتَ فِي الْقُرْبَى وَلَا تُعْصِي
فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ فَيُخْصَرُ فِي نَظْمٍ وَلَا يُحْصَى^(٢)
وَقَدْ جَرَنْتَ عَلَى أَسْلُوبِهِ فَأَقِمْ [٦١] إِلَيْهِ وَجْهَكَ وَأَقْصِصْ أَثَرَهُ قُصًّا

● وكتبْتُ أنا إليه : [من الخفيف]

أُيِّهَا السَّيِّدُ الَّذِي سَوَّدَتْهُ فِي الْبَرَايَا مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ
وَالْعَدِيمُ النَّظِيرُ فِي كُلِّ فَنٍّ فَعَدَا سَيِّدًا بِالْاِسْتِحْقَاقِ
لَمْ تُزَفْ الدُّنْيَا إِلَيْكَ عَرُوسًا قَطُّ إِلَّا قَابَلَتْهَا بِالْاِطِّلاقِ
سُنَّةٌ سَنَّهَا أَبُوكُمْ عَلِيٌّ فَيَكُومُ عُدَّةً لِيَوْمِ التَّلَاقِ
فَتَعَطَّفَ عَلَى تَطْلُعِ مِضْرٍ فَهِيَ فِي غَايَةِ مِنَ الْأَشْوَاقِ
تَتَجَلَّى لِنَاطِرِكَ عَرُوسًا فَارْتَشِفُ رِيْقَ نَيْلِهَا الرِّفْقِاقِ
وَأُمِّلُ سَاحَاتِهَا نِظَامًا وَنَثْرًا فِي رِقَابِ الْأَيَّامِ كَالْأَطْوَاقِ
أَنْتَ صَبٌّ فِي دَهْرِنَا بِالْمَعَالِي وَالْمَعَالِي قَلِيلَةُ الْعُشَّاقِ
وَالَّذِي قَدْ تَرَكْتَهُ عَنْكَ فَإِنْ وَالَّذِي رُمْتَهُ مِنْ اللَّهِ بَاقِ

(١) في م : أُنِيت × .

(٢) في ب : × في حَدٍّ وَلَا يُحْصَى .

● فَكُتِبَ هُوَ الْجَوَابَ إِلَيَّ : [من الخفيف]

يَا خَلِيلَ الْوَفَا وَيَا ذَا الْوِفَاقِ
وَالَّذِي لَفْظُهُ فَرَائِدُ عَقِيَا
وَأَمَامُ الشَّامِ نَظْمًا وَنَثْرًا
كَاتِبُ خَاطِبٍ مُفِيدٍ مُجِيدٍ
لَكَ فِي مِضَرٍ وَالشَّامِ أَيْادٍ
أَسْعَدْتَنِي بِالرَّفْقِ مِنْهَا وَلَمْ يَتَّ
لَمْ تَزَلْ جَابِرًا بِفَضْلِكَ قَلْبًا
لَا تَكُنِّي عَلَى نُزُولِي عَنِ الشَّهْبَا
كُنْتُ مَعَ شَرِّ مَعْشَرٍ كَمْ رَمَوْنِي
لَمْ أَزَلْ مُذْ جَاوَزْتُهُمْ فِي شَقَاءٍ
لَوْ أَقَامُوا بِمَغْرِبِ الشَّمْسِ كَانَ الشَّ
فَخَرُوا بِالْخَيْلِ الْعِتَاقِ عَلَى مَنْ
نَحْنُ أَبْنَاءُ الطُّهْرِ فَاطِمَةَ الزَّهْدِ
وَعَلَى جَدَّنَا تُسَلِّمُ شَمْسُ الدِّ
وَأَبُونَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَا
منها :

أَنَا مِنْ سَادَةِ كِرَامِ السَّجَايَا
جَدَّنَا اخْتَارَ دَارَ أُخْرَى عَلَى دُنَا
وَهُمَا ضَرَّتَانِ مَا اجْتَمَعَا عِنْدَ
فَعَلَيْنَا الدُّنْيَا لَهَا الْغَيْظُ وَالْحَقُّ
فِي الْعُلَا مَا لِسَبْقِهِمْ مِنْ لِحَاقِ
يَا غُرُورًا وَرَاعَهَا بِالطَّلَاقِ
سَدَّ امْرِيءٍ وَالْخِيَارُ لِلْحُدَاقِ
سُدَّ وَأَجْرُ الْأُخْرَى لَنَا الْعَدَّ بَاقِ

● وكتبَ هو عن الأمير سيفِ الدِّين أرغون الكاملي^(١) ، نائبِ السِّلطنة الشَّريفة بحلب المحروسة ، كتاباً قرينَ خمسينَ غزلاً جَهَّزها من صَيْدهِ إلى الأمير سيفِ الدِّين أَيْتَمِش^(٢) نائبِ السِّلطنة الشَّريفة بالشَّام المحروسِ :

يُقَبَّلُ الأَرْضَ ، ويُنْهَى - بعد ابْتِهَالِهِ بالأدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ إلى اللهِ تعالى أن يجعلَ أعداءَهُ كَطَرَائِدِ الصَّيْدِ ، ويُلْقِي حُسَّادَهُ في حَبَائِلِ الكَيْدِ ، ويَرْمِي شَانِيَهُ بِمَرَامِي المَنَايا ، وَيَحْمِي حِمَاهُ بالقُوَّةِ والأَيْدِ - أَنَّ المَمْلوكَ من جُمْلَةِ أولِيائِهِ المُتَمِّينَ ، وَأَصْفِيائِهِ الذينَ ما زالوا باعْتِنائِهِ مُكْرَمِينَ ، فَيَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ سُلُوكُ سَبِيلِ الخَدَمِ ، والتَّقَرُّبُ إلى الخاطِرِ الكريمِ بِعاداتِ الوسائلِ والخدمِ .

وكانَ المَمْلوكُ قد تَوَجَّهَ في هَذِهِ الأَيَّامِ إلى مُنْزِلَةِ البابِ [٦١ ب] للإشرافِ على ما هُنالكِ مِمَّا أَنْعَمَتْ بِهِ عَلَيْهِ الصَّدَقَاتُ الشَّريفةُ والكَرِمةُ من الخَيْلِ العِرابِ ؛ وَضَرَبَ المَمْلوكُ حَلَقَتِي صَيْدٍ على الأَرَامِ ، وَظَفِرَ مِنْهَا بِسَعَادَةِ مَوْلانا بِما رَامَ ، وَجَهَّزَ المَمْلوكُ من بَعْضِها على سَبِيلِ الأَرْمَغانِ^(٣) إلى المَطابِخِ السَّعيدَةِ خَمْسِينَ غَزْلاً على يَدِ الوَلَدِ سَيْفِ الدِّينِ يَهَادِرُ الزَّرْدَكاشِ .

والمَمْلوكُ يَسْأَلُ إِحْسَانَ مَوْلانا العَمِيمِ في قَبُولِها ، وَبَسْطِ العُذْرِ في قَلِيلِها ، جَبْراً لِخاطِرِ المَمْلوكِ ، وَبِراً لا يَزَالُ يَسْلُكُ بِرَوْلِيَّتِهِ من مُوالاةِ الإحْسانِ أَحْسَنَ سُلُوكٍ ؛ وَاللهُ يُنَمِّعُ بِبَقَائِهِ عَصَائِبَ الإِسْلامِ ، وَيُوقِعُ بِأَعْدائِهِ نَوَائِبَ الانْتِقَامِ ، وَيُتَمِّعُ بِكَفَالَتِهِ العَلِيَّةِ الشَّانِ حِمَى الشَّامِ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ (إِنْ شاءَ اللهُ تعالى) .

● فَكَتَبْتُ أَنَا الجَوَابَ عن ذلك :

(١) ترجمته في الوافي بالوفيات ٣٥٦/٨ .

(٢) ترجمته في الوافي بالوفيات ٤٨٢/٩ .

(٣) الأرمغان : كلمة تُركيَّة ، تعني الهدية .

يُقْبَلُ الْأَرْضَ بِالْمَقَرِّ الشَّرِيفِ السَّيْفِي ، لَا زَالَتْ أَعَادِيهِ كَأَشْلَاءٍ مَا يَصِيدُ ،
وَأَيَادِيهِ تُعْجِزُ عَنْ مُكَافَأَتِهَا أَوْ مُكَافَحَتِهَا الْمُلُوكِ الصَّيْدَ ، وَمَوَاضِيهِ الْمُرْهَقَةَ
لَا الْمُرْقَهَةَ تُبِيدُ بِهَا وَحُوشَ الْبَيْدِ ؛ تَقْبِيلًا يَنْظُمُ دُرَّهُ شِفَاهَا ، وَيُعْظِمُ بِهِ ثَغْرًا
وَشِفَاهَا .

وَيُنْهِي بَعْدَ أَدْعِيَةٍ يَرْفَعُهَا إِلَى مَنْ يَعْرِفُهَا ، وَأَثْنِيَّةٍ يَصْرِفُهَا إِلَى مَنْ يُنْصَدُّ
جَوَاهِرَهَا وَيَرْصُفُهَا ؛ أَنَّ الْمِثَالَ الْعَالِي ، أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَرَدَّ عَلَى يَدِ
الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ بَهَادُرِ الزَّرْدَكَاشِ مَمْلُوكِ مَوْلَانَا أَعَزَّ اللَّهُ
أَنْصَارَهُ ، فَبَادَرَ إِلَى تَقْبِيلِ تَاجِهِ ، وَهُوَ اسْمُ مَوْلَانَا الْكَرِيمِ ، فَإِنَّهُ أَحْسَنُ مَا يُوَاجِهُ
الْمُوَاجِةَ ، وَنَزَّهَ نَازِرُهُ فِي تِلْكَ الشُّطُورِ الَّتِي تَرَفَّرَتْ مِياهُ بِلَاغَتِهَا ، وَتَأَنَّقَتْ
الْمَحَاسِنُ فِي صِيَاغَتِهَا ، وَشَرَّفَ بِذَلِكَ قَدْرَهُ ، وَشَنَّفَ سَمْعَهُ ، لِمَا أَوْدَعَ صَدْفُهُ
دُرَّهُ ، وَوَصَلَ مَا أَنْعَمَ بِهِ مَوْلَانَا مِنَ الْهَدِيَّةِ وَهِيَ خَمْسُونَ غَزَالًا ، فَرَأَى مِنْهَا
مَا هَالَهُ ، وَشَاهَدَ كُلًّا مِنْهَا وَكَأَنَّهُ مِنْ حُسْنِهِ قَمَرٌ هَالَهُ ، وَتَعَجَّبَ مِنْهُ كَوْنُهُ أُصِيبَ
بِسِهَامِ مَوْلَانَا ، وَكَمْ أَفْلَتَ مِنْ حِبَالِهِ ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ كُلًّا مِنْهَا غَزَالٌ مَا طَلَعَتْ عَلَى
مِثْلِهِ الْغَزَالَةُ ؛ فَيَا حُسْنَهَا مِنْ أَشْلَاءٍ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى طَرِيحَةً ، وَيَا صِحَّةَ
مَا وَجَدْتُهُ النَّفْسُ مِنَ اللَّذَّةِ لَمَّا أَصْبَحَتْ جَرِيحَةً ، كَمْ عَزَّ عَلَى غَيْرِهِ مَرَامُهَا ،
وَكَمْ اطَّرَدَتْ فِي الْفَلَاحِ أَرَامُهَا ، وَكَمْ فَاخَرَتْ سَوَادَ الدِّيَا جِي بِأَخْدَاقِهَا ، وَكَمْ
طَاوَلَتْ الثُّجُومَ بِأَرْوَاقِهَا ، وَكَمْ نَشَرَتْ مَلَاءَةً غُبَارٍ فَتَسْتَرَتْ بِرُوَاقِهَا ، وَكَمْ
مَضَعَتْ شَيْحًا ، وَكَمْ تَسَمَّتْ مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ رِيحًا ، وَكَمْ أَغَارَتْ الْعَيْدَ بِحُسْنِ
الْمُلْتَقَتِ وَالْجِيدِ ، وَكَمْ مَلِيحٌ ^(١) يَفُوقُ الْبُدُورَ وَيَسُودُ ، تَمَنَّى مَا حَازَتْهُ دُونَهُ مِنَ
الْعُيُونِ السُّودِ ، حَتَّى بَدَتْ لَهَا جِيَادُ مَوْلَانَا الْمُسَوِّمَةِ ، وَطَلَائِعُ جُزْدِهِ الْمُطَهَّمَةِ ،

(١) « مَلِيحٌ » سَقَطَتْ مِنْ أ ، م .

وَسَبَقَتْ إِلَيْهَا سِهَامُهُ الْمُقَوَّمَةُ ، وَحَتَّتْ إِلَيْهِ حَنَائِيَهُ الْمُعَظَّمَةَ ، فَلَمْ يُنْجِهَا مِنْ ذَلِكَ فِرَارٌ ، وَلَا قَرَّ لَهَا مَعَهُ قَرَارٌ ، وَلَا خَبَأَهَا فِي حُشَاهُ نَفْعٌ مُثَارٌ ، وَلَا رَدَّاهَا عَثِيرُهَا^(١) غَيْرَ رَدَى وَعَثَارٍ ، فَأَصْبَحَتْ كَأَعْدَائِهِ الَّذِينَ تَرَفَّى إِلَيْهِمْ حَيْنُهُمْ وَتَرَقَّبَ ، وَأَشْبَهَتْ عُيُونُهَا الشَّاحِصَةَ حَوْلَ خِبَائِهِ وَأَرْحَلِهِ الْجَزَعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبْ^(٢) ، وَلَقَدْ جَاءَ بِهَا دُرًّا بِهَادِرُ الْمَذْكُورُ ، وَرُصِفَتْ حَبَاتُهَا عَلَى الثَّرَى ، وَنَظَّمُ حَيَاتِهَا مَثُورٌ ، فَيَا حُسْنَهَا لَمَّا تَكَرَّرَتْ وَتَجَوَّفَتْ ، وَانْتَصَبَتْ عَلَى عُيُونِهَا أَلْفَاتُ قُرُونِهَا الَّتِي تَكْوَفَتْ ، وَرَقَّتْ لِمَصْرَعِهَا فِي أَوْبَارِهَا قُلُوبُ الطَّائِفَةِ الَّتِي تَصَوَّفَتْ ، فَلَقَدْ فَتَحَ مَوْلَانَا [٦٢] عَلَيْهَا مِنَ الْبَابِ ، مَا يَشْهَدُ لَهُ ذُو الْأَبَابِ ؛ إِنَّهُ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ مِنْ مَوْلَانَا وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ بِسِهَامِهِ الْعَذَابُ ، وَقَدْ قَابَلَ الْمَمْلُوكُ هَذِهِ الْأَيَادِيَ الْمُغْدِقَةَ ، وَالْغَوَادِي الْمُغْرِقَةَ ، بِشُكْرِ يَصِلُ سَنَدُهُ ، وَيَصُحُّ مَتْنُهُ ، وَيَقُومُ أَوْدُهُ .

وَاللَّهُ يُوزَعُ الْمَمْلُوكُ شُكْرَ هَذِهِ الْعَوَارِفِ الَّتِي شَغَلَتْ الْجَوَارِحَ ، بَوَضَفِ هَذِهِ الظُّبَاءِ السَّوَانِحَ ، وَأَكَدَّتِ الْمَوَدَّةَ الْقَدِيمَةَ ، وَالْمَحَبَّةَ الْمُقِيمَةَ ، فَحَلَّتْ بِالْإِخْلَاصِ مِضْمَارَ الضَّمَائِرِ وَجَوَّ^(٣) الْجَوَانِحَ ؛ وَقَدْ أَعَادَ الْمَمْلُوكُ سَيْفُ الدِّينِ بِهَادِرِ بَهْذِهِ الْعُبُودِيَّةِ بَعْدَمَا حَمَلَهُ مِنَ السَّلَامِ ، مَا يُقْصُصُ عَلَى السَّمْعِ الْكَرِيمِ سَطُورُهُ ، وَمِنَ الثَّنَاءِ مَا تَتَضَوُّ أَبْدُورُهُ وَيَتَضَوُّعُ مَنُورُهُ ، وَمِنَ الدُّعَاءِ مَا يَرْفَعُهُ فِي اللَّيْلِ الْعَاتِمِ ، وَمِنَ تَقْبِيلِ الْأَرْضِ مَا يَشْرَفُ بِهِ الْأَلَانِمُ ، فَيَتَصَدَّقُ مَوْلَانَا بِالْإِضْغَاءِ إِلَى مَا يُنْهِيه إِلَى مَسَامِعِهِ الْكَرِيمَةِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ السُّعُودَ لَهُ أَيْتِمًا تَوَجَّهَ خَدِيمُهُ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) الْعَثِيرُ : التُّرَابُ وَالْعِجَاجُ . (الْقَامُوسُ) .

(٢) مِنْ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ : [وَقَدْ مَضَى]

كَأَنَّ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا وَأَرْحَلِنَا الْجَزَعُ الَّذِي لَمْ يَثْقُبِ

(٣) « جَوَّ » سَقَطَتْ مِنْ أ ، م .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

حَرْفُ الْخَاءِ

٣٥ * خالد بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد
ابن خالد ابن نصر^(١) :

القاضي الرئيس ، شَرَفُ الدِّينِ بن القاضي عِمَادِ الدِّينِ بن القاضي شَرَفِ
الدِّينِ بن الصَّاحِبِ فَتَحَ الدِّينِ ابن القيسراني ، مَوْقِعُ الدَّسْتِ الشَّرِيفِ بِالشَّامِ
المحروس .

● كَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ أُعْزِّيهِ فِي وَلَدِهِ مُحَمَّدٍ ، فِي
سنة ٧٣٢ : [من الطويل]

أَيَا شَرَفَ الدِّينِ الَّذِي لَمْ تَزَلْ لَنَا مَآثِرُهُ تَأْتِي بِمَجْدٍ مُجَدِّدٍ
مَضَى أَبْنُكَ فَاصْبِرْ لِلزَّمَانِ عَلَى الرَّدَى فَمِنْ قَبْلُ عُزِّي خَالِدٌ فِي مُحَمَّدٍ
تَجَرَّدَ مِنْ ثَوْبِ الْحَيَاةِ وَمَا أَتَى بِوِزْرِ فَوَلَّى طَاهِرًا بِالتَّجَرُّدِ
وَقَدْ سَارَ عَنْ دَارِ الْمَفَرِّ نَزَاهَةً وَصَارَ إِلَى دَارِ الْمَقَرِّ الْمُؤَيَّدِ
وَمَا كَانَ إِلَّا كَوَكْبًا مُتَوَقِّدًا فَأَخْمَدَ مِنْهُ الْمَوْتُ نُورَ التَّوَقُّدِ
تَصَبَّرْ فَإِنَّ الْمُخْلِصِينَ لَكَ الْوَلَا «يَقُولُونَ: لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَلَّدِ»^(٢)

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٣٠٨/٢ وذيول العبر ٣٢٢ ووفيات ابن رافع ٣٤٩/١ والمتقن من درة
الأسلاك ٣١٥ وتعريف ذوي العلا ١١٧ وتاريخ ابن قاضي شهبة ١٣٧/٢ والنجوم الزاهرة ٣٢٨/١٠
والمنهل الصافي ١٩٩/٥ والدليل الشافي ٢٨٣/١ .
- وفاته سنة ٧٥٩ هـ . عن نيّف وخمسين سنة .
- في أ ، م : خالد بن سعيد !! .

(٢) العجز مضن من بيت طرفة بن العبد : [ديوانه ٦]
وقوفاً بها صبحي عليّ مطيهم
يقولون : لا تهلك أسي وتجلّد

وإن كُنتَ مَعْدُوراً عَلَى النَّوْحِ والبُكَاءِ فَمَا ضَرَّ أَنْ تَغْدُو بِصَبْرِكَ نَقْتَدِي
وإن شِئْتَ إِسْعَافاً عَلَى الْوَجْدِ وَالْأَسَى فَكَمْ مُسْعِفٍ تَلْقَاهُ مِنَّا وَمُسْعِدِ
إِذَا كُنتَ تَبْقَى فَاَلْبُنُونُ كَثِيرَةٌ تَجِيءُ نَجُوماً طَالِعَاتٍ بِأَسْعَدِ
فَلَا تَحْسَبِ الْأَقْمَارَ خَلْقاً كَثِيرَةً فَجُمْلَتُهَا مِنْ نَيْرٍ مُتَرَدِّدِ
يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، لَا طَرَقَتْ لَهَا الْخُطُوبُ سَاحَةً ، وَلَا مَدَّ الزَّمَانُ إِلَيْهَا يَدًا بَغِيرِ
يَدٍ ، وَلَا رَاحَةً بَغِيرِ رَاحَةٍ ؛ وَيُنْهِي مَا بَلَغَهُ مِنْ وَفَاةِ الْوَلَدِ مُحَمَّدٍ ، رَزَقَ مَوْلَانَا
الصَّبْرَ فِي رَزِيَّتِهِ ، وَلَا أَعْدَمَهُ وَثَبَاتِ التَّجَلُّدِ وَالثَّبَاتِ عَلَى بِلْيَتِهِ ، فَزَادَ مَا عِنْدَ
الْمَمْلُوكِ مِنْ فِرَاقِ مَوْلَانَا وَأَخِيهِ لَوَاعِجٍ لَا يَقْدِرُ الصَّبْرُ أَنْ يُعَالِجَهَا ، وَسَدَّ الْهَمُّ
عَنِ النَّفْسِ نَسَمَاتِ الْأَزْوَاجِ وَمَخَارِجَهَا ، وَحَمَلَ الْمَمْلُوكُ مِنْ هَمِّ مَوْلَانَا
مَا يَعْجُزُ عَنْ شَرْحِهِ ، وَيَتَعَدَّرُ عَلَى الزَّمَانِ طُبُّ جُرْحِهِ ، وَمَا أَحَقَّ الذَّاهِبَ بِأَنْ
يُنْشَدَ^(١) : [من الطويل]

فَإِنْ تَكُ فِي قَبْرِ فَإِنَّكَ فِي الْحَشَا وَإِنْ تَكُ طِفْلاً فَالْأَسَى لَيْسَ بِالطُّفْلِ
وَمِثْلُكَ لَا يُبْكِي عَلَى قَدَرِ سِنِّهِ وَلَكِنْ عَلَى قَدَرِ الْمَخِيلَةِ وَالْفُضْلِ
فَثَبَّتَ اللَّهُ قَلْبَ مَوْلَانَا بِصَبْرِهِ الْجَمِيلِ ، وَلَا جَعَلَ لِلزَّيَا عَلَيْهِ بَعْدَهَا مُنْعَرَجَ
طَرِيقٍ وَلَا هِدَايَةَ سَبِيلٍ ، وَفِي بَقَائِكَ مَا يُسْلِي عَنِ الْحَزَنِ ، فَمَا يُظْلِمُ أَفْقُ الْمَعَالِي
إِذَا هَوَى كَوْكَبُهُ ، وَفِيهِ مِنْكُمْ شُمُوسٌ وَأَقْمَارٌ ، وَلَا يُوحِشُ السَّارِيَّ مَعَ وُجُودِ
وُجُوهِكُمْ الْمُشْرِقَةِ إِذَا غَابَ كَوْكَبُ سَحَرِهِ ، فَكَوَاكِبُ السَّحَرِ قَصِيرَةُ الْأَعْمَارِ ،
[٦٢ ب] وَلَا يَتَعَطَّلُ رَوْضُ الْمَجْدِ إِذَا ذَوَتْ مِنْهُ زَهْرَةٌ ، وَفِيهِ مِنْكُمْ غُصُونٌ لَهَا
بِالْمَحَامِدِ مِنْكُمْ أَزْهَارٌ وَأَنْمَارٌ ، وَلَا يَشْغَلُ النَّدَامَى هَذِهِ النَّازِلَةُ وَعِنْدَهُمْ مِنْ
حُلُومِكُمْ وَثَبَاتِكُمْ أَحَادِيثٌ وَأَسْمَارٌ ؛ عَلَى أَنَّ هَذِهِ كَأْسٌ لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهَا ، وَإِنَّمَا
يُعَجَّلُ السَّاقِي عَلَى بَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ ، وَهَذِهِ الثُّفُوسُ جَوَاهِرُ شَرِيفَةٍ ، وَإِنَّمَا

(١) البيان للمتنبي ، في ديوانه ٤٤ / ٣ .

أَصْدَافُهَا الَّتِي تُودَعُ فِي بُطُونِ الْأَرْضِ ، وَلِلَّهِ (دُرُّ) الْقَائِلِ : [من السريع]

النَّاسُ لِلْمَوْتِ كَخَيْلِ الطَّرَادِ فَالسَّابِقُ السَّابِقُ مِنْهَا الْجِيَادُ
وَالْمَوْتُ نَقَادٌ عَلَى كَفِّهِ جَوَاهِرٌ يَخْتَارُ مِنْهَا الْجِيَادُ^(١)

والله تعالى - يُمَتِّعُ الْوُجُودَ بَعْدَ الذَّاهِبِ مِنْ جَدَّيْهِ بِشَمْسِهِ وَعِمَادِهِ ، وَيَجْعَلُهُ
لِكُلِّ مِنْهُمَا قَرَطاً وَذُخْرًا يَوْمَ بَعْثِهِ وَمَعَادِهِ ، وَيَرْبُطُ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ عَلَى قَلْبِ
مَوْلَانَا الَّذِي عَدِمَ ثَمَرَهُ فُوَادِهِ ، وَلَا يُذِيقُهُ بَعْدَهَا حُرْقَةً يَنْشُرُ الطَّرْسُ ذَوَائِبَ
سُطُورِهِ ، وَيَلْبَسُ الْقَلَمُ لَهَا حِدَادَ مِدَادِهِ ؛ وَمَوْلَانَا فِي دَعَا اللَّهِ وَحِفْظِ الْحَرِيزَيْنِ ،
وَعَيْنِ اللَّهِ عَلَى وَلَدَيْهِ^(٢) الْعَزِيزَيْنِ ، بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

٣٦ * الْخَضِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْخَضِرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ
عَلِيٍّ^(٣) :

القاضي زَيْنُ الدِّينِ بْنِ الْقَاضِي تَاجِ الدِّينِ بْنِ زَيْنِ الدِّينِ بْنِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ
عَلَمِ الدِّينِ بْنِ نُورِ الدِّينِ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الزَّيْنِ خَضِرٍ ، مُوقَّعُ الدَّسْتِ الشَّرِيفِ
بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ .

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ لَمَّا طُلِبْتُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ^(٤) فِي الْأَيَّامِ الصَّالِحِيَّةِ
إِسْمَاعِيلَ ، سَنَةَ ٧٤٥ وَذَلِكَ^(٥) بَعْدَمَا تَفَضَّلَ الْمَوَالِي السَّادَةُ الْمُوقَّعُونَ ، وَكَتَبَ
كُلُّ مِنْهُمْ إِلَيَّ شِعْرًا هَنَاءً بِقُدُومِي عَلَيْهِمْ^(٥) : [من الطويل]

- (١) فِي س : × جَوَاهِرٌ يَأْخُذُ مِنْهَا الْجِيَادُ . وَالْبَيْتَانِ لِابْنِ النَّبِيهِ الْمِصْرِيِّ ، فِي دِيَوَانِهِ ١٠٤ - ١٠٥ .
(٢) فِي ب : وَعَيْنُ اللَّهِ نَازِرَةٌ إِلَى وَلَدَيْهِ . . .
(٣) تَرْجَمْتُهُ فِي : أَعْيَانُ الْعَصْرِ ٣١٤/٢ وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٣٤٠/١٣ وَذَيْوِلُ الْعَبْرِ ٣٠٨ وَالدَّرَرُ الْكَامِنَةُ ٨٤/٢ وَالْمَقْفَى الْكَبِيرُ ٧٥٨/٣ ، وَالنَّجْمُ الزَّاهِرَةُ ٣٢١/١٠ وَالْمَنْهَلُ الصَّافِي ٢٢٥/٥ وَالدَّلِيلُ الشَّافِي ٢٨٨/١ .
- مَوْلَدُهُ سَنَةَ ٧١٠ هـ . وَوَفَاتَهُ سَنَةَ ٧٥٦ هـ .
(٤) - (٤) مِنْ س .
(٥) الْأَبْيَاتُ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ وَالْوَافِي .

تَأَخَّرْتُ فِي مَدْحِي لِأَنِّي مُقَصِّرٌ وَفَضْلُ صَلَاحِ الدِّينِ مَا زَالَ يَسْتُرُ
خَلِيلٌ لَهُ الْآدَابُ حَقًّا يَنَالُهَا جَلِيلٌ بِهِ الْأَصْحَابُ تَسْمُو وَتَفْخَرُ
لَقَدْ آنَسَ الْأَمْصَارَ لَمَّا أَتَى لَهَا وَأَوْحَشَ رُبْعَ الشَّامِ إِذْ كَانَ يُقْفِرُ
فَلَا شَهِدَتْ عَيْنَايَ سَاعَةً بُعْدِهِ وَلَا سَهِدَتْ شَوْقًا إِلَيْهِ فَتَسْهَرُ
وَدَامَ عَلَيَّ الْقَدَرُ يَرْقَى إِلَى الْعُلَا مُحَامِدُهُ بَيْنَ الْأَنَامِ تُسَطَّرُ

● فكتبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ^(١) : [من الطويل]

تَفَضَّلْتَ زَيْنَ الدِّينِ إِذْ أَنْتَ أَكْبَرُ وَأَشْرَفُ مِنْ مَدْحٍ بِهِ الْعَبْدُ يُذَكِّرُ
فَشَرَفْتَ قَدْرِي حِينَ شَتَّفْتَ مَسْمَعِي فَيَا مَنْ رَأَى شِعْرًا عَلَى الدُّرِّ يَفْخَرُ
فَمَا هُوَ شِعْرٌ يَخْضُرُ الْوَزْنَ لَفْظُهُ وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ مِنَ السَّخْرِ يُؤْثَرُ
يَجُوزُ بِلا إِذْنٍ عَلَى الْأُذُنِ خِفَّةً كَأَنَّ الزُّلَالَ الْعَذَبَ مِنْهُ يُفَجَّرُ
فَهَا أَنَا مِنْهُ فِي نَعِيمٍ مُخَلَّدٍ وَعَيْشِي بِخَضِرٍ فِي رُبَا مِصْرٍ أَخْضَرُ^(٢)
● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مُلَغِزًا فِي « فُطْن »^(٣) :

يَا سَيِّدَ الْعُلَمَاءِ وَالْبُلَغَاءِ ، وَقُدْوَةَ الْكُتَّابِ وَالْأُدْبَاءِ ، مَا اسْمُ أَوَّلِ سُورَتَيْنِ
مِنَ الْقُرْآنِ ، وَحَرْفٌ مِنْ أَوَّلِ سُورَةٍ أُخْرَى^(٤) ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَحْرَفٍ ، وَتَلْقَاهُ ثَمَانِيًا
إِذَا أُفْرِدَتْ مَجْمُوعُهُ سِرًّا وَجَهْرًا^(٥) ، أَوَّلُ حُرُوفِهِ يُنْسَبُ إِلَيْهِ أَحَدُ الْجِبَالِ^(٦) ،
وَأَخْرُهَا قَسَمًا لَا يِرَالُ^(٧) ؛ إِنَّ حَذَفْتَ أَوَّلَهُ وَصَحَّفْتَ ثَانِيَهُ فَهُوَ « ظَلٌّ » حَقِيقَتُهُ

(١) الأبيات في أعيان العصر والوافي .

(٢) سقط البيت من أ ، م .

(٣) النص في أعيان العصر والوافي .

(٤) سورة « ق » وسورة « ن » وسورة « طه » .

(٥) يريد قاف = ٣ وطاء = ٢ ونون = ٣ . فالمجموع ثمانية بحساب الجُمَّل .

(٦) جبل قاف بزعمهم .

(٧) يريد : « تَوَالَّفُوا وَمَا يَسْطُرُونَ » .

الآمالُ ، أو صَحَفَتْ جُمْلَتَهُ كَانَ وَصَفَ مُؤْمِنٍ يَجْرِي عَلَى هَذَا الْمِنْوَالِ^(١) ، أو حَذَفَتْ أَوْسَطَهُ مَعَ التَّحْرِيفِ كَانَ عَبْدًا لَا يُعْتَقُ^(٢) ، أو حَذَفَتْ آخِرَهُ مَعَ بَقَاءِ التَّحْرِيفِ كَانَ حَيَوَانًا يَسْرِقُ وَلَا يُسْرَقُ ، وَيَأْنَسُ وَيَنْفُرُ وَيُقَيِّدُ بِالْإِحْسَانِ وَهُوَ مُطْلَقٌ ، يَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، وَيَأْوِي فِي الْمَنَازِلِ إِلَى الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ ، وَلَا يُبَاعُ وَلَا يُشْتَرَى^(٣) ، وَعَنْهُ^(٤) الْمَجَازُ حَقِيقَةً يَبْلُغُ قِيَمَةً تُمَازِلُ جَوْهَرًا ، وَإِنْ أَبْقَيْتَ هَذَا الْأِسْمَ عَلَى حَالَتِهِ فَهُوَ شَيْءٌ لَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ مَسْجِدٌ وَلَا جَامِعٌ ، وَلَا بَيْعٌ وَلَا صَوَامِعٌ ، وَلَا مُسْلِمٌ وَلَا كَافِرٌ ، وَلَا قَاطِنٌ وَلَا مُسَافِرٌ ، وَلَا غَنِيٌّ وَلَا فَقِيرٌ صَابِرٌ ، وَلَا قَوِيٌّ [١٦٣] وَلَا ضَعِيفٌ ، وَلَا مَشْرُوفٌ وَلَا شَرِيفٌ ، وَلَا خَائِنٌ وَلَا مَأْمُونٌ ، وَلَا حَيٌّ وَلَا مَن سَقِيَ بِكَأْسِ الْمُنُونِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ جَلِيلٌ حَقِيرٌ ، قَلِيلٌ كَثِيرٌ ، يَمْلِكُهُ الْمَالِكُ وَالْمَمْلُوكُ ، وَالْمَلِيُّ وَالضُّعْلُوكُ ، وَهُوَ شَيْءٌ مُمْتَهَنٌ ، وَيَعْلُو عَلَى رُؤُوسِ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْمُلُوكِ ، قَلِيلُهُ^(٥) بِالتَّحْرِيفِ فِعْلٌ مَضْيٌ ، وَاسْمٌ إِذَا نُطِقَ بِهِ قَدْ يُرْتَضَى ، وَهُوَ قَدْ يَبْدُو بِهِ النُّورُ فِي الدِّيَاجِي ، وَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَنْقَطِعُ مِنْهُ أَمَلُ الرَّاجِي ، لَا يَسْتَغْنِي بَيْتٌ عَنْهُ وَلَا بُعْعَةٌ ، وَمَعَ ذَلِكَ يُبَاعُ بِفَلْسٍ وَدِينَارٍ وَفَوْقَ ذَلِكَ فِي الرَّفْعَةِ ، وَهُوَ بَيِّنٌ وَاضِحٌ ، فَاحْلُلْهُ بِمِيزَانِ عَقْلِكَ الرَّاجِحِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكْتُبْتُ أَنَا الْجَوَابَ عَنْهُ^(٦) :

وَقَفَ الْمَمْلُوكُ عَلَى هَذَا اللَّغْزِ الْعَجِيبِ ، وَالْمُعَمَّى الَّذِي مَالَهُ فِي فَنِّهِ مُمَازِلٌ وَلَا ضَرِيبٌ ، وَعَجِبْتُ مِنْهُ نَبَاتًا « نَطَقَ » مَعْكُوسُهُ ، وَثَلَاثَ كِتَابٍ تَرْدَانِ

(١) يريد : قَطْنٌ .

(٢) يريد : قَبْلُ = عَبْدٌ .

(٣) يريد : قَطْ .

(٤) فِي ب : عَيْنُهُ .

(٥) كَذَا فِي أ ، ب ، س ! وَالصَّوَابُ : قَلْبُهُ ، كَمَا فِي الْوَاقِفِي . وَقَلْبُهُ : نَطَقَ .

(٦) الْجَوَابُ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ .

بَسْطُورِهِ طُرُوسُهُ ؛ أَوَّلُهُ يُضَافُ إِلَيْهِ أَكْبَرُ الْجِبَالِ ، وَمَجْمُوعُهُ مَادَّةٌ لِلْجِبَالِ ،
أَشْبَهُ بَيَاضاً بِالثلْجِ ، وَمَحْبُوبُهُ يَرُوقُ وَيَحْسُنُ بِالْحَلْجِ ، قَدْ خَفَّ عَلَى اللِّسَانِ
وَزَنُّهُ ، وَأَعْجَبَ أَرْبَابَ الْأَمْوَالِ ادِّخَارُهُ وَخَزَنُهُ ، كُلُّهُ نَابِتٌ فِي الثَّرَابِ ، وَثَلَاثُهُ
سَابِغٌ فِي الْبَحْرِ لَا يُسْتَرَابُ ؛ إِنْ جَعَلْتَ آخِرَهُ وَسْطاً كَانَ فِعْلٌ مَنِ انْقَطَعَ
رَجَاؤُهُ ، وَاتَّسَعَتْ بِهِ فِي الْيَأْسِ أَرْجَاؤُهُ^(١) ، وَإِنْ صَحَّفْتَ حُرُوفَهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ
أَتَتْكَ مِنَ الْحَرِّ وَاقِدَةٌ ، وَأَصْبَحْتَ الْعَجَاجَةُ وَهِيَ فِي الْجَوِّ عَاقِدَةٌ^(٢) ، وَإِنْ
صَحَّفْتَهُ أَيْضاً كَانَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ ، وَلَيْسُوا مِنَ الْعَرَبِ إِذَا عُدُّوا وَلَا مِنَ الْعَجَمِ ،
يُعَدُّ مِنْهُمْ فِرْعَوْنٌ وَجُنُودُهُ ، وَلَنَا فِيهِمْ نَسَبٌ وَصِهْرٌ يَعَزُّ مُنْكَرُهُ وَجَحُودُهُ^(٣) ، وَإِنْ
عَكَسْتَهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ كَانَ آيَةً لَا مَحَالَةَ^(٤) ؛ وَلِهَذَا اللَّغْزُ أَوْصَافٌ أُخْرُ
لَمْ تُذَكَّرْ ، وَلَمْ تُعْرَفْ بَعْدُ وَلَمْ تُنَكَّرْ ، وَأَضْرَبْتُ عَنْهَا خَوْفَ الْإِطَالَةِ صَفْحاً ،
وَعَدَدْتُ هَذَا الْقَدْرَ رِبْحاً ، لِأَنَّ مَوْلَانَا حَرَسَهُ اللَّهُ مَدَّ فِيهِ الْأَطْنَابَ ، وَاسْتَوْعَبَ
أَوْصَافَهُ بِالْإِسْهَابِ وَالْإِطْنَابِ ؛ وَاللَّهُ يُدِيمُ حَيَاتَهُ لِأَهْلِ الْإِنْشَاءِ ، وَيَنْشُرُ مَحَامِدَهُ
بِلِسَانِ الْإِذَاعَةِ وَالْإِفْشَاءِ ؛ بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

٣٧ * خَلِيلُ بْنُ كَيْكَلْدِي^(٥) :

الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ ، الْمُتَقَنُّ ، جَامِعُ أَشْتَاتِ الْعُلُومِ ، الشَّيْخُ صَلَاحُ الدِّينِ ابْنِ

(١) يَرِيدُ : قَنَطُ .

(٢) يَرِيدُ : قَيْظُ .

(٣) يَرِيدُ : قَيْطُ .

(٤) يَرِيدُ : طَبَقُ .

(٥) تَرْجَمْتُهُ فِي : الْمَعْجَمِ الْمَخْتَصَرِ ٩٢ وَمَعْجَمِ شَيْوْخِ الدَّهْبِيِّ ٢٢٣/١ وَأَعْيَانِ الْعَصْرِ ٣٢٨/٢ وَالْوَافِي
بِالْوَفَايَاتِ ٤١٠/١٣ وَذَبُولِ الْعَبْرِ ٣٣٥ وَوَفَايَاتِ ابْنِ رَافِعٍ ٣٥٩/١ وَذَبُولِ تَذَكُّرَةِ الْحِفَافِ ٤٣ وَ٣٦٠
وَتَذَكُّرَةِ النَّبِيِّ ٢٣٥/٣ وَطَبَقَاتِ الشَّافِعِيَةِ لِلْإِسْنَوِيِّ ٢٣٩/٢ وَالسَّبْكِ ٣٥/١٠ وَالْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ
٦٠٠/١٨ وَدُرَرِ الْعُقُودِ الْفَرِيدَةِ ٦٣/٢ وَتَارِيخِ ابْنِ قَاضِي شَهْبَةِ ١٦٧/٢ وَالدَّرَرِ الْكَامِنَةِ ٩٠/٢
وَالنَّجُومِ الزَّاهِرَةِ ٣٣٧/١٠ وَالْمَنْهَلِ الصَّافِي ٢٨٢/٥ وَالذَّلِيلَ الشَّافِي ٢٩٣/١ وَالذَّلِيلَ التَّامَ ١٧٣/١
وَطَبَقَاتِ الْحِفَافِ لِلْسَيُوطِيِّ ٥٢٨ وَطَبَقَاتِ الْمُفَسِّرِينَ لِلدَّوَادِيِّ ١٦٥/١ وَالدَّرَسِ ٦٣/١ وَدُرَةِ الْحِجَالِ
٢٥٨/١ وَشَذَرَاتِ الذَّهَبِ ٣٢٧/٨ وَالبدر الطالع ٢٤٥/١ .

- مَوْلَدُهُ سَنَةَ ٦٩٤ هـ . وَوَفَاتَهُ سَنَةَ ٧٦١ هـ .

العَلَائِي ، مُدَرِّسُ الصَّلَاحِيَّةِ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ .

● كَتَبَ إِلَيَّ مِنَ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِصَفَدِ الْمَحْرُوسَةِ فِي سَنَةِ

٧٣٣^(١) ، فَكَتَبْتُ أُنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ^(٢) : [من الطويل]

أَتَانِي كِتَابٌ مَا ظَفِرْتُ بِنِدِّهِ
وَحَلَّ فَحَلَّى نَاطِرِي وَمَسْمَعِي
وَأَهْدَى إِلَى قَلْبِي هُدُوءًا فَقَدْتُهُ
وَمَا كُنْتُ أَزْجُو وَالْحَشَا تَلَفْتُ ظَمًا
فَقَبَّلْتُ مِنْ شَوْقِي شِفَاءَ طُرُوسِهِ
وَبِئْتُ أُنَاجِي فِيهِ إِخْلَاصَ بَاطِنِي
فَإِنْ قُلْتُ رَوْضٌ كَانَ فِي ذَا مَحَاسِنٍ
وَإِنْ قُلْتُ أَفْقٌ زَادَ هَذَا بِأَنَّهُ
بَعَثَتْ بِهِ جَبْرًا لِكَسْرِ أَصَابِنِي
وَحَقَّقَتْ أَنَّ الْوُدَّ مِنْكَ مُؤَكَّدٌ
أَقَمْتَ عَلَى عَهْدِ الصَّفَاءِ وَلَمْ تَخُنْ
جَفَانِي أَخْلَائِي الَّذِينَ أَلْفَتْهُمْ
إِلَيْكَ صَلَاحَ الدِّينِ أَهْدَى عَلَى النَّوَى
فَإِنْ كَانَ يَلْقَاكَ النَّسِيمُ مُعْتَبَرًا
لَأَنَّ نَسِيمَ الرُّوضِ طَابَ بِنِدِّهِ
بَلَفَظٍ يَفُوقُ الدُّرَّ فِي نَظْمِ عَقْدِهِ
وَأُطْفَأَ مِنْ جَمْرِ الْحَشَا حَرٌّ وَقْدِهِ
عَلَى بُخْلِ دَهْرِي أَنْ أَفُوزَ بِوَزْدِهِ
شِفَاهَا فَرَوَى غُلَّتِي طِيبُ بَرْدِهِ
وَأَتْلُو لِمَا قَدْ ضَمَّ سُورَةَ حَمْدِهِ
سَوَى مَا لِرَوْضِ الْحَزَنِ مِنْ نَفْحِ وَرْدِهِ
بِهِ كُلُّ نَجْمٍ حَلَّ فِي أَوْجِ سَعْدِهِ
وَمَا كُلُّ مَوْلَى يَشْتَهِي جَبْرَ عَبْدِهِ
جَزَى اللهُ مَوْلَانَا عَلَى حُسْنِ قَضْدِهِ
[٦٣ ب] وَمِثْلَكَ مَنْ يَرَعَى مَوَائِقَ عَهْدِهِ
وَأَنْتَ خَلِيلُ سَرَّانِي حِفْظُ وَدِّهِ
تَحِيَّةَ صَبِّ ضَاقَ صَدْرًا لِبُعْدِهِ
فَإِنْ سَلَامِي فِيهِ فَاسْمَحْ بِرَدِّهِ

● وَكَتَبَ إِلَيَّ مِنَ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ فِي سَنَةِ ٧٥٣ : [من الطويل]

سَلَامٌ مَشُوقٍ لَا يَزَالُ مُرَدِّدًا يَضُوعُ كَرَوْضٍ نَاضِرٍ طَلَّهُ النَّدَى

(١) فِي هَامِشٍ أ : لَمْ نَجِدْ مَا كَتَبَهُ .

(٢) الْقَصِيدَةُ فِي الْوَافِي .

يُضَاهِي ثُغُورَ الْغَيْدِ مِنْ أَقْحَوَانِهِ
 إِذَا مَا بَكَتْ عَيْنُ السَّحَابِ بِجَوِّهِ
 بِهِ أَعْيُنٌ لِلنَّزْجِسِ الْغَضُّ حَذَقَتْ
 يَجُرُّ النَّسِيمُ الرُّطْبُ فِيهِ ذُبُولُهُ
 وَتَشْدُو بِهِ الْوُزْقُ الْهَوَاتِفُ سَحْرَةً
 عَلَى سَيِّدِ أَرْبَتِ عَلَى ذَا صِفَاتِهِ
 وَعَطَرَ مِنْهُ الْكَوْنُ أَنْفَاسَهُ الَّتِي
 وَطَوْقَ جِنْدِ الْعَصْرِ مِنْهُ قَلَائِدًا
 وَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ مِنْهُ فُضَائِلُ
 وَزَانَ بَنِي الْعَلِيَا مَحَاسِنُهُ الَّتِي
 تَحِيَّةَ مُشْتَاقٍ يَوَدُّ لَوْ أَنَّهُ
 يُرَنِّحُهُ ذِكْرَاكُمْ كُلَّ سَاعَةٍ
 يَهِيمُ بِمَعْنَاكُمْ وَيَضْبُو فُؤَادَهُ
 فَهَلْ تَسْمَحُ الْأَقْدَارُ يَوْمًا بِعَوْدَةٍ
 أَعَيْنِي نَامَا طَالَ مَا قَدْ سَهَرْتُمَا

تَبَسُّمُهُ وَالْخَدُّ وَزْدُ تَنْصَدَا
 تَرَى الزَّهْرَ فِيهِ ضَاحِكًا مُتَوَدِّدًا^(١)
 بِجَفْنٍ غَضِيضٍ خِلْتَهُ رَاحَ أَرْمَدَا
 فَيَبْدُو بِهِ وَجْهَ الْغَدِيرِ مُجَعَّدَا
 فَيَطْرَبُ غَضْنُ الْبَانِ مِنْهَا تَأَوَّدَا
 فَأَضْحَى بِهَا بَيْنَ الْأَنَامِ مُفَرَّدَا
 لَهَا الْمِسْكُ يَغْنُو بِالْخُضُوعِ تَعَبَّدَا
 لَدَيْهَا نَفِيسُ الْأَمْرِ أَصْبَحَ جَلَمَدًا^(٢)
 تُبَارِي الثُّجُومَ الزَّاهِرَاتِ تَعَدَّدَا
 بِهَا رَاحَ فِي كُلِّ الْمَنَاقِبِ أَوْحَدَا
 مَكَانَ الَّذِي خَطَّتْ يَدَاهُ فَيَسْعَدَا
 عَلَى مَا بِهِ مِنْ حَرٍّ شَوْقٍ تَوَقَّدَا
 لِمَعْنَاكُمْ وَالْبُعْدُ قَدْ زَادَ فِي الْمَدَى
 فَأُصْبَحَ فِي تِلْكَ الْمَعَالِمِ مُنْشِدَا
 وَذَاكَ زَمَانُ الْوَصْلِ أَصْبَحَ مُبْعَدًا^(٣)

يُقَبِّلُ الْأَرْضَ مُتَمَسِّكًا مِنْ وَلَائِهِ بِوَثِيقِ الْعُرَى ، مُتَمَسِّكًا مِنْ ثَنَائِهِ الَّذِي
 لَا يَزَالُ الْكَوْنُ مِنْهُ مُعْتَبِرًا ، مُتَشَوِّقًا لِلِقَائِهِ الَّذِي بِالْمُهْجِ يُسْتَامُ وَبِالنُّفُوسِ
 يُشْتَرَى ، مُتَشَوِّقًا إِلَى مَا يَرِدُ مِنْ أَنْبَاءِهِ الَّتِي تَسُرُّ خَيْرًا وَتُحْمَدُ أَثَرًا : [من الطويل]
 لَهُ أَضْلَعُ تُخْنِي عَلَى بُرَحَائِهِ وَيُنْشَرُ مِنْهَا الرُّوحُ إِمَّا تَذَكَّرَا

(١) في م : . . . عين السحاب نحوه × .

(٢) في س ، م : نفيس الدر . . .

(٣) في هامش أ : لعله الهجر . أي بدل الوصل . وفي م : × وذاك زمان الهجر أصبح مُسعدا !

يَهِيْمُ غَرَاماً بِالنَّسِيمِ لِأَنَّهُ إِذَا هَبَّ مِنْ ذَاكَ الْجَنَابِ تَعَطَّرَا^(١)
وَالْيَدَ الَّتِي وَكَفَّتْ بِوَابِلِ جُودِهَا ، وَكَفَّتِ الْمُهِمَّ بِنَتَائِجِ سُعُودِهَا ، وَمَنَاهِجِ
صُعُودِهَا ، وَحَاكَتِ السَّحَابُ صَيِّبَ عَهَادِهَا ، وَالْجِبَالُ الشُّمَّ وَثِيقَ عُهُودِهَا ،
وَحَاكَتِ الْوَشْيَ الْمَرْقُومَ ، وَسَلَكَتِ الدُّرَّ الْمُنْظُومَ ، فَهَذَا يَزْفُلُ فِي حُلِيِّهَا ،
وَهَذَا يَتَحَلَّى بِعُقُودِهَا : [من الكامل]

فَهِيَ الَّتِي تَعْنُو الرِّيَاضُ لِرَقْمِهَا وَيَغَارُ مِنْهَا الدُّرُّ فِي تَنْصِيدِهَا
وَيَحَارُ أَزْبَابُ الْبَيَانِ لِنِظْمِهَا فَهُمْ بِحَضْرَتِهَا كَبْعُضٍ عَيْنِهَا
وَيُنْهِي ذِكْرَ تَلَهُّفِهِ لِنِيرَانِ أَشْوَاقِهِ الَّتِي لَهَبَتْ ، وَتَأَسُّفِهِ عَلَى الْآيَامِ السَّالِفَةِ
مُذْهَبَةٍ فِي خِدْمَتِهِ لَا ذَهَبَتْ ، وَتَوَجُّعِهِ لِهَذِهِ الْأَرْزَامِ الَّتِي اسْتَرْجَعَتْ بِالْبُعْدِ عَنْهُ
مِنْ ذِمَائِهِ^(٢) مَا وَهَبَتْ ، وَتَطَلُّعِهِ إِلَى مَا يُشْنَفُ بِهِ الْأَسْمَاعَ مِنْ فَضَائِلِهِ الَّتِي بِهَا
الْعُقُولُ سَلَبَتْ^(٣) وَالْقُلُوبُ نُهَبَتْ ؛ فَلَا يَزَالُ يَسْأَلُ الرُّوَاةَ عَنْهَا لِيَلْتَقِطَ مِنْهَا ،
وَيَتَحَقَّقَ أَنَّ فَرَائِدَهَا لَا يَلْقَى لَهَا نَظِيراً وَلَا يُدْرِكُ كُنْهَهَا ، وَكَيْفَ لَا وَمِنْهَا يَتَعَلَّمُ
الْفَاضِلُ^(٤) ، وَإِلَيْهَا يَفْتَقِرُ السَّعِيدُ^(٥) ، وَلَهَا يَتَوَقَّ^(٦) حَبِيبٌ ، وَلَدَيْهَا يَتَأَدَّبُ
الْوَلِيدُ ، وَعَنْهَا يَرْوِي حَمَّادٌ ، وَعَلَيْهَا يَعْتَمِدُ ابْنُ الْعَمِيدِ ، [٦٤] وَلَا تَنْفُكُ رَاقِيَةٌ
فِي دَرَجِ الْمَزِيدِ ، وَعَبْدُ الْحَمِيدِ عَبْدُ الْحَمِيدِ .

هَذَا وَالْعِلْمُ الْكَرِيمُ مُحِيطٌ بِصِدْقِ مَحَبَّةِ الْمَمْلُوكِ وَإِخْلَاصِهَا ، وَشِدَّةِ حِرْصِهِ
عَلَى تَحْصِيلِ فَوَائِدِ مَوْلَانَا وَاقْتِنَاصِهَا ، وَأَنَّهُ لَا يَزَالُ ذَاكِراً لِمَحَاسِنِهِ الَّتِي لَيْسَتْ

(١) فِي م : × . . . مِنْ ذَاكَ الْخَبَاءِ . . .

(٢) فِي م : مِنْ ذِمَامِهِ .

(٣) فِي م : هَبَتْ .

(٤) الْفَاضِي الْفَاضِلُ .

(٥) ابْنُ سَنَاءِ الْمَلِكِ .

(٦) فِي س ، م : وَلَهَا يَتَوَدَّدُ .

فِي غَيْرِهِ مَجْمُوعَةٌ ، وَمُتَطَفِّلًا عَلَى ثِمَارٍ مِنْ أَفْكَارِهِ غَيْرِ مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ،
وَالْخَاطِرُ الشَّرِيفُ وَهُوَ أَبُو الصِّفَا عَلَى الْحَقِيقَةِ يَشْهَدُ بِذَلِكَ ، فَلَا يَحْتَاجُ الْمَمْلُوكُ
مِنْهُ إِلَى بَيِّنَةٍ عِنْدَ مَوْلَانَا الْمَالِكِ ، وَقَدْ حَمَلَهُ مَا وَصِفَ عَلَى التَّهَجُّمِ بِمُعَمَّى بَعَثَ
بِهِ ، وَتَوَصَّلَ إِلَى الْإِدْكَارِ بِهِ بِسَبِيهِ ، سَائِلًا مِنْ كَرَمِ شَيْمِهِ ، الْإِغْضَاءَ عَنْ دَنِيءِ
كَلِمِهِ ، وَالْإِلْغَاءَ لِعَثَرَاتِ لِسَانِهِ ، وَالسُّتْرَ عَلَى هَفَوَاتِ قَلَمِهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ
لِمُبَارَاةٍ تُذَكِّرُ ، وَلَا سَعَى فِي مَيْدَانِ مُجَارَاةٍ تُشْهَرُ ، هَنِهَاتَ ، وَاللَّهُ إِنَّ الشَّمْسَ
لَا يُضَاهِي ، وَالْبَدْرَ لَا يُبَاهِي ، وَالْبَحْرَ لَا يُمَاتِلُ ، وَالشُّحْبَ لَا تُسَاجِلُ ، وَأَيْنَ
سَعْيِ الضَّالِّعِ مِنْ رَكْضِ الْفُرْسَانِ ، وَعَيْيَ بَاقِلٍ مِنْ بَلَاغَةِ قُسٍّ وَبَيَانِ سَحْبَانٍ ؟
وَلِكُلِّ أَحَدٍ مَقَامٌ يَقِفُ عِنْدَ حَدِّهِ ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يَتَعَدَّى عَنْ حَدِّهِ ، وَلَكِنَّهَا
نَفْثَةُ مَصْدُورٍ غَلَبَهُ الشَّوْقُ فَقَالَ ، وَبَعَثَهُ مَعْذُورٍ حَمَلَهُ عَلَيْهَا الْإِذْلَالُ^(١) : [من الطويل]

وَأَرْسَلْتُهَا حَضْبَاءَ تُرْبٍ بِحَزْنَةٍ إِلَى أَفْقٍ فِيهِ النُّجُومُ جَوَارِي
فَأَلْقَى عَلَيْهَا سِتْرَ مَعْرُوفِكَ الَّذِي سَتَرْتَ بِهَا قَدَمًا عَلَيَّ عُوَارِي
عَلَى أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ زَيْفًا عِنْدَ التَّقْدِ ، وَضَيْفًا لَا قِرَى لَهُ سِوَى الرَّدِّ ، وَسُكَيْنَا
فِي حَلْبَةِ الرَّهَانِ ، وَمَدْرًا فَلَا يُقَاسُ بِاللُّوْلُو وَالْمَرْجَانِ^(٢) : [من الطويل]

وَمَا ضَرَّ مَا يُهْدَى إِلَيْكُمْ فَإِنَّهُ عَلَى ثِقَةٍ بِالْفَضْلِ لَيْسَ يَخِيبُ
يَكُونُ أُجَاجًا دُونَكُمْ فَإِذَا انْتَهَى إِلَيْكُمْ تَلَقَّى نَشْرَكُمْ فَيَطِيبُ
وَاللَّهُ تَعَالَى يُمْتِنُ الْوُجُودَ بِفَضَائِلِ مَوْلَانَا ، الَّتِي سَارَتْ وَسَرَّتْ ، وَوَصَلَتْ
وَبَرَّتْ ، وَحَلَّتْ بِالْأَسْمَاعِ وَالْقُلُوبِ حِينَ مَرَّتْ^(٣) ، وَابْتَهَجَتْ بِهَا النُّفُوسُ
وَالْعُيُونُ ، فَهَذِهِ لَهَا أَقَرَّتْ وَهَذِهِ بِهَا قَرَّتْ ؛ وَهَآ هُوَ :

(١) الثاني منهما لأبي نواس ، في ديوانه ١٥٠/١ (فاغتر) . وروايته في م : × فأسبل . وفوقها :

صح . وفي الهامش : فآلق . وفوقها : صح . إشارة إلى صحة الروایتين .

(٢) الثاني منهما للمجنون ، في ديوانه ٥٢ .

(٣) في س ، م : حيث مَرَّتْ .

يا إماماً ثَمَارُ عُلُومِهِ يَانِعَةٌ ، وَأَنْوَارُ أَفْكَارِهِ سَاطِعَةٌ ، وَفَضَائِلُهُ وَفَوَاضِلُهُ
لِشَتَاتِ الْمَحَاسِنِ جَامِعَةٌ ، وَبِعُلُوِّ قَدْرِهِ عَلَى أَهْلِ عَصْرِهِ قَاطِعَةٌ ، أَيُّ شَيْءٍ ذِي
زَوْجَيْنِ ، تَقَرَّرَ الْعُيُونُ بِتَصَالِحِهِمَا ، وَتَقَرَّرَ الثُّفُوسُ بِتَنَاجُحِهِمَا ، وَتَقَرَّرَ الْعُقُولُ
بِعَدَمِ تَسَافُحِهَا ، وَتَقَرَّرَ الْقُلُوبُ مِنْ اسْتِثْلَاثِهِ عَلَيْهَا ، وَتَضَيَّقُ الصُّدُورُ عِنْدَ انْتِسَابِهِ
إِلَيْهَا ؛ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ، وَلَا جَلِيلَةً وَلَا حَقِيرَةً إِلَّا اسْتَوْلَى
عَلَيْهَا وَحَوَاهَا ، وَلَهُ وَلَدٌ يُعَدُّ مِنَ الصُّلَحَاءِ الْأَوْتَادِ ، وَإِلَيْهِ يَنْتَسِبُ مِنْ جِلَّةِ
الْعُلَمَاءِ أَفْرَادٌ ، وَبِعِظَمِهِ يَبْتَقِي ذَوُو الرِّأْيِ وَالسَّدَادِ ، حَافِظٌ أَمِينٌ ، عَاقِلٌ رَزِينٌ ،
وَحَاجِزٌ حَصِينٌ ، مَالِكٌ مَكِينٌ ، حَاكِمٌ لَا يَمِيلُ ، مُخَكِّمٌ ذِكْرُهُ فِي آيِ التَّنْزِيلِ ،
مُنْزَلٌ بِالْقُدْرَةِ ، مُرْسَلٌ عِنْدَ الْفِتْرِ ، ثَابِتٌ لَا يَزُولُ ، مُقِيمٌ عَلَى عَهْدِهِ لَا يَحُولُ ،
يُظْهِرُ فِي أَجْمَلِ زِينَةٍ ، وَيَجْلِبُ لِصَاحِبِهِ الطَّمَأْنِينَةَ ، لَا يُخَفِّرُ جَارُهُ ، وَلَا يُجْهَلُ
مِقْدَارُهُ ، وَلَا تَخْفَى عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ آثَارُهُ ، [٦٤ ب] وَرُبَّمَا تَعَسَّرَ فِي أَمْرِهِ ، وَرُمِيتِ
الثُّفُوسُ بِحَضْرِهِ ، ثُمَّ أَجَابَ دَاعِيَهُ فَشَرَحَ مِنْ صَدْرِهِ .

إِنْ عَايَنْتَ لَفْظَهُ «فَقُلْ»^(١) مَا شِئْتَ فِي تَصْحِيفِهِ ، وَإِنْ عَايَنْتَ شَخْصَهُ سَرَّكَ
بِحُسْنِ تَرْصِيفِهِ ، تَأْمُرُ بِهِ إِذَا ثَانِيَهُ حَذَفْتَهُ^(٢) ، أَوْ أَسْقَطْتَ أَوَّلَهُ وَصَحَّفْتَهُ^(٣) ، أَوْ
خَصَصْتَ بِالْحَذْفِ آخِرَهُ وَحَرَّفْتَهُ ، وَإِنْ عَكَسْتَهُ «لَفَقَ»^(٤) أَعْذَاراً لَكَ فِي
عَكْسِهِ ، وَبَرَهَنَ لِمَعَانِيهِ عَلَى صِحَّةِ حَدْسِهِ ، وَمِنْهُ جَبَلٌ لَا تُطْرَقُ مَسَالِكُهُ^(٥) ،
وَنَوْعٌ مِنَ الْكِتَابِ صَعُبَتْ مَدَارِكُهُ ، وَبَاقِيهِ مُرَخِّمٌ جَاءَ ذِكْرُهُ فِي الْأَثَرِ^(٥) .

(١) فقل : تصحيفه : قُل .

(٢) قفل = قُل .

(٣) لفق : عكسه : قفل .

(٤) جبل قاف بزعمهم .

(٥) قُل : ترخيم فلان .

وإنْ ثَقُلَتْهُ كَانَ وَصْفاً لِعَزْمٍ فَتَرَ ، وَجَمَعَ انْتَرَّ^(١) ، تَزَرَّيْنُ بِهِ الْأَبْكَارُ
الْمُوشَّحَاتُ بِالذُّرِّ النَّضِيدِ^(٢) ، وَيَكُونُ لَهَا أَجْمَلُ مِنَ الْقِلَادَةِ فِي الْجَيْدِ ؛ يَتَنَوَّعُ
صُورَةً وَمَعْنَى ، وَيَتَأَنَّقُ فُرَادَى وَمُتْنَى ، وَيَبْدُو تَارَةً ذَاتاً وَتَارَةً لَفْظاً ، وَيُجِيدُ لِمَا
اسْتَوْدَعَ أَمَانَةً وَحِفْظاً .

يُجَمِّعُ لَهُ بَيْنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ ، وَيَصِيحُّ مِنْ أَفْعَالِهِ الْعَكْسُ وَالطَّرْدُ ، وَمِنْ أَجْزَائِهِ
مَا يُلْقَى نَفْسُهُ فِي النَّارِ عَمْدًا ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ صُلِيَ بِهَا حِينَ ضُرِبَ حَدًّا ، وَلَهُ
صَاحِبٌ^(٣) يُجَانِسُهُ وَيَغْشَاهُ كَثِيرًا وَيُلَابِسُهُ ، يَسْلُبُهُ إِذَا حَضَرَ جَمِيعَ الْأَوْصَافِ ،
وَيَجُودُ لِغَيْرِهِ بِالْمَنْ وَالْإِسْعَافِ .

يُحْمَدُ فِعْلُهُ وَإِنْ كَانَ يُفَرِّقُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ ، وَيُنَائِي عَنْهُمَا إِذَا تَلَاقِيَا بَعْدَ
الْبَيْنِ ، طَالَمَا فَرَّجَ الْكَرْبَ وَأَزَالَ الْحَضَرَ ، وَتَلَا عِنْدَ أَفْعَالِهِ سُورَةَ النَّصْرِ ؛ إِنْ
حَذَفَتْ أَوَّلُهُ وَأَضْعَفَتْ عَيْنُهُ كَانَ نَعْتًا يَفْتَضِي زِينَةً^(٤) ، وَإِنْ حَذَفَتْ ثَانِيَهُ كَانَ
وَصْفاً لِلْقَدَرِ مَذْكُورًا^(٥) ، فَإِنْ عَكَسْتَهُ ذَكَرْتَ بِهِ كَرَمًا مَشْهُورًا^(٦) ، وَإِنْ صَحَّفْتَهُ
كَانَ فِعْلاً لَا حَرَجَ فِي تَعَاطِيهِ^(٧) ، أَوْ مَكَانًا نُهِيَ عَنِ الصَّلَاةِ فِيهِ^(٨) ، وَإِنْ حَذَفَتْ
ثَالِثَهُ وَصَحَّفْتَهُ كَانَ وَصْفاً لِمَطَارِقٍ يَأْتِي بَغْتَةً^(٩) ، إِذَا عُيِّنَتْ بِأَمْرِهِ وَسَهَّلَتْهُ ، وَإِنْ
صَحَّفَ بَعْدَهَا سَقَطَ مِنْ أَوَّلِهِ حَرْفَانِ ، أَذْكَرَكَ صَاحِبَ الْإِيْوَانِ^(١٠) ، وَوَاحِدَ قَرَارَةِ

(١) فُلٌ . فُلٌ .

(٢) هو مفتاح القفل .

(٣) فتَّاح .

(٤) مُتَّاح . وعكسه : حاتم .

(٥) مُبَاح .

(٦) مناخ الإبل .

(٧) مفاجيء .

(٨) تاج .

ابن دُنيان^(١) ، وباحِ بِسْرِهِ فَلَا كِتْمَانُ .

هذا ما تيسَّر من أوصافِهِ عَجَلًا ، وَتَسَيَّرَ إِلَى بَيْنِ يَدَيْكَ حَجَلًا ؛ فَأَجَلْ فِيهِ
فِكْرَةَ أَضَاءَتِ أَنْوَارِهَا ، فَحَمِدَتْ آثَارِهَا ، وَعَبَقَ نُورُهَا ، فَجَنَيْتَ ثَمَارِهَا ،
وَتَلَيْتَ أَخْبَارِهَا ، فَتَجَمَّلْتَ بِهَا مِنَ الْأَقَالِيمِ أَقْطَارِهَا ؛ لَا يَزَالُ بَنَانُكَ يَرْقُمُ أَحْرُفًا
فَيُبْدِي زُخْرُفًا ، وَيَبَانُكَ يَتَلَوُّ صُحُفًا فَيَبُوءُ مِنَ الْجَنَاتِ غُرْفًا ، وَبَدِيعُكَ يُحَلِّي
الْأَوْلِيَاءَ عَقُودًا ، وَيُقَرِّطُهُمْ شُغْمًا ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكُتِبَتْ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ : [من الطويل]

قَرِيضُ كَمَا غَنَى الْحَمَامُ وَغَرَّدَا
وَالْأَكَمَا أَزْدَانَتْ سَمَاءَ دِيَا حِرِ
وَنَثَرُ كَمَا اخْمَرَّتْ خُدُودُ شَقَائِقِ
وَالْأَكَمَا مُدَّتْ مُلَاءَةٌ سُنْدُسِ
وَلَفْظُ كَمَا غَادَى النَّسِيمُ غَدِيرَهُ
وَالْأَكَمَا هَبَّتْ صَبَاً فِي صَبَابَةٍ
وِطْرُسٌ كَمَا تَرْنُو لِحَاطَ يَزِينُهَا اخِ
وَالْأَكَمَا وَافَى لَنَا الصُّبْحُ أُبَيْضَ الْ
وَمَا هَذِهِ إِلَّا نَوَافِثُ سَاحِرِ
نَوَافِذُ فِي الْأَخْشَاءِ حَاشَا بَيَانُهَا
بَعَثَتْ صَلاَحَ الدِّينِ لِي بِرِسَالَةٍ
فِيَا حُسْنَهَا جَاءَتْ إِلَيَّ هَدِيَّةً
تَعَوَّذَتْ جَبْرِي حَيْثُ كُنْتُ وَإِنَّمَا

فَبَانَتْ لَهُ الْأَغْصَانُ فِي الرَّوْضِ سَجْدَا
فَكَمْ كَوَّكِبٍ فِي أَفْقِهَا قَدْ تَوَقَّدَا
فَكَلَّلَهَا لَمَّا أَزْدَهَتْ لَوْلُؤُ النَّدَى
مِنَ الرَّوْضِ فِيهَا الرَّهْرُ دُرّاً تَبَدَّدَا
حُسَاماً صَقِيلًا ثُمَّ مَا شَاءَ مِبْرَدَا
تُعِينِدُ عَلَى الْأَحْبَابِ عَتَباً مُرَدَّدَا
وِرَارٌ وَتَخْشُوهَا يَدُ الْحُسْنِ إِثْمَدَا
[٦٥ أ] مُحْيَاً وَوَلَانَا قَفَا اللَّيْلِ أَسْوَدَا
إِذَا شَاءَ خَلَّى الشُّهْبَ عِقْدًا مُنْضَدَا
يَكُونُ مِنَ السَّخْرِ الَّذِي قَدْ تَعَقَّدَا
فَأَصْبَحَ جِنْدُ الدَّهْرِ مِنْهَا مُقَلَّدَا
وَجَدْتُ عَلَى نَارِ الْبِعَادِ بِهَا هُدًى
« لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا »^(٢)

(١) ناج . وتصحيفه : باح كما سيأتي . والمقصود : ناجية .

(٢) العَجَزُ مَضْمَنٌ مِنْ قَوْلِ الْمُتَنَبِّي : [ديوانه ١ / ٢٨١]

فَأَظْلَقْتُ لَفْظِي فِي صِفَاتِكَ مَادِحاً « وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقَيَّدَا »^(١)
فَأَنْتَ إِمَامٌ وَالْوَرَى فِي الْعُلَا وَرَا فَمَا رُخْتُ تُدْعَى فِيهِمْ سَيِّدًا سُدى
فِيَا لَكَ مِنْ حَبِيرٍ وَبَحْرِ مَوَاهِبٍ تُجِيدُ الْفَتَاوَى وَالْفُتُوَّةَ سَرْمَدَا
عَلَى هَذِهِ الْأَيَّامِ مَا تَسْتَحِقُّهُ فَكَمْ قَدْ أَضَاعَتْ مِنْكَ حَقًّا مُؤَكَّدَا
فَلَوْ أَنْصَفْتَ سَاوَتْ مَحَلَّكَ بِالسُّهَى عَلُوًّا وَصَاعَتْ نَعْلٌ نَعْلِكَ عَسَجَدَا
وَلَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ تَفْعَلُ مَا تَشَا فَكَمْ حِكْمَةٍ فِي طَيْهَا رَدَّتِ لِلرَّدى
وَبَعْدُ فَلِي فِيهَا رَجَاءٌ وَعِنْدَهَا دُيُونٌ مَتَى تُقْضَى فَأُصْبِحَ مُنْشِدَا
هَيْنَأَ لِدَهْرٍ أَنْتَ فِيهِ مُحَكَّمٌ تَسُرُّ الْمَوَالِي فِيكَ إِذْ تَكْبِتُ الْعِدَى

يُقَبَّلُ الْأَرْضَ الَّتِي هِيَ لِلْعُلُومِ رِيَاضٌ ، وَلِلْبَرَكَاتِ حِيَاضٌ ، وَلِلْفَوَائِدِ
الْغَرِيْبَةِ غِيَاضٌ ، وَلِلْمَعَالِي مَعَادِنٌ ، وَلِلْمَكَارِمِ مَكَامِلُنٌ ، وَلِلْمَوَائِدِ مَوَاطِنٌ ،
وَلِلْمَسَائِلِ مَسَالِكٌ ، وَلِلْمُبَارِي مَبَارِكٌ ، وَلِلْآرَاءِ الصَّائِبَةِ أَرَائِكُ : [من الوافر]

هِيَ الْأَرْضُ الَّتِي وَفَّتْ عُلاَهَا وَفَاحَ الطَّيْبُ فِيهَا مِنْ وَفَائِكُ
فَمَا تَمْشِي بِهَا إِلَّا وَتَغْدُو مُظْلَلَةٌ بِأَجْنَحَةِ الْمَلَائِكِ
وَيُنْهِي بَعْدَ دُعَاءِ أَخْلَصَهُ ، وَوَلَاءِ كُلِّمَا أَطْنَبَ فِيهِ تَوَهُّمٌ أَنَّهُ لَخَصَهُ ، وَثَنَاءِ
جَلَبَهُ مِنْ نَفْحَاتِ الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ إِذْ فَرَّ وَخَلَّصَهُ ؛ وَوَصَفِ مَحَبَّةِ تَعَالَى فِيهَا وَمَا
تَغَابَى وَلَا تَرَخَّصَ ، وَأَشْوَاقِ تَعَالَى الصَّبْرِ عَنْهَا وَمَا تَعَانَى غَيْرَ الصَّدَقِ فِيهَا وَلَا
تَخَرَّصَ ، وَلَوْعَاتِ تَمَادَى أَلَمُهُ فِيهَا وَتَمَالَى عَلَيْهِ ، فَمَا تَصَبَّرَ لَهَا الْقَلْبُ وَلَا
تَرَبَّصَ : [من الوافر]

وَذَكَرَ زَمَانَ أَنْسٍ مَرَّ حُلُوًّا وَعَيْشٍ بِالتَّبَاعِدِ قَدْ تَنَغَّصَ

= لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا
(١) العجز مضمّن من قول المتنبي [ديوانه ٢٩٢/١] وصدره :
وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي ذِرَاكِ مَحَبَّةٍ X

تَقْنَصَ فِيهِ صِرْفُ الْبَيْنِ صَبْرِي وَمَا زَادَ الْجَوَى حَتَّى تَقْنَصَ
 وَرُودَ الْمِثَالِ الْعَالِي ، أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَمَدَّ بِهِ عَلَى الْقُلُوبِ الضَّاحِيَةِ
 ظِلَالاً ، فَوَقَفَ الْمَمْلُوكُ مِنْهُ عَلَى رِيَاضِ يَانِعَةٍ ، وَأَلْفَاتٍ كَأَنَّهَا الْغُصُونُ
 الْمَائِسَةُ ، وَفَوْقَهَا الْهَمْزَاتُ كَالْحَمَائِمِ السَّاجِعَةِ ، وَسُطُورٍ كَالْجَدَاوِلِ أَمْوَاجُ
 مَعَانِيهَا مُتَدَافِعَةٌ ، وَالْفَافِظُ صَادِقَةُ الْحَلَاوَةِ فِي الْفَصَاحَةِ الصَّادِعَةِ ، وَمَقَاصِدَ
 لَمْ تَضِيقْ بَعَارِيَّتَهَا سَاحَاتِ الْبَلَاغَةِ الْوَاسِعَةِ ، وَمَقَاعِدِ قَوَافٍ تَنْزَلَتْ فِي أَمَاكِنِهَا
 كَالْبُدُورِ الطَّالِعَةِ : [من الطويل]

وَحَسْبُكَ مِنْ فَضْلِ تَدَانَتْ ثِمَارُهُ وَلَكِنْ مَبَانِيهِ عَلَى النَّاسِ شَائِعُهُ^(١)
 فَكَانَ صَبُوحِي مِنْهُ كَأَسَا رَوِيَّةً سُلَافَتُهَا صَفَرَاءُ لِلْهَمِّ فَاقِعَهُ
 فَلَوْ رَأَى الْفَاضِلُ لِنَقْصٍ مِنْ قَدْرِهِ ، أَوْ ابْنُ سَنَاءِ الْمُلْكِ لَمَا افْتَخَرَ بِقُصْرِهِ فِي
 عَصْرِهِ ، وَلَا أَنْشَدَهُ مَمْلُوكُهُ مِنْ شِعْرِهِ ، [٦٥ ب] ^(٢) أَوْ ابْنُ أَبِي الْأَصْبَغِ لَمَا مَدَّ فِي
 هَذِهِ الصَّنَاعَةِ يَدًا ، أَوْ الْقَاضِي الْجَلِيسُ^(٣) لَقَامَ وَقَعَدَ حَسَدًا ، أَوْ الْجَزَّارُ
 لَنَقَطَعْتَ مِنَ الرُّعْبِ مَصَارِيئُهُ ، أَوْ السَّوَّاجُ لَانْطَفَأَ وَكَثُرَ تَذَخِينُهُ ، أَوْ ابْنُ النَّقِيبِ
 لَكَانَ مُجَرَّدًا مِنْ مَحَاسِنِهِ ، فَلَا يُسَايِرُهُ وَلَا يُسَارِيهِ ، أَوْ الْحَمَّامِيُّ لَمَا عَرَفَ حَرَّ
 الْأَشْيَاءِ وَبَارِدَهَا ، وَلَا أَخَذَ الْمَاءَ مِنْ مَجَارِيهِ ، أَوْ شَيْخُ الشُّيُوخِ^(٤) لَمَا وَجَدَ لَهُ
 مُرِيدًا ، أَوْ ابْنُ لَوْلُو الذَّهَبِيِّ^(٥) وَشَيْعَتُهُ ، لَقَالَتْ لَهُمْ فَصَاحَتُهُ : ﴿ قُلْ كُونُوا

(١) في هامش م : ط : شاسعة .

(٢) الورقة ٦٥ ب و ٦٦ أساقطة من أ . والمثبت من ب ، س .

(٣) القاضي الجليس : عبد العزيز بن الحسين بن الجباب ، الصَّقِلِّي الأصل ؛ توفي سنة ٥٦١ هـ .
 (الوافي بالوفيات ٤٧٣/١٨) .

(٤) شيخ الشُّيُوخِ : عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن ، العلامة الأديب الشاعر الحموي ؛ توفي سنة
 ٦٦٢ هـ . (الوافي بالوفيات ٥٤٦/١٨) .

(٥) يوسف بن لَوْلُو الذَّهَبِيِّ ، الأديب بدر الدِّين الدَّمَشَقِيُّ الشاعر ؛ توفي سنة ٦٨٠ هـ . (الوافي
 بالوفيات ٣٧٨/٢٩) .

حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿[الإسراء : ٥٠] أَوْ ابْنُ النَّبِيِّ ، لِأَحْمَلَتُهُ هَذِهِ الْحَمَائِلُ ، وَلَمْ يُبَاكِزْ صَبوحاً مع أَهْيَفِ الشَّمَائِلِ ، أَوْ ابْنُ السَّاعَاتِي ، لَهَمَّتْ دَرَجَاتُ مَجْدِهِ بِالسُّقُوطِ ، وَنَسِيَ يَوْمًا كَانَتْ الرِّيحُ تَكْتُبُ وَالْغَمَامُ يُنْقِطُ^(١) فِي سُبُوطِ : [من الطويل]

وَلَوْ أَشْبَهَتْهُ الشَّمْسُ فِي أَوْجِ أَفْقِهَا لَمَّا شَانَهَا فِي النَّيِّرَاتِ هُبُوطُ
وَلَوْ أَنَّ زَهَرَ الدُّوحِ فَازَ بِجِدَّةِ حَوَاهَا لَمَّا أَفْنَى قِوَاهُ سُقُوطُ
فَعَيْنُ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ السَّخَّارَةِ ، وَالْبِحَارِ الرَّخَّارَةِ ، وَالْكَوَاعِبِ الَّتِي
هِيَ بِالْكَوَاكِبِ سَخَّارَةٌ ، وَالْمَحَاسِنِ الَّتِي مَا التَّقَطَّ مِثْلُهَا السَّيَّارَةُ ، وَالْفَضَائِلِ
الَّتِي تَخْتَبِيءُ الشَّمْسُ مِنْهَا فِي الْهَالَةِ وَالْقَمَرُ فِي الدَّارَةِ ؛ وَالْفَوَائِدِ الَّتِي لَوْ حَلَفَ
أَحَدٌ أَنَّ السَّمْعَانِيَّ مَا سَمِعَ بِهَا مَا لَزِمَتْهُ كَفَّارَةٌ .

يَا مَوْلَانَا ، دَعْ لَنَا مِنْ مَادِبِ الْأَدَبِ فَضْلَةً بِهَا نَزَرِزِقُ ، وَخُذْ فِي فُنُونِكَ مِنْ
عُلُومِ الشَّرِيعَةِ مَعَ أَقْرَانِكَ ، فَبَعْضُ الْفَوَارِسِ قَدْ يَعْتَنِقُ ، وَنَفْسٌ لَنَا سَاعَةٌ كَرْبِ ،
وَلَا تُضَايِقُنَا نَخْتِنِقُ ؛ وَدُونِكَ الْحَدِيثِ ، فَمَا أَنْتَ مِمَّنْ يَأْخُذُ بِأَطْرَافِهِ إِذَا تَكَلَّمَ ،
وَاشْتَغَلَ عَنَّا بِنَقْدِهِ ، فَالْبُخَارِيُّ يُثْنِي عَلَيْكَ ، وَمُسْلِمٌ لَكَ سَلَمٌ ؛ وَجَادِلُ فُرْسَانَ
الْكَلَامِ ، فَسَيَفُهَا مِنْكَ تَتَلَمَّ ؛ وَأَقِمِ أدْلَةَ التَّوْحِيدِ ، فَالْإِمَامَانِ لَوْ رَأْيَاكَ لَقَدَّ مَاكَ ،
وَقَالَا : هَذَا الْمُهْمُّ الْمُقَدَّمُ ؛ وَخَلَّ لَنَا مِنْبَتُ الْأَدَبِ ، وَإِنْ لَمْ نَكُنْ مِنْ خَلِّ
بَقْلُهُ ، وَوَلَّ جَانِبَكَ هَذِهِ التُّرْهَاتِ ، فَأَكْثَرُهَا اخْبُرْ تَقْلُهُ ؛ وَأَعْرِضْ عَنْ مَتَاعِهَا
الَّذِي لَا فَائِدَةَ فِي حُضُورِ حَضْرَتِهِ ، وَلَا لَذَّةَ فِي نَقْلِ نَقْلِهِ ؛ وَاتْرَكْنَا نَهْيَمُ فِي
أَوْدِيَةِ الْقَرِيضِ ، فَمِنْ أَرْجَانِ أَرْجِهِ ، إِلَى صِفْلِيَّةِ صَقْلِهِ .

(١) يشير إلى قول ابن الساعاتي : [ديوانه ٤/٢ ووفيات الأعيان ٣/ ٣٩٦]
وَالطَّيْرُ يَقْرَأُ وَالْغَدِيرُ صَحِيفَةٌ وَالرَّيْحُ تَكْتُبُ وَالْغَمَامَةُ تَنْقُطُ

وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْمُعَمَّى الَّذِي تَضَمَّنَهُ ذِيْلُ هَذَا الْمِثَالِ الْكَرِيمِ ، وَأُمْسَتْ بِهِ^(١) جَنَاتُ غَيْرِهِ مِنْ أَرْبَابِ هَذَا الْفَنِّ وَهِيَ كَالصَّرِيمِ ؛ فَلَمَّا انْتَهَى الْمَمْلُوكُ إِلَيْهِ وَقَفَ لَهُ إِلَى أَنْ فَكَّ « قُفْلَهُ » وَأَتَمَّ فَرَضَ حَلِّهِ وَنَقْلَهُ ، وَشَاهَدَ مُحَاسِنَهُ الَّتِي عَزَبَتْ عَنِ الْأَلْبَابِ ، وَعَلِمَ بِهِ كَيْفَ يَكُونُ مَقَاصِدُ شَيْوِخِ الْآدَابِ : [مِنْ الْمَجْنُثِ]

يَا حُسْنَ لُغَزٍ أَتَانِي أَقَرَّ قَلْبًا وَطَرَفًا
أُخْرَاهُ لَأَحَثَّ عَجِيْبًا اسْمًا وَفِعْلًا وَحَرْفًا

وَأَمَّا وَصْفُهُ نَثْرًا : فَقُلْ فِي ثَلَاثِي جُمْلَةٌ جُمْلُهُ مِثْلَانِ تَزِيدُ عَشْرًا^(٢) ؛ إِنْ جَعَلْتَ آخِرَهُ رَاءَ كَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْبَيْدِ^(٣) ، أَوْ زَايَا كَانَ حَرَكَةُ تَقَرُّبِ الْمَكَانِ الْبَعِيدِ^(٤) ، أَوْ صَادًا كَانَ سِجْنًا لِلطَّيْرِ الْغُرِّيْدِ^(٥) ، أَوْ طَاءً كَانَ بَلَدَةً مَعْرُوفَةً فِي الصَّعِيدِ^(٦) ، وَإِنْ صَيَّرْتَ وَسَطَهُ بَاءً كَانَ ظَرْفًا مَبْنِيًّا لَا يَعْمَلُ فِيهِ الْجَزُّ مِنْ قَرِيبٍ وَلَا بَعِيدٍ^(٧) ، أَوْ تَاءً كَانَ فِعْلًا تَحْرِيْمُهُ فِي الشَّرْعِ الْمُطَهَّرِ لَا يَبِيدُ^(٨) ، أَوْ وَاوًا كَانَ مَا يُلْفَظُ بِهِ وَلَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ^(٩) ، أَوْ يَاءً كَانَ وَضْفًا لِوَاحِدِ الْمُلُوكِ الصَّيْدِ^(١٠) ، وَإِنْ تَرَكْتَ أَوَّلَهُ حَاءً كَانَ وَضْفًا لِمَجْمَعٍ عَدِيدٍ^(١١) ، أَوْ سِينًا كَانَ ضِدًّا

(١) فِي ب : وَامْتَرِ .

(٢) كَلِمَةُ « قِفْل » فِي حِسَابِ الْجُمْلِ : الْقَافُ ١٠٠ . وَالْفَاءُ ٨٠ . وَاللَّامُ ٣٠ . فَالْمَجْمُوعُ ٢١٠ .

(٣) قَفَر .

(٤) قَفَز .

(٥) قَفَص .

(٦) قَفِط .

(٧) قَبِل .

(٨) قَتَلَ .

(٩) قَوْل .

(١٠) قَيْل .

(١١) حَفَل .

الْعُلُوُّ الْبَعِيدُ^(١) ، أو طاءً كان صِفَةً للمولود الجديد^(٢) .

وَأَمَّا صَاحِبُهُ الَّذِي يُجَانِسُهُ ، يَغْشَاهُ وَيُلَابِسُهُ ، فَمَتَى لَفَظَتْ بِهِ ذَكَرَتْ سَكَاكِيَّ الْبَيَانِ^(٣) ، أَوْ جَمَعَتْهُ كَانَ اسْمَ تَفْسِيرٍ عَظِيمٍ لِلْقُرْآنِ^(٤) ، أَوْ ذَكَرَتْ مُرَادِفَ مُفْرَدِهِ^(٥) ، كَانَ مُصَنَّفًا لَوَاحِدٍ فَرَارَةٍ بَنِ دُبْيَانَ ؛ وَأَمَّا إِذَا حَذَفَتْ ثَانِيَهُ ، وَعَكَسَتْهُ وَصَحَّفَتْهُ ، كَانَ حَلِيَّةً لِخَنَاصِرِ الْإِنَاثِ وَالذُّكُورِ^(٦) ، وَصِفَةً لَطَائِرٍ فِي الْجَوِّ يَدُورُ^(٧) ، أَوْ فِعْلًا لَهُ إِذَا تَلَبَّدَ بِالْأَرْضِ فَلَا يَذْهَبُ وَلَا يَحُورُ^(٨) .

وَلَهُ خَوَاصُّ أُخْرَى أَضْرَبَ الْمَمْلُوكُ عَنْهَا ، وَخَافَ إِنْ سَرَدَهَا أَوْجَبَ

الصَّجَرَ مِنْهَا : [من البسيط]

أَحْسَنَ بِهِ مِنْ مُعَمَّى قَدْ بَعَثَ بِهِ سَكِرْتُ مِنْ حَلِّهِ إِذْ رَاحَ لِي رَاحَا
عَمِيَّتُهُ فَدَجَا ، وَصَفَّتُهُ فَأَضَا مَعْنَى فَأَهْدَيْتَ لِي «قَفْلًا» وَ«مِفْتَاحًا»^(٩)

وَاللَّهُ تَعَالَى يُمَتِّعُ الْأَيَّامَ وَالْأَنَامَ بِهَذَا الْفَضْلِ الْجَلِيِّ الْجَلِيلِ ، وَالْأَدَبِ الَّذِي لَا يَجِدُهُ الرُّوَاةُ إِلَّا بِالْقُدْسِ ، وَلَا يَأْخُذُونَهُ إِلَّا عَنِ الْخَلِيلِ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَكُتِبْتُ أَنَا إِلَيْهِ وَقَدْ وَرَدَ مِنَ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ إِلَى دِمَشْقِ الْمَحْرُوسَةِ ، سَنَةِ

٧٣٩^(١٠) : [من الوافي]

(١) سفل .

(٢) طفل .

(٣) يقصد كتاب « مفتاح العلوم » للسكاكي .

(٤) تفسير الفخر الرازي اسمه « مفاتيح الغيب » .

(٥) مرادف المفتاح : إقليد .

(٦) خاتم .

(٧) حاتم .

(٨) جاتم .

(٩) صدره في ب ، س : عميته قد جا . وفي م : . . . أَوْضَحَتْهُ فَأَضَا .

(١٠) البيتان في أعيان العصر والوافي .

أَتَيْتَ إِلَى دِمَشْقَ وَقَدْ تَشَكَّتَ إِلَيْكَ لَطُولُ بُغْدٍ وَانْتِزَاحِ
وَكَاثَتْ بَعْدَ بُغْدِكَ فِي فَسَادِ وَجِئْتَ لَهَا ففَارَتْ بِالصَّلَاحِ^(١)

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ جَوَاباً عَنْ بَيْتَيْنِ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمَا فِي تَرْجُمَةِ الشَّيْخِ بِهِاءِ الدِّينِ
أَبِي حَامِدٍ الشُّبَكِيِّ ، وَهُمَا : [من الطويل]

أَلَا خَبَّرُونِي عَنْ صَلَاةِ امْرِئٍ غَدَتْ يَحَارُّ بَسِيطٌ عِنْدَهَا وَوَجِيزُ
تَجُوزُ إِذَا صَلَّى إِمَاماً وَمُفْرَداً وَإِنْ كَانَ مَأْمُوماً فَلَيْسَ تَجُوزُ

● فَكَانَ مَا كَتَبَ هُوَ : [من الطويل]

بَقِيتَ فَلَا يُلْقَى لَكَ الدَّهْرُ مُشْبِهٌ وَدُمْتَ لِكُلِّ الْمَعْلُواتِ تَحُوزُ
فَإِنَّ الَّذِي لَيْسَتْ تَجُوزُ صَلَاتُهُ لَهُ الْعَقْلُ حِرْزٌ دُونَ ذَاكَ حَرِيزُ
فَقَدْ صَارَ مَحْفُوظاً بِهَذَا سَمِئُهُ كَمَا جَاءَ فِي لَفْظِ الْحَيَاةِ وَجِيزُ

وهذا بناءً على ما فهمته أَنَّ مُرَادَهُ بِالْمَأْمُومِ ، الَّذِي أَصَابَتْهُ أَمَّةٌ فِي رَأْسِهِ
أَذْهَبَتْ عَقْلَهُ ، فَإِنَّ صَلَاتَهُ غَيْرُ صَحِيحَةٍ لِذَهَابِ عَقْلِهِ ؛ وَأَرَدْتُ بِقَوْلِي : لَهُ
الْعَقْلُ حِرْزٌ : الدِّيَّةُ الَّتِي تَجِبُ فِي الْمَأْمُومَةِ ، فَإِنَّ إِيجَابَهَا مانِعٌ مِنْ تَعَاطِيهَا ،
كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾ [البقرة : ١٧٩] وهذا الْمُرَادُ بِالشَّطْرِ
الْأَخِيرِ مِنَ الْأَيَّاتِ ، فَقَدْ صَارَ الْعَقْلُ الَّذِي تُذْهِبُهُ الْإِمَامَةُ الْمَأْمُومَةُ مَحْفُوظاً
بِإِيجَابِ الْعَقْلِ الَّذِي هُوَ الدِّيَّةُ .

* * *

(١) وسقط ما بعد ذلك من س ، والمثبت من ب ، م .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي السكنى النبىء الفردوسى حَرْفُ الرَّاءِ

٣٨ * رَزَقَ اللهُ بِنُ فَضْلِ اللهِ (١) :

الفاضلُ، الكاتبُ، تاجُ الدِّينِ، كاتبُ الإنشاءِ الشَّريفِ بالقاهرة المحروسة.

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مِنَ الْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ فِي سَنَةِ ٧٤٤ (٢)، [٦٦ ب] فَكَتَبْتُ أَنَا

الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ (٣) : [من الطويل]

فَكَانَ سُورُ الْقَلْبِ بَعْضَ نِتَاجِهَا
فَأَهْدَتْ إِلَى نَفْسِي عَظِيمَ ابْتِهَاجِهَا
تَيَّمَمَ رُبَا مِضْرٍ وَلُطْفَ مِزَاجِهَا
وَحَيَّ الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ مُوَاجِهَا
وَلَاقَ بِهَا فِي الْفَضْلِ رَوْنَقَ تَاجِهَا
فَأَقْلَامُهُمْ تَزِمِي الْعِدَى بَانِزِعَاجِهَا
وَرِاقَ عَلَى الْأَيْتَامِ حُسْنُ ارْزِوَاغِهَا
فَلَا نَفْسَ إِلَّا نَمَّ إِبْلَاحُ حَاجِهَا (٤)
وَيَهْدُ مِنْ عَيْنِي اضْطِرَابُ اخْتِلَاجِهَا

سُطُورُكَ أَمْ رَاحَ بَدَتْ فِي زُجَاجِهَا
أَتَتَنِي مِنْ مِضْرٍ إِلَى أَرْضٍ جِلَقِ
فِيَا نَفْسَ الْأَسْحَارِ فِي كُلِّ رَوْضَةٍ
وَقِفْ لِي عَلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ وَفَقَةٍ
فَتَمَّ وَجُوهٌ كَالْبُدُورِ تَكَامَلَتْ
أَيْمَةً كُتَّابٍ إِذَا مَا تَرَسَّلُوا
وَإِنْ نَظَّمُوا قُلْتَ الدَّرَارِي تَسَقَّتْ
هُنَالِكَ رِزْقُ اللهِ بَيِّنَ ظُهُورِهِمْ
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَفُوزُ بِقُرْبِهِمْ

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٣٦٨/٢ والدرر الكامنة ١٠٨/٢ والنجوم الزاهرة ١٣١/٩ والمنهل الصافي ٣٤٨/٥ والدليل الشافي ٣٠٤/١ .

- وفاته بعد ٧٤٠ هـ .

- في ب ، س : رزق الله بن الفاضل ! . وبين « بن » و « الفاضل » فراغٌ يتسع لكلمتين . والمثبت من مصادر ترجمته . وفي م : رزق الله الفاضل .

(٢) قال المؤلف في أعيان العصر ٣٦٩/٢ : وكان قد كتب إليَّ وأنا بدمشق آيائاً في هذا الوزن والرَّوْيِ ، إِلَّا أَنِّي طَلَبْتُهَا عِنْدَ هَذَا التَّعْلِيقِ ، فَلَمْ تَرَعْ عَيْنِي لَهَا أَثَرًا ، وَلَا وَجَدْتُ لِمَبْتَدِئِهَا خَبْرًا . وفي هامش ب : ساقط ما كتبه في الأصل .

(٣) القطعة في أعيان العصر .

(٤) في ب : × . . . إِلَّا وَهُوَ إِبْلَاحُ حَاجِهَا .

● وكتبَ هو جواباً عن لُغَزٍ كَتَبَتْهُ ، وأنا بالقاهرة المحروسة في سنة ٧٤٥
إلى القاضي ناصر الدين ابن النشائي في « عيد » ، وسيأتي عند ذكره^{(١)(٢)} : [من
مجزوء الرجز]

يَا فاضِلاً آدابُهُ	بِهَا الْوَرَى تَسْتَرْشِدُ
وَمَنْ عَلَى عُلُومِهِ	أَهْلُ التُّهَى تَعْتَمِدُ
الْغَزْتُ فِي « عَيْدٍ » إِلَى	عَبْدٍ إِلَيْكَ مُمْسِنِدُ
وَلَمْ يُؤَخَّرْ نَظْمُهُ	إِلَّا حَيَاءً يُحَمِدُ
وَلَمْ يُمَاطِلْ مَنْ لَهُ	فِي سَائِرِ الْفَضْلِ يَدُ
فَدُمَ سَعِيداً تَتَقَى الـ	آدَابُ أَوْ تَتَّقِي الدُّ

* * *

حَرْفُ الزَّاي

٣٩ * زَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(٣) :

الشَّيْخُ الْفَاضِلُ ، الْبَارِعُ ، الْفَقِيهُ ، الْعَدْلُ ، الْقَاضِي ، زَيْنُ الدِّينِ
الْمَغْرِبِي ، الشَّافِعِي .

● كَتَبَ إِلَيَّ مُلْغِزاً^(٤) :

يَا مَوْلَانَا ، أَنْقَلَ اللَّهُ بِفَوَاضِلِكَ الْكَوَاهِلَ ، وَأَحْمَلَ بِفَضَائِلِكَ الْأَوَائِلَ مِنْ

(١) ترجمة ابن النشائي سنأتي برقم ٧٩ ؛ ولغز المؤلف هناك ، وانظره في أعيان العصر ٣٦٩/٢ .

(٢) الآيات في أعيان العصر .

(٣) ترجمته في : أعيان العصر ٣٨٤/٢ والدرر الكامنة ١١٦/٢ .

ـ وفاته سنة ٧٦٢ هـ . ولعله قد قارب السنين أو تعداها بقليل .

(٤) النص بثره وشعره في أعيان العصر .

الْأَفْاضِلِ^(١) ، إِنْ أَمَكْنَ أَنْ تَلْمَحَ هَذَا اللَّغْزَ اللَّطِيفَ ، وَتُعْطِيَهُ حَظًّا مِنْ سَيِّالِ
فِكْرِكَ الشَّرِيفِ ، تُقَلِّدُ الْمَمْلُوكَ بِهِ مَانَّةَ الْفَضْلِ الْعَمِيمِ ، وَيَتَحَلَّى بِوُرُودِ لَفْظِهِ
كَمَا يَتَحَلَّى بِوُجُودِ شَخْصِهِ بَيْنَ يَدَيِ سَيِّدِ كَرِيمٍ ، وَهُوَ :

مَا اسْمٌ يَغْتَنِي الصَّائِمُونَ غَالِبًا بِتَخْصِيلِهِ ، وَيَتَنَافَسُ الْأَكْبَارُ مِنْهُمْ فِي جُمْلَتِهِ
وَتَفْصِيلِهِ ، خُمَاسِيَّ الْحُرُوفِ فِي التَّرْصِيفِ وَالتَّرْتِيبِ ، مُسَطَّحُ الشَّكْلِ فِي
الْبَسَاطَةِ ، كُرِّيٌّ عِنْدَ التَّرْكِيبِ ، إِنْ حُذِفَ خُمْسَاهُ رَأَيْتَهُ طَائِرًا وَسِيمًا^(٢) ، طَالَمَا
قَصَّ الْأَثَرُ فَاهْتَدَيْ بِهِ ، وَغَالَبَ فِي طُرُقِ اللَّؤْمِ تَمِيمًا^(٣) ، وَإِنْ اخْتَلَسَ أَوَّلُهُ كَانَ
فِي الثُّغُورِ الْحَصِينَةِ كَالِئْنَا فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ^(٤) ، وَفِي سُورَةِ الْقَلَمِ نَارًا أَخْرَقَتْ
الْجَنَّةَ الَّتِي أَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ^(٥) : [من الطويل]

عَزَمْتُ عَلَى إِهْدَائِهِ غَيْرَ مَرَّةٍ إِلَى بَابِكَ الْعَالِي فَأَمْسَكْتُ عَنْ قَصْدِي
فَقَدْ قِيلَ : عَادَاتُ الْأَكْبَارِ إِنَّهُمْ بِإِهْدَائِهِ أَوْلَى فَمَا جَزْتُ عَنْ حَدِّي
فَأَوْضَحَهُ لِي مَعْنَى وَإِنْ شِئْتُ صُورَةً وَإِنْ شِئْتُ فَارْسُومَ لِي فَإِنِّي لَهُ أَبْدِي
● فَكُتِبْتُ إِلَيْهِ الْجَوَابَ ، وَهُوَ فِي « قَطَائِفِ » وَجَّهْتُ إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ :

[من الطويل]

أَمْوَلَايَ زَيْنَ الدِّينِ مِثْلَكَ مَنْ يُهْدِي نَدَاهُ وَإِنْ كَانَ الضَّلَالُ غَدَا يَهْدِي
بَعَثْتَ بِلُغْزٍ قَدْ حَلَا مِنْكَ لَفْظُهُ [١٦٧] فَأَخْمَلَ ذَكَرَ الْقَطْرِ فَضْلًا عَنِ الشَّهْدِ
فَسَامِحٌ فَقَدْ أَوْضَحْتَهُ لَكَ صُورَةً عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ شَرْحِ مَا عِنْدِي

(١) في ب : وأحمد بفضائلك الفضائل .

(٢) يريد : قطا .

(٣) يشير إلى قول الطُّرْمَاح : [ديوانه ٥٩]

تَمِيمٌ بِطُرُقِ اللَّؤْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا وَلَوْ سَلَكَتِ سَبِيلَ الْمَكَارِمِ ضَلَّتْ

(٤) يريد : طائف .

(٥) الإشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ فَاصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ [القلم : ١٩ - ٢٠] .

يا مولانا ، هذا لُغْرُكَ^(١) بَدِيعُ الْمَعْنَى ، بَعِيدُ الْمَبْنَى ، يَتَرَسَّفُهُ السَّمْعُ
سُلَافَةً ، وَيَتَلَقَّفُهُ الْبَصَرُ وَزَدًا جَنِيًّا مَتَى أَرَادَ اقْتِطَافَهُ ؛ قَدْ أَغْرَبْتَ فِي قَصْدِهِ ،
وَأَحْكَمْتَ عَقْدَ بَنْدِهِ ، دَلَّنِي عَلَى مَعْنَاهُ حُسْنُ مَبْنَاهُ ، وَقُرَّبَ الْبَيَانِ مِنْ مَعْنَاهُ ،
فَلَكَ الْفَضْلُ فِي حَلِّهِ ، وَسَخَّ وَابِلُهُ وَطَلَّهُ .

ومن غرائبِ خواصِّهِ ، أَنَّهُ أَخَذَ مِنَ الْحَلَاوَةِ وَاللَّبَنِ حَظًّا ، وَمَتَى صَحَّفْتَ
ثَلَاثَةَ أَخْمَاسِهِ عَادَ « فَظًّا » ؛ قَدْ رَاقَتِ الْعُيُونُ مَلَاحِظَهُ ، وَحُشِيَتِ الْقُلُوبُ
حَلَاوَتُهُ ، يَخْتَصُّ بِشَهْرِ رَمَضَانَ ، لِأَنَّ فِي قَلْبِهِ حَلَاوَةً كَحَلَاوَةِ الْإِيمَانِ ، بَعْضُهُ
يُقْلَى ، وَكُلُّهُ مَحْبُوبٌ ، وَآخِرُهُ تَحْتَ الْقَطْرِ ، وَأَوَّلُهُ فَوْقَ الْجَمْرِ الْمَشْبُوبِ ،
يَرُوقُ إِذَا نَثَرَتْ عِقْدُهُ ، وَفَضَّلَتْ زَوْجَهُ وَفَرَدَهُ ؛ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالْكَوَاعِبِ إِذَا
اشْتَمَلَتْ بِالْمَنَاشِيفِ الْمُحْمَلِ ، وَأَحْسَنُ مَا تَرَى ثُرَيَّاها إِذَا اجْتَمَعَ شَمْلُهَا
وَتَكَمَّلَ ، وَالْيَقُ مَا تُنْشِدُ إِذَا جَفَّ ثَرَاها ، وَانْفَصَمَتْ عُراها^(٢) : [من الطويل]

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دَارِمِي عَلَى الْبَلِي لَا زَالَ مِنْهُلًا بِجَزَعَائِكَ الْقَطْرِ

* * *

حَرْفُ السَّيْنِ

٤٠ * سُلَيْمَانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ^(٣) :

القاضي الفاضل ، عَلِمُ الدِّينِ ، مُسْتَوْفِي الصُّحْبَةِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ ،

(١) في أ : يا مولانا لغرك . . .

(٢) البيت للذي الرُّمَّة ، في ديوانه ٥٥٩ / ١ .

(٣) ترجمته في : أعيان العصر ٤١٣ / ٢ والوافي بالوفيات ٣٤٠ / ١٥ وتذكرة النبيه ٥٥ / ٣ والدرر الكامنة

١٤٠ / ٢ والنجوم الزاهرة ١٠٨ / ١٠ والمنهل الصافي ١٥ / ٦ والدليل الشافي ٣١٥ / ١ .

- وفاته سنة ٧٤٤ هـ . وولادته سنة ٦٧٧ هـ .

- في أ : سلمان بن إبراهيم ! .

المعروف بابن كاتبٍ قرأ سُقْر .

● كَتَبَ إِلَيَّ مِنْ دَمَشَقِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَأَنَا بِالْقَاهِرَةِ سَنَةَ ٧٣٣^(١) : [من البسيط]

يا غائباً غَابَ عَنْ عَيْنِي فَلَمْ تَتِمَّ
سَافَرْتَ عَنَّا فَطَالَ اللَّيْلُ فِي سَهْدِ
أَنْتَ مِضْراً وَأَوْحَشْتَ الشَّامَ فَيَا
لِيَهْنِ مِضْرَ صَلَاحِ الدِّينِ كَوْنُكَ فِي
جَمَلْتَ دِيْوَانَ إِنْشَاءِ حَلَلْتَ بِهِ
فَمَا مُحَيَّاكَ إِلَّا بَذْرُ دَاجِيَةٍ
سُقْيَا لِأَيَّامِ أَنْسٍ كَانَ رَوْنُهَا
نَجْنِي فَضَائِلَكَ الْغَرَّ الْحِسَانَ وَلَا
أَقْسَمْتُ لَا فَرْقَ مَا بَيْنَ الْجَوَاهِرِ فِي
فَاللهُ يُثَبِّتُكَ مَا نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ

وَذَاهِباً فَضْلُهُ قَدْ شَاعَ فِي الْأَمَمِ
فَنَحْنُ بَعْدَكَ فِي ظُلْمٍ وَفِي ظُلْمٍ
خُلُوءُهُ مِنْ حُلَى الْأَدَابِ وَالْكَرَمِ
أَزْجَاهَا كَاتِباً فِي أَشْرَفِ الْخِدَمِ
يَا خَيْرَ حَبْرٍ يُؤَشِّي الطَّرْسَ بِالْقَلَمِ
وَمَا يَمِينُكَ إِلَّا رُكْنُ مُسْتَلِمٍ
بِفَضْلِ أَنْسِكَ فِينَا وَافِرِ الْقَسَمِ
نَعْبَأُ بِرَوْضِ سَقَاهُ هَاطِلُ الدَّيَمِ
عَقْدٍ وَبَيْنَ الَّذِي تُبْدِي مِنَ الْكَلِمِ
فِيمَا تُرَجِّيه فِي سَعْدٍ وَفِي نَعَمِ

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ^(١) : [من البسيط]

بَالَعْتَ فِي الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ
وَمَا رَضِيتَ بِغَايَاتِ الْأُولَى سَبَقُوا
حَتَّى تَجُوزَ عَلَى الْجُوزَاءِ مُرْتَقِيَا
وَتُذْرِكَ الْمَجْدَ سَبَاقاً وَشُغْلُهُمْ
كَمَا اجْتَهَدْتُ لَعَلِّي أَنْ أَفُوزَ فَلَمْ
وَأَبْعَدْتُ نِسِي اللَّيَالِي بَعْدَ ذَاكَ وَفِي

وَزِدْتَ فِي شَرَفِ الْأَخْلَاقِ وَالْهَمَمِ
إِلَى الْمَعَالِي وَلَا تَرْضَى بِعَزْمِهِمْ^(٢)
إِلَى مَعَالِي لَمْ تَخْطُرْ بِفِكْرِهِمْ
فِي عَثْرَةِ الْقَوْلِ أَوْ فِي عَثْرَةِ الْقَدَمِ
أَفْزَ سِوَى مَرَّةٍ فِي الدَّهْرِ بِالْخِدَمِ
قَلْبِي حَلَاوَةٌ ذَاكَ اللَّطْفِ وَالشِّيمِ

(١) القصيدة في أعيان العصر .

(٢) سقط عجز هذا البيت وصدر الذي يليه من م . فتلق ما بقي منهما ! .

« فَكُنْتُ كَالْمُتَمَنِّي أَنْ يَرَى فَلَقًا
 فَلَيْتَ دَهْرِي يَسْخُو لِي بِثَانِيَةٍ
 وَأَجْتَلِي أَوْجَهَ اللَّذَاتِ سَافِرَةً
 [٦٧ب] فَمَا خَلَا ثِقُكَ الْحُسْنَى الَّتِي بَهَرَتْ
 أَوْ نَسَمَةٍ خَطَرَتْ بِالْبَانِ نَفَحَتُهَا
 وَمَا عِبَارَتُكَ الْمُثْلَى سِوَى دُرِّ
 كَمِ الثَّقَطُ وَمَوْلَانَا يُسَامِرُنِي
 وَكَمِ مَعَانٍ كَأَنَّ السُّحْرَ نَضَدَهَا
 نَعَمْ وَأَيَّاتُ شَجَرٍ رَاقٍ مَوْرُدُهَا
 أَهًا لِأَيَّامِنَا بِالْخَيْفِ لَوْ بَقِيَتْ
 يَا سَيِّدًا بَنَدِي يُنْمَاهُ صَحَّ لَنَا
 وَمَاجِدًا جَدًّا فِي كَسْبِ الْعُلَا فَعَدَا
 شَوْقِي إِلَى لَثَمِ ذَاكَ الْكَفِّ زَادَ عَلَى
 وَوَحْشَتِي لِمُحَيَّاكَ الْجَمِيلِ هَلْ اسْدَ
 وَحْشَرْتِي لِفَوَاتِ الْقُرْبِ مِنْكَ كَمَا
 فَهَذِهِ بَعْضُ أَشْوَاقِي أَكَابِدُهَا
 أَظْهَرْتُ وَجْدِي وَلَمْ أَكُنْ لَوَاعِجُهُ

من الصَّبَاحِ فَلَمَّا أَنْ رَأَهُ عَمِي» (١)
 حَتَّى أَعُودَ إِلَيْهَا عَوْدَ مُغْتَنِمٍ
 عَنْ كُلِّ مَعْنَى حَوَى صِنْفًا مِنَ النِّعَمِ
 عَقْلِي سِوَى زَهْرٍ فِي الرَّوْضِ مُبْتَسِمٍ
 وَلَا أَقُولُ سَرَتْ بِالضَّالِّ وَالسَّلَامِ
 وَالنَّاسُ تَحْسِبُهَا ضَرْبًا مِنَ الْكَلِمِ
 جَوَاهِرِ الْفَضْلِ وَالْآدَابِ وَالْحِكَمِ
 لَمْ تُبْقِ عِنْدِي عَقَابِيلًا مِنَ السَّقَمِ
 لَمْ أَنْسَهُنَّ وَمَا بِالْعَهْدِ مِنْ قَدَمِ
 عَشْرًا وَوَاهَا عَلَيْهَا كَيْفَ لَمْ تَدُمِ
 أَنَّ الْغَمَامَ بِخَيْلٍ غَيْرِ مُنْسَجِمِ
 تَخْشَى الصَّوَارِمَ مِنْهُ صَوْلَةَ الْقَلَمِ
 شَوْقِ الرِّيَاضِ إِذَا جَعَتْ إِلَى الدَّيَمِ
 تَوَحَّشَتْ قَطُّ لِبَذْرِ التَّمِّ فِي الظُّلَمِ
 تَحَسَّرَ السَّاهِرُ الْمُضْنَى إِلَى الْحُلَمِ
 فِي وَصْفِهَا قَلَمِي سَاوَى لِنُطْقٍ فَمِي
 وَمَنْ يُطِيقُ خَفَا نَارٍ عَلَى عِلْمِ

٤١ * سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ (٢) :

السَّيِّخُ الْإِمَامُ ، الْقَاضِي ، صَدْرُ الدِّينِ ، أَبُو الرَّبِيعِ بْنِ الشَّيْخِ نَاصِرِ الدِّينِ

(١) البيت بلا نسبة في الغيث المسجوم ٤٠٦١ .

(٢) ترجمته في : الوافي بالوفيات ٣٨١/١٥ وأعيان العصر ٤٣٦/٢ وتذكرة النبيه ٢٣٦/٣ والمنتقى من

درة الأسلاك ٢٦١ وتاريخ ابن قاضي شعبة ١٧٠/٢ والدرر الكامنة ١٤٩/٢ والنجوم الزاهرة

٣٣٦/١٠ والمنهل الصافي ٣١/٦ والدليل الشافي ٣١٧/١ والذيل التام ١٧٣/١ والطبقات السنية

٥١/٤ وشذرات الذهب ٣٢٨/٨ .

- مولده سنة ٦٩٧ هـ . ووفاته سنة ٧٦١ هـ .

ابن عبد الحق الحنفي ، مَوْقِعُ الدَّسْتِ الشَّرِيفِ بالقاهرة .

● كَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ ، وَقَدْ وَرَدَ مِنَ الْحِجَازِ إِلَى دِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ فِي سَنَةِ ٧٥٢

وَقَدْ أَرَادَ الْعُودَ إِلَى الْيَمَنِ : [مَنِ الْبَسِطَ]

يَا مَنْ أَبَاعَ دِمَشْقَ الشَّامِ بِالْيَمَنِ
مَا كُنْتُ أَحْسِبُ إِنْسَانًا سِوَاكَ رَأَى
هَذَا وَكَمْ نِلْتُ فِي سَاحَاتِهَا وَطَرًا
وَكَمْ رَشَفْتُ سُلَافًا مِنْ أَقَاحِ فَمِ
وَكَمْ ظَفِرْتُ بِمَنْ لَوْلَا مَحَاسِنُهُ
وَمَا بَرَحْتَ أَمْرًا فِينَا أَحَا حِكْمِ
فَكَيْفَ تُخَدِّعُ عَنْ هَذِي الْمَحَاسِنِ أَوْ
لَكِنَّ عُدْرَكَ بَادٍ فِي الرُّجُوعِ إِلَى الْ
ابْنِ الْمُؤَيَّدِ ذِي الْبَطْشِ الشَّدِيدِ هَزَبِ
ابْنِ الْمُظْفَرِ بِالْأَعْدَاءِ يُوسُفَ لَا
ابْنَ الْمَلِكِ الَّذِي قَادَ الْعَسَاكِرَ نُو
«الْعَارِضِ الْهَتَنِ ابْنَ الْعَارِضِ الْهَتَنِ ابِ
مُلُوكَ بَيْتِ إِلَى أَيُّوبَ نَسَبُهُ
أَيَّامُهُمْ لِلْوَرَى نُورٌ بِلا ظَلَمِ
قَدْ ذَلَّلُوا كُلَّ صَغْبٍ مِنْ سِيَاسَتِهِمْ
سَلُّوا السُّيُوفَ فَسَلُّوا مِنْ ضَمَائِرِهَا
كَمْ وَرَدُوا خَدَّ أَرْضٍ مِنْ عَدُوِّهِمْ

وَقَدَّمَ السَّيْرَ لَا يَلْوِي عَلَى سَكَنِ
جَنَاتِ عَدْنٍ فَعَدَّاهَا إِلَى عَدْنِ
وَكَمْ عَمَزَتْ بِهَا لِلَّهِ مِنْ وَطَنِ
وَكَمْ رَأَيْتَ بِهَا بَذْرًا عَلَى غُصْنِ
وَلُطْفُهُ خَلَّتِ الدُّنْيَا مِنَ الْفِتَنِ
وَكُلُّ أَفْعَالِهِ تَجْرِي عَلَى سَنَنِ
تُجَوِّزُ الْعَدْلَ فِيهَا مِنْكَ فِي أُذُنِ
مَلِكِ الْمُجَاهِدِ مَوْلَانَا أَبِي الْحَسَنِ
رِ الدِّينِ دَاوُدَ رَبِّ الْفَضْلِ وَالْمِنَنِ
جَفَّتْ مَضَاجِعُهُ هَطَّالَةَ الْمُزْنِ
رِ الدِّينِ وَالتَّصَرُّ مَعَهُ انْقَادَ فِي رَسَنِ
مَنِ الْعَارِضِ الْهَتَنِ ابْنَ الْعَارِضِ الْهَتَنِ»^(١)
أَكْرَمَ بَيْتٍ عَلَى تَقْوَى الْإِلَهِ بُنِي
وَالظُّلْمَ لَوْ حَلَّ فِي أَفْنَائِهِمْ لَفَنِي
بِالْمُرْهَفَاتِ أَوْ الْخَطَارَةِ اللَّدُنِ
مَا كَانَ فِيهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْ إِحَنِ
وَقَوْمُوا أَوْدًا مِنْ قَامَةِ الزَّمَنِ

(١) البيت للمتنبي ، في ديوانه ٢١٦/٤ .

وكم أسالوا دماً في يوم حزبهم
وأنت عندك من كل البضائع في
فليس يُنكر أن تُهدي نفائسها
من راح يعرف ما استبضعت من دُررٍ
وفضله في علوم الناس فض له
تجده بخرأ وخبرأ في فوائده
وكفه وكفه بالجود متّصل
نام الأنام بعذل طاب عيشهم
يُعنى بفضل قضايا كل مشكّلة
دع الملوك الكرام الذاهبين فهـ
ومن تكن هذه أوصاف سُودده
فاحث لأبوابه العليا بنات سُرى
واسعد برؤيته وإبشر بطلّعه
ففي تعزّ تعزّ النفس منك متى
فاذكّر هناك محبباً لم يخنك ولا
« إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا

فخضّبوا السيف لما زينوا الزني
شتى علوم الورى والسوق باليمن
[١٦٨] لمن غدا يتدلّ الغالي من الثمن
بلّ عنده ضعف ما تهديه من حسن
ختم البدائع فاستفتيه وامتحن
تُزري فصاحته بالقالة اللسن
فكلّ من هو في تلك الديار غني
به فهم من جنى الجنات في جن
حتى يُفرّق بين الماء واللبن
ذا سيف الاسلام لا سيف بن ذي يزن
تجب مدائحه في السر والعلن
في البر بالعين أو في البحر بالشفن
واملاً جفونك بعد الشهد بالوسن
حلت وتغسل ما لاقيت من درن
تنس الوفاء له إن كنت ذا شجن
من كان يألّفهم في المنزل الحسن» (١)

● فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك .

● وكتبت إليه وهو بالقاهرة (٢) : [من السريع]

ذُكرك صَدَرَ الدِّينِ أَنَسَانِي مَلْعَبَ أَوْطَارِي وَأَوْطَانِي

(١) ينسب لأبي تمام في الإعجاز والإيجاز ١٢٥ و ٢٢٦ وليس في ديوانه ، ولإبراهيم بن العباس الصولي ، في ديوانه ١٧٧ ولدعل في ديوانه ٤٦٢ .

(٢) هذه المقدمة والقصيدة ، ساقطة من س .

وَاشْتَغَلَّتْ نَفْسِي بِتَكَرَّارِهِ
وَمُقَلَّتِي عِبْرَتُهَا مِنْ دَمِي
وُذُكَ فِي قَلْبِي غَدَا دَاخِلًا
أَقْسَمْتُ لَوْ جَهَّزْتُ كُتُبِي عَلَى
كُلِّ بَرِيدٍ كُلِّ مِنْ حَمَلِهَا
يَا سَيِّدَا فَضٍّ لَهُ فَضْلُهُ
فَالْحَقُّ مَا تَبَعْدُ أَقْوَالُهُ
سِرَّتْ إِلَى مِضْرٍ سَقَاها الْحَيَا
فَنَوَّلْتُكَ الْأَمَلَ الْمُزْتَجِي
وَأَجَلَسْتُ شَخْصَكَ فِي دَسْتِهَا
تُوقِعُ إِنِّ وَقَعْتَ فِي قِصَّةِ
وَتُوصِلُ الْحَقَّ إِلَى رَبِّهِ
فَاهْنَأْ بِمَا أُوتِيتَ مِنْ رُبَّةِ
وَدَعْ مُعَادِيكَ يُمُتْ حَسْرَةً
وَقُلْ لِدَسْتِ الْمُلْكِ لَا تَنْصَدِغْ

فَاشْتَغَلَّتْ مِنْهُ بَيْنَرَانِ
طَافَتْ عَلَى خَدِّي بِطُوفَانِ
وَمِنْ هَوَى غَيْرِكَ بَرَّانِي
مِقْدَارِ أَشْوَاقِي وَأَشْجَانِي
وَهَجَّ مِنْهَا كُلُّ هَجَّانِ
كِمَامَ عِلْمِ ذَاتِ أَلْوَانِ
مَنْ ابْنِ عَبْدِ الْحَقِّ فِي شَانِ
تُجَاذِبُ الْعَيْسَ بِأَزْسَانِ
مِنْ قُرْبِ ذِي عِزٍّ وَسُلْطَانِ
صَدْرًا أَمِينًا غَيْرَ خَوَّانِ
بِكُلِّ ذِي ظُلْمٍ وَعُذْوَانِ
وَتُرْغِمُ الْمُبْطِلَ وَالْجَانِي
مَكَانَهَا مِنْ فَوْقِ كَيَّوَانِ^(١)
مَا بَيْنَ سَجَّينَ وَسَجَّانِ
فَأَنْتَ فِي حِرْزِ سُلَيْمَانِ^(٢)

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ مِنَ الْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ : [مَنْ الْوَافِر]

بَعُدْتَ فَمَا لِأَجْفَانِي رُقَادُ
خَلِيلٍ بِنْتُ عَنْهُ وَبَانَ عَنِّي
وَلَيْلِي مَا لَهُ أَبَدًا صَبَاحُ^(٣)
فَهَلْ لِفَسَادِ أَحْوَالِي صَلاَحُ

(١) فِي ب : × مَقَامِهَا . . .

(٢) فِي أ ، ب : . . . لَا يَنْصَدِغُ × .

(٣) فِي أ ، ب : × . . . صَلاَحُ ! .

● وكتب هو إليّ قرينَ ثَيْنٍ مَعَرِّيٍّ وصابونٍ : [من الكامل]

أَهْدَيْتُ تَيْنًا لِلَّذِي مِنْ شَرْطِهِ . أَنْ يَفْتَحَ الْمَخْتُومَ بِالْمَخْتُونِ
وَحَشِيتُ أَنَّ الشَّرْطَ يَتَّبِعُهُ الْجَزَا فَأَتَيْتُهُ بِالثَّيْنِ وَالصَّابُونِ

● فكتبْتُ أنا الجوابَ عن ذلك : [من الكامل]

حَاشَا لِشَرْطِكَ أَنْ يُقَابَلَ بِالْجَزَا فَيَكُونَ مُخْتِاجًا إِلَى صَابُونِ
[٦٨ ب] لَمْ تُهْدِهِ تَيْنًا تَفْتَحَ أَبْيَضًا إِلَّا لِأَنْ أَلْقَاهُ بِالزَّيْتُونِ
٤٢ * (سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ) (١) :

القاضي جمال الدين بن القاضي عَلم الدين ، المِصرِيّ ؛ كاتبُ الإنشاء
الشَّريف بِحَلَبِ المحروسة .

● كَتَبَ إِلَيَّ عِنْدَ أَوَّلِ قُدُومِي إِلَيْهَا فِي شَعْبَانَ ، سَنَةِ ٧٥٩ : [من الكامل]

فَضَحَ الَّذِي أَخْفَى هَوَاهُ فَبَاحَا حُبِّ لِحَبَّاتِ الْقُلُوبِ أَبَاحَا
وَبَكَى فَأَضْحَكَ عَازِلِيهِ جَهَالَةً وَرَثَى لَهُ حَتَّى الْحَمَامِ وَنَاحَا
وَأَخُو الْهَوَى طَوَّعَ الْغَرَامَ عَصَى لِمَنْ لَاقَى بِتَعَادِدِ الْمَلَامِ وَلَا حَى
هَيْهَاتَ هَلْ تَلْجُ الْمَلَامَةُ سَمْعَ مِنْ عِشْقٍ أَسِيرٍ لَا يُرِيدُ سَرَاحَا (٢)
أَمْ كَيْفَ يَسْلَمُ مُسْلِمٌ مِنْ فِتْنَةٍ وَالذَّهْرُ قَدْ مَلَأَ الْوُجُودَ مِلَاحَا

(١) ترجمته في : المتقى من درة الأسلاك ٤٦٠ والذيل على العبر ٤٥٩/٢ ودرر العقود الفريدة ١١٢/٢
وإنباه الغمر ٢٠٩/١ والذّرر الكامنة ١٥١/٢ والنجوم الزاهرة ١٤٤/١١ والمنهل الصافي ٣٣/٦
والذليل الشافي ٣١٨/١ .

- وفاته سنة ٧٧٨ عن نحو من خمسين سنة .

- الترجمة بطولها من ب فقط .

(٢) في البيت تقديم وتأخير ، تقديره : سمعَ أسيرٍ من عشقٍ لا يريدُ سَرَاحَا .
وروايته في ط : . . . سمعَ مَنْ عَشِقَ الْأَسِيرَ وَلَا يُرِيدُ سَرَاحَا .

مِنْ كُلِّ ذِي قَدٍّ وَلَحْظٍ فَاتِكِ
 خَلْبِ اللّٰوَحِظِ شَاطِرِ الْحَرَكَاتِ مُزٍ
 كَالظَّيِّ أَوْ كَالْغُضَنِ أَوْ كَالضُّبْحِ أَوْ
 فَضَحِ الْغَزَالَةِ وَالْغَزَالِ مَحَاسِنَا
 يَبْدُو بِخَدِّ نَاعِمٍ وَبِمَنْسَمٍ
 وَمَلِيحَةٍ مِثْلُ السُّيُوفِ جُفُونُهَا
 عُلِقَتْهَا طَوْنُ الْغَرَامِ وَخَاطِرِي
 تَجَلُّو لَنَا وَجْهًا بَدِيعًا نَاضِرًا
 وَمَرَاشِفًا مِثْلَ الْعَقِيقِ وَوَجْنَةً
 وَرَوَادِفًا مِثْلَ الْكَثِيبِ يُقْلُّهَا
 تُزَكِّيَّةٌ تَهْوِي التَّنَافُرَ وَالْجَفَا
 تَسْقِي الْمُحِبَّ بِكَأْسِهَا وَحَدِيثُهَا
 لَثَمَتْ مَزَارِي حِينَ زَارَتْ فِي الدُّجَى
 وَضَمَمْتُهَا ضَمَّ الْعَفَافِ يُظِلُّنَا
 كَمْ بَتْ أَجْنِي مِنْ ثِمَارِ وَصَالِهَا
 شَهْلَاءُ تُبْدِي نَرْجِسًا مِنْ لَحْظِهَا
 اللَّهُ أَيَّامُ حَزْنَتْ لِفَقْدِهَا
 جَارَتْ عَلَيَّ وَمَا اجْتَرَحْتُ جَنَایَةَ
 وَصَبِيحَةَ وَاصَلْتُهَا بِغُبُوقِهَا
 وَلَرُبَّ عَذْرَاءِ الدُّنَانِ سَبَّأَتْهَا
 فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءَ خَافِ نَجْمُهَا
 أَيَّامُ جَرَّ ثَرَى ذِيُولِ شَبِيبَتِي

لِفَتَكِ جَرَّدَ ذَابِلًا وَصِفَاحَا
 رِ الْهَجْرِ قَاسٍ لَا يَلِينُ جِمَاحَا
 كَالشَّمْسِ أَوْ كَالْبَذْرِ لَمَّا لَاحَا
 وَجْهًا وَجِينْدًا جِينْدًا وَمَرَاخَا
 فَيُرِيكَ وَزْدًا أَخْمَرًا وَأَقَاحَا
 حَمَلَتْ بِهَا نَحْوَ الْمُحِبِّ سِلَاحَا
 هَيْفَاءُ حَوْرَاءُ الْجَمَالِ رَدَاحَا
 وَنَوَاطِرًا مَرْضَى الْفُتُورِ صِحَاحَا
 مِثْلَ الشَّقِيقِ وَمَنْظَرًا وَضَاحَا
 خَصْرٌ نَحِيفٌ لَا يُطِيقُ وَشَاحَا
 تَرَكَتْ بِهِ أَهْلَ الْهَوَى أَشْبَاحَا
 وَرُضَابِهَا فِي كُلِّ حِينٍ رَاحَا
 فَوَشَى بِنَا وَاشِي الْعَبِيرِ وَبَاحَا
 ثَوْبُ الْوَقَارِ فَلَا أَخَافُ جُنَاحَا
 حُلُوءًا وَأَغْصَانُ الشُّرُورِ كِفَاحَا
 غَضًّا وَمِنْ وَجْنَاتِهَا تُفَاحَا
 كُنَّا بِهَا نَقْضِي الشُّرُورَ فِرَاحَا
 وَمَضَتْ وَأَبْقَتْ فِي الْفُؤَادِ جِرَاحَا
 وَبَكَرْتُ أَسْتَجْلِي الْوُجُوهَ صَبَاحَا
 مَعَ مَا جِدَّ أَلْقَى الْوَقَارَ فَطَاحَا
 فَغَدَتْ لَنَا حَتَّى الصَّبَاحِ صَبَاحَا
 مَعْدَى إِلَى فُرْصِ الْهَوَى وَمَرَاخَا

قَدْ كُنْتُ أَزْجُو بِالْقَرِيضِ وَبِالصَّبَا
 كَمْ قُلْتُ لِلْأَدَبِ الَّذِي أَسْوَاقُهُ
 ذَهَبَ الصَّبَا وَالشَّعْرُ أَزْخَصُ سِعْرُهُ
 قَدْ أَضَحَّتِ الشَّهْبَاءُ تَرْوِي الْغَمْرَ عَنْ
 فَأَجَابَ بَعْدَ فَسَادِهِ وَكَسَادِهِ
 الْكَاتِبُ السَّرَّ الَّذِي بَعْلُومِهِ
 بِبِلَاغَةٍ إِنْ أَزَعَبَتْ ضَاقَ الْفَضَا
 وَبِرَاعَةٍ مَشْكُورَةٍ مَشْهُورَةٍ
 وَبِرَاعَةٍ كَالسَّيْفِ مَاضٍ حَدُّهَا
 وَمَكَارِمُ بِصَنِيعِهَا مَلَكُ الْوَرَى
 بَحْرُ التَّدْيِ ، حَبْرُ الْعُلُومِ ، بِيَابِهِ
 نَذِبٌ إِذَا انْتَدَبَ الْبِرَاعَةُ أَبْصَرَتْ
 يَا مَاجِدًا أَلْفَ الْمَعَالِي فَاغْتَدَى
 قَلَدَتْ جَيْدَ الدَّهْرِ جُودًا سُحْبُهُ
 أَوْزَى بِسُورِ الْمَجْدِ قَدْ حُكَّ زَنْدُهُ
 بُشْرَى بَنِي الشَّهْبَاءِ مِنْكَ بِقُبْلَةٍ
 قُلْ لِلَّذِي صَاغَ الثَّنَاءَ قَلَائِدًا
 صَرَّخَ بِمَدْحِ أَخِي الْمَآثِرِ وَالْعُلَا
 فَلَيْهِنَّ أَهْلُ الْفَضْلِ مِنْهُ بِفَاضِلٍ
 إِنَّهُ صَلاَحُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا الَّذِي
 وَأَخَذَتْ لِلْعِلْمِ الْكَرِيمِ فَوَارِسًا
 إِذْ صُنْتَ عِزْضًا لَا نَظِيرَ لِصُونِهِ

دَهْرًا بِهِ يَنْجُو الْأَدِيبُ نَجَاحًا
 بَارَتْ وَضَرَّ رُؤَاةُ وَاجْتَا حَا
 حَتَّى لَقَدْ أَضْحَى الْقَرِيضُ مُزَاحًا
 غُمِرَ وَوَرَدُ رُؤَاةِهَا الضُّخْضَا حَا
 إِنِّي لِأَزْجُو بِالصَّلَاحِ صَلاَحًا
 أَضْحَى لِأَفَاقِ الْعُلَى مِضْبَا حَا
 أَوْ أَزَعَبَتْ حَكَّتِ السَّمَاءُ سَمَاحًا
 إِعْجَازُهَا قَدْ أَعْجَزَ الْمُذَاحَا
 أَمْسَى لِأَبْوَابِ الْعُلَا مِفْتَاحَا
 فَضَحَ الْغُبُوثُ بِهَا فَرْخَنَ شِحَا حَا
 تَجِدَ الْمُتَاجِرَ بِالْقَرِيضِ رَبَاحَا
 حُسَاةُ الْقَدَرِ الْمُطَاعَ مِتَاحَا
 يَهْوِي غُدُوًّا نَحْوَهَا وَرَوَا حَا
 يَرُوي الْبِلَادَ عَوَالِيًا وَبِطَا حَا
 بِيَمِينِ عِلْمٍ لَا يَمَسُّ قِدَا حَا
 لِلْمَجْدِ قَرَبَ رَبْعِهَا فَأَرَا حَا
 كَالْمِسْكِ فَاقَ شَذَا الرِّيَاضِ فَفَا حَا
 وَاتَّخِذْ فَقَدْ مَلَكَ الْفَخَارَ صَرَا حَا
 جَعَلَتْهُ عِزُّ عُلُومِهِ سَفَا حَا
 أَزْجُو لَدَيْهِ فِي الْعُلُومِ فَلَاحَا
 تُرْذِي الْعِدَى وَصَوَارِمًا وَرِمَا حَا
 بِمَكَارِمٍ تَذَرُ التُّضَارَ مِبَا حَا

حَجَّثْ بَنُو الْأَمَالِ نَحْوَكَ تَبْتَغِي
مَاتَ الْحَسُودُ وَقَدْ صَعَدَتْ ذُرَى الْعُلَا
بِجُنُودِ كُتُبِ كَالْكَتَائِبِ قَدْ كَفَتْ
كَمْ جَرَّدُوا قَبْلَ الْجِلَادِ جِدَالَهَا
مَنْ فُسِّ سَاعِدَةٍ وَمَنْ سَحْبَانِ وَ
قَدْ شِمَتْ بَرَقَ الشَّامِ لَمَّا أَنْ عَلَا
إِنِّي ظَمِئْتُ لِيُورِدَ بَحْرٍ عُلُومِكُمْ
وَاسْعِفْ بَلْفُظْكَ غَرْسَ فَضْلِكَ قَدْ دَنَا
وَأَمْنَحْ أَحَادِيثَ الثَّنَاءِ إِجَارَةً
وَاسْمُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَكَرَّهُ

مِنْكَ الْحِجْلَى يَا فَاضِلًا جَحْجَاحَا
تُحْيِي بِطَيْبِ كَلَامِكَ الْأَزْوَاحَا
نَضَرَ الْمُلُوكَ فَلَا يُرِيدُ كِفَاحَا
فَاسْتَأْصَلَتْ فِرَقَ الْعَدُوِّ فَرَاخَا
ئِلَّ فِي الْأَوَائِلِ ؟ مَا تَرَكْتَ فِصَاحَا
بِكُمْ وَأَرْسَلَ وَابِلًا سَحَّاحَا
وَالْوَرْدُ نَاءٍ يُنْعِبُ الْمُلتَاحَا
مِنْكَ الْوُرُودُ وَأَمَكْنَ الْمُتَاحَا
فَعَسَايَ أَسْنِدُهَا إِلَيْكَ صِحَاحَا
يُبْدِ السُّرُورُ لِرَبِّعِكَ الْأَفْرَاحَا

● وكتب إليَّ جواباً ، وقد وقفَ على اللُغزِ الذي نَظَّمْتُهُ في شهر رمضان ،
وقد تقدَّم ذلك في ذكر الشيخ شرف الدِّين أحمد بن الحسن ، وفي ذكر القاضي
فخر الدِّين عبد الوهَّاب : [من السريع]

مَتَّعَنَا اللَّهُ بِآدَابِكَ الْ
أَلْغَزْتَ شَهْرًا عَظَمْتَ قَدْرَهُ الْ
وَفِيهِ رُمَّانٌ تَأْتَى لَهُ
وَعَكْسُهُ « أَضْمِرْ » مَعَ حَذْفِ مَا
فَهَمَّتُهُ فَافْصَحْ لَنَا سَيِّدِي
أَجْزَاؤُهُ فِي عَدِّهَا خَمْسَةٌ
خُمْسَاهُ خُسْرَانٌ وَإِنْ صُحِّفَا
وَإِنْ عَكْسُنَاهُ وَصَحِّفْتَهُ

لَاتِي تُرَوِّي غُلَّةَ الْقَلْبِ
عُجْمٌ مَعَ الْأَتْرَاكِ وَالْعُرْبِ
أَكْلُهُ جِلَاءٌ بِلا ذَنْبِ
يُلْقَى لَهُ قَلْبٌ بِلا قَلْبِ
عَنْ مُدْغَمِ الْإِجْرَاءِ بِالْكِتَبِ
تُلْتُ لَهُ كَالْتَلُّ بِالْقَلْبِ
شَيْءٌ بِمَا فِي سِرِّنَا يُنْبِي
فَتُوبُكُم بِالْفَخْرِ ذُو عُجْبِ

● وكتب إليَّ قرينَ عِبَاءَةٍ بَيْضَاءَ وَمُثَرَّرِ أَسْوَدَ : [من مجزوء الكامل]

سِرِّيَا قَرِيضُ لِبَابِ مَنْ بَخْرُ الْعُلُومِ بِمَـوَرِدِهِ
وَاسْأَلْ قَبُولَ هَدِيَّتِي مَنْ عَمَّنَا بِنَدَى يَدِهِ
قَدْ دُبَّجَتْ أَوْصَافُهُ مَنْ لَوْنُهَا بِمُنْضَاهِ
فَيَاضُهَا مِنْ كَفِّهِ وَسَوَادُهَا مِنْ سُودَدِهِ

● فكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ : [من مجزوء الكامل]

وَافِي قَرِيضُكَ مَا حِيَاً ظَلَمَ الدُّجَى بِتَوَقُّدِهِ
وَقَرِينُهُ الْفَضْلُ الَّذِي عُنُقِي أَزْدَهَى بِمُقْلَدِهِ
خَـلْدٌ نَفِيٌّ زَانَهُ خَطُّ الْعِذَارِ بِأَسْوَدِهِ
فَأَنَا لَنِي مِنْ جُودِهِ وَأَمَّا لَنِي بِمُجَرَّدِهِ
إِنْ تَبَدَّعَ فُكَّتِ الْوَرَى وَفَضَلَتْهُمْ إِنْ تَبَتَّـلَدِهِ

● وَتَوَجَّهْنَا إِلَى حِمَاةِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَكَانَ مَعَنَا ، فَنَظَرْتُ وَنَحْنُ سَائِرُونَ

إِلَى الطَّرْقِ وَتَعَارِيحِهَا ، وَعَدَمِ اسْتِقَامَتِهَا وَتَلَوَّيْهَا ، فَقُلْتُ أَنَا : [من الوافر]

سَلَكْنَا الْبَيْدَ مَعَ سَادَاتِ قَوْمٍ لَهُمْ هَمٌّ إِلَى الْعَلْيَا سَرِيعَةٍ
وَوَضَعُ الطَّرْقِ يَبْدُو فِي اخْتِلَافٍ كَحَيَّاتٍ قَدْ أَنْسَابَتْ مَرُوعَةٍ

● وَنَظَمَ الْمَوْلَى جَمَالُ الدِّينِ الْمَذْكُورِ سُلَيْمَانُ : [من البسيط]

وَأَبْيَضُ الطَّرْقِ يَرْهُو بَيْنَ أَحْمَرِهَا فَاغْجَبَ لَهُ بَيِّنَ تَلْوِينٍ وَتَكْوِينٍ
يَمْشِي اسْتِوَاءً وَطَوْرًا يَلْتَوِي مَرَضًا مِثْلَ الْجَدَاوِلِ مَا بَيْنَ الْبَسَاتِينِ (

٤٣ * سَعْدُ اللَّهِ بْنِ حَيْدَرَ (١) :

الشَّرِيفُ السَّيِّدُ الْكَاتِبُ ، النَّازِمُ ، سَعْدُ الدِّينِ ، الْحُسَيْنِيُّ ، الْبَغْدَادِيُّ .

(١) ترجمته في : الدَّررُ الْكَامِنَةُ ١٣٢/٢ .

- ولادته سنة ٧٢١ هـ .

- في أ ، م : الحسيني ! . وفي م : سعد الدين بن حيدر ! .

● كَتَبَ إِلَيَّ بِدَمَشَقِ الْمَحْرُوسَةِ فِي سَنَةِ ٧٥١ : [من الكامل]

إِفْرَارُ عَاذِلِهِ بِأَنْ لَمْ يَغْشَقِ عُدْرَ لَهُ وَلِكُلِّ صَبٍّ شَيْقِ^(١)
لَوْنَالَهُ مَا نَالَهُ مِنْ مِخْنَةٍ وَمَحَبَّةِ أَبْدَى مَقَالَةٍ مُشْفِقِ
أَخْبَبَ بِسُهُدٍ كَالْهُمُومِ مُجْمَعِ عِنْدِي وَصَبْرٍ كَالْجُفُونِ مُفَرَّقِ
لَا تَعْجَبَنَّ وَلَكِنْ تُطِيقَ إِذَا أَمْتَلَا غَزَبُ الدُّمُوعِ لِبُعْدِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ
بَخَلُوا بِقُرْبِهِمْ وَمَا مِنْ شَأْنِهِمْ بُخْلٌ فَمَا فِي النَّوْمِ يَوْمًا نَلْتَقِي
خَيْرُ الْبِلَادِ لَدَيَّ بَغْدَادُ وَمَا وَالَتْ وَإِنْ كَثُرَتْ مَحَاسِنُ جَلَّقِ
فَلَكُمْ رَأَيْتُ بِهَا غَزَالًا إِنْ رَأَى شَرَكًا أُتِنِحَ لِصَيْدِهِ لَمْ يَفْرَقِ
أَلْفَى أَبَاهُ عَلَى الْمَوَدَّةِ نَاشِئًا فَوِدَادُهُ خُلِقَ بِغَيْرِ تَخْلُقِ^(٢)
وَتَرَوْفَكَ الْأَشْجَارُ وَالْأَنْهَارُ إِنْ مَيَّزَتْ بَيْنَ مُقَيَّدٍ أَوْ مُطْلَقِ
فَتَظَلُّ نَشْوَانًا وَلَمْ تُضْبَحْ طَلًا فَتُرَى قَرِينَ الْإِثْمِ أَوْ لَمْ تَغْبِقِ
وَتَشْمُ مِنْ مِسْكِ الْأَزَاهِيرِ الَّتِي تُزْهِى لِنَاطِرِهَا بِلَوْنٍ مُوْنِقِ^(٣)
مِنْ أَسْوَدٍ فِي أَحْمَرٍ أَوْ أَضْفَرٍ فِي أَبْيَضٍ أَوْ أَخْضَرٍ فِي أَزْرَقِ
لَكِنَّهَا تَدْعُ الْعَنِيَّ إِذَا غَدَا تَبْعًا لِشَهْوَتِهِ قَرِينَ الْمُمْلِقِ
لَوْلَا صَلَاحُ الدِّينِ لَمْ يَضْلُخْ بِهَا حَالِي وَلَمْ أَرْ غَيْرَ بَابٍ مُغْلَقِ
ذُو الْمَنْطِقِ الْعَذْبِ الَّذِي قَدْ أَضْبَحَتْ تَرَوَى النَّفُوسُ بِمَائِهِ الْمُتَدَفِّقِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ دُرًّا نَفِيسًا نَظْمُهُ مَا كَانَ فِي صَدَفِ الْقُلُوبِ الْمُلْصَقِ
كَمْ جَاءَ بِالْمَعْنَى الْبَدِيعِ فَأَجْمَعَ أَلْ فُضْلًا فِيهِ أَنَّهُ لَمْ يُسَبِّقِ
لَوْلَاهُ لَمْ يُبْرِزْ ظِلَامُ النَّفْسِ لَدِ أَبْصَارِ أَنْوَارِ الصَّبَاحِ الْمُشْرِقِ

(١) فِي ب : × وَلِكُلِّ عَبْدٍ يَتَّقُ ! . وَفِي م : إِفْرَارُ عَاشِقِهِ × .

(٢) فِي ب : × نَابِيًا [= نَابِتًا] .

(٣) فِي ب : × الْأَزَاهِرُ وَالَّتِي × .

يَمْشِي بِمِيدَانِ الطُّرُوسِ يَرَاهُ
وَيَجِيءُ بِالْمَعْنَى الْمُرَادِ مُكَمَّلًا
لَا فَرْقَ بَيْنَ لِسَانِهِ وَيَرَاهُ
إِنْ شَاءَ إِنْشَاءً فَأَفْصَحُ مُحْسِنِ
نَسَخَتْ عِبَارَتُهُ رِقَاعَ الْفَاضِلِ أَلِ
لَمْ يَغْلُ إِلَّا أَزْدَادَ حُسْنِ تَوَاضَعِ
يَبْغِي الْجَهْلُولُ مَكَانَهُ أَوْ بَعْضَهُ
إِنْ كُنْتُ قَدْ صَيَّغْتُ أَيَّامًا مَضَتْ
لِأَفُورَ مِنْهُ بِقُرْبِ خَيْرِ أَرْتَجِي
فَلَمِثْلُ شِعْرِي عِنْدَهُ غَالٍ إِذَا
شِعْرِي يَقُولُ أَجَدْتُ مَعْنَاهُ فَلَوْ
فَانْشُرُهُ فِي الْآفَاقِ يُنْسَ بِذِكْرِهِ
هَذَا هُوَ الشَّعْرُ الَّذِي لَمْ يَغْصِبِ أَلِ
إِنْ يُكْسَ أَسْمَالَ الْعِبَارَةِ غَيْرُهُ
فَيَحَارُ بَيْنَ حَبَائِهِ وَثَنَائِهِ
وَأَظْلُ فِي ظِلٍّ مِنَ الْإِحْسَانِ بَيْنَ
وَنَسِيمُ شِعْرِي لَا يَمُرُّ بِرَوْضَةٍ
لَا سِيِّمًا وَقَدْ اِزْتَصَيْتُ مَحَلَّهُ
مِنْ شَاعِرٍ بِاللَّمَحِ يُدْرِكُ كُنْهَهُ
فَيَرَى حَقِيقَةَ أَنَّي كَسْتُ أَمْرًا

هَوْنًا فَيُزْرِي بِالْجِيَادِ السُّبْقِ
فَيَحِيلُ أَنْ يَأْتِيَ بِفَضْلِ مُلْحَقِ
فَكِلَاهُمَا يُبَيِّنُ بَيَانَ مُوَفَّقِ
سَعَةِ الْعِبَارَةِ فِي الْمَجَالِ الضَّيِّقِ
حَاضِي وَلَمْ أَنْطِقْ بِغَيْرِ مُحَقِّقِ^(١)
وَرَأَى التَّكْبَرُ شَرًّا وَصَفِ الْأَحْمَقِ
فَيَظْلُ مَمْنُورًا بِمَا لَمْ يُزْرَقِ
بِالْبُعْدِ عَنْهُ فَلَا أَضِيغُ مَا بَقِيَ
وَأَفُورَ مِنْهُ يُبْعِدُ شَرًّا أَنْتَقِي
هُوَ عِنْدَ ذِي جَهْلٍ بِهِ لَمْ يَنْفُقِ
فَاخْرَجَتْ كُلُّ مُفَوِّهِ لَمْ يَنْطِقِ
مَا كَانَ يَحْفَظُهُ حُدَاةُ الْأَيْتِقِ
مَعْنَى وَقَلَّ الْيَوْمَ مَنْ لَمْ يَسْرِقِ
فَلِبَاسُهُ مِنْ بَاهِرِ الْإِسْتَبْرَقِ
فِكُفْرِي لِأَيَّهِمَا الْمَدَائِحُ يَنْتَقِي
مَنْ الرُّوضِ مِنْهُ وَالْعَدِيرِ الْمُتَأَقِ
[٦٩] فَيُقَالُ مَرَّ بِهَا وَلَمَّا يَعْبَقِ
مِنْ شَاعِرٍ جَمَّ الْمَعَانِي مُفْلِقِ
وَيَجُولُ فِي مَعْنَى بِهِ مُتَعَلِّقِ
يَزْصِي بِقَوْلِ مُمَوِّهِ مُتَمَلِّقِ^(٢)

* * *

(١) في ب : × تحقق .

(٢) بعد ذلك في س : فكتبْتُ أَنَا جوابه . قلتُ : وليس ثُمَّ جوابٌ .

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي

أَسْلَمَ (نَهْمُ) الْفُرُوسِ

حَرْفُ الشَّيْنِ

٤٤ * شافع بن علي بن إسماعيل بن عساكر^(١) :

الشَّيْخُ الإمام ، الكاتبُ البليغُ ، ناصرُ الدِّينِ الكِنَانِي ، العَسْقلَانِي ،
المِصْرِي ، ابنُ أختِ القاضي مُحْيِي الدِّينِ بن عبد الظَّاهر .

● كتبتُ أنا إليه أَشْتَدَّ عِي إجازَتُهُ ، وأنا بالقاهرة المحروسة سنة ٧٢٨^(٢) :

المَسْئُولُ من إحسانِ سَيِّدِنَا الشَّيْخِ الإمامِ العالمِ المُفيدِ القُدْوَةِ ، جامعِ
شَمْلِ الادابِ ، قِبْلَةِ أَهْلِ السَّعْيِ فِي تَحْصِيلِهِ وَالذَّأْبِ^(٣) : [من الطويل]

أخي المُعْجَزَاتِ اللَّائِي أَبَدَتْ طُروسَهُ كَأَفْقٍ بِهِ لِلنَّيِّرَاتِ ظُهُورُ
وما نَمَّ إِلَّا الشَّمْسُ والبَدْرُ فِي السَّما وهذا شُموسٌ كُلُّهُ وَبُدُورُ

البليغِ الذي أَثَارَ أَوَابِدَ الكَلِمِ من مَظَانِّ البِلاغَةِ ، وَأَبْرَزَ عَقَائِلَ المَعَانِي
تَتَهَادَى فِي تَيْجَانِ أَلْفَاظِهِ ، فَجَمَعَ بَيْنَ صِنَاعَةِ السَّحْرِ والصِّيَاغَةِ ، وَأَبْدَعَ فِي
طَرِيقَتِهِ الْمُثَلِّي فَجَلَّتْ عَنِ المِثْلِ ، وَأَنْبَتَ فِي رِيَاضِ الأَدَبِ غُرُوسَ فَضْلِ
لا تُقَاسُ بِدُوحَاتِ البانِ ولا الأَثَلِ ، وَأَظْهَرَ نِظَامَهُ عُقُوداً حَلَّتْ مِنَ الزَّمانِ كُلِّ
ما عَظَلَ ، وَقَالَ لِسَانُ الحَالِ ، مِمَّنْ يَتَعَاطَاهُ : مُكْرَهُ أَخَاكَ لا بَطْلٌ ، وَجَلَا عِنْدَ
نِثَارِهِ كَلِمَاتٍ مَقْصُورَاتٍ فِي خِيَامِهِ ، وَذَرَّ عَلَى كَافُورِ قِرْطاسِهِ مِسْكَ خِتَامِهِ ،

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٥٠١/٢ والوافي بالوفيات ٧٧/١٦ ونكت الهميان ١٦٣ وفوات الوفيات ٩٣/٢ وتذكرة النبيه ٢٠٨/٢ والنجوم الزاهرة ٢٨٤/٩ والمنهل الصافي ١٩٦/٦ والدليل الشافي ٣٤٠/١ وحسن المحاضرة ٤٩٣/١ .

ـ ولادته سنة ٦٤٩ هـ . ووفاته سنة ٧٣٠ هـ .

(٢) نص الاستدعاء في أعيان العصر والوافي .

(٣) البيتان فقط في نكت الهميان .

ناصر الدين شافِع بن علي^(١) : [من السريع]

لا زال في هذا الوري فضلُهُ يسِيرُ سِيرَ القَمَرِ الطَّالِعِ
حتَّى يقولَ النَّاسُ إِذْ أَجْمَعُوا ما مالِكُ الإنْشا سِوَى شافِعِ
إجازةَ كاتِبِ هذه الأُحرفِ ما يَجُوزُ لَهُ رِوايتهُ من كُتُبِ الحديثِ وأَصنافِها ،
ومُصَنَّفاتِ العلومِ على اختلافِها ، إلى غيرِ ذلكَ كيفَما تَأدَّى إليه من مَسايخِهِ
الذين أَخَذَ عنهم ، من قِراءةٍ أو سَماعٍ أو إجازةٍ أو مُناوَلَةٍ أو وَصِيَّةٍ ؛ وإجازةٍ
ما لَهُ - فَسَحَ اللهُ في مُدَّتِهِ - من تَأليفٍ وَوَضْعٍ ، وَتَصْنيفٍ وَجَمْعٍ ، وَنَظْمٍ وَنَثَرٍ ،
والتَّصَرُّ على ذِكْرِ مُصَنَّفاتِهِ وتَغْيِينِها في هذه الإجازةِ إجازةً عامَّةً ، على أَحَدِ
القولينِ في مِثْلِ ذلكَ ، واللهُ يُمَتِّعُ بِفَوائِدِهِ ، وَيَنْظِمُ على جِندِ الزَّمنِ العاطِلِ دُرَّ
قلائِدِهِ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

● فَكُتِبَ هو الجوابُ عن ذلكَ^(٢) :

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَالحَمْدُ لله الَّذي أَمَتَعَ من الفُضلاءِ بَكلِّ مُجيزٍ ومُستَجيزٍ ، وَأَشْهَدُ
من مُعاصِرِي ذَوِي الدَّرَايَةِ والرِّوَايَةِ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ البَسيطِ من عُلُوِّ الإِسْنادِ
وَالوَجيزِ ؛ نَحْمَدُهُ على نِعَمِهِ (التي) يَجِبُ لَهُ عَلَيْها الإِخْماءُ ، وَنَشْكُرُهُ على
تَهَيِّئَةِ فَضْلِها المُخَوَّلِ شَرَفِ الإِسْعادِ والإِسْعادِ ، وَنُصَلِّي على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ،
المُعَظَّمَةِ رِوَاةُ حَدِيثِهِ ، وَحُوقَ لَهُمُ التَّعْظِيمُ ، العالِيَةُ قَدْرًا وَسَنَدًا ، مَنْ شَأْنُهُ
التَّبَجُّيلُ والتَّفْخِيمُ ؛ صَلَّى اللهُ عليه وعلى [٦٩ ب] آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وما أَحَقَّهُمُ
بالصَّلَاةِ والتَّسْلِيمِ .

وبَعْدُ ؛ فَإِنِّي وَقَفْتُ على ما التَّمَسَّهُ الإِمامُ الفاضِلُ ، الصَّدْرُ الكامِلُ ،

(١) البيتان فقط في نكت الهميان .

(٢) نص الجواب في أعيان العصر والوافي .

المُحَدَّثُ الصَّادِقُ ، العَلِيُّ الإسْنَادِ ، الرَّاقِي إِلَى دَرَجَاتِ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ
النَّبَوِيِّ بَعْلُو رِوَايَتِهِ السَّائِرَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ ، وَهُوَ غَرْسُ الدِّينِ خَلِيلُ بْنُ
أَيُّبِكَ^(١) : [من الطويل]

وَحَسْبِي بِهِ غَرْساً تَسَامَى أَصَالَةً إِلَى أَنْ سَمَا نَحْوَ السَّمَاءِ عِلَاوُهَا
حَوَى مِنْ بَدِيعِ النَّظْمِ وَالتَّنْثِيرِ مَا رَفَا إِلَى دَرَجَاتٍ لَا يُرَامُ انْتِهَاؤُهَا^(٢)
اسْتَجَازَ ، أَعَزَّهُ اللَّهُ ، بِبَدِيعِ النَّظْمِ وَالتَّنْثِيرِ فِي اسْتِجَازَتِهِ ، وَقَالَ فَأَبْدَعَ فِي
إِبْدَائِهِ وَإِعَادَتِهِ ، وَتَنَوَّعَ فِي مَقَالِهِمَا فَأَسْمَعَ مَا شَتَّفَ الْأَسْمَاعَ ، وَأَبَانَ عَمَّا انْعَقَدَ
عَلَى إِبْدَاعِهِ الْإِجْمَاعُ ، وَقَالَ فَمَا اسْتَقَالَ ، وَرَتَّلَ آيَ مُحْكَمِ كِتَابِهِ ، فَتَمَيَّزَ وَحَقُّ
لَهُ التَّمْيِيزُ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

وَقَدْ أَجَبْتُهُ إِلَى مَا بِهِ رَسَمَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً ، وَأَصْلًا وَفَرْعًا ، وَأَبْدَيْتُ بِهِ
وَجْهًا مِنْ وَجُوهِ الْإِجَابَةِ جَمِيلاً ، مَا يَجُوزُ لِي رِوَايَتُهُ مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ
وَأَصْنَافِهَا ، وَمُصَنَّفَاتِ الْعُلُومِ حَسَبَ إِجَازَةِ الْأَفْهَامِ ، حَسْبَمَا أُجِزْتُ بِهِ مِنْ
الْمَشَايِخِ الَّذِينَ أَخَذْتُ عَنْهُمْ ، وَسَأَلْتُ الْإِجَازَةَ مِنْهُمْ ، بِقِرَاءَةٍ ، أَوْ سَمَاعٍ ، أَوْ
مُنَاوَلَةٍ ، أَوْ وَصِيَّةٍ ؛ وَمَا لِي مِنْ تَأْلِيفٍ وَوَضْعٍ ، وَنَظْمٍ وَتَنْثِيرٍ وَجَمْعٍ .
وَذَكَرَ تَصَانِيفَهُ كُلَّهَا .

● وَاسْتَشْدَدَنِي شَيْئاً مِنْ نَظْمِي ، فَأَنْشَدْتُهُ لِنَفْسِي^(٣) : [من الخفيف]

إِنَّ وَرْدِي مِنَ الْحَمَامِ قَرِيبٌ فَلِهَذَا أَمَسْتُ دُمُوعِي مُفَاضَةً
وَلَكُمْ جَهْدُ مَا يَكُونُ بَعِيداً وَمَشِيبِي رَشَاشُ تِلْكَ الْمَخَاضَةِ

(١) البيتان فقط في أعيان العصر .

(٢) في أ : × . . . لا يلام . . . وفي م : × . . . لا يُقال . . .

(٣) هما في أعيان العصر .

● فَأَنْشِدْنِي لِنَفْسِهِ^(١) : [من الخفيف]

قَالَ لِي مَنْ رَأَى صَبَاحَ مَشْيِي
أَيُّ شَيْءٍ هَذَا؟ فَقُلْتُ مُجِيباً :
عَنْ شِمَالٍ مِنْ لِمَتِي وَيَمِينِ :
لَيْلُ شَكِّ مَحَاهُ صُبْحُ يَقِينِ

● وَأَنْشِدْنِي هُوَ لِنَفْسِهِ^(٢) : [من الطويل]

تَعَجَّبْتُ مِنْ أَمْرِ الْقَرَافَةِ إِذْ غَدَتْ
فَأَلْفَيْتُهَا مَأْوَى الْأَحِبَّةِ كُلِّهِمْ
عَلَى وَحْشَةِ الْمَوْتِ لَهَا قَلْبُنَا يَضْبُو
وَمُسْتَوْتُنُ الْأَحْبَابِ يَضْبُو لَهُ الْقَلْبُ

● فَأَنْشِدْتُهُ أَنَا لِنَفْسِي : [من الوافر]

أَلَا إِنَّ الْقَرَافَةَ إِنْ غَدَوْنَا
فَمَا فِينَا مُصَابٌ قَطُّ إِلَّا
تَمِيلُ لَهَا الْقُلُوبُ وَلَا عَجِيبَا
تَضُمُّ لَهُ قَرِيباً أَوْ حَبِيبَا

● وَأَنْشِدْنِي لِنَفْسِهِ أَيْضاً^(٣) : [من الطويل]

وَبِي قَامَةٌ كَالْغُصْنِ حِينَ تَمَايَلَتْ
جَرَى مِنْ دَمِي بَخَرٌ بِسَهْمٍ فِرَاقِهِ
وَكَالزُّمَحِ فِي طَعْنٍ يَقْدُ وَفِي قَدِّ
فَخَضَبَ مِنْهُ مَا عَلَى الْخَضَرِ مِنْ بَنْدِ

● فَأَنْشِدْتُهُ أَنَا لِنَفْسِي^(٣) : [من المجتث]

قَدْ شَدَّ جَبِّي بَنْدَا
كَخَاتَمٍ مِنْ عَقِيقِي
فِي حُمْرَةٍ مِثْلِ خَدِّهِ
قَدْ زَانَ خِنْصَرَ قَدِّهِ

فَقَالَ : لَوْ اتَّفَقَ لَكَ : خِنْصَرُ خَضْرِهِ ، لَكَانَ أَحْسَنَ ؛ فَقُلْتُ : [من المجتث]

فِي حُمْرَةِ الْبَنْدِ مَعْنَى
كَخَاتَمٍ مِنْ عَقِيقِي
مِمَّنْ سَبَانِي بِهِجْرِهِ
قَدْ زَانَ خِنْصَرَ خَضْرِهِ

* * *

(١) هما في أعيان العصر ، والوافي ، والفوات ، ونكت الهميان ، والدّر الكامنة ، وتذكرة النبيه ،
والنجوم الزاهرة ، والمنهل الصافي ، والدليل الشافي .

(٢) هما في أعيان العصر ، والوافي ، ونكت الهميان ، وفوات الوفيات .

(٣) هما في أعيان العصر .

رَفَعُ
عبد الرحمن النخعي
أَسْلَمَ النُّبَّاحُ (الفردوس)
حَرْفُ الْعَيْنِ

٤٥ * عبد الله بن علي بن محمد بن سلمان^(١) :

الكَاتِبُ الْبَلِيغُ الْمُجِيدُ ، جَمَالُ الدِّينِ بْنِ الشَّيْخِ علاء الدين بن القاضي
شَمْسِ الدِّينِ ابنِ غانِمٍ ، كَاتِبُ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ .

● كَتَبَ إِلَيَّ عِنْدَ قُدُومِي [٧٠أ] مِنَ الرَّحْبَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَدُخُولِي إِلَى دِيْوَانِ
الْإِنْشَاءِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ فِي سَنَةِ ٧٣١^(٢) : [من الوافر]

تَقُولُ جَمَاعَةُ الدِّيَّانِ : فِيهِ فَسَادٌ لَا يُزَالُ وَلَا يُزَاحُ
فَقُلْتُ : فَسَادُهُ سَيَزُولُ عَمَّا قَلِيلٍ إِذَا بَدَأَ فِيهِ الصَّلَاحُ

● فَكُتِبْتُ أَنَا جَوَابُهُ^(٣) : [من الوافر]

هَوَيْتُ جَمَاعَةَ الدِّيَّانِ ذَهْرًا فَلَمَّا ضَمَّنَا بِدِمْشَقٍ مَغْنًى
نَظَرْتُ إِلَيْهِمْ نَظَرَ انتِقَادٍ فَكُنْتُ جَمَالَهُمْ لَفْظًا وَمَغْنًى

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ وَأَنَا بِصَفَدِ الْمَحْرُوسَةِ ضَعِيفٌ^(٣) : [من الوافر]

كِتَابُكَ قَدْ أَتَى عَيْنِي وَفِيهَا فَسَادٌ نَوَى لِشَوْقِي وَازْتِيَا حِي
فَجَدُّهُ فَلَيْسَ يَزُولُ إِلَّا إِذَا عَادَ الصَّلَاحُ إِلَى الصَّلَاحِ

(١) ترجمته في : مسالك الأبصار ٤٦١/١٢ وأعيان العصر ٦٩٦/٢ والوافي بالوفيات ٣٥١/١٧ وفوات
الوفيات ٢٠٦/٢ وتذكرة النبيه ٥٤/٣ وتعريف ذوي العلا ٢٦ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣٨٥/١
والنثر الكامنة ٢٧٨/٢ .

- ولادته سنة ٧١١ هـ . ووفاته سنة ٧٤٤ هـ .

- في م : علي بن عبد الله بن علي . . . ا .

(٢) هما في أعيان العصر والوافي والنثر الكامنة .

(٣) هما في أعيان العصر والوافي .

● فكتبْتُ أنا جوابَه^(١) : [من الوافر]

كِتَابُكَ جَاءَنِي فَتَفَى هُمُومِي وَأَذَنَ سُقَمَ جِسْمِي بِالزَّوَالِ
وَأَذْكَرَ نَاطِرِي زَمَنًا حَمِيدًا تَمَتَّعَ بِالْجَمَالِ مِنَ الْجَمَالِ

● وَكُنْتُ قَدْ وَعَدْتُهُ بِعَارِيَّةِ رِسَالَةِ لَابِنِ رَشِيقٍ ، سَمَّاهَا « سَاجُورُ الْكَلْبِ »

وَتَأَخَّرَ إِزْسَالُهَا ، فَكَتَبَ إِلَيَّ^(٢) : [من الخفيف]

يَا جَوَادًا عِنَانُهُ فِي يَدِ الْجَوِّ دِ تَبَاخَلَتْ لِي بِسَاجُورِ كَلْبِ
لَا تُضِغْ رُبِّيَّةَ الْفَضْلِ وَالْإِيْدِ شَارِ فَالْأَمْرُ دُونَ بَذْلِ الْعَنْبِ
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْعَنْبِ بُدٌّ فَمُرَادِي إِنْ شِئْتَ غَيْرُ الْكُتُبِ

● فَجَهَّزْتُهَا إِلَيْهِ ، وَكَتَبْتُ مَعَهَا : [من الخفيف]

أَيُّهَا الْأَرْوَعُ الَّذِي فَاقَ مَجْدًا لَا تُؤْنِبْ مَنْ لَا أَتَاكَ بِذَنْبِ
أَنْتَ تَذَرِي أَنَّ الْوَفَاءَ الْمُوَفَّى لِي طِبَاعٌ فِي الْوُدِّ مِنْ غَيْرِ كَسْبِ
أَنَا أَخْبَلُو كَانَ طَوْقَ عَرُوسٍ عَنْكَ حَتَّى أَصَوْنَ سَاجُورَ كَلْبِ؟

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ يَوْمًا^(٣) : [من السريع]

قَدْ أَصْبَحَ الْمَمْلُوكُ يَا سَيِّدِي يَخْتَارُ أَنْ يَفْتَرِعَ الرَّبُّوَّةَ
وَقَدْ أَتَى صُحْبَتَكُمْ يَتَغَيَّرُ فَاسْعِفُوا وَاعْتَمُوا الْخُلُوءَ

● فَكَتَبْتُ أَنَا جَوَابَهُ ارْتِجَالًا^(٤) [من السريع]

مَا لِي عَلَى الرَّبُّوَّةِ مِنْ قُدْرَةٍ لِأَنْنِي أَعْجَزُ عَنْ خُطُوَّةَ
وَلَيْسَ مَرْكُوبِي هُنَا حَاضِرًا فَمُرَّ نَحْوَ الْخُلُوءِ الْخُلُوءَ

(١) الأبيات في أعيان العصر والوافي .

(٢) الخبر والأبيات في أعيان العصر والوافي .

(٣) هما في أعيان العصر والوافي والذَّور الكامنة .

(٤) هما في أعيان العصر والوافي .

● وكتبْتُ أنا إليه ، وقد طَوَّلَ الغَيْبَةَ في بَعْثِكَ^(١) : [من الرجز]

قَرَّبِكَ الْقَلْبُ الَّذِي	أَبْعَدَتْهُ وَقَرَّبَكَ
يَا نَازِحاً عَنْ جِلْقِ	وَنَازِحاً فِي بَعْثِكَ
لَكَ الْبَلَاغَاتِ الَّتِي	أَبْدَعْتَ فِيهَا مَذْهَبَكَ
جَمَرْتَ جَرِيراً فَالْتَوَى	إِلَى النَّسِيبِ وَأَنْسَبَكَ
وَكُلُّ سَطَرٍ كَالدُّجَى	وَبَرَقُ مَعْنَاهُ احْتِبَّكَ
شَوَارِدُ الْمَعْنَى غَدَتْ	مِثْمَائُهُ مِثْلَ الشَّبَكِ
أَشْكُو لَكَ الْبُعْدَ الَّذِي	تَطْوِيلُهُ قَدْ أَعْجَبَكَ
زَوَاكَ فِي لَيْلِ الْمُنَى	عَنْ نَاطِرِي وَغَيْبِكَ
فَاطْلَغْ عَلَيْنَا قَمَراً	حَتَّى تُنِيرَ غَيْهَبَكَ ^(٢)
أَنَا خَلِيلُ صُحْبَةٍ	وِدَادُهَا قَدْ جَلَبَكَ
حَلِيُّكَ مِنْهُ فَاخِرٌ	وَسِخْرُهُ قَدْ خَلَبَكَ
جَلَّتْكَ أَنْوَارُ الْمُنَى	فِي خَاطِرِ تَطَلُّبِكَ
خُلَّتْكَ الْحُسْنَى جَلَّتْ	لِي فِي الْمَعَانِي شُهْبَكَ
حَلَّتْكَ بِالْعِلْمِ الَّذِي	بِهِ عَلَوَتْ رُتَبَكَ
أَبُو جَلَّتْكَ لَوْ رَأَى	كَمَا رَأَيْنَا أَدَبَكَ
حَلَّ بِكَ الْمَعْنَى الَّذِي	جَلَّ بِلِ الْحَقِّ التَّبَّكَ

● فَكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ^(٣) : [من الرجز]

[٧٠ب] أَمِنْ عُقَارٍ أَنْسَبَى أَمْ مِنْ نَضَارٍ أَنْسَبَكَ

(١) القصيدة في الوافي بالوفيات .

(٢) سقط عجز هذا البيت من م مع صدر الذي يليه ، فتلق ما بقي منهما .

(٣) القصيدة في الوافي بالوفيات .

أَمْ مِنْ لآلِ نِظْمٍ ث
أَمْ نَفْسُ الْأَخْبَابِ هَبْ
نَسَمَ فِي دِمَشْقَ فَاشِدْ
يَحْمِلُ ذِكْرَكَ لَقَدْ
يَا حَاضِرًا فِي خَاطِرِ
وَفَاضِلًا ذَهَبَكَ الـ
فِي أَيِّ صُورَةٍ لَنَا
نَسِي بِكَ التَّسِيبَ مَنْ
رَبُّنَا لِكَ لِّلْعُلُومِ نَفْ
أَغْرَبَ عَنْكَ الدَّهْرُ بِالنَّ
عَاجَ بِيخْرِكَ الْوَرَى
سُرَّ بِكَ الرَّأْيُ الَّذِي
حَلَا بِذَوْقِ فَهْمِهِ
أَنْتَ جَلِيلُ فِطْنَةٍ
حَلَّتْكَ فَازَتْضَتَ وَمَنْ
خَلَّتْكَ مَعْدُومَ النِّظْمِ
أَنْتَ خَلِيلُ لِّلْعُلَا
حَلَّ بِكَ النَّائِلُ بِالنَّ
حَكَتْكَ فِي الذُّكَا ذُكَا
حَلَّ بِكَ الْفَضْلُ فَحَلَّ
جُلَّ بِالْيَرَاعِ يَا جَا
حَلَّتْكَ الْفَضْلُ حَبَا

عَلَى عَذَارَى كَالشَّبَابِ
بَ مَوْهِنًا فَأَطْرَبَكَ
تَمَثُّهُ فِي بَعْلَبِكَ
عَظُمْتَ مِنْهُ مَرْكَبَكَ
بِحَاضِرٍ مَا غَيَّبَكَ
لَهُ لَنَا وَهَلْ ذَبَكَ
فَضِيلَةٍ قَدْ رَكَّبَكَ
حَقَّقَ فِيهِ نَسَبَكَ
سَّ بَلَّغَتْكَ رُتَبَكَ
تَمَيَّزَ حَتَّى نَصَبَكَ
لَمَّا تَرَاءَوْا عَجَبَكَ
بِفَهْمِهِ قَدْ سَرَّبَكَ
نَهَاكَ لَمَّا جَلَبَكَ
يَعْرِفُ ذَا مَنْ طَلَبَكَ
يَزُتْضِ إِلَّا أَدَبَكَ
رِ قَرَدَ أَفْرَادِ التَّبِكَ
وَلِيَّهَا قَدْ قَرَّبَكَ
نَخَلَةٍ مِنْهَا أَرَبَكَ
وَلَمْ تُحَاكِ نُحْبَكَ
لَى لِلْبَرَايَا كُتُبَكَ
دُ فِيهِ وَاحِرُزُ قَصَبَكَ
كَهَانُهَا إِذْ حَبَكَ

سَدَدَتْ مِنْ تَضْجِيفِ ذَا الِ اسْمِ الَّذِي قَدْ صَحَبَكَ
بَغْضِ الَّذِي فَهَمَّتَهُ إِذَا لِمَعْنَى حَبَبِكَ^(١)
بِكَ اهْتَدَيْتُ فَهَمَّهَا لَمَّا رَأَيْتُ شُهْبَكَ
لَا زِلْتُ فِي بَيْدِ التُّهَى تَخْدُو إِلَيْهَا نُجْبَكَ

● وكتب هو على الجزء الخامس من « التذكرة » التي لي :

وَقَفْتُ عَلَى الْمَجْمُوعِ الْمُتَفَرَّدِ بِحُسْنِهِ وَحُسْنَاهُ ، الزَّاهِي عَلَى الزَّهْرِ فِي سِنِّهِ
وَالدَّرَرِ فِي سَنَاهُ ، الْمُشْتَمِلِ عَلَى كُلِّ شَذَرَةٍ ، الْمُخْتَوِي عَلَى مَثَاقِيلَ مِنْ إِبْرِيزِ
الْكَلَامِ ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [الزلزلة : ٧] اللَّائِقِ جَمْعاً وَصُنْعاً ، الرَّائِقِ
وَشَيْئاً مِنَ الْكِتَابَةِ لَا تُذَكِّرُ عِنْدَهُ صُنْعاً ، الْمُظْهِرِ بِكَمَالِهِ نَقْصَ مَا سِوَاهُ ، الدَّالِّ
بِصَحَّةِ جَمْعِهِ عَلَى تَفَرُّدِ مَنْ سِوَاهُ : [من الوافر]

وبالزَّهْرِ الْمُنْضَدِ فِي رُبَاهُ يُشِيرُ إِلَى صَنَائِعِهِ الْغَمَامِ
« مِنْ كُلِّ مَعْنَى وَحِيدٍ يَكَادُ الْمَيْتُ يَفْهَمُهُ »^(٢) ، وَكُلُّ لَفْظٍ رَقِيقٍ تَكَادُ صَفْحَةُ
الْقِرْطَاسِ تُسَلِّمُهُ ، وَكُلُّ زَهْرَةٍ كِتَابَةٍ تَكَادُ تُقْطِفُ مِنْ أَغْصَانِ سُطُورِهَا ، وَكُلُّ
فِكْرَةٍ إِصَابَةٍ تَكَادُ تُفْهِّمُهُ بِعَقَّةِ الْأَوْرَاقِ مِنْ سُرُورِهَا ؛ كَأَنَّمَا أَلْفَتْ فِيهِ الْمَحَاسِنُ
وَدَائِعَهَا ، أَوْ أَجَرَتْ مِنْهُ اللَّطَائِفُ يَتَابِعَهَا ، وَكَأَنَّمَا هُوَ لَيْلُ نَفْسٍ أَوْقَدَتْ فِيهِ
الْمَعَانِي سِرَاجاً ، أَوْ رَوْضَةٌ وَزِدَ مَدَّ عَلَيْهَا الطَّرْسُ سِيَّاجاً ، أَوْ دَرَّرَ لَهَا مِنَ الْأَسْمَاعِ
أَصْدَافٌ ، أَوْ سِحْرٌ لِصِفَائِهِ وَرِقَّتِهِ لَا لِظُلْمَةِ الْأَسْدَافِ ، أَوْ طُرَّةٌ صَبَاحٍ يَسْتَمِدُّ
النَّهَارُ مِنْ إِضَاءَةِ وَرَقِهَا ، أَوْ غُرَّةٌ نَجَاحٍ تُسَامِتُ النُّجُومَ بِفَرْقِهَا فَتَطْنُ مِنْ فَرْقِهَا ؛
قَدْ رَقَّتْ أَلْفَاظُهُ حَتَّى لَوْ عُلقَ عَلَى حَقِيقِ لَسَكَنْتَ عَنْهُ سَوْرَةُ غَضَبِهِ ؛ وَأَشْرَقَتْ
مَعَانِيهِ حَتَّى رَمَقَهَا [١٧١] الْأَفُقُ بِأَعْيُنِ شُهِبِهِ ؛ تَطْنُ بِشُكْرِ مُؤَلِّفِهِ مَخَايِلُهُ ، وَتَقْيِضُ

(١) في م : × إذا تمنى . . .

(٢) صدر بيت لأبي تمام ، في ديوانه ٤٩٠/٤ . وعجزه : حُسْنًا ويحسده القِرطَاسُ والقَلَمُ .

حَتَّى مِنْ جَدَاوِلِ سُطُورِهِ فَضَائِلُهُ ، وَتَدُلُّ عَلَى مَا لَهُ مِنْ أَشْتَاتِ الْمَحَاسِنِ مِنْ
اشْتِمَالٍ ، وَتُشِيرُ إِلَى مَا لِلْآدَابِ بِحَيَاتِهِ وَجِبَاهِهِ مِنْ جَاءٍ وَمَالٍ : [من الكامل]

رَجُلٌ فَضَائِلُهُ وَأَنْعُمُهُ جَاذَا مَدَى سَحْبَانِ وَالسُّحُبِ
وَسُرُورُ نِعْمَاهُ وَسَوَرَتُهُ هَاجَا مِنَ الْقُضْبَانِ وَالْقُضْبِ
لَوْ لَمْ تَسِلْ أَنْدَا فَضَائِلِهِ فِي مَشْرِعِ الْآدَابِ لَمْ يَطِبِ
أَلْفَاظُهُ الْحُسْنَى وَأَسْطُرُهُ يُنْسِينَ ذِكْرَ الْبَانِ وَالْعَذَبِ
وَحُرُوفُهُ مِثْلُ السُّلَافِ بَدَتْ وَطَفَا عَلَيْهَا النَّقْطُ كَالْحَبِّ
وَسُطُورُهُ كَاللَّيْلِ خُطٌّ عَلَى خَدَّ الصَّبَاحِ [بِصْنَعَةِ الْعَجَبِ] ^(١)
لَوْ تَعَقَّلَ الْوَزْقَاءُ فِكْرَتَهُ خَلَعَتْ قِلَادَتَهَا مِنَ الطَّرَبِ
زَادَ اللَّهُ عَوَاصِي أَفْكَارِهِ عَلَى حُكْمِ الزَّمَانِ مَنَعَةً ، وَجَعَلَ لِفُنُونِ آدَابِهِ فِي كُلِّ
صَوْتٍ صِينَتًا ، وَفِي كُلِّ سَمْعٍ سُمُوعَةً ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَحَكَى لِي ، قَالَ ^(٢) :

رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ فِي الْمَنَامِ ، كَأَنَّ فِي بَيْتِي نَهْرًا عَظِيمًا صَافِيًا ، وَأَنْتَ مِنْ ذَلِكَ
الْجَانِبِ وَأَنَا مِنْ هَذَا الْجَانِبِ ، وَكَأَنِّي أَنْشِدُكَ : [من الخفيف]

يَا خَلِيلِي أَبَا الصَّفَا لَا تُكْذِّرْ مِنْهُلًا مِنْ نَمِيرٍ وَدَكَّ أَرَوَى
فَجَمِيعُ الَّذِي جَرَى كَانَ بَسْطًا وَلَعَمْرِي بَسْطُ الْمَجَالِسِ يُطَوِّى
فَقُلْتَ لِي : لَا ، بَلْ أَنْظِمْ فِي زَهْرِ اللَّوْزِ شَيْئًا ؛ فَأَنْشَدْتُكَ : [من المتقارب]

أَيَا قَادِمَ الزَّهْرِ أَهْلًا وَسَهْلًا مَلَأْتَ الْبَرَايَا هَدَايَا الْأَرْجِ
فَوَقْتُكَ فَضٌّ خِتَامِ السُّرُورِ وَعَهْدُكَ فُرْجَةُ بَابِ الْفَرَجِ ^(٣)

(١) في م : × وجه الصَّبَاح . وما بين معقوفين ساقط من الأصول ، والمثبت من ط .

(٢) الخبر والأبيات في أعيان العصر والروافي .

(٣) في س : بِوَقْتِكَ فَضٌّ . . . × .

● فكتبْتُ أَنَا إِلَيْهِ عِنْدَمَا قَصَّ عَلَيَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا^(١) : [من الخفيف]

حَاشَ لِلَّهِ أَنْ أُغَيَّرَ عَهْدًا لَمْ يَزَلْ مِنْ وَفَائِكَ الْمَحْضِ صَفْوَا
وَإِذَا مَا حَدِيثُ فَضْلِكَ عِنْدِي ضَاعَ مِنِّي فِي نَشْرِهِ كَيْفَ يُطَوَّى

● وكتبْتُ أَنَا إِلَيْهِ ، وهو مع نَائِبِ الشَّامِ المحروسِ الأميرِ سيفِ الدِّينِ
تَنْكُزِ^(٢) رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الصَّيْدِ بَغْزَةً المحروسة ، جَوَابًا عَنْ كِتَابٍ وَرَدَ مِنْهُ إِلَيَّ ،
وَفِيهِ عَتَبٌ كَثِيرٌ لَانْقِطَاعِ كُتُبِي عَنْهُ^(٣) : [من مجزوء الكامل]

خَيْثُ الْخِيَامِ بِرَمَلٍ غَزَهُ	لِي سَادَةٌ عِنْدِي أَعَزَّهُ
وَأَنَا كَثِيرُ حُبِّهِمْ	وَهُمْ كَمَا اخْتَارُ عَزَّهُ
سَيِّمَا جَمَالِهِمُ الَّذِي	فِي فَضْلِهِ طَرْفِي تَنَزَّهُ
مَوْلَى بَعْظِفٍ يَرَاعِهِ	طَرَبٌ يُرَنِّحُهُ وَهَزَّهُ
أَضْحَى يَوْشِي طَرْسَهُ	وَيَحْوُكُ بِالْأَسْجَاعِ طُرْزَهُ
يُمْلِي عَلَيْهِ بَدَائِعًا	تَكْسُو الْمَهَارِقَ خَيْرَ بَزَهُ
لَوْ فَاخَرَ الرُّوْضُ النَّسِيدَ	سَمَ بِكُتُبِهِ لِأَبَانِ عَجَزَهُ
أَلِفٌ حَكَتْ غُضْنَ الثَّقَا	صَدَحَتْ عَلَيْهِ حَمَامُ هَمَزَهُ
مِنْ مَيْمٍ مَيْلِي عَنْهُ لَا	أَدْخَلْتُ قَلْبِي تَحْتَ رِزَّهُ
وَوَظْفِرَتْ مِنْهُ بِمَعْقِلٍ	لَا تَطْرُقُ الْأَحْدَاثُ حِرْزَهُ
وَبِهِ تَبَيَّنَ لِي الْهُدَى	وَحَلَلْتُ مِنْ مَعْنَاهُ رَمَزَهُ
وَبِهِ مَلَأْتُ يَدِي غِنَى	مِنْ فَضْلِهِ وَفَتَحْتُ كَنْزَهُ

(١) البيتان في أعيان العصر والوافي .

(٢) ترجمة الأمير سيف الدِّينِ تَنْكُز ، نائب السُّلْطَنَةِ بِالشَّامِ ؛ فِي الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ١٠/٤٢٠ وَفِيهِ مَصَادِرُ تَرْجُمَتِهِ .

(٣) الرِّسَالَةُ - شِعْرًا وَنَثْرًا - فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ .

فَاللَّهُ يَخْرُسُ مَجْدُهُ وَيُذِيْمُ لِّلْآدَابِ عِزَّهُ
يُقَبِّلُ الْأَرْضَ ، وَيَصِفُ شَوْقَهُ الَّذِي شَقَّ الْجَوَائِحَ ، وَجَرَحَ الْجَوَارِحَ ، وَمَلَأَ
الْفُؤَادَ فَوَادِحَ ؛ وَيَذْكُرُ حَنِينَهُ الَّذِي شَغَلَهُ عَنْ ذَاتِهِ ، وَأَذْهَلَهُ حَتَّى عَنْ تَمَنِّيِ اللَّقَاءِ
وَلَذَاتِهِ ، وَنَعَصَ صَفْوَ عَيْشِهِ [٧١ ب] بِالْبُعْدِ ، وَهَذِهِ أَحْسَنُ حَالَاتِهِ .

وَيُنْهِي وَرُودَ الْمِثَالِ الْكَرِيمِ ، فَتَلَقَّى مِنْهُ أَكْرَمَ وَارِدٍ ، وَحَوَى مِنْ أَلْفَاظِهِ الْغُرَّ
مَصَائِدَ الشَّوَارِدِ ، وَشَافَهُهُ مِنْهَا أَلْسُنُ عَتَبٍ لَهَا فِي الْقَلْبِ وَقَعُ الشُّيُوفِ ، وَإِنْ
كَانَتْ فِي فَصَاحَتِهَا مِثْلُ الْمَبَارِدِ ، وَأَضْرَمَتْ فِي الْحَشَا نِيرَانًا لَهَا الزَّفَرَاتُ دُخَانُ
وَالضُّلُوعُ الْمَحْنِيَّةُ مَوَاقِدُ ؛ فَقَابَلَهَا بِأَعْذَارِهِ الْمُتَلَفِّقَةِ ، فَقَالَتْ حَرَارَةُ تِلْكَ
السُّطُورِ : دَعْنَا مِنْ عَذْرِكَ الْبَارِدِ ؛ وَنَظَرَ مِنْ تِلْكَ الْحُرُوفِ الْمُنَظَّمَةِ إِلَى نُونَاتِ
كَانَهَا بَرَاثِنُ الْأُسُودِ ، وَإِلَى مِيمَاتِ كَانَهَا عُيُونُ الْأَسَاوِدِ : [من الكامل]

فَكَأَنَّ ذَاكَ الطَّرْسَ أَصْبَحَ سَلَّةَ الْـ حَاوِي وَهَاتِنِكَ السُّطُورُ أَفَاعِيَا
ثُمَّ إِنَّ الْمَمْلُوكَ كَابَرَ نَفْسَهُ ، وَقَالَ : رُبَّمَا تَصَحَّفَ عَلَيْهِ مَا تَصَفَّحَ ، وَتَرَجَّيَ
أَنْ يَكُونَ هَذَا الْقَدْرُ هُوَ الَّذِي تَرَجَّجَ ، وَجَانَسَ بَيْنَ إِسَاءَتِهِ وَعُظْفِهِ ، فَذَاكَ تَرْتَمَ ،
وَهَذَا تَرَجَّجَ : [من مجزوء الكامل]

وَيَذُلُّ هَجْرُهُمْ عَلَى أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِهِمْ
وَعَلَّلَ نَفْسَهُ بِقَوْلِ الْآخِرِ : [من الوافر]

..... وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ^(١)

وقال : هذا هو العتبُ المحمودُ العواقبُ ، وهذا التأديبُ الذي يعقُبُ

(١) الشطر بلا نسبة في التذكرة الحمدونية ٣٣/٥ . وتمامه في التمثيل والمحاضرة ٤٦٥ ؛ وهو لعلي بن
الجهم ، في بهجة المجالس ٧٢٦/١ وليس في ديوانه :
إِذَا ذَهَبَ الْعِتَابُ فَلَيْسَ وَدُّ وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ

الرَّضَى وَلَا يُعَاقِبُ ، وَقَدْ عَادَ الْمَمْلُوكُ إِلَى صَوْبِ الصَّوَابِ ، وَتَضَرَّعَ مِنْ تِلْكَ
السُّطُورِ عَلَى عَتَبَاتِ الْعِتَابِ ، وَظَنَّ أَنَّهَا فُتِنَ ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾
[ص : ٢٤] : [من الوافر]

وهذا الذَّنْبُ أَوَّلُ كُلِّ ذَنْبٍ وَآخِرُهُ إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ
فَلْيَغْفِرْ مَوْلَانَا لِلْمَمْلُوكِ هَذِهِ الْهَفْوَةُ ، وَلْيُقِلِّهِ عَثْرَةَ هَذِهِ الْخُطْوَةِ الَّتِي لَمْ يَلْتَقِ
فِيهَا حُطْوَةً ، وَاللَّهُ يُمَتِّعُ الْعُيُونَ وَالنَّفُوسَ بِجَمَالِهِ وَجَلَالِهِ ، وَيَزِينُ الْوُجُودَ
بِمَحَاسِنِهِ الَّتِي يَخْجَلُ مِنْهَا الْبَدْرُ فِي كَمَالِهِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مِنْ دِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ ، وَأَنَا بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ سَنَةَ
٧٣٢ (١) : [من الكامل]

ذَكَرْتُ قَلْبِي حِينَ شَطَّ مَزَارُهُمْ	بِهِمْ فَنَابَ عَنِ الْجَوَى تَذْكَارُهُمْ
وَبَكَى فُؤَادِي وَهُوَ مَنْزِلُ حُبِّهِمْ	وَأَحَقُّ مَنْ يَبْكِي الْأَحَبَّةَ دَارُهُمْ
وَتَخَلَّقَ الْجَفْنُ الْهَمُولُ كَأَنَّمَا	لَمَحْتُهُ عِنْدَ غُرُوبِهِمْ أَنْوَارُهُمْ
وَذَكَرْتُ عَيْنِي عِنْدَ عَيْنِ فِرَاقِهِمْ	لَمَّا أَثَارَتْ لَوْعَتِي أَثَارُهُمْ
تَذْرِي الدُّمُوعَ عَلَيْهِمْ وَكَأَنَّهُمْ	زَهَرُ الرُّبَا وَكَأَنَّهَا أَمْطَارُهُمْ
وَيَبُلُّ مِنْ حَالِي الْعَوَاضِلُ رَحْمَةً	لَمَّا بَكَيْتُ وَمَا الْأَيْنُ شِعَارُهُمْ
وَيَنْحِ الْمُحِبِّينَ الَّذِينَ بُوْدُّهُمْ	قُرْبُ الْمَزَارِ وَلَوْ نَأَتْ أَعْمَارُهُمْ
فَقَدُّوا خَلِيلَهُمُ الْحَبِيبَ فَأَذْكَيْتُ	بِالشُّوقِ فِي حَطَبِ الْأَضَالِعِ نَارُهُمْ
مَوْلَى تَقَلَّصَ ظِلُّ أُنْسٍ مِنْهُ عَن	أَصْحَابِهِ فَاسْتَوْحَشَتْ أَفْكَارُهُمْ
كَمْ رَاقَهُمْ يَوْمًا بِرُؤْيَا وَجْهِهِ	مَا لَا يَرَوْفُهُمْ بِهِ دِينَارُهُمْ
وَلَكَمْ بَدَتْ أَسْمَاعُهُمْ فِي حِلْيَةٍ	مِنْ لَفْظِهِ وَكَذَا غَدَتْ أَبْصَارُهُمْ

(١) القصيدة في أعيان العصر ، والوافي ، والفوات . والأوَّل والثاني فقط في الدرر الكامنة .

كَانُوا بِصُحْبَتِهِ اللَّذِيذَةُ رُتَعَا
يَتَنَافَسُونَ عَلَى دُنُو مَزَارِهِ
لَا غَيْبَ الرَّحْمَنُ رُؤْيَا وَجْهِهِ
وَجَلَا ظِلَامَ بِلَادِهِمْ مِنْ بَعْدِهِ
يَا سَيِّدَا لِي لَمْ تَزَلْ تُقْتِي بِهِ
أَصْرَمْتُ حَبْلَ مَوَدَّتِي وَلِصُحْبَتِي
أَمْ تِلْكَ عَادَاتُ الْقُلَى أَجْرَيْتَهُمَا

● فكتبْتُ أنا الجوابَ إليه^(١) : [من الكامل]

أَذْنَاهُمْ مِنْ صَبَّهِمْ تَذْكَارُهُمْ
مِضْرٍ بِقَلْبِ الصَّبِّ تُوقَدُ نَارُهُمْ^(٢)
عَنْ كَاسِهِمْ وَكَفَّتُهُمْ أَنْبَارُهُمْ
طَرِبُوا لَهُ وَتَعَطَّلَتْ أَوْتَارُهُمْ
لَمْ تَبْقَ أَنْجُمُهُمْ وَلَا أَقْمَارُهُمْ
وَهُمْ الشَّمُوسُ إِذَا أَسْتَبَانَ نَهَارُهُمْ
وَتَرَفَعَتْ مِنْ فَوْقِهَا أَقْدَارُهُمْ
أَنْوَارُهُمْ وَتَوَقَّذَتْ أَنْوَارُهُمْ
مِنْهَا تُدَارُ عَلَى الْأَنَامِ عُقَارُهُمْ
مَا زَهْرُهُمْ فِي اللَّيْلِ أَوْ أَزْهَارُهُمْ
لَوْ رَامَهُ الْأَصْحَابُ طَالَ عِثَارُهُمْ
حَتَّى تُقَرَّ لِصَفْوِهِ أَكْدَارُهُمْ

أَفْدَى الَّذِينَ إِذَا تَنَاءَتْ دَارُهُمْ
فِي جَلْقِ الْفَيْحَاءِ مَنْزِلُهُمْ وَفِي
قَوْمٍ بِذِكْرِهِمْ النَّدَامَى أَعْرَضُوا
وَإِذَا الثَّنَاءُ عَلَى مَحَاسِنِهِمْ أَتَى
وَإِذَا هُمْ نَظَرُوا لِحُسْنِ وُجُوهِهِمْ
فَهُمُ الْبُدُورُ إِذَا أَذْلَهُمْ ظِلَامُهُمْ
دَنَتْ التُّجُومُ تَوَاضَعًا لِمَحَلِّهِمْ
وَبِكْفِهِمْ وَبِوَجْهِهِمْ كَمْ قَدْ هَمَّتْ
أَهْدَى جَمَالُهُمْ إِلَيَّ تَحِيَّةً
أَفْقَ وَرَوْضٍ فِي الْبَلَاغَةِ فَهِيَ إِمْدٌ
لَكَ يَا جَمَالَ الدِّينِ سَبَقَ فِي الْوَفَا
وَتَوَدَّدَ مَا زَالَ يَصْفُو وَرَدُّهُ

(١) القصيدة في أعيان العصر ، والوافي ، والفوات .

(٢) في م : × . . . بقلب القلب . . .

وَفَضَائِلُ تُبْقِي لِقَوْمِكَ سُودَدًا
يا ابْنَ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ فَشَأْنُهُمْ
قَوْمٌ إِذَا جَاؤُوا إِلَى شَأٍ الْعُلَا
صَانُوا وَزَانُوا بِالْيِرَاعِ مُلُوكُهُمْ
مَا مِثْلُهُمْ فِي جُودِهِمْ فَلِذَاكَ قَدْ
مَا فِي الزَّمَانِ حُلَى عَلَى أَعْطَافِهِ
تَتَعَلَّمُ النَّسَمَاتُ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ
وَلِفَضْلِهِمْ مَا ابْنُ الْفِرَاتِ يَعُدُّ فِيهِ
وَحِمَاهُمْ يَحْمِي النَّزِيلَ بِرَبْعِهِ
بِالرَّغْمِ مِنِّي إِنْ بَعُدْتُ وَلَمْ أَجِدْ
لَوْ كَانَ يُمَكِّنُنِي وَمَا أَحْلَى الْمُنَى
وَيَحَ النَّوَى شَمَلَ الْأَجَبَةِ فَفَرَّقْتُ

حَسَنَتْ بِهَا بَيْنَ الْوَرَى آثَارُهُمْ
صِدْقُ الْمَوَدَّةِ وَالْوَفَاءِ شِعَارُهُمْ
سَبَقُوا إِلَيْهِ وَلَمْ يُشَقَّ غُبَارُهُمْ
أَسْوَارُهُمْ مِنْ كُتْبِهِمْ وَسِوَارُهُمْ
عَزَّتْ نَظَائِرُهُمْ وَهَانَ نَضَارُهُمْ
إِلَّا مَاثِرُهُمْ بِهِ وَفَخَارُهُمْ
وَتَنُوبُ عَنْ زَهْرِ الرُّبَا أَشْعَارُهُمْ
هَ قَطْرَةٌ لَمَّا تَمُدُّ بِحَارُهُمْ
مِنْ جَوْرِ مَا يَخْشَى وَيُمنَعُ جَارُهُمْ
ظِلًّا تُفَيِّضُهُ عَلَيَّ دِيَارُهُمْ
مَا غَابَ عَنِّي شَخْصُهُمْ وَمَزَارُهُمْ
فَمَتَى يُفَكُّ مِنَ الْبِعَادِ إِسَارُهُمْ

يُقَبَّلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي بَعْدَ وَصْفِ أَشْوَاقِهِ الَّتِي تَتَرَادَفُ بُعُوثُهَا ، وَتَنْبَعِثُ
بِهَا^(١) مِنَ الدُّمُوعِ سُحُبُهَا وَغُيُوثُهَا ، وَتَتَصَافَرُ عَلَى الْفُؤَادِ الْمَغْلُوبِ أَسَاوِدُهَا
وَأَسْوَدُهَا ، وَإِذَا رَاعَيْتَ السَّجْعَ قُلْتُ : وَلِيُوثُهَا : [مِنْ الْبَسِيطِ]

وَمَا فُؤَادِي مُشْتَاقًا بِمُفْرَدِهِ بَلْ كُلُّ غُضْرٍ إِلَى لُقْيَاكَ يَشْتَاقُ^(٢)
وَرُودَ الْمُشْرِفِ الْعَالِي ، مُشْتَمِلًا عَلَى تِلْكَ الْأَبْيَاتِ ، بَلْ عَلَى الْقُصُورِ ،
سَكَنَتْهَا حِسَانُ مَعَانِيهِ الَّتِي هُنَّ لَهُ طَائِعَاتٌ ، وَعَلَى غَيْرِهِ أَبْيَاتٌ ؛ فَوْقَ الْمَمْلُوكِ
لَهَا وَاسْتَوْقَفَ ، فَأَتَيْنِ الْجَمْعُ عَلَيْهَا وَثَنُوا إِلَيْهَا الْأَعْنَةَ ، وَبَكَى وَاسْتَبَكَى ،
فَاسْتَخْرَجَ لَهَا خَبَايَا الدُّمُوعِ ، لِأَنَّهَا كَانَتْ مَطِيَّةً إِلَى تِلْكَ الْمَطِيَّةِ ، وَذَكَرَ الْحَبِيبَ

(١) « بها » ساقطة من أ . وفي م : وتنبعث بالدموع . . .

(٢) في ب : وما أراني . . . × ! . وفي م : × . . . مشتاق .

وهو مَوْلَانَا ، [٧٢ب] والمَنْزِلَ وهو دِمَشْقُ ، فَقِيلَ : مَعْدُورٌ مَن ذَكَرَ رِضْوَانَ
وَالْجَنَّةَ : [من الطويل]

وَمَنْ فَارَقَ الْأَخْبَابَ وَالذَّارَ وَالْهَوَى يَحِقُّ لَهُ أَنْ تَعْذِرُوهُ وَتَرْحَمُوا^(١)
وعلى ذِكْرِ دِمَشْقِ الْمَحْرُوسَةِ ، فَحَيَّا اللَّهَ وَجْهَهَا الَّذِي يُسْفِرُ عَنْ طَلْعَةِ
الْقَمَرِ ، وَرَعَى اللَّهَ عُهْدَهَا الَّتِي مَا تَرَكَتْ بَعْدَهَا لِلْغَرِيبِ مِنْ وَطَنِ وَلَا وَطَرٍ ؛
وَحَفِظَ اللَّهَ تُرْبَتَهَا الَّتِي تُطَاوِلُ الزُّهْرَ فِي الْأَفْقِ بِمَا تُنْبِتُهُ فِي الرُّوضِ مِنَ الزَّهْرِ ،
وَسَقَى اللَّهَ رُبُوعَهَا صَوْبَ السَّحَابِ ، وَإِنْ كَانَتْ مَعَ دُمُوعِ النَّازِحِ عَنْهَا لَا تَحْتَاجُ
إِلَى سُقْيَا الْمَطَرِ^(٢) : [من الطويل]

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دَارَمِي عَلَى الْبِلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجَرَعَائِكَ الْقَطْرِ
وَيَعُودُ الْمَمْلُوكُ إِلَى ذِكْرِ الْمُشْرِفِ الْعَالِي ؛ فَيَا اللَّهَ مِنْ فَضَائِلِ مَوْلَانَا ، كَمْ
لَهَا مِنْ مُعْجَزٍ فِي الْبَيَانِ ، وَتَرْكِيبِ أَلْفَاظٍ يَشُدُّ بَعْضُهَا بَعْضًا كَالْبَنَانِ ، أَوْ كَمَا جَاءَ
كَالْبُنْيَانِ ، وَسِحْرِ مَعَانٍ هُوَ بِمُفْرَدِهِ عَلَيْهَا مُعَانٌ ، فَحَقِيقٌ بِأَنْ تَكُونَ مُشْرِفَاتُ
مَوْلَانَا لِيُدَوِّرَ الْأَدَبَ تَمَامًا ، وَلِبْنِيهِ تَمَائِمٌ ، وَتُصْبِحَ طُرُوسُهُ رِيَاضًا ، لِأَنَّ
السُّطُورَ جَدَاوِلَ وَالْأَلِفَاتِ غُصُونٌ وَالْهَمْزَاتِ حَمَائِمٌ^(٣) : [من الخفيف]

أَيْنَ زَهْرُ الرِّيَاضِ وَهُوَ إِذَا مَا طَالَ عَهْدًا بِالْغَيْثِ عَادَ هَشِيمًا
مِنْ قَوَافٍ كَأَنَّمَا الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ سُرُ سَنَاهَا زَانَ الظَّلَامِ الْبَهِيمَا^(٤)
وَاللَّهُ يُمْتِعُ بِفَوَائِدِ مَوْلَانَا الْجَمَّةِ ، وَيُقَرِّرُ الْعُيُونَ مِنْ كُتُبِهِ بَيَاضِهَا وَسَوَادِهَا ،
فَمَا كُلُّ بَيِّضَاءٍ شَحْمَةٌ ، وَلَا كُلُّ سَوْدَاءٍ فَحْمَةٌ ؛ بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) في ب : × . . . أَنْ يَعْذِرُوهُ وَيَرْحَمُ . وفي م : ومن ذكر . . . × .

(٢) البيت لذي الرُّمَّةِ ، وقد مضى .

(٣) البينان بلا نسبة في نفح الطيب ٧٨/١ .

(٤) في م : . . . كَأَنَّمَا . . . × .

● وكتب هو إليّ الجواب أيضاً ، وأنا بالقاهرة المحروسة^(١) : [من الخفيف]

سَارَ دَمْعِي مِنْي إِلَيْكَ رَسُولًا
وَفُؤَادِي اسْتَقَرَّ إِذْ أَنْتَ فِيهِ
وَنَسِيمُ الصَّبَا تَحَمَّلَ مِنْ وَضْ
فَاسْتَمِعَ مَا يُثْلِي النَّسِيمُ بِعِلْمٍ
تَرَكَ الْقَلْبَ فِي الْأَصَالِ عِظْمًا
وَقَمِصُ الْكَرَى مُزَّقٌ فَإِنْ زَا
حَبَّذَا قُرْبُكَ الَّذِي كَانَ أَنْدَى
وَلِيَالٍ كَمْ غَاوَلَ الطَّرْفُ مِنْ أَنْ
وُئِدَامٍ كَأَنَّهَا لَوْنُ دَمْعِي
كَأْسُهَا فِي الدُّجَى تَبَدَّى شَهَابًا
فَتَهَدَّيْتُ لِلشُّرُورِ بِرُؤْيَا
كَمْ رَكِبْنَا لَهَا سَوَابِقَ لَهْوٍ
قَرَّبَ اللَّهُ عَهْدَهَا مِنْ لِيَالٍ
أَتَلَطَّيْ جَوَى وَفَرَطَ حَنِينٍ
وَإِذَا مَا احْتَرَفْتُ شَوْقًا فَقَوْلِي
يَا صَلاحَ الدِّينِ الَّذِي فَسَدَ الْعَيْنُ
قَدْ أَتَيْتَنِي أَبْيَانُكَ الْعُرَى تَحْكِي
أَوْ نَبَاتُ الرُّبَا يُصَافِحُهُ الْقَطْ
فَتَذَكَّرْتُ مِنْكَ جُودًا عَمِيمًا

حِينَ أَخَلَيْتَ رَبْعَهُ الْمَأْهُولَا
يَتَرَاءَاكَ بُكْرَةً وَأَصِيلَا
فَبِاشْتِيَاقِي فِيهِ حَدِيثًا طَوِيلَا
عَنْ غَرَامِي إِذْ كَانَ مِثْلِي عَلِيلَا
فَيُسْقِيهِ الْاِشْتِيَاقُ غَلِيلَا
رَخِيَالٌ وَصَلَّتُهُ تَوْصِيلَا
فِي فُؤَادِي مِنَ النَّسِيمِ بَلِيلَا
سِكَ فِي جُنْحِهِنَّ وَجْهًا جَمِيلَا
عِنْدَمَا أَرْمَعَ الْحَبِيبُ رَحِيلَا
وَكَسَا الْمَرْجُ رَأْسَهَا إِكْلِيلَا
هُ وَإِنْ كَانَ لِلْهُدَى تَضْلِيلَا
كَانَ جَرَسُ الْغِنَاءِ فِيهَا صَهِيلَا
لَمْ أَكُنْ لَا قَتْرَابِهِنَّ مَلُولَا
إِنْ تَذَكَّرْتُ ظِلُّهُنَّ الظَّلِيلَا
لَيْتَ لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلَا^(٢)
شُ لَنَا مُذْ نَأَى وَسَاءَ مَقِيلَا
نَسَمَاتِ الصَّبَا تَجُرُّ ذُيُولَا
[٧٣] رُفِيعُودُ (رَطَبَ الْحَيَا مَصْقُولَا
وَمُحَيَّا طَلَقًا وَفَضْلًا فَضِيلَا

(١) القصيدة في أعيان العصر .

(٢) من قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَتَنِي لَرَأَيْتُ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ [الفرقان : ٢٨] .

وَرَأَيْتُ الشُّطُورَ تَحْكِي لِيَالِي الْ (قُرب) حُسْنًا وَرِقَّةً لَا طُلُولًا^(١)
حَبَا عَهْدُهُنَّ وَالْعَيْشُ فِيهِ إِذْ أَنَا مَالِكٌ إِلَيْهِ الْوُصُولَا
كُنْتُ أَجْنِي ثِمَارَ أَنْسِكَ فِيْهِنَّ - مِنْ فَبَدَّلْتُ بِالنَّوَى تَبْدِيلَا
وَيُنْهِي بَعْدَمَا غَرَّتْهُ بِتَحْيِيلِ الْقُرْبِ أَفْكَارُهُ ، وَأَغَرَّتْهُ مِنْ حُلَلِ^(٢) الْمَدَامِغِ رُسُلُ
النَّوَى وَقَدْ كُنَّ شِعَارُهُ ، وَأَخْرَقَتْ الطَّرْفَ نَارَ الشَّوْقِ إِلَى خَلِيلِهِ وَخَلِيلُ جَارُهُ ؛
وَرُودَ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ ، الَّذِي حَلَّ فِي الْقَلْبِ مَهَابَةً كَانَتْ وَحُسْنُهَا كَرِيمٌ ، وَقُوبَلَ
فِي الْحَالَتَيْنِ بِغَايَةِ الْإِجْلَالِ وَالتَّكْرِيمِ ، فَتَقَلَّدَ الْمَمْلُوكُ مِنْ طَرَسِهِ عَقُودًا ،
حُرُوفُهَا دُرُرُهَا ، وَهَضَرَ مِنْ سَطُورِهِ غُصُونًا مَعَانِيَهُ زَهْرُهَا ، وَتَحَيَّلَ تِلْكَ الْأَبْيَاتِ
سِرْبَ ظَبَاءٍ ، بِدَلِيلِ أَنَّ مِيمَاتِ الْقَافِيَةِ سُرُرُهَا ، فَيَا اللَّهُ مَا أَلْهَجَ أَلْسِنَةُ الْحَمْدِ
بَوْضْفِهِ ، وَأَلْهَى نَوَاطِرَ الْإِسْتِحْسَانِ بِمَحَاسِنِهِ الَّتِي كَأَنَّ الْيَدَ الْكَرِيمَةَ تَنَاوَلَتْ
طَرَسَهُ مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَمَدَتِ إِلَى خَضْفِهِ ، وَأَهْلًا بِهِ سَابِقًا فِي الْفَضْلِ لَا يُبَارِيهِ
إِلَّا ظِلُّهُ ، وَسَهْمًا قُرْطُسَ فِي مَقْتَلِ الْحَوَادِثِ نَضْلُهُ ، لَقَدْ تَسْلَسَلَ ذَلِكَ مَاءً ،
فَأَوْرَدَ فِكْرَهُ مِنْ مَعِينِهِ ، وَنَصَبَ ذَلِكَ الطَّرْسَ رَايَةً مُجِيدٍ ، فَأَخَّرَ عَنْهَا عَرَابَةَ
وَتَلَقَّاهَا بِيَمِينِهِ^(٣) .

● ^(٤) وَوَقَفَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ تَعَالِيْقِي بِالذِّبَارِ الْمِضْرِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَفِيهَا
حَلٌّ مَنْظُومٌ اقْتَرَحَ عَلَيَّ عَمَلُهُ ، فَكُتِبَ إِلَيَّ :

وَيُنْهِي أَنَّهُ وَقَفَ فِي الْمَجْمُوعِ الْمُبَارَكِ عَلَى بَيْتَي الْبُحْثَرِيِّ ، وَسَرَّحَ نَظْرَهُ
فِيمَا سَمَحَتْ بِهِ الْقَرِيحَةُ الْمُرِيحَةُ مِنْ حَلِّهَا ، فَقَبَّلَ آثَارَ الْيَدِ الَّتِي هِيَ لِلْقَبْلِ قَبْلَةٌ ،

(١) مَا بَيْنَ قَوْسَيْنِ مِنْ ب ، س .

(٢) فِي م : فِي حُلَلِ . . .

(٣) مِنْ قَوْلِ الشَّمَاخِ : [دِيَوَانُهُ ٣٣٦]

(٤) إِذَا مَا رَايَةً رُفِعَتْ لِمَجِيدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةً بِالْيَمِينِ
(٤) بِدَايَةِ سَقَطٍ فِي ب .

وللأَمَلِ إِلَى إِذْرَاكِ النَّجَاحِ سُبُلَةً ، وَلِنَيْلِ النَّفْسِ مَذَاقَ الْأَمَانِيِّ نُجُجٍ ، وَلِلَّيْلِ
النَّفْسِ بِإِشْرَاقِ الْمَعَانِي صُبُحٍ ، وَلِدُرِّ الْكَرَمِ وَبَحْرِ الْكَلِمِ سِيلُكٌ وَمَسْلُكٌ ،
وَلِدَقِيقِ الْمَعَانِي أَمَلِي ، وَلِرَقِيقِ الْأَلْفَاظِ أَمَلُكٌ ؛ فَلَوْ رَأَتْ السَّمَاءُ حُسْنَ كِتَابَتِهَا
لَمَا رَفَعَتْ بِالْجُوزَاءِ رَأْسًا ، وَلَوْ عَلِمَتْ كَفُّ الثُّرَيَّا أَنَّ عَدَدَ أَنَامِلِهَا خَمْسٌ لَكَانَتْ
كَوَاكِبُهَا خَمْسًا ، وَلَوْ وَصَلَ إِلَيْهَا فَمُ الْفَرْقَدِ لَقَبَّلَهَا ، وَلَوْ رَأَى اللَّيْلُ سَوَادَ نِقْسِهَا
لَا سَتَخَفَى فِي تِلْكَ الذَّوَائِبِ الَّتِي أَسْبَلَهَا ، إِذْ هِيَ الْيَدُ الَّتِي تُشِيرُ بِبَاعِهَا إِلَى
الْمُشْتَرَى فَيَغْشَى مِنَ السَّنَا ، وَيَمْتَدُّ نَوْءُ ذِرَاعِهَا إِلَى أَرْضِ الطُّرْسِ فَيَنْبِتُ بِهَا مِنْ
أَزْهَارِ الْمَعَانِي نَبَاتًا حَسَنًا .

فَنَظَرَ الْمَمْلُوكُ إِلَى تِلْكَ الْأَبْيَاتِ وَهِيَ بَأَثَارِهِ مُحَلَّاةُ الْمَحَلِّ ، مُقَوَّاةُ الدَّعَائِمِ
بِمَا اقْتَضَاهُ رَأْيُهُ الْكَرِيمُ فِيهَا مِنَ الْحَلِّ ، قَدْ انْتَبَهَ خَامِلُهَا ، وَتَحَلَّى عَاطِلُهَا ،
وَاشْتَبَهَ بِالْحَقِّ مِنْ كَلَامِ مَوْلَانَا بِاطِلُهَا ، وَلَحَظَتْهَا بِلَاغَةُ مَوْلَانَا وَكَانَ السَّعْدُ إِلَى
حَظِّهَا أَسْرَعَ مِنْ صَدَى صَوْتِ ، وَحَفِظَتْ عَلَيْهَا رَوْنَقَ الْحَيَاةِ بَعْدَ أَنْ كَانَ الدَّهْرُ
قَدْ أَطْلَعَ عَلَيْهَا صُورَةَ الْمَوْتِ ، وَجَعَلَ لِمَا فِيهَا مِنْ كَلَامِ الْأَوَّلِينَ ذِكْرًا فِي
الْآخِرِينَ ، وَأَتَاهَا مِنَ الْإِسْعَادِ بِمَا لَوْ بَشَّرَهَا بِهِ بَشَرٌ لَقَالَتْ : إِنَّكَ لِمِنْ
السَّآخِرِينَ ؛ فَلَوْ عَلِمَ أَبُو عُبَادَةَ بِذَلِكَ لَمَا هَوَّمَ عَلَى عَيْنِهِ ، وَكَبَّلَغَ قَدْرُهُ أَنْ يُخْرِجَ
[٧٣ ب] لَيْثَ الْغَابِ مِنْ خَيْسِهِ ، فَإِنَّهُ مَا كَانَ يَفْرَحُ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِيمَا أَرْسَلَ إِلَيْهِ مِنْ
طَيْفِ الْخِيَالِ لَيْلُهُ الْمُظْلِمُ .

وَلَقَدْ طَرَقَ مَوْلَانَا فِي مَعَانِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مَا لَا طَرَقَهُ مُسْلِمٌ ، وَلَوْ عَلِمَ مُسْلِمٌ
بِذَلِكَ لَتَنَاولَ مِنْ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ قُطُوفًا عَذْبَةً الْمَجَانِي ، وَلَتَلَقَّبَ صَرِيحَ هَذِهِ
الْمَعَانِي لَا صَرِيحَ تِلْكَ الْغَوَانِي .

فَمَنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ فِي اعْتِدَارِيَّةٍ ؛ بِكَلَامٍ أَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَى مَنْ كَانَتْ الْمَعْدِرَةُ
إِلَيْهِ ، وَأَوْضَحَ الْمَحَجَّةَ لِمَنْ سَبَّحِيءٌ فِيمَا بَعْدَ عَلَيْهِ ، وَسِحَرِ الْأَلْفَاظِ خَيْلَ لِلْعَايِبِ

أَنَّهُ هُوَ الْجَانِي ، وَحَصَّهُ عَلَى طَلَبِ الْمَعْدِرَةِ لَوْلَا خَوْفُهُ مِنَ الذَّنْبِ الثَّانِي ، وَدَافَعَ
الْحَقَّ بِبَاطِلِهِ ، وَجَعَلَ الدَّيْنَ عَلَى صَاحِبِهِ كَمَا يُقَالُ لِمَاطِلِهِ : [من الكامل]

فَاللَّفْظُ بَخْرٌ أَنْتَ مَالِكُ طُرْقِهِ وَالتُّنْقُ بَحْثٌ أَنْتَ وَجْهٌ دَلِيلِهِ
لَمْ لَا يُسَاعِدُكَ الْمَقَالُ أَيُصْطَفِي مِنْ أَهْلِ هَذَا الْفَرِّ غَيْرَ خَلِيلِهِ

وَمِنْ ذَلِكَ مَا هُوَ فِي ذِكْرِ لَهَوْتِهِ ؛ قَدْ حَمِدَتْ مَسْرَاهُ الْمَسْرَاتُ فِيهَا مِنْ يَدِهِ
صُبْحَهَا ، وَاعْتَنَقَتْ فِيهَا قُدُودَ الْأَلَامَاتِ وَالْأَلِفَاتِ الَّتِي قَدْ قَرَّرَ أَنْسُهُ صُلْحَهَا ،
وَزَاخَمَ طَرَبُ أَلْفَاظِهِ فِيهَا صَوْتِ الْعِيدَانِ بِالْمَنَاقِبِ ، وَخَيَّلَتْ أَزْهَارُ كِتَابَتِهِ فِي
أَنْهَارِ طَرْسِهَا مَا يَلُوحُ فِي الْمَاءِ مِنْ حَلِيِّ الْكَوَائِبِ ؛ وَبَرَزَتْ فِيهَا أَلْفَاظُهُ مِنْ حُلَلِ
الْمَعَانِي فِي أَنْمَقِ نَمَظٍ ، وَجُلِّيَتْ حَدَائِقُ كِتَابَتِهِ عَرُوساً نَقَطَتْهَا الْأَخْدَاقُ بِحَبَّاتِهَا
لَا عَلَى سَبِيلِ الْعَلَطِ ؛ وَسِخَرُ بَيَانِهَا فِي سَوَادِ النَّقْصِ صِبْغَةَ السَّحَرِ ، وَأَجْرَى
بَنَانُهُ لَوْنَ النَّهَارِ مِنَ الطُّرْسِ فِي نَهَرٍ ، وَلاَحَتْ تِلْكَ الْأَبْيَاتُ كَالْقُصُورِ الْآهَلَةِ
بِالشُّرُورِ ، فَتَطَلَّعَتْ أَبْكَارُ مَعَانِيهِ مِنْ شُرُفَاتِهَا ، وَنَاحَتْ تِلْكَ الْهَمْزَاتُ إِذْ
أَشْبَهَتْهَا فِي تَغْرِيدِهَا حَمَائِمُ الدَّوْحِ عَلَى أَغْصَانِ أَلْفَانِهَا : [من الوافر]

وَخَافَتْ نَارَ فِطْنَتِهِ الْمَعَانِي فَقَالَ لَهَا وَقَدْ أَمِنَ الْكَلَامُ
ثِقِي بِالْأَمْنِ فِيهِ فَذَا خَلِيلٌ يُرَى فِي نَارِ فِطْنَتِهِ سَلَامٌ

وَمِنْ حَزْبِيَّةٍ أَقَامَتْ الْحَزْبَ عَلَى سَاقٍ ، وَأَدَارَتْ الرَّدَى عَلَى الْعِدَى ، وَلَهَا
مِنْ الْمَحَابِرِ كَوَامِنٌ^(١) وَمِنْ الْقَلَمِ سَاقٍ ؛ لَوْ تَجَرَّدَتْ كِتَائِبُ كُتُبِهَا ، مُنِي الْأَعْدَاءُ
مِنْهَا بِمَعَانٍ هِيَ حَقِيقَةُ الْمَوْتِ ، وَلَوْ تَمَرَّدَتْ الْقَوَاضِبُ ، أَرْسَلَتْ عَلَى الْقُورِ
صَوَارِمَ مِنَ الطُّرُوسِ لَا تَخَافُ الْقَوْتَ ، وَلَوْ أَفْسَدَ الزَّمَانُ حَالاً ، أَعَادَ صِلَاحُهَا
مَا أَفْسَدَ ، وَلَوْ اسْتَأْسَدَ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَعُغْلٌ ، بَرَزَتْ مِنْ سَوَادِ نَفْسِهَا وَبَيَاضُ

(١) فِي س : كَوْوس . وَفِي م : أَكُوس .

طَرَسِهَا فِي صُورَةٍ فَهَيْدٍ لَافْتِرَاسٍ مَا اسْتَأَسَدَ ، وَمِنْ وَمِنْ وَمِنْ ، وَبِلَاغَةٍ
مَوْلَانَا^(١) يُشِيرُ إِلَيْهَا الْبَلِغُ إِشَارَةً فَتَى بِالْعَجَزِ عَنِ الْوَصْفِ قِمْنٌ^(٢) : [من

[الخفيف]

فَهَيَّ فِي كُلِّ حَالَةٍ تَبَدَّى
فَعَلْتُ بِالْعُقُولِ مَا تَفْعَلُ الْحَمْدُ
عَزَفُهَا كَالْعَبِيرِ وَالرَّوْضِ لَكِنْ
بَرَزَتْ مِنْ حُرُوفِهَا فِي صُفُوفِ
أَلِفَاتٍ بِهِمْزِهَا تُخْجِلُ الْبَدْ
وَعُيُونُ تَسْبِي اللِّحَاطِ صَحِيحَا
يَا كَرِيمًا بِدُرٍّ لَفْظٍ ثَمِينِ
[١٧٤] فَقُ عَلَى الْبَحْرِ فِي عَطَانِكَ وَافْخَرْ
قَدْ حَلَلْتَ الْأَشْعَارَ بِالنَّثْرِ حَلًّا
وَكَسَتْهَا أَلْفَاظُكَ الْغُرُثُوبَا
وَفَرَزَتْ وَفَدَّ كُلُّ سَعْدٍ عَلَيْهَا
حَفِظَ اللَّهُ لِلْفَضَائِلِ ذَهْنًا
عَجَزَتْ عَنْهُ كُلُّ هِمَّةٍ ذَهْنِ

بِمَعَانٍ تَرُوقُ مَبْنَى وَمَبْدَا
رُ وَشَدَّتْ إِلَى الْمَسَرَّاتِ شَدًّا
هَيَّ مِنْ ذَا وَذَلِكَ أَنْمَى وَأَنْدَى
بُصْنُوفٍ مِنَ الْمَحَاسِنِ تُقْدَى
دَ يَقِينًا وَتُخْجِلُ الْخُودَ قَدًّا
تِ لَهَا فِي رَوْضِ الْكِتَابَةِ أَنْدَا
هُوَ أَجْلَى فِي كُلِّ عَيْنٍ وَأَجْدَى
فَهُوَ أَعْطَى دُرًّا قَلِيلًا وَأَكْدَى
فِي اسْتِغْلَابِ الْعُقُولِ جَاوَزَ حَدًّا
قَدْ حَبَاها عِزًّا وَأَوْرَثَ مَجْدَا
فَتَلَقَّتْ وَفَرًّا عَمِيمًا وَوَفْدَا
مِنْكَ لَمْ يُبْقِ فِي الْإِجَادَةِ جُهْدَا
وَتَصَدَّى كَرُونَقِ السَّيْفِ فَرْدَا

لقد^(٣) بَلَغَتْ أَلْفَاظُ الْمَسَرَّاتِ إِلَى الْقُلُوبِ ، فَأَخَسَّتِ الْبَلَاغُ ، وَبَالَغَ قَلَمُهُ
فِي صَوْنِ الشُّطُورِ بِالْكَلِمِ الْمُتَسَجِّمِ ، فَوَرَدَ طَرَفَ الْمَمْلُوكِ لِلْكَلِمِ مَا سَاغَ وَلِلْقَلَمِ
مَا صَاغَ ؛ فَهَذَا اللَّهُ يَدُهُ الْكَرِيمَةُ إِذْ رَقَّتْ إِلَى سَمَاءِ السَّمَاحَةِ ، وَاسْتَوَلَتْ بِحُسْنِ

(١) نهاية السقط في ب . وجاء فيها : وكتبت أنا إليه ارتجالاً ! ! .

(٢) - (٢) ما بينهما من م فقط .

(٣) بداية سقط النص النثري في ب .

الْكِتَابَةِ عَلَى رَوْضَةِ النُّجُومِ الْمُسَامِحَةِ فِي الْمَسَاحَةِ ؛ فَهِيَ الْيَدُ الَّتِي كَأَنَّمَا ضَرَبَتْ
السَّمَاءَ فَوْقَهَا جِسْرًا لِعُبُورِ السَّحَابِ عَلَى أَمْوَاهِهَا ، وَكَأَنَّمَا مَسَحَتْ أَوْجُهُ دُحُمِ
الْلَّيْلِ ، فَاتَّزَتْ تِلْكَ الْغُرُورُ مِنَ الصَّبَاحِ فِي جِبَاهِهَا^{(١)(٢)} : [من البسيط]

يَدٌ عَهْدَتْكَ لِلتَّقْيِيلِ تَبْسُطُهَا فَتَسْتَقِيلُ الثَّرِيًّا أَنْ تَكُونَ فَمَا
انْتَهَى الْمَمْلُوكُ إِلَى هُنَا ، وَالنَّجْمُ قَدْ أَغْفَى بِغَيْرِ نُعَاسٍ ، وَالثَّرِيَّا قَدْ سَقَطَ
إِلَى الْغَرْبِ مَا كَانَتْ مُعَلَّقَةً فِيهِ مِنَ الْأُمَرَّاسِ ، وَالصُّبْحُ قَدْ قَدَحَ فِي أَسَارِيرِ الْجُنْحِ
شَرًّا ، وَالْأَفَقُ قَدْ أَهْدَى مِنَ النَّهَارِ كَافُورًا وَاسْتَرَدَّ مِنَ اللَّيْلِ عَنَبَرًا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى
يُسَكِّنُ بِوُجُودِهِ قَطَرَ عِبَرَاتِ الْفَضْلِ الَّذِي غَلَبَهُ الدَّهْرُ عَلَى السَّلْبِ ، وَيَصُونُ
بِجُودِهِ قَطَرَاتِ اللَّفْظِ الَّتِي إِذَا وَضَعَهَا حَامِلٌ قَلَمِهِ نَادَتْهَا الْقَرَائِحُ^(٣) : [من البسيط]
يَا أُخْتَ خَيْرِ أَخٍ يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبٍ [كِنَايَةٌ بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ]
بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ^(٤) .

● فَكُتِبَتْ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ :

أُقْسِمُ بِكَلِمَاتِ مَوْلَانَا الَّتِي مَا لَهَا مِثْلٌ عَلَى تَكَاثُرِهَا فِي الْعَصْرِ ، وَبِمَعَانِيهَا
الَّتِي تَغَرَّدَتْ بِالْجَمَالِ فَلَا جَمْعَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مُحَدَّرَاتِ الْقَصْرِ ، وَبِسُطُورِ أَلْفَاظِهَا
الَّتِي هِيَ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالْأَغْصَانِ ذَوَاتِ الْهَضَرِ ، وَبِطَلَاوَةِ تَرَكِيبِهَا الَّتِي تَبَّتْ يَدَا
مُجَارِيهَا وَفَازَتْ هِيَ بِالنَّصِّ عَلَى النَّصْرِ ، وَبِأَنْسِجَامِ عِبَارَاتِهَا الَّتِي طَارَتْ حَمَائِمُ
هَمْزَاتِهَا السَّاجِعَةِ وَرَمَتْ غَيْرَهَا بِالْحَصْنِ وَالْحَصْرِ ؛ لَقَدْ جَلَّ مَوْلَانَا فِي حَلَبَةِ

(١) من قول ابن نباتة السعدي : [معاهد التنصيص ٣/ ٧٢ و ٤/ ٢٠٥]

وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ فَاقْتَصَّ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْسَائِهِ

(٢) البيت لابن اللبابة الداني ، من قصيدة في وفيات الأعيان ٥/ ٣٨ .

(٣) البيت للمنتبي ، في ديوانه ١/ ٨٦ .

(٤) من م .

الْفَضْلُ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ جَلَّى ، وَسَابَقَ فُحُولَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ حَتَّى سَلَّمَ كُلُّ لَهُ
الْفَضْلَ عِنْدَمَا صَلَّى : [من البسيط]

أَنْتَى يُجَارِيهِ فُزْسَانُ الْكَلَامِ وَمِنْ غُبَارِهِ فِي هَوَادِيهِنَّ مَا نَفَضُوا
فَابْنُ زَيْدُونَ عِنْدَ بَلَغَتِهِ مَنْسُوبٌ إِلَى النَّقْصِ ، وَصَاحِبُ « الْأَغَانِي » عِنْدَ
اطِّلَاعِهِ يَهْتَرُ بِالطَّرَبِ وَالرَّقْصِ ، وَابْنُ بَسَّامٍ قَطَبٌ مِنْ حَسَدِهِ وَعَبَسَ ، وَالْمِيدَانِيُّ
كَفَّ عِنَانَهُ عَنْ مُجَارَاتِهِ وَحَبَسَ ، وَالْقَالِي رُمِيَّ عِنْدَ أَلْفَاظِهِ بِالْعِيِّ وَالْخَرَسِ ،
وَابْنُ الْأَثِيرِ ^(١) مِنْ حَلِّ نَظْمِهِ أَصْبَحَ فِي الْحَضِيضِ ، وَابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ^(٢) مِنْ
فَصَاحَتِهِ بَعْدَ قُوَاهُ أَصْبَحَ وَهُوَ مَهِيضٌ ، وَابْنُ عُمَيْرَةَ ^(٣) أَمَسَتْ أَبْيَاتُ نَظْمِهِ وَهِيَ
خَرَابٌ ، وَأَبُو بَخْرٍ ^(٤) غَدَتْ قَصَائِدُهُ إِذَا التَّمَحَّهَا الظَّمَانُ مِثْلَ السَّرَابِ ؛ وَلَعُمْرِي
إِذَا كَانَ مَوْلَانَا بِهِذِهِ الْمَثَابَةِ ، فَقَدْ نَفَخَ مِنَ الْمَمْلُوكِ فِي غَيْرِ ضَرَمٍ ، وَطَافَ مِنْ
أَرْكَانِ إِنْشَائِهِ بِغَيْرِ حَرَمٍ : [من البسيط]

لَطَفْتَ رَأْيِكَ فِي بَرِّي وَتَكْرِمَتِي [٧٤ب] إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْعَلِيَاءِ مُحْتَالٌ
وَلَا بَدْعَ فِيمَا أَتَيْتَ ، فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ كُلِّ مِنْهُمْ كَرِيمٌ وَكَاتِبٌ ، وَذُو فَضْلٍ
يَصْبُحُ الْمُتَعَلِّقُ بِهَذَا الْفَرْقِ وَهُوَ رَاتِعٌ فِي جُودِهِ الرَّائِبِ : [من الطويل]
لِيَهْنِكُمْ يَا آلَ غَانِمٍ تَبَعَةٌ لَهَا فِي رِيَاضِ الْفَضْلِ بِالْمَجْدِ أُنْمَاؤُ

(١) هو نصر الله بن محمد بن محمد ، أبو الفتح ، الجزري الكاتب ؛ توفي سنة ٦٣٧ هـ . (مسالك الأَبصار ١٢/٢٦٩) .

(٢) هما اثنان : عز الدين ، عبد الحميد بن هبة الله المدائني ، توفي سنة ٦٥٥ هـ . (مسالك الأَبصار ١٢/٣١٨) .

وأخوه : موفق الدين ، القاسم بن هبة الله المدائني ، توفي سنة ٦٥٦ هـ . (مسالك الأَبصار ١٢/٣٢٣) .

(٣) هو أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي ، صاحب كتاب « بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس » ، المتوفى سنة ٥٩٩ هـ . (مقدمة كتابه) .

(٤) أبو بحر ، صفوان بن إدريس بن إبراهيم التجيبي الأندلسي ، من أهل مرسية ، صاحب كتاب « زاد المسافر » ؛ توفي سنة ٥٩٨ هـ . (مقدمة كتابه) .

جَمَالٌ لِأَهْلِ الْعَصْرِ حَازَ مَنَاقِبًا تَرَوْقُ لَدَى الْأَسْمَاعِ مِنْهُنَّ أَسْمَارُ
تَطَوُّفٌ عَلَى الْأَسْمَاعِ كَاسَاتُ لَفْظِهِ فَيَخْصُلُ لِلْأَلْبَابِ مِنْهُنَّ إِشْكَارُ
وَيَخْلُبُ عَقْلَ الْمَرْءِ سِحْرُ بَيَانِهِ وَمَا كُلُّ مَنْ عَانِيَ الْمَعَانِيَ سَحَارُ
وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا سَمَاءٌ فَضَائِلُ مُحَاسِنُهُ فِيكُمْ شُمُوسٌ وَأَقْمَارُ
فَاللَّهُ يُمْتَنِعُ الْوُجُودَ بِفَضَائِلِهِ ، وَيَنْقُلُ إِلَى السَّمَاتِ السَّحَرِيَّةِ شَمَائِلَ لُطْفِهِ
وَلُطْفَ شَمَائِلِهِ ، وَيَجْبُرُ صَدْعَ الْأَدَبِ بِفَضَائِلِهِ الْبَاهِرَةِ ، وَيُحَلِّي عَظْلَ الْأَدَابِ
مِنْ خَطِّهِ وَخِطَابِهِ بِالْعُقُودِ الْفَاخِرَةِ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ (١) .

● وَكُتِبَ إِلَيَّ وَقَدْ مَرَضَ فُلَمِ أَعْدَهُ (٢) : [من الكامل]

مَوْلَايَ كَيْفَ كَسَرْتَنِي فَهَجَزْتَنِي عِلْمًا بِأَنِّي كَيْفَ كُنْتُمُ رَاضِي
أَوْ قُلْتَ إِنِّي لَا أَعُودُ مُمَرَّضًا ظَنًّا بِأَنِّي لَا مَحَالَةَ مَاضِي

● فَكُتِبْتُ الْجَوَابَ إِلَيْهِ (٣) : [من الكامل]

أَرْسَلْتَهَا مِثْلَ السَّهَامِ مَوَاضِي نَفَذْتُ مِنَ الْأَعْرَاضِ فِي أَغْرَاضِي
فَأَنْتَ وَعَيْبُكَ قَدْ تَخَلَّلَ لَفْظُهَا مِثْلَ الْأَفَاعِي بَيْنَ زَهْرِ رِيَاضِي
دَعْنِي مِنَ الْجَبَرُوتِ أَوْ مِنْ أَهْلِهِ لَا تَجْعَلَنَّ سَوَادَهُمْ كِبْيَاضِي
حَاشَاكَ أَنْ تَمْضِي وَسَعْدُكَ قَدْ غَدَا مُسْتَقْبَلًا فِينَا وَأَمْرُكَ مَاضِي (٤)

٤٦ * عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ (٥) :

الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْفَاضِلُ ، الْفَقِيهُ ، الْأَدِيبُ ، تَقِيُّ الدِّينِ الْحَنْبَلِيُّ .

(١) نهاية السقط في ب .

(٢) البيتان في أعيان العصر والوافي .

(٣) الأبيات في أعيان العصر والوافي .

(٤) سقط البيت من ب .

(٥) ترجمته في : الدرر الكامنة ٢ / ٢٧٠ .

- ولادته سنة ٦٨١ هـ . ووفاته سنة ٧٥٧ هـ .

- سقطت هذه الترجمة بكاملها من س .

● كَتَبَ إِلَيَّ وَقَدْ عَمِلَ نُسخَةَ صَدَاقٍ ، فَعَابَ ذَلِكَ عَلَيْهِ بَعْضُ النَّاسِ ،

فَبَعَثَ بِالنُّسخَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَمَعَهَا : [من البسيط]

مَاذَا يُجَاوِبُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ
وَمَنْ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَقْطَارِ قَاطِبَةً
وَمَنْ بِهِمْ يُفْتَدَى فِي عَصْرِنَا وَهُمْ
كُفَيْتُمْ شَرَّ ذِي جَهْلٍ وَذِي حَسَدٍ
هَلْ هَذِهِ خُطْبَةٌ مِمَّنْ حَوَى أَدَبًا
أَوْ جَاهِلٍ مَا لَهُ عِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ
أَوْ هَلْ تَسْرُونَ بِهَا عَيْنًا يُدَنَّسُهَا
وَهَلْ إِذَا اتَّحَدَّثَ أَشْجَاعُهَا فَتَرَى
أَوْ هَلْ بِهَا مِنْ مَعَانٍ لَا تَلِيْقُ بِهَا
بِمَا تُجَيِّسُونَهُ فِيهَا فَقَدْ كَثُرَتْ
بَعْضُ يَقُولُ : بِهَا عَيْبٌ ، وَبَعْضُهُمْ
فَيَبْئُرُوا لَا عَدِمْنَا فَضْلَكُمْ أَبَدًا
هَلْ الَّذِي عَابَهَا حَقٌّ مَقَالَتُهُ
أَوِ الَّذِي قَالَ إِنَّ الدُّرَّ صِيغَتُهَا
فَإِنْ يَكُنْ قَدْ أَجَادَ اللَّفْظَ قَائِلُهَا
نَظْمًا يَكُونُ جَوَابِي يَا أَيْمَتَنَا

وَأَهْلُ مَعْرِفَةِ الْأَشْعَارِ وَالْخُطَبِ
شَدُّ الرَّحَالِ لِنَيْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
أَيْمَةُ الْوَقْتِ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبٍ
وَلَا بُلَيْتُمْ بِأَفَّاكِ وَذِي كَذِبٍ
أَوِ الَّذِي قَدْ دَرَى مَا خُطٌّ فِي الْكُتُبِ
أَوِ الَّذِي لَيْسَ يَذَرِي نَزَرَ مُكْتَتِبٍ
أَوْ رِكَةً أَوْ بِهَا نَوْعٌ مِنَ الْحَطَبِ
بِحَطِّهَا ، أَوْ بِهِ تَغْلُو عَلَى الْقُطْبِ^(١)
فِي مِثْلِهَا فَاكْشِفُوا عَنْ وَجْهِ مُخْتَجِبٍ
فِيهَا الْأَقَاوِيلُ مِنْ قَوْمٍ بِذَا السَّبَبِ
يَقُولُ : كَلَّا وَقَدْ صِيغَتْ مِنَ الذَّهَبِ
وَلَا بَرِخْتُمْ لَنَا فِي سَائِرِ الثُّوبِ
أَوْ جَاهِلٌ بِفُنُونِ النَّظْمِ وَالْخُطَبِ
يَكُونُ مِمَّنْ سَرَى فِي مَنْهَجِ الْأَدَبِ
لَهُ أَجِيزُوا تَنَالُوا أَعْظَمَ الْقُرْبِ
يَشْفِي الصُّدُورَ وَيَجْلُو هَمَّ مُكْتَتِبٍ

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ ارْتِجَالًا : [من البسيط]

[١٧٥] سَأَلْتُ يَا فَارِسَ الْهَيْجَاءِ فِي الْأَدَبِ عَمَّا أَتَيْتَ بِهِ مِنْ أَحْسَنِ الْخُطَبِ

(١) ورد هذا البيت في ب آخر القصيدة استدراكاً .

هَلْ فِي مَحَاسِنِهَا عَيْبٌ لِمُتَقِدٍ هَلْ إِذَا كَانَ مِنْهَا السَّجْعُ مُتَّحِداً
وَهَلْ إِذَا كَانَ مِنْهَا السَّجْعُ مُتَّحِداً فَحَاشَ لِلَّهِ مَا فِيهَا سِوَى دُرِّ
فَحَاشَ لِلَّهِ مَا فِيهَا سِوَى دُرِّ وَنَثَرُهَا رَائِقٌ مَا عِنْدَهُ كَدْرٌ
وَنَثَرُهَا رَائِقٌ مَا عِنْدَهُ كَدْرٌ وَكَوْنُهُ جَاءَ فِي حَرْفٍ يَدُلُّ عَلَى
وَكَوْنُهُ جَاءَ فِي حَرْفٍ يَدُلُّ عَلَى تَعْدُو بِهَا اللَّامُ عَمَّنْ لَامَ فِي جَنِّ
تَعْدُو بِهَا اللَّامُ عَمَّنْ لَامَ فِي جَنِّ يَفْتَرُّ مَبْسُومُهَا فِي الْقَوْلِ عَنْ دُرِّ
يَفْتَرُّ مَبْسُومُهَا فِي الْقَوْلِ عَنْ دُرِّ وَقَدْ غَدَّتْ فِي رِيَاضِ الْحُسْنِ وَجَنَّتْهَا
وَقَدْ غَدَّتْ فِي رِيَاضِ الْحُسْنِ وَجَنَّتْهَا وَبَيْنَهَا عِنْدَ مَنْ يَذْرِي مَحَاسِنَهَا
وَبَيْنَهَا عِنْدَ مَنْ يَذْرِي مَحَاسِنَهَا مَضْمُوعَةٌ كِخْرَارِ السَّيْفِ أَزْهَفُهُ
مَضْمُوعَةٌ كِخْرَارِ السَّيْفِ أَزْهَفُهُ فَلَيْسَ تَحْتَاجُ ذَا خَطٍّ يُؤَيِّدُهَا
فَلَيْسَ تَحْتَاجُ ذَا خَطٍّ يُؤَيِّدُهَا قَدْ كِدْتُ أَنْشِدُهَا لَمَّا خَلَوْتُ بِهَا

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ أَيْضاً قَبْلَ وُصُولِ جَوَابِي هَذَا إِلَيْهِ : [من البسيط]

مَنْ رَامَ رَبْعَكَ مَا خَابَتْ مَقَاصِدُهُ وَمَنْ حِيَاضُكَ قَدْ طَابَتْ مَوَارِدُهُ
مَنْ رَامَ رَبْعَكَ مَا خَابَتْ مَقَاصِدُهُ وَرَاحَ وَهُوَ بِهِذَا الْعَصْرِ وَاحِدُهُ
وَرَاحَ وَهُوَ بِهِذَا الْعَصْرِ وَاحِدُهُ يَرُومُ مَا نِلْتَهُ مَا طَالَ سَاعِدُهُ
يَرُومُ مَا نِلْتَهُ مَا طَالَ سَاعِدُهُ يَا مَنْ غَدَا وَهُوَ فِي ذَا الْعَصْرِ مَا جِدُهُ
يَا مَنْ غَدَا وَهُوَ فِي ذَا الْعَصْرِ مَا جِدُهُ وَرَاحَ بِالذَّلِّ وَالتَّبْرِيحِ حَاسِدُهُ

(١) العجز مضمّن من قول أبي تمام : [ديوانه ١ / ٤٥]

السَّيْفِ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ

(٢) العجز مضمّن من قول المتنبي : [ديوانه ١ / ٨٦]

يَا أُخْتَ خَيْرِ أَخٍ ، يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبٍ

فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

كِتَابِيَّةٌ بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ

إِنِّي سَأَلْتُكَ يَا ذَا الْفَضْلِ مَسْأَلَةً
سَأَلْتُ عَنْ خُطْبَةٍ قَدْ بَثَّ مُفْتَرِحًا
قَدْ أَصْبَحَ الْعَبْدُ مِنْ طُولِ الْمَدَى قَلِقًا
فَإِنْ أَجَبْتَ فَفَضْلٌ مِنْكَ يَغْمُرُنِي
وَإِنْ يَكُنْ عَاجِلًا فَهُوَ الْمُرَادُ فَقَدْ
وَاسَلَمَ وَدُمَ لَا بَرَحْتَ الدَّهْرَ فِي دَعَا

وَأَنْتَ مَنْ لَمْ يَخْبُ فِي النَّاسِ قَاصِدُهُ
بَدِيعَهَا إِذْ نَأَتْ عَنِّي شَوَارِدُهُ
وَقَدْ غَدَا وَهُوَ فَرَحَانٌ مُعَانِدُهُ
وَإِنِّي عَارِفُ الْإِحْسَانِ حَامِدُهُ
طَالَ الْمِطَالُ وَلَمْ تَظْهَرْ شَوَاهِدُهُ
وَمَنْ يُعَادِيكَ لَمْ تَنْجَحْ مَقَاصِدُهُ

● فكتبتُ أنا الجوابَ إليه ازْتِجَالاً : [من البسيط]

يَا فَارِسًا كُلَّ عَنْهُ مَنْ يُطَارِدُهُ
أَبْدَعْتَ فِي النَّظْمِ مِنْ بَعْدِ الْحُمُولِ لَهُ
أَقْصَرَ فَقَدْ صَحَّ لِي أَنَّ الْبَدِيعَ غَدَا
نَظْمٌ بَدِيعٌ خَلَا مِنْ رِكَتٍ وَغَدَا
يَظُلُّ يَخْلُبُ لُبَّ السَّامِعِينَ لَهُ
مِنْ أَجْلِ ذَا وَجَبَتْ لِلْفَضْلِ مِنْكَ عَلَى
أَمَّا الْجَوَابُ فَإِنِّي لَمْ أُخِلَّ بِهِ
وَجَهَّزْتُهُ عَلَى جَهْلٍ قَرِيبَحْتِي أَلْ
لِأَنَّ أَمْرِي بَادٍ فِي الْوَرَى فَلِذَا
فَإِنْ تُسَامِحْ فَبِالْحُسْنَى وَإِنْ تُرِدْ أَلْ
وَاسَلَمَ لِفَنٍّ مَضَتْ فِي النَّاسِ بَهْجَتُهُ

وَفَاضِلًا ضَلَّ عَنْهُ مَنْ يُجَاوِدُهُ
طَرِيقَةً نَفَقَتْ مِنْهَا كَوَاسِدُهُ
تُلْقَى إِلَيْكَ مِنَ الْعُلْيَا مَقَالِدُهُ
مِنْ رِقَّةٍ وَهُوَ حَالِي الثَّغْرِ بَارِدُهُ
إِذَا تَجَلَّتْ لَهُمْ مِنْهُ وَلَائِدُهُ
أَهْلُ الْقَرِيضِ الَّذِي يُزْهَى مَحَامِدُهُ
وَحَالَةُ الْوَقْتِ لَمْ تُهْمَلْ مَقَاصِدُهُ
قَزَحِي وَعُذْرِي عَلَى التَّقْصِيرِ شَاهِدُهُ
تَجْرِي عَلَى خَلَلٍ مِنِّي عَوَائِدُهُ
مُؤَاخَذَاتٍ فَرِيفٌ أَنْتَ نَاقِدُهُ
وَأَنْتَ فِينَا عَلَى التَّحْقِيقِ وَاحِدُهُ

● وكتبَ هو إليَّ بعدما وَصَلَ الْجَوَابُ الْأَوَّلُ إِلَيْهِ : [من البسيط]

[٧٥ ب] أَجَبْتَ يَا حَبْرَ عِلْمٍ عَالِي الرُّتَبِ جَوَابَ حَبْرٍ عَلِيمٍ جَدٍّ فِي الطَّلَبِ^(١)

(١) في ب، م : . . . يا بحر علم . . . × .

فَشَاعَ فَضْلُكَ بَيْنَ الْعُجَمِ وَالْعَرَبِ
أَطْفَأَتْ نَارَ الَّذِي أَشْفَى عَلَى عَطَبِ^(١)
كَثُرَتْ قِلَّتُهُ يَا وَاحِدَ الْأَدَبِ
وَمَا حَوَى مِنْ مَعَانٍ تَاهَ مِنْ طَرَبِ^(٢)
بِحُسْنِ خَطِّ إِلَى يَاقُوتِ مُنْتَسِبِ
عَلَيْهِ سَارِيَةٌ تَنْهَلُ فِي صَبَبِ
فَفَتَحَتْهُ فَأَضْحَى غَايَةَ الْعَجَبِ
وَذَوْقُهُ قَدْ غَدَا أَحْلَى مِنَ الضَّرْبِ
وَرَاحَ حَاسِدُهُ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ^(٣)

حُزِنَ الْبَدِيعَ وَحُسِّنَ الْخَطُّ مَعَ كَرَمِ
أُخِيَّتِ قَلْبَ عَلِيمٍ شَفَّهُ سَقَمُ
شَفِيَّتِ غُلَّتُهُ ، أَبْرَأَتْ عِلَّتُهُ
إِذَا تَأَمَّلَ رَائِيهِ لِنَاطِرِهِ
كَأَنَّمَا اللَّفْظُ دُرٌّ رَاحَ مُنْتَظَمًا
كَأَنَّهُ الثُّورُ فِي رَوْضٍ سَرَتْ سَحْرًا
وَبَاكَرَتْهُ الصَّبَا فِي ذَنِيلِهَا أَرْجُ
أَزْهَى مِنَ الرَّوْضِ مَرَاةً وَمَنْظَرُهُ
لَقَدْ غَدَا عَبْدُكُمْ بِالْعِزِّ مُشْتَمَلًا

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ ، أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ : [من الكامل]

أَتَرَى يَجُودُ الدَّهْرُ لِي بِرُجُوعِهِ
بِفُؤَادِهِ وَقَطَنْتُمْ فِي رُوعِهِ
وَصَفَ الطَّيِّبُ لَهُ الدَّوَا بِتُقُوعِهِ
أَزْرَى بِبَدْرِ التَّمِّ عِنْدَ طُلُوعِهِ
وَمَنْعَتْ طَرْفِي مِنْ لَذِيذِ هُجُوعِهِ
صَبٌّ تَخَدَّدَ خَدُّهُ بِدُمُوعِهِ
وَاجْعَلْ وَصَالَكَ جَابِرًا لِمُصَدُّوعِهِ
فَارْفُتْ وَرِقَّ لِدُلِّهِ وَخُضُوعِهِ

زَمَنْ تَقَضَّى بِالْجَمَى وَرُجُوعِهِ
يَا رَاحِلِينَ عَنِ الْمُحِبِّ نَزَلْتُمْ
هَلْ عَوْدَةٌ بِالْوَصْلِ تَشْفِي سُقَمَ مَنْ
حَسْبِي مِنَ الْهَجْرَانِ يَا مَنْ حُسْنُهُ
شَرَّدَتْ عَنْ قَلْبِي الْكَتِيبَ قَرَارَهُ
جُذِّ بِالْوَصَالِ لِمُسْتَهَامِ وَإِلَيْهِ
وَارْحَمْ كَسِيرَ الْقَلْبِ وَاغْنَمْ أَجْرَهُ
هَاقِدَ أَتَاكَ بِذِلَّةٍ وَتَخَضُّعِ

(١) كذا في أ . ولعل الصواب : أُخِيَّتِ قَلْبَ عَلِيمٍ ×

وفي ب : . . . قلب كتيب . . . ×

(٢) في أ : . . . لناضره × ! .

(٣) وسقط ما بعد ذلك إلى نهاية الترجمة من ب .

أَوْ مَا تَخَافُ اللَّهَ فِي صَبٍّ غَدَتْ
 هَا قَدْ شَكَوْتُ إِلَيْكَ إِنْ لَمْ تُشْكِنِي
 فَلَيْشْكُونَ الْعَبْدُ مَا قَدْ مَسَّهُ
 بَخَرِ الْعُلُومِ وَحَبْرِهَا مَنْ صَيَّنَتْهُ
 أَغْنَى صِلَاحَ الدِّينِ سَيِّدَنَا الَّذِي
 مِنْهُ يَنَايِعُ الْعُلُومُ تَفَجَّجَتْ
 وَلَهُ الْيَدُ الطُّولَى وَكُلُّ مُصَنَّفٍ
 مَا فِي الْبَرِّيَّةِ مِثْلُهُ فِي عَضْرِهِ
 أَيْسَبُهُ الْبَحْرُ الْخِضَمُّ بِجَذْوَلٍ
 هُوَ فَارِسٌ يَوْمَ النَّزَالِ مُسْرَبِلٌ
 مَا الْمَزْنُ يَحْكِي جُودَهُ فِي جُودِهِ
 تُغْنِي الْمُلُوكُ عَنِ الْكَتَائِبِ كُتُبُهُ
 يَا مَنْ يَرُومُ لِحَاقَهُ لَا تَطْلُبُنْ
 مَنْ ذَا يُبَارِي الرِّيحَ عِنْدَ هُبُوبِهَا
 يَا مَلْجَأَ الطُّلَّابِ يَا كَهْفَ الْوَرَى
 إِنْ جَاءَ قَوْلٌ فِيهِ خُلْفٌ مُشْكِلٌ
 مَا إِنْ سَأَلْنَا قَطُّ عِلْمًا غَامِضًا
 يَا أَيُّهَا الْبَحْرُ الَّذِي مَنْ أَمَّهُ
 أَخَمَلَتْ ذِكْرَ ذَوِي الْبَلَاغَةِ كُلَّهُمْ

نَارُ الْفِرَاقِ تُشَسِّبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ
 وَيَزُولُ عَنْ قَلْبِي أَمْضٌ هُلُوعِهِ
 مِنْ شِدَّةِ الْبَلَوَى إِلَى مَقْرُوعِهِ^(١)
 عَمَّ الْبِلَادَ جَمِيعُهَا بِذُيُوعِهِ
 فَاقَ الْوَرَى بِأَصُولِهِ وَفُرُوعِهِ
 فَالْتَّاسُ يَسْتَسْقُونَ مِنْ يُبُوعِهِ
 قَدْ فَاقَ أَهْلَ الْفَضْلِ فِي مَشْرُوعِهِ
 كَمْ بَيْنَ آسَادِ الشَّرَى وَسُوعِهِ^(٢)
 أَوْ لَيْثٌ غَابَ مُشْبِلٌ بِدُرُوعِهِ^(٣)
 مِنْ كُلِّ قَوْلٍ صَحَّ فِي مَجْمُوعِهِ
 وَنَدَاهُ قَدْ فَاقَ الْحَيَا بِهَمُوعِهِ
 فَبِهَا يَفِرُّ عَدُوُّهُمْ بِجُمُوعِهِ
 مَا لَا حَقِيقَةَ فِي الْوَرَى لِقُوعِهِ
 أَمْ مَنْ يُجَارِي الْبَرْقَ حِينَ لُوعِهِ
 أَيْقَظَتْ هَذَا الْعِلْمَ بَعْدَ هُجُوعِهِ
 أَوْضَحَتْ مَا قَدْ شَدَّ مِنْ مَسْمُوعِهِ
 إِلَّا وَكُنْتَ مُقَرَّبًا لِشُسُوعِهِ
 أَمِنْ الزَّمَانِ وَطَوْلُهُ مِنْ نُوعِهِ^(٤)
 وَضِيَاءُهُمْ أَخَمَدَتْ بَعْدَ سَطُوعِهِ

(١) المقروع : السَّيِّد . (هامش أ) .

(٢) السُّمُوع : أولاد الضَّيْع من الذَّنَب . (هامش أ) .

(٣) الدُّرُوع : أولاد البقر الوحشيَّة . (هامش أ) .

(٤) النُّوع : العطش . (هامش أ) .

[١٧٦] فالجوهري «صاحبه» قد كسرت
وكذا البديع لديك أضحي خاملاً
وغدا المعري الذي عرّيته
وكسرت منوال الحريري الذي
وعلى قدامة لا تزال مقدماً
وقناة حمام النصير كسرتها
نور السراج بنفثة أطفاته
والفاضل القاضي تبين نقضه
فقت الأنام بسودد وسيادة
قد أحر المملوك حظ أسود
إنني التزمت الرذف قبل رويها
خُذها صلاح الدين نفثة قاصير
لا زلت في نعيم دواماً سرمداً
٤٧ * عبد الله بن محمد (٤) :

وغدت بسوق كساده كجزوعه
عدل الأنام إليك عن موضوعه
حلل اللغات مضرّجاً بدموعه
قد أعجز الشّاج عن مصنوعه
زلت به الأقدام عند قزوعه^(١)
وقطعت عنه الماء عن ينبوعه
فغدا الظلام مخيماً برُبوعه
وعن الرياض أذيد بعد رُتوعه
كالعبد إذ فاق الوري بقطوعه
كيف احتيالي في القضا وقُوعه
كالصّب يلزم حبه لرجوعه
يَوْمَ السّباقي على مطي مهقوعه^(٢)
ما الطير غرد مسحراً في شوعه^(٣)

القاضي الفاضل ، وليّ الدين ابن قاضي القضا بهاء الدين ، أبي البقاء
[السبكي] ، موقع الدّست الشّريف بالشّام المحروس .

● كَتَبَ إِلَيَّ مُلَغِزاً : [من الوافر]

- (١) القزوع : الاستعمال . (هامش أ) .
- (٢) المهقوع : الفرس الذي يكون في زوره كهية الهقعة ، وهو عيب في الخيل ، ولا يزال المهقوع مسبقاً . (هامش أ) .
- (٣) الشّوع : شجر البان . (هامش أ) .
- (٤) ترجمته في : درر العقود الفريدة ٣٣٨/٢ والذيل على العبر ٥٤٨/٢ والدرر الكامنة ٢٩٢/٢ وتاريخ ابن قاضي شهبة ١٢٢/٣ وإنباه الغمر ١٤٧/٢ والنجوم الزاهرة ٢٩٨/١١ والذيل التام ٣٣٠/١ ونزهة النفوس والأبدان ٨٩/١ والدارس ١٧٣/١ وتاريخ الصالحية ١٧٣/١ وشذرات الذهب ٤٩٦/٨ .
- ولادته سنة ٧٣٥ هـ . ووفاته سنة ٧٨٥ هـ .
- سقطت هذه الترجمة من س .

وَمَا اسْمٌ يَا إِمَامَ الْعَصْرِ حَقًّا
ثَلَاثِي إِذَا مَا الثُّلُثُ مِنْهُ
وَمَعَ عَكْسِ الْحُرُوفِ يَصِيرُ فِعْلًا
وإنَّ صَحَّفْتَهُ مِنْ بَعْدِ عَكْسِ
يُرَى فَوْقَ الْمُلُوكِ بِلا مِرَاءِ
أَجِبْ فَلَيْسِي دِي فِكْرٌ دَقِيقٌ
وَيَا مَنْ حَازَ إِخْسَانًا وَلُطْفًا
أُبَيِّنَ غَدَا يَرَاهُ النَّاسُ حَرْفًا
لِأَنْثَى قَدْ ثَنَتْ جِيدًا وَعِظْفًا
فَدَعَهُ لِكِبَرِ الْأَعْدَاءِ وَضَفَا
وَكَمْ قَدْ حَازَ تَشْرِيفًا وَظَرْفًا
عَلَيْهِ مِثْلُ هَذَا لَيْسَ يَخْفَى

● فكتبتُ أنا الجوابَ ، وهو في « تاج » : [من الوافر]

لَقَدْ أَتَحَفَّتَنِي بِبَدِيعِ لُغَزٍ
أَدْرَتْ بِهِ عَلَيَّ كُؤُوسَ نَظْمٍ
أَرَاهُ « بَاخٌ » بِالتَّضْخِيفِ حَتَّى
فَصِرْتُ وَقَدْ أَتَانِي رَبُّ « تَاخٍ »
وَبَاتَ نُضَارُهُ لِلْجِيدِ طَوْقًا
فَدُمْتُ تُجِدُّ لِلآدَابِ رَسْمًا
حَكَى زَهَرَ الرُّبَا لُطْفًا وَعَرْفًا
كَأَنَّ مِزَاجَهَا عَسَلٌ مُصَفَّى
لَقَدْ كَشَفَ الْمُعْطَى مِنْهُ كَشْفًا
تُرَفُّ لَهُ مَعَانِي النَّظْمِ زَفَا
وَأَصْبَحَ دُرُّهُ لِلسَّمْعِ شُنْفَا
عَفَا وَتُجِيدُ دُرَّ الشَّعْرِ رَضْفًا

٤٨ * عبدُ الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله بن أبي المعالي متى بن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى بن يوسف^(١) :

الشيخُ الإمامُ الأديبُ ، الوزيرُ ، تاجُ الدِّينِ اليمَنِي ، وزيرُ المَلِكِ المؤيَّدِ

(١) ترجمته في : مسالك الأبصار ٤٥٤/١٢ وأعيان العصر ١٢/٣ والوافي بالوفيات ٢٣/١٨ وفوات الوفيات ٢٤٦/٢ وذبول العبر ٢٣٣ ودرر العقود الفريدة ٢١٦/٢ وفوات ابن رافع ١٧٦/١ وتعريف ذوي العلا ١٦ والعقد الثمين ٣٢١/٥ وتذكرة النبيه ٤٤/٣ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣٣٤/١ والدرر الكامنة ٣١٥/٢ والنجوم الزاهرة ١٠٤/١٠ والمنهل الصافي ١٣٤/٧ و٢٠٤ باسم عبيد الله بن عبد المجيد والدليل الشافي ٣٩٣/١ وشذرات الذهب ٢٤١/٨ والبدر الطالع ٣١٧/٢ .

- مولده سنة ٦٨٠ هـ . ووفاته سنة ٧٤٣ هـ .

- هو صاحب كتاب « إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين » .

داود صاحب اليمن (١) .

● كَتَبَ بالقاهرة على كتابي « جنان الجناس » في سنة ٧٣٢ (٢) : [من الطويل]

جِنَانُ جِنَاسٍ فَاقَ جِنْسَ جِنَانٍ يُعِينُ الْمُعَانِي فِيهِ جُلُّ مَعَانِي
لَقَدْ نَوَّعَ الْأَجْنَاسَ فِيهِ مُؤَلَّفٌ طَرَائِقُ وَشْيٍ أَوْ سُمُوطُ جُمانِ
غَدَا نَاهِجاً فِيهِ مَنَاهِجٌ لَمْ يَكُنْ قُدَامَةٌ قَدَمًا جَاءَهَا بَيَّانِ
مَقَاصِدُ مَا نَجَلُ الْأَثِيرِ مُثِيرُهَا بَدَائِعُ فَضْلِ مَنْ بَدِيعَ زَمَانِ
مُحَرَّرَةُ الْأَلْفَاظِ لَكِنَّ حُسْنَهَا رَقِيقٌ يُنْسِنَا جَلِيلَ حِسَانِ
إِذَا ابْنُ فَتَى نَجَلِ الْحَدِيدِ أَرَادَهَا تَقُولُ لَهُ : أَقْصِرْ فَلَسْتُ بِدَانِي
[٧٦ب] وَمَا أَنْتَ مِمَّنْ يَسْبِكُ الثُّبْرَ نَاقِدًا وَمَا لَكَ فِي سَبْكِ الثُّنْجِ يَدَانِ
لَقَدْ أَطْرَبْتَ أَيْبَاتُهُ كُلَّ سَامِعٍ فَرَانِدُ مَا جَاءَتْ لَهُنَّ ثَوَانِي
تَفُوحُ بِأَزْوَاحِ الصَّبَا نَفْحَاتُهَا حَظِيرَةٌ بَانٍ عِنْدَ حَضْرَةِ بَانِ
لَقَدْ صَيَّرَ الْحُسَادَ تَذْرِفُ عِنْدَهَا مَدَامِعَ شَانٍ فِي مُحَاجِرِ شَانِ
أَقُولُ لِنَظْمِي حِينَ حَاوَلَ شَأُوهَا رَفِيقُكَ قَيْسِي وَأَنْتَ يَمَانِي
بَقِيَتْ صَلاَحُ الدِّينِ لِلْفَضْلِ صَالِحًا لِحُسْنِ بَيَانٍ مِنْ يَرَاعِ بَنَانِ

● فَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ (٣) : [من الطويل]

لَا لِي غَوَالٍ مِنْ حُلِيِّ غَوَانِي وَتَرْجِيْعُ بَمٍّ بَعْدَ خَفَقِ مَثَانِي
أَمَ الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ نَظَّمَ شِعْرَهُ فَمَا زَهَرُ رَوْضٍ مِنْ حُلَاهُ بِدَانِي
إِمَامُ زِمَامِ الْفَضْلِ أَضْحَى بِكَفِّهِ يُصَرِّفُهُ يَوْمِي نَدَى وَبَيَانِ
وَزِيرٌ بِتَذْيِيرِ الْمَمَالِكِ عَارِفٌ غَدَا النَّاسُ فِي أَيَّامِهِ بِأَمَانِ

(١) في م : صاحب اليمن الميمون ، حرسه الله من الفتن .

(٢) القصيدة في أعيان العصر والوافي .

(٣) القصيدة في أعيان العصر . وزاد هنا في م : جواباً عما كتب .

إِذَا هُوَ جَارِيُ الْغَيْثِ يَوْمَ سَمَاحِهِ
يُشِيدُ مَبَانِي الْمَجْدِ فِي حَوْمَةِ الْعُلَا
فَأُقْسِمُ مَا أَتْنِي عَلَى مَا وَضَعْتُهُ
جِنَاسٌ بَدِيعٌ لَوْ تَقَدَّمَ عَصْرُهُ
فَشُكْرِي مَا وَفَى حُقُوقَ صَنِيعِهِ
فَذَاكَ أَوَانٌ لَيْسَ فِيهِ بِوَانٍ
بَهْزٌ يَرَاعٍ أَوْ بِسَلٌ يَمَانِي
بَشْعِرٍ وَلَكِنْ بِالْجِنَانِ حَبَانِي
أَبَانَ لَنَا فِي ذَاكَ عَجَزَ أَبَانٍ^(١)
وَكَيْفَ بِشَامٍ شَامَ بَزَقَ يَمَانِي
٤٩ * عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ [بن يوسف] بن أحمد بن عبد الدائم^(٢) :

القاضي البليغ ، تقي الدين ابن القاضي الإمام الفاضل البارع النحوي
مُحِبُّ الدِّينِ ، كَاتِبُ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِالْأَيَّامِ الْمِصْرِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ .

● كَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مِنَ الشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، وَهُوَ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، أَوَّلَ
دُخُولِهِ^(٣) الدِّيَّوَانُ : [من البسيط]

جَمَلْتُ بِالْفَضْلِ لِلْإِنْشَاءِ دِيَّوَانًا
فَسَوْفَ يَفْتَرُّ نَغْرُ الدَّهْرِ مُبْتَسِمًا
أَحْبَبْتُ يَا ابْنَ مُحِبِّ الدِّينِ صَنْعَةَ مَنْ
قَوْمٌ إِذَا مَا الْمَعَالِي أَشْرَفَتْ لَهُمْ
دِيَّوَانُ الْإِنْشَاءِ عَيْنٌ لِلزَّمَانِ وَقَدْ
وَفِيهِ مِنْ سَادَةِ الْكُتَّابِ طَائِفَةٌ
وَشِدْتُ لِلْمَجْدِ يَوْمَ الْفَخْرِ أَزْكَانًا
عُجْبًا وَيَعْطِفُ مِنْهُ الْقَدَّ نَشْوَانًا
قَدْ أَصْبَحُوا فِي مَجَالِ الْفَضْلِ فُرْسَانًا^(٤)
كَانُوا لَهَا مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ أَخْدَانًا^(٥)
أَصْبَحْتَ أَنْتَ لِتِلْكَ الْعَيْنِ إِنْسَانًا
كَمْ أَلْبَسُوا الْمُلُوكَ بِالْإِنْشَاءِ تِنْجَانًا

(١) هو أبان بن عبد الحميد اللاهقي ، ناظم كلية ودمنة .

(٢) ترجمته في : درر العقود الفريدة ٢٢٣/٢ والدليل على العبر ٥٥٥/٢ وتاريخ ابن قاضي شهبة ١٤٥/٣ وإنباه الغمر ١٧١/٢ والنجوم الزاهرة ٣٠١/١١ والمنهل الصافي ٢١٠/٧ والدليل الشافي ٤٠٤/١ ونزهة النفوس ١٠٨/١ والدليل التام ٣٣٥/١ وشذرات الذهب ٥٠١/٨ .

- مولده سنة ٧٢٥ هـ . ووفاته سنة ٧٨٦ هـ .

- « أحمد بن » ساقطان من أ .

(٣) في ب : أَوَّلَ وصوله .

(٤) في م : أَحَبُّتُ × .

(٥) في ب ، س ، م : استشرفت لهم × .

وَقَلَّدُوا بِالتَّقَالِيدِ الَّتِي نَظَّمُوا
وَيَنْظُرُ النَّاسُ رَوْضاً مِنْهُمْ نَضِيراً
فَاجْهَدْ عَلَى أَنْ تُرَى فِي الْعَقْدِ وَاسِطَةً
وَلَيْسَ إِلَّا عُلُومٌ إِنْ ظَفِرَتْ بِهَا
وَرَأْسُ مَالِكٍ فِيهَا النَّحْوُ فَانْجُ لَهُ
حَافِظٌ عَلَى الدُّرْسِ وَالْإِعْرَابِ فَهَوَّ إِذَا
وَلَا تُفَارِقُ جِمَى التَّصْرِيفِ إِنَّ لَهُ
وَمَا يَضُرُّكَ مِنْ حِفْظِ الْفَصِيحِ وَمِنْ
وُسْئَةِ الْمُصْطَفَى خُذْ مِنْ مَعَادِنِهَا
وَلِلْحِمَاسَةِ قَوْمٌ فِي الْكِتَابَةِ قَدْ
وَاحْفَظْ مِنَ الْمُتَنَبِّئِي مَا اسْتَطَعْتَ تَجِدْ
مَا فِي التَّرْسُلِ كَنْزٌ مِنْهُ يُنْفَقُ إِلَّا
[١٧٧] وَمَا التَّرْسُلُ إِلَّا نَثْرُ سَيِّدِنَا
فَاجْعَلْهُ دَأْبَكَ وَاعْقِلْ مِنْ شَوَارِدِهِ
طَرِيقَةً هِيَ مُثْلِي فِي الْأَنَامِ فَمَا
وَانْظُرْ تَوَارِيخَ أَقْوَامٍ حَدِيثُهُمْ
وَكَثِيرٌ مُطَالَعَةِ الْأَدَابِ تَحْظُ بِمَا
وَلَيْسَ مِثْلُ الْأَغَانِي فِي مُطَالَعَةِ
وَمَا الْبَدِيعُ بَعِيدٌ أَنْ يُطَرَّزَ مَا
هَذَا يَسِيرٌ وَمِثْلِي مَنْ يُعْمِرُ بِهِ

حُلِيِّهَا جِيدَهُ دُرّاً وَمُزْجَانَا
وَيَنْشَقُّونَ مِنَ الْأَعْلَامِ رِيحَانَا^(١)
وَأَنْ تَكُونَ مَحَلًّا فَوْقَ كَيُونَا
تَسَحَّبُ ذُبُولَ الْعُلَا مِنْ فَوْقِ سَحْبَانَا
إِنْ شِئْتَ تَمْلِكُ لِلْإِنْشَاءِ أَرْسَانَا
حَقَّقْتَ مِنْ أَكْبَرِ الْآلَاتِ أَغْوَانَا
فَلَأَتِ قَوْمٌ حَكَتْ رَضْوَى وَنَهَلْنَا^(٢)
بَعْضُ الْمَقَامَاتِ إِنْ جَانَبْتَ نُقْصَانَا
جَوَاهِرًا فَضَلَّتْ فِي الصَّرْفِ عَقِيَانَا
« طَارُوا إِلَيْهَا زُرَافَاتٍ وَوَحْدَانَا »
« أَوْفَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ الشَّعْرِ مِيزَانَا »
لَا شِعْرُهُ وَسِوَاهُ رَاحَ مَجَّانَا
عَبْدُ الرَّحِيمِ فَخُذْ لِلْحُسْنِ أَلْوَانَا
أَوَابِدًا لَمْ تُرَدْ فِي الْحُسْنِ بُرْهَانَا
أَرَى سِوَاهَا مِثَالًا قَطُّ أَعْيَانَا^(٣)
لِلْمَجْدِ نَشْطَ مَنْ قَدْ رَاحَ كَسْلَانَا
زَانَ الْبَلِيغِ وَحَلَاءُ وَمَا شَانَا
لَأَنَّهُ عَنِ جَمِيعِ الْكُتُبِ أَغْنَانَا
تَأْتِي بِهِ يَا تَقِيَّ الدِّينِ إِتْقَانَا
عَلَى الَّذِي قَدْ غَدَا بِالْعِلْمِ هَيْمَانَا

(١) فِي س ٤ م : من الأعلام ريحانا .

(٢) فِي س : × زَلَات

(٣) فِي ب : × أَلْوَانَا .

فَاُخْفِظْ كَلَامَ مُحِبٍّ نَاصِحٍ جَعَلَ النَّدَى نَضِجَ الْحَقِيقَ لَهُ دِينًا وَإِيمَانًا

● فكتبَ هو الجوابَ إليَّ عن ذلك : [من البسيط]

مَنْ كَانَ مَحْبُوبُهُ لِلْهَجْرِ يَقْظَانَا
صَبَّ بِمِصْرَ يَرُومُ الْقُرْبَ قَدْ تَخَذَتْ
مُضْنَى كَيْسَبٍ مُعْنَى مُغْرَمٍ كَلَفُ
مَا زَالَ يُخْفِي عَنِ الْعُدَالِ لَوَعْتَهُ
حَتَّى غَدَا دَمْعُهُ الْقَانِي يَنْمُ عَلَى
إِنْ كَانَ أَحْبَابُنَا بِالْوَصْلِ قَدْ بَخُلُوا
فَلَسْتُ أَشْفِقُ مِنْ دَمْعِي عَلَى بَصْرِي
مَنْ حَقَّقَ الْأَمْرَ فِي دَعْوَى مَحَبَّتِهِ
وَمَنْ يَكُنْ لِصَلَاحِ الدِّينِ نَسْبَتُهُ
بَخْرُ الْعُلُومِ وَمَنْ سَادَ الزَّمَانُ بِهِ
يُريكَ زُهرَ التُّجُومِ الشُّهْبِ قَدْ نَظَّمَتْ
رِقَاعُ مَشْهُورِهِ إِنْ رُمْتَ تَنَعُّهَا
إِذَا تَنَاولَ قِرْطَاساً لِيَرْقُمَهُ
يَا مَنْ فَضَائِلُهُ تَسْرِي مُغْرَبَةً
أَتَحَفَّتْنَا بِوَصَايَا مِنْكَ نَافِعَةٍ
أَقُولُ قَوْلَ الَّذِي أَعْيَتْ صِفَاتُكُمْ
قَدْ شَرَّفَ اللَّهُ دَهْرًا أَنْتَ وَاحِدُهُ

قَدْ بَاتَ يَرْعَى نُجُومَ اللَّيْلِ هَيْمَانَا
أَحْبَابُهُ بِأَعَالِي الشَّامِ أَوْطَانَا
لَا يَتَّبِعِي أَبَدًا فِي الْحُبِّ سُلُوانَا
وَيُظْهِرُ الصَّبْرَ تَمْوِيهَا وَكِتْمَانَا
كِتْمَانِهِ فَأَعَادَ السَّرَّ إِعْلَانَا
وَأَوْرَثُوا الْقَلْبَ بِالْإِبْعَادِ أَحْزَانَا
لِأَنَّ كُلَّ عَزِيزٍ بَعْدَهُمْ هَانَا
فَقَدْ أَصَمَّ عَنِ الْعُدَالِ آذَانَا
فَقَدْ غَدَا لَابِسًا لِلْعِلْمِ تَجَانَا
لَمَّا عَلَا رُتْبًا مِنْ فَوْقِ كَيُونَا
مِنْ نَظْمِهِ وَيُريكَ السَّحَرِ أَلْوَانَا
فَرَوْضَةٌ أَنْبَتَتْ دُرًّا وَمُرْجَانَا
بَدَتْ بَلَاغُتُهُ قُسًّا وَسَحْبَانَا
فَلَا يَزَالُ سَنَاها مِنْهُ يَغْشَانَا
وَزِدْتَنَا بِوُضُوحِ الْأَمْرِ تَيَانَا
مَقَالُهُ فَمَضَى فِي الْمَدْحِ حَيْرَانَا :
« وَشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا »^(١)

(١) من بيت المتنبي : [ديوانه ٢٣١/٤]

قَدْ شَرَّفَ اللَّهُ أَرْضًا أَنْتَ سَاكِهَا وَشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا

٥٠ * عبد القاهر بن محمد بن عبد الواحد بن موسى الخطيب^(١) :

قاضي القضاة بصفد المحروسة ، أبو بكر ، جمال الدين البخاري التبريزي الشافعي .

● قرأت عليه مجلدة أنشأها خطباً^(٢) ، ورثتها على حروف المعجم من أولها إلى آخرها بصفد المحروسة سنة ٧٢٤ ، وكتبت عليها^(٣) :

قرأت هذه الخطب المسرودة على حروف المعجم من أولها إلى آخرها ، على منشيها القاضي جمال الدين عبد القاهر بن محمد التبريزي الشافعي - لا زالت الطروس توشى وتوشع بكلامه ، وترصف وترضع بحكمه وأحكامه ، ومحاسن أيامه ولياليه تنشأ وتنشد ، ودُرر نثره ونظامه تنظم وتنضد - قراءة من غاص اللجة من بحر خبرها ، وعلم قيمة المتقى والمتقّد من دراريها ودُرّها ، واستشف [٧٧ ب] معانيها المجلوة في بحر خبرها ، وصدق معجز آياتها وما شك في خبر خبرها ، واستجلى وجوه عزبها وتوجيه إغرابها ، وتحقق أنّ القرائح ما لها طاقة على مثلها في بابها ، وتنزه في حدائقها التي ضربت عليها أزواق الأوراق ، واجتلى أبكارها الغر فكانت حقيقة فتنة العشاق ؛ فسرخت سوام الطرف فيما أراضه من روضاتها ، ورشفت قطر البلاغة ممّا زهي من زهراتها : [من الكامل]

وتشفت أذني بلؤلؤ لفظها وتزّهت عينا في جناتها

(١) ترجمته في : معجم الشيوخ للذهبي ٤٠٨/١ وأعيان العصر ١٢٤/٣ والوافي بالوفيات ٥٤/١٩ وفوات الوفيات ٣٦٧/٢ وفيات ابن رافع ١١٠/١ وتذكرة النبيه ٣٢٠/٢ والدرر الكامنة ٣٩٤/٢ والنجوم الزاهرة ٣٢٥/٩ والمنهل الصافي ٣٢٧/٧ والدليل الشافي ٤٢٣/١ .

- مولده سنة ٦٤٨ هـ . ووفاته سنة ٧٤٠ هـ .

(٢) وسمّاها « تحفة الألباء » . (الوافي) .

(٣) النص بشره وشعره في أعيان العصر والوافي .

وَتَأَمَّلْتُ أَفْهَامُنَا فَتَمَازَلْتُ
فَكَأَنَّ هَمَزَ سُطُورِهَا بِطُورِ سَهَا
وَكَأَنَّهَا وَجَنَاتٌ غِيْدٌ نَقَطُهَا
لِلَّهِ مَا أَطْرَى وَأَطْرَبَ مَا أَتَى
لَا غَزْوَ أَنْ عَقَدْتُ لِسَانَ أُولَى التَّهَى

● فكتب إلي (٢) : [من الكامل]

بَرَشَفِ الصَّهْبَاءِ مِنْ كَاسَاتِهَا
وُزُقٌ عَلَى الْأَغْصَانِ مِنْ أَلِفَاتِهَا
خَالٌ عَلَى الْأَصْدَاغِ مِنْ جِيمَاتِهَا
فِي هَذِهِ الْأَوْرَاقِ مِنْ سَجَعَاتِهَا
عَنْ مِثْلِهَا بِالسَّحْرِ مِنْ كَلِمَاتِهَا (١)

شَرَفَتْ غَزَسَ الدِّينِ حِينَ قَرَأَتْ مَا
بِفَصَاحَةٍ لَوْ أَنَّ قُصَا حَاضِرٌ
يَا فَخْرَ دَهْرٍ أَنْتَ مِنْ بُلْغَائِهِ
خُطْبِي الَّتِي أَنْشَأْتُهَا مَا أَنْتَ مِنْ
عَظَمَتِهَا وَبَرَزَتِهَا وَجَبَرَتِهَا
فَلَأَنْتَ أَكْرَمُ فَاضِلٍ لَمَّا بَدَتْ
فَاسْلَمْ وَدُمَ مَا رَنَحَتْ رِيحُ الصَّبَا

أَمَلَيْتُ مِنْ خُطْبٍ أَجَدْتُ شِيَاتِهَا
لَرَأَاكَ تَسْقِيهِ إِلَى غَايَاتِهَا
وَعُلَا لِيَالٍ أَنْتَ مِنْ سَادَاتِهَا
خُطَابِهَا فَتَجَافَ عَنْ عَلَائِهَا
وَعَفَرَتْ مَا قَدْ كَانَ مِنْ زَلَّاتِهَا
لِعَيْنَانِهِ غَطَّى عَلَى عَوْرَاتِهَا
أَعْطَافَ غُصْنِ الرُّوضِ فِي هَبَاتِهَا

● وَأَنشدني لنفسه في « الشَّابَّةِ » (٣) : [من الوافر]

وَنَاطِقَةٍ بِأَفْوَاهِ ثَمَانٍ
لِكُلِّ فَمٍ لِسَانٌ مُسْتَعَارٌ
تُخَاطِبُنَا بِلَفْظٍ لَا يَعْينُهُ
فَضِيحَةٌ عَاشِقٍ وَنَدِيمٌ رَاعٍ

تَمِيلُ بِعَقْلِ ذِي اللَّبِّ الْعَنيفِ
يُخَالِفُ بَيْنَ تَقْطِيعِ الْحُرُوفِ
سِوَى مَنْ كَانَ ذَا طَبْعٍ لَطِيفِ
وَعِزَّةٍ مَوْكِبٍ وَمُدَامُ صُوفِي

(١) في م : . . . ذوي التَّهَى × .

(٢) القطعة في أعيان العصر .

(٣) الأبيات في أعيان العصر والروافي والفوات . وقال في أعيان العصر : وَأَنشدني لنفسه في شَبَابَةٍ ، وقد وجدتها فيما بعد في ديوان جويان القواس بخطه .

● فَأَشْدَّتْهُ لِنَفْسِي مُلْغِزاً فِي « كَمَنْجَا »^(١) : [من المجتث]

مَا اسْمٌ إِذَا خِفْتُ هَمًّا رَأَيْتُ لِي فِيهِ مَنْجَا
يَشْدُو بِلَحْنٍ عَجِيبٍ مِنَ الْحَمَائِمِ أَشْجَى
كَمْ قَدْ شَجَاكَ بِصَوْتٍ حُرُوفُهُ مَا تَهْجَى
إِنْ لَمْ تَجِءْ لَكَ طَوْعاً فِي الْحَلِّ فَهَوَ كَمَنْ جَا

٥١ * عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٢) :

القاضي فخر الدين ، كاتبُ الإنشاء بالديار المصرية ، يُعَرَفُ بِكَاتِبِ
الدَّزِجِ ، لِأَنَّهُ يَكْتُبُهُ عَنْ نَظَارِ الْخَاصِّ الشَّرِيفِ ، مِنْ الْقَاضِي جَمَالِ الدِّينِ جَمَالِ
الْكُفَاةِ ، وَمَنْ بَعْدَهُ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ .

● كَتَبْتُ إِلَيْهِ مُلْغِزاً بِالْأَبْيَاتِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ فِي تَرْجُمَةِ الشَّيْخِ شَرَفِ الدِّينِ ،
وَهِيَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ؛ وَكَانَ الْقَاضِي فَخْرُ الدِّينِ قَدْ وَرَدَ إِلَى الشَّامِ صُحْبَةً
رِكَابِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، فِي ذَلِكَ الشَّهْرِ ، وَأَوَّلُهَا^(٣) : [من السريع]

يَا فَاضِلاً أَخْبَارُ أَشْعَارِهِ [مَشْهُورَةٌ فِي الْعُجْمِ وَالْعُرْبِ]

● فَكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ^(٤) : [من السريع]

[١٧٨] يَا بَحْرَ أَهْلِ الْعِلْمِ يَا حَبْرَهُمْ وَذَا النَّدَى وَالْمَوْرِدِ الْعَذْبِ
يَا كَسُوكَبَ الْفَضْلِ الَّذِي نُورُهُ يَظْهَرُ عَنْ بُعْدٍ وَعَنْ قُرْبِ

(١) الأبيات في أعيان العصر .

(٢) ترجمته في : الوافي بالوفيات ٣٠٤/١٩ والنذر الكامنة ٤٣٣/٢ .

- ولادته سنة ٧١٦ هـ .

- سقطت هذه الترجمة من س .

(٣) القصيدة بكاملها في الوافي ، وقد مضت في الترجمة ٨ .

(٤) القصيدة في الوافي .

يَا سَيِّدًا بِالْقُرْبِ مِنْ بَابِهِ
 يَا حَائِزًا كُلَّ عُلُومِ الْوَرَى
 يَا بِاسِمِ الثَّغْرِ وَيَا جَائِدًا
 يَا رَائِقَ الْمَنْطِقِ يَا صَادِقَ الْ
 وَمَنْ لَهُ النِّظْمُ الْبَدِيعُ الَّذِي
 فِي كُلِّ بَيْتٍ مِنْهُ سَامِي الْبِنَا
 هُنْتُتُهُ شَهْرًا شَرِيفًا أَتَى الْ
 تَقَبَّلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ
 غَفَرْتُ مَا لِلدَّهْرِ مِنْ ذَنْبٍ
 وَجَائِزًا فَوْقَ مَدَى الشَّهْبِ
 لِرَاحَةِ الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ
 قِيَاسٍ فِي الْإِجَابِ وَالسَّلْبِ
 يَنْبِي وَأَرْبَابَ التُّهَى يُضْبِي
 يَقُولُ لِي طَرْفِي : هُنَا قِفْ بِي
 قُرْآنَ عَنْ تَفْضِيلِهِ يُثْبِي
 أَعْمَالِكَ الْمُزِيحَةَ الْكَسْبِ

● وكتبْتُ أنا إليه قرينَ دفترٍ من الورقِ الأبيض^(١) : [من المجتث]

لَمَّا رَأَيْتُكَ بَحْرًا
 يَمْجُجُ دُرَّ قَرِينِضٍ
 أَهْدَيْتُ نَحْوَكَ دَرْجًا
 وَمَوْجُهُ مُتَوَالِي
 عَلَى مَمَرِّ اللَّيَالِي
 لِضَمِّ نِلْكَ الْآلَالِي

● فكتبَ هو الجوابَ عن ذلك^(١) : [من المجتث]

بِالْغَتِّ فِي إِحْجَالِي
 فَحَرْتُ مَا بَيْنَ شُكْرِي
 وَالْدَرْجُ قَدْ جَمَعَ الْحُسْدَ
 وَسَوْفَ يُمْلَأُ مَذْحًا
 وَمِنْ مَحَاسِنِ ثَمَلَا
 تَاللهُ يَقْضُرُ قَالِي
 بِفَضْلِكَ الْمُتَوَالِي
 فَوَائِدٍ وَنَوَالٍ
 نَ عَاطِلًا وَهُوَ حَالِي
 بِجُودِكَ الْمُتَوَالِي
 مِنْكُمْ بِغَيْرِ مَلَالٍ
 عَنْ شُكْرِ نِلْكَ الْأَمَالِي

(١) الأبيات في الوافي .

٥٢ * عبد الوهّاب بن عليّ بن عبد الكافي^(١) :

تَقَدَّمَ تَمَامُ النَّسَبِ فِي ذِكْرِ أَخِيهِ الشَّيْخِ بِهِاءِ الدِّينِ أَحْمَدَ .

هو قاضي القضاة الإمام العالم ، الفاضل المفتن ، الناظم النائر ، الشيخ تاج الدين ، أبو نصر ، ابن مولانا قاضي القضاة تقي الدين ، الشُّبْكِي الشَّافِعِي .

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مِنْ دِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ ، وَأَنَا بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، فِي سَنَةِ

٧٤٥ : [من السريع]

غَابَ صَلَاحُ الدِّينِ عَنْ جِلْقٍ فَغَابَ عَنْهَا الْعِلْمُ وَالْفَضْلُ
وَأَسْتَوْحَشَ الشَّامُ لَهُ وَاعْتَدَتْ مِضْرَ بِهِ لَيْسَ لَهَا مِثْلُ
قَدْ عُمِرَتْ كُلُّ الْأَرْضِ بِهِ وَطَابَ مِنْهَا الْحَزَنُ وَالسَّهْلُ
إِنْ حَلَّ مِضْرَ فَهُوَ نَيْلٌ لَهَا أَوْ جِلْقًا فَهُوَ لَهَا وَبُلُ

يُقَبَّلُ كَذَا^(٢) ، الغالي قَدَرُهَا ، العالي ذِكْرُهَا ؛ وَيُنْهِي بَعْدَ دُعَاءٍ مَا أَخْرَصَهُ
عَلَى كَوْنِهِ فِيهِ يَخْلُصُ ، وَثَاءٌ مَا أَخْلَصَهُ مِنْ مُحِبِّ صَادِقٍ عَلَيْهِ يَخْرِصُ ؛ أَنَّهُ مِنْذُ
سَافَرَ مَوْلَانَا وَإِلَى هَذِهِ الْأَيَّامِ ، الَّتِي هِيَ عِنْدَهُ أَعْوَامٌ ، مَا طَابَ لَهُ فِي هَذِهِ الْبَلَدَةِ
مُقَامٌ ، وَقَدْ كَتَبَ هَذِهِ الْمُطَالَعَةَ تُنْهِئُ بَعْضَ الْأَشْوَاقِ ، وَتُبْدِي مَا حَصَلَ لِرَافِعِهَا
بِسَبَبِ الْفِرَاقِ ، فَأَصْدَرَهَا تُعَلِّمُ اسْتِمْرَارَهُ عَلَى الْعُبُودِيَّةِ ، وَتَسْتَعْرِضُ مَا يُعَرِّضُ

(١) ترجمته في : المعجم المختص ١٥٢ والوافي بالوفيات ٣١٥/١٩ ووفيات ابن رافع ٤٠/٢ والذيل على العبر ٣٠٣/٢ ودرر العقود الفريدة ٣٧٤/٢ وتعريف ذوي العلا ١٨٩ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣٧٢/٢ والذيل النكامة ٤٢٥/٢ والنجوم الزاهرة ١٠٨/١١ والمنهل الصافي ٣٨٥/٧ والذيل الشافي ٤٣٣/١ والذيل التام ٢٤٣/١ والدارس ٣٧/١ والقلائد الجوهريّة ٥٠١/٢ وحسن المحاضرة ٢٨٣/١ وشذرات الذهب ٣٧٨/٨ والبدر الطالع ٤١٠/١ .

- مولده سنة ٧٢٨ هـ . ووفاته سنة ٧٧١ هـ .

- هو صاحب « طبقات الشافعية الكبرى » .

(٢) في ب : يَقْبَلُ الْأَرْضَ . . .

من الخِدمِ العَلِيَّةِ ، لِيَفُوزَ بِقَضَائِهِ إِيَّاهَا ، وَتَقْضِيَ بَعْضَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ بِقَضَائِهَا ، فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ فِي قَلْبِي يَمْنَعُهُ التَّوَمُّ ، وَفِكْرِي يَتَجَدَّدُ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، حَتَّى سَمِعَ [٧٨ ب] أَنَّ مَوْلَانَا يُشْرِفُ بِالْحُضُورِ بَعْدَ الْعِيدِ ، وَكَانَ يَوْمُ سَمَاعِهِ إِيَّاهُ عِنْدَهُ هُوَ الْعِيدُ ، وَاطْمَأَنَّ خَاطِرُهُ الَّذِي كَانَ فِي كُلِّ وَقْتٍ هَمُّهُ يَزِيدُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُ ظِلَّهُ الْمَدِيدَ ، وَيُثَبِّتِي عَلَى الْمُسْلِمِينَ إِحْسَانَهُ الْعَدِيدَ ، حَتَّى يَقُولَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مُحْسِنًا : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؛ بِمَنْتِهِ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكُتِبَتْ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ : [من السريع]

إِنْ غَبْتُ عَنْ جِلْقٍ يَوْمًا فَقَدْ رَجَوْتُ أَنْ يَجْتَمِعَ الشَّمْلُ
وَلَيْسَ عَنْ عَوْدِي إِلَيْهَا غِنَى لِأَنَّهَا لَيْسَ لَهَا مِثْلُ
فَإِنَّكُمْ شَرَفْتُمْ رَبْعَهَا وَامْتَدَّ لِلنَّاسِ بِهَا الظِّلُّ
وَهَكَذَا مَضُرُّ سَقَاهَا الْحَيَا كَانَتْ بِكُمْ تَفَخُّرٌ مِنْ قَبْلُ
يُقَبَّلُ^(١) الْأَرْضَ ، لَا أَبْعَدَ اللَّهُ عَهْدَهَا ، وَلَا أَنْسَى الْقُلُوبَ وَدَّهَا ، وَلَا أَعْدَمَ
الْأَوْلِيَاءَ ظِلَّهَا وَلَا رَفَدَهَا ، وَلَا حَرَّمَ السَّحَابِ الْهَطَّالَةَ أَنْ تَسْتَمِدَّهَا ؛ وَيَصِفُ
أَشْوَاقَهُ الَّتِي تَسْتَعِيرُ النَّارَ وَقَدَّهَا ، وَمَحَبَّتَهُ الَّتِي مَا قَطَعَهَا جَوْرُ الْبُعْدِ وَلَا صَدَّهَا ،
وَعُبُودِيَّتَهُ الَّتِي مَا أَدَّتْ شَهَادَةَ إِخْلَاصِهَا عِنْدَ حَاكِمِ فَرْدِهَا .

وَيُنْهِي وَرُودَ الْمُشْرِفِ الْكَرِيمِ ، فَوَقَفَ لَهُ مُنْتَصِبًا ، وَخَفَّفَ عَنْهُ بِرُؤْيِيَّتِهِ وَصَبَا ، وَذَكَرَ أَيَّامَهُ بِدَمَشَقٍ فَهَامَ وَجَدًا بِهَا وَصَبَا ، وَفَضَّهُ فَاسْتَخَفَّهُ الْإِعْجَابُ بِهِ طَرَبًا ، وَشَاهَدَ سَطُورَهُ فَقَالَ : هَكَذَا تَكُونُ الرِّيَاضُ ؛ وَعَايَنَ لُطْفَهُ فَقَالَ : هَكَذَا يَكُونُ الصَّبَا ، وَانْتَهَى إِلَى ذَلِكَ الْإِحْسَانِ الَّذِي أَلْفَهُ ، وَالْفَضْلِ الَّذِي مَا أَنْكَرَهُ مِنْدُ عَرَفَتِهِ ، وَالْجَبْرِ الَّذِي لَا يُقَارِقُهُ ، وَكَيْفَ تُفَارِقُ الْمَوْصُوفَ الصِّفَةَ .

(١) بداية سقط في ب .

فَأَمَّا الْأَبْيَاتُ اللَّامِيَّةُ ، فَإِنَّهُ سَجَدَ خَاضِعاً لَهَا فِكْرُهُ ، وَقَرَّبَهَا لَمَّا قَرَّبَهَا قِرَاؤُهُ ، وَسَرَّ سِرُّهُ ؛ وَعَلِمَ أَنَّ مَوْلَانَا بَحْرٌ ، وَهَذِهِ السُّطُورُ أَمْوَاجُهُ ، وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ دُرَرُهُ ، وَقَالَ : إِنَّ طَرْسَهُ رَوْضٌ ، وَكُلُّ سَطْرِ فِيهِ نَهْرٌ يَحْقُقُهُ مِنَ الْكَلَامِ زَهْرُهُ ، ثُمَّ اسْتَدْرَكَ الصَّوَابَ وَقَالَ : لَا ، بَلْ أَفُقٌ ، وَمِدَادُهُ لَيْلُهُ ، وَمَعَانِيهِ أَنْعَجُمُهُ ، وَالسَّجْعُ يَقُولُ : زُهْرُهُ ؛ فَاللَّهُ يُمَتِّعُ الْوُجُودَ بِهَذِهِ الْفَوَائِدِ الَّتِي جَوَاهِرُهَا تَاجِيَّةٌ ، وَالْمَحَاسِنِ الَّتِي إِنْ لَمْ تَكُنْ نُكْتُهَا فِي الْفِقْهِ سُرِنَجِيَّةٌ فَإِنَّهَا فِي الْأَدَبِ سِرَاجِيَّةٌ ، بِمَنْتِهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَلَمَّا وَقَفَ عَلَى قَوْلِي قَدِيمًا^(١) : [من مجزوء الكامل]

يَا رَحْمَتَا لَجَرِيرٍ مِنْ قَوْلٍ كَفَانَا اللَّهُ عَارَةً
 « طَرَقْتَكَ صَائِدَةُ الْفُؤَا دِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتِ الزِّيَارَةِ »^(٢)
 هَلْ كَانَ يَلْقَى إِذْ أَتَا هُوَ خِيَالٌ مَنْ يَهْوَى خَسَارَةً
 أَوْ كَانَ قَلْبٌ قَدْ حَاوَا هُوَ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ حِجَارَةً
 ● رَأَيْتُهُ قَدْ كَتَبَ :

لَمَّا رَأَيْتُ جُزْأَةَ جَرِيرٍ فِي الْحُبِّ وَجَسَارَتَهُ ، حَيْثُ طَرَدَ الْخِيَالِ حَتَّى نَادَى
 الْمَحْبُوبُ : يَا خَسَارَتَهُ ، وَعَجِبَ الْعَاشِقُونَ الَّذِينَ مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يَتَمَنَّى التَّعَلُّقَ
 بِجِبَالِ الْخِيَالِ ، وَيَتَعَنَّى^(٣) فِي تَرْجِيهِ وَيَرَى عَنَاءَهُ لَذَّةً ، وَلَوْ رَكِبَ فِي طَلَبِهِ حِيَادَ
 الْجِبَالِ ، [١٧٩] وَيَتَعَنَّى بِذِكْرِهِ وَلَوْ حَمَلَ فِي طَرِيقِهِ أَثْقَلَ عِبَاءٍ ، وَذَاقَ أَمْرًا أَمْرًا ،
 وَيَقُولُ : إِنَّهُ حُلُوٌّ عَلَى مَا فِيهِ ، وَمَا يَبْعُدُ فِي قَوْلِهِ إِذْ لَيْسَ هُوَ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ فِي
 قَوْلِهِ : [من الكامل]

(١) الأبيات في الغيث المسجم ٢٤٢/١ وطبقات السبكي ١٥٠/٩ .

(٢) ديوان جرير ٩٩٠/٢ .

(٣) الكلمة مكانها بياض في أ . والمثبت من س .

طَرَقْتَكَ صَائِدُهُ الْفُؤَادِ وَلَيْسَ ذَا
وَرَأَيْتُ مَا رُئِيَ لَهُ بِهِ فَلَانٌ حَيْثُ قَالَ - وَذَكَرَ الْأَبْيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةَ - وَرَأَيْتُهُ أَبْدَعَ
فِيهِ ، فَمَا بَعْدَهُ كَلِمَةٌ تُقَالُ ، وَمَا أَحْسَنَ مَا رُئِيَ بِهِ لِعَجْرِيرٍ فِي هَذِهِ الْعَثْرَةِ الَّتِي
لَا تُقَالُ ؛ يَا لَهَا مِنْ عَثْرَةٍ ، خَجَلْتُ لَهَا عَثْرَةُ الْمُحِجِّينَ ، وَجَرْتُ خَجَلًا عَلَى
جَرِيرٍ مِنْ أَجْلِهَا عِبْرَةَ السَّامِعِينَ ، لَكِنْ لَمَّا رَأَيْتُ فَلَانًا لَمْ يَذْكُرْ أَشْنَعَ مَقَالَتِهِ الَّتِي
مَا رَأَيْنَا غَيْرَهُ بِمِثْلِهَا فَاهٌ ، وَهِيَ قَوْلُهُ : فَارْجِعِي ، الَّتِي أَخَذْتُ مِنَ النَّكَارَةِ أَوْفَرَ
نَصِيبٍ وَأَوْفَاهُ ، قُلْتُ^(١) : [من الكامل]

إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ جَرِيرٍ وَقَوْلِهِ
« طَرَقْتَكَ صَائِدُهُ الْفُؤَادِ وَلَيْسَ ذَا
وَاعْذُرْ فَلَسْتُ بِقَادِرٍ وَاللَّهِ أَنْ
قَوْلًا غَدَوْتُ بِهِ أَنْكُرُ حَالَهُ
وَقَتَّ الزِّيَارَةَ » فَاسْتَمِعَ أَقْوَالَهُ
أَخْكِي الَّذِي بَعْدَ الزِّيَارَةِ قَالَهُ

● وَقُلْتُ أَيْضًا^(٢) : [من مجزوء الكامل]

هَذَا مَقَالُكَ يَا جَرِيرُ
هَلْ تَمَّ وَقَتُّ لَيْسَ يَضُ
أَمْ قِيلَ قَبْلَكَ فَارْجِعِي
أَمْ كَانَ حُبُّكَ كَاذِبًا
أَمْ كَانَ قَلْبُكَ مِنْ حديد
لَدَيَّ أَشْنَعُ مَا يُقَالُ
سُحٌّ لِلزِّيَارَةِ وَالْوِصَالِ
وَلِذَاكَ ذَنْبٌ لَا يُقَالُ
فَمَنَامُهُ يُنْفِي الْخِيَالَ
لَيْسَ تُؤْذِيهِ النَّبَالَ

● وَكُنْتُ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ قُلْتُ^(٣) : [من مجزوء الكامل]

يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَحَبَّ
إِنْ كَانَ يَضْدُقُ حُبُّهُ
بَ جَرِيرُ إِذْ أَبْدَى اعْتِذَارَهُ
فَالْقَلْبُ مِنْهُ كَالْحِجَارَةِ

(١) الأبيات في طبقات السبكي ١٥١/٩ .

(٢) الأبيات في تعريف ذوي العلا ٢٠٠ - ٢٠١ .

لَا بَلَّ أَشَدُّ قَسَاوَةً
إِذْ قَالَ قَوْلًا لَمْ يَقْدِرْ
طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْفُؤَا

وَانْظُرْ لَهُ أَبْدَى عُوَارَةً
هُ عَاشِقٌ أَوْ ذُو جَسَارَةٍ
دِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتِ الزِّيَارَةِ »

● وقلتُ : [من مجزوء الكامل]

شُكْرًا لِنَوْمٍ بِالْخِيَا
مُذْ جَاءَ طَيْفُكَ فِي الْمَنَا
وَنَعِمْتُ إِذْ هُوَ خَيْرُ وَضْ
لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا رَقِيعَ
وَفَرِحْتُ لَا كَجَرِيرٍ قَا
طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْفُؤَا

لِ أَتَى فَلِي مِنْهُ الْبِشَارَةِ
مِ أَزَالَ عَنْ عَقْلِي خُمَارَةَ
لِ لَا يُنَاطَرُ فِي النَّصَارَةِ
بِ حَاكِمٍ يُبْدِي اقْتِدَارَةَ
لِ بَقَسْوَةٍ مِثْلِ الْحِجَارَةِ
دِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتِ الزِّيَارَةِ »^(١)

انتهى ما نقلته أنا من خطه .

● وقلتُ أنا أَسْتَدْرِكُ مَا لَمَحَهُ الْقَاضِي تَاجُ الدِّينِ الْمُشَارُ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ

الْمَقَاطِعِ^(٢) : [من مجزوء الكامل]

أَمَّا جَرِيرٌ فَلَمْ يَكُنْ
أَوْ مَا تَرَاهُ أَتَتْهُ صَا
بَلْ قَالَ جَهْلًا : لَيْسَ ذَا
لَوْ كُنْتُ حَاضِرَ أَمْرِهِ

صَبَّأً وَلَكِنْ يَدَّعِي
بُدَّهُ الْفُؤَادِ فَلَمْ يَعْ
وَقَتِ الزِّيَارَةِ فَازْجِعِي
قُلْتُ : ازْجِعِي وَلَهُ اضْغَعِي

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ مُلْغِزًا فِي « نَجْم » : [من المجتث]

يَا أَوْحَدَ الْعُلَمَاءِ وَوَاحِدَ الْأَدَبَاءِ

(١) البيت من م فقط .

(٢) الأبيات في طبقات السبكي ١٥١/٩ .

يَبْنَ لَنَا مَنْ يُرَى فِي
وَتُلُثُّهُ فِي عُبَابٍ
وَذُو الْحُرُوفِ ثَلَاثٌ
وَنُورُهُ قَدْ هَدَانَا
مَقْلُوبُهُ الْقَطْعُ فِيهِ
ظَهَرَ الثَّرَى وَالْعَلَاءُ
وَكُلُّهُ فِي السَّمَاءِ (١)
تَبْدُو بِغَيْرِ خَفَاءٍ
فِي لَيْلِهِ وَالْمَسَاءِ
عَنْ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ

● فكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ : [من المجتث]

[٧٩ ب] يَا آدَبَ الْفُقَهَاءِ
وَمَنْ تَقَمَّصَ ثَوْباً
أَلْعَزَتْ لِي فِي مُسَمًى
فَنَمَّ لِي طَرْفَاهُ
ثُلَاثَاهُ وَضَفَّ لِفَعْلٍ
يَكُونُ مَزْعًى بِأَرْضٍ
وَرَأْسُهُ حَيَّوَانٌ
فَاسْلَمْ وَدُمَ فِي نَعِيمٍ
وَأَفَقَّاهُ الْأَدَبَاءِ
لِلْعِلْمِ أَغْرَى الْكِسَائِي
بَادِي السَّنَا وَالسَّنَاءِ
بِسِرِّهِ ذِي الْخَفَاءِ
حَوَيْثُهُ بِاعْتِنَاءِ
وَزِينَتِهِ لِلْسَّمَاءِ
فِي الْبَحْرِ لَا فِي الْفَضَاءِ
وَعِزَّةً وَنَمَاءً (٢)

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مُلَغِزاً (٣) : [من السريع]

يَا أَيُّهَا الْبَحْرُ الَّذِي لَفْظُهُ
وَصَاحِبُ الطُّوْلِ الَّذِي فَضْلُهُ
أَنْبَتَ خَلِيلُ الْعِلْمِ أَوْ رُبُّهُ
مَا مَرَّ بِي مِثْلَكَ إِلَّا فَتًى
دُرٌّ وَعِلْمُ النَّاسِ مِنْ مَدِّهِ
قَصَّرَ كُلُّ الْخَلْقِ عَنْ حَدِّهِ
وَمَنْ أَتَى الْوَفْدُ إِلَى رِفْدِهِ
قَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى حَمْدِهِ

(١) ثلثه : نون = السمك .

(٢) نهاية السقط في ب .

(٣) « ملغزاً » من م .

لَمْ لَا وَإِنْ لَمْ تَكْ فَزَعَا لَهُ
صَدْرُكَ مَوْصُوفٌ بِمَقْلُوبِهِ
وَهُوَ إِذَا مَا حَذَفُوا وَسَطَهُ
لَا زِلْتُ ذَا مَعْنَى يُنِيلُ الْغِنَى
فَلِلَّذِي يَخْوِيهِ أَوْ ضِدَّهُ
وَجَانِبَاهُ الْخَيْرُ مِنْ عِنْدِهِ^(١)
أَنْتَ وَمَنْ يُؤْتَى إِلَى وَرْدِهِ^(٢)
وَيُلْقَطُ الْجَوْهَرُ مِنْ عَقْدِهِ

● فلم يظهر لي ما قاله ؛ فكتبت إليه جواباً : [من السريع]

يَا فاضِلاً لَا شَكَّ فِي فَضْلِهِ
أَنْتَ الَّذِي إِنْ قَالَ نَظْماً فَقَدْ
أَهْدَيْتَ لُغْزاً لَا يُرَى مِثْلُهُ
لَكِنَّهُ خَافٍ عَلَى أَكْمِهِ
فَلِإِنِّي لَمْ أَلْقَ بَاباً إِذَا
زِدُهُ بَيَاناً إِنِّي عَاجِزٌ

● فكتب هو إليّ : [من البسيط]

النَّجْمُ أَنْتَ وَقَدْ أَهْدَى دَرَارِيهَ
لِلَّهِ عِلْمُكَ لَيْسَ « الْبَحْرُ » يُشَبِّهُهُ
كَذَاكَ فَفَهْمُكَ مَا الْحَاوِي وَوَضِيعُهُ
قَدْ حُزَّتْ بَابُ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ مَا رَبِّبَ
جَبَّرْتَنِي وَنَظَرْتَ الْبَحْسَ مِنْ كَلِمٍ
وَبَعْدَ ذَلِكَ أَرَدْتَ الْعَبْدَ تَجَبُّرُهُ
حَاشَاكَ حَاشَاكَ يَا أَذْكَى الْخَلَائِقِ مِنْ
يَا فَاضِلَ الْوَقْتِ زَادَ الْفَضْلُ مِنْكَ وَيَا

و« الْبَحْرُ » أَنْتَ وَهَذَا دُرُّهُ فِيهِ
وَلَيْسَ عَبْدُ الرَّحِيمِ الْحَبْرُ يَحْكِيهِ
وَمَا الْإِمَامُ وَحَقُّ اللَّهِ حَاوِيهِ
وَجُزَّتْ مَنْ قَدْرُهُ حَقّاً مَعَالِيهِ
لِمِثْلِ فَضْلِكَ شَخْصٌ لَيْسَ يُهْدِيهِ
وَقُلْتُ : أَعْجِزُ عَنْ حَلِّ لِمَا فِيهِ
عَجِزٍ وَأَنْتَ عُبَابٌ مَنْ يُدَانِيهِ
رَبُّ النَّدَى وَأَخَا مَا رُخْتُ أَحْكِيهِ

(١) اللُّغْزُ « بحر » . ومقلوبه : « رجب » . وجانباه « ربُّ » .

(٢) يقصد : ربُّ البيان .

أَنْتَ ابْنُهُ بِمَقَالِ اللَّهِ خَالِقِنَا كُلُّ ابْنِ آدَمَ حَيٍّ مِنْهُ أَحْيِيهِ
لَا زِلْتَ تَجْبُرُنِي وَالنَّاسَ أَجْمَعَهُمْ فَاللَّهُ يَحْفَظُ مَوْلَانَا وَيُبْقِيهِ

● فكتبَ الجوابَ عن ذلك : [من البسيط]

يَا نَاطِماً لَمْ نَجِدْ فِيْنَا مُبَارِيهِ وَيَا بَلِيغاً تَرَقَّى فِي فَصَاحَتِهِ
هَذَا قَرِيضُكَ مِنْ دُرٍّ تُنْظِمُهُ أَلْغَزْتَ يَا « بَحْرَ » عِلْمٍ قَدْ طَمَى وَرَبَا
أَلْغَزْتَ يَا « بَحْرَ » عِلْمٍ قَدْ طَمَى وَرَبَا فِي مَا يَحِلُّ لِكُلِّ النَّاسِ مَيْتُهُ
وَأَنْتَ فِي الْعِلْمِ يَوْمَ الْبَحْثِ تُشَبِّهُهُ وَإِنْ أَفَدْتَ فَلَمْ تُذَكِّرْ عَجَائِبُهُ
[١٨٠] لَا زِلْتَ تُظْهِرُ فِي فَنِّ الْقَرِيضِ لَنَا

● وكتبَ إليه من حمص^(٢) المحروسة^(٣) : [من الكامل]

يَا سَيِّداً سَافَرْتُ عَنْهُ وَلَمْ أَجِدْ جَلَدِي يُطَاوِعُنِي عَلَى تَوْدِيْعِهِ
إِنْ غَبْتُ عَنْكَ فَإِنَّ قَلْبِي حَاضِرٌ يُمْلِي التَّشَوُّقَ لِلْحِمَى وَرُبُوعِهِ
وَكَأَنَّهُ يَبِيتُ تَوَهُّمَ شَاعِرٍ مِنْ وَزْنِهِ فَاخْتَالَ فِي تَقْطِيعِهِ
فَاخْفَظْهُ لِي حَتَّى أَعُودَ فَإِنَّهُ رَهْنٌ عَلَى شُكْرِ النَّدَى وَصَنِيعِهِ

● فكتبَ هوَ إليَّ الجوابَ^(٤) : [من الكامل]

يَا رَاحِلاً بِحَسَا الْمُقِيمِ عَلَى الْوَفَا مَا الطَّرْفُ بَعْدَكَ مُؤْذِناً بِهُجُوعِهِ

(١) في ب : في مقالته × .

(٢) قال الشُّبْكِي : كتبَ إليَّ مرَّةً وقد سافر إلى مصر ولم يودَّعني .

(٣) الأوَّل والثاني في طبقات الشافعية للشُّبْكِي ٦/١٠ .

(٤) الأبيات في الطبقات ٧/١٠ عدا الأخير .

إِنْ غِبْتَ عَنْهُ فَمَا تَغَيَّرَ مِنْهُ يَا مَوْلَايَ غَيْرُ الْجِسْمِ بَعْدَ دُمُوعِهِ
وَالْقَلْبُ بَيْنْتُ هَوَاكَ كَأَنَّهُ بَيْنْتُ الْعَرُوضِيِّينَ فِي تَقْطِيعِهِ
وَكَذَا يَكُونُ أَخُو الصَّفَاءِ إِذَا نَأَى عَنْهُ الْخَلِيلُ أَبُو الصَّفَاءِ جَمِيعِهِ^(١)

وكتبَ هو إليَّ وقد انْقَطَعَتْ عَنْهُ لِضْرُورَةٍ ، والتَزَمَ النَّاءُ : [من الكامل]

يَا ذَا الَّذِي قَطَعَ الزِّيَارَةَ مَا الَّذِي لِلْفَضْلِ بَعْدَ الْوَصْلِ مِنْكَ قَدْ اقْتَضَى
أَنَا لَمْ أَغَيِّرْ عَادَتِي مَعَ أَنَّهَا مَا قَدْ عَلِمْتَ عَوَائِدُ لَا تُرْتَضَى
فَلَايِي شَيْءٌ أَنْتَ تَقْطَعُ عَادَةً مَرْضِيَّةً وَتَسْلُ سَيْفًا مُنْتَضَى

● فكتبْتُ أَنَا الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ مُلتَزِمًا : [من الكامل]

حَاشَا عَوَائِدَكَ الْكَرِيمَةَ أَنَّهَا تُلْفَى إِذَا أَنْصَفْتَهَا لَا تُرْتَضَى
يَا مَنْ إِذَا نَظَمَ الْقَرِيضَ بَدِيعَةً فَاتَ الرِّضَى سَبَقًا وَفَاقَ الْمُرْتَضَى
وَإِذَا أَلَاخَ بِفَهْمِهِ فِي مُشْكِلٍ جَلَّى دُجَاهُهُ لِأَنَّ ذَاكَ الْمُرْتَضَى^(٢)
وَعِدَائُهُ تَمْضِي فَمَا تَخَاجُ مِنْ كَرَمِ السَّجِيَّةِ فِي النَّدَى أَنْ تُقْتَضَى
وَإِذَا دَجَا خَطْبُ الرَّدَى فَبُوجْهِهِ وَبِرَأْيِهِ يَوْمَ الْكَرْبَةِ يُسْتَضَى
زِدْنِي جَفَا حُوشِيَّتَ مِنْهُ أَرَدَدُ وَفَا وَالْقَى الرَّدَى بِي تَلَقَّ سَيْفًا مُنْتَضَى
لَا زَالَ جُودُكَ صَوَّبَ مُزِنَ هَاطِلٍ يُطْفِي مِنَ اللَّأْوَاءِ جَمْرًا مُخْتَضَى^(٣)

● وكتبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مِنْ حَلَبَ المحروسة ، وقد عَزَلَ عَنْ مَنَصِبِ الْقَضَاءِ :

[من الطويل]

أَلَا مَا لِهَذَا الْعَصْرِ لَا رُزْقَ الْبَقَا يُغَادِرُنِي مِنْ حَيْرَتِي فِيهِ مُطْرِقَا

(١) وسقط ما بعد ذلك من س إلى آخر الترجمة . ورواية هذا البيت في م : . . أخو الوفاء إذا نأى × .

(٢) المُرْت : المفازة . وضاً : أضاء .

(٣) محتضاً : متزايداً . (اللسان) .

فَكَمْ رَاعٍ مِنْ رَوْعٍ بِصَوْبٍ مُصِيبَةٍ
وَكَمْ خَصَّ بِالتَّكْدِيرِ صَفْوَ مَسَرَّةٍ
وَأَبْعَدَ عَنْ أَوْطَانِهِ كُلَّ أَلْفٍ
خَلِيلِي أَبَا نَضْرٍ أَبْعَدَ اتِّحَادِنَا
فَعُودِرْتُ رَهْنَ الذُّلِّ فِي حَلَبٍ كَمَا
فَلَا أَنَا فِي الشَّهْبَاءِ لَأَقِيْتُ رَاحِمًا
وَقَدْ كُنْتُ فِي حَالٍ تَسْرُ حَوَاسِدِي
فَعَادَرَنِي سَكْرَانٍ مِنْ خَمْرَةِ الرَّدَى
أَبَيْتُ سَمِيرًا لِلْكَآبَةِ وَالْأَسَى
بِحِسْمٍ غَدَا مِنْ حَادِثِ الْبَيْنِ مُخْلَقًا
لَقَدْ زَادَنِي غَيْظًا عَلَى الدَّهْرِ كَوْنُهُ
وَلَمْ يَزَعْ فِيكَ الْعِلْمَ وَالْحِلْمَ وَالنُّهَى
وَحُسْنٌ تَلَقَّيْ زَائِرِيكَ بِطُلْعَةٍ

[٨٠ ب] بِهَا الْبِشْرُ يَكْسُو الصُّبْحَ فِي الْأَفْقِ رَوْنَقًا^(٣)
وَتِلْكَ التَّصَانِيفُ الَّتِي كَلِمَاتُهَا
فَمَا مُحَرَّقٌ إِلَّا سَقَتُهُ عُلُومُكَ الْـ
وَدَرْسًا غَدَا فِي الْفِقْهِ ضَمَّتْ بُحُوثُهُ
وَبَحْثًا يُرِينَا لِلصَّوَابِ إِذَا بَدَا
وَلَفْظًا غَدَا بِالْجَبْرِ فِينَا مُقَيَّدًا
كَدُرٌّ عَلَى جِنْدِ الْكَوَاعِبِ مُنْتَقَى
حَيَاءً فَتَبَدَا بِالْحَدَائِقِ مُخْدَقًا^(٤)
أُصُولًا وَتَفْسِيرًا وَنَحْوًا وَمَنْطَقًا
جِيَادُكَ مِنْ دُونِ الْمُجَارِبِينَ سَبَقَا
وَكَفَا غَدَا إِحْسَانُهَا الْجَمُّ مُطْلَقًا

(١) في ب : × بعدنا

(٢) أقحم ناسخ ب سبعة عشر بيتاً من هذه القصيدة ضمن جواب السبكي ، بدءاً من هذا البيت .

(٣) سقط هذا البيت من ب .

(٤) المُحَرَّق : العطشان . وفي ب : فما مترف . . . × .

فَكَمْ رَاحَ سَمْعٌ مِنْ حُلَاكَ مُشْتَفَاً
أَيَّامَ تَاجِ الدِّينِ قَدْ زِلْتَ بَعْدَمَا
وَأَنْسَيْنَا مَا كَانَ يَذْكُرُهُ الْأُولَى
وَذُقْنَا بِكَ الْكَأْسَ الَّتِي خَنْدَرِيْسُهَا
وَفَضْلُكَ مَا يَخْفَى وَقَدْ مَلَأَ الْمَلَا
لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَجْدَ لَيْسَ بِهِيِّنَ
وَمَا هَضْبَاتُ الْفَضْلِ مِمَّا تَطَامَنْتَ
لَيْزِنَ كُنْتَ بَعْدَ الْحُكْمِ فِي النَّاسِ عَاطِلاً
فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا وَاهِبٌ ثُمَّ سَالِبٌ
وَقَدْ نِلْتَ مَا تَخْتَارُهُ مِنْ وَلَايَةٍ
وَلَا تَنْسَ إِنْ جَالَتْ بِفِكْرِكَ خَطَرَةٌ

وَكَمْ بَاتَ جَيْدٌ مِنْ نَدَاكَ مُطَوَّقَا
نَهَجْتَ طَرِيقاً لِلصَّوَابِ مُطَرَّقَا
مَضَوْا مِنْ زَمَانٍ مَرَّ حُلُوًّا عَلَى النِّقَا
غَدَا زَنْجَبِيلاً فِي اللَّهَاءِ مُرَوَّقَا
وَذَكَرَكَ عَمَّ الْأَرْضِ غَرْباً وَمَشْرِقَا
فَكَمْ سَابِحٍ فِي يَمِّهِ الْمَوْجُ أَغْرَقَا^(١)
لِفَارِعِهَا لَا بِالرُّقْيِ وَلَا الرُّقَى^(٢)
فَكَمْ زَيَّنْتَ تَيْجَانُ حُكْمِكَ مَفْرَقَا
وَمَا زَالَ فِي سَلْبِ الْوَدَائِعِ شَيْقَا
وَحُكْمٍ فَلَا تَجْزَعُ إِذَا انْحَطَّ مَا أَرْتَقَى
تَسْوُوكَ أَنْ تَتْلُو وَإِنْ يَفْزَقَا^(٣)

● فكتبَ هو الجوابَ إليَّ عن ذلك ، من جُمْلَتِهِ : [من الطويل]

هُوَ الدَّهْرُ لَا يَنْفَكُ لِلْحُرِّ مُقْلَقَا
يُغَيِّرُ حَالاً بَعْدَ حَالٍ وَذُو النُّهَى
وَمَنْ يَكُ بِاللَّهِ الْمُهَيِّمِ عَارِفاً
وَعِنْدِي بِحَمْدِ اللَّهِ صَبْرٌ بِمَا قَضَى
فَلَوْلَاهُ بِالْمَمْلُوكِ كَانَ جَوَابُهُ
وَلَكِنْ دَهَانِي نَحْوُ تَضْرِيْفِهِ الَّذِي

هُوَ الدَّهْرُ ذُو التَّغْيِيرِ لَيْسَ لَهُ بَقَا
صَبُورٌ عَلَى الْحَالَيْنِ جَلَدٌ عَلَى الشَّقَا
تَصَبَّرَ لَمْ يَزْتَغِ إِذَا كَانَ ذَا تُقَى
وَمَوْثُوقٌ أَمْرٍ يَمْنَعُ الشُّعْرَ مُطْلَقَا
بَسِيطاً كَسَاهُ مِنْ ثَنَائِكَ رَوْنَقَا
دَهَانِي فَلَا أَسْطِيعُ وَاللَّهِ مُطِيقَا

● وكتبْتُ إليه أَهْنُهُ ، وقد عادَ إلى مَنْصِبِهِ قِضَاءِ الْقُضَاةِ ، فِي شَوَّالِ سَنَةِ

٧٥٩ : [من الكامل]

(١) نهاية الإقحام في جواب السُّبُكِيِّ فِي ب .

(٢) سقط من ب .

(٣) الإشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَفْزَقَا يُعِزَّنِ اللَّهُ كَلَامًا مِنْ سَعَتِهِ ﴾ [النساء : ١٣٠] .

بِرُجُوعِ تاجِ الدِّينِ قاضي الشَّامِ
 قاضي القضاةِ الفاضِلِ الحَبْرِ الَّذِي أُنِدَّ
 نالَ الكواكِبَ قاعِداً لا قائِماً
 مَنْ قَوْمُهُ الْأَنْصارُ لا عَجَبٌ لَهُ
 وَالْخَزَرَجِيُّونَ الْأُولَى نَسَلُوهُ أَوْ
 وَهُمْ أَيْمَةٌ مَنْ قَضَى بَيْنَ الْأَنَا
 فِي ذُرْوَةِ سَمَاءٍ تَعْلُو بِالثَّقَلَى
 لَمَّا تَوَلَّى أَقْبَلَ الْخَيْرُ الَّذِي
 أَفْنَى فَلَا يَغْنَى مَدَى أَيَّامِهِ
 ناءٍ عَنِ الشَّهَوَاتِ لَيْسَ تَقْوَدُهُ الذُّ
 عَارِ مِنَ الْعَارِ الَّذِي أَطْمَارُهُ
 مَتَمَسَّكَ بِالْحَقِّ فِي أَعْمَالِهِ
 ذَهْنٌ يَغُوصُ عَلَى الْحَقَائِقِ لَا كَمَنْ
 انْظُرْ فَتَاوِيهِ الَّتِي مِنْ حُسْنِهَا
 كَتَمَ الثَّقَلَى لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ
 هَذَا الَّذِي قَدْ راحَ فِيهِ مَضَرَّةٌ
 فِي الْفِقْهِ مِثْلُ الرَّافِعِيِّ وَالنَّحْوِ مِثْلُ
 وَكَذَا الْحَدِيثُ فَإِنَّهُ فِي عِلْمِهِ
 وَلَهُ يَدٌ طَالَتْ لِنَقْدِ صَحِيحِهِ
 وَكَذَا أَصُولُ الدِّينِ وَالْفِقْهُ انْزَوَى
 وَكَذَا الْمَعَانِي وَالْبَيَانُ فَصاحِبُ الدِّ

أَضْحَى الْهَنَاءُ مُوقَرَّ الْأَقْسامِ
 قَادَتْ لَهُ الْعُلْيَا بِغَيْرِ زِمَامِ
 مَنْ ذَا يَسُومُ فِعَالَهُ وَيُسَامِي
 إِنْ صَارَ مُزْتَفِعاً عَلَى الْأَقْوامِ
 فِي مَنْ يَفِي لِمُحِبِّهِ بِذِمَامِ
 مِ يَنْقِظُهُ وَهُمْ أُولُو الْأَحْلامِ
 وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ رُكْنِ شِمَامِ
 قَدْ كَانَ فِي حُجُبٍ مِنَ الْإِحْجامِ
 فِي الْعِلْمِ لَمْ يَطْعَمْ لَذِيذَ مَنَامِ
 دُنْيَا إِلَى مَغْنَى هَوَى وَغَرَامِ
 غَطَّتْ عُوارَ سِوَاهُ بِالْآثامِ
 مُتَوَثِّقٌ بِالْعَدْلِ فِي الْأَحْكامِ^(١)
 [٨١] خاضَ الْخَطَا أَوْهَامَ فِي أَوْهَامِ
 تُشْفِي غَلِيلَ صَبَابَةٍ وَهِيَامِ
 كَتَمَ الشَّدَا مِنْ عَرَفِهِ النَّمَامِ
 لِلشُّرْكِ مِثْلُ مَسَرَّةِ الْإِسْلامِ
 لِرِ الْفَارِسِيِّ وَالْبَحْثِ كَالنِّظَامِ
 وَرِجَالِهِ عَلِمَ مِنَ الْأَعْلَامِ
 فَلَكُمْ شَفَاةً مِنْ ضَنْئٍ وَسَقَامِ
 عَنْهُ الْإِمَامُ فَلَمْ يَكُنْ بِإِمَامِ
 مِفْتَاحِ سَلَمِهِ لَهُ بِسْلامِ

(١) في ب : × مستوثق

وكذا القريضُ فما يُشَقُّ غبارُهُ
 قالَ الحَسودُ وقد أتى تَقْلِيدُهُ
 فالصُّبْحُ قد مَلَأَ الوُجودَ بِشائِرًا
 والنَّهْرُ صَفَقَ والغُصونُ تراقصَت
 والنَّزْجِسُ انْفَتَحَتْ لَواحِظُهُ وشَمَّ
 والأفْحوانُ برُوضِهِ يفتَرُّ عَن
 والروُضُ حَلَّى جِنْدِهِ بأزاهِرِ
 نُشِرَتْ مَطارِفُهُ التي ما طَرَزَتْ
 هذا وأصحابُ الهَناءِ مِنَ الوري
 قد حَبَرُوا الأمداحَ فِيهِ وحرَّروا
 وجَلَّوا على الأسماعِ فِيهِ عرائِسا
 لو يَقْدِرُونَ سَعَوْا على وَجْناهِمْ
 فَأَرَدْتُ أَنْ أُجْري سَكيبَ قَريبِتي
 لا زَالَ في سَعْدِ مَدَى الأَيَّامِ ما

لو كانَ جاراهُ أبُو تَمَّامٍ
 ما لِلدُّمُوعِ تَرومُ كُلَّ مَرامٍ
 راياتُها خَفَّاقَةُ الأَعْلَامِ
 طَرباً لِشَذْوِ بَلابِلِ وَحَمَامِ
 مَمَرِ ساقِهِ إِذِ عُدَّ في الخُدَّامِ
 ثَغِيرِ شَتِيتِ ضاحِكِ بَسَامِ
 هِيَ كالزَّواهِرِ في أديمِ ظَلَامِ
 مِنْها البُرودُ أَنامِلُ الرِّقَامِ
 ما يَبْنِ نَشارِ إلى نَظَامِ
 أوصافُهُ يَدائِعِ الأَفْهامِ
 كَانَتْ مَواشِطُها مِنَ الأَقْلَامِ
 وعُيونُهُم فَضْلاً عَنِ الأَقْدَامِ
 لأَفْوزَ فيما بَينَهُم بِمَقَامِ
 رَقَصَتْ زَهورُ الرِّوَضِ بالأَكْمامِ

يُقَبِّلُ الأَرْضَ ، وَيُهْنِيءُ نَفْسَهُ والأَنامَ ، وَليالي هذا العَصْرِ والأَيَّامَ ،
 والقُضايا والأَحْكامَ ، وأَصحابَ السُّيوفِ وأزبابَ الأَقْلَامِ ، والمُسلِمِينَ قاطِبَةَ
 والإِسلامَ ، وأزبابَ الطُّيالسِ والأَعْلَامِ ، بِما مَنَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مِنْ هَذِهِ العَوْدَةِ
 المُبارَكَةِ ، التي جَمَعَمَ ضَمِيرُها زَماناً وَصَرَخَ ، وأَفشَى سِرَّها المُبارَكُ بَعْدَما
 لَوَّى عُنُقَهُ حِيناً وَلَوَّحَ ، وَقابَلَ نُسْخَةَ ظُهورِها وَصَحَّحَ ، فالقُلُوبُ قد امْتَلَأَتْ
 سُروراً ، واستطيرتْ حُبوراً ، والأَبْصارُ قد قَوَّتْ ، والبَصائِرُ قد زادَتْ نُوراً^(١) :

[من البسيط]

(١) البيت لابن التبيه ، في ديوانه ٩٢ والتذكرة الفخرية ٣٠١ (دمشق) .

وَكُوكِبُ الصُّبْحِ نَجَابٌ عَلَى يَدِهِ مُخَلَّقٌ تَمَلُّاُ الدُّنْيَا بِشَائِرِهِ
 وَيُنْهِي أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ هَذَا الْخَبَرُ الَّذِي مُبْتَدَأُهُ مَرْفُوعٌ ، وَصِدْقُهُ غَيْرُ مَطْعُونٍ فِيهِ
 وَلَا مَدْفُوعٌ ، وَمُفْرَدٌ لَذَاتِهِ فِي الْأَسْمَاعِ لَا يُوجَدُ فِي مَجْمُوعٍ ؛ أَرَادَ الْمُبَادَرَةَ
 بِالْهَنَاءِ ، وَالْمُسَابَقَةَ إِلَى إِظْهَارِ هَذِهِ الْمَسْرَّةِ الْوَافِيَةِ بِالنَّعْمَاءِ ، فَفَكَ خَتَمَ ضَمِيرَهُ
 لَمَّا فَكَّرَ ، وَقَدْ عُنُقَ تَطَاوُلُهُ لَمَّا قَدَّرَ ، وَكَرَّرَ رَاجِعاً وَأَنَابَ وَاسْتَغْفَرَ ، وَقَالَ^(١) :

[من الكامل]

وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنَّنِي هَنَأْتُهُ وَأَنَا الْمُهْنَأُ فِيهِ بِالنَّعْمَاءِ
 [٨١ ب] ثُمَّ إِنَّهُ أَذْكَرَ فَأَمْسَكَ ، وَقَالَ : اذْكُرْ يَوْمَكَ وَخَلِّ أَمْسَكَ ، وَاعْرِفْ
 لِمَنْ تُخَاطِبُ وَازْحَمْ نَفْسَكَ ، وَتَمَسَّكَ بِأَذْيَالِ الْإِغْضَاءِ ، وَخَفَ نَارَ الْمَهَابَةِ أَنْ
 تَمَسَّكَ ؛ فَأَحْجَمَ الْمَمْلُوكُ إِذْ ذَاكَ ، وَقَالَ : الْعَجْزُ عَنْ دَرْكِ الْإِدْرَاكِ
 إِدْرَاكُ^{(٢)(٣)} : [من مجزوء الكامل]

وَإِذَا سَكِرْتُ فَإِنَّنِّي رَبُّ الْخَوَزْنَقِ وَالسَّيْدِ
 وَإِذَا صَحَوْتُ فَإِنَّنِّي رَبُّ الشُّوَيْهَةِ وَالْبَعِيرِ
 وَقَدْ بَعَثَ الْمَمْلُوكُ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ الْمِيمِيَّةِ ، وَهِيَ تَعُومُ فِي يَمٍّ مِنَ الْحَجَلِ ،
 وَتَجُرُّ وَرَاءَهُ ذَيْلُ التَّقْصِيرِ وَالْوَجَلِ ؛ وَالْمَسْئُولُ مِنْ صَدَقَاتِ مَوْلَانَا الْوُقُوفُ
 عَلَيْهَا ، وَالصَّدَقَةُ بَنَظَرِهِ إِلَيْهَا ، وَتَغْطِيَةُ مَسَاوِيهَا ، وَعَدَمُ عَرْضِهَا عَلَى مَنْ
 يُنَاوِيهَا ؛ وَاللَّهُ يُنْتَعِ الْأَنَامَ بِهَذِهِ الْأَيَّامِ ، وَيَجْبُرُ وَلَيْهَا إِنْ عَامَ فِيمَا يَرَاهُ مِنْ
 الْإِنْعَامِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) البيت للصابي ، وقد مضى .

(٢) صدر بيت للإمام علي رضي الله عنه ، في ديوانه ٣٠٤ . وتماهه :

العجـز عـن درك الإدراك إدراكٌ والبحـث عن سـر ذات السـر إشـراكٌ

(٣) البيتان للمنخل الشكري ، في الأغاني ٤/٢١ والأصمعيات ٦١ .

● فكتبَ هو الجوابَ إليَّ عن ذلك : [من الكامل]

أَبْدَأَ لِلْفِظْكَ بِهَجَةِ النَّظَامِ وَسَنَاءُ دُرٍّ لَاحِ ضَمْنِ نِظَامِ
وَعَلَامَةٌ شَهِدَتْ بِأَنَّكَ بَيْنَنَا عَلَامَةٌ قَدْ فَاقَ كُلَّ عَلَامِي^(١)
هَلْ ذَاكَ نَجْمٌ فِي سَمَاءِ فَصَاحَةٍ رَاقٍ يَرُوقُ لِصَاحِبِ الْأَفْهَامِ
أَوْ جَوْهَرٌ فِي الْبَحْرِ نَاءٍ غَائِصُ أَوْ زَهْرٌ رَوْضٍ ضَاحِكٍ بَسَامِ
أَوْ خَنْدَرِيسٌ بِالْعُقُولِ تَلَاعَبَتْ لَا بَلَّ كَلَامُ إِمَامٍ كُلَّ كَلَامِ
شَيْخِ الْكَلَامِ وَذِي النُّظَامِ أَخِي الْعِظَا مِمنَ الْأَنَامِ الْوَافِرِ الْأَقْسَامِ
رَبِّ التَّصَانِيفِ الَّتِي سَارَتْ وَمَا سَرَّتْ سِوَى الْفُهْمَاءِ فِي الْإِسْلَامِ
سَامٍ عَلَى الشَّيْخِ ابْنِ بَسَامٍ لَهُ فَخْرٌ عَلَى نَجْدٍ وَكُلِّ تِهَامِي
فِي ذُرْوَةِ الْفُصَحَاءِ أَصْبَحَ صَاعِدًا فَهُوَ ابْنُ سَيَّارٍ بَغَيْرِ مُسَامِي^(٢)
مَعْنَى الْكَمَالِ تَظَنُّهُ فِي لَفْظِهِ وَالنَّقْصُ تَحْسِبُ فِي أَبِي تَمَامِ
فَلْتَفْضُلِ الشُّهْبَاءِ كُلِّ مَدِينَةٍ غَرَاءَ إِذْ أَذْهَبَتْ كُلَّ ظَلَامِ
شَرُقْتُ بِمَوْلَانَا وَقَدْ شَرُفْتُ بِهِ مِنْ قَبْلِهَا مِضْرٌ وَقُطْرُ الشَّامِ
إِنِّي لَعَمْرُ أَبِيكَ لَهُوَ فَخَارُ هَذَا لَذِي الْأَرْضِ مِنْ قُوصٍ لِدَارِ سَلَامِ
مُتَبَقِّظٌ وَالْقَوْمُ أَتَقَاطُ وَإِنْ تُرِدِ الْمَقَالَ فَقُلْ ذُوو الْأَحْلَامِ
حَبْرٌ مِنَ الْأَعْلَامِ فَرْدُ زَمَانِهِ وَالْعَصْرُ مَمْلُوءٌ مِنَ الْأَعْلَامِ
لَا زَالَ يَغْلُو وَالزَّمَانُ مُسَاعِدٌ وَيَنَالُ مِمَّا شَاءَ كُلَّ مَرَامِ
يُقْبَلُ كَذَا ، شَرَفَهُ اللَّهُ وَعَظَّمَهُ ، وَأَدَامَ مِنْهُ لِأَوْلِيَائِهِ فَضْلًا يُكَائِرُ مَطَرُ السَّمَاءِ
وَدِيمَةً ، وَأَبْقَى مِنْهُ لِأَخِلَائِهِ خَلِيلًا لَا يَسْتَلِمُ الْوَفَاءَ إِلَّا مُلْتَزِمَةً .

وَيُنْهِي وَرُودَ كِتَابِهِ الَّذِي هُوَ أَبْهَى مِنَ الْوَشْيِ الْمَرْقُومِ وَأَبْهَجُ ، وَأَلْهَى

(١) فِي م : × . . . كُلْ غَلَامِ .

(٢) فِي م : . . . أَفْصَحَ صَاعِدًا × .

بالعقول ؛ لا أذري بين يدي مولانا ما أقول ، لولا الأدب قال اللسان : من
العقار والهج ؛ وأنهى المملوك مطالعة أوامره وما طرفة فيه من الحقائق
وأنهج ، فوجد سجية تسحب على البلاد ذيل أرجها ، وتقابل الإصباح بضوء
بلجها ، وتكافئ الكواكب في درجها ، وكتاباً ساطعاً نورهُ ، وشمسُ السماء
في غروب ، جامعاً لأقسام الفضائل الكثيرة الشعوب ، [١٨٢] طالعاً في أفق
الفخار على أحسن أسلوب .

ورد في أخريات نهار أمس ، فقام المملوك بوظيفة الدعاء طول ليلته
الذهبية ، وجلّى بأثنيته العاطرة من ذلك الليل غياهبه ، وفرق في أعمال الشئ
مذاهبه ، ثم خدّم بها تلك العتبات الشريفة ، وقد خدّمها قبله طالع الصباح ،
وأشار بها إلى لثم تلك الأرض ، وقد لثمها قدامه مقسم الطل في ثرى تلك
البطاح ، وجهرها لتفوز بغرض^(١) التقبيل شفاهاً ، وأكثر ودّه لو سابقت
الرياح ، واستمرّ هو على الدعاء الذي بات عليه في داره ، وقعد مبهتلاً إلى أول
النهار ، وسيجري عليه إلى تمام نهاره ، ويدوم عليه حتى يلبس اليوم ثوب
غياره ، إن شاء الله تعالى^(٢) .

● وكتب إليّ من القاهرة المحروسة ، في شهر ربيع الأول ، سنة ٧٦٤^(٣) :

[من مجزوء الكامل]

لا تبكياء ماءً تسنّهُ	ودع الرُسومَ المُستجِنَّهُ
خلّ أذكراك فالغيو	نُ كليلَةً أثار دمنهُ
واهجُرْ غزالاً نار خدْ	ديهِ إِذا حَقَّقَتْ جَنُّهُ

(١) في م : يفرض .

(٢) وسقط إلى نهاية الترجمة من ب .

(٣) طبقات الشافعية للسبكي ٩/١٠ - ٢٠ ؛ وتاريخ الرسالة عنده سنة ٧٦٣ . وعشرة أبيات منها في درر
العقود الفريدة ٣٧٦/٢ .

وَسَنَانُ كَمْ تَبَهَّتْهُ
مُتَغَابِلٌ أَدْعُوهُ مِنْ
فِي النَّفْسِ حَاجَاتٍ إِلَيْهِ
فَرَضَ عَلَى الْعَيْنِ الْبُكَاءَ
أَخْوَى بَدِيعِ الْحُسْنِ ظَبْ
وَلَهُ مَعَاطِيفُ مَا دَعَا
هَذَا وَذَا مَنَعَ أَنَّهُ
وَيَخَافُ مِنْ وَاشٍ لَهُ
وَفَمٌ فَضْضُولِي تُقِلُّ
بَكَرَ الْعَوَاذِلُ فِي الْغَرَا
وَيَقْلُنُ : شَيْبٌ قَدْ عَلَا
أَبْرَزَنَ لَمَّا لُمُنَ قَدْ
فَتَحَرَّكَتْ نَفْسٌ عَلَى
قَدْ هَجَنَ حِينَ عَذَلْنَهَا
أَنْتَى يَصْحُحُ مِنَ الْعَوَا
هُمْ جَمْعُ تَكْسِيرِ تَصَرُّ
فَاهْجُرْهُمْ الْهَجَرَ الْجَمِيدَ
وَأَذْكُرْ صَفَاءَ أَبِي الصَّفَا
السَّيِّدُ الْيَقِظُ الْأَغْرُ
وَالْتَذَبُ ذُو الْهَمَّاتِ مَا

وَالْعُجْبُ يُطْبِقُ مِنْهُ جَفَنَهُ
وَجَدَ إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّهُ
لَكَ مِنَ الْوِصَالِ وَفِيكَ فِطْنَهُ
إِذْ لَحْظُهُ لِلْفَتَاكِ سُنَّه
سِي فِي الْحَقِيقَةِ أَوْ كَأَنَّهُ
هُنَّ الصَّبَا إِلَّا أَجْبَنَهُ
لَمْ يَلْتَمِثْ يَوْمًا لِأَنَّهُ
عَيْنٌ مُرَاقِبَةٌ الْأَكِنَّه
لِلرَّجُلِ مِنْهُ رَأْسٌ فِتْنَهُ
م يَلْمُتَنِي وَالْوَمُوهُتَهُ (١)
لَكَ وَقَدْ كَبِرْتَ فَقُلْتُ : إِنَّهُ
بِجِي الْمُضْمَرَاتِ الْمُسْتَكِنَّه
نَارِ الصَّبَابَةِ مُطْمَئِنَّه
وَعَوَاذِلُ الْعَانِي يُهْجِنَهُ
ذَلِ مَنْ نَهَى صَبَّأً وَنَهْنَه
رَفُ فِي دِفَاعِهِمُ الْأَعْنَه
لَ فَكُلُّ مَا قَالُوهُ هُجْنَه
وَالْحَطْبُ مُعْتَكِرُ الدُّجْنَه
رُ أَخِي الْوَفَاءِ بِدُونِ مِنْهُ
أَبْدَانُ مِنْ جُودِ أَعْدَانِهِ

(١) البيت والذي يليه لابن قيس الرقيات ، في ديوانه ٦٦ . ورواية الأول في الديوان :

بَكَرَتْ عَلَيَّ عَوَاذِلِي يَلْحِينَنِي وَالْوَمُوهُتَهُ

والجُودُ مِثْلُ الجَوْدِ يَسْدُ
والْعِلْمُ كَالجَبَلِ اغْتَلَتْ
والجِدُّ يَنْهَضُ لَو تُعَا
والأَيْدُ يَبْطِشُ لَو تُعَا
مُتَدَرِّعٌ ثَوْبَ الثَّقَى
مُتَفَنِّنٌ بَحْرٌ إِذَا
أَدَبٌ نَضِيحٌ يُسْتَحَبُ
وَلَهُ بَنَاتُ الْفِكْرِ سُنْدُ
فِكْرٌ إِذَا عَايَنَ مَعْدُ
وَعُلُومٌ دِينَ لِمَ يُخْلَدُ
وَجَلِيلٌ قَدْرٌ دَقَّ فَهْدُ
[٨٢ ب] يَا أَيُّهَا الْخَبْرُ الَّذِي
لَوْ فَضَّلَ الْخَيَّاطُ قَا
أُسْدِي وَأُلْحِمَ لَسْتُ أَقْدُ
وَلَوْ أَنَّ الْأَفْوَةَ حَاضِرٌ
وَعَدَا الصَّرِيحُ بِهِ كَدِيدُ
دُمٍ وَابِقٌ مَا بَقِيَ الزُّ
وَلَقَدْ ذَرَكَ الْعَالِي الْعُلُو

قِي الْإِلْفَ مِثْلِي أَلْفَ مُزْنَهُ
فِيهِ الرِّيَّاحُ فَمَا أَرْزَنَهُ
لِيهِ النُّجُومُ لَمَا بَلَّغَنَهُ
لِيَهُ الْأَسْوَدُ لَمَا غَلَبَنَهُ
حِصْنًا وَتَقْوَى اللَّهِ جُنَّةُ
جَارِيَتُهُ لِمَ تَذِرُ فَنَّةُ
بُ لِمَنْ لَهُ الْأَدَابُ سُنَّةُ
سِتُّهَا أَسْتَهْلَتْ كَالْأَجْنَّةُ
نَيِّ طَائِرًا فِي الْجَوِّ صِدْنَةُ
لَ خَلِيلُهَا فَرَضًا وَسُنَّةُ
مَاءٌ لَا يُضَاهِي الثَّبَرُ ذَهْنُهُ
جَعَلَ الْإِلَهِ الْخَيْرَ ضِمْنَهُ
لَ لِكُلِّ مَا وَصَلَتْ حُسْنُهُ
دِرُّ أَنَّ أَزِيدَ عَلَيْكَ طَعْنُهُ
لَعَرَّتُهُ بَيْنَ يَدَيْكَ لُكْنُهُ
لِكَ الْجَنِّ مِمَّا قُلْتَ جَنَّةُ
زَمَانٌ فَإِنْ وَهَى زَلْزَلَتْ وَهْنُهُ
وَمَا النُّجُومُ غَلَا يَطْلُنُهُ

يُقَبَّلُ كَذَا ، لَا يُبْعَدُ اللَّهُ دَارَهَا ، وَلَا يُجَاوِزُ إِلَّا بِالْجَوَازِ مِقْدَارَهَا ، وَلَا
يُسْمِعُهَا مِنْ أَنْبَاءِ مَنْ أَعْلَنَ لَهَا أَوْ سَارَهَا إِلَّا سَارَهَا ، تَقْبِيلًا يَقُومُ بِسُنَّةِ الْقَرَضِ ،
وَيُعْرِبُ عَنْ مَبْنِيِّ وَدٍّ كَامِلِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ ، وَيُفْصِحُ عَنْ خُضُوعٍ لِفَضْلِهِ ، فَإِذَا

أَنْشَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُنْشِدٌ : بَلَّغْنَا السَّمَاءَ^(١) ، تَلَا هُوَ ﴿ فَلَنْ أَتْرَحَ الْأَرْضَ ﴾ [يوسف : ٨٠]
وَأَنْشَدَ : [من المنسرح]

مِنْ أَجْلِكَ قَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي أَرْضًا لِلصَّادِرِ وَالْوَارِدِ حَتَّى تَرْضَى^(٢)
وَيُنْهِيَ بَعْدَ وَصْفِ اعْتَدَهُ دِينًا ، فَتَسَلَّمَ كِتَابَهُ بِالْيَمِينِ ، ثَابِتٍ يَزِيدُ حَلَاوَةً
إِيمَانِهِ فِي الْقَلْبِ مَرُّ السَّنِينَ ، بَاقٍ لَا يَتَبَدَّلُ إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِيطِينَ^{(٣)(٤)} : [من
البسيط]

مَا غَيْرَ الْبُعْدُ حَالًا كُنْتَ تَعْرِفُهُ وَلَا تَبَدَّلْتُ بَعْدَ الذِّكْرِ نِسِيَانًا
وَلَا ذَكَرْتُ خَلِيلًا كُنْتَ آلَفُهُ إِلَّا جَعَلْتُكَ فَوْقَ الْكُلِّ عُنُونًا
أَنْ مُوجِبَ تَأْخِيرِ كُتُبِهِ مَحْضُ الْاِقْتِدَاءِ ، وَالسَّيَرِ عَلَى سُنَّتِكُمْ فِي قِلَّةِ الْكُتُبِ
مَعَ كَثْرَةِ الْوَفَاءِ ، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ رَفَعَ أَبُو رَافِعٍ « مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ » إِلَى سَيِّدِ
الْأَنْبِيَاءِ^(٥) ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْقَلِبُ مُعْتَذِرًا عَنْ تَهْجُمِهِ بِهَذِهِ الضَّرَاعَةِ ، مُبْتَدِرًا إِلَى
ذِكْرِ الْفَارِقِ حَيْثُ أَطَالَ لِسَانُهُ وَبَاعَهُ ، مُزْدَجِرًا عَمَّا لَعَلَّهُ ذَنْبٌ إِذَا عَلِمَ مَوْلَانَا بِهِ
سَامَهُ الْبُعْدُ وَبَاعَهُ ، يَقُولُ : قَيْدُ الْحُبِّ أَطْلَقَ لِسَانِي ، فَأَعْرَبَ عَنِ الْمَبْنِيِّ عَلَى
السُّكُونِ ، وَسَرَّحَ يَدِي فَخَطَّتْ مَا هُوَ فِي لَوْحِهَا الْمَحْفُوظِ مَصُونٌ ، وَأَذِنَ لِي
فَتَصَرَّفْتُ فِي الْكِتَابَةِ ، وَكَيْفَ لَا يَتَصَرَّفُ الْعَبْدُ الْمَأْذُونُ ؛ فَأَصْدَرْتُ هَذِهِ الْوَارِدَةَ

-
- (١) إشارة إلى قول النابغة الجعدي : [وقد مضى]
بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدَنَا وَجَدودَنَا
وإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا
- (٢) فِي م : قَدْ جَعَلْتُ خَدْيِي X
- (٣) مِنْ قَوْلِ ذِي الرِّمَّةِ : [ديوانه ١١٩٢/٢]
- إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِيطِينَ لَمْ يَكُنْ
رَسِيسُ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مِئَةِ يَرَّخِ
- (٤) الْبَيْتَانِ لِلزَّبِيرِ بْنِ بَكَارٍ ، فِي بَهْجَةِ الْمَجَالِسِ ١/ ٣٦٠ باختلاف في الرواية .
- (٥) أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ٨/ ٦ و ٣٩٠ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « يَا أَبَا رَافِعٍ ، إِنَّ الصَّدَقَةَ حَرَامٌ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ؛ إِنَّ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ » .

مُدِلًا بِأَنِّي مِنْهُمْ وَهُمْ مِنِّي وَهَذَا الْمُنَى ، وَقُلْتُ : اسْأَلِي عَنْهُمْ وَخَبِّرِي عَنِّي
 حَاشَاكَ مِنِّ عَنَا ، وَبَادِرِي مَوْلَاكَ وَلَا تَخْشِي أَنْ يُقَالَ : مَا أَتَى بِكَ هَاهُنَا ؟
 وَخُذِي مِن شَرْحِ الْحَالِ فِي كُلِّ فَنٍّ ، وَكُونِي مَمَّنْ إِذَا سَمِعَ صَالِحاً أَذَاعَ ، وَلَوْ
 سَمِعَ طَالِحاً أَوْ رِيَّةً لَدَفَنَ ، وَأَطْلِقِي الدَّمْعَ وَلَا تَخَافِي أَنْ يُقَالَ : مَا هَاجَ الدُّمُوعُ
 الدُّرْفَنَ^(١) ، وَاعْتَمِدِي عَلَى الْمُسَامَحَةِ فَهُمْ أَهْلُهَا ، وَاتَّخِذِي إِخْلَاصَ الْوَلَاءِ
 ذَرِيعَةً أَنْ لَا يَنْتَقِدُوها ، وَثَقِي بِهِمْ فَهُمْ أَحْسَنُ النَّاسِ وُجُوهاً وَأَنْصَرُهُمُوهَا^(٢) :
 [من الطويل]

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَخْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعُ ثَاقِبَةً
 الْمَمْلُوكُ يُنْهِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دِمَشْقَ مُسْتَبْشِراً ، وَبَاعَ الْأَسْفَلَ بِالْأَعْلَى وَتَلَا :
 ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [التوبة : ١١١] فَحَمِدَ الْمُشْتَرَى ،
 وَوَصَلَ إِلَى مِصْرَ مَسْرُوراً ، وَمَا شَكَا إِلَيْهِ جَمَلُهُ طُولَ الشَّرَى^(٣) ، بَلْ حَمِدَ سَيْرَهُ
 خَيْلُ الْبَرِيدِ ، وَبَهِيمُ اللَّيْلِ وَسَاحَةُ الْبَيْدَا ، وَقَدَمَ فَنَزَلَ جِوَارَ الْبَحْرِ ، فَقَالُوا :
 نَزَلَ [٨٣ ب] مَاءَ السَّمَاءِ ؛ وَكَادَ يُنْشِدُ^(٤) : [من الوافر]

أَقْنَسْتُ بِأَرْضٍ مُضَرٍّ فَلَا أَمَامِي تَخُصُّ بِي الرُّكَّابُ وَلَا وَرَائِي

(١) من قول العجاج ، في ديوانه ٤٨٨ (عزة) ٢١٩/٢ (سطلي) :

يا صاح ما هاج الدُّمُوعُ الدُّرْفَا

(٢) البيت لأبي الطَّمْحَانِ الْقَيْنِي فِي الْإِعْجَازِ وَالْإِيْجَازِ ١٨٢ وَالْأَغَانِي ٩/١٣ وَكَامِلُ الْمَبْرَدِ ٦٨/١
 وَ ٣٤/٢٠ . وَشَرْحُ الْحَمَاسَةِ لِلْمَرْزُوقِيِّ ١٥٩٨/٤ وَأَشْعَارُ اللَّصُوصِ ٧٤/١ . وَنَسَبُهُ الْجَاهِظُ فِي
 الْحَيَوَانِ ٩٣/٣ إِلَى لَقِيطِ بْنِ زُرَّارَةَ .

(٣) من قول الرَّاجِزِ : [حياة الحيوان « الجميل »]

شَكَا إِلَيَّ جَمَلِي طُولَ الشَّرَى يَا جَمَلِي لَيْسَ إِلَيَّ الْمُشْتَكَى
 صَبِراً جَمِلاً فَكَلَانَا مُتَبَلًى

(٤) البيت للمتنبي ، فِي دِيَوَانِهِ ١٤٥/٤ بِرَوَايَةٍ : ... فَلَا وَرَائِي × ... وَلَا أَمَامِي .

ولم يُشَدَّ^(١) : [من الكامل]

ذُمَّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنْزِلَةِ اللَّوَى وَالْعَيْشَ بَعْدَ أَوْلَيْكَ الْإِيَّامَ
لِكَثْرَةِ مَا لَقِيَ مِنَ التَّعْظِيمِ الَّذِي لَوْ شَعَرَ بِهِ الْعَدُوُّ لَمَا نَظَّمَ أَسْبَابَهُ ؛ خَيَّمَ
الْمَمْلُوكُ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَسَارَ مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ يَحْسِبُ كُلَّ خَيْرٍ ، فَمَدَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى أَطْنَابَهُ ، وَوَرَدَ حَيْثُ قَصَدَ ﴿ وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابًا ﴾ [النور : ٣٩]
وَلَمْ يَخْشَ لِحُسْنِ ظَنِّهِ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا ، وَلَمْ يُنَادِهِ كُلُّ مُحِبٍّ إِلَّا بِهَكَذَا
هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا^(٢) ، وَقَالَ كُلُّ امْرِئٍ : أَنْتَ الْحَكَمُ التُّرَضَى حُكُومَتُهُ^(٣) ،
هُنَاكَ هُنَاكَ ، وَأَنْشَدَ^(٤) : [من البسيط]

اللَّهُ أَعْطَاكَ فَضْلًا مِنْ عَطِيَّتِهِ

وَأَوْلَاكَ ، وَبَالَغَ فِي الْبِشْرِ ، وَمَا كُلُّ مَنْ يُبْدِي الْبَشَاشَةَ كَائِنًا أَخَاكَ^(٥) ، بَلْ
رُبَّمَا حَسِبْتَهُ إِيَّاكَ .

وَأَمَّا زُمَرُ الْأَعْدَاءِ ؛ فَكُلُّ مِنْهُمْ عَبَسَ وَتَوَلَّى ، وَتَبَيَّنَ لِوَلِيِّ الْأَمْرِ أَنَّ لِمِثْلِهِ
يُقَالُ : نَوَّلُهُ مَا تَوَلَّى ، وَنَادَيْتُ كُلًّا مِنْ زَاجِرِيَّ عَنْ حُضُورِ هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ^(٦) : [من
الطويل]

(١) البيت لجريز ، في ديوانه ٩٩٠ / ٢ .

(٢) من قول المتنبي : [ديوانه ١٣٤ / ٣]

ذِي الْمَعَالِي ، فَلْيَعْلَمَنَّ مَنْ تَعَالَى هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا لَا
(٣) من قول الفرزدق : [ليس في ديوانه . وهو في خزانة البغدادي ٣٢ / ١]

مَا أَنْتَ بِالْحَكَمِ التُّرَضَى حُكُومَتُهُ وَلَا الْأَصِيلِ وَلَا ذِي الرَّأْيِ وَالْجَدَلِ
(٤) صدر بيت لإبراهيم بن هرمة [ديوانه ٢٢٣] وعجزه :

عَلَى هَنٍ وَهَنٍ فِيمَا مَضَى وَهَنٍ

(٥) من قول الشاعر : [شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢٣٣ / ١]

وَمَا كُلُّ مَنْ يُبْدِي الْبَشَاشَةَ كَائِنًا أَخَاكَ إِذَا لَمْ تُلْفِهِ لَكَ مُنْجِدًا

(٦) من قول طرفة : [ديوانه ٣١] وعجزه :

وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مَخْلُودِي

ألا أيُّ هذا الزَّاجري أخْضَرَ الوغى

أُولَى لَكَ فَأُولَى ، ولقد اسْتَوَى الحَقُّ على عَرْشِهِ واستَوَى ، ولم يَكُنْ غيرَ
الإِخْرَاجَاتِ جِرَاحَاتِ الْأَهْوِيَةِ ، والأَغْرَاضِ قَائِلَةً : لا نَبْرَحُ نَحْنُ ﴿ وَلَا أَنْتَ
مَكَانًا سَوَى ﴾ [طه : ٥٨] .

فَلَمَّا طَلَعَ صُبْحُ الحَقِّ على مَنْ كَانَتْ أَمْرَضَتْ قَلْبُهُ ، بَانَ وَبَدَا لَهُ مِنْ بَعْدِ
مَا انْدَمَلَ الْهَوَى ، قَوْمٌ أَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمَنْصِبَ فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ، وَأَعْجَبُوا
بِالْسِنَةِ جِدَادٍ ضَلَعَتْ أَعْضَاءُهُمْ ، وَاسْتَكَلَبُوا على اضْطِيَادٍ جَارِحِهِ ، فَطَرَحَهُمْ
قَتْلَى وَرَدَّ أَهْوَاءَهُمْ ، لَمْ يَرْجِعُوا حَتَّى وَقَفَ الْهَوَى ، وَأَهْلَكَهُمْ كُلُّ نَزَاعَةٍ
لِلشَّوَى ، وَقَوَّبَلَ كُلُّ أَفَّاكٍ مِنْهُمْ بِمَا نَوَى ، لَعِبَ بِهِمْ شَيْطَانُ الْحَسَدِ ، وَشَدَّ
وَثَاقَهُمُ الَّذِي لَا يُوثِقُ بِهِ بِحَبْلِ مَنْ مَسَدٍ ، وَطَبَعَ على قَلْبِهِ وَاغْتَالَهُ ، فَقَلْتُ لَهُ :
غَالَتْكَ إِذْنُ الْغُولُ ، بَلْ اغْتَالَكَ الْأَسَدُ : [من الكامل]

وَلَقَدْ عَذَلْتُ حَلِيمَهُمْ وَنَهَيْتُهُ فَأَبَى وَقَالَ هَوَايَ أَمْرٌ مُحْكَمٌ
« وَقَفَ الْهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ »^(١)
فَارْذْتُ أَطْنِبُ قَالَ لِي مُتَبَرِّمًا : أَطْنِبُ أَوْ أَوْجِزْ حَبْلُ كَيْدِي مُبَرِّمٌ
« أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً حَسَدًا وَبَغْيًا فَلْتَلْمَنِي اللَّوْمُ »^(١)
فَلَمَّا سَمِعْتُ قَوْلَهُ :

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً

وَرَأَيْتُ مِنْ قَلْبِهِ الْمَعَانِي مَا يَحْمِلُهُ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ ضَالَّةَ الْمُؤْمِنِ مَبْذُودَةً ،
وَيَطْبَعَ على قَلْبِهِ ، وَالْأَفْئِدَةَ بِدُونِ هَذَا مَأْخُودَةً ، عَرَفْتُ أَنَّ الْعَدْلَ لَا يُرْجِعُهُ ،
وَأَنَّ الْحَقَّ خَتَمَ على قَلْبِهِ فَلَا يُنْجِدُهُ الْوَعْظُ وَلَا يُنْجِعُهُ ، وَأَنَّهُ لَا يَزَالُ يُحَاوِلُ

(١) البيت لأبي النخيص ، في ديوانه ١٠١ - ١٠٢ .

سُقُوطَ مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُهُ ، وَأَنَّهُ لَزِمَ إِطْلَاقَ اللِّسَانِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ
لُزُومَ الْخَطِيبِ لِلْمَنَابِرِ ، وَكِتَابَةَ الْبَاطِلِ لُزُومَ الْأَقْلَامِ لِلْمَحَابِرِ ، وَالِاسْتِغَالَ بِمَنْ
تَرَفَّعَ قَدْرُهُ عَنْهُ لُزُومَ الْأَغْرَاضِ لِلْجَوَاهِرِ ؛ [٨٣ ب] عَدَلْتُ عَنْ عَدْلِهِ ، وَاکْتَفَيْتُ
بِالْحَكَمِ الْعَدْلَ وَعَدْلِهِ ، وَرَفَعْتُ قِصَّتِي عَلَى يَدَيَّ إِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ ، وَجِئْتُ
فَشَاهَدْتُ مِنَ الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ وَالسُّلْطَانِ مَا رَغِمَ بِهِ أَنْفُ الشَّيْطَانِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ بِكُنْهِ
ذَلِكَ عَدْنَانُ وَقَحْطَانُ ، وَصِرْتُ الْمَسْئُولَ فِيمَا حَسِبُوا أَنِّي أُحَاوِلُهُ اسْتِقْرَاراً ،
وَالْمُتَضَرِّعَ إِلَيْهِ فِي الْعَوْدِ مِرَاراً ، وَالْمُعْرِضَ عَمَّا حَسَدُوا عَلَيْهِ اسْتِصْغَاراً لِقَوْمٍ
مَكْرُوا مَكْرًا كُبَارًا .

وَحَقَّقْتَنِي مِنَ اللَّهِ الْإِطَافَةَ وَنِعَمَهُ ، وَأُطْلِقَ فِي الثَّنَاءِ عَلَيَّ - بِفَضْلِ مَنْ هُوَ كُلُّ
يَوْمٍ فِي شَأْنٍ - لِسَانُهُ وَقَلَمُهُ ، وَبَانَ وَوَضَحَ أَنَّ الْعَدُوَّ ظِمَانٌ وَفِي بَحْرِ الْغَوَايَةِ
فَمُهُ ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِبَرَكَتِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدِ النَّبِيِّينَ ،
فَلَسْتُ وَاللَّهِ قَدَرٌ وَاحِدَةٌ مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي تَقَلَّدْتُ عِقْدَهَا الثَّمِينَ ، وَلَا أَنَا مِمَّنْ
يَفْتَحِزُّ ، وَلَوْ شِئْتُ لَأَنْشَدْتُ^(١) : [من الوافر]

وَكَانَ لَنَا أَبُو حَسَنِ عَلِيٌّ أَبَا بَرٍّ وَنَحْنُ لَهُ بَنِينَ
ثُمَّ لَمَّا كَانَ قَدْ امْتَلَأَ مِنْ مَاءِ دِمَشْقَ بَطْنِي ، وَنَادَانِي حَوْضُ الْأَمَالِ : قَطْنِي ،
وَسَمِعْتُ نَفْسِي صُدَاعَ الشَّامِ ؛ وَمَاذَا يَزْدَرِي الشُّعْرَاءُ وَغَيْرُهُمْ مِنِّي ، وَرَأَيْتُ هَذَا
الْإِكْرَامَ الَّذِي بَلَغَ عَنَانَ السَّمَاءِ ، وَذَكَرْتُ دِمَشْقَ وَمَا وَمَا أَقُولُ وَكُلُّ دِمَشْقَ
مَا ، قُلْتُ لِمَنْ لَامَنِي فِيهَا^(٢) : [من الطويل]

خَلِيلِي مَا وَافٍ بِعَهْدِي أَنْتَمَا

(١) البيت لسعيد بن قيس الهمداني . (معجم شواهد العربية ٣٩٣) .

(٢) عجزه : إِذَا لَمْ تَكُونَا لِي عَلَى مَنْ أَفَاطُ .

ومعاذَ الله أن أَلومَ أهلَ الشَّامِ ، فقد أَحَسُّنَا وأنَعَمُوا^(١) : [من البسيط]
وما أَصاحِبُ من قَوْمٍ فأَذْكَرُهُمْ إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَيَّ هُمْ
وإنَّمَا أَلومُ فِرْقَةً قَلَبُوا الحَقَّ وَبَدَّلُوا القُرْآنَ فَصَمُّوا وَعَمُّوا .
فصل :

وَأَمَّا السَّادَةُ الْأَصْحَابُ : فالمَخْصُوصُ منهم بِعُمومِ التَّحِيَّةِ ، والمُقْبَلُ كَفُّهُ
مِثَّةً ، وقالَ السَّجْعُ مِثَّةً ، مَنْ يَحِنُّ سَلامِي كُلَّ يَوْمٍ إِلَيْهِ ، سَيِّدُنَا الشَّيْخُ عَزَّ الدِّينُ
ابنُ شَيْخِ السَّلامِيَّةِ^(٢) ، والتَّالِي لِهَذَا المُقَدِّمِ وَالْأَنْظَارِ ، مَنْ تَحَقَّقَتْ مَوَدَّتُهُ بَعْدَ
البَحْثِ مَعَ الْأَشْبَاهِ وَالْأَنْظَارِ ، وَعُرِفَ تَقَوُّهُ فِي التَّقْوِيَّةِ^(٣) وَاهْتِمَامُهُ فِي المَعْرُوفِ
وإنْ لَمْ يُضْلِحِ العَطَّارُ ، ثُمَّ سَائِرُ المَخَادِيمِ ، يَقْبَلُ المَمْلُوكُ يَدَهُمْ سَيِّدًا سَيِّدًا ،
وَيُخَصُّ السَّادَةُ الْأَوْلَادُ الْأَعَزَّةُ فَلَا يَجِدُ إِلَّا مُحَمَّدًا ، وَيَلْتَفِتُ مُتِهَمًا وَمُنْجِدًا^(٤) ،
فَيُنَادِي : أَصْحَابِي ، أَيْنَ مَنْ لَا أَعْدِلُ بِهِ أَحَدًا ؛ كَأَنَّ صَارِمَهُ فَتَكَ فَاتَّبَعَهُ قَوْمًا
بُورًا ، أَوْ نَبَا فَوَجَدَ قَضَا^(٥) أَسْكَنَهُ قُبُورًا ، أَرَاهُ فِي جِهَةٍ أَمْ لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاثُ
﴿ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴾ [الحديد : ١٣] .

- (١) البيت لزياد بن حمل ، في شرح الحماسة للمرزوقي ١٣٩٢/٣ .
(٢) عَزَّ الدِّينُ ، ابنُ شَيْخِ السَّلامِيَّةِ : حمزة بن موسى بن أحمد بن الحسين ، ينتهي نسبه إلى الفتح بن خاقان وزير المتوكل ، برع في المذهب الحنبلي والخلاف ، وله تصانيف مفيدة ؛ توفي سنة ٧٦٩ هـ بدمشق . (الدارس ٧٥/٢) والوافي بالوفيات ١٨٢/١٣ والمنهج الأحمد ١٣١/٥ .
(٣) المدرسة التَّقْوِيَّةُ : هي من أَجَلِّ مدارس دمشق ، داخل باب الفراديس ، شمالي الجامع الأموي ، شرقي الظاهرية والإقباليين . (الدارس ٢١٦/١) .
ولعل المشار إليه هو : المعمر الصالح كمال الدِّين محمد بن القاضي محيي الدِّين ابن الزكي ، المتوفى سنة ٧٤٤ هـ .
ودرس بعده بالتَّقْوِيَّةِ القاضي الإمام تاج الدِّين أبو نصر عبد الوهاب بن السُّبكي . (الدارس ٢٢٢/١) .
(٤) في م : متهمًا ومغورًا ومنجدًا .
(٥) في م : قصورًا .

● فكتبْتُ أنا الجوابَ إليه عن ذلك ، ولو وُفِّقْتُ لَوَفِّقْتُ وما كَتَبْتُ^(١) :

[من مجزوء الكامل]

وافى مثالك لي كأنه
أبصرته والليل أم
وفضضته فأضاءت الـ
لحمائيم الألفاظ منـ
فاللحن منه مطرب
أبيات شغري ضرة
كم منة أوليت منه
هو جنة بل جنة
[١٨٤] أما البديع فإنه
فيه بدائع ما درى
خلفت مفتاح العلو
وقهرت عبد القاهر الـ
يا حسنه من روضة
أبرزت فضل حلاوة
فأرى معانيه جزا
كم فيه علق مضية
كنز من الأدب استعد
هو كوم تير منه آ

صبح وقد شق الدجنة
سى ذا غياطل مزرجته
أنوار من هنا وهنه
ه رنة من بعد رنة
مع أنه ما فيه لحنه
للشمس أول للبدن كنه
وكم به قويت منه
في السر من ناس وجنه
أدغمته فيه بغنه
أهل البلاغة ما اسمهنه
م معطلا وكسرت سنه
مسكين حتى حاز حزنه
أزهارها لم تسق مزنه
في النيل كانت مستكنه
فأ والخليل أحب وزنـ
لمنى النفوس غدا مظنه
ت به على فقير ومحنة
خذ حفته من بعد حفته

(١) الجواب شعراً ونثراً في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٠/٢٠ - ٣٢ .

لَوْ أَنَّ جَزُولَ ذَاقٍ مِنْ
وَكَذَا زُهَيْرٌ لَوْ رَأَى
وَأَرَى الْحَزِينَ لَأَجْلَبِهِ
وَكَذَلِكَ الرَّمَّاحُ كَمْ
وَجَمِيلٌ قُبْحٌ فِعْلُهُ
وَكَثِيرٌ قَدْ قَلَّ حَتَّى
وَأَبُو نُوَاسٍ لَوْ رَأَى
وَعَلَا فَرَوْقٌ كَأَسَهِ
وَارْتَدَّ مُسْلِمٌ مِنْهُ عَنْ
نَظْمٍ يَلِيْنُ قَاسِيُو
وَشَفَعَتْهُ بِتَرْشُلٍ
وَنَقَلَتْ فِيهِ شَوَاهِدًا
لَوْ كُنْتَ فِي عَصْرِ مَضَى
مَا جَاءَ حَظُّ الْجَاحِظِ أَلْ
وَبَكَى ابْنُ بَسَّامٍ إِلَى
وَالْفَتْحُ أَغْلَقَ بَابَهُ
أَسْفَى عَلَى عَبْدِ الرَّحَنِ
وَأَتَيْتَ فِيهِ بِمُعْجَزَا
هُوَ مَالِكُ الْإِنْشَاءِ إِنْ

جَزِيَالِهِ لَمْ يَلْقَ سِجْنَهُ^(١)
هُ ذَوِي وَمَا أَضْيَنَهُ دِمْنَهُ
كَمْ أَسْمَعَ الْأَقْوَامَ أَنَّهُ^(٢)
فِي شَعْرِهِ لِلنَّاسِ طَعْنَهُ^(٣)
إِذْ بُثَّ عَنْهُ حَدِيثُ بَثْنَهُ
تَلَّى أَرْتَهُ عَزَّةَ كُلِّ إِهْنَهُ
هُ لَمَّا أَقَامَ بِدَيْرِ حَنَنْهُ
وَدَنَا فَرَوْقٌ مِنْهُ دَنَنْهُ
حُبُّ الْعَوَانِي إِذْ صَرَعْنَهُ
نَ وَلَوْ أَبَى لَنَفَشَتْ عَهْنَهُ
أَذْرَجَتْ لِي التَّسْهِيلَ ضِمْنَهُ
عِنْدَ ابْنِ مَالِكٍ مُسْتَجِنَهُ
يَا مَنْ أَعَارَ الشَّمْسَ حُسْنَهُ
مَعْرُوفٍ فِي التَّبْيَانِ تِنْنَهُ
أَنْ بَلَّ بِالْعَبْرَاتِ رُذْنَهُ
وَرَمَى قَلَائِدَهُ بِمَهْنَهُ
مِمَّ فَإِنَّهُ أَخْمَلَتْ فَنَنْهُ
تِ فُتْنَهُ فَأَصَابَ فِتْنَهُ
شَاءَ التَّقْلُدُ لَمْ يُنْهَنْهُ

(١) جرول : الحطيطه ؛ والإشارة إلى سجنه زمن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه .

(٢) الحزين الكناني .

(٣) الرَّمَّاح : ابن ميادة .

وإِمامُنَا لِكِنَّهُ
لو عاشَ كانَ أُولو التَّهْيِ
ولَقالَ كُلُّ مِنْهُمُ
هَذَا عَلَيكَ مَقْلَدَمُ
لكن جَعَلْتَ الشَّامَ بَعْدَ
وَدِمَشْقَ بَعْدَكَ قَدْ تَرَدَّ
لَمْ يُسَقِّ مِنْ بَرْدَى الْبَرِي
وكذلك ثَوْرًا بَعْدَ بَعْدِ
والجَامِعُ المَعْمُورُ كَالْ
وَالْقُبَّةُ الشَّامَاءُ لَيْدِ
كَانَتْ بِهِ الْأَعْطَافُ وَهْ
وَالآنَ أَفْقَرُ وَخَشَّاءُ
وَدُمُوعُهُ فَوَّارَةٌ
وَعَدَتْ قِسِيَّ فَنَاطِرِ
وَلَكُمْ نَفُوسٌ مِنْ نَقُورِ
لَمْ يَتَّقِ إِلَّا زُورَةَ
فَاللَّهُ خَيَّبَ فِيكَ مَا
قَدْ كَادَ حَتَّى كَادَ يَمُ
عَمَلًا بِقَوْلِ مُحَمَّـدٍ
« تُخْطِي الْأُمُورُ مَعَ الصَّوَا

إِنْ قَسْتَهُ بِكَ فِيهِ لُكْنَهُ
مَا دَاهَنُوا فِي الْحَقِّ ذَهْنَهُ
وَالْحَقُّ لَمْ يَكُ فِيهِ هُذْنَهُ
فَأَضْرَبَ بِرَأْسِكَ أَلْفَ قُرْنَهُ
لَدَكَ كَالْجَحِيمِ وَكَانَ جَنَّهُ
دَتْ ثَوْبَ حُزْنٍ فِيهِ دُكْنَهُ
صُ وَلَوْ أَتَى أَوْلَادُ جَفْنَهُ
لَدَكَ مَا تَسَنَّى بَلْ تَسَنَّهُ (١)
دَ تَزَعَزَعُ الْأَشْوَاقُ رُكْنَهُ
سَ بِجَوِّهَا لِلتَّسْرِ قُنَّهُ
سَيَ مَوَائِدُ يَمْلَأَنَّ صَحْنَهُ
وَأَسَالُ مِنْهُ السَّقْفُ ذُهْنَهُ
قَدْ قَرَّحَتْ بِالْفَيْضِ جَفْنَهُ
فِيهِ مِنَ الْبَرْحَا مُرْنَهُ
شِ مُتْنِ حِينَ أَكَلَّ مَتْنَهُ
لِتُزِيلَ لَمَّا غَبَتْ غُبْنَهُ
قَالَ الْحَسُودُ وَرَدَّ ظَنَّهُ
شَيْ مَا تَقَوْلُهُ عَرْضْنَهُ
نِ يَسِيرَ فَهُوَ يَسِيرُ سُنَّهُ (٢)
بِ وَقَدْ تَكُونُ مَعَ الْمَظْنَةِ »

(١) ثورا : من أنهار دمشق ، وهو فرعٌ من بردى ، لا يزال معروفاً بهذا الاسم .

(٢) في أ ، ب : × بن مبير . . . ! وفي م : محمد بن مسير ! . والبيتان الآتيان لمحمد بن يسير في الأغاني ٤٤/١٤ وديوانه ١٢٤ .

« كَمْ مِنْ مَضِيقٍ فِي الْفَضَا ۞ وَمَخْرَجٍ بَيْنَ الْأَسِنَّةِ »
 [٨٤ ب] مَوْلَايَ يَا قَاضِيَ الْقَضَا ۞ وَمَنْ عَوَّافُهُ شَهْرُنُهُ
 وَمُقْبِلَ عَثْرَةٍ كُلِّ مَنْ قَلْبَ الزَّمَانِ لَهُ مَجْنَّةُ
 وَمُبَالِغِ الْأَمَالِ ظَمَ أَنَا تَشَوَّقُ مَا مَجْنَّةُ^(١)
 أَنَا عِنْدَ غَيْرِكَ فِي الْوَرَى مِمَّنْ مَعَارِفُهُ أَضْعَفُهُ
 فَلَا جُلِّ ذَا أَوْفَعْتُ نَفَ سَيِّ فِي الْجَوَابِ بَغِيرِ فُطْنُهُ
 خِفْتُ الْحَرِيقَ بِنَارِ تَقَ صِيرِي وَشَيْبُ الرَّأْسِ قُطْنُهُ
 لَكِنْ أَجَبْتُ فَإِنْ أَجَدَ تُ فَلَمْ أَظَنَّ وَلَنْ أَظُنَّهُ
 إِنَّ الشُّجَاعَ بِلَحْمِهِ سَمَحَ إِذَا لَمْ يَرْضَ جُبْنُهُ
 فَاسْلَمْ وَدُمَ فِي نِعْمَةٍ مَا زَانَ زَهْرُ الرُّوضِ حَزْنُهُ

يُقْبَلُ الْأَرْضَ حَيْثُ تَضَعُ الْمَلَائِكَةُ بِهَا الْأَجْنَحَةَ ، وَيَتَّخِذُ الْأَنَامُ مِنَ الدُّعَاءِ
 فِي مَوَاطِنِهَا مَوَاضِيَ الْأَسْلِحَةِ ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ بِهَا مَا أَحَبَّ ، فَإِنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ
 شَيْءٌ وَإِنْ رَاعَى الْمَصْلَحَةَ ، وَيُعْمِلُ طُلَّابُ الْعِلْمِ إِلَيْهَا كُلَّ يَوْمَةٍ^(٢) : [من البسيط]

كَأَنَّ رَاكِبَهَا غَضَنٌ بِمَرْوَحَةٍ :

[من الطويل]

وَإِنِّي بِتَقْبِيلِي لَكَ الْأَرْضَ وَالْثَرَى عَلَى كُلِّ مَنْ فَاخَرْنُهُ لَفُخُورُ^(٣)
 تَقْبِيلًا يُثَبِّتُ بِهِ الْجَوْهَرَ الْفَرْدَ ، فَإِنْ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهُ لِلْقَبْلِ يَنْجَزَا ، وَيَحُطُّ بِهِ
 أَثْقَالُ خُطُوبٍ أَقْعَدَتْهُ عَنِ اللَّحَاقِ بِهَا عَجْزًا ، وَيَشْرَفُ بِمُشَافَهَةِ تَرْبِهَا ، فَإِنْ نَالَهُ

(١) أي : ماء مجنَّة .

(٢) تمامه ، كما في النهاية لابن الأثير ٢/ ٢٧٣ : إِذَا تَدَلَّتْ بِهِ أَوْ شَارِبٌ ثَمِلٌ .

(٣) البيت لثميم بن المعز الفاطمي ، في ديوانه ١٤٤ .

مِنْهَا أَقْلُ الْأَجْزَاءِ أَجْزَا : [من الوافر]

تُرَابُهُمْ وَحَقُّ أَبِي تُرَابٍ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ عَيْنِي الْيَمِينِ
وَيُنْهِي بَعْدَ وَلَائِ حَكَمَ بِتَصْدِيقِهِ لِمَا تَصَوَّرَهُ كُلُّ مَنْطِقِي وَمَنْطِقِي ، وَدَلَّ
بِالْمُطَابَقَةِ وَالتَّضَمُّنِ وَالْإِلْتِزَامِ عَلَى أَنَّهُ فِي الْوَفَاءِ عَرِيقٌ عَرِيٌّ مِنْ تَلَفِّ التَّلْفِيقِ ،
وَأَصْبَحَ وَخَدَهُ وَخَدَهُ جَامِعٌ مانِعٌ ، لِأَنَّ جِنْسَهُ الْقَرِيبَ هُوَ الْإِخْلَاصُ وَفَضْلُهُ
التَّحْقِيقُ : [من الطويل]

عُرِفْتُ بِصِدْقِ الْوُدِّ فِيكَ لِأَنِّي رَفَعْتُ بِلَا عَجْزٍ لِيَاءٍ وَلَا لِي
وَرَفَعَ أَدْعِيَّةٍ مَا أَخَلَّ بِرَفْعِ فَرْضِهَا إِنْ بَعْدَ أَوْدُنَا ، وَلَا أَخَذَهَا إِلَّا مِنَ التَّابِعَةِ
حَيْثُ قَالَ : [من الطويل]

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجُدُونَا [وَأَنَا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا]
وَلَا أَنْكَرْنَاهَا مَلَائِكَةَ الْقَبُولِ إِلَّا مَرَّةً ، ثُمَّ اعْتَرَفَتْ فَصَارَتْ دَيْدَنًا : [من الطويل]
إِذَا رُفِعَتْ يَوْمًا لِذِي الْعَرْشِ خَيَّمَتْ لِصِدْقٍ وَلَا لِي فِيكَ بَيْنَ الشُّرَادِقِ
وَبَثُّ أَثْنِيَّةٍ مَا أَمْسَكَ الْمِسْكُ مَعَهَا رَمَقَهُ ، وَلَا ثَبَّتَ لَهَا الْبَذْرُ حَتَّى خُسِفَ لَمَّا
لَمَحَ مُحْيَاها وَرَمَقَهُ ، وَلَا طَالَتْ دَهَالِيزُ الْأَنْهَارِ بَيْنَ قُصُورِ الرُّوضِ إِلَّا وَأَنْفَاسُ
الْأَزْهَارِ مِنْهَا مُسْتَرْقَّةٌ^(١) : [من الكامل]

أُثْنِي عَلَيْكَ وَلَوْ تَشَاءُ لَقُلْتُ لِي : قَصَّزْتَ فَالْإِمْسَاكُ عَنِّي نَائِلُ
وُرُودِ الْمِثَالِ الَّذِي مَا لَهُ نَظِيرٌ وَلَا مِثَالٌ ، وَلَا جَوْدَ ابْنِ الْعَدِيمِ فِي الْوُجُودِ إِلَّا
عَلَى سَطَوَرِهِ ، فَإِنَّهَا لَهُ مِثَالٌ ، وَلَا مَضَى لَهُ حُسْنٌ ، حَتَّى تُدْخَلَ سَيْنَ الشُّرُورِ
عَلَى حَالِهِ فَتُمَيِّزُهُ وَتُخَلِّصَهُ لِلْإِسْتِقْبَالِ ؛ وَلَا تَلْقَاهُ شَاكِي سِلَاحٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ إِلَّا

(١) البيت للمتنبي ، في ديوانه ٢٥٩/٣ .

وراح كما قال امرؤ القيس^(١) : [من الطويل]

..... وليس بِذِي رُمَحٍ وليس بِبَيْتَالٍ

[من الوافر]

بِلا مِثْلٍ وَإِنْ أَبْصَرْتَ فِيهِ لِكُلِّ مُغْتَبٍ حَسَنٍ مِثَالاً^(٢)
كم أهدى أظافاً ، وهزّ بالطرب أعطافاً ، وجعل القلوب أغراضاً لِسِهَامِ
محاسنِهِ وأهدافاً ، وجلب الفرح ، [١٨٥] وسلّب الترح ، فأخذ تاءً من الثاني
وأهدى فاءً ، تروق دُرُرُ أصدافِهِ ، وتفوق دَرَارِي أصدافِهِ ، وكيف لا يهول وكلُّ
حَرْفٍ مِنْهُ جاءَ لِمَعْنَى ؟ وكيف لا يطول وكلُّ لَفْظٍ مِنْهُ قد استقرّ من البديع
بِمَعْنَى ؟ وكيف لا يُغربُّ والأبصارُ تُلفتُ إِلَيْهِ بِأَعْيَةِ الإعجابِ وتثنى ؟ وكيف
لا يطربُّ وما فيه سَطَرٌ واحدٌ إِلَّا وَيُسْمَعُ مِنْهُ مِثْلُتٌ أَوْ مِثْنِي ؟ .

فما أَحَسَنَ ما نَظَمَ وما نَثَرَ ، وما أجودَ ما جرى في مِيدَانِ الإنشاءِ ، وما غَبَرَ
لَمَّا عَبَرَ وما عَثَرَ ، وما أعفَّ كلامُهُ فَإِنَّهُ لَمْ يَلْتَمِسْ مِنْ كَلَامٍ غَيْرِهِ شَيْئاً ، وهو
يَعْلَمُ « أَنْ لا قَطْعَ فِي ثَمَرٍ ولا كَثْرٍ » ، وما أَتَقَنَ ما رَتَّبَ وَرَتَّلَ لَمَّا ساقَ المَثَلَ
والشَّاهِدَ والأَثَرَ ، وما كُلٌّ مِنْ أَلْفِي القَلَائِدِ نَظْماً^(٣) : [من البسيط]

مِنْ كُلِّ مَعْنَى يَكَادُ المِثْتُ يَفْهَمُهُ حُسْناً وَيَعْبُدُهُ القِرْطَاسُ والقَلَمُ
فَقَالَ المَمْلُوكُ : اللهُ أَكْبَرُ ، وَهِيَ لَفْظٌ لا يُقَالُ إِلَّا فِي الصَّلَاةِ أَوْ فِي الأَذَانِ ،
أَوْ عِنْدَ عَجَبٍ ما لَهُ عَنِ العَيْنِ حاجِبٌ ، أَوْ عِنْدَ خَبَرٍ لا يَأْخُذُ إِذْناً عَلَى الأَذَانِ ،
أَوْ عِنْدَ خَطْبٍ يَطْرُقُ فَيُضْبِحُ مُلْتَمِعِ الحَصَى مِنْهُ وهو شُدَّانُ .

وَحَقُّ لِي أَنْ أَقُولَ : اللهُ أَكْبَرُ ؛ فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ خَرَقَ العَادَةَ ، واستَعْبَدَ

(١) ديوانه ٢٣ ، صدره : وليس بِذِي رُمَحٍ فيقطعني به × .

وفي أ : ولا بَيْتَالٍ .

(٢) البيت للمتنبي ، في ديوانه ٢٢٦/٣ .

(٣) البيت لأبي تمام ، في ديوانه ٤٩٠/٤ .

السَّادَّةَ ، واستَقْرَبَ ما اسْتَبَعَدَ من مَدَى المادَّةِ ، وأَخْرَجَ الأدبَاءَ عَمَّا سَلَكَوهُ من
الجادَّةِ ، وأَخْرَجَ الكُتَّابَ حَتَّى كَلَّتْ طُبَى أَقْلَامِهِمُ الحادَّةُ .

ولقد عَالَجَتْ بِنْدِيغِهِ جِرَاحَاتِ الْفِرَاقِ ، فَإِنَّهُ لَهَا كَالْمَرْهَمِ ، وَأَنْفَتُ لِعَجْزِي
أَنْفَةً جُبِلَ عَلَيْهَا جَبَلَةُ بَنِ الْأَيْهَمِ ، وَأَفْلَسْتُ فِي جَوَابِي ، فَلَوْ وَجَدْتُ سَطْرًا مِثْلَهُ
يُبَاعُ ، كُنْتُ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ : اشْتَرَيْتُهُ بِوَاللَّهِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ؛ لِأَنَّهُ تَلَعَّبَ بِي
تَلَعَّبَ الْأَفْعَالِ بِالْأَسْمَاءِ ، وَالْبَطْرِ بِأَهْلِ الصَّحَّةِ وَالنَّعْمَاءِ ، وَخَلَبَنِي سَجْعَ هَذِهِ
الْحَمَامَةِ ، وَسَلَبَنِي زَهْرَ هَذِهِ الْكُمَامَةِ ، وَغَلَبَنِي سُكْرَ هَذِهِ الْمُدَامَةِ^(١) : [من الوافر]
وَمَنْ حَكُمْتَ كَأْسَكَ فِيهِ فَاخُكُم لَهْ بِإِقَالَةٍ عِنْدَ الْعِثَارِ
وقد عَوَّلْتُ عَلَى الْفِكْرِ فِي أَنْ يَلِمَ شَعْتُ قَرِيبَتِي وَيَضُمَّ ، وَقَلْتُ لِلْقَلَمِ : هَلُمَّ إِلَى
الْمُسَاعَدَةِ عَلَى هَذَا الْجَوَابِ ، فَقَالَ : لَا أَهْلُمُ^(٢) : [من الطويل]

وَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ رَأَى مَسَاغًا لِنَائِبِهِ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا
وَلَمَّا ثَقُلَ عَلَى رَأْسِي هَذَا الْجَبَلُ الرَّاسِي ، وَلَمْ يُفِدْ فِيهِ إِنْسَاسِي قَبْلَ
إِنْسَاسِي ، وَأَفْضَتْ بِي الْحَالُ إِلَى نِسْيَانٍ مَا كُنْتُ أَعْلَمُهُ ، وَلَا غَرَوْ فَقَدْ قَرَأَ سَعِيدُ
ابْنِ جُبَيْرٍ ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسِي ﴾ [البقرة : ١٩٩] وقد قَالَ أَبُو الْفَتْحِ
الْبُسْتِي^(٣) : [من البسيط]

..... وَاغْذُرْ فَأَوَّلُ نَاسٍ أَوَّلُ النَّاسِ

رَجَعْتُ إِلَى مَا عِنْدِي مِنْ فَوَائِدِ مَوْلَانَا ، أَعَزَّ اللَّهُ نَوَافِذَ أَحْكَامِهِ ، وَمَا زَيْنَتْ
بَزْهَرِهِ مِنْ مُرُوجِ تَغْلِيْقِي وَأَكَامِهِ ، فَلَمْ أَدْغْ بُقْعَةً ، وَلَا سَبَسَبًا إِلَّا وَاتَّرْتُ فِيهِ

(١) من قصيدة للعطوي ، في زهر الآداب ٤٤٨ .

(٢) البيت للمتلهمس ، في ديوانه ٣٤ وثمار القلوب ٦٢٩/٢ .

(٣) ديوانه ١١٠ . صدره : نسيت عهدك والنسيان مُغْفَرُ .

أَثَرًا ، وَأَثَرْتُ نَفْعَهُ ، وَلَفَّقْتُ هَذَا الْجَوَابَ ، وَهُوَ كَمَا يُقَالُ : مِنْ كُلِّ زُوجٍ رُفْعَةٌ ، حَتَّى شَمَلْتَنِي سَعَادَتُكَ ، وَحَمَلْتَنِي بِلِجَمَلَتَنِي إِفَادَتُكَ : [من الكامل]

مَا زَالَ يُوقِنُ مَنْ يُؤْمُكَ بِالْغِنَى وَسِوَاكَ مَانِعُ فَضْلَهُ الْمُحْتَاجُ

وَقَدْ أَثَبْتُ الْحَصَا عَنْ الْمُرْجَانِ ، وَضَاقَ بِي وَادِي الْإِنْشَاءِ كَمَا اتَّسَعَ لِمَوْلَانَا مِنْ نَظْمِهِ وَنَثَرِهِ الْمَرْجَانِ ؛ وَأَمَّا بَيْتُ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ ، فَإِنَّهُ أَحْكَمُ تَأْسِيسِ بُنْيَانِهِ ، وَرَفَعَ بِكُمْ نُورَ قَافِيَتِهِ ، وَحَرَّمَ سُكْنَاهُ عَلَى غَيْرِكُمْ ؛ وَلَوْ حَرَّكَ مَوْلَانَا نُورَ رَوْيِهِ لَعَامَ فِي بَحْرِ فَضْلِكُمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى أَوْجَدَ هَذَا الْبَيْتَ إِلَّا لِهَذَا الْبَيْتِ ، وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى فَضْلِ الْحَيِّ مِنْهُ وَالْمَيِّتِ : [من الطويل]

وَلَا كُلُّ زَنْدٍ يَزْدَهِي بِسِوَاوِهِ وَلَا كُلُّ فَرْقٍ لَاقَ مِنْ فَوْقِهِ تَاجٌ
وَأَمَّا قَوْلُ مَوْلَانَا : وَمَا وَمَا ، وَمَا أَقُولُ وَكُلُّ دَمَشَقٍ مَا ؛ فَهَذِهِ نُكْتَةٌ يَأْخُذُ
الْفَاضِلُ حُسْنَهَا مُبْزَهِنًا وَالْغَبِيُّ مُسَلِّمًا ؛ وَأَمَّا مَا وَصَفَهُ مِنْ حَالِ مِصْرَ الْمَحْرُوسَةِ
عَلَيْهِ ، وَإِقْبَالِهَا عَلَيْهِ^(١) ، وَإِذْلَالِهَا لَدَيْهِ ، فَمَا يَقُولُ الْمَمْلُوكُ إِلَّا : [من الطويل]

تَغَايَرُ أَقْطَارُ الْبِلَادِ مَحَبَّةً عَلَيْكَ فَهَذَا الْقَطْرُ يَحْسُدُ ذَا الْقُطْرَا
لَا بِلَ يَقُولُ : [من الطويل]

تَغَايَرَتِ الْأَقْطَارُ فِيكَ فَوَاحِدٌ لِفَقْدِكَ يَبْكِي أَوْ لِقُرْبِكَ يَبْسُمُ
وَكُلُّ مَكَانٍ أَنْتَ فِيهِ مُبَارَكٌ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ فِيهِ عَيْنٌ وَمَوْسِمُ
وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ الدِّيَارَ كَأَهْلِهَا كَمَا قِيلَ تَشْقَى بِالزَّمَانِ وَتَنْعَمُ

وَأَمَّا مَا وَصَفَهُ مِنْ حَالِ الْحَسَدَةِ الْبَاغِينَ ، وَالْمَرَدَةِ الطَّاغِينَ ؛ فَقَدْ رَدَّ اللَّهُ
كَيْدَهُمْ فِي نَحْرِهِمْ ، وَزَخَرَ تَيَّارُ مَوْلَانَا فَأَغْرَقَ وَشَلَّ نَهْرِهِمْ : [من الطويل]

وَلَوْ عَلِمُوا مَا يُعْقِبُ الْبَغْيُ قَصَرُوا وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُفَكِّرُوا فِي الْعَوَاقِبِ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَوْلَانَا فِي هَذَا الْكَمَالِ مَا حَسِدَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ غَنَائِمِ

(١) هــا من مـ .

المَعَالِي ، وَلَا وَدَّتِ النَّفُوسُ الظَّالِمَةُ أَنْ تُسَلِّبَهُ مَا وَهَبَهُ اللَّهُ وَهُوَ أَنْهَى وَأَبْهَرُ مِنْ
عُقُودِ اللَّالِي ، وَلَا تَمَالُؤُوا عَلَى اهْتِضَامِ قَدَرِهِ ، وَكَمْ هَذَا التَّمَادِي فِي
التَّمَالِي ^(١) : [من البسيط]

إِنَّ الْعَرَانِينَ تَلْقَاهَا مُحَسَّدَةً وَلَمْ تَجِدْ لِلنَّاسِ حَسَّادًا
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الثُّصَرَةِ ، وَضَعَفِ أَقْوَالِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَتَزَجَّجِ أَقْوَالِ أَهْلِ
الْبَصْرَةِ ، وَمَا يُغْلَقُ بَابٌ إِلَّا وَيُفْتَحُ دُونُهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ أَبْوَابٌ ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ
أَبُو نَضْرٍ أَبُو نَضْرٍ ، وَعَبْدُ الْوَهَّابِ عَبْدُ الْوَهَّابِ ، وَمَا يَقُولُ الْمَمْلُوكُ فِي مَوْلَانَا
إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ : [من الكامل]

مَنْ بِالسَّنَانِ يَصُولُ عِنْدَ فِطَامِهِ لَمْ يَخْشَ آخَرَ بِالسَّنَانِ يُقَعِّعُ
وَمَا بَقِيَ غَيْرُ الْخُرُوجِ مِنْ هَذَا الْجَوَابِ وَثَبًّا ، وَأَنْ يَقُولَ لِرِكَابِهِ الشَّرِيفِ :
أَهْلًا وَسَهْلًا وَرُحْبَى ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

٥٣ * عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ عَلِيٍّ ^(٢) :

الشَّيْخُ الْإِمَامُ ، الْعَالِمُ الْعَلَامَةُ ، الْمُفَنِّنُ ، ذُو الْفَضَائِلِ الْمُتَوَعَّةِ ، زَيْنُ الدِّينِ
أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ ، الْمُؤَصِّلِي ،

(١) البيت للمغيرة بن حبياء في معجم الشعراء ٢٧٣ وربع الأبرار ٥٧٧/٣ وبهجة المجالس ٤١٥/١
والمستطرف ٥١-٥٠/٢ .

وهو لعمر بن لجأ في ديوانه ١٣٨ والحماسة البصرية ١٤٢/١ ووفيات الأعيان ٣٨٣/٦ . وينسب
لحاتم الطائي في أسرار الحكماء ١٣٦ وديوانه ٢٩٤ . واستشهد به سفيان بن معاوية المهلب في
عيون الأخبار ٩/٢ .

(٢) ترجمته في : أعيان العصر ٣٣٥/٣ والوافي بالوفيات ٥٢/٢١ وطبقات الشُّبَكِيِّ ١٣٦/١٠ ووفيات
ابن رافع ٣٢٦/١ وتذكرة النبيه ١٨٥/٣ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٧٠/٢ والدرر الكامنة ٤٣/٣
والنجوم الزاهرة ٩٧/١٠ والمنهل الصافي ٦٥/٨ والدليل الشافي ٤٥٤/١ والدليل التام ١٤٠/١
وبغية الوعاة ١٦١/٢ وشذرات الذهب ٣٠٥/٨ والبدر الطالع ٤٤٢/١ .

- مولده سنة ٦٨١ هـ . ووفاته سنة ٧٥٥ هـ .

الشافعي ، ابن شَيْخِ الْمُؤَيَّنَةِ (١) .

● كَتَبْتُ إِلَيْهِ ، وَقَدْ قَدِمَ إِلَى دِمَشْقَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْحِجَازِ ، فِي سَنَةِ ٧٥٠ (٢) :

[من الطويل]

أَلَا إِنَّمَا الْقُرْآنُ أَكْبَرُ مُعْجَزٍ لَا أَفْضَلَ مَنْ يُهْدَى بِهِ الثَّقَلَانِ
[١٨٦] وَمِنْ جُمْلَةِ الْإِعْجَازِ كَوْنُ اخْتِصَارِهِ بِإِيجَازِ أَلْفَاظٍ وَبَسْطِ مَعَانِ
وَلِكِنِّي فِي « الْكَهْفِ » أَبْصَرْتُ آيَةً بِهَا الْفِكْرُ مِنْ طُولِ الزَّمَانِ عَنَانِي
وَمَا ذَاكَ إِلَّا « اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا » فَقَدْ نَرَى « اسْتَطَعَمَاهُمْ » مِثْلُهُ بَيَانِ
فَمَا الْحِكْمَةُ الْغَرَاءُ فِي وَضْعِ ظَاهِرٍ مَكَانَ ضَمِيرٍ إِنَّ ذَاكَ لِشَانِ

● فَكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ (٢) : [من الطويل]

سَأَلْتَ لِمَاذَا « اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا » أَتَى عَنْ « اسْتَطَعَمَاهُمْ » إِنَّ ذَاكَ لِشَانِ
وَفِيهِ اخْتِصَارٌ لَيْسَ ثَمَّ وَلَمْ تَقِفْ عَلَى سَبَبِ الرُّجْحَانِ مِنْذُ زَمَانِ
فَهَاكَ جَوَاباً رَافِعاً لِنِقَابِهِ يَصِيرُ بِهِ الْمَعْنَى كَرَأْيِ عِيَانِ
إِذَا مَا اسْتَوَى الْحَالَانِ فِي الْحُكْمِ رُجِّحَ الضَّ

ضَمِيرٌ وَأَمَّا حِينَ يَخْتَلِفَانِ كَرَفْعَةِ شَانٍ أَوْ حَقَارَةِ جَانِ
بِأَنَّ كَانَ فِي التَّضَرُّيحِ إِظْهَارُ حِكْمَةٍ وَمَا نَحْنُ فِيهِ صَرَّحُوا بِأَمَانِ
كَمِثْلِ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ ذَا جَوَابِي مَشُوراً بِحُسْنِ بَيَانِ
وَهَذَا عَلَى الْإِيجَازِ وَاللَّفْظِ جَاءَ فِي فَلَيْسَ لِكُلِّ بِالْقَرِيضِ يَدَانِ
فَلَا تَمْتَحِنُ بِالنَّظْمِ مِنْ بَعْدِ عَالِمَا يَكَادُ يُرَى مِنْ سَابِقِ بَرِهَانِ
وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ الشُّعْرَ يُزْرِي بِهِمْ فَلَا

(١) انظر سبب تلقب جده الأعلى علي بشيخ المؤينة ، في الوافي ٥٣/٢١ .

(٢) الأبيات في أعيان العصر ، والوافي ٥٦/٢١ و ٨٦ ، والذَّور الكامنة ، والأشباه والنظائر للسيوطي ١٣٩/٤ ؛ وستكرر في الترجمة ٥٦ .

ولا تَسْنِي عِنْدَ الدُّعَاءِ فَإِنِّي سَأُبْدِي مَزَايَاكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِمَا طَغَى بِهِ قَلَمِي أَوْ طَالَ فِيهِ لِسَانِي
● وَكَتَبَ بَعْدَ ذَلِكَ نَثْرًا فِيهِ طُولٌ ؛ وَقَدْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ كَامِلًا فِي تَرْجَمَتِهِ ، فِي
تَارِيخِي الْكَبِيرِ « الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ » ^(١) .

٥٤ * عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ [بْنِ عَلِيٍّ] بَنِ أَبِي بَكْرٍ بَنِ أَبِي الْخَيْرِ مُحَمَّدٍ ^(٢) :
الْعَدْلُ الْفَاضِلُ ، الْمُحَدِّثُ ، الْفَصِيحُ ، الْبَارِعُ ، عَزُّ الدِّينِ ، أَبُو الْخَيْرِ ابْنُ
الشَّيْخِ بِهِاءِ الدِّينِ ، الْمَوْصِلِيُّ الْحَنْبَلِيُّ .

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ سُؤَالَ ^(٣) : [مَنْ السَّرِيعُ]

يَا أَيُّهَا الْفَاضِلُ أَوْضِخْ لَنَا مِنْهُمْ أَمْرًا لَمْ يَبَيِّنْ حُكْمَهُ
فِي رَجُلٍ نَسَبُهُ أَشْكَلَتْ إِذْ كَانَ عَمِّي وَأَنَا عَمُّهُ
● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ : [مَنْ السَّرِيعُ]

أُمُّ أَبِي زَوْجَهَا مِنْ أَخٍ لِأُمِّهِ فَافْتَهُمَ لِمَنْ عَمِّي
فَأُولَدَا بَيْنَهُمَا وَاحِدًا عَمًّا لِمَنْ أُمُّي لَهُ عَمَّا
● وَكَتَبَ إِلَيَّ : [مَنْ الْبَسِيطُ]

أَبَشِرْ بِوَضَلٍ مِنَ الْمَحْبُوبِ عَنْ كَثَبٍ يَا قَلْبُ بِالرَّغْمِ مِنْ ضِدٍّ وَمُزْنَقِبٍ
فَكَمْ رَقِيبٍ ثَنَاهُ الْقُرْبُ مُكْتَتِبًا خَيْرَانَ نَضَبَ عُيُونِ الْهَمِّ وَالنَّصَبِ

(١) وكذلك أورده السيوطي في الأشباه والنظائر ٤/ ١٤٠-١٤٧ .

(٢) ترجمته في : تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٢٣٠ وإنباء الغمر ٢/ ٢٦٨ والدّرر الكامنة ٣/ ٤٣ والمنهل الصافي ٨/ ٦٣ والدليل الشافي ١/ ٤٥٣ .
- وفاته سنة ٧٨٩ هـ .

- في س : علي بن الحسين بن أبي الخير موسى ! .

(٣) سقط البيتان وجوابهما من س .

خَابَتْ مَسَاعِينِهِ لَمَّا رَامَ فُرْقَتَنَا
 مِنْ غَادَةٍ وَثَبَاتِ اللَّيْلِ كَامِنَةً
 ضَرَبَ مِنَ السَّحْرِ يَجْرِي فِي لَوَاحِظِهَا
 أَجْرَى سَحَابٍ دَمْعِي بَرَقَ مَبْسَمِهَا
 وَبَدُرُ تَمَّ إِذَا مَا لَاحَ فِي صَعْدِ
 فِي الطَّرَفِ مِنْهُ شَبَا هِنْدِيَّةٍ قُضِبِ
 لَمَّا تَسَبَّبَ فِي قَتْلِي أَرَاقَ دَمِي
 يَظَلُّ نَاطِرُهُ مِنْ سِحْرِ نَاطِرِهِ
 لَمْ أَنْسَهُ إِذْ بَدَا كَالْبَدْرِ طَلَعْتُهُ
 يَجْلُو عَلَى الثَّدْمَاءِ الزُّهَرِ فِي فَلَكِ
 فَهِيَ الْعَرُوسُ أَتَتْنا وَهِيَ لَا بَسَةَ
 فَاسْتَجَلِ واشْرَبْ عَلَى وَجْهِ الرِّبْعِ فَكَمْ
 فَالْرَوْضُ يَضْحَكُ بِالْأَزْهَارِ مُبْتَهَجًا
 لَكِنْ شَقَائِقُهُ شَقَّتْ مَلَاسِهَا
 وَتَحْتَ أَسْتَارِ أَوْرَاقِ الْعُصُونِ قِيَا
 كَأَنَّ فِي كُلِّ عُوْدٍ عُوْدَ غَائِيَةِ
 وَالْحُبُّ مِنْ سُكْرِهِ قَدْ بَاتَ يُزْشِفُنِي
 تَعِبْتُ حَتَّى بَلَغْتُ الْوَصْلَ مِنْهُ وَمَا
 وَمَا خَلِيِّي يَتَامُ اللَّيْلَ مِثْلَ فَتَى
 مِثْلَ الْإِمَامِ صَلَاحِ الدِّينِ سَيِّدِنَا
 فَشَأْنُهُ دَابُّ مَا شَأْنُهُ مَلَلٌ

وَأُنْجَحْتُ لِي مَسَاعٍ قَطُّ لَمْ تَخْبِ
 فِي لَحْظِهَا بَيْنَ أَخْيَاسٍ مِنَ الْهُدُبِ
 يَخْمِي لَمَى طَعْمُهُ أَخْلَى مِنَ الضَّرْبِ
 غَلِطْتُ مَا الْبَرَقُ يَخْكِي لَمْعَةَ الشَّنْبِ
 وَلَّى وَأَذْبَرَ صَبْرِي عَنْهُ فِي صَبَبِ
 وَالْقَدْ لَيْنٌ قَنَاءَ خَطِيئَةٍ سُلْبِ
 يَا وَنَحَ قَلْبِي بِلا ذَنْبٍ وَلَا سَبَبِ
 مَا بَيْنَ مُبْتَهَجٍ مِنْهُ وَمُكْتَسِبِ
 فِي لَيْلٍ شَعْرٍ فَوَلَّى الْبَدْرُ فِي هَرَبٍ^(١)
 قَدْ صَنِعَ مِنْ فِضَّةٍ شَمْسًا مِنَ الذَّهَبِ
 ثَوْبَيْنِ ضِدَّيْنِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ لَهَبِ
 [٨٦ب] فِي وَجْهِهِ إِذْ بَدَا مِنْ مَنْظَرٍ عَجَبِ
 لَمَّا بَكَاهُ الْحَيَا مِنْ طَرْفٍ مُتَّحِبِ
 أَيْدِي نَسِيمِ الصَّبَا فِي مَاتَمِ الشُّحْبِ
 نَ الْوُزْقِ شَقَّتِ الْأَسْمَاعَ بِالطَّرَبِ
 تُجِيدُ ضَرْبًا وَلَمْ تَبْزُزْ مِنَ الْحُجُبِ
 مِنْ رِيقِهِ الْعَذْبِ مَا يَجْلُو صَدَا كُرْبِي
 يَجْنِي الْفَتَى رَاحَةً إِلَّا مَنْ التَّعَبِ
 يُسَيِّرُ الْعَزَمَ بَيْنَ الْحَزَمِ وَالْدَّابِ
 بَحْرِ الْعُلُومِ إِمَامِ الْعُجْمِ وَالْعَرَبِ
 وَالْجِدُّ فِي الْجِدِّ غَيْرِ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ

(١) فِي ب : × فِي حَرْب .

مَلِكُكَ عِلْمٌ بَدَأَ بِالْجُودِ طَالِبُهُ
وَجَأَشُهُ جَيْشُهُ وَالرَّأْيُ رَايَتُهُ
وَمَا صَفَائِحُهُ إِلَّا صَحَائِفُهُ
مَوَاهِبُ الْعِلْمِ وَالْإِحْسَانِ لِي كَثُرَتْ
مَكَارِمٌ قَدْ هَمَّتْ كَابِنِ الْعِمَامَةِ مَعَ
يَا ذَا الرَّفِيعَيْنِ مِنْ قَدْرِ وَمِنْ هِمَمِ
يَا ذَا الْمَلِيحِينَ مِنْ خُلُقٍ وَمِنْ خُلُقِ
وُدِّي لَكُمْ جَوْهَرٌ حَاشَاهُ مِنْ عَرْضِ
اسْتَجَلِ وَاسْتَخْلِ مِنْ مَذْحِي مُنْقَحَةٍ
وَطَائِرُ الْيَمْنِ فِي مَذْحِي وَلَيْسَ لَهُ
وَمَا انْتَحَلْتُ كَلَامَ النَّاسِ أَسْرِقُهُ
الْمَغْرِبِيِّ لَدَيْهِ الْعَقْلُ أَغْرَبُ مِنْ
نَذْلِ دَنْيَاءٍ لَيْسَ الطَّبْعُ ذِي سَفَهٍ
الصُّدُقُ مَذْحِي وَلَكِنْ قَوْلُهُ كَذِبُ
مَوْلَايَ رَامَ بَعَادِي عَنْ جَنَابِكُمْ
وَكَانَ سَيْرِي سَيْرًا غَيْرَ مُنْعَكِسٍ
رَأَفَتْ بِي ثُمَّ قَدْ أَوْلَيْتَنِي نِعْمًا
فَظَلُّنَا بِكَ ظِلًّا غَيْرُ مُنْتَقِلٍ
تَهَنَّ يَا مَوْلَايَ بِالشَّهْرِ الْعَظِيمِ وَبِالْ
وَاسِعَدَ بِإِتْيَانِ شَهْرِ أَنْتَ صَائِمُهُ

فَقَاصِدُ الْفَضْلِ مِنْهُ قَطُّ لَمْ يَخْبِ
وَفِكْرُهُ النَّبْلُ إِنْ يَزْمِي بِهِ يُصَبِّ
فِيهَا الْيَرَاعُ يَتُوبُ السُّمَرُ فِي التُّوبِ
مِنْهُ فَرَوْتُ ثَرَى مِنْ رَبْعِي الْجَدِبِ
فَوَائِدُ بِمَعَانٍ كَابِنَةُ الْعِنَبِ
يَا ذَا الْبَدِيعِينَ مِنْ خَطِّ وَمِنْ أَدَبِ
يَا ذَا الرَّجِيحِينَ مِنْ عَقْلِ وَمِنْ أَدَبِ
فَكَيْفَ عَدَّتُهُ أَعْدَائِي بِمُخْشَلَبِ
طَابَتْ وَطَالَتْ وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ تَطْبِ
تَقْدُ وَتَقَرُّ كَمَنْسُوبٍ بِلَا نَسَبِ
كَمَثَلِ ذِي أَدَبٍ عَارٍ مِنَ الْأَدَبِ
عَنْقَاءً مُغْرَبٍ لَمْ تُوجَدْ وَلَمْ تُصَبِّ
لِلْقَوْلِ مُغْتَصِبٍ بِالْجَهْلِ مُغْتَصِبِ
وَالْفَخْرُ بِالصُّدُقِ لَيْسَ الْفَخْرُ بِالْكَذِبِ
فَلَمْ يَنْلُ قَطُّ تَنْفِيسًا مِنَ الْكُربِ
وَكَانَ بُرْجِي بُرْجًا غَيْرَ مُنْقَلَبِ
أَفْدِيكَ يَا مَالِكِي مِنْ مُشْفِقٍ حَدَبِ
وَوَرْدُنَا مِنْكَ وَرْدٌ غَيْرُ مُؤْتَشِبِ
أَجْرِ الْعَمِيمِ وَدُمْ فِي أَشْرَفِ الرُّتَبِ
فِي نِعْمَةٍ فِي مَدَى الْأَيَّامِ وَالْحَقَبِ

● فَكُتِبَتْ أَنَا الْجَوَابُ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ ارْتِجَالًا : [من البسيط]

أَهْذِهِ دَوْحَةً مَيَّاسَةً الْقُضْبِ أَمْ تُغَرُّ كَأْسِي تَبْدَى بِاسِمِ الْحَبِّ

أَمْ خَذُ أَغْيَدَ قَدْ وَشَّاهُ سَالِفُهُ فَلَاقَ عُنْبَرَهُ فِي سَاطِعِ اللَّهَبِ
 أَمْ السَّمَاءُ كَسَاهَا اللَّيْلُ حُلَّتُهُ وَرَزَيْتَنَهَا يَدُ الْإِمْسَاءِ بِالشُّهَبِ
 أَمْ عِقْدُ دُرٍّ نَفِيسٍ قَدْ خُصِصْتُ بِهِ مِنْ شَاعِرٍ نَظْمُهُ يَنْهَلُ كَالشُّحْبِ
 رَوَى الْحَدِيثَ فَرَوَى أَنْفُسًا طَمِثَتْ لِصِدْقِ لَفْظٍ خَلَا مِنْ بَذْعَةِ الْكَذِبِ
 إِنْ قَالَ حَدَّثْنَا أَوْ قَالَ خَبَرْنَا فَاسْمَعْ حَدِيثًا تَلَقَّاهُ مِنَ الثُّخْبِ
 إِرَادُ ذِي مَنْطِقٍ جَزَلَ قَصَاحَتُهُ

تَسْمُو عَلَى مَنْ سَمَا فِي الشَّعْرِ وَالْخُطْبِ^(١)

لو كَانَ قَابِلَهُ فِي ذَلِكَ ابْنُ عَسَا كَرَّ لَمَا كَانَ نَجَاهُ سِوَى الْهَرَبِ
 أَوْ جَازَ فِي أَذُنِ الْجَوَزِيِّ مَنْطِقُهُ لَمَا رَأَيْنَا لَهُ لُبًّا مِنَ الرَّهَبِ
 أَهْدَيْتَ نَحْوِي عِزَّ الدِّينِ غَانِيَةً مِنْ نَظْمِكَ الْمُنْتَقَى مَعْسُولَةَ الشَّنْبِ
 يَأْتَتْ تُغَارِلُنِي أَلْحَاطُ أَسْطَرِّهَا فَأَسْكُرْتَنِي وَلَا سُكْرَ ابْنَةِ الْعِنَبِ
 فَهَمْتُ مِنْهَا مَعَانِيهَا فَهَمْتُ بِهَا وَمَالَ عِطْفِي بِهَا مِنْ شِدَّةِ الطَّرَبِ
 أَنْزَلْتَنِي فَوْقَ مِقْدَارِي بِمَدْحِكَ لِي وَلَسْتُ مِمَّنْ عَلَا فِي شَايخِ الرُّتَبِ
 فَإِنْ فَقَرِي بَادٍ لَا خَفَاءَ بِهِ وَلَيْسَ عِنْدِي إِلَّا قَلَّةُ الْأَدَبِ
 وَأَنْتَ مِمَّنْ سَمَتْ فِي الْفَضْلِ هِمَّتُهُ وَجَاءَنَا بَيِّنَانٍ بَيْنَ الْعَجَبِ
 وَطَارَ كُلُّ مَطَارٍ فِي حُصُولِ مَعَا نِيهِ وَلَمْ يَكْ فِيهَا قَاصِرَ السَّبَبِ
 فَمَا نَرَى حَجَلًا إِلَّا اكْتَسَى خَجَلًا كَذَا الْعُقَابُ رَأَيْنَاهَا بِلا عَقَبِ
 وَقَصَّرَ الصَّفَرُ عَنْ شَأْوٍ تُحَاوِلُهُ وَلَوْ عَلَا الْجَوُّ لَا صُطْدَنَاهُ بِالْخَرَبِ^(٢)
 وَمَا أَغْرَزَتْ عَلَى أَلْفَاظٍ غَيْرِكَ فِي شَيْءٍ تُحَاوِلُهُ يَا طَيِّبَ الْحَسَبِ
 وَلَمْ تُخْنِ لِخَلِيلٍ قَدْ صَفَا وَنَفَى عَنْهُ الْأَذَى وَالْقَذَى مِنْ سَالِفِ الْحَقَبِ

(١) سقط البيت من ب .

(٢) الخوب : ذكر الجباري .

كَذَا يَكُونُ الْكِرَامُ الطَّيِّبُونَ إِذَا مَا عَامَلُوا النَّاسَ فِي جِدٍّ وَفِي لَعِبٍ
 فَاغْذُرْ إِذَا شَابَ هَذَا النَّظْمَ هَلْهَلَةً وَلَمْ تَجِدْ بَيْنَهُ مُسْتَوْثِقَ الطَّنْبِ^(١)
 وَاضْفَحْ فَمَا هِيَ إِلَّا بِنْتُ سَاعَتِهَا بِلا مُسَوِّدَةٍ وَأَغْفِرْ وَلَا تَعِبْ
 ● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مُلَغِزاً :

يَا إِمَاماً شَاعَ ذِكْرُهُ، وَطَابَ نَشْرُهُ، فَطَيَّبَ الْوُجُودَ وَعَطَّرَ، وَفَاضِلاً بَيْنَ كُلِّ
 مُعَمَّى وَمُتَرْجَمٍ، وَأَرْخَ وَتَرْجَمَ، وَعَمَّنْ غَبَرَ عَبَّرَ، وَكَتَبَ فَكَتَبَتِ الْأَعَادِي، وَكَبَّتْ
 مِنْ دُونِ خَطِّهِ وَحَظِّهِ فُرْسَانُ الْأَذْهَانِ وَالْأَيَادِي، فَتَخَطَّى قَوَامَ قَلَمِهِ وَتَخَطَّرَ^(٢) : [من
 الطويل]

إِذَا أَخَذَ الْقِرْطَاسَ خِلْتَ يَمِينَهُ تَفْتَحُ نَوْرًا أَوْ تُنْظِمُ جَوْهَرًا
 مَا اسْمُ ثَلَاثِي الْحُرُوفِ ، وَهُوَ بَعْضُ الظُّرُوفِ ، ماضٍ إِنْ تُصَحَّفُهُ عَادَ فِعْلَ
 أَمْرٍ ، وَإِنْ ضَمَمْتَ أَوَّلَهُ صَارَ مُضَارِعاً ؛ فَاغْجَبْ لِهَذَا الْأَمْرِ ؛ إِنْ أَرَدْتَ تَعْرِيفَهُ
 بِأَلْ تَنْكَرَ ، أَوْ تَغَيَّرَتْ عَلَيْهِ الْعَوَامِلُ فَهُوَ لَا يَتَغَيَّرُ ، كُلُّ يَوْمٍ يَزِيدُ فِي بُعْدِهِ ، وَلَا
 تَقْدِرُ عَلَى رَدِّهِ ، إِنْ نَزَعْتَ قَلْبُهُ بَعْدَ قَلْبِهِ فَهُوَ فِي لُغَةِ النَّزْدِ مَوْجُودٌ ، وَقَلْبُهُ
 « سَمَا » فَلَا تَنَالُهُ الْأَخْزَابُ وَالْجُنُودُ ، وَكُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ إِلَى حَالِهِ يَعُودُ ، بِهِ
 يُضْرَبُ الْمَثَلُ ، وَمِنْهُ انْقَطَعَ الْأَمَلُ ، ثُلَاثُهُ حَرْفٌ اسْتِفْهَامٌ ، وَإِنْ تَعَكَّسَ يَطْرِدُ
 ذَلِكَ النَّظَامُ ، وَثُلَاثُهُ الْأَوَّلُ كَذَلِكَ ، وَعَكْسُ ثُلَاثِيهِ يَرْكُ الْحَيِّ هَالِكاً فِي
 الْهَوَالِكِ ، لَا يُوصَفُ إِلَّا بِالذَّهَابِ ، وَلَيْسَ لَهُ إِلَى هَذَا الْوُجُودِ إِيَابٌ ، وَهُوَ
 ثَلَاثَةٌ وَعَدَدُهُ فَوْقَ الْمِئَةِ^(٣) ، وَكَمْ رَحَلَ بِفَيْتَةٍ بَعْدَ فَيْتَةٍ ، وَجِدَ وَلَيْسَ فِي الْوُجُودِ ،
 بُنْيَ وَفِيهِ « أُسٌّ » وَلَكِنْ لَا فِي السَّمَاءِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي هُبُوطٍ وَلَا فِي

(١) فِي س : إِذَا شَابَ نَسَجَ النَّظْمُ ×

(٢) الْبَيْتُ لِابْنِ الْمُعْتَزِّ ، فِي دِيْوَانِهِ ٤٧٩/١ وَأَدَبُ الْكِتَابِ لِلصُّوْلِيِّ ٨٥ .

(٣) كَلِمَةُ « أُسٌّ » بِحَسَابِ الْجُمْلِ (١٠١) . الْأَلْفُ = ١ . وَالْمِئَةُ = ٤٠ . وَالسِّينُ = ٦٠ .

صُعُودٌ ، طَرَفَاهُ اسْمٌ لِبَعْضِ الرِّيحَيْنِ الْمُعْطَرَةِ^(١) ، وَكُلُّهُ جُزْءٌ مِنَ الْيَاسَمِينِ لِمَنْ
اعْتَبَرَهُ ، مَكْسُورٌ لَا يُجْبَرُ ، وَغَائِبٌ لَا يُسْتَحْضَرُ ، أَقْرَبُ مِنْ رُجُوعِهِ مَنَالٌ
مَعْكُوسِهِ ، يُذَرِّكُهُ الْعَاقِلُ بِفِكْرِهِ وَلَيْسَ مِنْ مَحْسُوسِهِ ؛ أَيْنَهُ لَا زِلْتَ تُزِيلُ
الْإِشْكَالَ ، وَتُزِينُ الْأَضْرَابَ وَالْأَشْكَالَ : [من السريع]

[٧٨ب] يَا مَلِكَ الْعِلْمِ وَيَا مَنْ غَدَا خَادِمَهُ فِي الدَّهْرِ سَعَدُ السُّعُودِ
صَرِيْفٌ أَقْلَامِكَ يَا سَيِّدِي يُخْشَى كَمَا يُخْشَى زَيْرُ الْأَسْوَدِ^(٢)
وَخَفَقُ قِرْطَاسِكَ مِنْ تَحْتِهَا كَأَنَّهُ فِي الْوَقْعِ خَفَقُ الْبُنُودِ^(٣)
وَرَأَيْكَ الرَّايَاتِ وَالْجَاشُ جَيْدٌ شٌ لَا يُلَاقِي وَالْعُلُومُ الْجُنُودُ
لَا زِلْتَ فِي عَزٍّ وَفِي نِعْمَةٍ تَسُرُّ خِلَاءً وَتَسُوءُ الْحَسُودُ

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ ، وَهُوَ فِي « أَمْس » : [من السريع]

يَا فَاضِلًا أَقْلَامُهُ لَمْ نَزَلْ تَحَوُّكَ مَا يَكْتُبُهُ كَالْبُرُودِ
وَنَاطِمًا إِنْ قَالَ شِعْرًا فَقَدْ أَزَرْتُ قَوَافِيهِ بِدُرِّ الْعُقُودِ^(٤)
وَمَنْ إِذَا أَلْعَزَ شَيْئًا فَقَدْ أَنْجَزَ فِي الْإِبْدَاعِ مِنْهُ الْوُعُودُ
وَمَنْ لَهُ كَالْمَاءِ فِي رِقَّةٍ ذَهْنٌ رَمَى جَمَرَ الْغَضَا بِالْخُمُودِ
بِقَدْرِ مَا عِنْدَكَ مِنْ خَاطِرٍ مُتَّقِدٍ أَصْبَحَ عِنْدِي جُمُودُ

وَقَفَّ الْمَمْلُوكُ عَلَى هَذَا اللَّغْزِ الَّذِي أَبْدَعْتَهُ ، وَفَهِمَ بِسَعْدِكَ السَّرَّ الَّذِي
أَوْدَعْتَهُ ، فَوَجَدْتُهُ ظَرْفًا مَلَأْتُهُ مِنْكَ ظَرْفًا ، وَاسْمًا بُنِيَ لِمَا أَشْبَهَ حَرْفًا ، ثَلَاثِي
الْحُرُوفِ ، ثَلُثُ مَا انْقَسَمَ إِلَيْهِ الزَّمَانُ مِنَ الظُّرُوفِ ؛ إِنْ قَلْبَنَهُ « سَمَا » ، وَأَرَاكَ

(١) آس .

(٢) في هامش م : ط : صرير .

(٣) سقط البيت من م .

(٤) سقط عجز هذا البيت مع صدر ما يليه ، فتلفق ما بقي منهما .

حَزَفَ تَنْفِيسٍ ، وما بَقِيَ مِنْهُ « ما » ؛ ثُلْثَاهُ « مَسٌّ » ، وَكُلُّهُ بِالتَّخْرِيفِ
 « أَمْسٍ » ، وهو بِلا أَوَّلٍ تَصْحِيفُهُ « مُبَيَّنٌ » ، وفي عَكْسِهِ « سُمٌّ » تَعَيَّنَ ، التَّقَى
 فِيهِ سَاكِينَانِ فَبَيَّنِي عَلَى الْكَسْرِ ، وَوَقَعَ بِذَلِكَ فِي الْأَسْرِ ، لَا يَتَصَرَّفُ بِالْإِعْرَابِ ،
 وَلَا يَدْخُلُهُ تَنْوِينٌ فِي لِسَانِ الْأَعْرَابِ ، يَبْعُدُ مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ ، وَيَنْطِقُ بِهِ وَمَا تَحَرَّكَ
 فِيهِ لِسَانٌ ، لَا يُدْرِكُ بِاللَّمْسِ ، وَلَا يُرَى فِيهِ ثُلْثَا « شَمْسٍ » ، تَتَغَيَّرُ صَيَغَتُهُ حَالَةً
 النَّسْبَةِ إِلَيْهِ ، وَيَدْخُلُهُ التَّنْوِينُ إِذَا طَرَأَ التَّنْكِيرُ عَلَيْهِ ، مَتَى بَاتَ فَاتٌ ، وَلَمْ يَعُدْ لَهُ
 إِلَيْكَ الْبَقَا^(١) : [من السريع]

أَمْسٍ عَلَى مَا كَانَ مِنْ قُرْبِهِ يَعْجِزُ كُلُّ النَّاسِ عَنْ رَدِّهِ
 فَمَا ضِيهِ مَا يُرَدُّ ، وَثَانِيهِ مَا يُصَدُّ ، وَطَرِيقُ ثَالِثِهِ مَا يُسَدُّ^(٢) : [من الطويل]

ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ هِيَ الدَّهْرُ كُلُّهُ وَمَا هِيَ غَيْرَ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ وَالْعَدِ
 قَدْ اسْتَوْعَبَ مَوْلَانَا أَوْصَافَهُ ، وَضَمَّ إِلَى دَائِرَةِ الْحُسْنِ أَطْرَافَهُ ، فَمَا تَرَكَ فِيهِ
 بَعْدَهُ فَضْلَةً تُلْتَقِطُ ، وَلَا مُعْجَماً يُهْمَلُ أَوْ يُنْقَطُ ، فَلِذَلِكَ لَمْ يَتِمَكَّنِ الْمَمْلُوكُ فِيهِ
 مِنَ الْعَمَلِ ، وَلَمْ يَتَلَعَّ مِنَ الْإِبْدَاعِ فِيهِ نِهَايَةً أَمَلٍ ، وَخَبَطَ فِي هَذَا الْجَوَابِ خَبَطَ
 الْعَشَوَاءُ ، فَاخْتَلَطَ الْمَرْعِيُّ بِالْهَمَلِ ، وَقَالَ : هَذَا يَوْمٌ صَفِيٌّ مَعَ عَلِيٍّ أَوْ يَوْمُ
 الْجَمَلِ ؟ وَاللَّهِ يُمْنَعُ الْوُجُودُ بِهَذِهِ الْفَوَائِدِ الْعِزِّيَّةِ ، وَالْمَحَاسِنِ الَّتِي لَا تُنْشَرُ مَعَهَا
 الْمَطَاوِي الْبِزِّيَّةُ ؛ بِمَنْهٍ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى^(٣) .

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مُلَغِزاً : [من المجتث]

يَا فَاضِلاً ذَا عُلُومٍ سَمَتْ بِذِهْنٍ شَرِيفٍ
 مَا اسْمٌ لِشَيْءٍ لَطِيفٍ يَأْتِي بِمَعْنَى مُنِيفٍ

(١) البيت لأبي العلاء المعري ، في شروح سقط الزند ١٠١٦/٣ .

(٢) البيت لأبي العلاء المعري ، في شروح سقط الزند ٣٥٠/١ .

(٣) وسقط ما بعد ذلك من س إلى نهاية الترجمة .

مُدَوَّرُ الشُّكْلِ لَكِنْ لَهُ ثَلَاثُ حُرُوفٍ
 سِيرٌ طَوْرًا بِخَيْرٍ وَتَارَةً بِحُتُوفٍ
 أَصَمُّ يُضْغِي إِلَى النَّجْوَى ، أَخْرَسُ يُفْصِحُ بِالذَّعْوَى ، لَهُ لِسَانَانِ وَعَيْنٌ
 وَاحِدَةٌ ، وَقَامَةٌ تَرَاهَا عِنْدَ إِسْدَاءِ الْمَعْرُوفِ مَائِدَةٌ ، يَسْجُدُ عِنْدَ سَمَاعِ الْآيَاتِ ،
 وَيَجْرِي وَلَيْسَ لَهُ رِجْلَانِ إِلَى الْغَايَاتِ : [من المجتث]

[١٨٨] إِذَا عَلَا صَحْنُ خَدٍّ حَلَاءَهُ بِالتَّخْرِيفِ
 وَإِنْ مَشَى وَهُوَ حَافٍ سَمِعْتَ حُسْنَ الصَّرِيفِ
 وَكَمْ لَهُ مِنْ أَيَادٍ تُطِيعُ أَمْرَ الْكُفُوفِ
 إِنْ سَاقَ قَوْلًا ثَقِيلًا أَتَى بِمَعْنَى خَفِيفِ

كَبِيرُ الْقَدْرِ ، صَغِيرُ الْجِزْمِ ، يُقْطَعُ لِسَانُهُ وَمَا أَتَى بِجُزْمٍ ، يُخَيِّي الْأَمَالَ بِيَدٍ
 وَيَقْتُلُ بِالْأُخْرَى وَلَا يَدِي ، وَإِذَا انْعَكَسَ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي ^(١) ، شَجَرَةٌ
 ثَمَرُهَا يُخْجِلُ اللَّوْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ ، غُضُنٌ فَيْنَانٌ ، يَمِيسُ مِنْ رِيَاضِ الْمَعَانِي فِي
 بُسْتَانٍ ، يَسْكُنُ إِلَى الرَّاحَةِ فَيَتَعَبُهَا وَيَتَعَبُ ، وَيُقْطَعُ إِذْ بَرَأْسِهِ يَلْعَبُ ، كَمْ أَثَارَ
 حَزْبًا عَوَانَ ، وَنَفَثَ مِنْ عَقْدِهِ سِحْرًا جَهْدَتْ مِنْهُ الْفُرْسَانُ : [من المجتث]

سَهْمٌ وَيَزْمِي سِهَامًا تُعَدُّ فَوْقَ الْأَلُوفِ
 وَافٍ بِكُلِّ خَلِيلٍ نَاسٍ لِكُلِّ أَلُوفٍ
 فَلَمْ تَصْخَفْهُ إِلَّا رَأَيْتَ عِلْمَ اللَّطِيفِ
 أَبْنَاهُ بِالْقَرْبِ مِنْهُ وَجُدْ بِلَفْظِ ظَرِيفِ
 فِي قَلْبِهِ عَنِ التَّوَدُّدِ وَالْإِنْطِبَاعِ أَسْفَارٌ ، وَمِيَاهُ تَعَكِّفُ عَلَيْهَا الْأَطْيَارُ ، إِنْ

(١) من قول النابغة الذبياني : [ديوانه ٣٧]

كَالْأَقْحَوَانِ غَدَاةً غِبَّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي

عَصَى عَلَى غَيْرِكَ أَجَابَكَ أَنَّى تَدْعُوهُ ، وَهُوَ بَيْنَ يَدَيْكَ كَالْمِقْيَاسِ يُفَرِّحُ قَلْبَ مَنْ يَرْجُوهُ ، وَكَيْفَ لَا وَأَصَابِعُ الْبَحْرِ الْخُلُوعُ تَعْلُوهُ ؛ وَاللَّهُ يَكْشِفُ بَعْلَمَ مَوْلَانَا عَنَّا مِنَ الْجَهْلِ غَمَمَ ، وَيُدِيمُهُ لِخَدَمِهِ مَا جَرَى فِي لَوْحِ قَلَمٍ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ عَنْهُ ارْتِجَالاً ، وَهُوَ فِي « قَلَم » : [من المجتث]

يَا مَنْ يَحُلُّ الْمُعَمَّى مِنْهُ بِذَوْقٍ لَطِيفٍ
وَمَنْ تَحُلُّ الْمَعَانِي مِنْهُ بِطَوْدٍ مُنِيفٍ
وَمَنْ إِذَا قَالَ لُغَزَاً أَتَى بِشَيْءٍ ظَرِيفٍ
دَانٍ إِلَى كُلِّ فَهْمٍ عَلَى الْقُلُوبِ خَفِيفٍ

يَا مَوْلَانَا ، هَذَا الَّذِي قَصَدْتَ إِيْلَازَهُ ، وَعَوَّضْتَ عَنْ الْحَقِيقَةِ مَجَازَهُ ، يَسْجُدُ لِبَارِيهِ ، وَيَتَعَبُّ إِذَا كَانَ فِي كَفِّ الْمَوْلَى مَنْ يُجَارِيهِ ، يُتَرَجِّمُ عَنْ ضَمِيرِ الْفُؤَادِ ، وَيَزِينُ الْبَيَاضَ بِالسَّوَادِ ، يَسْعَى عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ ، وَيَرُوضُ الطُّرُوسَ فَيَضِلُّ مَنْ شَبَّهَ الزَّهَرَ بِأَنْفَاسِهِ ، قَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ فِي الْكِتَابِ ، وَجَعَلَهُ فِي الْبَنَانِ نَائِباً عَنِ الْبَيَانِ فِي الْخِطَابِ : [من المجتث]

كَمْ قَدْ أَتَاخَ فُتُوحاً وَكَمْ أَتَى بِخُتُوفٍ
وَلَيْسَ يَطْعَنُ يَوْماً سِنَانُهُ فِي الصُّفُوفِ
وَكَمْ أَبَاخَ الْعَطَايَا فِي تَالِيدٍ وَطَرِيفٍ
إِذَا طَفَا الْجُودُ مِنْهُ لَمْ يَقْتَنِعْ بِالطَّفِيفِ

أَحَاشِيكَ مِنْ قَلْبِهِ ، وَقَلْبُ بَعْضِهِ مِنَ الْغَوَانِي تَحَكُّمٌ عَلَى الْقَلْبِ بِسَلْبِهِ ، إِنْ حَذَفْتَ أَوَّلَهُ كَانَ حَرْفَ سَلْبٍ ، وَإِنْ طَرَحْتَ ثَنِيَاهُ كَانَ أَمراً مِنَ الْوَثْبِ ، وَإِنْ نَقَضْتَ أَخْرَاهُ كَانَ أَوَّلَ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ ، وَإِنْ حَذَفْتَ مِنْ إِعْجَامِهِ نُقْطَةً فِي هَذِهِ

الحالة فهو كناية في الناس عن بعض الأشخاص^(١) : [من المجث]

قِوَامٌ كُلُّ وَزِيرٍ وَزَيْنٌ كُلُّ شَرِيفٍ
لَمْ يَنْفَعِ الْمَرْءَ حَتَّى تَلِيَّ يُعِينَهُ بِرَدِيفٍ
لَأَنَّهُ مَعَ سَطَاهُ تَلَقَّاهُ جِدًّا ضَعِيفٍ
لَكِنْ يَرُدُّ الرِّزَايَا مِنْهُ بِرَأْيٍ حَصِيفٍ

[٨٨ ب] فيه المني والمنون ، وآخر وسطه آخره^(٢) ؛ فاعجب لِسِرِّهِ
المكنون ، يلازم الأسفار وهو مقيم ، ويدفع المضلات وهو سقيم ؛ فسبحان
من سخره للمولى يديره كيف يشاء ، ويصرفه في فنون الإنشاء ، لا زال البيان
طوع بانه ، ونفثات فيه ولسانه ؛ بمته وكرمه إن شاء الله تعالى .

● (٣) وكتب هو إلي من حلب المحروسة : [من السريع]

تَعْطُرِي يَا نَسَمَاتِ الرِّيحِ بِنَفْحَةِ الزَّهْرِ إِذَا الزَّهْرُ فَاخِ
وَكُلَّمَا اسْتَعْبَرَ دَمْعُ الْحَيَا فَرَفَرِقِيهِ فِي خُدُودِ الْبَطَاخِ
وَرَنُّحِي أَعْطَافَ غُضَنِ الثَّقَا إِذَا تَغَنَّتْ فِيهِ ذَاتُ الْجَنَاحِ
وَنَشَّرِي مِنْ طَيِّ أَوْراقِهِ أَزْرًا عَلَى مِثْلِ قُدُودِ الْمِلَاحِ
وَنَثَّرِي مِنْ نَظْمِ أَزْهَارِهِ دُرًّا بِهِ تُزْهِى عُقُودُ الرِّوَاخِ
وصافحي التَّرجِسَ فِي مَرْجِهَا وَغَازِلِي تِلْكَ الْعُيُونِ الْوَقَاخِ
وَذَكِّرِينَا بِزَمَانٍ مَضَى بِالْأُنْسِ مَعَ تِلْكَ الْوُجُوهِ الصُّبَاخِ
وَحَبَّرِي الْمُشْتَاقَ عَنْهُمْ فَقِي ذِكْرَاهُمْ لِلْقَلْبِ أَيُّ انْشِرَاخِ
يَا وَيْحَ صَبِّ عَنْهُمْ مَالَهُ إِنْ بَرَّحَ الشَّقُوقُ بِهِ مِنْ بَرَاخِ

(١) فل = فلان .

(٢) وسطه « لام » آخره ميم . وهو آخر « قلم » .

(٣) من هنا إلى نهاية الترجمة ، من ب فقط .

إِنْ فَسَدَتْ بِالْبَيْنِ أَحْوَالُهُ
الْفَاضِلُ الْحَبْرُ الْكَرِيمُ الَّذِي
وَهُوَ الَّذِي إِنْ رَقَمْتَ كَفُّهُ
وَهُوَ الَّذِي أَعْطَا أَشْعَارِهِ
وَهُوَ الَّذِي لَاحَتْ مَعَانِيهِ فِي
لَا أَوْحَشَ الرَّحْمَنُ مِنْ وَجْهِهِ

فَفِي صَلَاحِ الدِّينِ يَرْجُو الصَّلَاحُ
زَانَتْ عَطَايَاهُ سَمَاءَ السَّمَاحِ
طِرْسًا فَقَدْ حَلَّ الدُّجَى فِي الصَّبَاحِ
تَوَشَّحَتْ بِالذُّرِّ أَيَّ اشْشَاخِ
أَلْفَاظِهِ غُرًّا وَضَاءً وَضَاخِ
وَمِنْ مَعَانِيهِ الصُّحَاكِ الْفِصَاخِ

● فكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ : [من السريع]

جَاءَتْ وَقَدْ لَاحَ مُحَيَّا الصَّبَاحِ
وَلِلصَّبَا بَيْنَ الرُّبَا وَثْبَةٌ
وَالْأُنْفُقُ عُطْلٌ مِنْ نُجُومِ الدُّجَى
فَأَخْجَلَتْ وَجْهَ الْحَيِّبِ الَّذِي
فِيَا لَهَا خَمْرَةٌ نَظْمٌ وَقَدْ
ثُمَّ اغْتَبِطَ إِنْ لَمْ بِهَا اغْتَبِقْ
وَوِدِدْتُ أَنَّ الْبَيْنَ مَا بَيْنَنَا
كِي أَتَمَلَّى بِالثَّوَانِي الَّتِي
فَهِيَ قَوَافِيكَ الَّتِي صَيَّرَتْ
فَمَا عَسَى تَطْلُبُ مِنِّي إِذَا

أَيَّاتُكَ الْغُرُّ الْوَسَامُ الصَّبَاحِ
مِنْ بَعْدِمَا قَدْ أَبْطَأَتْ فِي الْبِطَاحِ
وَالشَّيْخُ مِنْ دُرِّ النَّدَى فِي وَشَاخِ
لَاحَ وَقَدْ هَامَ بِهِ كُلُّ لَاحِ
أَصْبَحْتَ يَا صَاحِبَهَا غَيْرَ صَاحِ
وَلَا اضْطَبَّارَ لِي عَنِ الْاضْطَبَاحِ
لَمْ تُطَوِّ مِنْهُ شُقَّةُ الْإِنْتِزَاحِ
تَرْفُهَا لِي غُدْوَةٌ أَوْ رَوَاخِ
جَمِي فُوَادِي لِهَوَاهَا مُبَاخِ
مَا امْتَدَّ بَاعِي سَاعَةَ الْإِمْتِزَاحِ

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ أَيْضًا مِنْ حَلْب : [من المتقارب]

أَلَا حَبَّذَا عَيْشَتِي الرَّاضِيَةَ
وَيَا طَيْبَ أَوْقَاتٍ وَضَلَّ مَضَتْ
لِيَالِي أَنْصَبُ فَخَّ الْهَوَى
وَيَا حُسْنَ جَلَّقَ مِنْ جَنَّةِ

وَأَيَّامَ صَبَوَتِي الْمَاضِيَةَ
مُدَبَّجَةِ الذَّيْلِ وَالْحَاشِيَةَ
فَأَقْبَضُ ذَا الْمُقْلَةِ السَّاجِيَةَ
قُطُوفُ الْأَمَانِي بِهَا دَانِيَةَ

رِحَابٌ مَشَارِبُهَا صَافِيَةٌ
تَمَائِلٌ أَغْصَانُهَا مُذْ شَرِبْنَ
جَوَارِي أَنْهَارِهَا قَدْ غَدَتْ
مَغَانٍ يُلْذُ سَمَاعُ الْغِنَا
إِذَا سَافَ طِيبَ شَذَاهَا الْعَلِيلُ
كَأَنَّ الْغَمَامَ إِذَا جَادَهَا
يَمِينُ صَلَاحٍ لِإِذِينَ الْإِلَهِ
فَلَا أَوْحَشَ اللَّهُ مِنْ وَجْهِهِ

عَذَابٌ بِشَائِرُهَا ضَافِيَةٌ
بِكَاسِ الصَّبَا مِنْ يَدِ الْغَادِيَةِ
بَجَوْهَرِ أَزْهَارِهَا حَالِيَةٍ
بِهَا مِنْ هَوَاتِفِهَا الشَّادِيَةِ
كَسَتْ جِسْمَهُ حُلَّةَ الْعَافِيَةِ
يَمِينٌ لِسَيِّدِنَا هَامِيَةٍ
إِمَامٌ لَهُ الْهِمَّةُ الْعَالِيَةِ
وَلَا زَالَ مِنْ نِعْمَةٍ بَاقِيَةٍ

● فَكُتِبْتُ أَنَا الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ : [من المتقارب]

أَتَتْنِي أَيْبَاتُكَ الْحَالِيَةِ
تَلُوحُ بُدُورُ الْمَعَانِي لَنَا
لَهَا زُخْرُفٌ قَدْ سَبَا خَاطِرِي
فَإِنْ كُنْتَ أَهْلِدَيْتَهَا غَادَةً
وَإِنْ كُنْتَ حَبَّرْتَهَا رَوْضَةً
لَقَدْ رَوَّضْتَ طِرْسَهَا لِلْوَرَى
وَيَا طِيبَ نَفْحَةِ أَزْهَارِهَا
سُطُورُكَ أَنْهَارُ فَضْلٍ جَرَتْ
أَتَتْنِي وَقَدْ عَبَّثَتْ بِي النَّوَى
فَأَهْدَتْ لِعَيْنِي طَيْفَ الْكَرَى
وَلَكَّهََا نَزَلَتْ فِي الْحَشَا
وَلَمْ تُطْفِ نَاراً بِغَرَزِ الْحَشَا
أَلَا يَا عَلِيَّ الْقَرِيضِ افْتَخِرْ

فَمَيَّزْتَ بَيْنَ الْوَرَى حَالِيَةٍ
تَمَاماً بِأَسْطُرِهَا الدَّاجِيَةِ
فَأَمَّتْ لَهَا الشُّعْرَا جَائِيَةٍ
فَإِنَّ دُمُوعِي لَهَا جَارِيَةٍ
فَعَيْنِي بِهَا قَدْ جَرَتْ سَاقِيَةٍ
سَحَائِبُ إِذْ أَبَكَّتِ الْهَامِيَةِ
فَقَدْ أَرْخَصَتْ عِنْدِي الْغَالِيَةِ
وَكَمْ لَكَ يَا بَحْرُ مِنْ رَاوِيَةٍ
وَلَمْ يُبْقِ مَنِّي الضَّنَى بَاقِيَةٍ
فَلَيْتَ عَلَى عَيْنِكَ الْوَاقِيَةِ
بِتَأْكِيدِ خِدْمَتِكَ الْعَالِيَةِ
شَرِيعَةً عَيْنِ غَدَتْ دَامِيَةٍ
فَشَيَعْتُكَ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةِ

وقد شَبِعَ النَّاسُ مِمَّا رَوَوْا وَلِلْحُلُوِّ وَسَطُ الْحَشَا زَاوِيَةٍ

٥٥ * عليّ بن داود بن يحيى بن كامل بن يحيى بن جُبارة بن عبد الملك بن يحيى بن عبد الملك بن موسى بن جُبارة^(١)،
يَنْتَهِي إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ:

الشَّيْخُ الْإِمَامُ ، الْعَالِمُ الْعَلَّامَةُ ، الْفَرِيدُ الْكَامِلُ ، النَّحْوِيُّ ، الْأَصُولِيُّ ،
الْفَقِيهَ ، الْأَدِيبُ ، نَجْمُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ ابْنِ الْقَاضِي عِمَادِ الدِّينِ ، الْقَحْفَازِيُّ
الْحَنْفِيُّ .

● كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَطْلُبُ مِنْهُ مَا أَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى تَرْجُمَتِهِ فِي « تَارِيخِي الْكَبِيرِ »
عَلَى الْعَادَةِ^(٢) : [من الخفيف]

يَا مُفِيدَ الْوَرَى مَعَانِي الْمَعَالِي وَإِمَامَ الْأَنَامِ فِي كُلِّ عِلْمٍ
إِنَّ لِي مُعْجَمًا كَأَفْقٍ فَسِيحٍ أَشْتَهِي أَنْ يُزَانَ مِنْكَ بِنَجْمٍ
فَتَأَخَّرَ جَوَابُهُ إِلَيَّ ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ^(٣) : [من الطويل]

ظَفِرْتُ بِوَعْدٍ مِنْكَ بَلَّغَنِي الْمُنَى وَجُودُكَ نَجْمَ الدِّينِ لَيْسَ يَحُولُ
وَقَدْ طَالَ لَيْلِي لانتظارِ وُرودهِ وَلَيْلُ الَّذِي يَزْعَى الثُّجُومَ طَوِيلُ
● فَكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ^(٣) : [من مجزوء الرجز]

يَا سَائِلِي عَنْ نَسَبِي وَمَوْلِي وَادْبِي

(١) ترجمته في : ذبول العبر ٢٤٥ وأعيان العصر ٣/٣٥٦ والوافي بالوفيات ٨٣/٢١ وفوات الوفيات ٢٣/٣ والجواهر المضبية ٤/٢٨٣ وفيات ابن رافع ١/٢١٣ وتذكرة النبيه ٣/٧٤ والبداية والنهاية ١٨/٤٧٥ وتاريخ ابن قاضي شهبة ١/٤٣١ والدرر الكامنة ٣/٤٧ والمنهل الصافي ٨/٧٣ والدليل الشافي ١/٤٥٥ والذيل التام ١/٧٣ والدارس ١/٥٤٧ - ٥٤٨ و٢/٤٢٦ وبغية الوعاة ٢/١٦٦ وشذرات الذهب ٨/٢٤٨ .

- مولده سنة ٦٦٨ هـ . ووفاته سنة ٧٤٥ هـ .

(٢) البيتان في أعيان العصر والوافي .

(٣) القصيدة في أعيان العصر والوافي .

وَمَا قَرَأْتُ فِي الْعُلُو
وَمَنْ أَخَذَتْ ذَاكَ عَن
وغيرهم مِمَّنْ حَوَى
وَمَا الَّذِي سَمِعْتُهُ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا أَخ
وَذَكَرَ شَيْءٍ صُغْتُهُ
وَمَا الَّذِي صَنَعْتُهُ
لَوْ لَا وَجُوبُ حُرْمَةِ الْ
مَا قُلْتُ ذَاكَ خَشِيَّةً
يَقُولُ إِنِّي قُلْتُهُ
لَكُمَا الْبُخْلُ بِمَا
وَالْمُقْتَضَى مِنِّي لَهُ
وَهُوَ خَلِيلٌ فِي الرَّخَا
وَهُمُّهُ فِي جَمْعِ شَم
وَمَا صَلاَحُ الدِّينِ إِلَّا
هَذَا الَّذِي أَوْجَبَ لِي
عَنْ مَخْتَلِي وَمَوْلِي
فَقُلْتُ غَيْرَ آمِنٍ
مُخْتَصِرًا مُقْتَصِرًا
مَا سَتَرَاهُ وَاضِحًا
لَا زِلْتُ لِلْفَضْلِ جَمِي

م من شَرِيفِ الْكُتُبِ
هُ مِنْ شَيْوِخِ مَذْهَبِي
سِرَّ كَلَامِ الْعَرَبِ
عَنِ النَّبِيِّ الْعَرَبِي
لَوْلَاكَ جُنْحُ غَيْهَبِ
مِنْ شِعْرِي الْمُتَخَبِ
مِنْ كُتُبِ وَخُطَبِ
قَضْدِ وَرَغِي الرُّتَبِ
مِنْ حَاسِدٍ مُؤَنَّبِ
مُفْتَحِ رَأً بِحَسَبِي
سُئِلْتُ لَا يَخْسُنُ بِي
لَا يَأْتَلِي فِي الطَّلَبِ
وَعُدَّةً فِي الْكُتُبِ
لِلْفَضْلِ لَا فِي النَّشَبِ
لَا فِي افْتِنَاءِ الْقُرَبِ
يَا صَاحِ كَشَفِ الْحُجُبِ^(١)
وَفَضْلِي الْمُخْتَجِبِ
مِنْ عَائِلِي مُنْدَبِ
مُعْتَدِرًا مِنْ رَهْبِي
مُرْتَسِمًا عَنْ كُتُبِ^(٢)
وَلَيْتَنِي كَالْأَبِ

(١) في م : هو الذي . . . × .

(٢) في ب : مما تراه واضحاً × .

تَجَمَّعُ شَمْلَ ذِكْرِهِمْ مُخْلَجاً فِي كُتُبِ

● وَأَنشَدْتُهُ يَوْماً قَوْلِي بِالْدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ^(١) : [من البسيط]

رَكِبْتُ فِي الْبَحْرِ يَوْماً مَعَ أَخِي أَدَبٍ فَقَالَ : دَعْنِي مِنْ قَالٍ وَمِنْ قَيْلٍ
شَرَحْتُ يَا بَحْرُ صَدْرِي الْيَوْمَ ، قُلْتُ لَهُ : لَا تُنَكِّرِ الشَّرْحَ يَا نَحْوِي لِلنَّيْلِ

فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ ، وَأَنشَدَنِي لِنَفْسِهِ مَا كَتَبَهُ هُوَ إِلَى [١٨٩] الشَّيْخِ بَذْرِ الدِّينِ
مُحَمَّدَ بْنَ بَصَّخَانَ^(٢) ، وَقَدْ أَقَامَ بِمِصْرَ الْمَحْرُوسَةِ^(٣) : [من الكامل]

يَا غَائِباً قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ قَلْبَهُ بِسَوِي دِمَشْقَ وَأَهْلَهَا لَا يَغْلِقُ
إِنْ كَانَ صَدَّكَ نَيْلُ مِصْرٍ عَنْهُمْ لَا غَرَوْ فَهَوَ لَنَا الْعَدُوُّ الْأَزْرَقُ

● فَأَنشَدْتُهُ لِنَفْسِي فِي مَعْنَى زُرْقَةِ النَّيْلِ^(٤) : [من الخفيف]

قَالَ خِلِّي بِاللَّهِ صِفْ أَرْضَ مِصْرٍ وَقَتَ كَتَّانِهَا بِوَصْفٍ مُحَقَّقٍ
قُلْتُ : أَرْضُ النَّيْلِ يُرَوِّى ثَرَاهَا فَلِهَذَا الْكَتَّانَ نَوَّرَ أَزْرَقُ^(٥)

* * *

(١) البيتان في حسن المحاضرة ٢/ ٣٢١ .

(٢) محمد بن أحمد بن بصخان ، شيخ القراء بدمشق ، توفي سنة ٧٤٣ هـ . ضبطه المؤلف في الروافي ١٥٩/٢ بقوله : بفتح الباء الموحدة ، وسكون الصاد المهملة ، وبعد الحاء المعجمة ألف ونون .

(٣) البيتان في أعيان العصر والروافي والفوات .

(٤) البيتان في حسن المحاضرة ٢/ ٣٥١ والكشف والتنبيه ٢٩٦ .

(٥) في م : . . . يزهى ثراها × .

(*) وجاء في خاتمة « م » :

تمَّ الجزء الأول من كتاب أَلْحَانَ السَّوَاجِعِ بَيْنَ الْبَادِيَّ وَالْمَرَاجِعِ لِلْمَوْلَى الْعَلَّامَةِ صَلَاحِ الدِّينِ الصَّفَدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي حَادِي وَعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ شَوَالِ الْكَرِيمِ أَحَدِ شَهْرٍ سَنَةِ سِتِّينَ وَأَلْفِ هِجْرِيَّةٍ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس